

البرهان المنقذ  
مسن  
الكلمات الملقاة

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي: أمين بن عبد الله

الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة - الجزء الأول والثاني والثالث.

/ أمين بن عبد الله الشقاوي - ط ٨ - الرياض، ١٤٣٤ هـ

٨٦٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٧-١٣٥٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨

(في مجلد واحد)

١- الوعظ والإرشاد ٢- الإسلام - مجموعات أ- العنوان

١٤٣٤/٤٠٦

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٤٠٦

ردمك: ٧-١٣٥٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

والإلمه أراد طباعته وتوزيعه فجاءنا بعد موافقة المؤلف الوطنية

الطبعة الثامنة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

جوال رقم: ٥٠٤٤٢٠٥٦٠

الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فروص يومئذ

(١٥٠) درر للندوة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على الصلوات

واعزاز

والأمين بن محمد بن عبد الله الشقاوي

الجزء الأول



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة: دروس يومية» إعداد الشيخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

والشيخ أمين معروف لديّ وهو من الدعاة المعروفين بالعلم والبصيرة، وقد سمعتُ عدداً من كلماته التي يلقيها في المساجد.

ولما تصفّحتُ الكتاب وجدته منوعاً يشمل موضوعات متعددة في العقيدة والتفسير والحديث والفقه، وفي العلم، والوصايا، والأدعية والأذكار، وآداب الطعام، والمحرمات، وصيانة الأعراض واللباس، والمواعظ والرفائق والفضائل والأخلاق، وقضايا اجتماعية كقضية المرأة وغيرها وتوجيهات عامة وغيرها.

ولا شك أن هذه الموضوعات شاملة لقضايا متعددة من أمور الدين، الناس بحاجة إليها، فهذه الكلمات مفيدة لعامة الناس، وهي مفيدة للدعاة والخطباء وأئمة المساجد يقرؤونها على الناس دروساً يومية.

وإنني أوصي عموم المسلمين بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي أيضاً أئمة المساجد والخطباء والدعاة بالاستفادة من هذا الكتاب على شكل دروس يومية تقرأ على المصلين.

والمؤلف - وفقه الله - بذل جهده في اختيار الموضوعات المهمة، ودعمها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم المعتبرين، ورجع إلى كتب التفسير وكتب الفقه وكتب الحديث وكتب التاريخ والسِّير، فجاء هذا الكتاب - بحمد الله - وافياً بالغرض نافعاً يجد فيه الباحث بغيته.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وبكلمات الشيخ أمين التي يلقيها في المساجد، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه جواد كريم.

وصلى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

١٢ / ٤ / ١٤٢٧ هـ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكرم الأخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي - وفقه الله :-

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد:

أشكركم على هديتكم كتاب (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة) وقد تصفحت سفركم الجميل وألفيته من الكتب النافعة في بابه ومناسباً في وقتنا هذا لما اشتمل عليه من موضوعات تهتم العامة والخاصة، وتقرب كثيراً من المعاني إلى الأفهام وتصلح حال كثير من الناس بأسلوب لطيف وتأصيل شرعي مستمد من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وفقكم الله وجعلكم مباركين أينما كنتم  
ونفع بعلمكم ورزقنا وإياكم حسن القصد والعمل.

كتبه

ناصر بن سليمان العمر

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» الذي ألفه أخونا الشيخ أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية - وفقه الله -، فوجدته كتاباً نافعاً مناسباً لعموم المسلمين، وبخاصة الدعاة والخطباء وأئمة المساجد، فقد ضمَّه مؤلفه خمسين ومئة درس في موضوعات متعددة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والقضايا الاجتماعية والأسرية، وما يخص المرأة، وبعض القضايا المعاصرة، كما حرص المؤلف على تجنب الأحاديث الموضوعية والضعيفة ما أمكن، فنسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

سعد بن عبد الله الحميد

٧ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فقد استمعت إلى بعض الكلمات والدروس التي كان يلقيها الشيخ: أمين بن عبد الله الشقاوي، وكانت هذه الدروس والكلمات مفيدة وقيّمة، فهي جامعة ومختصرة مع الاعتناء بالأدلة من الكتاب والسنة، والنقل عن أهل العلم.

وقد قام - وفقه الله - بجمع هذه الكلمات والدروس في كتاب أسماه: (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة)، وهي شاملة لكثير من قضايا الشريعة من: التوحيد، والعقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتفسير، والحديث، وغير ذلك من القضايا والمسائل. فبارك الله فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد كُلفتُ من قِبَلِ إدارة شؤون الدعوة والإرشاد بفرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالرياض، بإلقاء كلمات وعظية في مساجد مدينة الرياض، وفي أثناء تنقلي بمساجد المدينة أشار عليَّ بعض الفضلاء من أئمة المساجد بكتابة ما يُلقى من هذه الكلمات؛ لكي يستفيد منها أئمة المساجد وطلبة العلم، وعامة الناس.

فاستخرت الله عز وجل، ثم شرعت في كتابتها لعل الله أن ينفع بها.

والجزء الأول من كتاب الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، جمعتُ فيه ثلاثين كلمة متنوعة، وقد طُبِعَ الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ، ثم بدا لي أن أضيف عليه أربعين كلمة أخرى، فطُبِعَ الكتاب الطبعة الثانية (الجزء الأول والثاني) في مجلد واحد عام ١٤٢٣هـ.

وفي عام ١٤٢٦هـ طُبِعَ الكتاب للمرة الثالثة، بإضافة ثمانين كلمة (الجزء الأول والثاني والثالث) في مجلد واحد، فأصبح المجموع (مئة وخمسين كلمة).

وقد بذلت جهدي ألا أورد فيها من الأحاديث إلا ما صُحِّح، والله أسأل أن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

المؤلف



الكلمة الأولى

الإخلاص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أعظم الأصول المهمة في دين الإسلام تحقيق الإخلاص لله تعالى في جميع العبادات، قال بعضهم: الإخلاص هو ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله تعالى، ولا مجازٍ سواه<sup>(١)</sup>.

قال أبو عثمان سعيد النيسابوري: صدق الإخلاص نسيان رؤية الخلق لدوام النظر إلى الخالق، والإخلاص: أن تريد بقلبك وعملك وفعلك رضا الله تعالى خوفاً من سخط الله كأنك تراه بحقيقة عملك بأنه يراك حتى يذهب الرياء عن قلبك، ثم تذكر منة الله عليك إذ وفقك لذلك العمل حتى يذهب العجب من قلبك وتستعمل الرفق في عملك حتى تذهب العجلة من قلبك.

وقال رسول الله ﷺ: «مَا جُعِلَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»<sup>(٢)</sup>.

والعجلة أتباع الهوى، والرفق أتباع السنة، فإذا فرغت من عملك وجل قلبك خوفاً من الله أن يرد عليك عملك فلا يقبله منك. قال الله تعالى:

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٢/ ١٢٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٩٤).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [المؤمنون]،  
ومن جمع هذه الخصال الأربعة كان مخلصاً في عمله إن شاء الله (١).

والإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ ﴿١٤﴾ [الزمر]، وقال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٢﴾ [الملك].  
قال الفضيل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أخلصه وأصوبه، وقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على السنة (٢).

وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾ [الشورى].

قال أبو العالية: «وصاهم بالإخلاص في عبادته»، والإخلاص أعظم أعمال القلوب.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد من

(١) البيهقي في شعب الإيمان رقم (٦٤٧٥) طبعة الشؤون الإسلامية بدولة قطر.

(٢) مدارج السالكين (٢/٦٩).

الأعمال التي ميزت بينهما؟ وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح، وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بغير إخلاص لما ذم المنافقين<sup>(٢)</sup>.

والإخلاص شرط لقبول العمل، فإن العمل لا يُقبل إلا بشرطين: أولاً: أن يكون العمل موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بيّنه رسول الله ﷺ؛ فعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»<sup>(٤)</sup>.

ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

والإخلاص هو الأساس في قبول الدعاء، قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٣٣٠) نقلاً عن كتاب الإخلاص والشرك الأصغر ص ٥.

(٢) الفوائد ص ٦٦.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له، طبعة بيت الأفكار الدولية.

(٤) صحيح البخاري برقم (١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٧).

وفقدان الإخلاص سبب لرد العمل. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup> ولما بلغ هذا الحديث معاوية بكى بكاءً شديداً، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾<sup>(٢)</sup> [هود].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه: أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَىٰ مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَاتَلَ لِيَتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح مسلم برقم (١٩٠٥). (٢) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٨١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٤).

وروى النسائي في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذُّكْرَ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ». فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتِغْيَ بِهِ وَجْهَهُ»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: ومن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى أو قيام ليل أو غير ذلك فإنه يصله حيث كان ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سرًّا لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص<sup>(٢)</sup>.

وقيل لسهل التستري: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب<sup>(٣)</sup>.

وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي، إنها تتقلب عليّ.

وقال سليمان الداراني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء.

وقال بعض السلف: من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله، نجا وذلك لعزة الإخلاص، وعسر تنقية القلب من هذه الشوائب؛ فإن الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب القرب من الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

والخلاصة: إن الإخلاص لله تعالى وإرادة وجهه رأس مال العبد وملاك أمره، وقوام حياته الطيبة، وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه، وقرّة

(١) سنن النسائي برقم (٣١٤٠)، قال النووي: إسناده جيد «الترغيب والترهيب» (١/٦١).

(٢) الفتاوى (٢/٢٦٣). (٣) مدارج السالكين (٢/٦٩).

(٤) انظر: «الإخلاص طريق الخلاص» لأخينا الشيخ عبد الهادي وهبي ص ١٧٦.

عينه، ولذلك خُلق وبه أمر، وبذلك أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ولا صلاح للقلب ولا نعيم إلا بأن تكون رغبته إلى الله ﷻ وحده، فيكون هو وحده مرغوبه ومطلوبه ومراده، ومن كان كذلك كفاه الله كل مهم، وتولاه في جميع أموره، ودفع عنه ما لا يستطيع دفعه عن نفسه، ووقاه وقاية الوليد، وصانه من جميع الآفات. ومن كان لله كان الله له، حيث لا يكون لنفسه<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) روضة المحبين لابن القيم ص ٤٠٨، بتصرف.

## السبعة الذين يظلمهم الله في ظله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»<sup>(١)</sup>.

يجمع الله الخلائق يوم القيامة، الأولين منهم والآخرين ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم].

في يوم طويل قدره، عظيم هوله، شديد كربه، حذر الله منه عباده وأمرهم بالاستعداد له، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ <sup>(١)</sup> يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ [الحج].

في ذلك اليوم العظيم تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ قَدَرٌ مِيلٌ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

كَعْبِيَّةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَامًا<sup>(١)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
أن النبي ﷺ قال: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

في ذلك الموقف العظيم يظل الله في ظله هؤلاء السبعة، فلنتأمل أعمالهم التي أوجبت لهم هذا الجزاء العظيم.

فالأول: الإمام العادل الذي يحكم بين الناس بالحق ولا يتبع الهوى، كما قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾<sup>(٣٦)</sup> [ص].

ممثلًا أمر ربه له سبحانه إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٥٨)</sup> [النساء].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وَلُوا»<sup>(٣)</sup>.

فهذا ثواب من عدل في حكمه وأعطى الحق أهله، فانظر إلى جزاء من جار في حكمه وظلم ولم يعدل، وأغلق بابه دون أصحاب الحاجات.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا

(١) معنى حديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٦٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٣٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٨٢٧).

يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ [إبراهيم].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِيَّ أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهُ ﻋَظْمًا مَغْلُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَكَهُ بَرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِنْهُمُ، أَوْلَاهَا مَلَامَةٌ وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِعِيهِ اللَّهُ رِعِيَةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرِعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن مرة أنه قال: يا معاوية إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَاوَالٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ إِلَّا أَغْلَقَ اللَّهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَمَسْكِنَتِهِ» قال: فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ<sup>(٣)</sup>.

والثاني: شاب نشأ في عبادة الله، وقد وفقه الله منذ نشأ للأعمال الصالحة، وحببها إليه، وكره إليه الأعمال السيئة وأعانها على تركها، إما بسبب تربية صالحة، أو رفقة طيبة، أو غير ذلك، وقد حفظه مما نشأ عليه كثير من الشباب من اللهو واللعب وإضاعة الصلوات والانهماك في الشهوات والملذات، وقد أثنى الله على هذا النشء المبارك بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف].

ولما كان الشباب داعياً قوياً للشهوات، كان من أعجب الأمور

(١) مسند الإمام أحمد (٥/٢٦٧)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٧١٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢) واللفظ لمسلم.

(٣) مسند الإمام أحمد (٢٩/٥٦٥) برقم (١٨٠٣٣)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

الشاب الذي يلزم نفسه بالطاعة والاجتهاد فيها، فاستحق بذلك أن يكون من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله.

لقد علم أنه مسؤول عن شبابه فيم أبلاه، فعمل بوصية نبيه ﷺ التي أوصى بها حيث يقول: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ»<sup>(١)</sup>.

والثالث: رجل قلبه معلق بالمساجد، فلا يكاد إذا خرج من المسجد أن يرتاح لشيء حتى يعود إليه، لأن المساجد بيوت الله، ومن دخلها فقد حلَّ ضيفاً على ربه، فلا قلبَ أطيّب ولا نفسَ أسعد من رجلٍ حلَّ ضيفاً على ربه في بيته وتحت رعايته.

وهؤلاء عمّار المساجد على الحقيقة الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(١٨)</sup> [التوبة].

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَسْجِدُ بَيْتٌ كُلُّ تَقِيٍّ، وَتَكْفَلَهُ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ، بِالرُّوحِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ، إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الضيافة تكون في الدنيا: بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة: بما أعدَّ لهم من الكرامة في الجنة.

(١) مستدرک الحاكم (٤/ ٣٤١) رقم (٧٨٤٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين

ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٢) حلية الأولياء (٦/ ١٧٦)، وقال المنذري في كتابه: الترغيب والترهيب (١/ ٢٩٨)، رواه

الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري، وقال إسناده حسن وهو كما قال رضي الله عنه. وصححه

الألباني في السلسلة الصحيحة (٧١٦).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا»<sup>(١)</sup> كَلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»<sup>(٢)</sup>.

والرابع: رجلان تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ [المائدة].

روى أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»<sup>(٣)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

وهذه إحدى الخصال التي يجد بها العبد حلاوة الإيمان ولذته، فهذان الرجلان لم تجمعهما قرابة ولا رحم ولا مصالح دنيوية، وإنما جمع بينهما حب الله تعالى حتى فرَّق بينهما الموت وهما على ذلك.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه:

(١) نزله: مكاناً ينزله.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٦٢)، وصحيح مسلم برقم (٦٦٩) واللفظ له.

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٦٨١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٩٦٥).

(٤) صحيح مسلم برقم (٥٤).

أن النبي ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ». فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ، وَالْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ؟! انْعَتَهُمْ لَنَا - يَعْنِي: صِفْهُمْ لَنَا - فَسَرَّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمُ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيَجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْرَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَفْرَعُونَ؛ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»<sup>(١)</sup>.

والخامس: رجل دعت امرأته إلى نفسها، وليست كأي امرأة، بل هي امرأة لها مكانة ومنزلة رفيعة، وقد أعطها الله من الجمال ما يجعل الفتنة بها أشد، والتعلق بها أعظم، فإيا الله كيف ينجو من وقع في مثل ذلك الموقف، إلا بإيمان عميق وبصيرة نافذة؟!!

قال القاضي عياض: «وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها، وهي جامعة للمنصب والجمال، لا سيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله تعالى، وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب

(١) مسند الإمام أحمد (٣٤٣/٥) طبعة دار صادر، وشرح السنة للبغوي (٥٠/١٣ - ٥١) برقم (٣٤٦٤)، وقال محققاه شعيب، وزهير: وأخرجه أحمد (٣٤١/٥، و٣٤٣) وشهر بن حوشب مختلف فيه وله شاهد بنحوه من حديث ابن عمر. أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/١٧٠ - ١٧١)، وصححه، وأقره الذهبي واخر من حديث أبي هريرة عند ابن حبان في صحيحه (٢٥٠٨) وإسناده صحيح.

والجمال من أكمل المراتب، وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله. وذات المنصب هي ذات الحسب والنسب الشريف»<sup>(١)</sup>.

قال تعالى في هذا وأمثاله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾<sup>(٤١)</sup> [النازعات].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوْوَأَ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ أَحَبَبْتُهَا كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْتَهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِئَةَ دِينَارٍ فَحِثُّتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ ... الحديث»<sup>(٢)</sup>.

والسادس: رجل تصدَّق بصدقة، وما أكثر المتصدقين! وما أعظم أجورهم عند الله! لكن الذي تميز به هذا المتصدق ونال به هذا الأجر العظيم - وهو إضلال الله له -، إخلاصه في صدقته، فقد بلغ به الإخلاص حتى كاد أن يخفيها عن نفسه لو استطاع. وقد مدح الله المتصدقين، فقال: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۗ ثُمَّ خَصَّ الْمَسْرِينَ فَقَالَ: ﴿وَلِنْ تُخْفُوهَا وَتُوْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۗ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ﴾

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٢٢).

(٢) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٢٢١٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤٣) واللفظ له.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴿البقرة﴾.

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»<sup>(١)</sup>.

أما السابع: فرجل امتلأ قلبه بمحبة الله وخشيته وتعظيمه، فذكر الله بمكان خال لا يراه إلا هو، ذكر عظمته وفضله عليه ورحمته فدمعت عيناه شوقاً إليه، وفي هذا وأمثاله يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة].

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير البكاء من خشية الله وكذلك الصالحون من قبل ومن بعد، وقد توعد الله أصحاب القلوب القاسية بأشد الوعيد، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) المعجم الصغير للطبراني (٢/ ٩٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٥٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (١٦٣٩)، وقال: حديث ابن عباس حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٤١١٣).

الكلمة الثالثة

التوفيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن توفيق الله ﷻ لا غنى للعبد عنه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور].

فمن وفقه الله لتزكية نفسه فقد أفلح وفاز، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى]، وأعلى مراتب توفيق الله لعبده: أن يحبب إليه الإيمان والطاعة، ويكره إليه الكفر والمعصية، وهي المرتبة التي نالها أصحاب النبي ﷺ، وامتن الله بها عليهم في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «يخاطب الله جل وعلا عباده المؤمنين، فيقول: لولا توفيقي لكم لما أذعنت نفوسكم للإيمان، فلم يكن الإيمان بمشورتكم وتوفيق أنفسكم، ولكنني حببته إليكم وزينته في قلوبكم، وكرهت إليكم ضده الكفر والفسوق»<sup>(١)</sup>.

(١) مدارج السالكين (١/٤٤٧).

والتوفيق من الأمور التي لا تُطلب إلا من الله، إذ لا يقدر عليه إلا هو، فمن طلبه من غيره فهو محروم.  
قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وهذه الهداية المذكورة في الآية هي التي يسميها العلماء هداية التوفيق، قال شعيب رضي الله عنه: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

قال ابن القيم رحمته الله: «أجمع العارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك»<sup>(١)</sup>  
وبهذا جاء التوجيه النبوي الكريم، روى أبو داود في سننه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دَعَاؤُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»<sup>(٢)</sup>.

ومما يغلط فيه كثير من الناس ظنهم أن من رزق مالا، أو منصباً، أو جاهاً، أو غير ذلك من الأمور الدنيوية، أنه قد وُفق، والأمر ليس كما ظنوا، فإن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، وقد ذكر الله هذا عن ذلك الإنسان، وأخبر أن الأمر ليس كما ظن.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلُهُ رَبَّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلُهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر].

والصواب أن الموفق هو الذي إذا أُعطي منصباً، أو جاهاً، استعمله

(١) مدارج السالكين (١/٤٤٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (٥٠٩٠). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٣٨٨).

في مرضاة ربه، ونصرة دينه، ونفع إخوانه، وإن رُزِقَ مالا أخذَه من حله وصرفه في طاعة ربه، فإن من حكمة الله تعالى أن يبتلي عباده، فالموفق منهم هو الذي إذا أُعطي شكر، والمخذول هو الذي إذا أُعطي طغى وكفر، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَضَ ﴿٧﴾﴾ [العلق].

وقال الله عن نبيه سليمان: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۖ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وتوفيق الله لعباده يكون على أحوال كثيرة، فمنها: أن يعرض الخير على أناس فيردونه حتى يسر الله له من أراد به الخير من عباده، وقد مكث النبي ﷺ أكثر من عشر سنين يعرض نفسه على القبائل لينصروه، فلم يستجيبوا له حتى وفق الله الأنصار لذلك، فالوا الشرف العظيم في الدنيا والاخرة.

ومنها: أن يوفق الله العبد في آخر حياته لعمل صالح يموت عليه، فيختم الله به أعماله.

روى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ. وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ» وفي رواية: فَلَمَّا مَاتَ، قَالَ: «صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

ومنها أن يُوفق الله العبد لعمل قليل أجره عند الله كثير، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَاتِلْ أَوْ أَسْلِمْ؟

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٥٦)، وأحمد (٢٦٠/٣) والرواية له.

قَالَ: «أَسْلِمَ ثُمَّ قَاتِلٌ» فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا»<sup>(١)</sup>.

فمن اتقى الله تعالى وملاً الإخلاص قلبه، وعلم الله منه صدق نيته، وأكثر من دعائه، فقد أخذ بمجامع الأسباب الموصلة إلى التوفيق، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٠٨)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٠).

## حسن الخلق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فإن من أفضل الأعمال التي دعا إليها الشرع ورغب فيها حسن الخلق، فهو من أعظم مواهب الله لعباده.

قال تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾  
[القلم]، وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١١٩﴾  
[الأعراف].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ»<sup>(١)</sup>.

وحسن الخلق يشمل جوانب كثيرة من حياة المسلم، في أقواله وأعماله، وفي عبادته لربه وتعامله مع عباده.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ ﴿٥٣﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

(١) سنن الترمذي برقم (٢٠٠٢) وقال: حديث حسن صحيح.

قال ابن عباس: «أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب؛ والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله، وأخضع لهم عدوهم»<sup>(١)</sup>.

ومن وصايا النبي الكريم ﷺ للصحابيين الجليلين أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

ولما سئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله وحسن الخلق»<sup>(٤)</sup>.

ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً»<sup>(٥)</sup>.

قال بعض السلف: حسن الخلق قسمان: أحدهما مع الله ﷻ وهو أن تعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً، وأن كل ما يأتي من الله يوجب شكراً.

(١) تفسير ابن كثير (١٢/٢٤٣).

(٢) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٠٠٤)، وحسن إسناده الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (١٩٤/٢) برقم (١٦٣٠).

(٥) سنن الترمذي برقم (١١٦٢)، وقال: حديث حسن صحيح.

ثانيهما: حسن الخلق مع الناس وجماعه أمران: بذل المعروف قولاً وفعلاً، وكف الأذى قولاً وفعلاً<sup>(١)</sup>.

فحريٌّ بمن تمسك بهذا أن يصل إلى مراتب العاملين، فقد روى أبو داود في سننه من حديث عائشة رضي عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»<sup>(٢)</sup>.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خلقاً، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق فليقتد بمحمد صلى الله عليه وسلم.

روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُمَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِي شَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث عطاء بن يسار قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رضي عنهما، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٤)</sup> [الأحزاب]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتِكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بَأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»<sup>(٤)</sup>.

(١) تهذيب السنن لابن القيم شرح سنن أبي داود (١٣٠ / ١٣).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٧٩٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩١١ / ٣) برقم (٤٠١٣).

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٠١٥) وأصله في الصحيحين.

(٤) صحيح البخاري برقم (٢١٢٥).

قال حسان بن ثابت يمدح النبي ﷺ:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي      وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ  
خُلِقْتَ مُبَرَّءًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ      كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: حُسْنُ الْخُلُقِ: طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمِلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ (١).

وحسن الخلق يعمر الديار ويزيد في الأعمار، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ» (٢).

والمسلم لا بد أن تواجهه في حياته مواقف كثيرة، إن لم يستعمل فيها حسن الخلق فإنه سيفشل في مواجهتها.

فمن القواعد العامة في هذا المجال: أن لا تسرع بالملامة في حق من أساء إليك، أو قصر في حقك، وأن تعامله بحسن الظن والتماس العذر، وعلى العكس من ذلك أن لا تقول قولاً، ولا تفعل فعلاً قد تحتاج فيما بعد للاعتذار منه، ففي الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ» (٣).

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ      فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

(١) جامع العلوم والحكم (ص ١٦٠).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٥٣/٤٢) برقم (٢٥٢٥٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) الضياء في المختارة (١٨٨/٦) برقم (٢١٩٩) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث

الصحيحة (٦٨٩/١) برقم (٣٥٤).

وقال آخر:

صَلَّاحُ أَمْرِكَ لِأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ      فَقَوْمِ النَّفْسِ بِأَخْلَاقِ تَسْتَقِيمُ  
ومن الأمثلة التي استعمل فيها حسن الخلق فكانت نتائجها حميدة،  
ما روي أن رجلاً لقي علي بن الحسين فسبه، فثارت إليه العبيد، فقال:  
مهلاً، ثم أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة  
نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى عليه خميصة<sup>(١)</sup> كانت عليه،  
وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد  
الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى  
آله وصحبه أجمعين.



(١) كساء أسود مربع معلم.

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٣٨).



الكلمة الخامسة

العجلة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فمن الصفات المذمومة التي جاء الشرع بالنهي عنها: العجلة.

قال الراغب: «العجلة طلب الشيء وتحريره قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن، حتى قيل: الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>.

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾<sup>(١٦)</sup> [القيامة]، وقد كان النبي ﷺ خلقه القرآن، يتخلق بأخلاقه ويتأدب بآدابه، لذلك التزم بهذا التوجيه المبارك، فلم يكن يستعجل؛ بل كان يتأنى ويصبر، وإلى هذا أرشد أمته؛ فقال ﷺ: «التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال الله له أيضاً: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلِغْ فَعَلَّ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٣٥)</sup> [الأحقاف] فكان ﷺ - وهو القدوة المثلى - أولى الخلق التزاماً بهذا الأمر.

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٣٣٤).

(٢) مسند أبي يعلى (٧/٢٤٧) برقم (٤٢٥٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

(٤/٤٠٤) برقم (١٧٩٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ»<sup>(١)</sup>.  
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»<sup>(٢)</sup>.

أما المسارعة إلى فعل الخيرات والمبادرة إليها، وانتهاز الفرص إذا حانت، فإن ذلك محمود وليس بمذموم.

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران].

وقال موسى عليه السلام: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ [طه].

روى أبو داود في سننه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ»<sup>(٣)</sup>.

لأن العجلة المذمومة القطع في الأمور قبل التفكير والمشاورة

(١) هما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٧٩٥).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٨١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٤).

والاستخارة، ولهذا قال أبو حاتم البستي رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ الْعَجَلَ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ، وَيَجِيبُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ، وَيَحْمَدُ قَبْلَ أَنْ يَجْرِبَ، وَيَذْمُ بَعْدَ مَا يَحْمَدُ، وَالْعَجَلُ تَصْحَبُهُ النَّدَامَةُ، وَتَعْتَزِلُهُ السَّلَامَةُ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَسْمِيهَا أُمَّ النَّدَامَاتِ»<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال الشاعر:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجَلِ الزَّلُّ  
ومن الأمثلة على العجلة المذمومة: الاستعجال بالدعاء على الأهل،  
والمال والولد عند الغضب، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ  
وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ:  
«لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَمْوَالِكُمْ،  
لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

ولعل كثيراً مما نرى من المصائب والأمراض وفساد الأولاد يكون  
بسبب الدعاء عليهم، وكثير من الناس لا يشعر بذلك، فهل من مُدَكِّرٍ؟

ومنها: استعجال المرء إجابة دعائه، روى البخاري ومسلم في  
صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «يُسْتَجَابُ  
لِلْأَحْدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: استعجال بعض المصلين في صلاتهم، فلا يتمون ركوعها  
ولا سجودها ولا يطمئنون فيها، وقد جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:  
أن رجلاً صلى عند النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ

(١) روضة العقلاء (ص ٢٨٨). (٢) صحيح مسلم برقم (٣٠٠٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٣٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٥) واللفظ له.

تُصَلِّ - ثلاث مرات - في كل مرة يقول له ذلك.

ثم قال له: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْزُقْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا...»<sup>(١)</sup> - الحديث.

ومن واقعنا المعاصر نرى كثيرًا من الناس يندمون حين لا ينفعهم الندم، بسبب استعجالهم في أمور كان عليهم أن يتأنوا فيها، فمن ذلك: أنه لأقل الأسباب يطلق الرجل زوجته، فتشتت الأُسْر، ويضيع الأطفال، وتهدم البيوت، ويقع من الهم والغم ما الله به عليم، كل ذلك بسبب العجلة فهل من مُدَكِّر؟

ومنها: العجلة في قيادة السيارات، وما نسمعه من الحوادث المرورة التي كانت سببًا لإزهاق نفوس كثيرة، وأمراض خطيرة، وعاهات مزمنة، إنما وقع بسبب العجلة.

ومنها: أن يستبطئ الإنسان الرزق فيستعجل، فيطلبه من طرق محرمة ووجوه غير مشروعة، روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي أمامة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَتْ فِي رُوعِي»<sup>(٢)</sup>، «أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ، حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٧٥٧)، ومسلم برقم (٣٩٧).

(٢) أي: قلبي.

(٣) حلية الأولياء (٢٧/١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٠٨٥).

## كتابة الوصية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من الأمور التي ينبغي تذكير المسلمين بها: كتابة الوصية، وذلك لما في كتابتها من المصالح الدينية والدنيوية، ولتساهل كثير من الناس بها.

فلو قلت لأحدهم: هل كتبت وصيتك؟ لنظر إليك نظرة تعجب واستغراب، هل هو على فراش الموت حتى يكتب وصيته؟!!

ولم يعتبر بما يشاهده ويسمعه كل يوم من الميئات الفجائية التي تأتي بغتة، وقد أخبر ﷺ أن من عقوباته احترام النفوس فجأة، فلا تتمكن من الوصية بشيء تريده، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ [يس]، فكم من ميت مرتهن بدينه، وكم من غني لم ينتفع بماله بعد موته، وكم من حقوق أضيعت، وأمانات لم تُؤدَّ إلى أصحابها؟! كل ذلك سببه التساهل في كتابة الوصية.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ عَنْهُ» (١).

(١) سنن الترمذي برقم (١٠٧٨، ١٠٧٩)، وقال: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٧٧٩).

والوصية سنة النبي ﷺ والأنبياء قبله، فينبغي للمسلم أن يقتدي بهم في وصي أولاده وقرابته من بعده بتقوى الله ﷻ والتمسك بدينه، ويوصيهم بما وصّى به إبراهيم بنيه ويعقوب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْعُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) [البقرة].

والوصية على أحوال: واجبة، ومستحبة، ومحرمة.

فتجب على المسلم إذا كانت عليه حقوق لله تعالى، كالنذر والزكاة، والحج، ونحوها. أو عليه ديون للخلق من أموال وغيرها، أو له ديون على الناس لم يعفهم منها.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ، إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي (١).

وتستحب لمن عنده سعة من المال أن يوصي بشيء منه، يُنفق في أعمال البر، ويكون له صدقة جارية بعد موته، وهذه الوصية لها شرطان:

الأول: أن تكون بالثلث فما دون؛ لقول النبي ﷺ لسعد لما أراد أن يوصي: «الثلثُ، والثلثُ كثيرٌ» (٢).

الثاني: أن تكون لغير وارث، روى الترمذي في سننه من حديث

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٧٣٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦٢٧).

أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا وَصِيَّةَ لِي وَارِثٍ»<sup>(١)</sup>.

وتحرم الوصية بما يخالف الشرع، كأن يوصي أهله بالنياحه عليه، أو بقطع رحمه، أو إلحاق الأذى بالمسلمين، أو الانتقام من فلان، أو الإضرار بورثته، وغير ذلك، فمن فعل شيء من ذلك فإنها لا تصح وصيته ولا تنفذ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة].

نقل ابن كثير رحمته الله عن ابن عباس وغيره: أن الجنف هو الخطأ، ثم قال: وهذا يشمل أنواع الخطأ كلها بأن زادوا وارثًا بواسطة أو وسيلة، كما إذا أوصى ببيعه الشيء الفلاني محاباةً، أو أوصى لابن ابنته ليزيدها، أو نحو ذلك من الوسائل<sup>(٢)</sup>. إما مخطئًا غير عامد بل بطبعه وقوة شفقته من غير تبصر أو متعمدًا آثمًا في ذلك.

ومن فوائد الوصية إضافة إلى ما تقدم:

١ - الأجر العظيم لمن كتبها جزاء طاعته لله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

٢ - الأجر العظيم فيما يوصي به من النصائح والمواعظ لما يُرجى من الانتفاع بها.

٣ - إبراء ذمته من المخالفات الشرعية والحقوق المالية وغيرها.

٤ - قطع النزاعات المحتملة، وإنهاء الخلافات التي قد تحدث بين ورثته من بعده، وهذا نموذج للوصية:

(١) سنن الترمذي وهو جزء من حديث برقم (٢١٢١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٧١) مختصرًا.

يقول بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله: هذا ما أوصى به فلان بن فلان وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، أوصي أولادي وأهلي وأقاربي وجميع المسلمين بتقوى الله ﷻ، وأوصيهم بما وصّى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة].

وأوصي بتسديد ما عليّ من دين - إن كان عليه دين -، وإن أراد أن يقول: وأن يخرج من مالي ثلثه لفلان أو صدقة جارية، وأولادي القُصّر يكون وليهم فلان، يحفظ لهم حقهم من التركة حتى يبلغوا، ثم يوصي بما أراد من وصايا دينية واجتماعية، وأن يكون غسله وتجهيزه وما يتبع ذلك على سنة النبي ﷺ، ثم يختم ذلك بالدعاء لنفسه بالمغفرة والرحمة ودخول الجنان.

وعليه توثيق وصيته بشهادة رجلين عدلين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## البركة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإنه ينبغي للمسلم أن يسأل الله ﷻ أن يبارك له في علمه وعمله، وفي وقته وماله، وفي أهله وأولاده، وفي دنياه وآخرته، وأن يحرص على الأسباب التي تستجلب بها البركة.

قال الراغب: «البركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء»<sup>(١)</sup>. اهـ.

فالبركة ما حلت في قليل إلا كثير، ولا كثير إلا نفع، وإن من أعظم ثمار البركة في الأمور كلها استعمالها في طاعة الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].

ولما كان النبي ﷺ وأصحابه رضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أعظم الناس قياماً بالتقوى ولوازمها، كانت البركة لهم وبهم أعظم وأعم، ولقد هداهم الله تعالى ومن شاء من صالح العباد إلى ما فيه الخير كله والبركة كلها، وهو هذا الكتاب العظيم الذي أمر الناس بتعلمه وتدبره.

قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا نَزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِّيَذَّبَرُوا ءِآيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص].

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم «٤١».

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي عثمان قال: قال عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنه: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِضَيْفٍ لَهُ - أَوْ بِأَضْيَافٍ لَهُ -، فَأَمَسَى عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا جَاءَ قَالَتْ أُمِّي: احْتَبَسْتَ عَنْ ضَيْفِكَ - أَوْ أَضْيَافِكَ - اللَّيْلَةَ. قَالَ: مَا عَشَّيْتُهُمْ؟ فَقَالَتْ: عَرَضْنَا عَلَيْهِ - أَوْ عَلَيْهِمْ فَأَبَوْا أَوْ - فَأَبَى، فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ فَسَبَّ وَجَدَعَ، وَحَلَفَ لَا يَطْعَمُهُ، فَاخْتَبَأْتُ أَنَا فَقَالَ: يَا غُثْرُ. فَحَلَفَتِ الْمَرْأَةُ لَا تَطْعَمُهُ حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ - أَوْ الْأَضْيَافُ - أَنْ لَا يَطْعَمَهُ - أَوْ يَطْعَمُوهُ - حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَأَنَّ هَذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَدَعَا بِالطَّعَامِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا، فَجَعَلُوا لَا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلَّا رَبًّا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتِ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرَّةَ عَيْنِي إِنَّهَا الْآنَ لَأَكْثَرُ قَبْلَ أَنْ تَأْكُلَ، فَأَكَلُوا وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَقَدْ تُوفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي رَفِيٍّ مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلِمَتُهُ، فَفَنِيَّ»<sup>(٢)</sup>.

وهناك أسباب كثيرة تُستجلب بها البركة.

منها: تقوى الله جل وعلا، فما اتقى الله عبد في أي أمرٍ من أموره، إلا بارك الله له فيه بقدر تقواه أو أعظم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].

ومنها: الدعاء، ولقد علمنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء بطلب البركة في

(١) صحيح البخاري برقم (٦١٤١)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٥٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٥١)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٣).

أمور كثيرة، فقد علمنا أن ندعو للمتزوج: فنقول: «بَارَكَ اللهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي الْخَيْرِ»<sup>(١)</sup>، وعلمنا أن ندعو لمن أطعمنا فنقول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاعْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»<sup>(٢)</sup>، وعلمنا أن ندعو بالبركة في طعامنا فنقول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ»<sup>(٣)</sup>.

وَكَانَ ﷺ يُؤْتَى بِالْأَطْفَالِ فَيَدْعُو لَهُمْ بِالْبَرَكَاتِ<sup>(٤)</sup>، وَإِذَا أَتَوْهُ بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الثَّمَرَةِ دَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَاتِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مُدَّنِنَا، وَفِي صَاعِنَا، بَرَكَاتٍ مَعَ بَرَكَاتٍ». ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوُلْدَانِ<sup>(٥)</sup>.

ومنها أن يأخذ المال بطيب نفس من غير شره ولا إلحاح.

قال النبي ﷺ لحكيم بن حزام رضي الله عنه: «يَا حَكِيمُ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»<sup>(٦)</sup>.

ويلحق بهذا إنفاق المال في وجوه البر وإخراج زكاته، وبذل حقوقه بإخلاص وطيب نفس.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

(١) سنن الترمذي برقم (١٠٩١)، وقال: حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٠٤٢).

(٣) أبو داود برقم (٣٧٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨١).

(٤) سنن أبي داود برقم (٥١٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٦١) برقم (٤٢٥٩).

(٥) انظر: صحيح مسلم برقم (١٣٧٣).

(٦) صحيح البخاري برقم (١٤٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث قدسي عن أبي هريرة رضي عنه: يبلغ به النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: الصدق في المعاملة من بيع وشراء وتجارة وشراكة وغيرها.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حكيم بن حزام رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكْتَمَا مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: قضاء الأعمال والتجارات في أول النهار؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث صخر الغامدي رضي عنه: عن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»<sup>(٤)</sup>.

قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً بَعَثَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا، وَكَانَ لَا يَبْعَثُ غِلْمَانَهُ إِلَّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فَكَثُرَ مَالُهُ حَتَّى كَانَ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَضَعُ مَالَهُ؟!

ومنها: اتباع السنة في الطعام والشراب، وفيه أحاديث نشير إلى بعضها، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عباس رضي عنهما قال: قال النبي ﷺ: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح مسلم جزء من حديث برقم (٢٥٨٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢١١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٥٣٢).

(٤) مسند الإمام أحمد (٤١٦/٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٣٠٠).

(٥) سنن الترمذي برقم (١٨٠٥) وقال: حديث حسن صحيح.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلَعَقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةَ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن ماجه في سننه من حديث وحشي رضي الله عنه أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ؛ قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُتَفَرِّقِينَ». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أي من أسباب حصول البركة، استخارة المولى جل وعلا في الأمور كلها، مع الإيمان بأن ما يختاره الله لعبده خير مما يختاره لنفسه في العاجل والآجل؛ وكان النبي ﷺ من شدة حرصه عليها يعلمها أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن؛ فيقول: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ -، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ -، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ»<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٠٣٤).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٣٢٨٦) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٢٦٧٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٦٢).



### من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوْضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ».

وهذا الحديث ضعيف لم يثبت عن النبي ﷺ بهذا اللفظ، وإن كان مشهوراً عند كثير من الناس، وقد ثبت بلفظ آخر من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء قالوا: أتينا على رجلٍ من أهل البادية وقلنا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً، قال: سمعته يقول: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوْضَكَ إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث العظيم قد اشتمل على ثلاث جمل.

الأولى قوله: «لَنْ تَدَعَ شَيْئاً»، وهذا لفظ عام يشمل كل شيء يتركه الإنسان ابتغاء وجه الله تعالى.

الثانية: قوله: «لِلَّهِ عَوْضَكَ»، هذه الجملة بين فيها النبي ﷺ أن التارك لا بد أن يكون ابتغاء مرضاة الله، لا خوفاً من سلطان، أو حياءً من إنسان، أو عدم القدرة على التمكن منه، أو غير ذلك.

الثالثة: قوله ﷺ: «أَبَدَلَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»، هذه الجملة فيها بيان للجزاء الذي يناله من قام بذلك الشرط، وهو تعويض الله للتارك خيراً وأفضل

(١) مسند الإمام أحمد (١٧٠ / ٣٨) برقم (٢٣٠٧٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح، وقال الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١٩ / ١): وسنده صحيح على شرط مسلم.

مما ترك، والعوض من الله قد يكون من جنس المتروك، أو من غير جنسه، ومنه الأُنس بالله ﷻ ومحبته وطمأنينة القلب وانسراح الصدر، ويكون في الدنيا والآخرة، كما علم الله المؤمن أن يدعو: ﴿رَبَّنَا ءَإِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٠١].

قال قتادة السدوسي: لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله ﷻ، إلا أبدله في عاجل الدنيا قبل الآخرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: عنه ﷺ فيما يرويه عن ربه قال: «يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلَهَا فَكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ»<sup>(١)</sup>.

والأمثلة التي تبين عظيم خلف الله تعالى لعباده كثيرة جداً، منها: ما قصه الله تعالى عن نبي الله سليمان ﷺ في سورة (ص)، وخلاصته: أنه كان محبباً للجهاد في سبيل الله، ولذلك كانت عنده خيل كثيرة وكان يحبها حباً شديداً، فاشتغل بها يوماً حتى فاتته صلاة العصر، فغربت الشمس قبل أن يصلي، فأمر بها فردت عليه، فضرب أعناقها وعراقبها بالسيوف إثارةً لمحبة الله ﷻ، وقد كان ذلك جائزاً في شريعتهم.

ف عوضه الله ﷻ خيراً منها الريح التي تجري بأمره رُخاءً حيث أصاب، تقطع في النهار ما يقطعه غيرها في شهرين.

وإليك الآيات فتدبر. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّفِيْنَتِ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ

(١) صحيح البخاري برقم (٧٥٠١)، وصحيح مسلم برقم (١٢٨).

حَبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ  
وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ  
أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ  
تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ [ص].

المثال الثاني: النبي ﷺ وأصحابه لما هاجروا تركوا ديارهم  
وأموالهم لله تعالى، فعوضهم الله بأن جعلهم قادة الدنيا وحكام  
الأرض وفتح عليهم خزائن كسرى وقيصر، ومكنهم من رقاب الملوك  
والجبابرة، هذا مع ما يرجى لهم من نعيم الآخرة، فشكروا، ولم يكفروا،  
وتواضعوا ولم يتكبروا، وحكموا بالعدل بين الناس، قال تعالى:  
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا  
أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ  
بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ  
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ [النور].

وتأمل قصة أحد هؤلاء المهاجرين، وهو صهيب الرومي رضي الله عنه، فعن  
عكرمة قال: لما خرج صهيب مهاجرًا تبعه أهل مكة فنشل كِنَانَتَهُ فأخرج  
منها أربعين سهمًا، فقال: «لَا تَصِلُونِ إِلَيَّ حَتَّى أَضَعَ فِي كُلِّ رَجُلٍ مِّنْكُمْ  
سَهْمًا، ثُمَّ أَصِيرَ بَعْدُ إِلَى السَّيْفِ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَجُلٌ، وَقَدْ خَلَفْتُ بِمَكَّةَ  
قَيْتَيْنِ فَهَمَّا لَكُمْ، وَنَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ  
أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: أَبَا يَحْيَى  
رَبِحَ الْبَيْعُ، قَالَ: وَتَلَا عَلَيْهِ الْآيَةَ» (١).

المثال الثالث: نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام عرضت عليه

(١) مستدرک الحاكم (٣/ ٤٥٠) ورقم (١٢٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه،  
وحسنه الشيخ مقبل الوداعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول (ص ٣٣).

المغريات في أرقى صورها، فاستعصم فعصمه الله، وترك ذلك لله عز وجل، لأن الله جعله من المُخْلِصِينَ، وأوذي بسبب ذلك فاختر السجن على ما يدعونه إليه، فصبر واختار ما عند الله فعوضه الله تعالى أحسن العوض، فمَلَكَه على خزائن الأرض، وعلمه تأويل الرؤيا، فنعم المُعْطِي، ونعم المُعْطَى، ونعمت العطية.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## طول الأمل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فلقد ذم الله أقواماً طالت آمالهم فألهتهم عن العمل للدار الآخرة، ففاجأهم الأجل وهم غافلون، فهم يتمنون أن لو مُدَّ لهم فيه ليستدركوا ما فات؛ ولكن هيهات هيهات.

قال الله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر].

وطول الأمل: هو الاستمرار في الحرص على الدنيا ومداومة الانكباب عليها، مع كثرة الإعراض عن الآخرة<sup>(١)</sup>.

ولقد أخبر النبي ﷺ أن كثيراً من الناس طالت آمالهم حتى جاوزت آجالهم.

فمن بريدة رضي الله عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا فَقَالَ: «هَذَا الْأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ»<sup>(٢)</sup> يعني الأجل.

وإن من عجيب أمر ابن آدم أنه كلما اقترب من أجله طال أمله، وزادت رغبته في الدنيا وحرصه عليها، ولا يسلم من هذا إلا من سلمه الله، وهم قليل.

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (١٠/٤٨٥٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤١٨).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الأَمَلِ»<sup>(١)</sup>.

فالأمل لا ينفك عنه أكثر الخلق، ولولا الأمل ما تهنى أحد بعيش أبداً، قال الشاعر:

أَعْلِلُ النَّفْسَ بِالأَمَالِ أَرْقُبُهَا      مَا أَضِيقَ العَيْشَ لَوْلَا فَسْحَةُ الأَمَلِ  
قال ابن الجوزي: الأمل مذموم للناس إلا للعلماء فلولا أملهم لما صنفوا ولا ألفوا<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: وفي الأمل سر لطيف؛ لأنه لولا الأمل ما تهنى أحد بعيش، ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه، وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته<sup>(٣)</sup>.

فالعاقل من لم يغرّه طول الأمل، ولم يُنسه ما هو فيه من النعيم ما وعد الله به كل حي، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الأَلْقَامِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الأَحْيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران].

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٢٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٤٦).

(٢) فتح الباري (١١/٢٣٧).

(٣) فتح الباري (١١/٢٣٧).

(٤) البخاري برقم (٦١٤٦).

زاد الترمذي: «وَعَدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب: وهذا الحديث أصل عظيم في قصر الأمل، وأنه لا ينبغي للمؤمن أن يتخذ هذه الدنيا وطناً ومسكناً، وإنما يكون حاله فيها كأنه على جناح سفر يهيبه جهازه للرحيل<sup>(٢)</sup>.

ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتاً نتوجه إليه، فقال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ها هنا، قال: إن صاحب البيت لا يدعنا فيه<sup>(٣)</sup>.

عن الحسن لما احتضر سلمان الفارسي رضي الله عنه: بكى وقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَهَدَ إِلَيْنَا عَهْدًا فَتَرَكْنَا مَا عَهَدَ إِلَيْنَا: أَنْ يَكُونَ بُلْغَةُ أَحَدِنَا مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّائِبِ. قَالَ: ثُمَّ نَظَرْنَا فِيمَا تَرَكَ، فَإِذَا قِيَمَةٌ مَا تَرَكَ بِضْعَةَ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا أَوْ بِضْعَةَ وَثَلَاثُونَ دِرْهَمًا<sup>(٤)</sup>.

فعلى العاقل أن يغتني أيام حياته، فما يدرية لعله لم يبق له منها إلا يسير.

قال ابن القيم رحمته الله: «ما مضى من الدنيا أحلام، وما بقي منها أمانى، والوقت ضائع بينهما»<sup>(٥)</sup>.

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو قال: مرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نُعَالِجُ حُصًّا<sup>(٦)</sup> لَنَا فَقَالَ: «مَا هَذَا؟».

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٢/٢) برقم (١٩٠٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٣٧٧). (٣) جامع العلوم والحكم (ص ٧٧٣).

(٤) مسند الإمام أحمد (٤٣٨/٥)، وصححه ابن حبان (٢٤٨٠).

(٥) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم (١٠/٤٨٦٥).

(٦) الخص: بيت يعمل من الخشب والقصب «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣٧/٢).

فَقُلْنَا: قَدْ وَهَىٰ فَنَحْنُ نُصَلِّحُهُ. قَالَ: «مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

ويتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة، والتسوية بالتوبة، والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة في القلب، لأن رفته وصفاءه إنما يقع بتذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

ولذلك يقول علي رضي الله عنه: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ، وَطُولُ الْأَمَلِ، أَمَا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، ارْتَحَلَتْ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتْ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البيهقي في شعب الإيمان من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صَلِحَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ وَهَلَكَ آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ»<sup>(٣)</sup>.

ومن مفسد طول الأمل:

١- نسيان الموت وأهوال الآخرة وما أعد الله فيها من النعيم المقيم لأهل طاعته، ومن العذاب الأليم لأهل المعاصي.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٣٥)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري من قوله: ارتحلت الدنيا مدبرة برقم (٦٤١٦).

(٣) (٦٩/١٥) برقم (١٠٠٤٦) وقال محققه: إسناده حسن، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨٤٥).

السرور المنقاة من الكتابات الباقية

٦١

٢- يُقسي القلب وَيُجِفُّ دَمْعَ العَيْنِ، وَيَزِيدُ فِي شِدَّةِ الحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا.

٣- يَدْفَعُ إِلَى المَعَاصِي وَيَبْعَدُ عَنِ الطَّاعَاتِ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة العاشرة

فضل القرآن وقراءته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإنَّ القرآن كلام الله تعالى، وهو حبله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وهوى، أثنى الله عليه في مواضع كثيرة منه؛ لبيِّن فضله ويوضِّح للناس مكانته ومنزلته، قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ [فصلت].

فما من باطل إلا وفي القرآن ما يدمغه، ولا شبهة إلا وفيه بيان بطلانها، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴿١٨﴾ [الأنبياء].

سمَّاه الله نورًا وجعله للناس شفاءً. قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [يونس].

أعجب به الجن لما سمعوه، فأمنوا به واتبعوه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿٢﴾ [الجن].

تكفل الله بحفظه وأعجز الخلق أن يأتوا بمثله.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٨٨﴾ [الإسراء].

روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»<sup>(١)</sup>.

ولهذه الفضائل العظيمة لكتاب الله، أمر الله بتلاوته والعمل به وتدبره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٣٠﴾ [فاطر].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما لقارئ القرآن من الحسنات.

روى الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِّن كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: (الم) حَرْفٌ، وَلَكِنِ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها

(١) صحيح مسلم برقم (٨١٧).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

قالت: قال رسول الله ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»<sup>(١)</sup>.

ويوم القيامة تتجلى هذه الفضائل لقارئ القرآن، فيشفع لقارئه ويعلوه به في مراتب الجنة على قدر قراءته.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنَزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»<sup>(٣)</sup>.

وإن من عجيب حال الكثيرين منا: تقصيرهم في تلاوة كتاب ربهم وتدبره والعمل به، مع علمهم بفضله وأجره.

قال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه: لَوْ طَهَّرْتَ قُلُوبُنَا لَمَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ ﷻ. ولهذا المعنى أشار تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٤٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٤٥﴾﴾ [التوبة].

فالآيات بينت حال المؤمنين، وحال المنافقين عند سماع القرآن وتلاوته، فليحذر المسلم أن يكون من ذلك الصنف الخاسر الذي لا يزيده سماع القرآن إلا خسارًا.

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٩٨) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (٨٠٤).

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٩١٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعلى هذا فينبغي للمسلم ملاحظة هذه الأمور:

أولاً: قراءة القرآن بتدبر وتمعن، قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص].

قال عبد الله بن مسعود: «لَا تَشْرُوهُ كَثْرَ الرَّمْلِ، وَلَا تَهْدُوهُ كَهْدَ الشَّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ».

ثانياً: مراجعة الحفظ، روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ ثِقَلًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: الخشوع عند تلاوة القرآن: روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «أَقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ! قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [٤١]، قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ» فَالْتَمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: عدم هجر القرآن، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان] والهجر يشمل هجر التلاوة، والتدبر والعمل، والتحاكم إليه، كما قال ابن القيم رحمته الله.

فلا بد من العناية بكلام الله ﷻ حفظاً، وتلاوة، وعملاً، حتى يكون المسلم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٧٩١) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٨٠٠).

## فضل رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فإن الخالق لجميع المخلوقات جل وعلا قد فضل بعضها على بعض، واختار منها ما شاء، فخلق الناس واختار منهم الأنبياء، وخلق الأماكن واختار منها المساجد، وخلق الشهور واختار منها رمضان، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦٨] [القصص].

وهذا «الشهر» قد خصه الله ﷻ بخصائص، من أعظمها وأجلها أن الله تعالى أنزل فيه هذا القرآن العظيم هدى للناس وبينات، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٨٥] [البقرة].

قال بعض أهل العلم: إن الله ﷻ عقب بالفاء السببية التي تفيد التعليل؛ ليبين أن سبب اختيار رمضان ليكون شهر الصوم هو إنزال القرآن فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [١] [القدر].

ومن المعلوم أن ليلة القدر في رمضان، فينبغي للمسلم أن يكثُر من قراءة القرآن في هذا الشهر المبارك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»<sup>(١)</sup>.

ومنها أنه تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحْتَأَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»<sup>(٢)</sup>، وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

ومنها أن فيه ليلة خير من ألف شهر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [القدر]. وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٤)</sup>.

والمقصود من هذه الخيرية أن العمل الصالح في هذه الليلة أفضل من العمل ألف شهر.

ومنها: استجابة الدعاء فيه، والعتق من النار، روى البزار في

(١) صحيح البخاري برقم (٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٠٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٧٧)، وصحيح مسلم برقم (١٠٧٩).

(٣) سنن الترمذي برقم (٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٢٠٩) برقم (٥٤٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَتَقَاءَ مِنَ النَّارِ - يَعْنِي: فِي رَمَضَانَ -، وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلِخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: فضل الاعتمار فيه: روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عباس رضي عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهَا أُمُّ سِنَانٍ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونِي حَجَّجَتٍ مَعَنَا؟». قَالَتْ: نَاضِحَانِ كَانَا لِأَبِي فَلَانٍ - زَوْجَهَا - حَجَّ هُوَ وَابْنُهُ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَكَانَ الْآخِرُ يَسْقِي عَلَيْهِ غُلَامًا. قَالَ: «فَعُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً، أَوْ حَجَّةً مَعِي»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: تكفير الخطايا والسيئات، روى ابن حبان في صحيحه من حديث مالك بن الحسن بن مالك بن الحويرث عن أبيه عن جده قال: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا رَقِيَ عَتَبَةَ قَالَ: «آمِينَ» ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةَ أُخْرَى فَقَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَقِيَ عَتَبَةَ ثَالِثَةً، فَقَالَ: «آمِينَ»،

(١) كشف الأستار (١/٤٥٧ - ٤٥٨) برقم (٩٦٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٥٨٦) برقم (١٠٠٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٥١).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٧٨٢)، وصحيح مسلم برقم (١٢٥٦) واللفظ له.

ثُمَّ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرَ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدِيهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَقَالَ: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٣)</sup>.

ومعنى: «إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا» في الحديثين السابقين، أي: مصداقاً بفرضية الصيام، وراغباً في ثوابه، طيبة نفسه بالصيام، غير كاره لصيامه ولا مستثقل لقيامه، وبعض الناس يصوم ويقوم عادة لأنه رأى الناس يفعلون ذلك، وهذا خطأ، فإنه لا تُنال هذه الأجور العظيمة إلا بإخلاص وابتغاء ثواب الله وجزائه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح ابن حبان برقم (٤١٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

## فضل الصيام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أفضل الأعمال الصالحة وأجلها عند الله تعالى الصيام، فقد رغب فيه الشرع وحثَّ عليه، وجعله أحد أركان الإسلام العظام، وأخبر جل وعلا أنه لا تستغني عنه الأمم؛ لما فيه من تهذيب الأخلاق، وتطهير النفوس، وحملها على الصبر، فقال:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى بعد ما ذكر المسارعين إلى الخيرات من الرجال والنساء: ﴿وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»<sup>(١)(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٤٠)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٣).

(٢) سبعين خريفاً أي سبعين سنة.

ومن فضائل الصيام: أنه وقاية للعبد من عذاب الله يوم القيامة.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الصَّيَامُ جَنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ، هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: أنه طريق عظيم إلى الجنة؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: مُرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ»، ثُمَّ أَتَيْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِي: «عَلَيْكَ بِالصَّيَامِ»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: فكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهارًا، إلا إذا نزل بهم ضيف<sup>(٣)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»<sup>(٤)</sup>.

ومنها: أن الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفِّعَانِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) مسند الإمام أحمد (٣/٣٩٦) قال المنذري: في كتابه: «الترغيب والترهيب» (٩/٢)

حديث رقم (١٤٣٢): إسناده حسن.

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٦/٤٦٥) برقم (٢٢١٤٩) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) صحيح ابن حبان برقم (٣٤١٦، ٣٤١٧).

(٤) صحيح البخاري برقم (١٨٩٦)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٢).

(٥) مسند الإمام أحمد (٢/١٧٤)، قال المنذري في كتابه: «الترغيب والترهيب» (١٠/٢)

حديث رقم (١٤٣٦): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح =

ومنها: أن الصائم يوفى أجره بغير حساب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ وعلى: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلِخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: أنه كفارة لكثير من المخالفات، فمن ذلك أنه كفارة لحنث اليمين، وقتل الصيد في الإحرام، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدَلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بَلِغِ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامَ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

روى البخاري في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالصَّدَقَةُ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أن من صام رمضان وأدى الفرائض الأخرى كان من

= ورواه ابن الدنيا في كتاب الجوع بإسناد حسن، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨٨٢).

(١) صحيح البخاري برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٥١).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٨٩٥).

الصدّيقين والشهداء، روى ابن حبان في صحيحه من حديث عمرو بن مرة الجهني رضي عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأدّيت الزكاة، وصمت رمضان، وقمته فممن أنا؟ قال: «مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»<sup>(١)</sup>.

ومنها أن صيام رمضان يكفر الخطايا والسيئات.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد فضل الله بعض الأزمنة على بعض وخصها بمزيد من الفضل، فمن ذلك:

صيام ست من شوال، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أيوب رضي عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: صيام شهر الله المحرم، وخاصة اليوم العاشر، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»<sup>(٤)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) صحيح ابن حبان برقم (٣٤٢٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦/١)، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا شيخي البزار؛ وأرجو أنه إسناد حسن أو صحيح. اهـ.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠١)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (١١٦٤).

(٤) صحيح مسلم برقم (١١٦٣).

سُئِلَ عن صيام يوم عاشوراء؟ فقال: «يُكْفَرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: صيام يوم عرفة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه قال: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة؟ فقال: «أَحْسَبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكْفَرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: صيام الاثنين والخميس، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأَحَبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»<sup>(٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١١٦٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (١١٦٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٧٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٢١).

(٤) رواه الترمذي برقم (٧٤٧)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الشيخ الألباني في

صحيح سنن الترمذي (٢٢٧/١) برقم (٥٩٦).



## فضل قيام الليل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فإن من أفضل الأعمال وأجل الطاعات التي رغب فيها الشارع قيام الليل، فهو دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، ففي الليل يخلو المؤمنون بربهم، فيشكون إليه أحوالهم، ويسألونه من فضله، فهم عاكفون على مناجاة ربهم، يرغبون ويتضرعون إلى واهب الخيرات وعظيم العطايا والهبات سبحانه.

قال تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة].

وقد ذكرهم الله تعالى بأحسن الذكر، فقال: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَّا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات].

قال الحسن: كابدوا الليل، ومدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا في الدعاء، والاستكانة، والاستغفار<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر].

(١) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٩٦).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلْإِثْمِ»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَىٰ ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا؛ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّىٰ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الطبراني في معجمه الأوسط من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه؛ قال: «جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>.

قال الشاعر يصف قومه وقد كانوا أهل جد واجتهاد في طاعة الله:

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ      فَيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ  
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا      وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ  
لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودٌ      أَنْيْنُ مِنْهُ تَنْفَرُجُ الضُّلُوعُ

وقد أمر الله نبيه بقيام الليل وحثه عليه، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ

﴿١﴾ فُرُّ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَزِلَ الْقُرْآنُ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ [المزمل].

(١) سنن الترمذي برقم (٣٥٤٩)، قال أبو عيسى الترمذي وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٨١٤).

(٢) (٥٣٩/٣٧) برقم (٢٢٩٠٥)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) معجم الطبراني الأوسط (٣٠٦/٤) برقم (٤٢٧٨)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (٤٨٥/١) حديث رقم (٩١٨): إسناده حسن.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء].

وكان صلوات الله وسلامه عليه يأخذ بهذا التوجيه الرباني الكريم ويستجيب لأمر ربه، تقول عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرِ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِئَةِ. ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا. ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ»<sup>(٢)</sup>.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على قيام الليل ويرغبهم فيه، فقال في شأن عبد الله بن عمر: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ». قَالَ سَالِمٌ - ابن عبد الله بن عمر -: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(٣)</sup>.

وحدث أمته على قيام الليل، فقال: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»<sup>(٤)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال

(١) صحيح البخاري برقم (١١٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٠).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٧٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٢١)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٧٨).

(٤) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ بَعَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطَرِينَ»<sup>(١)</sup>.

ووقت صلاة الليل من بعد صلاة العشاء إلى أذان الفجر، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى، مَثْنَى، فَإِذَا حَشِي أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُؤْتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»<sup>(٤)</sup>.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لَوْ لَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ الْعَيْشَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا: الْغَزْوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُكَابَدَةُ السَّاعَاتِ مِنَ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتُقُونَ أَطْيَبَ الْكَلَامِ كَمَا يُنْتَقَى أَطْيَبُ التَّمْرِ<sup>(٥)</sup>.

ومن أعظم الأسباب التي تعين على قيام الليل: التبكير في النوم،

(١) سنن أبي داود برقم (١٣٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٦٢/١) برقم (١٢٤٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (١١٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٤٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٥٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (١١٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٨).

(٥) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٦٢) بمعناه.

فإن السهر آفة العصر، وخاصة إذا كان في غير طاعة الله كما هو حال الكثير من الناس، إما على مشاهدة دش أو تلفاز أو لعب ورق أو مجلس قيل وقال، أو غير ذلك.

ولذلك: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وقيام رمضان شامل للصلاة من أول الليل وآخره، وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان، فينبغي الحرص عليها والاعتناء بها واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليال معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها». اهـ<sup>(٣)</sup>.

وعلى المسلم أن يحرص على القيام مع الإمام حتى ينصرف، روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»<sup>(٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٥٦٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٣) مجالس شهر رمضان (ص ١٨).

(٤) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه برقم (٨٠٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.



## الدعاء - آدابه وموانعه -

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أجل الطاعات وأعظم العبادات والقربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه جل وعلا: الدعاء، لما يتضمن من الاعتراف بعظمة الباري وقوته، وغناه وقدرته، ولما فيه من تذلل العبد وانكساره بين يدي خالقه جل وعلا.

وقد أمرنا الله بالدعاء ووعدنا الإجابة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة].

والناس في الدعاء على ثلاثة أحوال: فمنهم من يدعو غير الله وهم المشركون، فإنهم وإن أخلصوا الدعاء في الشدة فإن ذلك لا ينفعهم، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت] ويشبههم من بعض الوجوه: المسلم الذي يدعو الله في الشدائد والكرب، فإذا جاء الرخاء غفل ونسي.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»<sup>(١)</sup>.

(١) سنن الترمذي برقم (٣٣٨٢) وقال: هذا حديث غريب وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٢٩٠).

ومنهم قوم أعطاهم الله من واسع فضله فلم يشكروا؛ بل طغوا واستكبروا، قال الله في هؤلاء: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [٦٠] ﴿ [غافر].

ومنهم المؤمنون الذين عرفوا قدر ربهم، وأيقنوا أنه لا سعادة ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلا منه.

قال تعالى مثنياً عليهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [٩٠] ﴿ [الأنبياء].

قال النبي ﷺ مبيناً لأمته فضل الدعاء: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ أَيضًا: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «الظُّوْا بِنَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»<sup>(٣)</sup>.

فبيّن النبي ﷺ أن الله ﷻ يحب من عباده كثرة الدعاء والإلحاح فيه، قال الشاعر:

لَا تَسْأَلَنَّ بِنِيَّ آدَمَ حَاجَةً      وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ  
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ      وَبِنِيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وهذا شاعر جاهلي يقول في معلقته:

وَاللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ      عَلامٌ مَا أَخْفَتِ الْقُلُوبُ

(١) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٠)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٣٨) برقم (٢٦٨٤).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢١٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٢٥) برقم (١٧٣٨).

(٣) سنن الترمذي برقم (٣٥٢٤)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٧٢) برقم (٢٧٩٧).

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرُمُوهُ وَسَأَلَ اللَّهَ لَا يَخِيبُ  
ويجب على العبد أن يراعي في دعائه الأمور التالية:

أولاً: الإخلاص لله في الدعاء. روى أبو داود في سننه من حديث  
النعمان بن بشير رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»<sup>(١)</sup>.  
وقد قال الله تعالى مبيناً وجوب إخلاص العبادة له: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا  
لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾<sup>(١٨)</sup> [الجن].  
ثانياً: ألا يستعجل العبد في استجابة الدعاء، فإن الله سبحانه أعلم  
بمصالح عباده، وما من داع إلا ويستجاب له بأن يُعطى سؤله، أو يصرف  
عنه من الشر مثله، أو يدخر له في الآخرة كما ثبت بذلك الحديث الصحيح  
عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، ولذلك نهى النبي ﷺ عن الاستعجال في الدعاء.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه:  
أن رسول الله ﷺ قال: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ  
فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال  
رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) سنن أبي داود برقم (١٤٧٩)، وقال: الترمذي: حسن صحيح، وانظر: صحيح الجامع  
الصغير برقم (٣٤٠١).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (٢١٣/١٧) برقم (١١١٣٣)، وقال محققوه: إسناده جيد.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٣٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٥).

(٤) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (٢٧٣٥).

رابعًا: أن يكون حاضر القلب حال الدعاء، مقبلًا على ربه عند مناجاته في خشوع وسكينة، موقنًا بالإجابة.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»<sup>(١)</sup>.

خامسًا: تقوى الله بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

قال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سدت طريقها بالمعاصي.

قال الشاعر:

نَحْنُ نَدْعُو الْإِلَهَ فِي كُلِّ كَرْبٍ      ثُمَّ نَنْسَاهُ عِنْدَ كَشْفِ الْكُرُوبِ  
كَيْفَ نَرْجُو إِجَابَةَ لِدُعَائِهِ      قَدْ سَدَدْنَا طَرِيقَهَا بِالذُّنُوبِ

سادسًا: أن يعلم أن من أعظم موانع استجابة الدعاء أكل الحرام، وإن من المحزن أن كثيرًا منا لا ينتبه لهذا.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»<sup>(٢)</sup>.

وعلى سبيل المثال ترى البعض يأخذ أموال الناس بالظلم والقوة، وبعضهم بالمكر والحيلة، ومنهم من يبخر العمال حقوقهم، وآخرون يساهمون بأموالهم في البنوك الربوية، أو يتعاطون في أموالهم وتجاراتهم

(١) سنن الترمذي برقم (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في الأحاديث الصحيحة برقم (٥٩٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٨٣).

معاملات محرمة أو مشبوهة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»<sup>(١)</sup>.

سابعًا: أن يعلم المسلم أن من موانع الدعاء ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روى الترمذي في سننه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر أهل العلم آداب الدعاء، وبينوا ذلك في كتبهم، فينبغي للعبد أن يعرفها ويأخذ بها، فمن ذلك أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يعزم المسألة، فلا يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، ونحوها، وأن يرفع يديه حال الدعاء مستقبلاً القبلة وأن يكون على طهارة، وأن يكون معترفاً بذنبه ونعمة الله وفضله عليه، ومنها إظهار الافتقار إلى الله تعالى والشكوى إليه، وأن لا يعتدي في الدعاء، وقد بينت هذه الآداب بأحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يتحرى الأوقات الفاضلة التي

(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٥).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢١٦٩)، وقال: هذا حديث حسن.

يستجاب فيها الدعاء كحال السجود، وبين الأذان والإقامة، والدعاء في جوف الليل، وآخر النهار يوم الجمعة، وعند نزول المطر، وإفطار الصائم، وليلة القدر، ويوم عرفة، ودبر الصلوات المكتوبات، وعند النداء للصلوات المكتوبات، وعند إقامة الصلاة، وعند زحف الصفوف في سبيل الله، وعند الاستيقاظ من النوم ليلاً والدعاء بالمأثور، وقد ثبتت هذه المواضع بأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

وقد جاء عن النبي ﷺ الإخبار عن يستجاب دعائهم، فمنهم: دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، ودعوة الوالد، والمسافر، والصائم، والمظلوم، والإمام العادل، ودعوة الولد الصالح، ودعوة المستيقظ من النوم إذا دعا بالمأثور وغيرهم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعَزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»<sup>(١)</sup>.

وقد كان ﷺ يختار في دعائه جوامع الدعاء فيقول: ﴿رَبَّنَا ءَايِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٢)</sup> [البقرة: ٢٠١] وكان يكثر منها، ويقول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»<sup>(٣)</sup>، وقال لعلي: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»<sup>(٣)</sup>، وعلم عائشة أن تقول في ليلة القدر: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ

(١) مسند الإمام أحمد (١٣/٤١٠) برقم (٨٠٤٣)، وقال محققوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده [طبعة مؤسسة الرسالة].

(٢) مسند الإمام أحمد (١٩/١٦٠) برقم (١٢١٠٧) وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم.

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٢٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٧٩٥) برقم (٣٥٥٦).

فَاعْفُ عَنِّي»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ»<sup>(٢)</sup>. وغيرها من الأدعية.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (٣٥١٣)، وقال: حديث حسن صحيح.  
(٢) مسند الإمام أحمد (٦٦/٣) برقم (١٤٦٢) من حديث سعد بن أبي وقاص، وقال محققوه: إسناده حسن.



الكلمة الخامسة عشرة

فضل الصدقة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أبواب الخير العظيمة التي رغب فيها الشارع الحكيم وحث عليها، الصدقة.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٠) ﴿ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِيلِ وَالْتِهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٧٤) ﴿ [البقرة: ٢٧٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ». وَقَالَ: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى، سَحَاءٌ» (١) لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» (٢).

(١) السح: الصب الدائم، ومعنى لا يغيضها شيء: أي لا ينقصها.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٣).

فهذا وعد من الله بالإنفاق على من أنفق في سبيل الله، والله تعالى لا يخلف وعده.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: **انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رأني قال: «هم الأخسرُونَ ورب الكعبة» قال: فجئت حتى جلست فلم أتقار<sup>(١)</sup> أن قمت. فقلت: يا رسول الله، فذاك أبي وأمي، من هم؟ قال: «هم الأكثرُونَ أموالًا إلا من قال هكذا، وهكذا، وهكذا - من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله -، وقليل ما هم»<sup>(٢)</sup>.**

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بيْرحاء، وكانت مستقبلَ المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيْرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعتها يا رسول الله حيث شئت، فقال صلى الله عليه وسلم: «بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح. قد سمعت ما قلت فيها، وأرى أن تجعلها في الأقربين». فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه<sup>(٣)</sup>.**

قال ابن القيم رحمته الله: «وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه صلى الله عليه وسلم، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان

(١) فلم أتقار: أي لم يمكنني القرار والثبات.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٦٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٦١)، وصحيح مسلم برقم (٩٩٨).

أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة ويحث عليها ويدعو إليها بحاله وقوله.

ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، فإنَّ للصدقة وفعل المعروف تأثيرًا عجيبيًا في شرح الصدر<sup>(١)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا يَسُرُّنِي أَنْ لِي أَحَدًا ذَهَبًا تَأْتِي عَلَيَّ ثَالِثَةً، وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا دِينَارٌ أُرْصِدُهُ لِذَيْنِ عَلَيَّ»<sup>(٢)</sup>.

ولما سُئِلَ ﷺ: أي الصدقة أعظم، قال: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَحِيحٍ تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»<sup>(٣)</sup>.

ومن فضائل الصدقة: أنها إذا كانت من كسب حلال خالصة لوجه الله تعالى، فإنَّ الله تعالى يقبلها بفضله، ويضاعف ثوابها لصاحبها أضعافاً مضاعفة، والله ذو الفضل العظيم.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ -، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»<sup>(٤)</sup> فيأتي المؤمن يوم القيامة، وإذا بحسناته أمثال الجبال فيفرح بثواب الله.

(١) زاد المعاد (٢/٢٢ - ٢٣) بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٩٩١).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح البخاري برقم (١٤١٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠١٤).

ومنها: تكفير السيئات. روى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: نماء المال وزيادته، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها استئلال المؤمن في ظل صدقته يوم القيامة: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ... مِنْهُمْ: وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»<sup>(٣)</sup>.

ويوم القيامة يأتي العالم بعلمه، والمجاهد بجهاده، والمصلي بصلاته، والصائم بصيامه، ويأتي المتصدق بالعلم والجهاد والصلاة، والصيام، فهو قد طبع كتباً للعلماء وقفاً على إخوانه المسلمين، وبنى مسجداً يصلي فيه المسلمون، وأعان المجاهدين في سبيل الله بماله، وفطر الصائمين على نفقته، فيحصل له أجر هؤلاء جميعاً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ومنها أن الصدقة تقي العبد كثيراً من الشرور والمصائب، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «وهذا شيء معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به؛ لأنهم جربوه، حتى لو كانت هذه الصدقة من ظالم أو كافر فإن الله يدفع عنه بها كثيراً من الشرور والمصائب»<sup>(٤)</sup>.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٦١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٨٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٥٠).

قال الشاعر:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يُعَدِّمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ  
ومن أفضل أنواع الصدقة، الصدقة الجارية التي تستمر للعبد بعد وفاته  
مثل حفر الآبار، وبناء المساجد، وطباعة الكتب، ودعم حلقات تحفيظ  
القرآن الكريم، والأوقاف الخيرية على الفقراء والمساكين ونحو ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ  
صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»<sup>(١)</sup>.

وعلى المنفق أن يراعي الأمور التالية: الإخلاص لله عز وجل في صدقته،  
وأن يحذر من الصدقة بالردية من طعام أو لباس أو نحو ذلك، أو أن  
يتبع صدقته المن والأذى، أو أن يبخل بما أعطاه الله، أو أن يحتقر شيئاً  
من الصدقة، أو أن يرجع في صدقته.

فائدة: ذكر أبو نعيم في حلية الأولياء أن أويس القرني كان إذا أمسى  
تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: اللهم من  
مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى  
آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

(٢) (٢/٨٧).



الكلمة السادسة عشرة

مخالفات يقع فيها بعض الصائمين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
تعيش الأمة الإسلامية هذه الأيام موسماً عظيماً من مواسم الخير.  
قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].  
إلا أن هناك مخالفات يقع فيها بعض الصائمين أحببت التذكير بها،  
أداءً لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة.

روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ»<sup>(١)</sup>.

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن طائفة من الناس يصومون لكن لا يكتب لهم عند الله أجر الصائمين، وإنما نصيبهم من هذا الصيام الجوع والعطش، وذلك لأن الجوارح لم تمتنع عن معصية الله، فالعين تنظر إلى ما حرم الله، والأذن تستمع إلى ما حرم الله، واللسان يتكلم بما يغضب الله.  
قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) سنن ابن ماجه برقم (١٦٩٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ٢٨٢) برقم (١٣٧١).

وطائفة أخرى تقوم الليل ولكن لا يكتب لهم أجر القائمين، إما لفقدان الإخلاص في عبادتهم، أو لعدم موافقتها لهدي النبي ﷺ، أو لغير ذلك. ولذا ينبغي للصائم أن يحذر من الوقوع في المعاصي، فليس الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب فحسب، وإنما إمساك الجوارح عما حرم الله.

ومن هذه المخالفات: تأخير الصلاة عن وقتها، فبعض الصائمين ينام بعد تناوله السحور فلا يستيقظ إلا عند طلوع الشمس، فيضيع صلاة الصبح، وآخرون ينامون قبل صلاة العصر، فلا يستيقظ أحدهم إلا عند غروب الشمس، فيضيع صلاة العصر قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ١٠٣﴾ [النساء]، روى البخاري في صحيحه من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» (١).

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥﴾ [الماعون]؛ جاء في حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥﴾؟ أَيُّنَا لَا يَسْهُو وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ؟! قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ إِضَاعَةُ الْوَقْتِ، يَلْهُو حَتَّى يَضِيعَ الْوَقْتُ (٢).

وفي مثل هؤلاء يقول تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَدِّهِمْ خَلْفًا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

(١) صحيح البخاري برقم (٥٥٣).

(٢) مسند أبي يعلى (١/٣٣٦) برقم (٧٠٠)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب

(١/٤٤١) حديث رقم (٨٢٢): إسناده حسن.

ومنها التخلف عن صلاة الجماعة، فبعض الصائمين يؤدون الصلاة لوقتها، ولكنه يتخلف عن صلاة الجماعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٦﴾﴾ [النساء].

وفي هذه الآية وجوب صلاة الخوف جماعة في حال الحرب، ففي حال السلم من باب أولى.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فَتَقَامَ، ثُمَّ أُمِرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِّنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: السهر الطويل أكثر الليل أو كله على شاشات القنوات الفضائية التي تبث شرورها وسمومها على أشكال متعددة، حيث يعرض بها برامج يقصد بها تشكيك المسلمين في دينهم، وإظهار عظمة الكفار والإعجاب بحضارتهم، كالتمثيليات الهابطة، والأغاني الماجنة، والصور الخليعة.

ومنها: ما يفعله بعض الصائمين المبتلون بشرب الدخان

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٥١).

هداهم الله، فبدلاً من أن يفطروا على ما أحل الله لهم من الطيبات يفطرون على الدخان الذي بعث الله رسوله بتحريمه وأمثاله؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

ومنها: الفحش والبذاءة في اللسان وسائر المعاصي الأخرى. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَصْخَبُ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها كثرة النوم لساعات طويلة، وحديث: «نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ» حديث ضعيف لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فلا ينبغي للمسلم أن يضيع ساعات الصوم بكثرة النوم، فإن المسلم يُسأل عن وقته يوم القيامة.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ

(١) صحيح البخاري برقم (١٩٠٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٩٠٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٥١).

جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟» (١).

قال الشاعر:

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيكَ يَضِيعُ  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى  
آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح.



## فضل العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد كان هدي النبي ﷺ في هذه العشر الأواخر أنه يجتهد فيها ما لا يجتهد في بقية الشهر، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضيها قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديثها رضيها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ: أَحْيَا اللَّيْلَ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ» (٢).

أحيا ليله أي بالصلاة والذكر والدعاء، وأيقظ أهله أي أيقظهم من نومهم ليجتهدوا في الصلاة والذكر والتضرع إلى الله تعالى، وهذه السنة قد لا ينتبه لها بعض المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

أما شد المئزر فقد قال كثير من أهل العلم: إنه كناية عن اعتزال النساء والتفرغ للعبادة، ولذلك كان ﷺ يعتكف في هذه العشر في المسجد، وينقطع عن الدنيا ويخلو بربه يدعو ويناجيه ويسأله ويتضرع إليه.

(١) صحيح مسلم برقم (١١٧٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٧٤).

والاعتكاف من أنفع العبادات لإصلاح القلوب، وجمع الهمم،  
والتخلص من العيوب، ومن جرب عرف.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ  
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ  
اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ <sup>(١)</sup>.

فإن قال قائل: ما الحكمة في تخصيص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعشر الأواخر  
بكثرة الاعتكاف والاجتهاد في طاعة الله.

فالجواب: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل ذلك التماساً ليلة القدر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد  
الخدري رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ،  
ثُمَّ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ فِي قُبَّةِ <sup>(٢)</sup> تُرْكِيَّةٍ عَلَى سُدَّتِهَا حَصِيرٌ، قَالَ: فَأَخَذَ  
الْحَصِيرَ بِيَدِهِ فَنَحَّاهَا فِي نَاحِيَةِ الْقُبَّةِ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَكَلَّمَ النَّاسَ فَدَنُوا  
مِنْهُ، فَقَالَ: «إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ، أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ  
الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتَيْتُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ» <sup>(٣)</sup>.

فهذه الليلة ليلة عظيمة مباركة، لا يحرم خيرها إلا محروم، وهي  
في العشر الأواخر تنتقل فيها كما يريد الله.

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
قال: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» <sup>(٤)</sup>.

وفي السبع الأواخر أكد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما

(١) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٦)، وصحيح مسلم برقم (١١٧٢).

(٢) في قبة تركية أي: قبة صغيرة من لبود.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠١٨)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٧).

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٠١٧).

من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أرى رؤياكم قد توأطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريراً فليتحررها في السبع الأواخر»<sup>(١)</sup>.

وكان أبي بن كعب يحلف: لا يستغني عنها ليلة سبع وعشرين. قال زر بن حبیش: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المُنذر؟ قال: بالآية التي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أو بالعلامة: «أن الشمس تطلع في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قد رأيت هذه الليلة فأنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين». قال أبو سعيد الخدري: مطرنا ليلة إحدى وعشرين فوكف<sup>(٣)</sup> المسجد في مصلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظرت إليه وقد انصرف من صلاة الصبح، ووجهه مبتل طيناً وماءً<sup>(٤)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «والصحيح أنها في وتر من العشر الأواخر وأنها تتنقل»<sup>(٥)</sup>. اهـ.

وهذه حكمة إلهية فلو حددت لاجتهد الناس فيها وتركوا بقية الليالي، واستوى في ذلك المجتهد والكسول.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٠١٥)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٦٢).

(٣) فوكف المسجد: أي قطر ماء المطر من سقفه.

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٠٢٧)، وصحيح مسلم برقم (١١٦٧).

(٥) فتح الباري (٤/٢٦٦).

والنبي ﷺ إنما كان يحرص على هذه الليلة لما جعل الله فيها من الفضل والأجر، فمما خصَّها الله به أنها خير من ألف شهر، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٣) [القدر]، أي العبادة فيها خير من عبادة ثلاثة وثمانين عامًا وبضعة أشهر.

ومنها: أنه نزل فيها القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣) [الدخان] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) [القدر] أي القرآن.

ومنها: أنه يكثر نزول الملائكة فيها لكثرة الخيرات والبركات، قال تعالى: ﴿نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (٤) [سالم] هي حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) [القدر].

ومنها: أن الله يغفر لمن قامها إيمانًا واحتسابًا؛ فعن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

وقد أرشد النبي ﷺ عائشة عندما سألته: أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوفٌ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٢٠٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٥١٣) وقال: حديث حسن صحيح.

## فضل الذكر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فإن من أفضل الأعمال الصالحة اليسيرة التي تقرب المسلم إلى ربه جل وعلا: الذكر.

وقد ذكر الله تعالى الذاكرين في كتابه بأجل الذكر: فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران].

وبيّن في آية أخرى فضل الذكر، وأنه تطمئن به قلوب أهل الإيمان؛ فقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد]. وجعل جزاء الذاكر أن يذكره سبحانه، وهل هناك أرفع من أن يذكر الله سبحانه عبده المؤمن؟! قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ» (١).

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً»<sup>(١)</sup>.

وانظر إلى هذا الحديث العجيب في بيان فضل الذكر والذاكرين.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ». قالوا بلى يا رسول الله. قال: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانُ؛ فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ». قالوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»<sup>(٣)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْعَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً»<sup>(٤)</sup>.

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٣٩) برقم (٢٦٨٨).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٦).

(٤) سنن أبي داود برقم (٣٦٦٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٩٨) برقم (٣١١٤).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ بِاللَّهِ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ<sup>(١)</sup>، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ:  
لِكُلِّ شَيْءٍ جِلَاءٌ، وَإِنَّ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الذكر للقلب مثل الماء للسمك،  
فكيف يكون حال السمك إذا فقد الماء؟!<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم: «وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان  
وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده»<sup>(٤)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ  
وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ  
عَشْرَ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ  
حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا  
جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ  
مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»<sup>(٥)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
قَالَ: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ  
بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُتَقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا  
نُصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيَجَاهِدُونَ،  
وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَذْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ،

(١) شعب الإيمان (١/٤٠٨).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٦٧).

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٤) الفوائد (ص ٢١٥).

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٤٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٩١).

وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ؟! تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ»<sup>(١)</sup>  
الحديث.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»<sup>(٢)</sup>.

ومما يدل على فضل الذكر ومكانته العظيمة وأنه ينوب عن بعض الأعمال، ويقوم مقامها ما رواه أبو نعيم في كتابه معرفة الصحابة من حديث عبد الله بن حبيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ظن بالمال أن ينفقه، وبالليل أن يكابده، فعليه بسبحان الله وبحمده»<sup>(٣)</sup>.

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالذكر الكثير فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۗ﴾ [الأحزاب].

والنبي صلى الله عليه وسلم شرع لأُمَّته من الأذكار ما يملأ الأوقات! فلكل حالة أو زمن ذكر يخصه ففي الصباح أذكار مخصوصة، وفي المساء كذلك وعند النوم، واليقظة، وعند دخول البيت والخروج منه، وعند طعامه وشرابه، وغير ذلك من أحواله، ولا شك أن من حافظ على هذه الأذكار فإنه سيكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وبهذا يأمن مما اتصف به المنافقون حيث يقول الله عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

(١) صحيح البخاري برقم (٨٤٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٩٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٥).

(٣) برقم (٣٦٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٣٧٧).

ومن الأذكار العامة التي تشرع في كل وقت: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس عن جويرية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ. فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَيَّ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا». قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتِ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ وَأَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ» (٢).

ومن الأذكار التي تقال في الصباح والمساء، ويقولها العبد كلما شعر بحاجته إلى مغفرة ربه، ما رواه البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٥٩/٣٦) برقم (٢٢١٤٤)، وقال محققوه: حديث صحيح، وصحيح ابن حبان برقم (٨٢٧) واللفظ له.

مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى  
آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٠٦).

## المواظبة على العبادة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله ﷻ من فضله ورحمته بعباده يسر عليهم فعل الطاعات في هذا الشهر، وقواهم عليها وأعانهم على ترك المعاصي والشهوات، ولذا يكون من إقبال القلوب على الخير في هذا الشهر ما لا يكون في غيره، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أنه صلى الله عليه قال: «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»<sup>(١)</sup>.

وإن مطالبة النفس بأن تقوم في غير رمضان بما تقوم به في رمضان مطلبٌ صعبٌ، لأن الأسباب الموجبة لذلك في رمضان لا تتوفر في غيره، ولكن ينبغي التنبه لأمرين:

الأول: أن البعض من الناس إذا خرج رمضان عاد إلى ما كان عليه قبله، من ترك بعض الفرائض والواجبات، أو ارتكاب بعض المعاصي والسيئات، وهذه وإن كان إثمها في رمضان أعظم، إلا أنه لا يسقط الإثم

(١) سنن الترمذي برقم (٦٨٢) وأصله في الصحيحين، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٩/١) برقم (٥٤٩).

في غير رمضان؛ لأن وجوبها على العبد فعلاً وتركاً على الدوام.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر].

وقال الحسن البصري: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت.

قال عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ»<sup>(١)</sup>. قال العلماء: معنى الاستقامة لزوم طاعة الله.

ومن تلك المعاصي: الانقطاع عن بيوت الله، والتساهل في صلاة الجماعة، وهجر القرآن الكريم الذي كانوا يقرؤونه في رمضان، والانكباب على القنوات الفضائية التي تعرض التمثيليات الهابطة، والأغاني الماجنة، والصور الخليعة المحرمة، فإلى الله المشتكى.

الثاني: التقصير في نوافل العبادات، فيستحب للمسلم أن لا ينقطع عنها في غير رمضان، وقد شرع من الصيام، والقيام، والصدقات، وفعل الخير، ما يملأ الأوقات ويجعل العبد موصولاً بربه على الدوام.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أن

(١) صحيح مسلم برقم (٣٨).

النبي ﷺ قال: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»<sup>(١)</sup>؛ بل إن النبي ﷺ كان ينهى أصحابه عن الانقطاع عن العمل الصالح.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ»<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه النوافل التي شرعت بعد رمضان صيام ست من شوال، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أيوب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»<sup>(٣)</sup>.

ومنها صيام يوم عرفة؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عندما سُئِلَ عن صيام يوم عرفة؟ قال: «يُكْفَرُ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ»<sup>(٤)</sup>.

ومنها صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي رضي الله عنه بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»<sup>(٥)</sup>.

ومنها: قيام الليل طوال العام، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٦٤)، وصحيح مسلم برقم (٧٨٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١١٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١١٥٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (١١٦٤). (٤) صحيح مسلم برقم (١١٦٢).

(٥) صحيح البخاري برقم (١١٧٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٢١).

(٦) صحيح مسلم برقم (١١٦٣).

ومنها باب الصدقة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِخْلَافِ وَالْتِهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة].

وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة التي فتحتها الله لعباده على الدوام. والعبد لا يدري متى يفجأه الأجل، فالعاقل من تهيأ للقاء ربه، ولم يغره طول الأمل؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أُمَّتَهُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان].

وقال تعالى عن أقوام طالت أعمالهم، وساءت أعمالهم، وغفلوا عن ذكر ربهم: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [آل عمران] ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر].

فالدنيا ليست بدار بقاء، فطوبى لعبد عرف قدرها فأخذ منها أفضل ما فيها، وهو استغلال أوقاتها بالتزود منها للحياة الباقية، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت].

واعلموا عباد الله أن كل حي صائر إلى فناء، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتٌّ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة العشرون

سنن العيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنسأل الله كما بلغنا رمضان وأعاننا على صيامه وقيامه أن يتقبله منا، إنه جواد كريم، وبعد:

فمن الأمور التي ينبغي التذكير بها: أحكام صلاة العيد، وما يفعله المسلم في يوم العيد من السنن الثابتة عن النبي ﷺ؛ فمن ذلك:

أولاً: ينبغي للمسلم أن يحرص يوم العيد على الاغتسال والطيب، فقد استحبه طائفة من أهل العلم، وثبت عن ابن عمر: أَنَّهُ كَانَ يَغْتَسِلُ قَبْلَ أَنْ يَعْدُوَ إِلَى الصَّلَاةِ<sup>(١)</sup>، واستحب بعض أهل العلم إزالة شعر الإبطين، وتقليم الأظافر، وما يتبع ذلك؛ لأن ذلك من تمام الزينة، ولبس أحسن ما يجد من الثياب.

فقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ فِي الْعِيدَيْنِ<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله: وَكَانَ ﷺ يَلْبَسُ لِلْعِيدَيْنِ أَجْمَلَ ثِيَابِهِ، فَكَانَتْ لَهُ حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا لِلْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ<sup>(٣)</sup>.

(١) موطأ مالك ص ١١٥، وقال محققه: أثر صحيح.

(٢) سنن البيهقي (٣/ ٢٨١). (٣) زاد المعاد (١/ ٤٤١).

ثانيًا: يُستحب قبل خروجه إلى الصلاة في عيد الفطر أن يأكل تمرات وتراً، والوتر إما أن يكون ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً.

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ، وَيَأْكُلَهُنَّ وَتْرًا<sup>(١)</sup>.

ثالثًا: يستحب له أن يذهب من طريق ويرجع من آخر، روى البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمَ عِيدِ خَالَفَ الطَّرِيقَ<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿١٦﴾ [الأحزاب: ١٢].

رابعًا: السنة أن تكون الصلاة في مصلى العيد وليس المسجد، وهذا هو المعروف من فعله ﷺ، ومواظبته، كما رجحه جمع من أهل العلم.

خامسًا: لم يثبت عن النبي ﷺ أنه صلى قبل العيد أو بعده نافلة في المصلى، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْفِطْرِ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا<sup>(٣)</sup>. لكن إذا كانت الصلاة في المسجد فإنه يصلي تحية المسجد ركعتين.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي قتادة السلمي رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَرْكَعَ رَكَعَتَيْنِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٩٥٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٩٨٦).

(٣) صحيح البخاري برقم (٩٨٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٧١٤).

سادساً: إذا رجع إلى بيته يشرع له أن يصلي ركعتين؛ روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا يُصَلِّي قَبْلَ الْعِيدِ شَيْئًا، فَإِذَا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ <sup>(١)</sup>.

سابعاً: يستحب التكبير من غروب شمس ليلة العيد، وأوجه بعض أهل العلم لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَانَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ويكبر من حين خروجه من بيته حتى يأتي الإمام إلى المصلى، وهذا التكبير مشروع باتفاق الأئمة الأربعة.

وجاء عن ابن عمر: أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ لِلْعِيدَيْنِ مِنَ الْمَسْجِدِ فَيُكَبِّرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْمُصَلَّى، وَيُكَبِّرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْإِمَامَ <sup>(٢)</sup>، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَاللَّهُ الْحَمْدُ، وَيَسْتَحِبُّ التَّكْبِيرَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَنَازِلِ وَالطَّرِيقِ <sup>(٣)</sup>.

ثامناً: تأكد صلاة العيد على الرجال والنساء، ورجح جمع من أهل العلم الوجوب، واستدلوا بحديث أم عطية: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ بِهَا الْعَوَاتِقَ؛ أَي الْبَالِغَاتِ وَالْحَيْضَ؛ وَأَمَرَ الْحَيْضَ أَنْ يَعْتَزِلْنَ الْمُصَلَّى، وَيَشْهَدَنَّ الْخَيْرَ

(١) سنن ابن ماجه برقم (١٢٩٣) وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٧٦/٢)، وانظر إرواء الغليل (١٠/٢) للشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) سنن الدارقطني (٤٤/٢) رقم (٤)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل برقم (٦٥٠).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٦٧/٢)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (١٢٥/٢).

وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: التهنة بالعيد، فقد نقل عن بعض الصحابة أنهم كانوا يقولون في العيد: تقبل الله منا ومنكم، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>، والحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٩٨٠)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٥٣).

(٣) فتح الباري (٢/٤٤٦)، وانظر تمام المنة (ص ٣٥٤ - ٣٥٦) للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

## الرؤيا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فحديثنا اليوم عن الرؤيا، وسيكون الكلام فيها عن الأمور التالية:

أولاً: فضل الرؤيا ومنزلتها في الشريعة الإسلامية.

ثانياً: أقسام الرؤيا وأنها على ثلاثة أقسام.

ثالثاً: تعبير الرؤيا وبعض الفوائد المتعلقة بذلك.

رابعاً: بعض الأخطاء التي يقع فيها الناس في الرؤيا.

خامساً: أمثلة للرؤيا الصالحة.

أما ما يتعلق بفضل الرؤيا ومنزلتها: فيقول الله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف].

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، أي: يعلمك تفسير الرؤيا.

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر؛ فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النَّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تَرَىٰ لَهُ» (١).

(١) صحيح مسلم برقم (٤٧٩).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله ﷺ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]؛ قال: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ»<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكْذُرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ» أي في آخر الزمان وذلك عند كثرة الفتن، وغربة الدين، وشدة الحاجة إلى المبشرات التي تطمئن بها قلوب المؤمنين، ولذلك قال: «لَمْ تَكْذُرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ» فهي خاصة بالمؤمنين.

وقوله: «جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ»؛ قال بعض أهل العلم: إن مدة النبوة ثلاثة وعشرون سنة منها: نصف سنة، الوحي فيها رؤيا يراها النبي ﷺ في النوم؛ فيكون ذلك جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»<sup>(٣)</sup>.

وقوله ﷺ في آخر الحديث السابق: «أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا»، دليل على أهمية الصدق، وأن أصدق الناس كلامًا هو أصدقهم رؤيا.

وأما أقسام الرؤيا فهي ثلاثة، روى الترمذي في سننه من حديث

(١) مسند الإمام أحمد (٥٠٢/٤٥) برقم (٢٧٥٠٩)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٢٧٠)، وقال: هذا حديث صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٩٨٢)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠).

أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: فَرُؤْيَا حَقٌّ، وَرُؤْيَا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ نَفْسَهُ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث بيان من النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ليس كل ما يُرى في المنام من الرؤيا الصالحة، فما يراه الإنسان في منامه؛ من المفزعات والمزعجات فهو من الشيطان ليحزن المؤمن بذلك، وما يراه مما يعرض له في يومه وليلته فتلك الأحلام، وأحاديث النفس تعرض له في اليقظة فيحلم بها في منامه.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ»<sup>(٣)</sup>.

أما تعبير الرؤيا، فهو علم شريف خص الله تعالى به بعض أنبيائه، وأوليائه، كمحمد ويوسف عليهما السلام، وممن اشتهر بذلك من الصحابة: أبو بكر. ومن التابعين محمد بن سيرين، وغيرهم من الصالحين في كل زمان ومكان.

ولقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم من رأى رؤيا ألا يقصها على كل أحد.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٢٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦٢).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٧٠١٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦٣).

روى أبو داود في سننه من حديث أبي رزين العقيلي رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «... وَلَا يَقْصُهَا إِلَّا عَلَىٰ وَادٍ»<sup>(١)</sup> «أَوْ ذِي رَأْيٍ»<sup>(٢)</sup>.

ومن فوائد ذلك: ألا تعبر الرؤيا تعبيرًا خاطئًا، أو بما يحزن صاحبها. وأما الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس فيما يتعلق بالرؤيا: فنذكر من ذلك ثلاثة أخطاء مهمة.

أولاً: الكذب في الرؤيا بأن يدّعي أنه رأى كذا وكذا ولم ير ذلك؛ روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُفِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَكِنْ يَفْعَلُ»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: اعتماد بعض الجهال من الصوفية وغيرهم على الرؤيا في الأحكام الشرعية من تحليل حرام، أو تحريم حلال ونحو ذلك؛ وليس من ذلك أن يعمل العبد عملاً صالحاً فيرى ما يبشره بقبوله أو نفعه.

ثالثاً: ليس كل من رأى النبي ﷺ في منامه يكون رآه حقاً حتى يراه على صورته الحقيقية التي كان عليها ﷺ؛ فقد كان ابن سيرين رحمته الله إذا قال له أحد رأيت النبي ﷺ يقول له: صف لي الذي رأيت؛ فإن وصفه بصفته الحقيقية قال له: «رَأَيْتَ».

ومن الأمثلة للرؤيا الصالحة: رؤيا النبي ﷺ، وهو من المبشرات لمن رآه؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي»<sup>(٤)</sup>.

(١) أي صاحب مودة.

(٢) جزء من حديث في سنن أبي داود برقم (٥٠٢٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٤٧/٣) برقم (٤١٩٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٢).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٩٩٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٦٦) واللفظ له.

ولكن كما تقدم أن يراه على صورته الحقيقية.

ومنها أيضاً رؤيا يوسف عليه السلام؛ كما في الآية: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ  
يَتَأْتِبِ إِيَّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف].

قال الله في تأويلها: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ  
يَتَأْتِبِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ  
السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي  
لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف].

ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:  
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ  
ابْنِ رَافِعٍ فَأَتَيْنَا بَرُطَبَ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوْلَتْ الرُّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا،  
وَالْعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٧٠).

طاب: أي كمل واستقرت أحكامه.



### شاب نشأ في عبادة الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»<sup>(١)</sup>.

يجمع الله الخلائق يوم القيامة، الأولين منهم والآخرين ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]؛ في يوم طويل قدره، عظيم هوله، شديد كربه، حذر الله منه عباده وأمرهم بالاستعداد له.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ٢﴾ [الحج].

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

وقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَنْفُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ (١٧) ﴿

[المزمل].

روى مسلم في صحيحه من حديث المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ؛ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْحِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْحِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

ولا يتسع الوقت للحديث عن السبعة، ولكن نقف وقفات يسيرة مع قوله ﷺ: «شَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ».

فهذا الشاب وفقه الله منذ نشأ للأعمال الصالحة، وحبها إليه وكره إليه الأعمال السيئة وأعانه على تركها، إما بسبب تربية صالحة، أو رفقة طيبة، أو غير ذلك؛ وقد حفظه الله مما نشأ عليه كثير من الشباب من اللهو واللعب، وإضاعة الصلوات والانهماك في الشهوات والملذات، وقد أثنى الله على هذا النشء المبارك بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣].

ولما كان الشباب داعياً قوياً للشهوات، كان من أعجب الأمور الشاب الذي يلزم نفسه بالطاعة والاجتهاد فيها، واستحق بذلك أن يكون من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٣٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٣).

لقد علم أنه مسئول عن شبابه فيما أبلاه؛ فعمل بوصية نبيه محمد ﷺ التي أوصى بها، حيث قال: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلِكَ، وحياتك قبل موتك»<sup>(١)</sup>.

روى الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَمَاذَا عَمَلَ فِيمَا عَلِمَ؟»<sup>(٢)</sup>.

والشباب هم عماد الأمة، وهم جيل المستقبل؛ منهم يتكون بناء الأمة، ومنهم ينشأ العلماء والمصلحون والمجاهدون وغيرهم من أبناء المجتمع، الذين إذا صلحوا انتفعت بهم مجتمعاتهم في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ يُمَّا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

ومن الأمثلة على الشباب الملتزم بطاعة ربه شباب الصحابة، أمثال أسامة بن زيد الذي أرسله النبي ﷺ لقيادة جيش المسلمين المتجه إلى الشام، وعمره لم يتجاوز السابعة عشر، وفي القوم كبار الصحابة، حتى

(١) مستدرک الحاكم (٤٣٥/٥) برقم (٧٩١٦)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).  
(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٦)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٤٦).  
(٣) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

أن أبا بكر كان يستأذن أسامة بن زيد أن يُبقي عمر عنده في المدينة فيأذن أسامة في ذلك، وعلي بن أبي طالب الذي بات في فراش النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة وعرض نفسه للقتل، فداء للنبي ﷺ، وجعفر بن أبي طالب الذي كان قائداً لجيش المسلمين في معركة مؤتة الشهيرة خلفاً للقائد زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي قُتِلَ في تلك المعركة، فحمل راية المسلمين وأخذ سيفه وهو يقول:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةَ وَاقْتِرَابُهَا      طَيِّبَةً وَبَارِدُ شَرَابُهَا  
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ ذُنَا عَذَابُهَا      عَلَيَّ إِنْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

فقطعوا يده اليمنى، فأمسك الراية بيده اليسرى، فقطعوا يده اليسرى، فضم الراية إلى صدره، فتكاثروا عليه فقتلوه.

يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: التَّمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي الْقَتْلِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ ضُرِبَ بِضَعَا وَتَسْعِينِ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ ضَرْبَةِ سَيْفٍ وَطَعْنَةِ بَرْمُحٍ<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب].

ومن الأمثلة كذلك: محمد بن القاسم الذي فتح بلاد السند والهند وعمره لم يتجاوز السابعة عشر، كما تروي لنا كتب السير، قال الشاعر:

عَبَادٌ لَيْلٍ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ بِهِمْ      كَمْ عَابِدٍ دَمَعُهُ فِي الخَدِّ أَجْرَاهُ  
وَأُسْدٌ غَابَ إِذَا نَادَى الجِهَادُ بِهِمْ      هَبُّوا إِلَى المَوْتِ يَسْتَجِدُونَ رُؤْيَاهُ  
يَا رَبِّ فَابْعَثْ لَنَا مِنْ مِثْلِهِمْ نَفَرًا      يُشِيِّدُونَ لَنَا مَجْدًا أَضْعَانَاهُ

(١) صحيح البخاري برقم (٤٢٦١).

## الدرر المنقاة من الكليات الباقية

١٣١

ومن الأمثلة المعاصرة: الشباب الذين يملؤون المساجد، والمدارس، والجامعات، يطلبون العلم الشرعي، ويدعون إلى دين الله، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويلتحقون بحلقات تحفيظ القرآن الكريم.

وهذا شيء يثلج الصدر، وأمتنا لا يزال فيها الخير إلى يوم القيامة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





### التحذير من الشرك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فإن أعظم الذنوب عند الله تعالى: الشرك به سبحانه.  
قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّهُمْ ﴾ [الرعد: ٣٣] الآية.

والشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر، فأما الشرك الأكبر فهو الذي يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، ويوجب له الخلود في النار، ويحرم عليه الجنة إذا لم يتب منه ومات عليه، ومن الشرك الأكبر صرف عبادة من العبادات لغير الله تعالى مثل الدعاء، أو النذر، أو الخوف، أو الذبح، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [٧٢] [المائدة]

ومن أنواع الشرك الأكبر:

شرك الدعاء، ودليله قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].  
فأخبر تعالى أن المشركين يخلصون الدعاء لله في الشدة،

ويشركون به في الرخاء، فلم ينفعهم إخلاصهم المؤقت، فدل على أن التوحيد لا ينفع صاحبه إلا إذا استمر عليه حتى الممات.

ومنه شرك النية والإرادة والقصد، ودليله قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْتَارُ وَحَيْطٌ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٦﴾ [هود].

قال ابن عباس: «إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا؛ وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً. يقول: من عمل صالحاً التماس الدنيا صوماً أو صلاة أو تهجداً بالليل لا يعملها إلا التماس الدنيا، يقول الله تعالى: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعملها لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين»<sup>(١)</sup>.

ومنها شرك الطاعة، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣١) [التوبة].

روى الترمذي في سننه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية، قال: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١١١) [الأنعام].

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٠٩٥)، وحسنه الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص ٢٠).

فمن أطاع غير الله تعالى في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام واتخذ ذلك ديناً وشرعاً، فقد أشرك بالله.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله»<sup>(١)</sup>.

ومنها شرك المحبة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾<sup>(١٦٥)</sup> [البقرة].

قال ابن كثير: «يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الآخرة، حيث جعلوا له أنداداً، أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه، ويحبونهم كحب الله، وهو الله لا إله إلا هو، لا ضدَّ له ولا ندَّ»<sup>(٢)</sup>.

أما الشرك الأصغر فهو الذي لا يخرج صاحبه من الملة، ولكنه ينقص من توحيده، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وينقسم إلى قسمين: شرك ظاهر، وشرك خفي.

أما الظاهر فهو يختص بالأعمال والأقوال الظاهرة، أما الألفاظ الظاهرة فمثل الحلف بغير الله وقول: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان؛ فلا يجوز لأحد أن يساوي غير الله به سبحانه؛ بل يقول: ما شاء الله، ثم فلان، ولولا الله ثم فلان وهكذا.

أما الأفعال: فهي كثيرة جداً، مثل تعليق التمام خوفًا من العين، أو لبس الحلقة أو الخيط لرفع البلاء أو دفعه، هذا مع اعتقاده أنها سبب لرفع

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٣٨٣).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٠٢).

البلاء أو دفعه، فإن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر.  
القسم الثاني: شرك خفي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: وهذا الشرك بحر لا ساحل له  
وقل من ينجو منه؛ فمن أراد بعمله غير التقرب إلى الله تعالى فقد أشرك  
في إرادته ونيته.

والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله ونيته وإرادته؛ فإن  
هذه هي الملة الحنيفية؛ ملة إبراهيم عليه السلام التي أمر الله بها عباده كلهم،  
ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي  
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) [آل عمران].

روى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، قال:  
خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ  
اللَّهِ وَمَا شِرْكَ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا  
لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكَ السَّرَائِرِ»<sup>(٢)</sup>.

وإنما سمي الرياء شرك خفي لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، وقد  
قصد به غيره أو شركه فيه، وزين صلاته لأجله<sup>(٣)</sup>.

والنيات والمقاصد وأعمال القلوب لا يعلمها إلا الله تعالى.

(١) الداء والدواء لابن قيم الجوزية (ص ١٨٤).

(٢) صحيح ابن خزيمة (٦٧/٢) برقم (٩٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب  
(١٩٩/١) برقم (٣١).

(٣) الدين الخالص (٢/٣٨٥).

قال الشاعر:

ولا تك بالأعمال يوماً مُرئياً      فإن الرِّيا شِرْك بنص الدلائلِ  
فويلٌ لمن قد كان يعملُ بالرِّيا      بطاعته لله ليس بعاملٍ

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ». قالوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟»<sup>(١)</sup>.

يعني أنه يبطل أعمال المرئيين، وأنه يُحيلهم على الذين راءوهم في الدنيا فيقال: انظروا: هل يثبونكم، أي: أولئك الذين تزيتتم عندهم ورائيتموهم في الدنيا؟

هل تجدون عندهم ثواباً؟

هل تجدون عنهم جزاءً على أعمالكم؟!<sup>(٢)</sup>

ولله در القائل:

وكل امرئٍ يوماً سيعرف سعيه      إذا حُصِّلت عند الإله الحصائلُ  
وقد يتهاون بعض الناس بهذا النوع لتسميته شرکاً أصغر، وهو إنما سُمي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر من جميع الكبائر، ولذلك قال العلماء:

١ - إن الشرك الأصغر إذا دخل عملاً فسد ذلك العمل وحبط.

٢ - إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت

(١) مسند الإمام أحمد (٣٩/٣٩) برقم (٢٣٦٣٠)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٢) إصلاح المجتمع ص ١١.

المشيئة كصاحب الكبيرة؛ بل يعذب بقدره، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [النساء: ٤٨].

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الشرك بجميع أنواعه وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم عليه السلام على نفسه من الشرك وهو إمام الموحدين، فقال لربه: ﴿ وَأَجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمته الله: فلا يأمن من الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به، وبما يخلصه منه، من العلم بالله وبما بعث به رسوله من توحيده والنهي عن الشرك به<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتح المجيد (ص ٤٧).

## الكلمة الرابعة والعشرون

### الحياء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن من الصفات الحميدة والأخلاق الجميلة التي دعا إليها الشارع: صفة الحياء.

قال تعالى عن موسى ﷺ عندما سقى للمرأتين: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَنِي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] الآية.

روى الإمام أحمد في كتابه الزهد، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله: أوصني، قال: «أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً من صالح حي قومك»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»<sup>(٢)</sup>. وهذا الحديث فيه دليل على أن الحياء مانع للإنسان من ارتكاب ما يضره في دينه، أو يخل بأدبه ومروءته، فإذا فقدت منه هذه الخصلة لم يبال بما صنع.

(١) الزهد للإمام أحمد (ص ٤٦)، والشعب للبيهقي (٦/ ١٤٥ - ١٤٦) برقم (٧٧٣٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٧٦) برقم (٧٤١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦١٢٠).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبةً، أو بضع وستون شعبةً،  
 فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء  
 شعبة من الإيمان»<sup>(١)</sup>.

وكانت العرب في الجاهلية تتحلى بصفة الحياء، فهذا أبو  
 سفيان قبل إسلامه عندما وقف أمام هرقل ملك الروم ليسأله عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر عن نفسه قائلاً: لولا الحياء من أن يأتروا عليّ كذباً  
 لكذبت عليه.

قال ابن القيم رحمته الله: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها  
 وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعًا، وهو خاصة الإنسانية؛ فمن لا حياء فيه  
 ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة، كما أنه  
 ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق - أي الحياء - لم يكرم  
 ضيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤد أمانه، ولم تقض لأحد حاجة؛ ولا  
 تحرى الرجل الجميل ففعله والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا  
 امتنع عن فاحشة؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني، وهو رجاء  
 عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي وهو حياء فاعلها من الخلق؛ فقد تبين أنه  
 لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها... إلى  
 آخر ما قال<sup>(٢)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٩)، وصحيح مسلم برقم (٣٥).

(٢) مختصر من كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم (ص ٢٧٧) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم  
 (١٨٠٢/٥).

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص ٨٢ - ٨٣) برقم (٩٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي      وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ  
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ      وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ  
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ      وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

قال ابن القيم رحمته الله: ومن عقوبات المعاصي ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه، فقد جاء في الحديث الصحيح: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»<sup>(٢)</sup> والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم؛ بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع، ومن استحيا من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته. اهـ<sup>(٣)</sup>.

روى ابن حبان في صحيحه من حديث أسامة بن شريك، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا كَرِهَ اللَّهُ مِنْكَ شَيْئًا فَلَا تَفْعَلْهُ إِذَا خَلَوْتَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٢٤) وصحيح مسلم برقم (٣٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦١١٧)، وصحيح مسلم برقم (٣٧).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (٦١ - ٦٢).

(٤) صحيح ابن حبان (٣ - ٤)، وحسنه لغيره الألباني في صحيح موارد الظمان برقم (٢١١٦).

قال القحطاني رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَبِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ  
فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

ومثاله: ما يقوم به بعض الذين يسافرون إلى الخارج لقضاء الشهوات والملذات، ثم يخبر أحدهم بجريمته التي فعل من شرب خمر أو فاحشة؛ أو غير ذلك من المعاصي، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُضْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُضْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ»<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء لهم نصيب من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور].

وهنا أمر ينبغي التنبه له، وهو أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس من الحياء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال الإمام النووي: قد يشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يُجله، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، والجواب عن هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم: أبو عمرو بن الصلاح، أن هذا المانع ليس من الحياء؛ بل هو عجز وخور ومهانة، فالحياء الحقيقي خلق

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٩٠).

يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. اهـ<sup>(١)</sup>.

وقد حثّ النبي ﷺ على إنكار المنكر وأمر بتغييره، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم (١/٥ - ٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٤٩).



## وقفه مع آيتين من كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فوقف وقفه يسيرة مع آيتين من كتاب الله، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا الخطاب للمؤمنين. أولاً: لأنهم الذين تنفعهم الذكرى. ثانياً: لتطهيرهم وتزكيتهم من الأخلاق السيئة.

قال القرطبي: «جاء الاستفهام على جهة الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله، أما إن كان ذلك في الماضي فإنه يكون كذباً، وأما في المستقبل فيكون ذلك إخلافاً بالوعد وكلاهما مذموم»<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لو ددنا أن الله ﷻ دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به؛ فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه: إيمان لا شك فيه وجهاد أهل معصيته، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق ذلك عليهم، فأنزل الله الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٨٠).

وهذا اختيار<sup>(١)</sup> ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: قوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: لِمَ تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به، وأنتم لا تفعلونه؟! وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون متصفون به؟! ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه، والناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس عنه. اهـ<sup>(٢)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ»<sup>(٣)</sup> فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»<sup>(٤)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «مَرَزْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ»<sup>(٥)</sup> مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ»<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٧)</sup>: قال الراغب: المقت هو البغض الشديد لمن تراه فعل القبيح<sup>(٧)</sup>، كما في

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٥٨). (٢) تفسير ابن سعدي (ص ٦٩١١).

(٣) يعني أمعاءه.

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٩).

(٥) يعني آلات القطع والقص.

(٦) مسند الإمام أحمد (١٩/٢٤٤) برقم (١٢٢١١)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٩٠).

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٢٢].

قال النخعي: ثلاث آيات منعتني أن أقص على الناس قوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقول شعيب: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْتُمْ ﴾ [هود: ٨٨]، وقوله: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١).

قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللهُ: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً (٢).

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: استدل بها بعض أهل العلم على وجوب الوفاء بالوعد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» (٣).

قال ابن حجر: «أصل الديانة منحصر في ثلاث، القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف» (٤).

روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨ / ٨٠).

(٢) صحيح البخاري باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، أي خشيت أن يكذبني من رأى عملي مخالفاً لقولي. فيقول: لو كنت صادقاً ما فعلت خلاف ما تقول وهذا على رواية فتح الذال، وعلى رواية كسر الذال معناه أنه مع وعظه الناس لم يبلغ غاية العمل، وقد ذم الله من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وقصر في العمل.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٩).

(٤) فتح الباري (١ / ٩٠).

قال: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا صَبِيٌّ فَذَهَبْتُ لِأَخْرَجَ لِأَلْعَبَ، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَ أُعْطِكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذِبَةٌ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: إن العلم قرين العمل؛ ولذلك يُسأل المرء يوم القيامة عن علمه ماذا عمل به؟ كما روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»<sup>(٢)</sup>.

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث جندب بن عبد الله رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مَثَلُ مُصْبِحٍ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، فذنبه من جنس ذنب اليهود»<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: أن الله ﷻ نهى المؤمن أن يقول ما لا يفعل؛ لكن لو كان المؤمن مقصراً في طاعة الله مرتكباً لبعض المعاصي فإن ذلك لا يسقط عنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٩١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٤٢ - ٩٤٣) برقم (٤١٧٦).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٦٦) برقم (١٦٨١)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/ ١٧٣): إسناده حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ١١٣٣).

(٤) الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٤٢).

لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

كان الحسن رضي الله عنه إذا نهى عن شيء لا يأتيه أصلاً، وإذا أمر بشيء كان شديد الأخذ به، وهكذا تكون الحكمة.

قال أبو الأسود الدؤلي:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ      عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ  
وَأَبْدَأَ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا      فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ  
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى      بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

قال ابن حزم: والمراد أن أبا الأسود إنما قصد بالإنكار المجيء بما نهى عنه المرء، وأنه يتضاعف قبحه فيه مع نهيه عنه، فقد أحسن كما قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] وقد صحَّ عن الحسن أنه سمع إنساناً يقول: لا يجب أن ينهى عن الشر إلا من لا يفعله. قال الحسن: «ود إبليس لو ظفر منا بهذه حتى لا ينهى أحد عن منكر ولا يأمر بمعروف. قال ابن حزم: صدق الحسن وهو قولنا آنفاً»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم (٦٩/١) برقم (٤٩).

(٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ٩٩، ١٠٠).



## تأملات في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فنتقف وقفة يسيرة مع آية من كتاب الله.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران].

يقول ﷺ: قل يا محمد معظماً لربك وشاكراً له ومفوضاً إليه ومتوكلاً عليه: اللهم مالك الملك، والملك: قيل النبوة، وقيل: الغلبة، وقيل: المال والعبيد. والصحيح الذي رجحه بعض المفسرين أنه عام لما يصدق عليه اسم الملك من غير تخصيص، فقوله: ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾، أي أنت المعطي وأنت المانع وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، وأنت المتصرف في خلقك الفعال لما تريد.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: رد تعالى على من يحكم عليه في أمره حيث قال: وقالوا - أي الكفار - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، كالوليد بن المغيرة. وغيره. قال الله ردًا عليهم: ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

أي أهم الخزان لرحمة الله، وبيدهم تدبيرها، فيعطون النبوة والرسالة من يشاؤون، ويمنعونها عن من يشاؤون، فنحن نتصرف فيما

خلقنا كما نريد بلا مانع ولا مدافع، لنا الحكمة البالغة والحجة التامة، وهكذا يعطي النبوة لمن يريد. قال سبحانه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] (١). اهـ.

قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: أي الخير كله منك ولا يأتي بالحسنات والخيرات إلا الله، وأما الشر فإنه لا يضاف إلى الله لا وصفاً ولا اسماً، ولكنه يدخل في مفعولاته ويندرج في قضائه وقدره؛ فالخير والشر داخل في القضاء والقدر فلا يقع في ملكه إلا ما شاءه، ولكن لا يضاف إلى الله، فلا يقال: بيدك الخير والشر ولكن بيدك الخير كما قال الله، وقال رسوله. اهـ (٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ في دعائه في قيام الليل أنه كان يقول: «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» (٣). تأدباً مع الله تعالى.

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: ما نقله ابن كثير في تفسيره أن فيها تنبيهاً وإرشاداً إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ، وهذه الأمة؛ لأن الله تعالى حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي الأمي المكي خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى الثقلين، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله، وخصه بخصائص لم يعطها نبياً من الأنبياء ولا رسولاً، من العلم بالله وشريعته، وإطلاعه على الغيوب الماضية والآتية، وكشفه له

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤١ - ٤٢).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص ٤٠١).

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٧١).

عن حقائق الآخرة، ونشر أمته في الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع؛ فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار<sup>(١)</sup>. اهـ.

ثانياً: أن العزة لا تطلب إلا من الله تعالى وهي إنما تأتي بطاعته واجتناب معصيته. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيبُنَّوْنَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال وهو يخاطب الأنصار: «أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللهُ؟!»<sup>(٢)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُ بِالإِسْلَامِ، فَهَمَّا ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللهُ»<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: أن الذل الذي يصيب الإنسان إنما هو بمعصيته لله ولرسوله، قال تعالى عن بني إسرائيل عندما عصوا الله ورسوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٨/١٠٥) برقم (١١٥٤٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٣) مستدرک الحاكم (١/٢٣٦ - ٢٣٧)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه: سنده صحيح.

حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن رضي الله عنه: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَطَقَتْ بِهِمُ الْبِعَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَازِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ      وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِذْمَانُهَا  
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ      وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِضْيَانُهَا

رابعاً: إثبات قدرة الله، فهو سبحانه القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولذلك يشرع للمؤمن أن يسأل الله بقدرته أن ييسر له الخير، ويصرف عنه الشر، روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه: أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده في جسده منذ أسلم؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ. ثَلَاثًا. وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»<sup>(٣)</sup>.

خامساً: فضل الدعاء وأهميته، وكان السلف يدعون: اللهم أعزني

(١) مسند الإمام أحمد (٢/٩٢)، وقال الذهبي في السير (١٥/٥٠٩): إسناده صالح.

(٢) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٢٠٢).

بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك<sup>(١)</sup>، وينبغي للمؤمن أن يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٥٢٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٠).



## القناعة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث الله ورسوله عليها: صفة القناعة.

قال الراغب: القناعة هي الاجتزاء باليسير من الأغراض المحتاج إليها<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٣٣﴾ [النساء] وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [النحل] الآية.

قال علي وابن عباس رضي الله عنهما: الحياة الطيبة هي القناعة<sup>(٢)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»<sup>(٣)</sup>.

وروى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٢٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٤٤٦)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥١).

أبي ذر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا ذر، أترى كثرة المال هو الغنى؟»،  
قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرَ»، قُلْتُ: نَعَمْ يَا  
رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ»<sup>(١)</sup>.

والعرض هو متاع الدنيا، ومعنى الحديث السابق: الغنى المحمود هو غنى النفس وشبعها، وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بما عنده فليس له غنى.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه:  
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزَقَ كَفَافًا، وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي رضي الله عنه:  
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ  
قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ<sup>(٣)</sup> لَهُ الدُّنْيَا»<sup>(٤)</sup>.

وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن إلى أن ينظر إلى من هو أسفل منه حتى يشعر بكثرة نعم الله عليه.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ  
فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) جزء من حديث في صحيح ابن حبان برقم (٦٨٤) ومستدرک الحاكم (٥/٤٦٦) برقم (٧٩٩٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه بهذه السياقة، وإنما أخرجاه من طريق الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر مختصراً.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٥٤).

(٣) معنى حيزت: أي جمعت.

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٣٤٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/٢٧٤) برقم (١٩١٣).

(٥) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣).

قال ابن جرير وغيره: هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا طَلَبَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَصْغَرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ لِيَلْحَقَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقَارِبَهُ. هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي غَالِبِ النَّاسِ، وَأَمَّا إِذَا نَظَرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا، ظَهَرَتْ لَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَشَكَرَهَا، وَتَوَاضَعَ وَفَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ. اهـ<sup>(١)</sup>.

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس قناعة وزهداً في الدنيا، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أنها قالت لعروة ابن أختها: «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ آيَاتِهِمْ، فَيَسْقِينَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك: أن فاطمة ناولت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كِسْرَةً مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ فَقَالَ: «هَذَا أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلَهُ أَبُوكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي حازم قال: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ مَرَّارًا يَقُولُ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا شَبِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا<sup>(٤)</sup>.

وكان النبي ﷺ يسأل ربه أن يجعل رزقه كفافاً، أي مقدار حاجته فقط.

(١) صحيح مسلم شرح النووي (٩٧/٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٢).

(٣) مسند الإمام أحمد (٤٤٠/٢٠) برقم (١٣٢٢٣)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٣٧٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٦) واللفظ له.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
 أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتًا»<sup>(١)</sup>.

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه بالقناعة وعيشة الكفاف، روى ابن  
 ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ  
 كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم؛ فعن  
 أنس بن مالك قال: «اشْتَكَيْ سَلْمَانَ فَعَادَهُ سَعْدٌ، فَرَأَهُ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ  
 سَعْدٌ: مَا يُبْكِيكَ؟ أَلَيْسَ قَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ أَلَيْسَ؟ أَلَيْسَ؟  
 قَالَ سَلْمَانُ: مَا أَبْكِي وَاحِدَةً مِنْ اثْنَتَيْنِ مَا أَبْكِي ضِنًّا لِلدُّنْيَا وَلَا كَرَاهِيَةً  
 لِلْآخِرَةِ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَهَدَ إِلَيَّ عَهْدًا فَمَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ.  
 قَالَ: وَمَا عَهْدَ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَهْدَ إِلَيَّ أَنَّهُ يَكْفِي أَحَدَكُمْ مِثْلُ زَادِ الرَّائِبِ.  
 وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ تَعَدَّيْتُ. قَالَ ثَابِتٌ: فَأَحْصُوا مَا تَرَكَهُ سَلْمَانُ، فَإِذَا هُوَ  
 بِضْعَةَ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا»<sup>(٣)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: «إِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنَى، إِنَّهُ مَنْ يَيْأَسَ عَمَّا  
 فِي أَيْدِي النَّاسِ اسْتَغْنَى عَنْهُمْ»<sup>(٤)</sup>.

والقناعة كنز عظيم، وعلامة من علامات التقوى كما قيل: «القناعة  
 كنز لا يفنى».

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٦٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٥).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٤٢١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٢/٢) برقم (٣٣٩٨).

(٣) مسند الإمام أحمد (٤٣٨/٥)، وابن ماجه برقم (٤١٠٤) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٩٢/٢) برقم (٣٣١٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٢٣٩/٣).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «التَّقْوَى: الخَوْفُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَالْعَمَلُ بِالتَّنْزِيلِ، وَالقَنَاعَةُ بِالْقَلِيلِ، وَالِإِسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ». وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي، فما أعطاني منها قبلت، وما أمسك عني قنعت<sup>(١)</sup>.

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك.

قال الشاعر:

خُذِ القِنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وَارْضَ بِهَا      لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا رَاحَةُ البَدَنِ  
وَأَنْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا      هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيْرِ القُطْنِ وَالْكَفَنِ

وقال آخر:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا      وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وقال آخر:

إِنَّ الغِنَى هُوَ الغِنَى بِنَفْسِهِ      وَلَوْ أَنَّهُ عَارِيَ المَنَاكِبِ حَافٍ  
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ البَسِيطَةِ كَافِيًا      فَإِذَا قَنِعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافٍ

قال الغزالي رحمته الله: كان محمد بن واسع يبيل الخبز اليابس بالماء ويأكل، ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٣٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٣٩).



## النهي عن المسألة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن  
لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله  
وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي حذر منها الشارع: المسألة،  
والمقصود بالمسألة أن يسأل الإنسان الناس أموالهم أو حاجاتهم  
من غير ضرورة أو حاجة ملحة، لما يتضمن السؤال من الذل لغير الله  
تعالى.

قال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا  
يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ  
التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ  
فَأَبَتْ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة].

قال ابن كثير في تفسيره: أراد لا يلحون في المسألة ولا يكلفون  
الناس ما لا يحتاجون إليه، فإن من سأل وله ما يغنيه عن المسألة فقد  
ألحف في المسألة<sup>(١)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى  
النَّاسِ فَرْدُهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ». قالوا: فَمَا الْمِسْكِينُ

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٧٨).

يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا، فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ» (٢).

قال أبو حامد الغزالي: والسؤال في الأصل أنه حرام، وإنما يُباح لضرورة أو حاجة ملحة قريبة من الضرورة؛ لما فيه من الشكوى من الله تعالى، وفيه إظهار قصور نعمة الله على عبده وهو عين الشكوى، وفيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، وكذلك أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالبًا، فقد يعطيه حياءً أو رياءً وهذا حرام على الآخذ (٣).

قال الشاعر:

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ      وَسَأَلَ اللَّهَ لَا يَخِيبُ

وقال آخر:

لَا تَسْأَلَنَّ بَنِيَّ آدَمَ حَاجَةً      وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحَجَبُ  
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ      وَبَنِيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وقال آخر:

فَلَوْ تَسَأَلَ النَّاسَ التُّرَابَ لَأَوْشَكُوا      إِذَا قُلْتَ هَاتُوا أَنْ يَمْلُوا فَيَمْنَعُوا

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم من تحل له المسألة، فروى مسلم في صحيحه

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٧٦)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٩).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٤١).

(٣) إحياء علوم الدين (٤/٢٢٣) باختصار وتصرف.

من حديث قبيصة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً<sup>(١)</sup> فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَا حَتَّى مَالَهُ<sup>(٢)</sup> فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ<sup>(٣)</sup> حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةَ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدُّ يَكْدُ بِهَا الرَّجُلُ وَجَهَهُ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ<sup>(٦)</sup>».

قال الصنعاني: وأما سؤاله السلطان فإنه لا مذمة فيه؛ لأنه إنما يسأل مما هو حق له في بيت المال، ولا منة للسلطان على السائل، لأنه وكيل، فهو كسؤال الإنسان وكيله أن يعطيه من حقه الذي لديه<sup>(٧)</sup>.

وقال أيضًا: والظاهر من الأحاديث تحريم السؤال إلا للثلاثة المذكورين في حديث قبيصة، أو أن يكون السلطان<sup>(٨)</sup>. اهـ.

قال الشاعر:

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ جَمْعًا      فَمَا طَعَمْتُ أَمْرًا مِنَ السُّؤَالِ

(١) يعني دينًا أو دية عن غيره للإصلاح.

(٢) يعني حريق أو هلاك زرع أو غير ذلك.

(٣) يعني فقر وضرورة بعد غنى.

(٤) صحيح مسلم برقم (١٠٤٤).

(٥) سنن الترمذي برقم (٦٨١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) سبل السلام (١/٦٣٢).

(٧) سبل السلام (١/٦٣٦).

وقد بين النبي ﷺ قدر الغنى الذي يحرم به السؤال، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل ابن الحنظلية: أن النبي ﷺ قال: إِنَّهُ «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ: «مَا يُغَدِّيهِ أَوْ يُعَشِّيهِ»<sup>(١)</sup>.

وأخبر النبي ﷺ أن العمل وإن كان شاقاً، والمال الذي يأتي منه قليل فهو خير للمرء من السؤال.

فروى البخاري في صحيحه من حديث الزبير بن العوام رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا فَيُكْفَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»<sup>(٢)</sup>.

وبين النبي ﷺ أن السائل من غير ضرورة ولا حاجة ملحة إنما يفتح على نفسه باب الفقر.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي كبشة الأنماري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ أَقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، - وذكر منها: - وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»<sup>(٣)</sup>. اهـ. بل إن النبي ﷺ أخذ البيعة من بعض أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً.

روى مسلم في صحيحه من حديث عوف بن مالك رضي عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا

(١) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد (١٦٦/٢٩) برقم (١٧٦٢٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٧١).

(٣) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم (٢٣٢٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟». فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، - وَأَسْرَرُ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ النَّفْرِ يَسْقُطُ سَوْطَ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثوبان رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَتَقَبَّلُ لِي بِوَاحِدَةٍ وَاتَّقَبَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟». قَالَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا». قَالَ: فَرَبَّمَا سَقَطَ سَوْطُ ثُوبَانَ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا أَنْ يُنَاوِلَهُ حَتَّى يَنْزِلَ إِلَيْهِ فَيَأْخُذَهُ» (٢).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم، فلا يسألون الناس شيئاً من متاع الدنيا.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصْرَةٌ حُلُوءَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي

(١) صحيح مسلم برقم (١٠٤٣).

(٢) مسند الإمام أحمد (٦٧/٣٧ - ٦٨) برقم (٢٢٣٨٥)، وقال محققوه: حديث صحيح.

أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْتِي أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرَزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوفِّيَ ﷺ (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أَنَّ نَاسًا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٤٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فنقف وقفة يسيرة مع آية عظيمة من كتاب الله، قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم].

يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن ينذر الناس يوم الحسرة والندامة، وهو يوم القيامة، حيث تشتد فيه الحسرة، وتعظم فيه الندامة، وأيُّ حسرةٍ أعظم، من فوات رضا الله وجنته؟! واستحقاق سخطه؟! والخلود في ناره؟! على وجه لا يتمكن فيه أحدٌ من الرجوع إلى الدنيا ليستأنف العمل.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر].

قال ابن عباس: يوم الحسرة اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذر منه عباده.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، قال: يوم القيامة. وقرأ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر].

وقوله: ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: أي فرغ من الحساب، وصار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: أي في الدنيا بشهواتهم وملذاتهم عن العمل ليوم الحسرة، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: لا يصدقون بالبعث بعد الموت وما فيه من نعيم مقيم لمن أطاع الله، ومن عذاب أليم لمن عصى الله.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحٌ - زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَسْرَتُّبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَسْرَتُّبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُدْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ». قَالَ: ثُمَّ قرأ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم]، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>.

وفي رواية لهما من حديث ابن عمر: «فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنه في يوم الحسرة والندامة يندم الكافر على كفره، والظالم على ظلمه، والمقصر في طاعة ربه على تقصيره، ولكن لا ينفع الندم؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٩) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٤٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٠).

الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٣٧﴾ يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٣٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٣٩﴾ [الفرقان].

وقال سبحانه: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَعْتَهُ قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ [الأنعام].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا ﴿٤٠﴾ [النبا].

ثانياً: أنه ينبغي للمؤمن أن لا يكون في غفلة؛ بل على استعداد للقاء ربه، قال سبحانه: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ [العنكبوت]، وقال سبحانه: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ [الحشر].

ثالثاً: أنه في يوم الحسرة يرى الكافر أنه لم يلبث في دنياه إلا قليلاً، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ [يونس: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات].

رابعاً: إن من أعظم ما يتحسر عليه أهل النار أن الواحد منهم يتمنى أنه يفدي نفسه من عذاب الله بماله، وولده والناس أجمعين، بل وملك الدنيا بأسرها، مع أنه طُلبَ منه أهون من ذلك، فلم يفعل، قال تعالى: ﴿ يَبْصُرُونَهُ يَوْمَ الْمَجْزُمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّبُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ [المعارج].

وقال - سبحانه - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلٌّ أَرْضٍ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿١١﴾ [آل عمران].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللَّهُ تعالى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسَبُهُ قَالَ: - وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشُّرْكَ»<sup>(١)</sup>.

خامسًا: أنه ينبغي للمؤمن أن يحافظ على إسلامه وإيمانه حتى الممات، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١٠٢)</sup> [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٥) واللفظ له.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٦٠ / ١٩)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم، وأصله في صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

### مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة؛ وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد بدرًا وأحدًا والخندق، وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة؛ وأن عرش الرحمن قد اهتز لموته، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير.  
قال ابن حجر: فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام<sup>(١)</sup>، وله مناقب كثيرة.

قال الذهبي في ترجمته: السيد الكبير الشهيد أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأوسي الأشهلي كان رجلاً أبيض طوالاً جميلاً، حسن الوجه، حسن اللحية<sup>(٢)</sup>: قالت عائشة: كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن أحد أفضل منهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر<sup>(٣)</sup>.

قال ابن إسحاق: لَمَّا أَسْلَمَ وَقَفَ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٨٦). (٢) سير أعلام النبلاء (١١/٢٧٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/٢٧٩).

الْأَشْهَلُ كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ رِجَالُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا أَسْلَمُوا<sup>(١)</sup>.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انطلق سعد بن معاذٍ مُعْتَمِرًا؛ قَالَ: فَزَلَّ عَلَى أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَكَانَ أُمِّيَّةً إِذَا انطلق إلى الشام فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، فَقَالَ أُمِّيَّةٌ لِسَعْدٍ: انْتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ، وَغَفَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتُ فَطُفْتُ، فَبَيْنَا سَعْدٌ يَطُوفُ إِذَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ؟ فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا سَعْدٌ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: تَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ آمِنًا، وَقَدْ أُوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ؛ فَقَالَ: نَعَمْ. فَتَلَا حَيًّا بَيْنَهُمَا. فَقَالَ أُمِّيَّةٌ لِسَعْدٍ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي. ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ لَأَقْطَعَنَّ مَتَجْرَكَ بِالشَّامِ؛ قَالَ: فَجَعَلَ أُمِّيَّةٌ يَقُولُ لِسَعْدٍ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ، وَجَعَلَ يُمَسِّكُهُ، فَغَضِبَ سَعْدٌ. فَقَالَ: دَعْنَا عَنْكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ؛ قَالَ: إِيَّايَ؛ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ؛ إِذَا حَدَّثَ. فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الصَّرِيخُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: فَأَرَادَ أَنْ لَا يَخْرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الْوَادِي، فَسِرْ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، فَسَارَ مَعَهُمْ فَقَتَلَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>.

ويظهر في الموقف السابق شجاعة سعد وشدته على الكافرين، واعتزازه بدينه؛ فمع أنه بمكة لوحده إلا أنه كان يهدد سادات قريش في

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٣٢).

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٤٠).

عقر دارهم؛ وقد أخبر النبي ﷺ أنه من أهل الجنة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: «أُهدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُبَّةً مِنْ سُنْدُسٍ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا؛ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَنَادِيلَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا!»<sup>(١)</sup>.

ومن مواقفه العظيمة: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: «أَصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرَقَةِ، رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ<sup>(٢)</sup>، فَضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ يَعُودُهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السَّلَاحَ فَاعْتَسَلَ، فَاتَاهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ، فَقَالَ: وَضَعْتَ السَّلَاحَ؟ وَاللَّهِ وَمَا وَضَعْنَاهُ، أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَيْنَ؟» فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدٍ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ وَأَنْ تُسَبَى الذَّرِيَّةُ وَالنِّسَاءُ، وَتُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ، قَالَ هِشَامٌ: قَالَ أَبِي: فَأَخْبِرْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ حَكَمَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ ﷻ»، ثُمَّ إِنَّ سَعْدًا قَالَ: وَتَحَجَّرَ كَلِمُهُ لِلْبُرِّءِ<sup>(٣)</sup>: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ. اللَّهُمَّ فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي أُجَاهِدُهُمْ فِيكَ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا. فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ<sup>(٤)</sup> فَلَمْ يَرُعْهُمْ (وَفِي الْمَسْجِدِ مَعَهُ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ) إِلَّا وَالِدَمُّ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٨٠٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٩) واللفظ له.

(٢) عرق في وسط الذراع إذا قطع لم يرقاً الدم.

(٣) أي يبس جرحه وكاد أن يبرأ.

(٤) أي: نحره.

يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ جُرْحُهُ يَغْدُ دَمًا<sup>(١)</sup> فَمَاتَ<sup>(٢)</sup>.

وقد حزن النبي صلى الله عليه وسلم لفراق سعد كثيرًا، وأخبر أن عرش الرحمن قد اهتز لموته، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اهتزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»<sup>(٣)</sup>، ومع هذه المنزلة العظيمة لسعد إلا أنه لم يسلم من ضمة القبر، فروى النسائي في سننه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن سعد بعد وفاته: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضَمَّ ضُمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»<sup>(٤)</sup>، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»<sup>(٥)</sup>، قال الذهبي: وهذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء؛ بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار ونحو ذلك؛ فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه؛ قال تعالى:

(١) يغذ دمًا أي يسيل يقال غذا الجرح يغذ إذا دام سيلانه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤١٢٢)، وصحيح مسلم برقم (١٧٦٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٨٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٦).

(٤) سنن النسائي برقم (٢٠٥٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٤٤١/٢) برقم (١٩٤٢).

(٥) مسند الإمام أحمد (٣٢٧/٤٠) برقم (٢٤٢٨٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٌ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [١٨] غافر]،  
 فنسأل الله تعالى العفو والल्पف. ومع هذه الهزات فسعد ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء رضي الله عنه، كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هول في الدارين، ولا روع ولا ألم ولا خوف، سل ربك العافية وأن يحشرنا في زمرة سعد. اهـ<sup>(١)</sup>.

وكانت وفاته سنة خمس من الهجرة، وهو في ريعان شبابه، عمره آنذاك سبع وثلاثون سنة، صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ودفن بالبقيع، رضي الله عن سعد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٠ - ٢٩١).



الذمير المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فروع يومية

(١٥٠) درساً للذمير والمطبأ وأمة المساجد للقراءة على المصلين

إعداد

والمؤيد بن عبد الله الشقاوي

الجزء الثاني



## أصل الدين وقاعدته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كانت عقبة المكذابين﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب: «وصفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها، وتكفر أهلها وتعاديتهم، وأما معنى الإيمان بالله: أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون ما سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديتهم، وهذه ملة إبراهيم عليه السلام التي سفه نفسه من رغب عنها».

وهذا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأسًا والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف]، فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يُعبد من دون الله، وقال الله عنه: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٤٨﴾﴾ [مريم]. فيجب اعتزال الشرك وأهله والبراءة منهما، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴿٤٩﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

والذين معه هم الرسل كما ذكره ابن جرير، وهذه الآية تتضمن التحريض على التوحيد، ونفي الشرك، والموالاتة لأهل التوحيد، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له، فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد. والعروة الوثقى: هي شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، نفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له<sup>(١)</sup>. اهـ.

وبيّن في موضع آخر أن أصل الدين وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك والموالاتة فيه، وتكفير من تركه، وأدلة هذا في القرآن كثيرة جدًا، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

فأمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة هي لا إله إلا الله، فسرّها

(١) مجموعة التوحيد (ص ١١، ١٤).

بقوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾، فقوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ﴾، فيه معنى لا إله، وهو نفي العبادة عما سوى الله، وقوله: ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾، هو المستثنى في كلمة الإخلاص، فأمره تعالى أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده، ونفيها عن سواه». فإنهما ضدان لا يجتمعان، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد، وقال تعالى في حق من أشرك: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر].

فكفره تعالى باتخاذ الأنداد وهم الشركاء في العبادة، وأمثال هذه الآيات كثير، فلا يكون المرء موحدًا إلا بنفي الشرك والبراءة منه وتكفير من فعله.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك والمعادة فيه، وتكفير من فعله، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف].

والشرك محبط لجميع الأعمال صغيرها وكبيرها، ولا يقبل الله من المشرك صرفاً ولا عدلاً ولا فرضاً ولا نفلاً.

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِحَبْطَنَ عَمَلِكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

وقال عن أنبيائه وأحبابه: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٨٨] [الأنعام].

وإن مما تقشعر منه القلوب والأبدان، وهو منذر بخطر عظيم، يداهم الأمة في أفضل ما تملكه وتعز به، ألا وهو ما يبثه الكفرة أعداء الإسلام عبر القنوات الفضائية وغيرها من الوسائل، من الدعايات الهدامة التي تسعى إلى تشكيك المسلمين في دينهم وتدعوهم بمكر ودهاء إلى الانسلاخ منه، فالحذر من ذلك، إضافة إلى الأخطار الكثيرة التي لا يمكن الخلاص منها إلا بما سبق ذكره من تحقيق التوحيد والتمسك به، ومعرفة الشرك والكفر والحذر منهما، والبراءة من أهلها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



### فوائد من قوله تعالى

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] الخ.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِؤُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ نَسِيْتُ اسْمَيْهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] (١).

يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ - والأمر عام له ولأُمَّته - بلزوم الصالحين، ومصابرة النفس على مصابحتهم، والبقاء معهم، خصوصاً الفقراء منهم والضعفاء، فالآية نزلت فيهم، والمكث معهم أبعد عن مظاهر الدنيا، وفتنتها، ثم ذكر أهم صفاتهم، وهي شغل أوقاتهم بالعبادة بحسب الأحوال، لا يريدون بذلك رياء ولا سمعة، ولا ليقال: فلان قارئ أو عابد، أو عرضاً من الدنيا زائل، إنما يريدون بذلك

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤١٣).

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْشِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

وجه الله تعالى وطلب مرضاته، ثم نهاه تعالى عن مصاحبة أهل الدنيا، فقال: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨] أي: لا تتطلع إلى مصاحبة غيرهم من أهل الشرف والغنى، لما يحصل بذلك من اشتغال القلب بزينة الدنيا عن أمر الآخرة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر القلب، فيغفل عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضيع وقته وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الأبدية والندامة السرمدية». اهـ<sup>(١)</sup>.

ثم نهاه نهياً آخر، فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾، فنهاه عن طاعة الغافلين عن ذكر الله المتبعين أهواءهم، الذين أضاعوا دينهم، فطاعة من هذه صفته هي الخسارة الحقيقية في الدنيا والآخرة، وفي هذه الآية الكريمة فوائد كثيرة:

الأولى: الحثُّ على الصبر. والمراد بالصبر هو الصبر على طاعة الله الذي هو أعلى أنواع الصبر، وقد ذكر الله الصبر في أكثر من تسعين موضعاً من كتابه لأهميته ومكانته العظيمة، بل إنه في الآية الواحدة يتكرر الأمر بالصبر كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

والثانية: استحباب ذكر الله والدعاء طرفي النهار.

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٤٢٥).

ويرغب فيه»<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾  
[ق: ٣٩].

روى أبو داود في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَأَنْ أَقْعَدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَجْلِسَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»<sup>(٣)</sup>.

الثالثة: الحث على مجالسة الصالحين الأخيار، حتى لو كانوا فقراء أو ضعفاء، فإن في مجالستهم خيراً كثيراً، روى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»<sup>(٤)</sup>.

قال أبو سليمان الخطابي: وإنما حذر من صحبة من ليس بتقياً وزجر عن مخالطته، ومؤاكلته؛ لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب. اهـ<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٤٢٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (٣٦٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٩٨) برقم (٣١١٤).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٥).

(٤) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٧) برقم (٤٠٤٥).

(٥) شرح السنة للبيهقي (١٣/٦٩).

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

الرابعة: الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [٣٣] ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ [٣٤] ﴿وَزُخْرَفًا وَإِن كُنتُمْ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف].

الخامسة: الحث على الإخلاص لله تعالى، فقد ذكر الله في الآية الأخرى عن عباده الصالحين أنهم يريدون بهذا العمل وجه الله، لا رياءً ولا سمعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [١] [الإنسان].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٧) برقم (٤٠٤٦).

الكلمة الثالثة والثلاثون

دروس وعبر من

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا... ﴾ [الزخرف] إلى آخر الآيات.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «يخبر تعالى بأن الدنيا لا تساوي عنده شيئاً، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده التي لا يُقَدَّمُ عليها شيئاً لَوَسَّعَ الدنيا على الذين كفروا توسيعاً عظيماً، ولجعل ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ أي درجاً من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ إلى سطوحهم. ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا﴾ من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ﴾، ﴿وَزُخْرُفًا﴾ أي: ولزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، لكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفاً عليهم من التسارع في الكفر، وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعاً عاماً أو خاصاً لمصالحهم، وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا منغصة مكدرة فانية، وأن الآخرة عند الله خير للمتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيه، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهيhe الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها

خالدون، فما أشد الفرق بين الدارين»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وفي هذه الآيات الكريمات فوائد كثيرة منها:

- أن ما يعطيه الله الكفار من نعم الدنيا إنما ذلك لهوان الدنيا عنده، وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْمْ طَبِيبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِذَا كُنتُمْ فَسْفُونَ﴾ [الأحقاف]، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أُفْضِيَ إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»<sup>(٢)</sup>.

ولهذا قال عمر رضي الله عنه عندما صعد إلى مشربة النبي صلى الله عليه وسلم، لما آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه، فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال: يا رسول الله: هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه؟! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس. وقال: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَبِيبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا» وفي رواية: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟!»<sup>(٣)</sup>.

- ومنها: أن كثرة النعم والخيرات التي يعطيها الله لعبده ليست دليلاً على محبته.

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٧٦٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٠٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٩١٣)، وصحيح مسلم برقم (١٤٧٩).

الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون]، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ»<sup>(١)</sup>. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية: ﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

ومنها أن فيها الترغيب في الآخرة والزهد في الدنيا، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه].

ومنها بيان حقارة الدنيا وهوانها على الله، روى الترمذي في سننه من حديث سهل بن سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرِزُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفْتُهُ، فَمَرَّ بِجَدِي أَسَكَّ - أَي صَغِيرِ الْأُذُنِ - مِيَّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مِيَّتٌ؟! فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث مستورد أخي بني فهر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ

(١) مسند الإمام أحمد (٢٨/٥٤٧) برقم (١٧٣١١)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٢٠)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٧).

دروس وعبر من قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾

هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا تَرْجِعُ؟<sup>(١)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: لو أن الدنيا من أولها إلى آخرها أوتيتها رجل، ثم جاء الموت، لكان بمنزلة من رأى في منامه ما يسره، ثم استيقظ فإذا ليس في يده شيء<sup>(٢)</sup>.

وقال أحد السلف: نعيم الدنيا بحذافيره في جنب نعيم الآخرة، أقل من ذرة في جنب جبال الدنيا<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله: ومن حذق بصيرته في الدنيا والآخرة، علم أن الأمر كذلك<sup>(٤)</sup>.

ومنها: أن الله تعالى يمنع عبده بعضاً من أمور الدنيا لينال منزلة عالية عنده يوم القيامة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُجِبُّهُ، كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ»<sup>(٥)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٥٨).

(٢) مدارج السالكين (٩٧/٣).

(٣) مدارج السالكين (٩٧/٣).

(٤) مدارج السالكين (٩٧/٣).

(٥) مسند الإمام أحمد (٣٧/٣٩) برقم (٢٣٦٢٧)، وقال محققوه: حديث صحيح.

## أكل المال الحرام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بينة، فيجحد المال، ويخاصمهم إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه، وأنه آثم آكل للحرام<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء]. روى الترمذي في سننه من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»<sup>(٢)</sup>.

ومما يلاحظ، تساهل كثير من الناس في أكل المال الحرام، وذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ: «لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمْ مِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟!»<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢١٠).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٣٦)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢١٤٨).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٠٨٣).

قال ابن المبارك: لأن أرد درهماً من شبهة أحب إليّ من أن أتصدّق بمئة ألف.

قال عمر رضي الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام» وإنما فعل ذلك رضي الله عنه امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النعمان بن بشير: «الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»<sup>(١)</sup> الحديث.

ومن صور أكل المال المحرم: الربا الذي حرّمه الله ورسوله، ولعن آكله، وكاتبه، وشاهديه. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢٧٨)</sup> [البقرة]. وقد غلب حب المال على قلوب بعض المسلمين، فصاروا يتسابقون إلى شراء أسهم البنوك الربوية، وآخرون يودعون أموالهم في البنوك ويأخذون عليها زيادة ربوية يسمونها فوائد، وإن من الجرائم العظيمة والأمر الخطيرة، ما نشاهده من تسابق أهل هذه البنوك بوضع شتى الطرق والحيل لإيقاع الناس في الربا، وترغيبهم بشتى الوسائل لتزداد أرصدتهم من هذه الأموال الخبيثة، وعلى سبيل المثال: ما يسمى بطاقة فيزا سامبا، وقد صدرت فيها فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم التعامل بها وأنها من الربا الذي حرّمه الله ورسوله، وهي بطاقة يصدرها البنك بمبلغ معين يسمى قيمة إصدار، ويحق لحاملها أن يشتري ما شاء من سلع وحاجيات على أن يرد قيمة هذه السلع خلال مدة معينة، فإن لم يفعل فإنه يحسب عليه عن كل يوم فائدة<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩).

(٢) فتوى رقم (١٧٦١١).

ومن صور أكل المال المحرم: الاعتداء على رواتب العمال وعدم إعطائهم حقوقهم في أوقاتها، وأكل مال اليتيم، والاعتداء على ممتلكات الناس، ومن صور أكل المال المحرم التي نشاهدها كثيرًا في الأسواق: الحلف على السلعة باليمين الكاذب، والغش في المعاملات وغير ذلك. وأكل الحرام إنما يعرّض نفسه للعقوبة في الدنيا، وفي قبره، ويوم القيامة.

أما في الدنيا: فقد تكون العقوبة خسارة في ماله، أو محق إلهي للمال الذي اكتسبه ونزع البركة منه، أو مصيبة في جسده، قال تعالى: ﴿يَمَحُوقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة].

وأما في قبره، فقد ورد في الحديث أن عبدًا يُقال له مدغم كان مع النبي ﷺ، واستشهد في غزوة خيبر، أصابه سهم طائش، فقال الصحابة رضي الله عنهم: هنيئًا له الشهادة، فقال النبي ﷺ: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا» فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكِ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «شِرَاكِ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ مِنْ نَارٍ»<sup>(١)</sup>.

وهذه الشملة عباءة قيمتها دراهم معدودة، ومع ذلك لم يسلم صاحبها من عقوبة أكل المال الحرام.

وأما في الآخرة فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث كعب بن عجرة: أن النبي ﷺ قال له: «يَا كَعْبُ! لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتِ النَّارِ أَوْلَى بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٧٠٧).

(٢) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٤٢٥/٢٣) برقم (١٥٢٨٤) وقال محققوه:

إسناده قوي على شرط مسلم.

قال الشاعر:

المال يذهب حِلُّهُ وَحَرَامُهُ      يَوْمًا وَتَبَقَى فِي غَدِ آثَامُهُ  
لَيْسَ التَّقِي بِمُتَّقٍ لِإِلَهِهِ      حَتَّى يَطِيبَ شَرَابُهُ وَطَعَامُهُ

ومن عقوبة أكل المال الحرام: حرمان إجابة الدعاء وقبول العبادة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون]، وَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث فيه تحذير لطائفة من الناس خدعهم الشيطان، وزين لهم أعمالهم السيئة، فتراهم يأكلون الحرام وينفقون منه في بعض الأعمال الصالحة، كبناء المساجد، أو المدارس، أو حفر الآبار، أو غير ذلك، ويظنون أنهم بهذا برئت ذمتهم، فهؤلاء يُعاقبون مرتين:

الأولى: أن الله لا يقبل منهم أعمالهم الصالحة التي أنفقوا عليها من الأموال المحرمة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»<sup>(٢)</sup>.  
الثانية: أن الله يعاقبهم على هذا المال المحرم، ويحاسبون عليه يوم القيامة.

روى البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها: أن

(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٥).

(٢) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (١٠١٥).

النبي ﷺ قال: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوِّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

قال سفيان الثوري: من أنفق الحرام في الطاعة، فهو كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهر إلا بالماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عن سواك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٣١١٨).



## وقفه مع آيات من كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى في سياق قصة آدم مع عدو الله إبليس: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأِمَّا يَا آدَمُ فَانكَبْ عَنْ هَذِهِ فَمَنِ اتَّبَعَ هَذَا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿طه﴾. ]

ذكر الله سبحانه في هذه الآيات حال من اتبع هداية وما له من الرغد وطيب الحياة في معاشه ومعاذته، فقال: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هَذَا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ ﴾، فتكفل الله لمن حفظ عهده علماً وعملاً أن يحييه حياة طيبة، ويجزيه أجره في الآخرة، فقال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل].

وقال سبحانه: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس].

ثم بين سبحانه حال الفريق الآخر فقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴿طه: ١٢٤﴾ أي كتابي، ولم يتبعه ويعمل بما فيه، ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (أي في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدوره، بل صدره ضيق حرج لضلّاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء

وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في رَيْبِهِ يتردد فهذا من ضنك المعيشة<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ، والصحيح أنها تتناول معيشته في الدنيا، وحاله في البرزخ؛ فإنه يكون في ضنك في الدارين، وهو شدة وجهد وضيق، وفي الآخرة يُنسى في العذاب، وهذا عكس أهل السعادة والفلاح، فإن حياتهم في الدنيا أطيبت الحياة، ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [١٣٤]؛ اختلف المفسرون في ذلك: هل هو من عمى البصيرة أو من عمى البصر؟ فمن قال: إنه من عمى البصيرة، استدل بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [٢٢]؛ [الفرقان]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [٤٥]؛ [الشورى]، وغير ذلك من الآيات التي أثبتت لهم الرؤية في الآخرة.

والذين قالوا: إنه من عمى البصر؛ استدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [٩٧]؛ [الإسراء].

وقد فصل في ذلك العلامة ابن القيم، وخلص إلى أن الحشر ينقسم إلى قسمين: الأول من القبور إلى الموقف، والثاني من الموقف إلى النار.

(١) تفسير ابن كثير (٣٧٧/٩).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧٩).



والآخرة، وتحصل له الطمأنينة، وانسراح الصدر والشفاء من أمراض الأبدان والقلوب، والهداية إلى صراط الله المستقيم.

قال تعالى: ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

روى الطبراني في المعجم الصغير من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيكَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعَتْ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَأَنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَلَّا أَرَكَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ (١).

(١) معجم الطبراني الصغير (١/٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٧) رجاله رجال الصحيح إلا عبد الله بن عمران وهو ثقة وله شاهد من حديث ابن عباس كما في المجمع (٧/٧) وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

قال الشيخ مقبل الوداعي في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص ٨٠ - ٨١) وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/٢٤٠) و(٨/١٢٥) والواحدي في أسباب النزول بهذا السند، وقال الشوكاني: إن المقدسي حسنه، وله شواهد كما في تفسير ابن كثير (٤/١٥١-١٥٢) تزيده قوة.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي من عمل بما أمره الله ورسوله وترك ما نهاه الله ورسوله، فإن الله رَحِمَكَ وَسَكَنَهُ دار كرامته، ويجعله مرافقاً للأنبياء، ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم، ثم أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء] (١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ» فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ غَشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَّصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَالْحَقِيقِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُخَيَّرُ (٢).

قال ابن حجر: الرفيق الأعلى: هم المذكورون في سورة النساء في قوله: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾ الآية (٣).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان، فقال النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ عَلَيَّ هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا - وَنَصَبَ إِصْبَعِيهِ - مَا

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٥١-١٥٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٣٧، ٤٤٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٤٤).

(٣) فتح الباري (٨/١٣٨).

لَمْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتته بوضوءه وحاجته، فقال لي: «سَلْ»، فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قلت: هو ذاك، قال: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: وأعظم من هذا كله ما ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرها من طرق متواترة، عن جمع من الصحابة، أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال النبي ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث<sup>(٣)(٤)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءُونَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»<sup>(٥)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٣٩/٥٢٢ - ٥٢٣) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) صحيح مسلم برقم (٤٨٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/١٥٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦١٦٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٠).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٢٥٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٣١).



### شرح حديث: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث اشتمل على حكم عظيمة، وجمل نافعة، ينبغي أن ننفق عندها وقفة تأمل وتدبر، وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة صغيرة اختصرت كلامه فيها في هذه الكلمة:

قوله: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ» يعني أن الله بعثه داعياً إلى توحيده بالسيف بعد دعائه بالحجة، فمن لم يستجب إلى التوحيد بالقرآن والحجة والبيان دُعي بالسيف، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد]، وفيه إشارة إلى قرب

(١) مسند الإمام أحمد (٢/٩٢). وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/٥٠٩): إسناده

بعثته ﷺ من قيام الساعة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» قال: وضم السبابة والوسطى<sup>(١)</sup>.

وقوله: «حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» هذا هو المقصود الأعظم من بعثته وبعثة الرسل من قبله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [٢٥] ﴿[الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل]؛ بل هذا هو المقصود من خلق الخلق وإيجادهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] ﴿[الذاريات]، فما خلقهم إلا ليأمرهم بعبادته، وأخذ عليهم العهد لما استخرجهم من صلب آدم، على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقوله: «وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي» فيه إشارة إلى أن الله لم يبعثه بالسعي في طلب الدنيا ولا بجمعها واكتنازها، ولا الاجتهاد في السعي في أسبابها، وإنما بعثه داعياً إلى توحيد بالسيف، ومن لازم ذلك أن يقتل أعداءه الممتنعين عن قبول دعوة التوحيد ويستبيح أموالهم، ويسبي نساءهم وذرايهم، فيكون رزقه مما أفاء الله من أموال أعدائه، فإن المال إنما خلقه لبني آدم يستعينون به على طاعته وعبادته، فمن استعان به على الكفر بالله والشرك به، سلط الله عليه رسوله وأتباعه، فانتزعه منه وأعادوه إلى من هو أولى به من أهل

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥١).

عبادة الله وتوحيده وطاعته، ولهذا يسمى الفيء لرجوعه إلى من كان أحق به، ولأجله خُلِقَ.

قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٩]، وهذا مما خص الله به محمدًا ﷺ وأُمَّته، فإنه أحل لهم الغنائم.

قوله: «وَجِعَلَ الذُّلَّ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» هذا يدل على أن العز والرفعة في الدنيا والآخرة بمتابعة أمر رسول الله ﷺ؛ لامثال متابعة أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]، فالذلة والصغار تحصل بمخالفة أمر الله، والمخالفون لأمر الله ورسوله ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مخالفة من لا يعتقد طاعة أمره، كمخالفة الكفار وأهل الكتاب الذين لا يرون طاعة الرسول ﷺ فهم تحت الذلة والصغار، ولهذا أمر الله بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وضرب على اليهود الذلة والمسكنة لأن كفرهم بالرسول ﷺ كفر عناد.

الثاني: من اعتقد طاعته ثم يخالف أمره بالمعاصي التي يعتقد أنها معصية، فله نصيب من الذل والصغار.

قال الحسن البصري: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَطَتْ بِهِمُ الْبَغَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَادِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ»، وقال الإمام أحمد بن حنبل: اللهم أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية، قال الشاعر أبو العتاهية:

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرْمُ      وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالسَّقَمُ  
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ      إِذَا حَقَّقَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ

الثالث: من خالف أمره من أهل الشبهات؛ وهم أهل الأهواء والبدع، فكلهم لهم نصيب من الذل والصغار بحسب مخالفتهم لأوامره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيَأْتِيهِمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وأهل البدع والأهواء كلهم مفترون على الله، وبدعتهم تتغلظ بحسب كثرة افتراءهم عليه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أعظم ما حصل به الذل من مخالفته أمر الرسول ﷺ: ترك ما كان عليه من جهاد أعداء الله، فمن سلك سبيل الرسول ﷺ في الجهاد عز، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذل».

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْتَةِ، وَأَخَذْتُمْ أذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

ورأى النبي ﷺ سكة الحرث فقال: «مَا دَخَلَتْ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهَا الذُّلُّ»<sup>(٢)</sup>، فمن ترك ما كان عليه النبي ﷺ من الجهاد مع قدرته واشتغل عنه بتحصيل الدنيا من وجوها المباحة، حصل له الذل. فكيف إذا اشتغل عن الجهاد بجمع الدنيا من وجوها المحرمة؟!<sup>(٣)</sup> اهـ.

قوله: «وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، هذا يدل على أمرين:

(١) سنن أبي داود برقم (٣٤٦٢). قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٩/٣٠): إسناده جيد.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٣٢١).

(٣) شرح حديث يتبع الميت ثلاثة لابن رجب الحنبلي.

أحدهما: التشبه بأهل الشر مثل أهل الكفر والفسوق والعصيان، وقد وبخ الله من تشبه بهم في شيء من قبائحهم، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا أَصْتَمْتَعُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٩٦].

وقد نهى النبي ﷺ عن التشبه بالمشركين وأهل الكتاب، فهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وعن حلق اللحية، وعن تسليم اليهود والنصارى وغيرها من النواهي.

الثاني: التشبه بأهل الخير والتقوى، فهذا حسن وهذا مندوب إليه، ولهذا يشرع الاقتداء بالنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأخلاقه، وذلك مقتضى المحبة الصحيحة، فإن المرء مع من أحب، ولا بد من مشاركته في أصل عمله وإن قصر المحب عن درجته.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





## سورة التكاثر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر سورة التكاثر، قال تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ ۱ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ ۲ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ۳ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ۴ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۚ ۵ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۚ ۶ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۚ ۷ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۚ ۸﴾ [التكاثر].

قوله تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ ۱﴾ قال ابن كثير: يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها<sup>(١)</sup>.

روى مسلم في صحيحه من حديث مطرف عن أبيه عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ ۱﴾ قال: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!».

وفي رواية له: «وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٤٤٢/١٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٨).

قال الشاعر:

يا جَامِعَ المالِ في الدنيا لِوارثه هل أنتَ بِالْمَالِ بعدَ المَوْتِ تَنْتَفِعُ  
لا تُمَسِّكُ المالَ واستَرَضِ الإِلهَ بِهِ فَإِنَّ حَسْبَكَ مِنْهُ الرِّيُّ والشَّبَعُ

وقوله: ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ (٢) قال ابن القيم: «وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت، إيداناً بأنهم غير مستبقين ولا مستقرين في القبور، وأنهم بمنزلة الزائرين يحضرونها مرة ثم يظعنون عنها، كما كانوا في الدنيا كذلك زائرين لها غير مستقرين فيها. ودار القرار هي الجنة أو النار»<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ أي: ما هكذا ينبغي أن يُلهيكم التكاثر عن طاعة الله، وسوف تعلمون عاقبة تشاغلكم بالتكاثر، وكرر الجملة هنا لزيادة التأكيد، كما قال بعض المفسرين.

قال ابن القيم: وقيل: ليس تأكيداً؛ بل العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر، وهذا قول الحسن ومقاتل ورواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ (٥) أي لو تعلمون ما أمامكم علماً يصل إلى القلوب لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي صيركم إلى ما ترون.

وقوله: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ هذا قسمٌ من الله تعالى بأن عباده - مؤمنهم وكافرهم - سيشاهدون النار بأعينهم، ثم أكد هذا الخبر بأنه واقع لا محالة، وأنهم سيكونون متيقنين برؤية النار يقيناً لا شك فيه، ولكن الله ينجي المؤمنين منها، وقد جعل

(١) تفسير ابن القيم (ص ٥١٣).

(٢) تفسير ابن القيم (ص ٥١٥).

سبحانه رؤيتهم لها ليعرفوا فضل الله عليهم بإنجائهم منها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ٧١﴾ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ٧٢ ﴿ [مريم].

وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر] أي: ليسألنكم الله يوم القيامة عن كل نعمة أنعم بها عليكم، كالأمن والصحة والسمع والبصر والعافية، وما يطعمه الإنسان ويشربه، هل قمتم بشكرها وأديتم حق الله فيها ولم تستعينوا بها على معاصيه، أم اغتررتم بها ولم تقوموا بشكرها فيعاقبكم على ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟». قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا». فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرَحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَيْنَ فُلَانٌ؟». قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْدِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ؛ فَنظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ، وَتَمْرٌ، وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِّيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ». فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُّوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمُ مِنَ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمُ هَذَا النَّعِيمُ» (١).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٠٣٨).

قال النووي في شرح الحديث: والسؤال هنا سؤال تعداد النعم وإعلام بالامتنان بها، وإظهار الكرامة بإسباغها، لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة<sup>(١)</sup>.

وأما بالنسبة للكفار فإنه سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»<sup>(٢)</sup>. وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأُسَوِّدْكَ<sup>(٣)</sup> وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَفْظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»<sup>(٤)</sup>.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي الْعَبْدَ - مِنَ النِّعَمِ أَنْ يُقَالَ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ وَنَرَوَيْكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»<sup>(٥)</sup>.

قال ابن القيم: فله ما أعظمها من سورة، وأجلها وأعظمها فائدة، وأبلغها موعظة وتحذيراً، وأشدّها ترغيباً في الآخرة، وتزهيداً

(١) شرح النووي (٥/٢١٤).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٤١٦) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) أي: أجعلك سيّداً على غيرك.

(٤) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٨).

(٥) سنن الترمذي برقم (٣٣٥٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٧٦) برقم

السر المنتقاة من الكتابات البقاة

٢١٧

في الدنيا، على غاية اختصارها وجزالة ألفاظها وحسن نظمها، فتبارك من تكلم بها حقاً، وبلغها رسوله عنه وحيّاً<sup>(١)</sup>. اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التفسير القيم (ص ٥٢٣).



## سورة الإخلاص

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، قال سبحانه: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص].

وجعل فيه الشفاء والنور والهداية، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ [فصلت: ٤٤].

ومن السور التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر سورة الإخلاص، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٣ ﴾ [الإخلاص].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤْمِنُهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتِحَ سُورَةٌ يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتِحَ بِ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ ﴾، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَأَمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِنَّمَا أَنْ تَدْعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى؛ فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنَّ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَوْمَكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكَتُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يُؤْمَهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا آتَاهُمْ

النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «يَا فَلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟!» فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُهَا. وفي رواية: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ ﷻ<sup>(١)</sup> فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟». فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثَلَاثُ الْقُرْآنِ»<sup>(٣)</sup>.

وكان النبي ﷺ يستشفى بهذه السورة مع غيرها من السور، والقرآن كله شفاء.

روى البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ ١﴾؛ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَدْبَرَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١﴾ قال ابن كثير: أي هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل

(١) صحيح البخاري برقم (٧٣٧٥)، وصحيح مسلم برقم (٨١٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٧٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٠١٥)، ورواه مسلم من طريق أبي الدرداء برقم (٨١١).

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٠١٧).

في جميع صفاته وأفعاله<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾<sup>(٢)</sup> قال عكرمة عن ابن عباس: الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، والعرب تسمي أشرافها الصمد، وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده.

وقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾<sup>(٣)</sup> وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ<sup>(٤)</sup> أي: ليس له والد ولا ولد ولا صاحبة.

قال مجاهد: «ولم يكن له كفواً أحد، أي: صاحبة». اهـ.

والمراد بالصاحبة: الزوجة، كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup> [الأنعام]، أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟! تعالى وتقدس.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾<sup>(٦)</sup> لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا<sup>(٧)</sup> تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا<sup>(٨)</sup> أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا<sup>(٩)</sup> وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا<sup>(١٠)</sup> إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا<sup>(١١)</sup> لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا<sup>(١٢)</sup> [مريم].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري<sup>(عنه)</sup>: أن النبي<sup>(صلى الله عليه وسلم)</sup> قال: «مَا أَحَدٌ أَضْبَرُ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»<sup>(١٣)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة<sup>(رضي الله عنه)</sup>: عَنِ النَّبِيِّ<sup>(صلى الله عليه وسلم)</sup> قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٥١٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٣٧٨).

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ  
أَوَّلَ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ  
وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»<sup>(١)</sup>.

ومن فوائد هذه السورة الكريمة:

أولاً: إثبات وحدانية الله جل وعلا والرد على اليهود، والنصارى  
الذين يجعلون له الولد، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ  
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَن يُوَفَّكَوت ﴿٣٠﴾ [التوبة].

ثانياً: أن هذه السورة اشتملت على اسم الله الأعظم الذي إذا سُئِلَ  
به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب.

روى أبو داود في سننه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرِيدَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه:  
أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ  
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا  
أَحَدٌ. فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ  
أَجَابَ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: استحباب قراءتها عند المبيت كما تقدم من فعله عليه الصلاة  
والسلام، وقراءتها أيضاً صباحاً ومساءً ثلاث مرات.

روى أبو داود في سننه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ رضي الله عنه أَنَّهُ  
قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطَلُبُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه لِيُصَلِّيَ لَنَا،

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٧٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (١٤٩٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٧٩/١) برقم (١٣٢٤).

فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: «أَصَلَيْتُمْ؟» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* وَالْمَعُودَتَيْنِ، حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن أبي داود برقم (٥٠٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٥٧ - ٩٥٨) برقم (٤٢٤١).



الكلمة الأربعون

وقفة مع قوله تعالى

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴿١﴾﴾ الآية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿١﴾ هنا الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل من يتأتى خطابه، فهو مأمور بالبشارة إن كان الرسول ﷺ، فكل من خلفه في العلم والدعوة فإنه يمكن أن يقول هذه البشارة، وهي الإخبار بما يسر، وهنا المُبشِّر هم المؤمنون الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والمُبشَّر به جنات تجري من تحتها الأنهار، والمُبشِّر هو الرسول ﷺ، والأمر بالتبشير هو الله تعالى.

وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿١﴾ أي: جمعوا بين الاستسلام الباطن، وهو الإيمان، والاستسلام الظاهر، وهو العمل الصالح، وجمعوا بين الإخلاص في القلب، وهو أمر باطن، والمتابعة للرسول ﷺ، وهو أمر ظاهر، فالبشرى لمن جمع بين الأمرين.

وقوله: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ﴿١﴾ أي: بساتين جامعة للأشجار،

وسميت جنة لأنها تجن من فيها، أي تستره لكثرة أشجارها وأغصانها.

والمراد هنا: دار النعيم التي أعدها الله للمتقين، والأنهار التي تجري من تحتها أي من أسفلها وتحت القصور والأشجار، وهي أربعة أصناف ذكرها الله بقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [١٥] ﴿[محمد] الآية (١)﴾.

وقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، لأنه يشبهه في اللون والحجم، ولكنهم إذا طعموه تبين لهم أنه غيره، وهذا من تمام لذة الآكلين إذا أتوا بالطعام أو بالثمر متشابهًا، ولكنه يختلف في الذوق، حيث صار هذا من تمام اللذة وكمال النعمة.

وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، قال مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلِقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَاتُهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٢).

(١) من أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين (ص ١٢٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٧٩٦)، وصحيح مسلم برقم (١٨٨٠).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن أرقم رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْحِمَامِ وَالشَّهْوَةِ».

فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَاجَةٌ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جِلْدِهِ فَإِذَا بَطْنُهُ قَدْ ضَمَرَ»<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هو تمام السعادة فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع، فهو نعيم سرمدي أبدي. ومن فوائد الآية الكريمة: قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله في كتابه: من أحكام القرآن:

أولاً: أنه ينبغي أن يبشر العامل بما يستحق من الثواب، لأن ذلك أبلغ في نشاطه ومثابرته على العمل.

ثانياً: أن البشرى بالجنة لا تكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً، فمجرد العقيدة لا تكفي للبشارة بالجنة؛ بل لا بد من إيمان وعمل، ولهذا يربط الله تعالى دائماً الإيمان بالعمل الصالح.

ثالثاً: أن في الجنة أنهاراً وثماراً، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافاً عظيماً لا يمكن أن يدركه الإنسان بحسه في الدنيا كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٧)</sup> [السجدة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنَ

(١) مسند الإمام أحمد (٦٥/٣٢) برقم (١٩٣١٤)، وقال محققوه: حديث صحيح.

رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، فَاقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿٥٥﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴿٥٦﴾﴾<sup>(١)</sup>.

رابعًا: أن في الجنة أزواجًا مطهرة يتلذذ الإنسان بهن، ويتمتع بهن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِنُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ فَصْرَتُ الْأَطْرَفِ لَمَّا يَطْمِئِنُّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن].

وهذا يدل على أنهم يتلذذون بهذه الزوجات في الجلوس على الأرائك والاتكاء عليها، مع تقديم الفواكه من الولدان والخدم.

خامسًا: أن أهل الجنة خالدون فيها، وقد بينت الآية الأخرى أن هذا الخلود خلود أبدي: قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف]<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٤).

(٢) أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين (ص ١٣٠ - ١٣٤).

### وقفة مع حديث وفاة أبي طالب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويُعيدُ له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَا أَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص] (١).

وفي رواية أنه قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حملة على

(١) صحيح البخاري برقم (٣٨٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٤) واللفظ له.

ذلك الجزع لأقررت بها عينك<sup>(١)</sup>.

قال أبو طالب في شعره:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ      مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا  
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِ مَسَبَّةٍ      لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عبد الله ابن أبي أمية ابن المغيرة قد أسلم وحسن إسلامه في آخر حياته<sup>(٢)</sup>، أما أبو جهل الطاغية المعروف فقد قتل يوم بدر على الكفر.

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة من ذلك:

أولاً: أنه لا يجوز الاستغفار للمشركين، ولا الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة ودخول الجنة والنجاة من النار.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ، فَقَالَ: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي أَنْ أُرْوَرَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير رحمه الله:

وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من الممادح والثناء وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها وما تضمنته من العيب والتنقص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تُداني ولا

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٦).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥).

(٣) صحيح مسلم برقم (٩٧٦).

تسامى ولا يُمكن عربياً مُقاربتُها ولا معارضتها، وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله ﷺ صادق بار راشد ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان، لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة والحجة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه. ا.هـ. (١).

وقد نهى تعالى نبيه والمؤمنين عن الاستغفار لمن مات مشركاً، ولو كان قريباً أو حبيباً، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة].

كما بين ﷺ أن الاستغفار لهم لا ينفعهم ولا يقبله الله من صاحبه، قال تعالى: ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة].

ثانياً: إن شفاعة النبي ﷺ لعمه اقتضرت بعد نزول الآيات الكريمت على تخفيف العذاب عنه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضِبُ لَكَ» قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ (٢) مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُتَّعِلٌ

(١) البداية والنهاية (٤/ ٣١٤ - ٣١٥) بتصرف.

(٢) الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٨٨٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٩).

بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ» (١).

وفي رواية: «مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا» (٢).

ثالثًا: أن الشرك لا تنفع معه طاعة، ولا يقبل الله من صاحبه صرفًا ولا عدلاً ولا فرضًا ولا نفلًا، بل هو محبط لجميع الأعمال الصالحة كبيرها وصغيرها، هذا حكم الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٣٣) [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) [الزمر].

وقال عن أنبيائه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ» (٣).

رابعًا: أن المشرك لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة، حتى لو كان هذا الشافع نبيًا كريمًا أو وليًا صالحًا.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَلْقَىٰ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَزْرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَىٰ وَجْهِ أَزْرٍ قَتْرَةٌ وَغَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تَعْصِنِي؟! فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَىٰ مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ! فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلِكَ؟»

(١) صحيح مسلم برقم (٢١٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٨٥).

فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِدِيحٍ (١) مُلْتَطِحٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٣١٤) [الشعراء]: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» (٣) .. الحديث.

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَضْعِفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ (٣٧) [سبأ].

خامسًا: الحذر من صحبة الأشرار، ففي الحديث أن أبا جهل وعبد الله ابن أبي أمية ما زالا يحرضان أبا طالب على الثبات على دينه حتى مات على الكفر وختم له بتلك الخاتمة السيئة.

وقد حث النبي ﷺ على اختيار الجليس الصالح، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (٤).

قال الشاعر:

عن المرء لا تسلّ وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي  
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى  
آله وصحبه أجمعين.

(١) الضبع الذكر.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٥٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٧١)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٦).

(٤) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١٧/٣) برقم (٤٠٤٦).



تأملات في قوله تعالى:

﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِّنْ سَعِيَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

قال القرطبي: ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوع؛ لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار، وكذلك سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها لانتفاء الرياء عنها، وليس كذلك الواجبات<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال ابن كثير: وفي الآية دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية وإلا فالإسرار أفضل<sup>(٢)</sup>. اهـ.

قال القرطبي: وهذا - أي إظهار الصدقة - لمن قويت حالته

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٢٢).

(١) تفسير القرطبي (٣/٣٣٢).

وحسنت نيته وأمن من الرياء، وأما من ضعف عن هذه الرتبة فالسر له أفضل. اهـ<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتُوْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.

قال ابن القيم: وتأمل تقييده تعالى الإخفاء بإيتاء الفقراء خاصة، ولم يقل: وإن تخفوها فهو خير لكم، فإن من الصدقة ما لم يمكن إخفاؤه، كتجهيز جيش، وبناء قنطرة، وإجراء نهر، أو غير ذلك، وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد الستر عليه، وعدم تخجيله بين الناس، وإقامته مقام الفضيحة وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى، وأنه لا شيء له؛ فيزهدون في معاملته ومعاوضته؛ وهذا قدر زائد من الإحسان إليه لمجرد الصدقة مع تضمنه الإخلاص.... إلى آخر ما قال<sup>(٢)</sup>.

وقد مدح النبي ﷺ صدقة السر وأثنى على فاعلها، وأخبر أنه أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة، ولهذا جعله سبحانه خيراً للمنفق، وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته؛ ولا تخفى عليه سبحانه أعمالكم ولا نياتكم فإنه بما تعلمون خبير.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»<sup>(٣)</sup>.

وذكر النبي ﷺ صنفاً آخر يستحق ذلك التكريم، وهو الذي ذكر الله

(١) تفسير القرطبي (٣/٣٣٣).

(٢) تفسير ابن القيم (ص ١٧٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٤٢٣)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).

خالياً ففاضت عيناه.

روى أبو داود في سننه من حديث معاذ رضي عنه: أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة»<sup>(١)</sup>.

وروى الطبراني في المعجم الصغير من حديث عبد الله بن جعفر: أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «صدقة السرّ تُطفئ غضب الربّ»<sup>(٢)</sup>.

قال العز بن عبد السلام في تفاوت فضل الإسرار والإعلان بالطاعات: فإن قيل: هل الإخفاء أفضل من الإعلان لما فيه من اجتناب الرياء أم لا؟ فالجواب أن الطاعات ثلاثة أضرب: أحدها ما شرع مجهوراً كالأذان والإقامة والتكبير والجهر بالقراءة في الصلاة؛ والخطب الشرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وإقامة الجمعة والجماعات، وغير ذلك، فهذا لا يمكن إخفاؤه، فإن خاف فاعله الرياء جاهد نفسه في دفعه إلى أن تحضره نية الإخلاص، فيأتي به مخلصاً كما شرع؛ فيحصل على أجر ذلك الفعل، وعلى أجر المجاهد لما فيه من المصلحة المتعدية.

الثاني: ما يكون إسراره خيراً من إعلانه، كإسرار القراءة في الصلاة، وإسرار أذكارها، فهذا إسراره خيراً من إعلانه.

الثالث: ما يخفى تارة ويظهر أخرى، كالصدقات، فإن خاف على

(١) سنن أبي داود برقم (١٣٣٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٤٨) برقم (١١٨٤).

(٢) المعجم الصغير للطبراني (٢/٩٥) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٥٩).

نفسه الرياء، أو عُرف ذلك منه كان الإخفاء أفضل من الإبداء لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَخَفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] إلى آخر ما قال (١).

ومما تقدّم من الآيات والأحاديث يتبيّن أنه ينبغي للمؤمن أن يخفي أعماله الصالحة عن الخلق، إلا التي يشرع إعلانها، فإن الذي يعمل لأجله لا تخفى عليه أعماله، وسيجزيه عليها أوفر الجزاء، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وليعلم العبد أنه لا ينفعه اطلاع الناس على ما يعمل؛ بل قد يضره إذا أحب ذلك.

وقد كان هدي السلف الصالح الحرص على إخفاء الأعمال، وذلك لكمال إخلاصهم وصفاء نياتهم.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: «مَرَزْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَخْفِضُ صَوْتَكَ» فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ (٢).

ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره، يتبع به المساكين في الظلمة ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب.

وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل، وقال بعضهم: ما فقدنا صدقة السر حتى توفي علي (٣).

(١) قواعد الأحكام (١/١٥٢).

(٢) سنن أبي داود برقم (١٣٢٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٤٧) برقم (١١٨٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/٦٨٣).

ونقل المنذر بن سعيد عن جارية للربيع أنه كان يدخل عليه الداخل وفي حجره المصحف فيغطيه<sup>(١)</sup>، وذكر ابن الجوزي أن داود بن أبي هند صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله، كان يأخذ غداءه ويخرج إلى السوق فيتصدق به في الطريق، فأهل السوق يظنون أنه قد أكل في البيت، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل في السوق.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليّ منه شيء<sup>(٢)</sup>.

وقال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: إن كان الرجل ليجمع القرآن وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليفقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركت أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدر أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا، لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٣١٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢١).



## الولاء والبراء في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين وبغضهم، وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام، وهي ملة نبينا وملتنا، وقدوته، وقدوتنا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وهو مبني على أصليين: الأول: إخلاص العبادة لله سبحانه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١١١] قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١١٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [١١٣] [الأنعام].

الثاني: البراءة من الشرك والمشركين وإظهار عداوتهم. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤].

وإذا كان واجباً على المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم، فكونه واجباً مع الكفار الأبعدين عنه، المخالفين له في جميع

الأمور أبين وأبين، فمن لم يحقق هذين الأصلين لا يصح له أن يتسبب إلى إبراهيم وملته.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْنِعَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة]. بل لقد حرم على المؤمن موالاته الكافرين ولو كانوا من أقرب الناس إليه. قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وذكر الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب صوراً لموالاته الكفار في رسالته «أوثق عرى الإيمان» فقال:

أحدها: التولي العام، الثاني: المودة والمحبة الخاصة، الثالث: الركون القليل. قال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْنَتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكِنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء].

فإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه، فكيف بغيره. الرابع: مداهنتهم ومداراتهم، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم]. الخامس: طاعتهم فيما يقولون وفيما يشيرون، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [القلم]. السادس: تقريبتهم في الجلوس والدخول على أمراء الإسلام. السابع: مشاورتهم في الأمور. الثامن: استعمالهم في أمر من أمور المسلمين.

أي أمر كان إمارة أو عمالة، أو كتابة، أو غير ذلك. التاسع: اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين. العاشر: مجالستهم ومزاورتهم والدخول إليهم. الحادي عشر: البشاشة لهم والطلاقة. الثاني عشر: الإكرام العام لهم. الثالث عشر: استئمانهم وقد خَوَّنَهُمُ اللهُ، الرابع عشر: معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل كبري القلم وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم.

الخامس عشر: مناصحتهم. السادس عشر: اتباع أهوائهم، السابع عشر: مصاحبتهم ومعاشرتهم، الثامن عشر: الرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم. التاسع عشر: ذكر ما فيه تعظيم لهم كتسميتهم: سادات وحكماء. كما يُقال للطاغوت: السيد فلان، أو يقال لمن يدعي علم الطب: الحكيم. ونحو ذلك. العشرون: السكن معهم في ديارهم، كما قال ﷺ: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ» (١) (٢).

وكما حرم سبحانه موالاة الكفار أعداء الدين، فقد أوجب موالاة المؤمنين ومحبتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

ومن مظاهر موالاة المؤمنين:

أولاً: الهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار

(١) سنن أبي داود برقم (٢٧٨٧) وحسنه الشيخ الألباني رَضِيَ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ برقم (٦١٨٦).

(٢) مجموعة التوحيد (ص ١٧٠، ١٧٢).

بالدين، فقد تبرأ النبي ﷺ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَٰلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ثانياً: مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم. قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَٰلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ثالثاً: النصيحة ومحبة الخير لهم، وعدم غشهم، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٣)، وصحيح مسلم برقم (٤٥).

الكلمة الرابعة والأربعون

مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص رضي عنه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقبتس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشهد بدرًا وأحدًا والخندق، وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، أسلم وعمره لم يتجاوز السابعة عشر عامًا، وكان من السابقين إلى الإسلام، يقول عن نفسه: مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَّثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّي لَثَلْتُ الْإِسْلَامَ (١)، وكان قائداً لجيش المسلمين في معركة القادسية الشهيرة، وعلى يديه فتحت مدائن كسرى، وهو أول من أراق دمًا في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في الإسلام، وقد فداه النبي صلى الله عليه وسلم بأبويه يوم أحد، عندما رأى شجاعته واستبساله في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

وهو أحد الستة الذين توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، قال عنه الذهبي: «الأمير أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٧).

مالك بن أهييب القرشي الزهري المكي، وله قرابة من النبي ﷺ، فهو من بني زهرة، وأم النبي ﷺ آمنة بنت وهب زهرية، وهي ابنة عم أبي وقاص»<sup>(١)</sup>.

روى الترمذي في سننه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤًا خَالَهُ»<sup>(٢)</sup>.

قالت عائشة بنت سعد: كان أبي قصيرا دحداحا، غليظا، ذا هامة، وجاء في بعض الروايات أنه كان يميل إلى السمرة.

روى مسلم في صحيحه من حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: حَلَفْتُ أُمَّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ. قَالَتْ: زَعَمْتُ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ: عُمَارَةُ فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَيَّ سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] إلخ الآية<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أنه قال: يَا أُمَّهُ، تَعَلَّمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَكَ مِئَةٌ نَفْسٍ، فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا، مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا، فَإِنْ شِئْتَ فَكَلِّي، وَإِنْ شِئْتَ لَا تَأْكُلِي، فَأَكَلْتُ<sup>(٤)</sup>.

وقد كانت لسعد مواقف عظيمة، تدل على شجاعته ونصرتة لهذا الدين، فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٢ - ٩٣).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٧٥٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢٢٠) برقم (٢٩٥١).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٧٤٨). (٤) ابن أبي حاتم برقم (١٧١٦٤).

حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة، فقال: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» قالت: فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: «مَنْ هَذَا؟» قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسُهُ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام. قالت عائشة: فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيته <sup>(١)</sup>(٢).

ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث قيس، قال: سمعت سعدًا رضي الله عنه يقول: إِنِّي لِأَوَّلِ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّىٰ إِنَّا أَحَدْنَا لِيَضْعُ كَمَا يَضْعُ الْبَعِيرُ أَوْ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ <sup>(٣)</sup>. قال الشَّراح: أي لجفافه ويبسه، وقد أبلى سعد في موقعة أحدٍ بلاءً عظيمًا، فقد جاء عَنْ أَبِي عُثْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ عَنْ حَدِيثِهِمَا. اهـ <sup>(٤)</sup>.

وكانا يقاتلان عن النبي صلى الله عليه وسلم أشد القتال، وكان ذلك في موقعة أحد، وكان سعد من أمهر رماة العرب.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبْوِيَهُ لِأَحَدٍ غَيْرِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «أَزِمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» <sup>(٥)</sup>.

(١) وهو صوت النائم المرتفع.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٨٨٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٤١٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٦).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤١٤).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٧٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٤١١).

وهذا الحديث يدل على كفاءته العظيمة، ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المواقف التي تدل على ورعه وتقواه أنه اعتزل الفتنة التي حدثت بين الصحابة، وجاء إليه أصحابه وقالوا: يا سعد ألا تشارك معنا في القتال؟ قال: لا، حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان يقول هذا مؤمن وهذا كافر، وأنشد يقول:

لَا تَخْلِطَنَّ خَبِيثَاتِ بَطِيْبَةٍ      وَأَخْلَعُ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَأَنْجُ عُرْيَانًا

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عامر بن سعد قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّكِيبِ، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنِمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟! فَضْرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»<sup>(١)</sup>.

والمراد بالغني غني النفس، والخفي المنقطع إلى العبادة، والاشتغال بأمور نفسه لا يبغي منصباً ولا شهرة.

قال الذهبي رحمته الله:

اعتزل سعد الفتنة فلا حضر الجمل ولا صفيين ولا التحكيم، ولقد كان أهلاً للإمامة كبير الشأن رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

ولما احتضر قال ابنه مصعب: كان رأسه في حجري، فبكيت، فرفع رأسه إليّ فقال: أي بني ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبك فإن الله لا يعذبني أبداً، وإني من أهل الجنة،

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٦٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/١٢٢).

قال الذهبي: صدق والله فهنيئاً له<sup>(١)</sup>.

وكانت وفاته سنة خمس وخمسين من الهجرة، في قصره بالعقيق، وأوصى أن يُدفن في جبة صوف، وقال: لقيت المشركين فيها يوم بدر وإنما خبأتها لهذا اليوم، وعمره آنذاك ثمانية وسبعون عاماً، ودُفِنَ بالبقيع، رضي الله عن سعد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١/١٢٢ - ١٢٣).



### النهي عن الإسراف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي نهى الشارع عنها صفة الإسراف:

قال الراغب: هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر<sup>(١)</sup>.

وقال سفيان بن عيينة: ما أنفقت في غير طاعة الله سرف وإن كان ذلك قليلاً<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر].

والإسراف يتناول المال وغيره، قال تعالى محذراً عباده من الإسراف: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال بعض السلف: جمع الله الطب في نصف آية: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا... ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

(١) موسوعة نضرة النعيم (٩/ ٣٨٨٤).

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٩/ ٣٨٩٤-٣٨٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٨).

قال عطاء بن أبي رباح قال: نهوا عن الإسراف في كل شيء<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: «أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن»<sup>(٢)</sup>.

روى النسائي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَالبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ»<sup>(٣)(٤)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «كُلْ مَا شِئْتَ وَالبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ»<sup>(٥)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكْلَاتٌ يُقْمَنَ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ»<sup>(٦)</sup>.

وفرق بعض العلماء بين التبذير والإسراف الذي جاء النهي عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧]. فقالوا: «إن التبذير هو صرف الأموال في غير حقها، إما في المعاصي؛ وإما في غير فائدة لعباً وتساهلاً بالأموال، أما الإسراف

(١) تفسير ابن كثير (٦/١٩٠).

(٢) مخيلة هي العجب والكبر.

(٤) رواه النسائي برقم (٢٥٥٩)، ورواه البخاري معلقاً مجزوماً به (ص ١١٣٢).

(٥) رواه البخاري معلقاً مجزوماً به (ص ١١٣٢) باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

(٦) سنن الترمذي برقم (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وحسنه الحافظ في فتح الباري (٥٢٨/٩).

فهو الزيادة في الطعام والشراب واللباس في غير حاجة».

قال تعالى مادحاً عباده المقتصدين: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا، أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهلهم فيقصرون في حقهم، فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء]، وهذا هو التوسط المأمور به، لا بخل، ولا إمساك ولا إسراف ولا تبذير، لكن بين ذلك، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى آمراً بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهياً عن الإسراف: لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، أي لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً، ولا تبسطها كل البسط، أي: ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك؛ وتخرج أكثر من دخلك، فتقعد ملوماً محسوراً، أي فتقعد إن بخلت ملوماً يلومك الناس، ويذمونك، ويستغنون عنك، كما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة:

وَمَنْ كَانَ ذَا مَالٍ فَيَبْخُلْ بِمَالِهِ عَلَىٰ قَوْمِهِ يُسْتَغْنَىٰ عَنْهُ وَيُذَمُّ  
ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه، فتكون كالحسير، وهي الدابة التي عجزت عن السير. اهـ<sup>(٢)</sup>.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير، وما تصدقت به فهو لك، وما أنفقت رياء وسمعة

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٣٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٦٣).

فذلك حظ الشيطان<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الجوزي: العاقل يدبر بعقله معيشته في الدنيا، فإن كان فقيراً اجتهد في كسب وصناعة تكفّه عن الذل للخلق، وقلل العلائق واستعمل القناعة، فعاش سليماً من منن الناس عزيزاً بينهم، وإن كان غنياً فينبغي له أن يدبر في نفقته، خوف أن يفتقر فيحتاج إلى الذل للخلق...» إلى آخر ما قال<sup>(٢)</sup>.

وينبغي أن ينتبه لأمر، وهو أن الإنفاق في الحق لا يُعدُّ تبذيراً، قال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبدراً، ولو أنفق مدّاً في غير حق كان مبدراً<sup>(٣)</sup>.

ومن الإسراف الذي يقع فيه بعض الناس: الإسراف في الولائم وحفلات الزواج وغيرها من المناسبات صغيرة أو كبيرة، حيث تقدم بها الأطعمة أكثر من الحاجة.

ومنها الإسراف في استخدام نعمة الماء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ»<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

وقد نهى النبي ﷺ المؤمن أن يزيد على وضوئه ثلاث مرات.

روى النسائي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء؟ فأراه الوضوء ثلاثاً، ثلاثاً، ثم قال: «هَكَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَيَّ هَذَا فَقَدْ»

(١) الدر المنثور (٥/٢٧٥).

(٢) صيد الخاطر (ص ٤٠٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/٤٧٥).

(٤) المد ملء كفي الرجل الممتلئ.

(٥) صحيح البخاري برقم (٢٠١)، وصحيح مسلم برقم (٣٢٥).

أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ<sup>(١)</sup>».

ومنها: الإسراف في استخدام نعمة المال. روى البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup> ويدخل في هذا الحديث الذين يسافرون إلى بلاد الكفار، فينفقون المبالغ الطائلة في تلك الرحلات، وهم بهذا جمعوا بين معصيتين الأولى: السفر إلى بلاد الكفار، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك.

روى الترمذي في سننه من حديث جرير رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ، لَا تَرَأَى نَارَاهُمَا»<sup>(٣)</sup>. الثانية: دعم اقتصاد هذه الدول الكافرة بهذه الأموال التي تنفق فيها.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟»<sup>(٤)</sup> الحديث. وغير ذلك من الصور.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سنن النسائي برقم (١٤٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣١/١) برقم (١٣٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣١١٨).

(٣) سنن الترمذي برقم (١٦٠٤)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٤٦١).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٤٢٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.



### وقفه مع قوله تعالى

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ الآية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيدْبَرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص].

وعملًا بهذه الآية الكريمة فلنستمع إلى آية من كتاب الله تعالى، ولنتدبر ما فيها من العظات والحكم، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم].

قوله تعالى: ﴿قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: أدبهم وعلموهم<sup>(١)</sup>، وقال قتادة رحمه الله: تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿قُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أي: حطبها الذي يلقي فيها جثث بني آدم والحجارة، قال ابن مسعود: هي حجارة من الكبريت الأسود<sup>(٣)</sup>.

(٢) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

(١) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

وقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ﴾ قال الشيخ ابن سعدي: أي غليظة أخلاقهم، شديد انتهارهم، يفزعون بأصواتهم، ويخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمثلون فيهم أمر الله الذي حتم عليهم العذاب، وأوجب عليهم شدة العقاب<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، هذا مدح للملائكة وانقيادهم لأمر الله وطاعتهم له في كل ما أمرهم به.

#### ومن فوائد الآية الكريمة:

١ - أنه يجب على الرجل أن يأمر أهله بالمعروف ويحثهم عليه، وينهاهم عن المنكر ويزجرهم عنه؛ فيأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصيام، وسائر فرائض الإسلام، ويحثهم على الأخلاق الجميلة؛ والآداب الحسنة، ويرغبهم في فضائل الأعمال، كقراءة القرآن، وتعلم العلوم النافعة، قال تعالى لنبية ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] وقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم].

روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرَبُواهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»<sup>(٢)</sup>.

قال الفقهاء: وهكذا في الصوم، ليكون ذلك تمريناً له على العبادة، لكي

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٨٧٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٧/١) برقم (٤٦٦).

يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر<sup>(١)</sup>.

وكذلك يجب عليه أن ينههم عن كل ما يغضب الله من الأقوال والأفعال، فينهاهم عن الفواحش والآثام ما ظهر منها وما بطن، وعن قول الزور، وينهى نساءه وبناته عن التبرج والسفور، والخروج إلى الأسواق ومواقع الريب، وينهى جميع أهله ومن تحت يده عن مصاحبة الأشرار ومخالطتهم، والتشبه بالكفار والفساق، ويقطع عنهم الوسائل المفضية إلى غضب الله وسخطه، المشغلة عن رضاه وطاعته، كالقنوات الفضائية، والتلفاز، ونحوها من الوسائل التي تدعو إلى الرذائل ورديء الأخلاق.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

٢ - عظم ما أعد الله لأعدائه من العذاب والنكال، ففي هذه الآية أخبر تعالى أن حطب النار التي توقد بها: جثث بني آدم وحجارة من الكبريت الأسود، وأخبر في آية أخرى عن هولها وشدة عذابها فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْهَا لَطْفًا ﴿١٥﴾ نَزَاعَةً لِلنَّسْوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾﴾ [المعارج].

وقال أيضًا: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ ﴿٢٨﴾ لَوْلَا أَنَّهُ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق]

(١) تفسير ابن كثير (٥٩/١٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤١٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٢٩).

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»<sup>(٢)</sup>.

٣ - إثبات وجود الملائكة وأنه يجب الإيمان بهم وأنهم أصناف، فمنهم: خزنة النار الموكلون بتعذيب أهل النار وإهانتهم وأن عددهم كما ذكر الله ﷻ تسعة عشر، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾<sup>(٣٠)</sup> [المدثر] وإن كبير هؤلاء الملائكة ملك كريم اسمه مالك، قال تعالى: ﴿وَقَادُوا يَمْكِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِئُونَ﴾<sup>(٧٧)</sup> [الزخرف]، وأن الإيمان بالملائكة وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ركن من أركان الإيمان الستة، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءِ عُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(١٨٥)</sup> [البقرة].

٤ - أن على المؤمن أن يقي نفسه من عذاب الله، وهذه الوقاية تكون ولو بأقل القليل من فعل الخير.

روى مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٣).

تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ؛ وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٦).



## آفة السهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فمن العادات السيئة التي ابتلي بها كثير من الناس في هذه الأزمان السهر حتى ساعة متأخرة من الليل.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بَرزَةَ الأسلمي رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا (١).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: لأن النوم قبلها قد يؤدي إلى إخراجها عن وقتها مطلقاً، أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل.  
وكان عمر بن الخطاب رضي عنه يضرب الناس على ذلك ويقول: أَسْمَرًا أول الليل ونومًا آخره (٢).

ومن مفسد هذا السهر:

أولاً: أنه يؤدي إلى إضاعة صلاة الفجر، فيحرم المسلم نفسه من الأجر والثواب، ويعرضها لعقوبة الله، قال تعالى: ﴿ خَلْفَ مَنْ بَعْدِهِمْ خَلْفَ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم]

(١) صحيح البخاري برقم (٥٦٨)، وصحيح مسلم برقم (٦٤٧).

(٢) فتح الباري (٧٣/٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨) [الإسراء].

روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكَ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، يُدْرِكُهُ ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عمارة بن ربيعة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي: الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ (٢).

ثانياً: أنه يؤدي إلى النوم عن قيام الليل، قال تعالى يذكر عباده المؤمنين المتقين: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (١٧) ﴿ وَإِلَى الْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١٨) [الذاريات]، وقال أيضاً: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) [السجدة].

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» (٣).

(ثالثاً): إضاعة الوقت فيما لا فائدة فيه، وهذا الوقت سيسأل عنه العبد يوم القيامة.

(١) صحيح مسلم برقم (٦٥٧). (٢) صحيح مسلم برقم (٦٣٤).

(٣) مستدرک الحاكم (٥/٤٦٣) برقم (٧٩٩١) وقال المنذري في الترغيب والترهيب

(١/٦٣٩) برقم (١٢١٣): رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، وحسنه الألباني في

السلسلة الصحيحة (٢/٥٠٧) برقم (٨٣١).

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»<sup>(١)</sup>.

وهذا لمن كان سهره في المباح، أما إذا كان سهره على المحرمات كالنظر إلى القنوات الفضائية السيئة، أو التحدث في أعراض المسلمين، أو غير ذلك من المنكرات، فقد جمع إلى هذه القبائح إضاعة وقته فيما يغضب ربه عز وجل.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله:

لا يجوز للمسلم أن يسهر سهرًا يترتب عليه إضاعته لصلاة الفجر في الجماعة أو في وقتها، ولو كان ذلك في قراءة القرآن أو طلبه العلم؛ فكيف إذا كان سهره على التلفاز أو لعب الورق أو ما أشبه ذلك؟ وهو بهذا العمل آثم، ومستحق لعقوبة الله سبحانه، كما أنه مستحق للعقوبة من ولاية الأمر بما يردعه وأمثاله<sup>(٢)</sup>.

(رابعًا): الأضرار الصحية التي تنتج عن السهر؛ فإن الله تعالى جعل الليل سكنًا للناس، قال تعالى: ﴿الْمَّ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُومًا فِيهِ﴾ [النمل: ٨٦] والنوم في الساعات الأولى من الليل لا يعوض، وقد استثنى العلماء السهر إذا كان في طاعة الله، وفيه مصلحة شرعية، كقيام الليل أو الدعوة إلى الله أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو طلب علم شرعي؛ أو السهر مع الضيف أو الزوجة.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٤١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الفتاوى (٩٢/١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «لا سَمَرَ بعد الصلاة - يعني العشاء الآخرة - إلا لأحد رجلين مُصَلٍّ أو مُسافرٍ»<sup>(١)</sup>.

لذا ينبغي على المؤمن أن يحرص على التبكير في نومه، حرصاً على تطبيق السنة، وتخلصاً من آفة السهر ومفاسده، وعليه أن يحرص على آداب النوم؛ كالنوم على طهارة والمداومة على الأذكار الشرعية قبل النوم، وغير ذلك من الآداب التي ذكرها أهل العلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٩٠/٦) برقم (٣٦٠٣)، وقال محققوه: حديث حسن.

الكلمة الثامنة والأربعون

الحج وجوبه وفضله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعٍ لَّهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال سبحانه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما:  
أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في خطبته: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا»<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(١) صحيح البخاري برقم (٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ عَبْدًا صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، يَمْضِي عَلَيْهِ خُمْسَةُ أَعْوَامٍ، لَا يَفِدُ إِلَيَّ لِمَحْرُومٍ»<sup>(١)</sup>.

فهذه الآيات والأحاديث المتقدمة، فيها بيان أن الحج ركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه العظام.

والقول الراجح من كلام أهل العلم أن الحج يجب على الفور، فمن استطاع الوصول إلى البيت ولم يحج فهو على خطر عظيم، وما يدره لعله يأتيه الأجل وهو لم يقض هذه الفريضة العظيمة.

عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أْبْعَثَ رِجَالًا إِلَى هَذِهِ الْأَمْصَارِ، فَيَنْظُرُوا كُلَّ مَنْ لَهُ جَدَّةٌ وَلَمْ يَحِجَّ فَيَضْرِبُوا عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ، مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ، مَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ»<sup>(٣)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ - يَعْنِي الْفَرِيضَةَ - فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح ابن حبان برقم (٣٦٩٥) وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٤٢/٢) برقم (١١٦٦).

(٢) التلخيص الحبير (٢٢٣/٢) والأثر أسنده اللالكائي في الاعتقاد (١٥٦٧) وابن الجوزي في التحقيق (١٢١٣) وغيرهما.

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٣٣/٣) برقم (١٨٣٤) وقال محققوه: حديث حسن.

(٤) مسند الإمام أحمد (٥٨/٥) برقم (٢٨٦٧) وقال محققوه: حديث حسن.

### ومن فضائل الحج:

أولاً: أن الحج يهدم ما كان قبله من الذنوب، روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه في قصة إسلامه، وفيها: فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟!» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (٢).

ثانياً: أن الحج أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ» (٣).

ثالثاً: أن النفقة في الحج يضاعف الأجر لصاحبها كما يضاعف أجر المجاهد، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ» (٤).

(١) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (١٢١).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥٢١)، وصحيح مسلم برقم (١٣٥٠).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٦)، وصحيح مسلم برقم (٨٣).

(٤) مسند الإمام أحمد (١٠٦/٣٨) برقم (٢٣٠٠٠) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

رابعًا: أن الحج إذا كان خالصًا لوجه الله، وموافقًا لسنة النبي ﷺ وكانت نفقته من كسب حلالٍ طيب فجزاؤه الجنة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

إِذَا حَجَّجْتَ بِمَالٍ أَصْلُهُ دَنْسٌ      فَمَا حَجَّجْتَ وَلَكِنْ حَجَّتِ الْعِيرُ  
مَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا كُلَّ طَيِّبَةٍ      مَا كُلُّ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مَبْرُورٌ  
خامسًا: أن الحج والعمرة من أعظم أسباب الغنى.

روى النسائي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ»<sup>(٢)</sup>.

سادسًا: أن الله تعالى يباهي بالحجاج الملائكة.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»<sup>(٣)</sup>.

سابعًا: أن من طاف بالبيت واستلم الحجر الأسود شهد له يوم القيامة. روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ

(١) صحيح البخاري برقم (١٧٧٣)، وصحيح مسلم برقم (١٣٤٩).

(٢) سنن النسائي برقم (٢٦٣٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٥٥٨/٢) برقم (٢٤٦٧).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٣٤٨).

في الحجر: «وَاللَّهِ لَيَعْتَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ»<sup>(١)</sup>.

ثامناً: أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه كما ثبت بذلك الحديث عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

تاسعاً: أن الحجاج وفد الله روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «الغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفَدُّ اللَّهِ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وفضائل الحج ومنافعه الدينية والدينية كثيرة جداً، وقد أشار الله إليها بقوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾<sup>(٢٨)</sup> [الحج].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (٩٦١)، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) مسند الإمام أحمد (٤٦/٢٣) برقم (١٤٦٩٤) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) سنن ابن ماجه برقم (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٤٩/٢) برقم (٢٣٣٩).



## نواقض الإسلام العشرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد ذكر أهل العلم نواقض للإسلام أي مفسدات، من فعلها خرج من دائرة الإسلام إلى الكفر، نسأل الله السلامة والعافية، أذكرها للعلم بها والحذر منها.

أولاً: الشرك في عبادة الله، وهو أعظم ذنب عصي الله به، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال لقمان في وصيته لابنه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وله صور منها: أن يصرف العبد شيئاً من العبادة لغير الله، مثل النذر أو الذبح أو غير ذلك.

ثانياً: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۗ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۚ إِنَّ

اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٠٦﴾ [يونس].

ثالثاً: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، لأن الله ﷻ كفرهم في آيات كثيرة وأمر بعداوتهم لافتراءهم الكذب عليه، ولا يحكم بإسلام المرء حتى يكفر المشركين، فإن توقف في ذلك أو شك في كفرهم مع تبينه فهو مثلهم.

أما من صحح مذهبهم واستحسن ما هم عليه من الكفر فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهذا والى أهل الشرك فضلاً عن أن يكفرهم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الناقض الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه، وتمثيل ذلك بالذين يقولون: إن إنفاذ حكم الله في رجم الزاني المحصن أو قطع يد السارق لا يناسب هذا العصر الحاضر، لأن زماننا قد تغير عن زمن النبي ﷺ، أو أن غيره من الأحكام مثله أو أفضل منه. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَاللَّهِ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا لَعَلَى سَبِيلِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

لَكِنَّمَا أَخْشَىٰ انْسِلَاحَ الْقَلْبِ عَنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ  
وَرِضَىٰ بِآرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرِصَهَا لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الْمَنَانِ

ومن ذلك أصحاب القوانين الوضعية، الذين جعلوها شرعاً ومنهاجاً  
يسيرون عليه، ويلزمون الناس به، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ  
أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ  
يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].

الناقض الخامس: «من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولو  
عمل به كفر» وهذا باتفاق العلماء، وقد نال المنافقون النصيب الأكبر من  
هذه الخصلة، وهم يعملون ببعض شرائع الإسلام الظاهرة؛ ولكنهم في  
الخفاء يضمرون البغض والكرهية لشريعة الإسلام وأهلها، ويتربصون  
بهم الدوائر، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ  
يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون]، وقال  
تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا  
كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا  
وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

وقد حكم الله على من كره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ بالكفر  
والضلال، وأن أعمالهم باطلة مردودة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا  
لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾  
[محمد].

فكل من كره ما أنزل الله فعمله حابط، وإن عمل بما كره، قال  
تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ  
أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

الناقض السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو

عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿أَبِاللَّهِ وَعَائِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٦٥-٦٦]؛ فالاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول كفر بإجماع المسلمين ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء كما لو هزل مازحاً.

وقد ذكر الله تعالى حال هؤلاء المستهزين الساخرين بأشْر ما ذكر به قومًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَصْحَكُونَ﴾ [٢٩] وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ [المطففين] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٧٦] [التوبة]. وقد نهى الله تعالى عن مجالسة هؤلاء المستهزين وأن من جلس معهم فهو مثلهم، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

الناقض السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو

رضي به كفر.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ؕ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسُ السَّحَرُ وَمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ ؕ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ؕ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ؕ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ؕ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ؕ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِيَسَّ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

أما الصرف: فهو صرف الرجل عما يهواه، كصرفه مثلاً عن محبة زوجته إلى بغضها، والعطف عمل سحري كالصرف، ولكنه عطف

الرجل عما لا يهواه إلى محبته، والسحر محرم بجميع طرقه وفي جميع الشرائع.

الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ [المائدة].

الناقض التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ، فهو كافر؛ لأنه مكذب لقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام]، فمن رغب الخروج عن شريعة النبي ﷺ، أو ظن الاستغناء عنها، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وعيسى ﷺ عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد؛ بل يكون متبعاً لشريعة النبي ﷺ، فشريعته عليه الصلاة والسلام باقية إلى يوم القيامة، وعامة لجميع الناس؛ ولا يسع أحد الخروج عنها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران].

الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ [السجدة].

والمراد بالإعراض هو الإعراض عن تعلم أصل الدين الذي يكون به المرء مسلماً.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع، فذكرها ثم قال: وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ

لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف؛ إلا المكره. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه<sup>(٢)</sup>. اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مدارج السالكين (١/٣٦٦ - ٣٦٧).

(٢) مجموعة التوحيد (ص ٣٩).

الكلمة الخمسون

سوء الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،  
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده  
ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد  
السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ - فِيمَا يَرَى النَّاسُ -  
عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ  
أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا»<sup>(١)</sup>.

قال ابن بطال: وفي تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة،  
وتدبير لطيف؛ لأنه لو علم وكان ناجياً أعجب وكسل، وإن كان هالِكًا  
ازداد عتوًّا؛ فحجب عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء<sup>(٢)</sup>.

لَأَجْلِ ذَلِكَ كَانَ خَوْفُ الصَّالِحِينَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ شَدِيدًا، يَقُولُ  
أَحَدُهُمْ: خَوْفُ الصَّالِحِينَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ كُلِّ خَطَرَةٍ وَحَرَكَةٍ،  
وَيَقُولُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: مَا أَحَدٌ أَمِنَ عَلَى إِيْمَانِهِ إِلَّا يُسَلِّبُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَّا  
سُلْبَهُ<sup>(٣)</sup>، وَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رحمته الله جَعَلَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ  
رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمِنْ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ؟ فَقَالَ: لَا وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ أُسَلَّبَ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٥١) واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري (١١ / ٣٣٠).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩١).

الإِيمَانُ قَبْلَ الْمَوْتِ<sup>(١)</sup>.

فمن هذا خاف السلف من الذنوب أن تكون حجاباً بينهم وبين الخاتمة الحسنة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وهذا من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخذعه ذنوبه عند الموت، فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنة<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي: ولسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسبابٌ ولها طرقٌ وأبوابٌ، وأعظمها الانكباب على الدنيا وطلبها والحرص عليها، والإعراض عن الآخرة والإقدام والجرأة على معاصي الله، وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة ونوع من المعصية، وجانب من الإعراض، ونصيب من الجرأة والإقدام، فملك قلبه وسبى عقله، فربما جاءه الموت على ذلك، وسوء الخاتمة لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم والله الحمد وإنما تكون لمن له فساد في العقيدة، أو إصرار على الكبيرة، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى نزل به الموت قبل التوبة<sup>(٣)</sup>. اهـ.

وقد يظهر من المحتضر ما يدل على سوء الخاتمة، مثل النكول عن النطق بالشهادتين، ورفض ذلك، والتحدث بالسيئات والمحرمات، وإظهار التعلق بها ونحو ذلك من أقوال وأفعال تدل على الإعراض عن دين الله والتبرم لنزول قضائه<sup>(٤)</sup>.

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩١).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٨).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٦، ١٤٨).

(٤) مشاهد الاحتضار للشيخ خالد الشايع (ص ٧٥).

قال ابن القيم: وإذا نظرت إلى حال كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة، عقوبة لهم على أعمالهم السيئة<sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب: وإن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره، فتوجب له حسن الخاتمة<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقد ذكر بعض أهل العلم أسباباً ينشأ عنها سوء الخاتمة:

أولاً: التسوية بالتوبة، والاستمرار في المعاصي، والتهاون في فعل الواجبات، ويضمّر بعضهم أنه سيتوب ولكن متى؟ يقول الأعزب: حين أتزوج، والطالب: حين أتخرج، والفقير: حين أتوظف، ويقول الصغير: حين أكبر. وهكذا يحدد كل واحد موعداً لتوبته فيقال لهؤلاء جميعاً: من يضمن لكم بلوغ هذه الآمال، أما تخشون أن تخترمكم المنايا قبل وصولها، ثم لو وصلت إليها هل تضمنون أن توفقوا للتوبة وقد قضيت الأعمار في الغواية والضلال، والشهوات المحرمة التي غالباً ما تكون سبباً لانقلاب القلوب وانتكاسها، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠]، ثم بين

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ١٧٢ - ١٧٣).

سبب هذا الانقلاب فقال: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰ مَرَّةٍ﴾ أي بسبب رد الحق أول ما جاءهم، ثم قال: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقد ذم الله قومًا طالت آمالهم حتى ألتهتهم عن العمل للدار الآخرة، ففاجأهم الأجل وهم غافلون. قال تعالى: ﴿رُبِمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢) ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ [الحجر].

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ: طُولَ الْأَمَلِ وَاتِّبَاعَ الْهَوَى، فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ يُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ (١).

ثانيًا: حب المعصية، فإن الإنسان إذا داوم على المعاصي ولم يسارع إلى التوبة منها ألفها قلبه فاستولت على تفكيره في اللحظات الأخيرة من عمره، فيموت عليها، ويبعث عليها.

روى مسلم في صحيحه من حديث جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» (٢).

قال ابن كثير: والذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الأيمان، فيقع في سوء الخاتمة (٣).

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت يلحن لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٧٨).

(٣) البداية والنهاية (٩/١٦٣).

فإنها هي التي أوقعته، وآخر حضرته الوفاة، فقيل له: قل لا إله إلا الله فجعل يهذي بالغناء حتى قبضت روحه.

وقيل لآخر عند موته: قل لا إله إلا الله، فقال: آه آه لا أستطيع أن أقولها، والقصص في هذا كثيرة<sup>(١)</sup>.

قال ابن قدامة رحمته الله: وإذا عرفت معنى سوء الخاتمة فاحذر أسبابها، وأعد ما يصلح لها، وإياك والتسويق بالاستعداد فإن العمر قصير، وكل نفس من أنفاسك بمنزلة خاتمتك؛ لأنه يمكن أن تخطف فيه روحك، والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه<sup>(٢)</sup>.

فعلى العبد أن يلزم نفسه بالطاعة والتقوى، وأن ينأى بنفسه عما حرم الله، وأن يبادر بالتوبة من المعاصي، وأن يلح في دعاء الله أن يختم له بالخاتمة الحسنى، وأن يحسن الظن بربه عليه السلام، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ السَّلَام كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ شَاءَ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: جامع العلوم والحكم (ص ١٧٣)، والجواب الكافي (ص ١٤٧).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٩٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).



## الوقت وخطر السفر إلى الخارج

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: العصر هو الزمن، وقال ابن القيم: إن تسمية الدهر عصراً أمر معروف في لغة العرب<sup>(١)</sup>.

وأقسم الله ﷻ بالزمن لأنه مستودع أعمال العباد خيرا وشرها، ولشرفه وعظمته، ففي هذا القسم بينه الله الخلق إلى قيمة الوقت وما ينبغي عليهم من الاعتناء به والحرص عليه، وقد أقسم الله بأجزاء الوقت في مواضع أخرى فقال: ﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَاليَالِ عَشْرِ ۝٢ ﴾ [الفجر].

وقال: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ [الليل]، وقال: ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ [الضحى] وهذا الزمن أعلى من الذهب والفضة فإنهما يعوضان، وأما الزمن فإنه إذا فات لا يعوض، وعمر الإنسان الذي لا يتجاوز عشرات معدودة من السنين سيسأل المرء عن كل جزئية من جزئياته، بل إن هذا من أصول الأسئلة التي توجه له يوم القيامة.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ

(١) بدائع التفسير (٥/٣٢٨ - ٣٢٩).

الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ؟  
وَعَنْ مَالِهِ فِيْمَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟»<sup>(١)</sup>.

فِيُسْأَلُ عَنْ عُمُرِهِ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ، وَعَنْ شَبَابِهِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ؛  
لَأَنَّ الشَّبَابَ هُوَ مَحْوَرُ الْقُوَّةِ وَالنَّشَاطِ، وَعَلَيْهِ الْإِعْتِمَادُ فِي الْعَمَلِ أَكْثَرَ مِنْ  
غَيْرِهِ فِي مَرَاكِلِ الْعُمُرِ الْآخَرَى.

وَالزَّمَنُ مِنْ أَفْضَلِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ  
ﷺ قَالَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»<sup>(٢)</sup>  
وَالغِبْنُ أَنْ يَشْتَرِيَ الْإِنْسَانُ السَّلْعَةَ بِأَضْعَافِ ثَمَنِهَا، فَمَنْ صَلَحَ بَدَنُهُ وَتَفَرَّغَ  
مِنَ الْأَشْغَالِ الْعَالِقَةِ بِهِ، وَلَمْ يَسْعَ لِإِصْلَاحِ آخِرَتِهِ، يُقَالُ عَنْهُ: إِنَّهُ رَجُلٌ  
مَغْبُونٌ، وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الزَّمَانَ نِعْمَةٌ كَبِيرَةٌ لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهَا إِلَّا  
الْمُؤَفَّقُونَ الْأَفْذَادُ، وَأَنَّ الْمُسْتَفِيدَ قَلِيلٌ وَالكَثِيرَ مَفْرُطٌ وَمَغْبُونٌ.

رَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ  
ﷺ قَالَ: «اعْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ، وَذَكَرْ مِنْهَا: وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ  
قَبْلَ هَرَمِكَ»<sup>(٣)</sup>.

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ السَّلَفِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَجَدَهُمْ أَحْرَصَ  
النَّاسِ عَلَى كَسْبِ الْوَقْتِ وَمَلَأَهُ بِالْخَيْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا  
نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدِمِي عَلَى يَوْمٍ عَرَبَتْ شَمْسُهُ، نَقُصَ فِيهِ أَجَلِي، وَلَمْ يَزِدْ  
فِيهِ عَمَلِي.

(١) شعب الإيمان (٢٨٦/٢) برقم (١٧٨٥ - ١٧٨٦) وقد سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤١٢).

(٣) مستدرک الحاکم (٤٣٥/٥) برقم (٧٩١٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط

الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٤)

برقم (١٠٧٧).

وقال ابن القيم: إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطع عليك أمر دنياك وآخرتك<sup>(١)</sup>.

وقال أيضًا: أعظم الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب وإضاعة الوقت، وإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر:

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ

وقال آخر:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقَطَعُهَا وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ  
فَاعْمَلْ بِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا فَإِنَّمَا الرَّبْحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ

ومما تقدم يتبين خسارة من أضاعوا أوقاتهم في السفر إلى بلاد الكفار، ولهذا وجب التنبيه على ما لهذه الأسفار من المخاطر والمفاسد. فمن ذلك:

(أولاً): أن في السفر إلى بلاد الكفار مخالفة صريحة لأمر النبي ﷺ.

روى الترمذي في سننه من حديث جرير رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِمَ؟ قَالَ: «لَا تَرَايَا نَارًا هُمَا»<sup>(٣)</sup>.

(١) فوائد الفوائد ص ٣٨٥.

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٥.

(٣) سنن الترمذي برقم (١٦٠٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١١٩/٢) برقم

(١٣٠٧)

وقد استثنى العلماء من ذلك المجاهد في سبيل الله، أو السفر للدعوة إلى الله، أو لعلاج مرض، لا يتوفر إلا ببلادهم، أو السفر لدراسة لا يمكن الحصول عليها في بلاد المسلمين؛ أو للتجارة وكل ذلك مشروط بأن يكون مظهرًا لدينه، عالمًا بما أوجب الله عليه، قوي الإيمان بالله، قادرًا على إقامة شعائره، مع أمن الفتنة، وللضرورة أحكامها.

(ثانيًا): كثرة المغريات والفتن الداعية إلى ارتكاب الفواحش والمحرمات، وخاصة فتنة النساء.

روى مسلم في صحيحه من حديث أسامة بن زيد رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ» (١).  
وقال أيضًا: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ» (٢).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: «السفر إلى البلاد التي فيها الكفر والضلال والحرية وانتشار الفساد من الزنا وشرب الخمر، وأنواع الكفر والضلال، فيه خطر كبير وعظيم على الرجل والمرأة، وكم من صالح سافر ورجع فاسدًا، وكم من مسلم رجع كافرًا، وخطر السفر عظيم؛ والواجب الحذر من السفر لبلادهم لا في شهر العسل ولا في غيره» (٣). اهـ.

(ثالثًا): إضاعة الوقت فيما لا يرضي الله عز وجل، وهذا الوقت كما تقدم سيسأل عنه العبد يوم القيامة.

(رابعًا): إضاعة المال الكثير في غير فائدة، وإنما في الشهوات والملذات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبْدِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٢٧) [الإسراء].

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٤١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٧٤٢).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/١٩٥) للشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله.

(خامسًا): أنه قد لا يسلم من انحراف عقدي أو خلقي أو عملي في العبادة وغيرها، وإن سلم هو فربما تبقى مناظر هذه البلاد التي فيها الكنائس وأماكن الفساد والتبرج والخلاعة وتباع فيها الخمر علناً في الطرقات في ذاكرة أبنائه وبناته، وكفى بهذه مفسدة.

(سادسًا): تأثر المسلم بالكثير من تقاليد الكفار وعاداتهم السيئة.

(سابعًا): التعود على عدم الاكتراث بالدين وعدم الالتفات لآدابه

وأوامره.

(ثامناً): أن كثرة رؤية المنكرات للمسافر هناك من إضاعة الصلوات،

وتبرج النساء، وبيع المحرمات، وغير ذلك كل هذا يضعف جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قلب المسلم؛ وهو مأمور بإنكار ما يخالف الشرع.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup> إلى غير ذلك من المفاسد.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٤٩).



## التوكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن أعظم العبادات القلبية التوكل على الله تعالى في جميع الأمور، قال بعض أهل العلم: التوكل صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في جلب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وأن يكل العبد أموره كلها إلى الله، وأن يحقق إيمانه بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع إلا هو ﷻ<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام].

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتوكل في مواضع عديدة من كتابه، وجاء ذكره في أكثر من خمسين آية. قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة].

وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الذرى] ﴿الَّذِي يَرِنَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ [الشعراء].

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٧).

روى الترمذي في سننه والإمام أحمد في مسنده من حديث عُمَرَ  
ابن الْخَطَّابِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ  
حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب: هذا الحديث أصل في التوكل وأنه من  
أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ  
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ  
حَسْبُهُ﴾ [الطلاق].

وقد دل حديث عمر رضي الله عنه أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل،  
ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، فلذلك يتعبون  
أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، ولا يأتيهم إلا ما  
قدر لهم، فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق الله إليهم أرزاقهم  
مع أدنى سبب، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو  
نوع من الطلب والسعي، لكنه سعي يسير<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تُسَقِّ إِلَيْكَ الْأَرْزَاقُ بِلَا تَعَبٍ  
وَلَا تَكَلُّفٍ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: التَّوَكَّلُ جَمَاعُ الْإِيمَانِ<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله: التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد  
ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وقال: «التوكل نصف

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٤٤) وقال: حديث حسن صحيح، ومسند الإمام أحمد (١/٣٣٢)

برقم (٢٠٥) وقال محققوه: إسناده قوي.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٢).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٧).

الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل استعانة والإنابة هي العبادة»<sup>(١)</sup>.

روى أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» قَالَ: «يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقَيْتَ، فَتَتَحَى لَهُ الشَّيَاطِينُ: فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضيما قال: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ<sup>(٣)</sup>.

فإبراهيم عليه السلام عندما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، كانت عاقبته ما قاله جل وعلا: ﴿قُلْنَا يَنْدَرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء].

ومحمد عليه الصلاة والسلام حين قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، كانت عاقبته ما قاله سبحانه: ﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران].

ومؤمن آل فرعون عندما كاده قومه قال: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [٤٤]، قال تعالى: ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾

(١) التفسير القيم (ص ٥٨٧)، ومدارج السالكين (٢/ ١١٨).

(٢) سنن أبي داود برقم (٥٠٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٥٩) برقم (٤٢٤٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٥٦٣).

وَحَاقَ بِعَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ [غافر].

وها هنا مسألة مهمة ينبغي للمسلم فهمها فهمًا صحيحًا، وهي التوفيق بين التوكل وفعل السبب، فأقول:

أولاً: التوكل هو عمل القلب واعتماده على الله تعالى في جلب الخير ودفع الشر، وفي جميع أمور العبد كلها الدنيوية والأخروية، أما الأسباب فإنها عمل الجوارح فعلاً وتركاً.

ثانياً: من الناس من يترك فعل الأسباب كلها ويدّعي أنه من المتوكلين، ومنهم من يتعلق قلبه بالأسباب ويعتقد أنه لا يتم له أمر إلا بفعل سبب، وكلا الطائفتين قد جانبت الصواب.

والحق أن المتوكل حقيقة هو من فوض أمره إلى الله ثم نظر، فإن كان هذا الأمر له أسباب مشروعة فعلها انقياداً للشرع لا اعتماداً عليها، ولا انقياداً لها، وإنما امتثالاً لأمر الشارع، فإن لم يكن هناك أسباب مشروعة اكتفى بالتوكل على الله.

يشهد لما تقدم ما رواه الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلْهَا وَأَتَوَكَّلْ، أَوْ أُطْلِقْهَا وَأَتَوَكَّلْ؟ قَالَ: «أَعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»<sup>(١)</sup>.

أما الطائفة الأخرى التي تعلق قلبها بالأسباب، فقد ضعف عندها الإيمان بكفاية الله تعالى لمن توكل عليه، فتراها تجتهد في فعل الأسباب وإن لم تكن مطلوبة شرعاً أو عقلاً، وقد أخطأ هؤلاء حين ظنوا أنه لا يتم أمر إلا بسبب.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٥١٧)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٩/٢) برقم (٢٠٤٤).

فإن الله عَلَّمَ يعطي ويمنع بسبب وبغير سبب، وقد أخبر سبحانه في آيات كثيرة أن في التوكل على الله كفاية للعبد.

قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ ﴾ [الزمر: ٣٦] وقال عَلَّمَ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣]. أي كافي، وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٣].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: والمتوكل حقيقة من يعلم أن الله قد ضمن لعبده رزقه وكفايته، فيصدق الله فيما ضمنه، ويشق بقلبه، ويحقق الاعتماد عليه فيما ضمنه من الرزق من غير أن يخرج التوكل مخرج الأسباب في استجلاب الرزق به، والرزق مقسوم لكل أحد من بر وفاجر ومؤمن وكافر، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

هذا مع ضعف كثير من الدواب وعجزها عن السعي في طلب الرزق، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

فما دام العبد حيًا فرزقه على الله وقد يسره الله بكسب وبغير كسب، فمن توكل على الله لطلب الرزق فقد جعل التوكل سببًا وكسبًا ومن توكل عليه لثقتة بضمانه، فقد توكل عليه ثقة به وتصديقًا، وما أحسن قول المثنى الأنباري وهو من أعيان أصحاب الإمام أحمد: لا تكونوا بالمضمون مهتمين، فتكونوا للضامن متهمين وبرزقه غير راضين<sup>(١)</sup>.

واعلم يا عبد الله أن التوكل مرتبة عظيمة لا ينال كمالها إلا القليل من العباد، والمتوكلون أحياء الله وأولياؤه.

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٨).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولو توكل العبد على الله حق التوكل لم يحتج إلى غيره، لكن لما علم الله تعالى ضعف البشر شرع لهم من الأسباب ما يتم لهم به معنى التوكل، وذلك من رحمته تعالى بعباده ولطفه بهم.

قال المروزي رَحِمَهُ اللهُ: قيل لأبي عبد الله: أي شيء صدق التوكل على الله؟ قال: أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء، فإذا كان كذا كان الله يرزقه وكان متوكلاً<sup>(١)</sup>.

فعلى المسلم أن يفهم هذه الحقائق، وأخص بالذكر إخواناً لنا يطلبون أرزاقهم بطرق محرمة أو مشبوهة، كالذين يعملون في البنوك الربوية، أو يتاجرون بما حرم الله، كآلات اللهو أو المخدرات، أو الخمر، أو الدخان، أو يتعاملون بالكذب والغش والخيانة والخداع، لأخذ أموال الناس بغير حق، ويكفي أن نسوق إلى هؤلاء جميعاً هذا الحديث العظيم الذي أوحاه جبريل الأمين إلى الرسول الكريم نبينا محمد ﷺ، فاسمعوه وتأملوه؛ فإنه جدير بالتفهم والتدبر لما اشتمل عليه من الحكم العظيمة.

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ أَجْلَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٣).

(٢) حلية الأولياء (١٠/٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٠٨٥).

الكلمة الثالثة والخمسون

مبطلات الأعمال

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قالت عائشة: هُم الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»<sup>(١)</sup>.

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة، يخشون أن تحبط أعمالهم وألا تقبل منهم، لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قال أبو الدرداء: لَأَنْ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي رَكَعَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

(١) سنن الترمذي برقم (٣١٧٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٨٠) برقم (٢٥٣٧).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانٍ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ﷺ.

ومبطلات الأعمال كثيرة، منها ما يبطل جميع الأعمال مثل الشرك والردة والنفاق الأكبر، ومنها ما يبطل العمل نفسه كالمن بالصدقة وغير ذلك، وسوف أقصر على ذكر خمسة أمور وعسى أن يكون فيها تنبيه على ما سواها:

الأول: الشرك: فإنه محبط لجميع الأعمال، قال تعالى لنبية محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر] وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

روى الترمذي في سننه من حديث أَبِي سَعْدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمِ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدٌ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ<sup>(١)</sup>».

الثاني: الرياء وهو على قسمين:

الأول: أن يقصد بعمله غير وجه الله، فهذا شرك أكبر محبط لجميع الأعمال، ويسميه بعض أهل العلم: شرك النية والإرادة والقصد، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا

(١) سنن الترمذي برقم (٣١٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٧٤/٣) برقم (٢٥٢١).

النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أَهْلَ الرِّيَاءِ يُعْطُونَ بِحَسَنَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا، يَقُولُ: مَنْ عَمَلَ صَالِحًا التَّمَّاسَ الدُّنْيَا صَوْمًا، أَوْ صَلَاةً، أَوْ تَهَجُّدًا بِاللَّيْلِ، لَا يَعْمَلُهُ إِلَّا التَّمَّاسَ الدُّنْيَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أُوْفِيهِ الَّذِي التَّمَّسَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَثَابَةِ وَحَبِطَ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ لِاتِّمَّاسِ الدُّنْيَا وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ<sup>(١)</sup>.

القسم الثاني: أن يعمل العمل يقصد به وجه الله ثم يطرأ عليه الرياء بعد الدخول فيه، فهذا شرك أصغر.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ» قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ»، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا، فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا شِرْكَ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيَزِينُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكَ السَّرَائِرِ»<sup>(٣)</sup>.

وقد يتهاون بعض الناس بهذا النوع بتسميته شركًا أصغر، وهو إنما سمي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر من جميع الكبائر،

(١) تفسير ابن كثير (٧/٤٢٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٩/٣٩) برقم (٢٣٦٣٠) وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢/٦٧) رقم (٩٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

(١١٩/١) برقم (٣١).

ولذلك قال العلماء.

- ١ - إن الشرك الأصغر إذا دخل عملاً فسد ذلك العمل وحبط.
- ٢ - إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت المشيئة، كصاحب الكبيرة، بل يُعذب بقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الشرك بجميع أنواعه، وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم عليه السلام من الشرك وهو إمام الموحدين، فقال لربه: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السلام <sup>(١)</sup>.

ثالثاً: المن والأذى، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقْتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

قال الشاعر:

أفسدت بالمن ما أسديت من حسنٍ ليس الكريم إذ أسدى بمنانٍ  
 روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ» <sup>(٢)</sup>.

(١) فتح المجيد (ص ٧٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٦).

رابعًا: ترك صلاة العصر، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

روى البخاري في صحيحه من حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ»<sup>(١)</sup>.

خامسًا: التآلي على الله، روى أبو داود في سننه و الإمام أحمد في مسنده والبعثي في شرح السنة من حديث ضمضم بن جوس اليمامي قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ، فقال: يا يمامي تعال، وما أعرفه، فقال: لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أبدًا، ولا يدخلك الله الجنة أبدًا، فقلت: ومن أنت - يرحمك الله -؟ قال: أبو هريرة، قال: فقلت: إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته، قال: فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَحَابِّينِ، أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْآخَرُ كَأَنَّهُ يَقُولُ: مُذْنِبٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَقْصِرْ أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، قَالَ: فَيَقُولُ: خَلْنِي وَرَبِّي، قَالَ: حَتَّى وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلْنِي وَرَبِّي، أَبْعَثْ عَلَيْنَا رَقِيبًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا، وَلَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا، قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا فَقَبِضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظَرَ عَلَيَّ عَبْدِي رَحْمَتِي؟! فَقَالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقِيَ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٠١) ومسند الإمام أحمد (٤٦ / ١٤ - ٤٧)، وقال محققوه: إسناده حسن، وشرح السنة (٣٨٤ - ٣٨٥) واللفظ له.



## الأجل والرزق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»<sup>(١)</sup>.

في هذا الحديث أربع قضايا من أمور الغيب يجب الإيمان بها، واليقين الجازم بصدقها، وسيقتصر حديثي على اثنين منها، وهما: الأجل والرزق.

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الله كتب الآجال والأرزاق، فلا يزيد فيهما حرص حريص، ولا يردهما كراهية كاره.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنهما: أن النبي ﷺ قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٥٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣).

وقد أكد ﷺ هذه الحقيقة في آيات كثيرة من كتابه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأً مُّوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف].

وقد ظن بعض المنافقين أن تأخرهم عن الجهاد في سبيل الله وجبنهم عن ملاقات الأعداء سيكون مانعاً لهم من الموت، فقطع الله تلك الآمال الكاذبة بقوله: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران]، ولهذا فإن الوقائع تشهد بأن الذين يقتلون مدبرين أكثر بأضعاف كثيرة من الذين يقتلون مقبلين، قال الشاعر:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ  
وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَايَا فَلَا أَرْضَ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءَ  
ومثل الأجل الرزق، فإن ما كُتِبَ للعبد منه سيناله لا محالة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [فورب السماء والأرض إنته]، ﴿لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ [الذاريات].

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن

النبي ﷺ قال: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي: أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»<sup>(١)</sup>.

فما كُتِبَ للعبد من رزق وأجل لا بد أن يستكمله قبل أن يموت.

روى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ»<sup>(٢)</sup>.

وتأمل هذا الحديث في أدب الدعاء وهو يؤكد هذه الحقيقة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أم حبيبة رضي الله عنها أنها قالت: اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ سَأَلْتِ اللَّهَ لِأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَثَارِ مَوْطُوءَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَا يُعَجَّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ، وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ، وَلَوْ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ عَذَابِ فِي النَّارِ، وَعَذَابِ فِي الْقَبْرِ، لَكَانَ خَيْرًا لَكَ»<sup>(٣)</sup>.

ومما تقدم يتبين ما يأتي:

أولاً: الإيمان بأن الآجال والأرزاق مقسومة، معلومة، لا يجلبهما حرص حريص ولا يردهما كراهية كاره.

(١) حلية الأولياء (٢٧/١٠) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٠٨٥).

(٢) حلية الأولياء (٩٠/٧) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢/٦٧٢) برقم (٩٥٢).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٦٣).

ثانياً: أن هذا لا يمنع فعل الأسباب التي شرع الله لعباده الأخذ بها، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ثالثاً: في حديث أبي أمامة المتقدم إشارة إلى أمرين اثنين.

الأول: أن يسعى العبد في طلب الرزق الحلال، وأن يجتنب الحرام والأسباب المؤدية إليه.

الثاني: أن لا يطلب الرزق بجشع وحرص، وليستحضر قوله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ؛ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فُقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

قال عمر رضي الله عنه: بين العبد وبين رزقه حجاب فإن قنع ورضيت نفسه، أتاه رزقه، وإن اقتحم وهتك الحجاب لم يزد فوق رزقه<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: الأسباب التي تستجلب بها الأرزاق وتستدفع بها المكاره كثيرة وهذه إشارة إلى بعضها.

### ١ - التوكل على الله.

روى الترمذي في سننه والإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»<sup>(٣)</sup>.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٤٦٥) ومسند الإمام أحمد (٤٦٧/٣٥) برقم (٢١٥٩٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (٥٠٢/٢).

(٣) سبق تخريجه.

٢ - الاستقامة على شرع الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَالْوِاسْتِقَامُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ﴿١١﴾ [الجن].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٣ - المداومة على الاستغفار والتوبة: قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ ﴿١٢﴾ [نوح].

٤ - صلة الأرحام: روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٢٥٥٧).



## الخشوع في الصلاة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾﴾<sup>(١)</sup>

فلما ذكر بقية صفاتهم ذكر جزاءهم فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ قال: كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ فَغَضُّوا بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ وَخَفَضُوا لِذَلِكَ الْجَنَاحَ<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس من أهل الفلاح، ولو اعتد له بها ثواباً لكان من المفلحين<sup>(٢)</sup>.

والخشوع يأتي بمعنى لين القلب ورقته وسكونه، فإذا خشع القلب تبعه خشوع الجوارح لأنها تابعة له، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (١٠/١٠٧).

(٢) مدارج السالكين (١/٥٢٦).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.

ولذلك كان النبي ﷺ في صلاته يقول: «خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصْبِي»<sup>(١)</sup>.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا أَوْانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: زِيَادُ ابْنِ لَبِيدٍ: أَيُرْفَعُ الْعِلْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ وَقَدْ عَلَّمَنَاهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كُنْتَ لَا أَظُنُّكَ مِنْ أَفْقِهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلَالَةَ أَهْلِ الْكِتَابِينَ وَعِنْدَهُمَا مَا عِنْدَهُمَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، فَلَقِيَّ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ بِالْمُصَلَّى، فَحَدَّثَهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، ثُمَّ قَالَ: فَهَلْ تَدْرِي مَا رَفَعَ الْعِلْمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: ذَهَابُ أَوْعِيَّتِهِ. قَالَ: وَهَلْ تَدْرِي أَيُّ الْعِلْمِ أَوْلَى أَنْ يُرْفَعَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: «الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَكَادَ تَرَى خَاشِعًا»<sup>(٢)</sup>.

فإذا دخل المصلي المسجد بدأت الوسوس والأفكار والانشغال بأمور الدنيا في ذهنه، فما يشعر إلا وقد انتهى الإمام من صلاته، وحينئذ يتحسر على صلاته التي لم يخشع فيها ولم يذق حلاوتها، وإنما كانت مجرد حركات وتمتمات كالجسد بلا روح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (صلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحيي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً، أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره؛ فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور، وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد أو الأمة الميت الذي

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (٧٧١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٤١٨/٣٩) برقم (٢٣٩٩٠)، وقال محققوه: حديث صحيح.

يريد إهداءه إلى بعض الملوك ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت  
الفرض في أحكام الدنيا ولا يشبه عليها فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما  
عقل منها). اهـ<sup>(١)</sup>.

قال بعضهم: إن الرجلين ليكونان في الصلاة وإن ما بينهما كما  
بين السماء والأرض<sup>(٢)</sup>.

روى أبو داود في سننه من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه: أن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وإنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُنِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ،  
تُسَعُّهَا، ثُمَّنَهَا، سُبْعُهَا، سُدُسُهَا، خَمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا»<sup>(٣)</sup>.

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل  
بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون له قرة عين، روى  
النسائي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حُبِّبَ إِلَيَّ  
مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(٤)</sup>، بل إنه  
عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر صلى، وكان يقول: «قُمْ يَا بَلَاءُ  
فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»<sup>(٥)</sup>.

من الأمور التي تعين على الخشوع في الصلاة:

أولاً: أن يستحضر المسلم عظمة الباري تعالى، وأنه واقف بين يدي

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ١١).

(٢) مدارج السالكين (١/٥٦٧).

(٣) سنن أبي داود برقم (٧٩٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٥١) برقم  
(٧١٤).

(٤) سنن النسائي برقم (٣٩٣٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/٨٢٧) برقم  
(٣٦٨٠).

(٥) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤١)  
برقم (٤١٧١).

جبار السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر].

ثانياً: أن ينظر المسلم إلى موضع السجود ولا يلتفت في صلاته.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ انْصَرَفَ عَنْهُ »<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: تدبر القرآن الكريم والأذكار التي يقولها في صلاته، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد].

فإذا تدبّر المسلم أذكار الركوع والسجود وغيرها من الأذكار كان ذلك أوعى للقلب وأقرب للخشوع.

رابعاً: ذكر الموت في الصلاة.

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث سعد بن عمارة أخي بني سعد بن بكر وكانت له صحبة أن رجلاً قال له: عطني في نفسي يرحمك الله، قال: « إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودِّعٍ »<sup>(٢)</sup>.

خامساً: أن يهيئ المصلي نفسه فلا يصلي وهو حاقن ولا بحضرة طعام، قال صلى الله عليه وسلم: « لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ »<sup>(٣)</sup>.

(١) مسند الإمام أحمد (٣٥/٤٠٠) برقم (٢١٥٠٨) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) معجم الطبراني الكبير (٦/٤٤) برقم (٥٤٥٩)، وقال الحافظ في الإصابة (٣/٧٠): ورجاله ثقات، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٥٤٦) برقم (١٩١٤): وهو في حكم المرفوع كما هو ظاهر.

(٣) صحيح مسلم برقم ٥٦٠.

وأن يزيل كل ما يشغله في صلاته من الزخارف والصور ونحوها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في خميصة ذات أعلام. فنظر إلى علمها. فلما قضى صلاته قال: «أَذْهَبُوا بِهَذِهِ الْخَمِيصَةِ إِلَى أَبِي جَهْمِ بْنِ حَدِيفَةَ، وَاتُّوْنِي بِأَنْبِجَانِيَّةٍ، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي أَنْفًا فِي صَلَاتِي»<sup>(١)</sup>.

سادساً: مجاهدة النفس في الخشوع، فالخشوع، ليس بالأمر السهل فلا بد من الصبر والمجاهدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت] ومع الاستمرار والمجاهدة يسهل الخشوع في الصلاة.

سابعاً: استحضار الثواب المترتب على الخشوع، روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحَضَّرَهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أكثر الناس خشوعاً في الصلاة، روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن الشخير قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ<sup>(٣)</sup>.

وَأَبُو بَكْرٍ كَانَ رَجُلًا بَكَاءً لَا يُسْمَعُ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ إِذَا صَلَّى بِهِمْ<sup>(٤)</sup>،

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٥٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٨).

(٣) سنن أبي داود برقم (٩٠٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ١٧٠) برقم (٧٩٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧١٦)، وصحيح مسلم برقم (٤١٨) واللفظ له.

وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَّى بِالنَّاسِ وَقَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ فَسَمِعَ نَشِيجَهُ مِنْ آخِرِ الصُّفُوفِ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٨] (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والناس في الصلاة على مراتب:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها، ومواقيتها، وحدودها، وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوسوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها، لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تَعَالَى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه عَلَيْهِ، ناظرًا بقلبه إليه مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض وهذا في صلاته مشغول بربه عَلَيْهِ.

فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه،

(١) صحيح البخاري (ص ١٥١)، باب إذا بكى الإمام في الصلاة.

## السرور المنقاة من الكليات الباقية

٣١٥

والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه لأن له نصيباً ممن جعلت قرّة عينه في الصلاة، فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا، قرّت عينه بقربه من ربه ﷻ في الآخرة، وقرّت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين، ومن لم تقرّ عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٣٤ - ٣٥).



الكلمة السادسة والخمسون

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد: فإن من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران].  
قال عمر رضي الله عنه: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ فِيهَا <sup>(١)</sup>.

قال القرطبي رحمته الله: إنما صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفسى <sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً: في هذه الآية مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم المدح، ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سبباً في هلاكهم <sup>(٣)</sup>.  
وأخبر سبحانه أن الناجين من الأمم هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٥٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٦١). (٣) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٦٤).

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (١١٧) ﴿ هود. ]

وقال تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١١٣) ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْتَفُونَ ﴾ (١١٤) ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١١٥) ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (١١٦) ﴿ [الأعراف]. ]

وقصة اعتدائهم في السبت أنهم نهوا عن الصيد في يوم السبت، فاحتالوا على ارتكاب المحرم بأن جعلوا الشباك يوم السبت، وجمعوا السمك يوم الأحد، وظنوا أنهم يسلمون من الإثم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا أثلاثاً: ثلث نهوا، وثلث قالوا: لم تعظون قوماً الله مهلكهم، وثلث أصحاب الخطيئة، فما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم<sup>(١)</sup>.

وبشر النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعظيم الأجر والثواب فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الرحمن الحضرمي قال: أخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطُونَ مِثْلَ أَجُورِ أَوْلِيهِمْ يُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ»<sup>(٢)</sup>.

وبين سبحانه أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب لسخطه ولعنته. قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي

(١) تفسير ابن كثير (٤٢٨/٦) وقال: إسناده جيد.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٤١/٣٨) برقم (٢٣١٨١) وقال محققوه: حسن لغیره.

إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup> وهذا الحديث أصل في تغيير المنكر، ولذلك عدّه أهل العلم من الأحاديث التي عليها مدار الدّين، حتى قيل إنه شطر الشريعة، وقيل: إنه الإسلام كله، لأن الإسلام إما معروف يجب الأمر به أو منكر يجب النهي عنه، وفيه بيان مراتب تغيير المنكر وهي الإنكار باليد واللسان، وهذا يجب بحسب القدرة والطاقة، وأن لا يترتب عليه منكر أكبر منه.

المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب يستلزم من العبد مفارقة المكان الذي فيه المنكر.

قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَعَيْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفِرُ بِهَا وَيُسَهِّزُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ ﴿١٤٠﴾ [النساء].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: من لم يكن في قلبه بغض ما يبغض الله ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه. اهـ. وقال أيضًا: وإذا كان جماع الدّين وجميع الولايات هو أمر ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي والمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

(١) صحيح مسلم (٦٩/١) برقم (٤٩).

أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿التوبة: ٧١﴾، وهذا واجب كل مسلم قادر، وهو فرض الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره<sup>(١)</sup>.

والمنكرات إذا انتشرت ولم تُغيَّر كان ذلك نذير شر وهلاك للأمة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِغًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ»، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِيهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، فَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟! قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا أيها الناس إنكم لتقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»<sup>(٣)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَأَهُ أَوْ عَلِمَهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) الفتاوى (٢٨ - ٦٥ - ٦٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٨٠).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٣٣٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨١٨/٣) برقم (٣٦٤٤).

(٤) مسند الإمام أحمد (١٧/٤٩٠) برقم (١١٤٠٣) وقال محققوه: إسناده صحيح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إنكار المنكر له أربع درجات: الأولى أن يزول ويخلفه ضده أي المعروف، الثانية أن يقل: أي المنكر وإن لم يزل من جملته. الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة أن يخلفه ما هو شر منه، فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة<sup>(١)</sup>.

ومن النماذج المشرقة للأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر ما نقله الذهبي في السير عن شجاع بن الوليد قال: كنت أحج مع سفيان الثوري فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهبًا وراجعًا<sup>(٢)</sup>.

وينقل عنه أنه كان يقول: إني لأرى الشيء يجب عليّ أن أتكلّم فيه فلا أفعل، فأبول أكدم دمًا<sup>(٣)</sup>، ونقل الذهبي عن الحافظ عبد الله المقدسي أنه كان لا يرى منكرًا إلا غيّر بيده أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، قد رأته مرة يهريق خمرة فجبذ صاحبه السيف فلم يخف منه، وأخذه من يده، وكان قويًا في بدنه، كثيرًا ما كان بدمشق ينكر ويكسر الطنابير والشبابات<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام النووي: واعلم أن هذا الباب، أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذا الزمان إلا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أو شك أن يعمهم الله تعالى بعقابه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ

(٢) السير للذهبي (٧/٢٥٩).

(١) إعلام الموقعين (٣/٤، ٥).

(٣) السير للذهبي (٧/٢٥٩).

(٤) السير للذهبي (٢١/٤٥٤).

عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور]؛ فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، ولا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وليعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتاركة أيضاً لصداقته ومودته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص دنياه. إلى آخر ما قال<sup>(١)</sup> رَحِمَهُ اللهُ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١/٢٤).

## الصلاة ومكانتها في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد عظم الإسلام شأن الصلاة، ورفع ذكرها وأعلى مكانتها فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»<sup>(١)</sup>.

والصلاة هي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الطبراني في الأوسط من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسدت سائر عمله»<sup>(٢)</sup>.

والصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [١١] [التوبة].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:

(١) صحيح البخاري برقم (٨)، وصحيح مسلم برقم (١٦).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢/٢٤٠) برقم (١٨٥٩) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في الصحيحة برقم (١٣٥٨).

«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>.

والصلاة حاجز بين العبد والمعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وكان من آخر وصايا النبي ﷺ وهو يعالج سكرات الموت: «الصَّلَاةُ، الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

ولها فضائل عظيمة:

منها: أنها كفارة للخطايا والذنوب، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: أن هذه الصلاة نور للعبد: روى مسلم في صحيحه من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ، أَوْ تَمْلَأُ، مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ

(١) صحيح مسلم برقم (٨٢).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٢٦٩٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٠٩ / ٢) برقم (٢١٨٣).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٢٨)، وصحيح مسلم برقم (٦٦٧).

نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا» (١).

ومنها أن المسلم يبلغ بالصلاة والصيام مقام الشهداء.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: كَانَ رَجُلَانِ مِنْ بَلِيٍّ حَيٍّ مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَشْهَدَا أَحَدُهُمَا، وَأُخِرَ الْآخَرُ سَنَةً. قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: فَأَرَيْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ، فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ، فَأُصْبِحْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْ ذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةَ صَلَاةِ السَّنَةِ؟!» (٢).

والصلاة يجب أن تؤدى في أوقاتها المحددة شرعاً، قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

قال البخاري: موقتاً وقتاً عليهم. وأداء الصلاة في وقتها من

أحب الأعمال إلى الله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٣).

ومما جاء في الترهيب من تأخير الصلاة عن وقتها حديث رؤيا

النبي ﷺ الطويل، وجاء فيه: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي أَنْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَتَلَعُ رَأْسَهُ فَيَتَدَهَّدُ الْحَجْرُ هَا هُنَا، فَيَتَّبِعُ الْحَجْرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٣).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٢٧/١٤) برقم (٨٣٩٩) وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٢٧)، وصحيح مسلم برقم (٨٥).

حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ»<sup>(١)</sup>.

وهذه الصلاة يجب أن تؤدى في بيوت الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتَقِمَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء].

فبيّنت الآية وجوب صلاة الجماعة في حال الحرب، ففي حال السلم من باب أولى.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فَتَقَامَ ثُمَّ أُمَرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

قال بعض أهل العلم: إن النبي ﷺ ما هم بذلك إلا أن هؤلاء المتخلفين قد ارتكبوا ذنبًا عظيمًا.

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٥١) واللفظ له.

وجاء في ذكر السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ»<sup>(١)</sup>، والمساجد بيوت الله من دخلها فقد حل ضيفاً على ربه، فلا قلب أطيب ولا نفس أسعد من ضيف حل على ربه في بيته وتحت رعايته، روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمَسْجِدُ بَيْتٌ كُلُّ تَقِيٍّ، وَتَكْفَلَ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرُّوحِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الضيافة تكون في الدنيا بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة بما أعد لهم من الكرامة والنعيم. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٦٦٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣١).  
 (٢) الطبراني في الكبير (٦/٢٥٤) برقم (٦١٤٣) قال المنذري في كتاب الترغيب والترهيب (١/٢٩٨) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وقال: إسناده حسن وهو كما قال رحمته الله. اهـ. وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح الترغيب والترهيب (١/٢٥٣) برقم (٣٣٠).



## مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وفارس من فرسانها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

أسلم هذا الصحابي سنة ثمان من الهجرة، وخاض عشرات المعارك.

يقول عنه المؤرخون: لم يهزم في معركة قط لا في جاهلية ولا في إسلام، يقول عن نفسه: «لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مَوْتَةِ تِسْعَةَ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ»<sup>(١)</sup>. وهذا يدل على شجاعته الفائقة، وعلى القوة العظيمة التي ركبها الله في جسده، وكان قائداً لجيش المسلمين في معركتي اليمامة واليرموك الشهيرتين، وقطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام في خمس ليال في عسكر معه، وكانت هذه من أعاجيب هذا القائد، وقد سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم سيف الله المسلول، وأخبر أنه: «سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ» والمنافقين، وقال عنه: «نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٤٢٦٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (١/٢١٦) برقم (٤٣) وقال محققوه: حديث صحيح بشواهده.

إنه فارس الإسلام خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي المكي، وهو ابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، كان رجلاً ضخماً، عريض المنكبين، قوي البنية، أشبه الناس بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كانت لهذا الصحابي مواقف عظيمة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، ومن هذه المواقف: معركة مؤتة الشهيرة، وقد حدثت سنة ثمان من الهجرة في نفس السنة التي أسلم فيها خالد، وكان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، وعدد جيش الروم مائتي ألف مقاتل، ونظراً لعدم تكافؤ العدد بين المسلمين وعدوهم، فقد ظهرت في هذه المعركة بطولات عظيمة للمسلمين، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم على جيش المسلمين زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، وقد استشهد القادة في هذه المعركة، بعد ذلك أخذ الراية ثابت بن أقرم، وقال للمسلمين: أمروا عليكم رجلاً، فاختاروا خالد بن الوليد، وهنا ظهرت شجاعته العظيمة وعبقريته الفذة، فقام بإعادة ترتيب جيش المسلمين مرة ثانية، فجعل اليمين ميسرة، والميسرة يمينه، ثم جعل بعض الجيش يتأخر قليلاً، ثم بعد فترة يأتون على هيئة مدد، حتى يضعف من عزيمة العدو، ثم حمل بالمسلمين حملة عظيمة على الروم جعلتهم يتقهقرون وتضعف عزيمتهم، وأبدى صلى الله عليه وسلم من صنوف الشجاعة والبطولة ما تتقاصر عنه همم الأبطال، ثم إنه بحنكته وسياسته اتخذ طريقة عجيبة في الانسحاب المنظم بالمسلمين، واكتفى بتلك الضربة، ورأى ألا يقحم المسلمين في معركة غير متكافئة، وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فتحاً، فقال عندما نعى القادة الثلاثة: «ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧٥٧).

وقد شهد خالد حروب الردة، وغزا العراق، وقد اختلف أهل السير في أسباب عزل خالد عن قيادة جيش المسلمين في الشام، ولعل الصحيح ما نقل عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لا، لأنزِعَنَّ خَالِدًا حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يَنْصُرُ دِينَهُ بِغَيْرِ خَالِدٍ<sup>(١)</sup>.

ومن أقواله العظيمة أنه قال: مَا مِنْ لَيْلَةٍ يُهْدَى إِلَيَّ فِيهَا عَرُوسٌ أَنَا لَهَا مُحِبٌّ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، كَثِيرَةِ الْجَلِيدِ فِي سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أُصْبِحُ فِيهَا الْعَدُوَّ<sup>(٢)</sup>.

وكتب رسالة إلى الفرس قال فيها: لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّ فَارِسٌ شُرْبَ الْخَمْرِ.

قال قيس بن أبي حازم: سمعت خالدًا وهو يقول: مَنَعَنِي الْجِهَادُ كَثِيرًا مِنْ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ<sup>(٣)</sup>.

قال أبو الزناد: لَمَّا احْتَضَرَ خَالِدٌ جَعَلَ يَبْكِي، وَقَالَ: لَقَدْ شَهِدْتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَعَارِكِ زَحْفًا، وَمَا فِي جَسَدِي مَوْضِعٌ شِبْرٍ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ، أَوْ رَمِيَّةٌ بِسَهْمٍ، أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ، وَهَذَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجَبَنَاءِ<sup>(٤)</sup>؛ لقد تمنى خالد الشهادة ونرجو أن الله بلغه إياها.

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن أبيه عن جده: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٧٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٣٧٥).

(٣) ذكره الحافظ في المطالب العلية (٤٠٤١).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٢).

(٥) صحيح مسلم برقم (١٩٠٩).

وعند وفاته لم يترك إلا فرسه وسلاحه ولامه، جعلها في سبيل الله، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، قال: رَحِمَ اللهُ أَبَا سُلَيْمَانَ كَانَ عَلَى مَا ظَنَّنَا بِهِ<sup>(١)</sup>.

وجاء في حديث عمر بن الخطاب في الزكاة: أن النبي ﷺ قال: «أَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا قَدْ اخْتَبَسَ أَذْرَاعَهُ وَأَعْتَدَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ»<sup>(٢)</sup>.

وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين من الهجرة في مدينة حمص الشامية، وعمره آنذاك ثمانية وخمسون عاماً<sup>(٣)</sup>.

رضي الله عن خالد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٦٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

## مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي وُلِدَ قبل البعثة بعشر سنين، وتربى في بيت النبوة، وهو أول من أسلم من الصبيان، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»<sup>(١)</sup>، وقال له أيضًا: «لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ»<sup>(٢)</sup>، وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عدا غزوة تبوك، وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، فقد بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وهو علي قيد الحياة، إنه فارس الإسلام أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، وله قرابة من النبي صلى الله عليه وسلم فهو ابن عمه وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها.

وصفه أهل السير بأنه كان أسمر اللون، كثيف شعر اللحية، ربعة من الرجال، ضخم البطن، حسن الوجه، إلى القصر أقرب، ويكنى أبا الحسن أو أبا تراب<sup>(٣)</sup>.

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف بطولية رائعة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فمنها أنه بات في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة،

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (٢٤٠٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٨). (٣) تاريخ الخلفاء (ص ١٣٢، ١٣٣).

وعرض نفسه للقتل فداء للنبي ﷺ، وهو أول من بارز في سبيل الله مع حمزة رضي الله عنه وعبدة بن الحارث، وهو من النفر القلة الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في غزوة أحد.

ومنها ما حدث في غزوة الخندق عندما اقتحم عمرو بن ود بفرسه، وكان فارساً من فرسان العرب المشهورين، وطلب من المسلمين المبارزة وهو مقنع بالحديد، فقال: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إليّ رجلاً. فخرج إليه علي بن أبي طالب، فقال: ارجع يا ابن أخي ومن أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهرق دمك، فقال له علي بن أبي طالب: ولكني والله لا أكره أن أهرق دمك، فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله عليٌّ بدرقته وضربه عمرو في الدرقة فقدها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه علي على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن علياً قتله وهو يقول:

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ      وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابٍ  
لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ خَاذِلَ دِينِهِ      وَنَبِيِّهِ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ

ومن مواقفه العظيمة أن خبير لما استعصت على جيوش المسلمين قال النبي ﷺ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب، فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاها الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ،

ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ  
لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»<sup>(١)</sup>.

فلما وصل علي خرج له ملكهم مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول:  
قَدْ عَلِمْتَ خَيْرٌ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ  
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ كَلَيْتِ غَابَاتِ كَرِيهَةِ الْمَنْظَرَةِ  
أَكَيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ

فاختلف علي ومرحب ضربتين، فأما ضربة علي فكانت القاضية  
وفتح الله عليه.

ومع شجاعته العظيمة فقد كان من علماء الصحابة، ومن دهاة العرب،  
فقد جيء بامرأة إلى عمر وقد ولدت غلاماً لسته أشهر فأمر برجمها.

فقال له علي: يا أمير المؤمنين ألم تسمع إلى قول الله تعالى:  
﴿وَحَمَلُهُ وَفِضْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؟ فالحمل ستة أشهر  
والفصال وهو الفطام في عامين.

فترك عمر رجم المرأة وكان يقول: قضية ولا أبا الحسن لها.

وكان رضي الله عنه شديد الورع فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق من  
حديث أبي عمرو بن العلاء عن أبيه قال: خطب علي فقال: أيها الناس  
والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت<sup>(٢)</sup> من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه،  
وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب فقال: أهداها إلي الدهقان<sup>(٣)</sup>،

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٦). (٢) أي: ما أخذت.

(٣) (٤٢/٤٨٠).

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث هارون بن عنتره عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال، وأنت تفعل بنفسك هذا؟ فقال: إني والله لا أرزأ من مالكم شيئاً، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي، أو قال: من المدينة<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن زهير أنه قال: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام - قال: حسن: يوم الأضحى - فقرب إلينا خزيرة<sup>(٢)</sup>، فقلت: أصلحك الله، لو قربت إلينا من هذا البط - يعني الوز - فإن الله ﷻ قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زهير إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَحِلُّ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ مَالِ اللَّهِ إِلَّا قَصْعَتَانِ، قَصْعَةٌ يَأْكُلُهَا هُوَ وَأَهْلُهُ، وَقَصْعَةٌ يَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>.

ومن أقواله العظيمة أنه كان يقول: (ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله).

ومن أقواله أيضاً: (خمس خذوهن عني: لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحيي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له)<sup>(٤)</sup>.

وقيل: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا، قال: (ما أصف لكم من

(١) (١/٨٢).

(٢) لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذرَّ عليه الدقيق.

(٣) (٢/١٩)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٦٢).

(٤) تاريخ الخلفاء (ص ١٤٧).

دار، من افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن، ومن صح فيها أمن، حلالها الحساب، وحرامها العقاب).

وقال أيضًا: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة: قيل وما النقص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاء ما ينغصه إياها<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: ولقد أخبر النبي ﷺ عليًا بقتله، فكان كما أخبر سواء بسواء<sup>(٢)</sup>. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَشَقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَحْيَمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ، يَعْنِي قَرْنَهُ، حَتَّى تَبَلَ مِنْهُ هَذِهِ، يَعْنِي لِحْيَتَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وكان قتله رضي الله عنه على يد الشقي الخارجي عبد الرحمن بن ملجم سنة أربعين من الهجرة، في السابع عشر من شهر رمضان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء].

قال الذهبي رحمه الله: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ الخلفاء (ص ١٤٤).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٢٠٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٠/ ٢٥٧) برقم (١٨٣٢١)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٤) تاريخ الإسلام (ص ٦٥٤).

وروى ابن الأثير في أسد الغابة بسنده من طريق عمرو ذي مر قال: لما أصيب علي بالضربة، دخلت عليه وقد عصب رأسه، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، أرني ضربتك. قال: فحلها، فقلت: خدش وليس بشيء. قال: إني مفارقكم. فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: اسكتي، فلو ترين ما أرى لما بكيت. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين ماذا ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود، والنبون، وهذا محمد ﷺ يقول: «يا علي أبشر فما تصير إليه خير مما أنت فيه»<sup>(١)</sup>.

وقد رثاه أبو الأسود الدؤلي، وبعضهم يرونها لأم الهيثم بنت العريان النخعية:

أَلَا يَا عَيْنُ وَيْحَكَ أَشْعِدِينَا	أَلَا تَبْكِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
تُبْكِي أُمَّ كَلْثُومَ عَلَيْهِ	بَعْبَرْتَهَا وَقَدْ رَأَتْ الْيَقِينَ
أَلَا قُلْ لِلْخَوَارِجِ حَيْثُ كَانُوا	فَلَا قَرَّتْ عُيُونُ الشَّامِتِينَ
أَفِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَجَعْتُمُونَا	بِخَيْرِ النَّاسِ طُرًّا أَجْمَعِينَا
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا	فَذَلَّلَهَا وَمَنْ رَكَبَ السَّفِينَا
وَمَنْ لَبَسَ النَّعَالَ وَمَنْ حَذَّاهَا	وَمَنْ قَرَأَ الْمَثَانِي وَالْمُبِينَا
وَكُلَّ مُنَاقِبِ الْخَيْرَاتِ فِيهِ	وَحُبَّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَا
لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشُ حَيْثُ كَانُوا	بَأَنَّكَ خَيْرُهَا حَسَبًا وَدِينَا
كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوا عَلِيًّا	نَعَامُ حَارَ فِي بَلَدِ سِنِينَا

رضي الله عن علي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أسد الغابة (٣/٣٠٣).



## الصبر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: (بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ أَجُودَ مَا يَسْتَعَانُ بِهِ عَلَى تَحْمِلِ الْمَصَائِبِ الصَّبْرُ وَالصَّلَاةُ) (١). اهـ.

وقد ذكر الله الصبر في مواضع عديدة من كتابه، وأضاف إليه كثيراً من الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وقد ذكر الله الصبر في أكثر من تسعين موضعاً، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين، بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة] فإن الدين كله علم بالحق، وعمل به، والعمل به لا بد فيه من الصبر، وطلب علمه يحتاج إلى الصبر (٢). اهـ.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

(١) تفسير ابن كثير (١/١٩٦). (٢) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٧٦).

ومن الأدلة على أهمية الصبر أن الله أمر به رسوله أول ما أوحى إليه، وأمره بالإنذار، فقال: ﴿يَتَأْتِيَ الْمَدِيثُ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثَبِّكْ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْبِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦﴾ [المدثر].

وفي قوله: ولربك فاصبر إشارة إلى إخلاص الصبر لله تعالى، لا ليُقَالَ صبور، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ ①﴾ [الرعد: ٢٢] الآية.

قال بعض السلف: (عجباً للصبر تداوى به الأشياء ولا يُداوى بشيء). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَلَنْ تُعْطُوا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»<sup>(١)</sup>.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»<sup>(٢)</sup> وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ<sup>(٣)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له<sup>(٤)</sup>.

والصبر هو حبس النفس على الطاعة، وكفها عن المعصية، والرضى بقضاء الله وقدره دون شكوى فيه ولا معه.

قال ابن القيم: «الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام:

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٦٤٧٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٣).

(٣) الدر المنثور (١/١٦٣).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٧٦).

صبر الأوامر والطاعات حتى يؤدّيها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها<sup>(١)</sup>.  
فأما الصبر على طاعة الله، فإن النفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة، فلا بد من ترويضها وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار قال تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف].

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة و كان من الصحابة: أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ وِرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمٌ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: «بَلْ مِنْكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، يَبِيعُ قَوْمَ دِينَهُمْ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ، الْمُتَمَسِّكُ يَوْمٌ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ». أو قال: «عَلَى الشُّوكِ»<sup>(٣)</sup>.

ويدخل في ذلك الصبر على الطاعات الواجبة والسنن المشروعة،

(١) مدارج السالكين (١٦٣/٢).

(٢) معجم الطبراني الكبير (١١٧/١٧) برقم (٢٨٩)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٤/١٥) برقم (٩٠٧٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

والدعوة إلى الله، وطلب العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

ثانياً: الصبر عن معصية الله فإن العبد محتاج إلى الصبر عن ملذات الدنيا وشهواتها المحرمة، قال تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (١١٢) [الإنسان]. قال بعض المفسرين: صبروا عن معصية الله (١).

ثالثاً: صبر على أقدار الله كفراق الأحبة، وخسارة المال، وزوال الصحة، وسائر أنواع البلاء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء»، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلماً اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقةً ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة» (٢).

قال الشاعر:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ      لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

وقال آخر:

وَاصْبِرْ عَلَى الْقَدْرِ الْمُحْتَمِومِ وَارْضَ بِهِ      وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ  
فَمَا صَفَا لِمَرِيٍّ عَيْشٌ يُسْرُّ بِهِ      إِلَّا سَيَتَبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦٩/٢١).

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٣٩٨) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وينبغي للمسلم أن يصبر عند أول سماعه للمصيبة، وأن يسترجع ربه. وأن يذكر مصابه بالنبى ﷺ.

روى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم تعرفه -، فقيل لها: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فأنت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إنني قتلها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

لكن لا يشرع للمسلم أن يسأل الله الصبر قبل وقوع البلاء، ولكن يسأل الله العافية.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن

(١) سنن الدارمي (١/٥٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٤٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٢٨٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٢٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (٩١٨).

النبي ﷺ سمع رجلاً وهو يقول: اللهم إنِّي أسألك الصبر، فقال: «قَدْ سَأَلْتَ الْبَلَاءَ فَسَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٣٦/٣٤٨) برقم (٢٢٠١٧)، وقال محققوه: إسناده حسن.

الكلمة الحادية والستون

عذاب القبر ونعيمه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث أحد نصوص كثيرة من القرآن والسنة تثبت عذاب القبر ونعيمه، وأنه حق يجب الإيمان به والاستعداد له.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَمٌ لَكَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزْلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْبَقِيَّةِ ﴿٩٥﴾ [الواقعة].

قال ابن كثير: هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند الاحتضار، إما أن يكون من المقربين، وإما أن يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله.

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٦).

فقوله فروح وريحان وجنت نعيم، أي: فلهم روح وريحان، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت. اهـ<sup>(١)</sup>. وقد استدل بعض العلماء على أن عذاب القبر حق يجب الإيمان به، بقوله تعالى عن آل فرعون ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [٤٦] [غافر].

قال ابن كثير: فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً، إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور<sup>(٢)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ لَهُ: مَا عَلِمْتَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوْ الْمُؤَقِنُ لَا أَدْرِي أَي ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لِمُوقِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ (لَا أَدْرِي أَيَّتَهُمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ) فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»<sup>(٣)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر، فقال:

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٦/١٣). (٢) تفسير ابن كثير (١٢/١٩٣) بتصرف.

(٣) صحيح البخاري برقم (١٠٥٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٠٥).

«نعم عذاب القبر حق» قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلي صلاة، إلا تعود من عذاب القبر<sup>(١)</sup>.

وقد بين النبي ﷺ لأُمَّته صورة هذا الابتلاء الذي يكون في القبر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «العبد إذا وُضع في قبره وتُولى وذَهَبَ أصحابه، حتى إنه ليسمَع فرع نعالهم، أتاه ملكان فأفعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعدًا من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعًا. وأما الكافر - أو المنافق - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. قال: «نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبي محمد ﷺ، فذلك قول الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»<sup>(٣)</sup>.

وشرع النبي ﷺ لأُمَّته أن يستغفروا للमित، ويسألوا له الثبات، روى أبو داود في سننه من حديث عثمان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا فرغ

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٧٢)، وصحيح مسلم برقم (٥٨٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٧٠) مختصرًا.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٧١).

من دفن الميت وقف عليه وقال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّشْيِيتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»<sup>(١)</sup>.

وكان النبي ﷺ يكثر الاستعاذة من عذاب القبر، وأمر بذلك أصحابه، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهُ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ». ثم أقبل علينا بوجهه: فقال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»<sup>(٢)</sup>.

والقبر أول منزل من منازل الآخرة، روى الترمذي في سننه من حديث عثمان رضي الله عنه: أنه كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبيل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» قال: وقال رسول الله ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا الْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»<sup>(٣)</sup>. وفي القبر ضمة لا يسلم منها أحد.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) سنن أبي داود برقم (٣٢٢١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٢٠) برقم (٢٧٥٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٧).

(٣) سنن الترمذي برقم (٢٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٧) برقم (١٨٧٨).

(٤) مسند الإمام أحمد (٤/٣٢٧) برقم (٢٤٢٨٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

وروى النسائي في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال عن سعد بن معاذ: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضَمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فَرَّجَ عَنْهُ»<sup>(١)</sup>.

قال الشافعي:

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا مَالَ وَلَا وَلَدٌ وَضَمَّةُ الْقَبْرِ تُنْسِي لَيْلَةَ الْعُرْسِ  
ليتصور كل واحد منا نفسه وقد حُمِلَ على أكتاف الرجال، ووضِع في هذه الحفرة الضيقة المظلمة التي لا أنيس فيها، ولا جليس، ولا مال، ولا بنون، وأصبح القبر مسكنه، والتراب فراشه والدود أنيسه، في ذاك الموقع لا تنفع الأموال، ولا المناصب، ولا الشهادات، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُفَرِّقُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَىٰ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ»<sup>(٢)</sup>. فينبغي للمؤمن أن يتدارك نفسه وأن يبادر بالتوبة النصوح؛ وأن يلزم نفسه بالطاعة والتقوى، وأن يكون على استعداد للقاء ربه.

قال الشاعر:

تَزَوَّدَ مِنَ التَّقْوَىٰ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ  
فَكَمْ مِنْ فَتَىٰ يُمَسِّي وَيُصْبِحُ لَاهِيًا وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي  
وَكَمْ مِنْ صَاحِبٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عَلَّةٍ وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠).

وكم من صغار يرتجى طول عمُرهم وقد أُدخِلت أجسادهم ظلمة القبر وأختم بهذه البشارة، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة، تسرح أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، فإن الإمام أحمد بن حنبل رواه عن محمد بن إدريس الشافعي ورواه الشافعي عن مالك بن أنس ومالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ<sup>(١)</sup> فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»<sup>(٢)(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أي يأكل.

(٢) مسند الإمام أحمد (٥٨/٢٥)، قال محققوه: إسناده صحيح ما فوق الإمام الشافعي على شرط الشيخين.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٢٦٣).

الكلمة الثانية والستون

فضل الدعوة إلى الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فقد ذكر تعالى جماعة من الأنبياء ﷺ في سورة النساء، ثم قال: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [١٦٥] ﴿النساء﴾.

فبيّن تعالى في هذه الآية وظيفتهم، وهي دعوة الناس إلى الله تعالى تبشيراً بالخير، وتحذيراً من الشر، قال تعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٤٥] ﴿دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [٤٦] ﴿الأحزاب﴾ ثم أمره أن يبين لأمته أن هذه وظيفته ووظيفة أتباعه، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٠٨] ﴿يوسف﴾.

فالرسل وأتباعهم مأمورون بدعوة الناس إلى توحيد الله وطاعته، وإنذارهم عن الشرك به ومعصيته، وهذا مقام شريف، ومرتبة عالية لمن وفقه الله تعالى للقيام بها على الوجه الذي يرضي الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣] ﴿فصلت﴾.

ولما عرف الصالحون شرف هذه المهمة حرصوا عليها، فلم

يسيروا إليها مشياً؛ بل سعوا لها سعياً، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعليّ لَمَّا أرسله لقتال اليهود في خيبر: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلَكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ. فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» <sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا» <sup>(٢)</sup>، فتأمل أخي هذا الفضل العظيم، فإن الداعي إلى الله يجري له ثواب من اهتدى بدعوته وهو نائم في فراشه، أو مشغول في مصلحته؛ بل إن ذلك يجري له بعد موته، لا ينتهي ذلك إلى يوم القيامة.

وبعد ما تقدّم أذكر نفسي وإخواني ببعض الوصايا، التي أرجو أن تكون علامات يستنبطون بها في طريق الدعوة إلى الله.

أولاً: أوصي الداعية إلى الله بالإخلاص في دعوته، وقد أرشد تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: وفيه مسائل منها:

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٤).

التنبية على الإخلاص؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه<sup>(١)</sup>، قال الشافعي: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليّ منه شيء. وهذا موسى عليه السلام لما أمره الله بدعوة فرعون سأل ربه أن يرزقه حسن الإبانة عما يريد، لا ليُقَالَ خطيئاً أو فصيحاً كما أخبر سبحانه أنه قال: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧].

ثانياً: على الداعي إلى الله أن يتزود بالعلم الشرعي، كما قال تعالى لنبيه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فإنه بهذا تكون دعوته أقرب إلى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وحرى بمن كان كذلك أن تستجاب دعوته.

قال ابن القيم رحمته الله: وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد، وأجلها، وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي، ويكفي في هذا شرف العلم، أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ثالثاً: دل قوله تعالى: ﴿أَتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]: أن من توفر فيه هذان الأمران، كانت دعوته واجبة القبول.

وهما: ألا يأخذ على دعوته أجراً سوى ما يرجوه من ربه<sup>(٣)</sup>، وأن يكون من المهتدين، وذلك يشمل هدايته في دعوته وهدايته في نفسه، وفي ضمن هذا التنبية للداعي إلى الله كما يدعو الناس بقوله أن يدعوهم بعمله.

(١) كتاب التوحيد (ص ١٦).

(٢) التفسير القيم (ص ٣١٩).

(٣) ولا يدخل في ذلك ما يأخذه من كلف بالدعوة من أجر من بيت المال.

رابعاً: الصبر في سبيل الدعوة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ومن لوازم الصبر ألا يستطيل الطريق، ولا يستعجل النتائج. روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد برده في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَاللَّهُ لَيَتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِئُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»<sup>(١)</sup>.

خامساً: يجب أن يعلم الدعاة وغيرهم أن دعوة الإسلام دعوة عالمية، يجب أن تنتشر، وأن تبلغ إلى الناس جميعاً، في مشارق الأرض ومغاربها؛ لتقوم الحجة على العباد، ولكي تصل دعوة الرسول ﷺ إلى كل من بعث إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ].

وقد علم الدعاة المصلحون ورثة الرسل هذه الحقيقة، فقاموا وبينوها للناس امتثالاً لأمر ربهم حين قال: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٤٣).

قال سماحة الشيخ الإمام العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الواجب على جميع القادرين من العلماء وحكام المسلمين والدعاة الدعوة إلى الله، حتى يصل البلاغ إلى العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا هو البلاغ الذي أمر الله به، قال الله تعالى لنبيه: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالرسول عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعاً عليهم البلاغ وعلى أتباع الرسل أن يبلغوا.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»<sup>(١)</sup>.

وليس بخافٍ على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كله في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الصحيحة، التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه، وبذلك يتضح لكل طالب علم أن الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأن الأمة في كل زمان ومكان في أشد الحاجة إليها؛ بل في أشد الضرورة إلى ذلك، فالواجب على أهل العلم أينما كانوا أن يبلغوا دعوة الله؛ وأن يصبروا على ذلك، وأن تكون دعوتهم نابعة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، وعلى طريقة الرسول وأصحابه ومنهج السلف الصالح رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: فعند قلة الدعاة وكثرة المنكرات وغلبة الجهل كحالنا

(١) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٣٤٦١).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٢٤٨، ٣٣٣) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم (٥/١٩٥٩، ١٩٦٠).

اليوم تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته وإذا كان في محل محدود كقرية ومدينة ونحو ذلك ووجد فيها من تولى هذا الأمر وقام به وبلغ أمر الله كفى وصار التبليغ في حق غيره سنة؛ لأنه قد أقيمت الحجة على يد غيره، ولكن بالنسبة إلى بقية أرض الله وإلى بقية الناس يجب على العلماء حسب طاقتهم وعلى ولاة الأمر حسب طاقتهم أن يبلغوا أمر الله بكل ما يستطيعون وهذا فرض عين عليهم على حسب الطاقة والقدرة، وبهذا يعلم أن كونها فرض عين وكونها فرض كفاية أمر نسبي يختلف فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص وسنة بالنسبة إلى أشخاص وإلى أقوام لأنه وجد في محلهم وفي مكانهم من قام بالأمر وكفى عنهم<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجموع فتاوى ومقالات للشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٣٣٢).

الكلمة الثالثة والستون

تربية الأبناء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من أكبر الأمانات، وأعظم المسؤوليات تربية الأولاد، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أدبوهم وعلموهم الخير، وعلى الأب أن يراعي في التربية الأمور التالية.

أولاً: اختيار الزوجة الصالحة، وهي أول خطوة من خطوات التربية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «تُنكحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَظَفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ» (١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» (٢).

ثانياً: الإخلاص لله في التربية واحتساب الأجر على الله فيما يبذل فيها من جهد أو مال، لا ليقال إنه أحسن فيها، أو يشار إليه بالبنان، قال

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٩٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٦) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٤٦٧).

تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»<sup>(١)</sup>.  
فالتربية عبادة من أجل العبادات، لما يترتب عليها من منافع خاصة وعامة، ولما فيها من المشقة والعناء.

ثالثاً: تعويد الأولاد على العبادات وحثهم عليها بالرفق والحسنى منذ الصغر؛ ليألفوها ويحبوها، قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢] الآية.

روى أبو داود في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»<sup>(٢)</sup>.  
وفي رواية: «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: ومن كان عنده صغير، أو مملوك، أو يتيم، فلم يأمره بالصلاة فإنه يُعاقب الكبير إذا لم يأمر الصغير، ويعزر الكبير تعزيراً بليغاً؛ لأنه عصى الله ورسوله<sup>(٤)</sup>. اهـ.

وقال ابن القيم رحمته الله: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء،

(١) صحيح البخاري برقم (١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٧/١) برقم (٤٦٦).

(٣) سنن الترمذي برقم (٤٠٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) الفتاوى (٥١/٢٢).

وإهمالهم، وترك تعليمهم فرائض الدِّين وسننه، فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا<sup>(١)</sup>. اهـ.

رابعًا: تجنيبهم المحرمات والمنكرات، وتحذيرهم منها، وغرس بغضها في قلوبهم لما تجره عليهم من ويلات في الدنيا والآخرة، وبعض الآباء لا يهتم بهذا، بحجة أنهم صغار وغير مكلفين، وهذا خلاف ما كان عليه المعلم الناصح صلى الله عليه وسلم.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَيْخ، كَيْخ» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟!»<sup>(٢)</sup>.

خامسًا: القدوة الحسنة، وهي من ضروريات التربية، فمعلوم أن الابن يعجب بأبيه ويحب تقليده والافتداء به، فيجب على الآباء والأمهات والمربين أن لا تخالف أقوالهم أفعالهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف].

وقال تعالى عن نبي الله شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَلِّفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ [هود: ٨٨].

قال الشاعر:

لَا تَنْهَ عَن خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

سادسًا: إبعادهم عن جلساء السوء، وتوجيههم إلى مصاحبة الأخيار والصالحين.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) تحفة المودود في أحكام المولود (ص ٨٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٩١).

قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»<sup>(١)</sup>.

وبعض الآباء هدايا الله وإياه لا يعرف أين يذهب أبناؤه، ولا من يصاحبون، ولا كيف يقضون أوقاتهم، وربما جعل هذه المهمة خاصة بالأم، ومعلوم أن الأم لا تستطيع متابعتهم في أكثر الأحوال، وأعظم وأقبح من ذلك تولية الخدم والسائقين تربية الأولاد وتوجيههم فإلى الله المشتكى.

سابعاً: إلحاق الابن بحلقات تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة في المساجد.

روى البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ثامناً: حماية الأبناء من وسائل الإعلام السيئة، فمن العوامل التي تؤدّي إلى انحراف الأولاد وتدفعهم إلى ارتكاب الجريمة والسير في مهاوي الرذيلة، ما يشاهدونه في القنوات الفضائية وعلى شاشة التلفاز، من أفلام خليعة، وتمثيلات هابطة، وكذلك أفلام الكرتون السيئة التي تحتوي على كثير من المخالفات الشرعية في العقيدة والسلوك، مع تساهل كثير من الناس بها، وغفلتهم عما تحويه من الشرور العظيمة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ

(١) سنن أبي داود برقم (٤٨٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٧) برقم (٤٠٤٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٢٧).

يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

ومن الغش: إدخال هذه الأجهزة التي تفسد عليهم دينهم وأخلاقهم.

تاسعاً: تعليمهم أمور الإسلام والإيمان وغرس تعظيم الله في قلوبهم، وحبهم له، وتحبيب النبي ﷺ إليهم وبيان فضله وفضل الاقتداء به، وتعليمهم الآداب الحسنة والأخلاق الكريمة كآداب اللباس، والمسجد، والطعام والشراب وأذكار الصباح والمساء، واحترام الكبير، والأدب مع الزملاء والأصدقاء، وتعويدهم على الكلام الحسن وتجنبهم الألفاظ القبيحة، والنظافة في البدن والثياب، وغير ذلك من جميل الآداب وكريم الخصال.

عاشراً: تعويدهم على النوم مبكراً والاستيقاظ مبكراً وشغل أوقاتهم بما ينفعهم والإذن لهم في اللعب المباح في أوقات محددة حتى لا يملوا.

الحادي عشر: أن يكون الأب رقيقاً في تعامله معهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»<sup>(٢)</sup>، وأن يعدل بينهم في كل شيء، في كلامه وسلامه، ونفقته، وعطاياه، وغيرها مما يحتاجون إليه حتى لا تقع الغيرة بينهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٩٤).

(٣) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (١٦٢٣).

الثاني عشر: أن يعلم الأب أن الهداية بيد الله يهدي من يشاء بفضلها، ويضل من يشاء بعدله، وإنما عليه هداية الدلالة والإرشاد، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

وعليه أن يكثر من الدعاء لهم بالصلاح والهداية، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وليحذر من الدعاء عليهم. روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنِّي سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٣٠٠٩).

(٢) مطوية في تربية الأبناء للشيخ عبد اللطيف بن باجس الغامدي.

## خطورة الاستهزاء بالدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة التي تخرج فاعلها من دائرة الإسلام وتوجب له الخلود في نار جهنم الاستهزاء بالله أو رسوله أو كتابه أو المؤمنين، وحيث إن الموضوع واسع المجال لمن أراد أن يتكلم فيه، رأيت إيجاز القول في العناصر التالية:

١ - تعريف الاستهزاء وذكر أمثلة لذلك.

٢ - حكم الاستهزاء وبيان الأدلة على كفر المستهزئين وأقوال أهل العلم في ذلك.

٣ - حكم توبة المستهزئ وهل تُقبل أم لا؟

٤ - صور من الاستهزاء في وقتنا المعاصر.

أما تعريفه: فإن الاستهزاء لغة: مصدر من قولهم استهزأ يستهزئ، وهو مأخوذ من مادة (هـ - ز - أ) التي تدل على السخرية، أو على مزح في خفية، أو على السخرية واللعب<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال بعض أهل العلم: ينقسم الاستهزاء إلى قسمين - الاستهزاء الصريح، كالذي نزلت الآية فيه، وهو قولهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء،

(١) ابن فارس في المقاييس (٦/٥٢)، مفردات الراغب (ص ٥٤٠).

أرغب بطوناً، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين، وقول بعضهم: دينكم هذا دين خامس. وقول الآخر: دينكم أخرج، وقول الآخر إذا رأى الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر: جاءكم أهل الديك، من باب السخرية بهم، وما أشبه ذلك مما لا يُحصى، إلا بكلفة مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: ومثل هذا ما يقوله بعضهم: إن الإسلام لا يصلح للقرن العشرين، وإنما يصلح للقرون الوسطى، وإنه تأخر ورجعية، وأن فيه قسوة ووحشية في عقوبات الحدود والتعازير، وأنه ظلم المرأة حقها حيث أباح الطلاق وتعدد الزوجات، وقولهم: الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام، ويقولون في الذي يدعو إلى التوحيد وينكر عبادة القبور والأضرحة: هذا متطرف، أو يريد أن يفرق جماعة المسلمين، أو هذا وهابي، أو مذهب خامس أو الدين ليس في الشعر استهزاء بإعفاء اللحية، وما أشبه هذه الأقوال التي كلها سب للدين وأهله واستهزاء بالعقيدة الصحيحة<sup>(٢)</sup>. اهـ.

٢ - الاستهزاء غير الصريح، وهو البحر الذي لا ساحل له مثل الغمز بالعين، وإخراج اللسان، ومد الشفة، والغمز باليد عند تلاوة كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(٣)</sup>.

أما حكم الاستهزاء فإنه كفر، وهو من نواقض الإسلام العشرة كما ذكر ذلك أهل العلم، وهو من أعظم صفات المنافقين والأدلة على ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ

(١) مجموعة التوحيد (ص ٤٠٩).

(٢) كتاب التوحيد (ص ٤٧).

(٣) مجموعة التوحيد (ص ٤٠٩).

وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولُو الْعُقُوبَةِ [التوبة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ۝٣٢﴾ [المطففين].

وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥﴾ [التوبة].

وسبب نزول هذه الآية عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة: دخل حديث بعضهم في بعض، أن رجلاً كان مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، فقال: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ فُرَاتِنَا هَؤُلَاءِ أَرْعَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ» وهو يعني بقوله هذا: النبي ﷺ وأصحابه القراء رضي الله عنهم، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: فكأنني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة لتتكب رجلية، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فقال له رسول الله ﷺ: «﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، مَا يَلْتَفَتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيدُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن جرير (٤٠٣٦/٥) برقم (١٦٩٧٠)، وقال الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٢٦: الحديث رجاله رجال الصحيح إلا هشام ابن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان، وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم (٦٤/٤) من حديث كعب بن مالك.

(٢) الفتاوى (٢٧٣/٧).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: ولو قال وهو يتعاطى قدح الخمر، أو يقدم على الزنا: بسم الله استخفافاً بالله تعالى كفر<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «التوحيد»: باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول، وفيه مسائل:

الأولى وهي العظيمة: أن من هزل بهذا كافر<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب: أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر، ولو هازلاً، لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً<sup>(٣)</sup>. اهـ.

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى: «الذي يبغض اللحية ويقول وساخة، هل هو مرتد؟»

فأجاب: إن كان يعلم أنه ثابت عن الرسول الله ﷺ، فهذا استهزاء بما جاء به الرسول ﷺ، فحريٌّ أن يحكم عليه بذلك<sup>(٤)</sup>.

وإن من الردة عن دين الله: ما يتلفظ به بعض أبناء المسلمين من كلمات كفرية، يخرجون بها من دين الإسلام وهم لا يشعرون.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنَّ مَا فِيهَا<sup>(٥)</sup> يَهْوِي

(١) روضة الطالبين (١٠/٦٧).

(٢) (ص ٥٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٦١٧).

(٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١١/١٩٥).

(٥) أي ما يتفكر هل هي خير أو شر؟

بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»<sup>(١)</sup>.

أما عن توبة المستهزئ، فقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «القول المفيد في شرح كتاب التوحيد»: وقد اختلف أهل العلم فيمن سب الله أو رسوله أو كتابه، هل تقبل توبته أم لا؟ على قولين:

الأول: أنها لا تقبل توبته، بل يقتل كافرًا ولا يُصلى عليه ولا يدعى له بالرحمة، وهو المشهور عند الحنابلة.

الثانية: أنها تُقبل توبته إذا علمنا صدقه وأقر على نفسه بالخطأ، ووصف الله تعالى بما يستحق من صفات التعظيم<sup>(٢)</sup>.

ومن صور الاستهزاء التي نرى ونسمع وللأسف في هذه الأيام، هذه المقالات السيئة والرسوم الساخرة، التي تكتب في الجرائد والمجلات والكتب، ويزعمون أنها للتسلية وفيها الكفر والردة عن الدين.

أحدهم رسم ديكًا تتبعه أربع دجاجات يقصد السخرية من تعدد الزوجات، وآخر كتب مقالًا تهجم فيه على الحجاب، وزعم أنه تخلف ورجعية، وآخر سَوَّلَ له الشيطان سوء عمله فجعل القرآن شعرًا يتغنى به على أنغام الموسيقى. نسأل الله السلامة والعافية.

وينبغي أن يعلم أنه يجب الإنكار على هؤلاء المستهزئين وتنبههم على عظيم جرمهم وخطورته، فإن لم يستجيبوا فلا يجوز الجلوس معهم في مجلس واحد، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ ﴿١٤٠﴾ [النساء].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٨).

(٢) (٢/٢٦٨) بتصرف.

سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عن الصحف والمجلات والكتب التي تنشر المقالات الإلحادية والصور الخليعة وتشيد بالكفار والفجار وأهل الفن، وهل يجوز شرائها أو بيعها أو الترويج لها؟ فأجاب: الصحف التي هذا شأنها يجب أن تقاطع وأن لا تشتري ويجب على الدولة إذا كانت إسلامية أن تمنعها لأن هذه تضر المجتمع وتضر المسلمين فالواجب على المسلم أن لا يشتريها وأن لا يروجها وأن يدعو إلى تركها، وعلى المسؤولين الذين يستطيعون منعها أن يمنعوها<sup>(١)</sup>. أ.هـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الموسوعة البازية في المسائل النسائية (٢/١٢٧٤).

## وقفة مع حديث شريف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ: «فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ أَحَبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث الشريف اشتمل على وصايا عظيمة وجمل نافعة، من هذا الملك الكريم جبريل عليه السلام، ينبغي أن نقف عندها وقفة تأمل وتدبر.

فقوله: عِشْ مَا شِئْتَ: أي مهما طال عمرك في هذه الحياة فإن الموت نهاية كل حي ومصيره، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ

(١) مستدرک الحاكم (٥/٤٦٣) برقم (٧٩٩١)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٤٨٥): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير برقم (٧٣).

## تَخْنِصُمُونَ ﴿٣١﴾ [الزمر].

قال كعب بن زهير:

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ      يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

وقال آخر:

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ      فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْمَوْتِ مَا الدَّارُ

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ<sup>(١)</sup>، فَارْجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيُّ رَبِّ تُمْ مَاذَا؟ قَالَ: تُمْ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ<sup>(٢)</sup>. فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ تُمْ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ».

ومن فوائد قوله: «عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ»: أن يعلم المؤمن أن الموت قد يأتيه بغتة وهو في غفلة عنه، قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون].

فينبغي للمؤمن أن يكون على استعداد للقاء ربه ولا يغتر بالحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [العنكبوت].

(١) أي ضربه والمفهوم من الحديث أنه ضربه على عينه فأخرجها.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٣٣٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٢).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْرَنَكُمْ أَلْيُوهُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿٥﴾ [فاطر].

وقوله: «وَأَحِبُّ مَنْ أَحَبَّتْ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ» أي أحب من شئت من زوجة، وأولاد، ومال ومنصب، وجاه، وغيرها، من متاع الدنيا فإنك عما قريب ستفارقها.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»<sup>(١)</sup>.

ومن فوائد الجملة السابقة: الاستعداد لفراق الأحبة، حتى إذا وقع يكون المؤمن قد تاهب لذلك فيخف وقعه عليه.

ومنها: أن يهتم المؤمن للرفيق الذي لا يفارقه في الدنيا والآخرة، وهو عمله الصالح.

قوله: «وَأَعْمَلُ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ». قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٢٣﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [النحل].

وقد ذكر الله بذلك فأعظم الذكر، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْقُوا

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠).

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٨١﴾ [البقرة].

قوله: «وَأَعْلَمُ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامَ اللَّيْلِ» فيه إشارة إلى تعويض المؤمن عما يفوته من شرف الدنيا المنهي عن الحرص عليه، فيرتفع ذكره ويشرف قدره بقيام الليل، قال تعالى: ﴿ نَسَجَانِي جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا سَعَارِ لَهُمْ يَسْتَعْفِرُونَ ﴿١٨﴾ [الذاريات].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاءٌ عَنِ الْإِثْمِ»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»، العزة مطلب لكل نفس أبية، وإن من أعظم أسباب نيل العزة: التعلق بمن العزة بيده سبحانه، وترك التعلق بمن دونه ممن لا يزيد التعلق بهم إلا ذلاً وهواناً.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴿١٠﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿ بَشِيرِ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبِنُّوْنَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ [النساء].

(١) سنن الترمذي برقم (٣٥٤٩) وقال: وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢/ ١٩٩ - ٢٠٢) برقم (٤٥٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده، فقال: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»<sup>(١)</sup>.

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ وَلَوْ بِشَوْصِ السَّوَالِكِ»<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر:

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً      وَسَلِ الَّذِي أَبَوَابُهُ لَا تُحَجَبُ  
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ      وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وقال عمر رضي الله عنه: إِنْ الطَّمَعُ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنَى، إِنَّهُ مَنْ يِيَّأَسَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ اسْتَغْنَى عَنْهُمْ<sup>(٣)</sup>.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ يَبُلُّ الخُبْزَ الْيَاسِ بِالمَاءِ وَيَأْكُلُ، وَيَقُولُ: مَنْ قَنِعَ بِهَذَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَحَدٍ<sup>(٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٢) الطبراني في الكبير (١١/٤٤٤) برقم (١٢٢٥٧) وقال المنذري في كتابه: «الترغيب والترهيب» (١/٦٣٦): رواه البزار والطبراني بإسناد جيد.

(٣) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٢٣٩).



## زكاة الفطر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن العبادات التي أوجبها الله على المسلمين في هذا الشهر المبارك زكاة الفطر وقد شرعها الله للصائمين تطهيراً للنفس من أدران الشح، وتطهيراً للصائم مما قد يؤثر فيه، وينقص ثوابه من اللغو والرفث، ومواساة للفقراء والمساكين، وإظهاراً لشكر نعمة الله تعالى على العبد بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه، وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه.

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: **فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللِّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ<sup>(١)</sup>**. وتجب زكاة الفطر على كل مسلم ذكرًا كان أو أنثى حرًا كان أو عبدًا، إذا ملك المسلم صاعًا زائدًا عن حاجته وأهل بيته في يوم العيد وليلته.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: **فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ، وَالْحُرِّ وَالذَّكْرِ، وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ**

(١) قطعة من حديث في سنن أبي داود برقم (١٦٠٩)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٠٣/١) برقم (١٤٢٠).

بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>. وإن أخرجها عن الحمل تطوعاً فلا بأس بذلك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كُنَّا نُعْطِيهَا فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية عنه: «وَكَانَ طَعَامَنَا الشَّعِيرُ وَالزَّبِيبُ وَالْأَقِطُ وَالتَّمْرُ»<sup>(٣)</sup>.

وينبغي للمسلم أن يخرج أطيب هذه الأصناف وأنفعها للفقراء والمساكين فلا يخرج الرديء.

قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُفِيقُوا مِمَّا حُبَبْنَا ۗ وَمَا يُفِيقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۗ﴾ [آل عمران].

وذهب بعض أهل العلم أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله إلى أنه يجزئ عن المسلم أن يخرج زكاة الفطر من غير الأصناف المذكورة في حديث أبي سعيد الخدري، ما دامت هذه الأصناف من جنس ما يقتات به أهل البلد مثل الأرز وغيره<sup>(٤)</sup>.

والمراد بالصاع الوارد في زكاة الفطر أربعة أمداد، والمدُّ، أي: ملء كفي الرجل المتوسط اليدين من البرِّ الجيد ونحوه، وهو ما يساوي ثلاثة كيلو تقريباً<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (١٥٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٥).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٥١٠).

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/٦٨-٦٩).

(٥) فتاوى اللجنة (٩/٣٦٥-٣٧١) برقم (٥٧٣٣ و ١٢٥٧٢).

ولإخراج زكاة الفطر وقتان.

الأول: وقت يبدأ من غروب الشمس ليلة العيد، وأفضله ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: **فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ ... الْحَدِيثُ فِيهِ قَالَ: وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ<sup>(١)</sup>.**

الثاني: وقت إجزاء، وهو قبل العيد بيوم أو بيومين، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا، وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ<sup>(٢)</sup>.

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«فَمَنْ أَدَّأَهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّأَهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ»<sup>(٣)</sup>.**

وإن أخرجها بعد صلاة العيد فهي قضاء، ولا تسقط بخروج الوقت، وهو يأثم بذلك<sup>(٤)</sup>.

وتعطي هذه الزكاة للفقراء والمساكين، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: **«طُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ»**، ويجوز أن تُعْطِيَ الْجَمَاعَةَ أَوْ أَهْلَ بَيْتِ زَكَاتِهِمْ لِمَسْكِينٍ وَاحِدٍ، وَأَنْ تَقْسَمَ صَدَقَةُ الْوَاحِدِ عَلَى أَكْثَرِ مَنْ مَسْكِينٍ لِلْحَاجَةِ لِذَلِكَ. وَلَا يَجُوزُ إِخْرَاجُ زَكَاتِ الْفِطْرِ نَقُودًا، لِنَصِّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَنْوَاعِ

(١) صحيح البخاري برقم (١٥٠٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٥١١).

(٣) سنن أبي داود برقم (١٦٠٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٠٣/١) برقم (١٤٢٠).

(٤) انظر جامع الفقه لابن القيم (٦٩/٣)، والشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين (١٧٣/٦).

الأطعمة مع وجود قيمتها، فلو كانت القيمة مجزئة لبين ذلك النبي ﷺ، فإنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولا يعلم أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ أخرج زكاة الفطر نقوداً مع إمكان ذلك في زمانهم، وأيضاً إخراج القيمة يؤدّي إلى خفاء هذه الشعيرة العظيمة وجهل الناس بأحكامها.

والأصل أن الشخص يدفع زكاة فطره لفقراء البلد الذي يدركه عيد الفطر وهو فيه، ويجوز نقلها إلى بلد آخر فيه فقراء أشد من البلد الذي فيه المزكي، وهذا ما تفتي به اللجنة الدائمة<sup>(١)</sup>.

أما كون الشخص يوكل أهله أن يخرجوا الزكاة في بلدهم وهو في بلد آخر فليس من هذا الباب، وهو جائز.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٩/ ٣٦٩) برقم (٦٣٦٤).

## سورة العصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده  
ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر].

أقسم سبحانه بالعصر وهو الزمن كله، والله ﷻ أن يقسم بما يشاء  
من خلقه، أما العباد فليس لهم أن يقسموا إلا بالله تعالى. وإقسامه ﷻ  
بالعصر لما يجري فيه من الحوادث والمتغيرات، ولأنه مستودع أعمال  
العباد خيرها وشرها، وأقسم ﷻ ليؤكد للعباد بأن كل إنسان في خيبة  
وخسارة مهما كثر ماله وولده. وعظم قدره وشرفه إلا من جمع هذه  
الأوصاف الأربعة.

أولاً: الإيمان وهو قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل  
بالجوارح.

ثانياً: العمل الصالح: وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله بأن  
يكون فاعله لله مخلصاً ولمحمد ﷺ متبعاً، وعطف العمل الصالح  
على الإيمان وإن كان داخلاً فيه من أجل الاهتمام به، والتأكيد على أن  
تصديق القلب لا ينفع بدون عمل.

ثالثاً: التواصي بالحق، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والدعوة إلى الله على بصيرة وحكمة، وتعليم الجاهل، وتذكير الغافل فلا يكفي أن الإنسان يقتصر على إصلاح نفسه، بل لابد أن يعمل على إصلاح غيره، وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يعد تدخلاً في أمور الناس كما يزعم بعض السفهاء، بل إن الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر يريدون الخير والنجاة للناس، وإنقاذهم من عذاب الله، وبهذه الخصلة ثبتت لهذه الأمة الخيرية التي فضلت بها على الأمم. قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

رابعاً: التواصي بالصبر، لما كان الداعي إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن يلحقه أذى الناس، أمر تعالى بالصبر على أذاهم، وتحمل ما يناله من الأذى؛ وفي وصية لقمان لابنه قال تعالى: ﴿ يَبْنِيْ أَقِيْمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم)<sup>(١)</sup>.

وهذه السورة مع وجازة ألفاظها فقد جمعت أسباب السعادة كلها، فكفى بها حجة على الخلق، وقد اشتملت على فوائد كثيرة أذكر منها:

أولاً: إقسام الله تعالى بشيء يدل على عظمته وأهميته، ففي هذا

(١) تفسير ابن كثير (٤٥١/١٤).

القسم ينبه جل وعلا الخلق إلى قيمة الوقت وما ينبغي عليهم من الاعتناء به والحرص عليه، وقد أقسم سبحانه بإجزاء الوقت في مواضع أخرى، فقال: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل].

وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى].

وهو مع ذلك من أفضل نعم الله على عباده.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (١).

ثانياً: القسم من الله تعالى يدل على عظمة المقسم عليه وهو هذه الخصال الأربع التي لا ينال الفوز والفلاح إلا بها.

ثالثاً: فضل الإيمان ومنزلته العظيمة، حيث بدأ به وجعله أول واجب على الخلق.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدْرُكُكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (٢).

رابعاً: أن الإيمان بالقلب لا يكفي؛ بل لابد من العمل الصالح، وفيه رد على من يقول: إن الإيمان بالقلب، وهو مع ذلك تارك للفرائض ومرتكب للمحرمات، معتد على حدود الله تعالى.

خامساً: أن العمل لا يقبل إلا أن يكون صالحاً ولا يكون صالحاً حتى يكون صاحبه مخلصاً لله فيه، وموافقاً لهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤١٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (٥٤).

سادساً: أن التواصي يكون بالحق لا بغيره، والحق هنا هو الإيمان بالله تعالى، والعمل الصالح، ومجانبة ما يناقضهما.

سابعاً: دل الاستثناء على أن أهل هذه الصفات هم قليل، وقد قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِفِينَ لَيَنبَغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

ثامناً: فضل الصبر، حيث جعله سبحانه أحد الخصال التي لا ينال الفوز إلا بها، وفي هذا الحث على الدعوة إلى الله تعالى مهما لحق الداعي من المشقة والأذى، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٦٤/٩) برقم (٥٠٢٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

## الطلاق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فمن الظواهر الاجتماعية السيئة التي انتشرت بين الناس في هذه الأيام كثرة حالات الطلاق، ففي إحصائية لوزارة العدل السعودية لعام ١٤٢٩هـ بلغت صكوك الطلاق (٢٨٨٦٧) حالة، وبلغت حالات الطلاق في منطقة الرياض (٨٢٧٤) حالة، وهذا رقم مرتفع جداً يدل على خطورة الأمر، إن لم يُتدارك.

ولذلك وجب على العلماء والدعاة وطلبة العلم تحذير الناس من هذا الأمر، وبيان خطورته، لما يترتب عليه من مفسدات تشتت الأسر، وضياع الأولاد، وتقطع وشائج الأصدقاء والأرحام وغير ذلك، وقد رغب الشارع في الإبقاء على الحياة الزوجية، ونهى عن كل ما يعرضها للزوال، فأمر بالمعاشرة بالمعروف، ولو مع الكراهة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وأمر النبي ﷺ بالصبر على النساء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خُلِقن من ضلعٍ، وإن أعوج شيء في الضلع

أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتَهُ، وَإِنْ تَرَكَتُهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا  
بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (١).

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَكْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكَتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ» قَالَ الْأَعْمَشُ: أَرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ» (٢).

ودور المرأة في حدوث حالات الطلاق أكبر من الرجل، فهي تتحمل ما نسبته ٦٥٪ من حالات الطلاق تقريباً، وذلك لعدم الصبر والتحمل والاحتساب عند غالبتهن، فيقارن أنفسهن بمن هن أحسن منهن حالاً في المعيشة، فيدعوهن ذلك إلى التمرد على أزواجهن، سواء باختيارهن أو بتحريض من الآخرين كالفضائيات، أو بعض وسائل الإعلام المختلفة، ولجوء هذه الوسائل إلى إفهام الزوجة بين الفينة والأخرى إلى أن الزوج متسلط وظالم، وقد سلبها حقوقها وحريتها، ولم يجعلها تواكب العصر، ومطالبتهم لمن هذه حالها بالتمرد على زوجها ومجتمعها، ودينها، بأساليب خبيثة، فتبدأ بعدم الاستجابة لمطالبه التي أوجبها الله عليها، وتضجره وتشغله بالمشاكل حتى يضيق بها ذرعاً، ويلجأ إلى التخلص من هذه المشاكل بالطلاق.

أما الأسباب الأخرى التي عرفت بعد السؤال والتحري فهي كالآتي:  
أولاً: أن بعض حالات الطلاق في السنة الأولى من الزواج لعدم

(١) صحيح البخاري برقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨١٣).

المعرفة بين الزوجين من قبل، وذلك لعدم الرؤية الشرعية، أو لإخفاء العمر أو إخفاء بعض العيوب، أو التسرع في اتخاذ قرار الطلاق وعدم التروي فيه، أو لعدم سؤال أحدهما عن الآخر، فعندما تتكشف الأمور يلجأ أحدهما إلى الانفصال، ولذلك شرع التحري لكل من الزوجين والسؤال عن خلقه ودينه.

ثانيًا: أن يُصاب الزوجان أو أحدهما بالسحر أو بالعين فيصير أحدهما لا يحتمل الآخر ولا يطيق النظر إليه، وفي هذه الحالة ينبغي أن يلجأ كل منهما إلى الله تعالى بإخلاص الدعاء، والمحافظة على الرقى الشرعية والأدعية النبوية.

ثالثًا: أن بعض الشباب المتزوجين في مقتبل العمر، لا يحسون بالمسؤولية لأنهم لم يتحملوا تكاليف الزواج، ولذلك يتسرعون في اتخاذ قرار الطلاق، ولذلك ينبغي على ولي المرأة أن يتحرى عن حال الخاطب قبل الزواج.

رابعًا: تخلي بعض الأزواج عن مسؤولية أولادهم، ورمي الحمل على الزوجات، أو الغياب المتكرر عن المنزل، أو السهر إلى أوقات متأخرة من الليل، أو الانحراف، أو عدم الإنفاق أو الاضطهاد، فتضطر الزوجة إلى طلب الطلاق أو العكس عندما يكون ذلك من الزوجة.

خامسًا: تدخلات الوالدين أو الأقارب في مشاكل الزوجين، فيفسدون حياتهما بحسن أو بسوء نية.

سادسًا: تحميل الزوجة لزوجها فوق طاقته، وعدم قناعتها بالنفقة والسكن، أو مطالبته بالتعاضّي عن مخالفتها، كالخروج من بيته بدون إذنه، أو عدم القيام بواجباتها الشرعية نحوه.

سابعًا: اضطرار بعض المتزوجين بأكثر من زوجة إلى الطلاق لطلب الزوجة الأولى أو أهلها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فبعض وسائل الإعلام تُحرّض الزوجة على ترك بيتها عندما يلجأ زوجها إلى التعدد، وتعتبر أن ذلك خيانة زوجية وظلم لها ولأولادها حتى لو كان الزوج عادلاً.

ثامنًا: استيلاء بعض الأزواج على رواتب زوجاتهم العاملات، فيؤدّي ذلك إلى إثارة المشاكل، وبالتالي إلى الطلاق، وهذا لا يجوز.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الزوج إذا اضطر إلى الطلاق، فعليه أن يراعي الأمور التالية.

أولاً: أن يستخير الله تعالى، ويستشير الصالحين الناصحين من أقاربه وإخوانه، ولا يقدم على الطلاق إلا لأسباب واضحة توجب ذلك.

ثانياً: أن يكون الطلاق في حال طهر لم يجامعها فيه أو حاملاً.

ثالثاً: عليه ألا يزيد في الطلاق على واحدة اتباعاً للسنة.

رابعاً: ألا تخرج المرأة من بيتها، ولا يخرجها زوجها ما دامت في العدة.

فربما كان ذلك سبباً في صلاح حالهما، ومراجعة أحدهما للآخر

(١) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (٣٤/٢٩٩ - ٣٠٠) برقم (٢٠٦٩٥)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

كما أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾  
[الطلاق: ١].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى  
آله وصحبه أجمعين.





## لذة العبادة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده  
ورسوله وبعد:

فإن من منح الله لعباده، منحة التلذذ بالعبادة، وأعني بها ما يجده  
المسلم من راحة النفس وسعادة القلب، وانشراح الصدر عند القيام  
بعبادة من العبادات، وهذه اللذة تتفاوت من شخص لآخر حسب قوة  
الإيمان وضعفه.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ  
حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

ويجدر بالمسلم أن يسعى جاهداً إلى تحصيل لذة العبادة، فالنبي ﷺ  
كان يقول لبلال: «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرْحِنَا بِالصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup> لما يجده فيها من اللذة  
والسعادة القلبية، وإطالته ﷺ لصلاة الليل دليل على ما يجده في الصلاة  
من الأُنس والسرور بمناجاة ربه، وتصديق ذلك في كتاب الله، قال تعالى:  
﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة].

وبكى معاذ بن جبل عند موته فقيل له في ذلك قال: إنما أبكي على ظمأ  
الهواجر وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٤١)  
برقم (٤١٧١).

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة<sup>(١)</sup>.

ويقول أحد السلف: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره أو نحو هذا<sup>(٢)</sup>.

وبين النبي ﷺ أن للطاعة حلاوة يجدها المؤمن.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية: «مَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا»<sup>(٤)</sup>.

وإن لتحصيل لذة العبادة أسباباً منها:

أولاً: مجاهدة النفس على طاعة الله تعالى حتى تألفها وتعتادها، وقد تنفر النفس في بداية طريق المجاهدة، ولكن إذا شمر صاحبها عن ساعد الجد، وكانت عنده تلك الإرادة والعزيمة القوية، فسينالها بإذن الله، فالأمر يتطلب مصابرة وقوة تحمل، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨١).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٩٤١)، وصحيح مسلم برقم (٤٣).

(٤) صحيح مسلم برقم (٤٣).

وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه].

روى الترمذي في سننه من حديث فضالة بن عبيد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المجاهد من جاهد نفسه»<sup>(١)</sup>.

قال أحد السلف: «ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك».

وقال ابن رجب: (واعلم أن نفسك بمنزلة دابتك، إن عرفت منك الجد جدت، وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك وطلبت منك حظوظها وشهواتها)<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر:

لَأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى      فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لَصَابِرٍ

ثانياً: البعد عن الذنوب صغيرها وكبيرها، فإن المعاصي حجاب تمنع من الشعور بلذة العبادة لما تورثه من قسوة وغلظة وجفاء، قال بعض السلف: (ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب).

قال ابن القيم رحمه الله: (وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة، وأمر العيش عيش المستوحشين الخائفين، وأطيب العيش عيش المستأنسين، فلو نظر العاقل ووازن لذة المعصية، وما توقعه من الخوف والوحشة، لعلم سوء حاله وعظيم غبنه، إذا باع أنس الطاعة وأمنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجهه من الخوف والضرر

(١) قطعة من حديث في سنن الترمذي برقم (١٦٢١)، وقال: حديث فضالة حديث حسن صحيح.

(٢) نقلاً عن كتاب لذة العبادة (ص ١٢).

الداعي له) (١). اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا في صدرك فاتهمه، فإن الرب تعالى شكور، يعني أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، وقوة وانشراح صدر وقرّة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول) (٢).

قال سفيان الثوري: (حرمت قيام الليل بسبب ذنب أذنبته) (٣).

وسئل وهيب بن الورد ف قيل له: (متى يفقد العبد لذة العبادة؟ إذا وقع في المعصية، أو إذا فرغ منها؟ قال: يفقد لذة العبادة إذا هم بالمعصية).

ثالثًا: ترك فضول الطعام والشراب والكلام والنظر، فيكفي المسلم أن يقتصر في طعامه وشرابه على ما يعينه على أداء عبادته وعمله، فلا يسرف في الأكل قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

روى الترمذي في سننه من حديث المقدم بن معدي كرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقْمَنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثُ لَطْعَامِهِ، وَثُلُثُ لِسْرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» (٤).

قال أحد السلف: راحة القلب في قلة الآثام، وراحة البطن في قلة الطعام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

(١) الداء والدواء (ص ٤٠١).

(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص ٣١٢).

(٣) لذة العبادة (ص ١٨).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح.

وأختم بكلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار] مختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى ومحبته، والعمل على موافقته وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم، وقد أثنى على خليفه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَلَامَةِ قَلْبِهِ، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصفات].

وقال حاكياً عنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله، فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة في البرزخ وفي جنة يوم المعاد<sup>(١)</sup>.

رابعاً: أن يستحضر العبد أن هذه العبادة التي يقوم بها من صلاة أو صيام أو حج أو صدقة إنما هي طاعة لله وابتغاء مرضاته، وأن هذه العبادة يحبها الله ويرضى عنه بها وهي التي تقربه من ربه سبحانه.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ

(١) الداء والدواء (ص ١٦٥ - ١٦٦).

حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»<sup>(١)</sup>.

خامساً: أن يستحضر العبد أن هذه العبادات لا تضيع ولا تفتنى كما تفتنى كنوز الدنيا وأموالها ومناصبها ولذاتها بل يجدها العبد أحوج ما يكون إليها، بل إنه ليجد ثمراتها في الدنيا مع ما يُدخِر له في الآخرة مما هو أجل وأعظم؛ فمن استحضر ذلك لم يبال بما فاتته من الدنيا وسُرَّ بهذه العبادات ووجد حلاوتها ولذتها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾<sup>(١١٢)</sup> [طه]. روى مسلم في صحيحه من حديث العباس بن عبد المطلب: أن النبي ﷺ قال: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»<sup>(٢)</sup> وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»<sup>(٣)</sup> الحديث.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦٥٠٢).

(٢) برقم (٣٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٨٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٠٢٧).

الكلمة السبعون

أسباب الثبات على الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فإن حاجة المسلم اليوم لأسباب الثبات على الدين والتمسك به عظيمة جداً، لانتشار الفتن، وقلّة الناصر، وغربة الدين، ومن تلك الأسباب:

أولاً: الإقبال على القرآن العظيم حفظاً وتلاوة وعملاً، فهو جبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به عصمه الله، ومن أعرض عنه ضل وغوى، أخبر تعالى أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا القرآن مفرقاً هي الشيت، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان].

ثانياً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم].

قال قتادة: أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴾ [النساء].

وكان النبي ﷺ يداوم على الأعمال الصالحة، وَكَانَ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَيْهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ. وكان أصحابه إذا عملوا عملاً أثبتوه.

ثالثاً: تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٠) [هود].

فالآيات تنزل لتثبت فؤاد النبي ﷺ وأفئدة المؤمنين معه مثل قصة إبراهيم، وموسى، ومؤمن آل فرعون وغيرها.

رابعاً: الدعاء، فإن من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم كما علمنا سبحانه أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]. «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»<sup>(١)</sup>.  
كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»<sup>(٢)</sup>.

خامساً: ذكر الله، وهو من أعظم أسباب التثبيت، وتأمل في هذا الاقتران في قوله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤٥) [الأنفال]، فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد.

سادساً: الدعوة إلى الله ﷻ، وهي وظيفة الرسل وأتباعهم.  
قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٦٠ / ١٩) برقم (١٢١٠٧)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم.

وَسُبَّحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [يوسف].

والعبد إذا حرص على هداية الخلق، فإن الله يجعل ثوابه من جنس عمله، فيزيده هدىً وثباتاً على الحق، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ ﴿٦٠﴾ [الرحمن].

سابعاً: الرفقة الصالحة: فمصاحبة العلماء والصالحين والدعاة والمؤمنين، والجلوس معهم، من أكبر العون على الثبات، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الآية [الكهف: ٢٨].

وجاء في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين إنساناً: أنه سأل عن رجل عالم فقال: «مَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذًا وَكَذًا، فَإِنَّ بِهَا أَنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن دور شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في التثبيت في محنة السجن: (وكننا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضافت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم بطلبها والمسابقة إليها)<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ثامناً: الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام، وهذه طريقة

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٦٦).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

النبي ﷺ في تثبيت أصحابه وهم يعذبون على الإسلام في أول الدعوة، روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الأرت: أنه شكأ إلى النبي ﷺ ما يجده من التعذيب وطلب منه الدعاء، فقال النبي ﷺ: «وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: الصبر، فإنه من أعظم أسباب الثبات على دين الله، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١٥٣)</sup> [البقرة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَلَا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة و كان من الصحابة: أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامُ الصَّبْرِ الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمِيذٌ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: «بَلْ مِنْكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

عاشراً: التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار، وتذكر الموت، فعندما يتأمل المؤمن قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١٣٣)</sup> [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا

(١) صحيح البخاري برقم (٦٩٤٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٤٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٥٣).

(٣) سبق تخريجه.

متنع الغرور ﴿١٨٥﴾ [آل عمران].

تهون عليه الصعاب، ويزهد في الدنيا، وتشتاق نفسه إلى الدار  
الآخرة والدرجات العلى.

وكان النبي ﷺ يذكر أصحابه بالجنة ليثبتهم على التمسك بالدين  
والصبر عليه، فقد مر النبي ﷺ على ياسر وعمار وأمه، وهم يؤذون في  
سبيل الله، فقال: «صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ»<sup>(١)(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مستدرک الحاكم (٤/ ٤٧٠) برقم (٥٦٩٦) وصححه الألباني في فقه السيرة (ص ١٠٧).

(٢) انظر رسالة الشيخ محمد المنجد «أسباب الثبات على الدين».



الدرر المنقاة

مِن

الكلمات الملقاة

فروسة يومية

(١٥٠) درسا للترغاة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على الصلوات

إعداد

والأمين بن محمد الكفاوي

الجزء الثالث



### وقفه مع قوله تعالى

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ [آل عمران: ١٤]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فيقول الله تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ۗ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۗ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۗ ﴿١٦﴾ الصَّكِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۗ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»<sup>(١)</sup>.

فأما إذا كان القصد بهن العفاف، وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، منها

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٩٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤١).

ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»<sup>(١)</sup>.

وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة، فهو داخل في هذا، وتارة يكون لتكثير النسل، وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ممن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا محمود ممدوح، روى الإمام أبو داود في سننه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ»<sup>(٢)</sup>.

وحب المال كذلك، تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء، والتجبر على الفقراء، فهذا مذموم، وتارة للنفقة في القربات وصلة الأرحام، والقربات ووجوه البر والطاعات، فهذا ممدوح شرعاً<sup>(٣)</sup>. اهـ.

وقوله تعالى: ﴿ وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ قال ابن جرير رحمته الله بعدما نقل اختلاف المفسرين في المراد به: والصواب في ذلك أن يقال: هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس، وقوله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال ابن جرير: «المعلمة بالشيات الحسان الرائعة حسناً لمن رآها»<sup>(٤)</sup>.

وتربية الخيل أنواع، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ، فَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٦٧).

(٢) قطعة من حديث في سنن أبي داود برقم (٢٠٥٠) و صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٦/٢) برقم (١٨٠٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٢٦-٢٧).

(٤) تفسير ابن جرير - طبعة دار السلام (٣/١٧١١-١٧١٣).

سِتْرٌ، وَلِرَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُعِدُّهَا لَهُ، فَلَا تُغَيَّبُ شَيْئًا فِي بَطُونِهَا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرًا، وَلَوْ رَعَاهَا فِي مَرْجٍ مَا أَكَلَتْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا أَجْرًا، وَلَوْ سَقَاهَا مِنْ نَهْرٍ كَانَ لَهُ، بِكُلِّ قَطْرَةٍ تُغَيَّبُهَا فِي بَطُونِهَا أَجْرٌ - حَتَّى ذَكَرَ الْأَجْرَ فِي أَبْوَالِهَا وَأَزْوَائِهَا - وَلَوْ اسْتَنْتَ شَرْفًا أَوْ شَرْفَيْنِ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ تَخْطُوهَا أَجْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ فَالرَّجُلُ يَتَّخِذُهَا تَكْرُمًا وَتَجَمُّلاً، وَلَا يَنْسَى حَقَّ ظُهُورِهَا وَبَطُونِهَا فِي عُسْرِهَا، وَيُسْرِهَا، وَأَمَّا الَّتِي عَلَيْهِ وَزْرٌ فَالَّذِي يَتَّخِذُهَا أَشْرًا وَبَطْرًا وَبَدَخًا وَرِيَاءَ النَّاسِ، فَذَلِكَ الَّتِي هِيَ عَلَيْهِ وَزْرٌ»<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ الأنعام: الإبل والبقر والغنم، والحرث الأرض المتخذة للغراس والزراعة، ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الزائلة، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾، أي حسن المرجع، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْنَيْتُكُمْ﴾ أي قل يا محمد للناس الذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين، وسائر ما ذكرنا: أخبركم وأعلمكم بخير وأفضل لكم من ذلك كله؟! ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٥]، أنهار العسل واللبن والخمر والماء، وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، أي ماكثين فيها أبد الآباد، ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾، أي من الدنس والخبث والأذى، والحيض والنفاس، وغير ذلك مما يعتري نساء الدنيا، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٢٧]، أي: أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾،

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٦٠)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٧).

أي: يعطي كلاً ما يستحقه من العطاء.

ثم إن الله تعالى بعد ذكره الموازنة بين متع الدنيا ونعيم الآخرة، ذكر صفات المتقين الذين آثروا نعيم الآخرة الباقي على متع الدنيا الزائلة، فاسمع لصفاتهم، وتمثلها في نفسك، عسى أن تكون منهم فتفوز فوزاً عظيماً.

فأولها: الإيمان بالله وبرسوله وكتبه، المتضمن الإيمان باليوم الآخر، وما أعد الله فيه للمؤمنين من الفضل العظيم، وما أعد للكافرين الغافلين من العقاب الأليم.

ثانيها: اعترافهم بذنوبهم، وعلمهم أنه لا يغفرها إلا الله ربهم.

ثالثها: إيمانهم بالنار وعذابها، وسؤالهم ربهم أن يقيهم منها.

رابعها: صبرهم عن شهوات الدنيا وملذاتها، إيماناً منهم بأن الله سيعوضهم خيراً منها، والصبر من أفضل خصال الإيمان، ولا يتم إلا باستكمال أركانه الثلاثة، وهي الصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصي الله، والصبر على أقدار الله.

خامسها: الصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والصديقون مع الأنبياء والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.

سادسها: قنوتهم لله رب العالمين، وذلك يقتضي محبتهم له، وانكسارهم بين يديه، والتجاءهم إليه رغبة ورهبة وخشوعاً.

سابعها: إنفاقهم في سبيل الله ابتغاء مرضاته، لا رياءً وسمعة.

ثامنها: طلبهم المغفرة من ربهم في وقت الأسحار، حين ينزل الرب إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، فيقول: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى! هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ! هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ! حَتَّى يَنْفَجِرَ

## الزُّمَرُ (التَّنْقِيحُ) مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُبْتَلَاةِ

٤٠٧

الصُّبْحُ»<sup>(١)</sup>، وهم يدعونهم ويسألونه ويستغفرونه، والغافلون يغطون في نوم عميق.

يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ﴾ [الزمر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (١١٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٨).



## نصائح عامة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات].

روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

وهذه بعض النصائح التي أوصي بها نفسي وإخوتي.

الأولى: المحافظة على هذه الصلاة في بيوت الله ﷻ. قال تعالى: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة].

والصلاة هي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، فقد روى الطبراني في الأوسط من حديث أنس رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) برقم (٥٥).

(٢) (٢/٢٤٠) برقم (١٨٥٩)، وصححه الألباني رحمته في السلسلة الصحيحة (٣/٣٤٣).

برقم (١٣٥٨).

وهذه الصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ، تَرْكُ الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>، وكان من آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعالج سكرات الموت أن قال: «الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»<sup>(٢)</sup>، وقال عمر رضي عنه يوم أن طعن، وهو يعالج سكرات الموت، وجرحه يثعب دمًا: «لَا حَظَّ فِي الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ».

الثانية: أداء الأمانة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾<sup>(٣٣)</sup> [المعارج]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣٧)</sup> [الأنفال]. روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث شداد بن أوس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الأَمَانَةُ»<sup>(٣)</sup>، قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور<sup>(٤)</sup>. اهـ، وقال بعضهم: عمل كل ما لله فيه طاعة، واجتناب كل ما لله فيه معصية، سواء كان ذلك في عبادة أو معاملة، فالصلاة أمانة، والزكاة أمانة، وحفظ الجوارح أمانة، والعمل أمانة لا بد للمسلم أن يؤديه بكل إخلاص وإتقان حتى تبرأ ذمته بذلك.

والأمانة من أبرز أخلاق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فنوح، وهود، وصالح ولوط، أخبر الله عنهم في سورة الشعراء، أن كل رسول من هؤلاء، قد قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾<sup>(١٠٧)</sup> [الشعراء]، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهورًا بأنه الأمين.

(١) صحيح مسلم برقم (٨٢).

(٢) سنن ابن ماجة برقم (٢٦٩٧).

(٣) معجم الطبراني الكبير (٣٥٣/٩) رقم (٩٧٥٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٣٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٥٣/١٤).

الثالثة: اجتناب المعاصي، والذنوب، فهي أساس كل شر وبلاء، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٤١] [الروم]. وما الذي أخرج أبويننا من الجنة دار النعيم، واللذة والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟! قال الشاعر:

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي      دَرَكَ الْجِنَانَ بِهَا وَفَوَزَ الْعَابِدِ  
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا      مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

روى الإمام أحمد من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ»<sup>(١)</sup>.

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ».

قال الشاعر:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ      وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِذْمَانُهَا  
وَتَرَكُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ      وَخَيْرُ لِنَفْسِكَ عِضْيَانُهَا

الرابعة: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [٥٣] [الإسراء].

روى الترمذي في سننه، من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال:

(١) مسند الإمام أحمد (٤٦٧/٣٧) برقم (٢٢٨٠٨) وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (٢٧٩/٣): ورواته محتج بهم في الصحيح.

«مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلِقَ حَسَنًا، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»<sup>(١)</sup>، وقال ابن المبارك: «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمَلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>، وقال ابن القيم: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله، وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن»<sup>(٣)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»<sup>(٤)</sup>، ولقد كان النبي ﷺ من أعظم الناس خلقًا، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق، فليقتد بمحمد ﷺ.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفٌ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٌ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِي شَيْءٌ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»<sup>(٥)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢٠٠٢) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (١٦٠).

(٣) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٤) برقم (١١٦٢) وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) سنن الترمذي برقم (٢٠١٥)، وأصله في الصحيحين.

الكلمة الثالثة والسبعون

مفاسد العنوسة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الظواهر الاجتماعية السيئة التي انتشرت في المجتمع في هذه الأيام كثرة حالات العنوسة، ففي إحصائية قديمة لإحدى جامعات المملكة اتضح أن نسبة الفتيات اللاتي لم يتزوجن، وهن طالبات في المرحلة الجامعية يصل إلى خمسة آلاف طالبة، وفي إحصائية أخرى لإحدى الوزارات اتضح أن نسبة الفتيات اللاتي بلغن سن الزواج ولم يتزوجن يصل إلى مليون ونصف امرأة. وهذا رقم مرتفع جداً يدل على خطورة هذا الأمر، وكم أحدثت هذه العنوسة من مفاسد، وأمراض نفسية، ومشاكل أسرية؟! ولقد حث الشارع على النكاح، ورغب فيه، ولو مع قلة ذات اليد، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ﴾ [النور].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»<sup>(١)</sup>.

وهذه العنوسة لها أسباب، أذكر بعضاً منها لعل ذلك يساعد على إيجاد حل لهذه المشكلة:

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٦٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٠٠).

أولاً: الانشغال بالدراسة، والاعتذار بها عن الزواج حتى يكبر سن الفتاة، ويرغب عنها الكثير من الخطاب، على أنه يمكن في كثير من الأحوال الجمع بينهما كما هو مشاهد، ولو فرضنا تعذر الجمع، فإن الزواج أولى من الانشغال بالدراسة.

ثانياً: المغالاة في المهور، وما يتبعها من النفقات. قال أهل العلم: «المشروع أن يكون قليلاً ميسراً». روى الحاكم في المستدرک من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ»<sup>(١)</sup>، وقال عمر رضي الله عنه: «لَا تُعَالُوا فِي صَدُقَاتِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، مَا أَصْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا بِنْتًا مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، وَالْأُوقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا»<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: فمن دعت نفسه على أن يزيد صداق ابنته على صداق بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواتي هن خير خلق الله في كل فضيلة، وهن أفضل نساء العالمين في كل صفة، فهو جاهل أحمق، وكذلك صداق أمهات المؤمنين، وهذا مع القدرة واليسار، فأما الفقير ونحوه، فلا ينبغي له أن يصدق المرأة ما لا يقدر على وفائه من غير مشقة<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله بعد سياق بعض الأحاديث المتعلقة بالصداق: «وتضمن أن المغالاة في المهر مكروهة في النكاح، وأنها من قلة بركته، وعسره»<sup>(٤)</sup>.

(١) مستدرک الحاكم (٥٣٧/٢) برقم (٢٧٩٦) وقال محققه: وإسناده جيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٢٧٩).

(٢) سنن الترمذي برقم (١١١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٤/٣٢). (٤) زاد المعاد (٦٢/٥).

ثالثاً: تركيز كثير من الأسر على أحوال الخاطب الدنيوية، من منصب، ومال، وجاه، فإن لم يتوفر ذلك اعتذروا عن قبوله، وإن كان من أهل الخلق والدين، وهذا مخالف لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ، وَخُلِقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: استيلاء بعض الآباء الجشعين على رواتب بناتهم العاملات، وبالتالي يمنعونهن من الزواج حتى يستمروا في كسب هذه الأموال، وقد نهى الله عن عضل النساء، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

خامساً: اعتذار كثير من الفتيات عن الرجل المتزوج، وهذا خطأ، فعلى المرأة أن تفكر بعقلها، فخير لها أن تبقى في ظل زوج على أن تكون عانساً في بيت أبيها، وقد سبق ذكر الحديث: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ، وَخُلِقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ».

والنساء يفوق عددهن الرجال، وهناك المطلقة، والمتوفى عنها زوجها، والتي كبر سنها ولم تتزوج، فلو اكتفى كل رجل بزوجة واحدة لبقى كثير من النساء من غير زواج، وهذا خلاف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وفيه مفسدة عظيمة، ولذلك شرع الله للرجل تعدد الزوجات، قال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا﴾ [النساء: ٣].

(١) برقم (١٠٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٣١٤) برقم (٨٦٥).

سادساً: أن بعض النساء المطلقات يصبن بعد طلاقهن بإحباط، فلا تفكر في الزواج مرة ثانية، وهذا خطأ، والله تعالى عند حسن ظن عبده به، وعلى المرأة أن تحسن الظن بربها، فهو مقسم الأرزاق، والموفق بين الزوجين، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُعْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّنْ سَعَتِهِۦ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ (١٣٠) [النساء]. روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَأَنْتَبَاهَتُهَا يُبَدِّلُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

ومن الأسباب التي بدأت تنتشر في بعض المجتمعات: عزوف بعض الشباب عن الزواج، هروباً من تحمل المسؤولية، وهذا خروج عن الفطرة وسنن المرسلين، ومنهم من يكون قليل ذات اليد، مقارنة بالأوضاع والعادات الاجتماعية، ومنهم من يكون من المنهمكين على وسائل الإعلام السيئة، التي زرعت في نفسه مع طول النظر والمتابعة تصوراً سيئاً عن النساء عموماً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح ابن حبان برقم (٦٣٨).

الكلمة الرابعة والسبعون

النكت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الأمور المنكرة التي انتشرت بين الناس في هذه الأيام ما يُسمى بالنكت، وهذه النكت قصص مكذوبة يقصد بها إضحاك الآخرين، وإدخال السرور إلى قلوبهم.

روى الإمام أبو داود في سننه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

ومن مفسد هذه النكت ما يلي:

أولاً: الكذب، وهو من أعظم المفسد، وقد نهى الله تعالى عنه في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]. قال بعض المفسرين الزور: الكذب<sup>(٢)</sup>.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٩٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤٢) برقم (٤١٧٥).

(٢) تفسير ابن جرير (٧/٥٨٣٨).

وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه حديث سمرة بن جندب الطويل، وفيه رؤيا النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ أَتِيَانٍ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا ... فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكَلْبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيَيْ وَجْهِهِ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ ... قَالَ: قَالَا: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ»<sup>(٢)</sup>.

وهذه النكت وإن قُصِدَ بها المزاح، فإنه ورد عن النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي أمامة أنه قال: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وهذا - والله أعلم - إذا لم تتضمن قولاً فاحشاً، أو نشر فاحشة، أو إشاعة منكر، أو استطالة في عرض مسلم، فما كان من هذا ونحوه لا شك أنه من المحرمات، كما سبق في الحديث المتقدم.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٩٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٠٧) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٠٤٧).

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٨٠٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١١/٣) برقم (٤٠١٥).

قال ابن مسعود: «الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل»<sup>(١)</sup> ثم تلا عبد الله قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ﴾<sup>(١١٩)</sup> [التوبة]، وقال أيضاً: «المؤمن يُطبع على الخلال كلها غير الخيانة والكذب»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: ومن مفاستها أن بعض هذه النكت تحتوي على الاستهزاء بدين الله، أو المؤمنين، وهذا يؤدي بصاحبه إلى الكفر والخروج من دائرة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَٰهِ وَعَآئِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾<sup>(٦٥)</sup> لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. وهو من نواقض الإسلام العشرة.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، كفر ولو مازحاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر، يكفر به صاحبه بعد إيمانه»<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: أنها تؤدي إلى السخرية بالناس واحتقارهم.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللَّاتِقَاتِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١١)</sup> [الحجرات].

روى مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «المُسْلِمُ

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٤٢٥ / ٨).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٤٢٥ / ٨)، وقال محققو مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥٠٥ / ٣٦):

إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) الفتاوى (٢٧٣ / ٧).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ٦١٧).

أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ امْرِيٍّ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ»<sup>(١)</sup>.

رابعًا: أن فيها إضاعة الوقت، وهذا الوقت سيُسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَنْفَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»<sup>(٣)</sup>.

خامسًا: أن بعض هذه النكت تحتوي على الفحش وبذاءة اللسان، وهذا لا يليق بالمؤمن، لا قوله، ولا الاستماع إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال بعض المفسرين: أي الكذب، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٢].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) قطعة من حديث برقم (٢٥٦٤).

(٢) برقم (٢٤١٧) سبق تخريجه.

(٣) برقم (٦٤١٢).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٥٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٢١).

## وصايا لطلبة العلم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فهذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح.

**الوصية الأولى:** الحرص على طلب العلم الشرعي، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].  
وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup>.

قال بعض أهل العلم: «من لم يفقه في الدين لم يرد الله به خيراً». روى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»<sup>(٢)</sup>.

قال الأوزاعي: «النَّاسُ عِنْدَنَا هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَمَنْ سِوَاهُمْ فَلْيَسُوا

(١) البخاري برقم (٣١١٦)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) برقم (٣٦٤١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٤٢/١) برقم (٢١٥٩).

بشيءٍ»، وقال الإمام أحمد بن حنبل: «حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه».

وأهل العلم هم القائمون بأمر الله حتى تقوم الساعة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية وثنوبان: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»<sup>(١)</sup> - وفي رواية: «قَائِمَةٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟».

وقال أيضاً:

دينُ النبي محمدٍ آثَارُ      نِعَمَ المِطِيَّةِ للفتى الأخبارُ  
لا تَرْغَبَنَّ عَنِ الحَدِيثِ وَأَهْلِهِ      فالرأيُ ليلٌ والحديثُ نهارُ  
ولربَّما جَهَلَ الفَتَى طُرُقَ الهُدَى      والشمسُ بازغةٌ لها أنوارُ  
وقد أخبر النبي ﷺ أنه في آخر الزمان يرفع العلم، ويكثر الجهل،  
ورفع العلم بموت حملته.

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٧١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٢٠) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧١).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٣) واللفظ له.

وفي هذه الحال يكون تعلم العلم وتعليمه أوجب وأوكد، وليعلم أن رأس العلوم كلها هو كتاب الله الكريم، فلنحرص على حفظه وفهمه وتدبره، والعمل به، وكذلك تعلم سنة النبي ﷺ، والتفقه فيها، وليكن أخذنا للعلم من أهله، وهم السلف الصالحون، والأئمة المهديون، حتى لا نقع في الفتاوى المضلة، والأهواء المهلكة.

الوصية الثانية: الدعوة إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت].

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعلي: «...لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث يغلط فيه بعض الناس، حيث يقوم بالدعوة، وربما تجرأ على الفتوى وهو من أجهل الناس، وقد يستدل بحديث «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»<sup>(٢)</sup>. ولم يعلم المسكين أن تبليغ آية من كتاب الله، أو حديث عن رسول الله ﷺ لا يكون إلا بعد فهمهما بمراجعة أقوال المفسرين، وشرح الأحاديث حسب الطرق الصحيحة التي سلكها أهل العلم، وبينوها لطلاب العلم.

والدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والمقصود بها دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل، وقال عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب معاذ بن جبل، وقد أرسله إلى أهل

(١) صحيح البخاري برقم (٢٩٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٠٦).

(٢) صحيح البخاري، برقم (٣٤٦١).

اليمين يدعوهم إلى الله تعالى: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَأَدْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لَدَلِّكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ..... إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ»<sup>(١)</sup>، وروى البخاري من حديث عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى أقصى حد يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء»<sup>(٣)</sup>.

وقال الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «الواجب على جميع القادرين من العلماء، وحكام المسلمين، والدعاة، الدعوة إلى الله ﷻ حتى يصل البلاغ إلى العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا البلاغ الذي أمر الله به، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالرسول عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعاً عليهم البلاغ صلوات الله وسلامه عليهم، وعلى أتباع الرسول أن يبلغوا ... إلخ»<sup>(٤)</sup>.

**الوصية الثالثة:** حفظ الوقت، فمن الملاحظ أن بعض الشباب لا يحرص على استغلال وقته، واغتنام شبابه ونشاطه، فتجده ينام الساعات

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٥٨)، وصحيح مسلم برقم (١٩) واللفظ له.

(٢) سبق تخريجه. (٣) التفسير القيم (ص ٣١٩).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ (١/٣٣٣) نقلاً عن كتاب نضرة النعيم (٥/١٩٥٩، ١٩٦٠).

الطوال من غير حاجة، والآخر يضيع وقته في قراءة الجرائد لفترات طويلة، وآخر في الزيارات الكثيرة، وهلمَّ جرًّا.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ؟ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟ وَمَاذَا عَمَلَ فِيْمَ عَلِمَ؟»<sup>(١)</sup>، ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الشاعر:

وَالْوَقْتُ أَنْفُسُ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ

الوصية الرابعة: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾<sup>(٣)</sup> [الإسراء].  
روى الترمذي في سننه، من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ»<sup>(٤)</sup>، قال ابن المبارك: «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمِلَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ».

وبهذا كان رضي الله عنه يوصي أصحابه، فروى الترمذي في سننه من

(١) رقم (٢٤١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٢٨٩) برقم (١٩٦٩).  
(٢) مستدرک الحاكم (٥/٤٣٥) برقم (٧٩١٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).  
(٣) (٤/٣٦٢) برقم (٢٠٠٢) وقال: حديث حسن صحيح.

حديث أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: «جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وربّه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه». اهـ<sup>(٢)</sup>، ولا يكتمل إيمان عبد ما لم يوفق للخلق الحسن، روى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»<sup>(٣)</sup>.

ولقد كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا، فمن أحب أن يهتدي إلى معالي الأخلاق فليقتد بمحمد ﷺ. فعن أنس رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»<sup>(٤)</sup>.

الوصية الخامسة: الثبات على هذا الدين، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(٥)</sup> [الحجر]، أي الموت، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، روى الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»<sup>(٥)</sup>، وقد وردت الأحاديث عن النبي ﷺ تبين أن المتمسكين بدينهم في آخر الزمان، الثابتين عليه يكونون غرباء، ولكنهم بذلك ينالون من الأجر مثل ما ناله أصحاب

(١) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الفوائد (٨٤ - ٨٥).

(٣) برقم (١١٦٢) وقال حديث حسن صحيح.

(٤) سنن الترمذي برقم (٢٠١٥) وأصله في الصحيحين.

(٥) سبق تخريجه.

النبي ﷺ حينما كان الإسلام غريباً، وذلك بصبرهم عليه حال الغربة، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»<sup>(١)</sup>، وجاء في الحديث الآخر أنهم: «أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسٍ سَوْءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»<sup>(٢)</sup>، وذكر النبي ﷺ أن القابض على دينه في آخر الزمان كالقابض على الجمر، روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة وكان من الصحابة أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» قالوا: يا نبي الله أَوْ مِنْهُمْ، قال: «بَلْ مِنْكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ عندما ذكر ما يحصل في آخر الزمان من الفتن، قال: «الْمُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ أَوْ قَالَ: عَلَى الشُّوكِ»<sup>(٤)</sup>.

فأوصي نفسي، وإخواني بالثبات على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والصبر على ذلك قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝١٩﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، ولا شك أن المسلم في هذه الأزمنة يواجه فتن

(١) برقم (١٤٥).

(٢) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (١١/ ٢٣١) برقم (٦٦٥٠) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

الشهوات والملذات العظيمة، لكن من استعان بالله أعانه الله، ومن يتصبر يصبره الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

جعلنا الله وإياكم منهم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



### مخالفات يقع فيها بعض الحجاج

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن على المسلم أن يحرص أن يكون حجه موافقاً لحج النبي ﷺ؛ لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»<sup>(١)</sup>، وهناك مخالفات شرعية يقع فيها بعض الحجاج، أحببت التذكير بها أداءً لحق الله، وقيامًا بواجب النصيحة.

أولاً: إخراج الصلاة عن وقتها، قال الإمام ابن النحاس في ذكره بعض منكرات الحجاج ومنها، وهو أعظمها فتنة، وأجلها في الدين مصيبة، وأكثرها وجوداً وبلية هو تضييع أكثرهم للصلاة في الحج، وكثير منهم لا يتركونها، بل يضيعون وقتها ويجمعونها على غير الوجه الشرعي، وذلك حرام بالإجماع<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

ثانياً: ما يفعله بعض الحجاج الذين يقومون بزيارة قبر النبي ﷺ قبل الحج وبعده، من استقبال قبر النبي ﷺ، ودعائه بكشف الضر وجلب النفع، وهذا شرك ينافي التوحيد لا يرضاه الرسول ﷺ، بل نهى عنه وحذر منه. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٣)</sup>

(١) برقم (١٢٩٧).

(٢) تنبيه الغافلين (ص ٢٨٤).

[الجن]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [الزمر].

وقال ﷺ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يحذر مثل ما صنعوا<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ لرجل قال له: ما شاء الله وشئت: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا؟! بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: التصوير، وهو من المحرمات التي يجهل حرمتها كثير من الحجاج، وقد نهى الرسول ﷺ عن التصوير في أحاديث كثيرة، ولعن فاعله، روى البخاري ومسلم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث جندب: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»<sup>(٤)</sup>.

هذا أولاً، وثانياً: أن بعض الحجاج يتخذ لنفسه صوراً حال إحرامه، أو رافعاً يديه يدعو، أو يقرأ، أو غير ذلك من أحوال العبادة ليطلع عليها أهله وأقاربه إذا عاد إليهم، وقد يدخل هذا في الرياء المنهي عنه، بل يخشى على فاعل ذلك أن يحبط عمله من حيث لا يشعر.

رابعاً: من أراد الحج أو العمرة فليحرم من الميقات الذي يمر به، ولا يجوز تجاوز الميقات بلا إحرام لمريد الحج أو العمرة، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «هُنَّ لَهُنَّ

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم برقم (٥٣١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/٣٣٩) برقم (١٨٣٩) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) برقم (٥٩٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢١٠٩).

(٤) برقم (٦٤٩٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٧).

وَلَمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ»<sup>(١)</sup>.

وأما من يأتي عن طريق الجو في الطائرة، أو البحر في السفينة، فمن الأولى أن يحرم عند محاذاة الميقات، أو قبله بقليل احتياطاً، ولا ينتظر حتى يصل إلى جدة؛ لأن هذا مخالف لما عليه فتاوى علمائنا، كالشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين رحمهما الله تعالى، وغيرهما.

خامساً: أن كثيراً من الحجاج يلزم أدعية خاصة في الطواف يقرأها من كتاب مناسك، وقد يكون مجموعة منهم يتلقونها من قارئ يلقنهم إياها، ويرددونها خلفه بصوت جماعي، وأكثر هذه الأدعية والأذكار لا تثبت عن النبي ﷺ، والدعاء بها بهذه الطريقة بدعة محدثة.

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٢)</sup>. إضافة إلى أن فيه تشويشاً على الحجاج الآخرين.

سادساً: ومن الأخطاء العظيمة المتعلقة بيوم عرفة، أن بعض الحجاج يبقون خارج حدود عرفة حتى تغرب الشمس، ثم ينصرفون إلى مزدلفة من غير أن يقفوا بعرفة، وهذا خطأ عظيم؛ لأن الوقوف بعرفة ركن لا يصح الحج إلا به، فمن لم يقف بعرفة في وقت الوقوف فلا حج له، روى الترمذي من حديث عبد الرحمن بن يعمر: أن النبي ﷺ قال: «الْحَجُّ عَرَفَةٌ، مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ»<sup>(٣)</sup>.

(١) برقم (١٥٢٤)، وصحيح مسلم برقم (١١٨١).

(٢) برقم (٢٦٩٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧١٨).

(٣) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم (٨٨٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٢٦٥) برقم (٧٠٥).

سابعاً: ما يتعلق بمزدلفة، فبعض الحجاج لا يتأكد من حدود مزدلفة، ويبيت خارجها، وبعضهم يخرج منها قبل منتصف الليل، ولا يبيت فيها، ومن لم يبيت فيها من غير عذر فقد ترك واجباً من واجبات الحج، ويلزمه دم مع التوبة، ويرى بعض أهل العلم أن المبيت بمزدلفة، وصلاة الصبح بها ركن من أركان الحج، كالوقوف بعرفة، لأن الله نص عليه، فقال: ﴿فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]. والنبى ﷺ سواها بعرفة حينما قال: «وَجَمَعَ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»<sup>(١)</sup>(٢).

روى الترمذي في سننه من حديث عروة الطائي: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ صَلَاتَنَا هَذِهِ، وَوَقَفَ مَعَنَا حَتَّى نُدْفَعَ، وَقَدْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، فَقَدْ أَتَمَّ حَجَّهُ، وَقَضَى تَفَثَهُ»<sup>(٣)</sup>.

ثامناً: أن بعض الحجاج يوكلون من يقوم برمي الجمار عنهم، مع قدرتهم على ذلك ليسقطوا عن أنفسهم معاناة الزحام، ومشقة العمل، وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن حكم التوكيل عن المريض والمرأة العاجزة كالحبلى والثقيلة والضعيفة التي لا تستطيع رمي الجمار؟ فأجاب بأنه لا بأس بالتوكيل عنهم<sup>(٤)</sup>، أما القوية النشيطة فإنها ترمي بنفسها، ومن عجز عنه نهاراً رمى بالليل.

(١) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم (٨٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٢٦٣) برقم (٧٠٢).

(٢) الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ (٧/٣٠٥ - ٣٠٦).

(٣) سنن الترمذي برقم (٨٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) فتاوى الحج والعمرة (ص ١١١ - ١١٢).

تاسعاً: أن بعضهم إذا أراد تقصير شعر رأسه يكتفي بأخذ شعرات من رأسه، أو يأخذ من جانب ويدع آخر، والصحيح أن الواجب على الحاج أن يحلق رأسه كله أو يقصره كله، هذا في حق الرجل، أما المرأة فإنها تقص من ضفائرها بقدر أنملة فقط. والأفضل أن يبدأ بالشق الأيمن في الحلق أو التقصير.

عاشراً: أن بعضهم إذا تحلل التحلل الأول حلق لحيته أو قصر منها، قال الشيخ ناصر الدين الألباني: وهذه المعصية من أكثر المعاصي شيوعاً بين المسلمين في هذا العصر، بسبب استيلاء الكفار على أكثر بلادهم، ونقلهم هذه المعصية إليها، وتقليد المسلمين لهم فيها مع نهيه ﷺ إياهم عن ذلك صراحة في قوله ﷺ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللَّحَى»<sup>(١)</sup>.

وفي هذه القبيحة عدة مخالفات:

الأولى: مخالفة أمره ﷺ الصريح بالإعفاء.

الثانية: التشبه بالكفار.

الثالثة: تغيير خلق الله الذي فيه طاعة الشيطان في قوله كما حكى الله تعالى ذلك عنه: ﴿وَلَا تُرْمِيهِمْ فَلْيَنْزِلْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

الرابعة: التشبه بالنساء، وقد لعن رسول الله ﷺ من فعل ذلك.

وإن من المشاهدات التي يراها الحريص على دينه أن جماهير من الحجاج يكونون قد وفروا لحاهم بسبب إحرامهم، فإذا تحللوا منه فبدل أن يحلقوا رؤوسهم كما ندب إليه رسول الله ﷺ حلقوا لحاهم التي

(١) صحيح البخاري برقم (٥٨٩٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٩).

أمرهم ﷺ بإعفائها، فإننا لله وإنا إليه راجعون<sup>(١)(٢)</sup>.

أسأل الله أن يتقبل من المسلمين حجهم، وسائر أعمالهم، وأن يوفقنا لكل خير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر (ص ٨ - ٩)، للشيخ ناصر الدين الألباني.  
(٢) انظر مخالفات الحج والعمرة للشيخ عبدالعزيز السدحان.

## التوبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فإن الأعمار تُطوى، والأيام تنقضي، والعمر قصير، والأجل قريب، ولا يدري ابن آدم متى يأتيه الموت، قال الشاعر:

أشاب الصغيرُ وأفنى الكبير      مرور الليالي وكرّ العشي  
إذا ليلةً هرمت أختها      أتى بعد ذلك يومٌ فتي  
نروح ونغدو لحاجاتنا      وحاجات من عاش لا تنقضي  
تموت مع المرء حاجته      وتبقى له حاجة ما بقي

والله ﷻ حث عباده على التوبة قبل حلول الأجل، قال تعالى:  
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]. وقال  
تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:  
٣١]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ  
فَأَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ودعا سبحانه جميع عباده إلى التوبة، فدعا إليها من قال: إن الله هو المسيح، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة، ومن قال: يد الله مغلولة، ومن ادعى لله صاحبة والولد، فقال لهم جميعاً: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

ودعا إليها فرعون مع زعمه أنه لا إله غيره، وأنه ربهم الأعلى فقال لموسى وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه].

ودعا إليها المشركين قاطبة، فقال لهم بعد الأمر بقتلهم حيثما وجدوا: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة].

ودعا إليها المنافقين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٤٦﴾ [النساء].

ودعا إليها من عمل أكبر الكبائر، وهي الشرك، وقتل النفس بغير حق، والزنا، فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ [الفرقان].

والتوبة واجبة على الفور من جميع الذنوب، كبيرها وصغيرها، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة على الفور، ولا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها

(١) شرح النووي (٦/٥٩).

قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»<sup>(١)</sup>.

والمراد بالتوبة التوبة النصوح، وهي التي اكتملت شروطها.

أما شروطها فهي: الإقلاع عن الذنب، الندم على فعله، العزم على أن لا يعود إليه، وزاد آخرون: الإخلاص لله في التوبة، لا خوفاً من سلطان، أو حياء من إنسان، أو غير ذلك، وإنما رجاء ثوابه وخوفاً من عقابه، فإن كان الذنب مرتبطاً بحق آدمي فلا بد من شرط رابع، وهو أن يبرأ من حق صاحبها.

ويشترط للتوبة ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون التوبة قبل الغرغرة، أي قبل حشرجة الروح في الصدر عند دنو الأجل، وحضور الموت، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ ﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨ ﴾ [النساء].

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ

قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ»<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها، كما قال تعالى:

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ۝١٥٨ ﴾ [الأنعام].

(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤٧).

(٢) برقم (٣٥٣٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٥/٣) برقم (٢٨٠٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أن تكون قبل نزول العذاب لمن عصى الله تعالى؛ لأن الأمم المخسوف بها انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾<sup>(٨٤)</sup> فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ [غافر].

ولم يستثن من هذه السنة إلا قوم يونس، لحكمة أرادها الله سبحانه، فقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَرْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>(٩٨)</sup> [يونس].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين<sup>(٣)</sup>.



(٢) برقم (٢٧٠٣).

(١) برقم (٢٧٥٩).

(٣) هذه الكلمة مستفادة من خطبة للشيخ سعد الحميد.

### شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»<sup>(١)</sup>.

وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة قيمة، اختصرت كلامه فيها في هذه العجالة:

فقال: وتفسير هذا أن ابن آدم في الدنيا لا بد له من أهل يعاشرهم، ومال يعيش به، فهذان صاحبان يفارقانه ويفارقهما، فالسعيد من اتخذ من ذلك ما يعينه على ذكر الله تعالى، وينفقه في الآخرة، فيأخذ من المال ما يبلغ به إلى الآخرة، ويتخذ زوجة سالحة تعينه على إيمانه، فأما من اتخذ أهلاً ومالاً يشغلونه عن الله تعالى، فهو خاسر كما قال تعالى عن الأعراب: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> [المنافقون].

روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جَاءَ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ

(١) برقم (٦٥١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠).

أَحَبَّتْ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

فإذا مات ابن آدم، وانتقل من هذه الدار، لم ينتفع من أهله وماله بشيء إلا بدعاء أهله له، واستغفارهم، وما ثبت عنه من الشرع، وبما قدمه من ماله بين يديه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

فأما الصاحب الأول: الأهل، فأهله لا ينفعه منهم بعد موته إلا من استغفر له، ودعا له كما تقدم، وقد لا يفعل، وقد يكون الأجنبي أنفع للميت من أهله كما قال بعض الصالحين: أهلك يقتسمون ميراثك، وهو قد تفرد بحزنك يدعوك، وأنت بين أطباق الثرى، فمن الأهل من هو عدو، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

وأما الصاحب الثاني: وهو المال، فيرجع عن صاحبه أولاً، ولا يدخل معه في قبره، ورجوعه كناية عن عدم مصاحبته له في قبره، ودخوله معه.

روى مسلم في صحيحه من حديث مطرف عن أبيه قال: أتيت

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (١٦٣١).

النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (١). قال: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!» (١).

وروى البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحبُّ إليه. قال: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا آخَرَ» (٢).

فلا ينتفع العبد من ماله إلا بما قدمه لنفسه، وأنفقه في سبيل الله ﷻ، فأما ما أكله ولبسه فإنه لا له ولا عليه، إلا أن يكون فيه نية صالحة، وقيل: بل يثاب عليه مطلقاً، وقال بعض الملوك لأبي حازم الزاهد: ما بالنا نكره الموت؟ قال: لتعظيمك الدنيا، جعلت مالك بين عينيك، فأنت تكره فراقه، ولو قدمته لآخرتك لأحببت اللحوق به. قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٩٢) [آل عمران].

وكان ابن عمر لا يعجبه شيء من ماله إلا قدمه لله، حتى كان يوماً راكباً على ناقة فأعجبته، فنزل عنها في الحال، وقلدها، وجعلها في سبيل الله ﷻ.

أما الخليل الثالث: فهو العمل الذي يدخل مع صاحبه في قبره فيكون معه فيه، ويكون معه إذا بعث، ويكون معه في مواقف القيامة، وعلى الصراط، وعند الميزان، وبه تقسم المنازل في الجنة والنار، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦) [فصلت].

(٢) برقم (٦٤٤٢).

(١) برقم (٢٩٥٨).

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم].

قال بعض السلف في تفسير الآية السابقة: أي يمهدون لأنفسهم في القبر، فالعمل الصالح يكون مهادًا لصاحبه في القبر، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد، بل كل عامل يفترش عمله ويتوسده من خير أو شر، فالعاقل من عمر بيته الذي تطول إقامته فيه، ولو عمره بخراب بيته الذي يرتحل عنه قريبًا لم يكن مغبونًا بل كان رابحًا.

وقال بعض السلف: اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها، واعمل للآخرة على قدر مكثك فيها. قال الحسن: تبع رجل من المسلمين جنازة أخيه فلما دلي في قبره قال الرجل: ما أرى يتبعك من الدنيا إلا ثلاثة أثواب، أما والله لقد تركت بيتي كثير المتاع، أما والله إن أقالني الله حتى أرجع لأقدمه بين يدي، قال: فرجع فقدمه والله بين يديه، وكانوا يرون أنه عمر بن عبد العزيز.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## فضل التبكير إلى الصلاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من فضل الله ورحمته بعباده أن يسر لهم من الطاعات والعبادات ما يتقربون بها إليه سبحانه، ومن تلك الطاعات والقربات التبكير إلى الصلوات الخمس التي جعلهن بفضله خمسًا في العمل، وخمسين في الأجر والثواب.

والتبكير إلى الصلوات الخمس من الطاعات التي غفل عنها كثير من المصلين في هذا الزمان، فلا يحضرون إلا عند الإقامة، أو بعد الشروع في الصلاة.

ولقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة، وأصدقها في التبكير إلى الصلاة، يقول عدي بن حاتم رضي الله عنه: «ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها، وما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء»، ويقول سعيد بن المسيب: «ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد، وما فاتتني صلاة الجماعة منذ أربعين سنة، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة»، قال الذهبي: «هكذا كان السلف في الحرص على الخير»<sup>(١)</sup>.

(١) منجد الخطيب، مأخوذ من سير أعلام النبلاء (٢/٢٠٥ - ٢٠٦).

## ومن فضائل التكبير إلى الصلوات:

أولاً: استغفار الملائكة لمن ينتظر الصلاة، وكونه في حكم المصلي، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي قال: «الملائكة تُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدِكُمْ (١) مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ مَا لَمْ يُحَدِّثْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ» (٢).

ثانياً: إدراك الصف الأول، وما فيه من الفضل العظيم، والثواب الجزيل، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهَجِيرِ لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا» (٣).

ثالثاً: إدراك تكبيرة الإحرام، وهي من أفضل التكبيرات، ومفتاح الصلاة، روى الترمذي من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ، يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ» (٤).

رابعاً: الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب، روى أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ

(١) أي تستغفر له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٦٤٩).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٥)، وصحيح مسلم برقم (٤٣٧).

(٤) برقم (٢٤١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/٣١٤) برقم (٢٦٥٢).

## وَالْإِقَامَةُ» (١).

خامسًا: الدنو والقرب من الإمام، وهذه فضيلة عظيمة، روى الإمام أبو داود من حديث سمرة بن جندب رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احضروا الذكركر، وادنوا من الإمام، فإن الرجل لا يزال يتباعه حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها» (٢).

سادسًا: إدراك السنن القبلية التي قبل الصلاة، كسنة الفجر، روى مسلم من حديث عائشة رضي عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (٣). وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ (٤).

وروى أبو داود في سننه من حديث أم حبيبة رضي عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَافِظَ عَلَيَّ أَرْبَعٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَ عَلَيَّ النَّارَ» (٥)، وروى أيضًا من حديث ابن عمر رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا» (٦).

سابعًا: الحضور إلى المسجد بسكينة ووقار، فالسعي الذي يفعله كثير من الناس لإدراك الصلاة يفوتهم السكينة والوقار، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَأْمُسُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا،

(١) برقم (٥٢١)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٠٥/١) برقم (٤٨٩).

(٢) برقم (١١٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٠٦/١) برقم (٩٨٠).

(٣) برقم (٧٢٥).

(٤) سنن الترمذي برقم (٤٢٤) وقال: حديث حسن.

(٥) برقم (١٢٦٩): وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٣٦/١) برقم (١١٣٠).

(٦) برقم (١٢٧١): وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٣٦/١) برقم (١١٣٢).

فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»<sup>(١)</sup>.

ثامناً: قراءة الأذكار والاستغفار، وذكر الله ﷻ بين الأذان والإقامة، فلو حضر المصلي إلى المسجد مبكراً لأمكنه على أقل تقدير أن يقرأ عشرين آية، وفي اليوم مئة آية، وفي الأسبوع سبعمئة آية، وفي الشهر ثلاثة آلاف آية، وهذا خير كثير، والحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وينبغي للمؤمن أن يُعوِّد نفسه على التكبير إلى المسجد حتى يسهل عليه، ويجد الراحة، والسعادة في ذلك، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد: أن النبي ﷺ قال: «... لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٦٠٢).

(٢) جزء من حديث برقم (٤٣٨).

الكلمة الثمانون

أسباب انشراح الصدر

الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فإن ضيق الصدر، وما ينتاب المسلم من هموم وغموم، وأحزان أمور لا يكاد يسلم منها أحد.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «فكرت في سعي العقلاء، فرأيت سعيهم كلهم في مطلوب واحد، وإن اختلفت طرقهم في تحصيله، رأيتهم جميعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم، فهذا في الأكل والشرب، وهذا في التجارة والكسب، وهذا بالنكاح، وهذا في اللغو واللعب، وغير ذلك، ولم أر في جميع هذه الطرق طريقاً موصلاً إليه، ولعل أكثرها إنما يوصل إلى ضده، وإنما الإقبال على الله وحده، وإيثار مرضاته على كل شيء ضده، فليس للعبد أنفع من هذا الطريق، وأوصل منه على لذته، وسعادته»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أسباب شرح الصدر، فقال:

أولاً: التوحيد، وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ، فَوَيْلٌ لِلْقَلْبِئَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢٢)</sup>  
[الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا

(١) الجواب الكافي (ص ١٧١ - ١٧٢)، وقد لخصه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴿ [الأنعام: ١٢٥]، فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه.

ثانياً: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر، ويوسعه، ويفرح القلب، فإذا فقد هذا النور من قلب العبد ضاق وحرّج، فصار في أضيق سجن وأصعبه، فنصيب العبد من انشراح صدره بحسب نصيبه من هذا النور، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ [الأنعام].

ثالثاً: العلم، فإنه يشرح الصدر، ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد انشراح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل العلم الموروث عن النبي ﷺ، وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدرًا، وأوسعهم قلبًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأطيبهم عيشًا.

رابعاً: الإنابة إلى الله ﷻ، ومحبته بكل القلب، والإقبال عليه، والتنعم بعبادته، فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [النحل]، حتى يقول أحياناً: إن كنت في الجنة في مثل هذه الحال، فإني إذا لقيت عيش طيب، وللمحبة تأثير عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، ولا يعرفه إلا من له حس به، وكلما كانت المحبة أقوى وأشد كان الصدر أفسح وأشرح.

ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله ﷻ وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

ذَكَرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ [طه]،  
فإن من أحب شيئًا غير الله عذب، وسجن قلبه في محبته ذلك الغير.

خامسًا: دوام ذكره على كل حال، وفي كل موطن، فللذكر تأثير  
عجيب في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه  
وحبسه وعذابه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ  
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ [الرعد].

سادسًا: الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه  
والنفع بالبدن، وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرًا،  
وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق  
الناس، وأنكدهم عيشًا، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَّصِدِّقِ، مَثَلُ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ  
حَدِيدٍ، قَدْ اضْطَرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَكَلَّمَا هَمَّ الْمُتَّصِدِّقُ بِصَدَقَتِهِ  
اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تُعْفَى أَثَرُهُ، وَكَلَّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ انْقَبَضَتْ كُلُّ  
حَلْقَةٍ إِلَى صَاحِبَتِهَا، وَتَقَلَّصَتْ عَلَيْهِ وَانْضَمَّتْ يَدَاهُ إِلَى تَرَاقِيهِ، فَسَمِعَ  
النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: فَيَجْتَهَدُ أَنْ يُوسَّعَهَا فَلَا تَتَّسِعُ»<sup>(١)</sup>.

سابعًا: الشجاعة، فإن الشجاع منشراح الصدر، ومنتسع القلب،  
والجبان أضيق الناس صدرًا، وأحصرهم قلبًا، لا فرحة له ولا سرور، ولا  
لذة له إلا من جنس الحيوان البهيمي، وأما سرور الروح ولذتها ونعيمها  
وابتهاجها فمحرم على كل جبان، كما هو محرم على كل بخيل.

ثامنًا: إخراج دغل القلب من الصفات المذمومة التي توجب ضيقه

(١) البخاري برقم (٢٩١٧)، ومسلم برقم (١٠٢١).

وعذابه، وتحول بينه وبين حصول البرء، فإن الإنسان إذا أتى بالأسباب التي تشرح صدره، ولم يخرج تلك الأوصاف المذمومة من قلبه لم يحظ من انشراح صدره بطائل.

تاسعاً: ترك فضول النظر والكلام، والاستماع والمخالطة، والأكل والنوم، فإن هذه الفضول تستحيل ألماً وغمومًا وهمومًا في القلب، تحصره وتحبسه وتضيقه، فلا إله إلا الله ما أضيقت صدر من ضرب في كل آفة من هذه الآفات بسهم، وما أنكد عيشه، ولا إله إلا الله ما أنعم عيش من ضرب في كل خصلة من تلك الخصال المحمودة، وكانت همته دائرة عليها، فلماذا نصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار]. ولذلك نصيب من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار].

والمقصود أن النبي ﷺ كان أكمل في كل صفة يحصل بها انشراح الصدر، واتساع القلب، وأكمل الخلق متابعة له أكملهم انشراحًا ولذة، وقرّة عين، وعلى حسب متابعتة ينال العبد من انشراح صدره وقرّة عينه، ولذة روحه ما ينال..

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين<sup>(١)</sup>.



(١) انظر: زاد المعاد (٢/٢٣ - ٢٨).

## كفارات الذنوب

الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فإن أفضل ما يتمناه المسلم أن يخرج من هذه الدنيا وقد غفر الله له ذنوبه، وضاعف له في حسناته.

ومن حكمة الله تعالى أن جعل للإنسان أعداء يزينون له الذنوب، ويهونونها عليه، ويبعدونه عن الخير، وهم: النفس الأمارة بالسوء، والشيطان، والهوى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣].

ومن رحمة الله بعباده أن هياً لهم أسباباً يكفر بها عنهم الذنوب، ويمحوها، وهذه الكفارات الماحيات هي الأقوال والأعمال التي شرعها في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فمن ذلك:

أولاً: الإيمان بالله وتوحيده والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧) [العنكبوت].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: اجتناب الكبائر من الذنوب، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٣١) [النساء].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: التوبة الصادقة، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٦٨) يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخَلَّدُ فِيهِ. مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) [الفرقان].

روى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

(١) برقم (٢٥٦٥).

(٢) برقم (٢٣٣).

(٣) برقم (٤٢٥٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١٩/٢) برقم (٣٤٢٧).

عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ [المزمل].

روى الإمام أبو داود من حديث زيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عليه السلام أنه قال: «... يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

خامسًا: الوضوء، روى مسلم في صحيحه من حديث حمران مولى عثمان رضي الله عنه قال: أتيت عثمان بن عفان بوضوء فتوضأ، ثم قال: إن ناسًا يتحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث لا أدري ما هي؟ إلا أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ، وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً»<sup>(٣)</sup>.

سادسًا: الصلاة، والمشي إليها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ

(١) برقم (١٥١٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم (١٣٤٣).

(٢) قطعة من حديث برقم (٢٥٧٧). (٣) برقم (٢٢٩).

الصَّلَاةَ، فَذَلِكُمُ الرَّبَاطُ»<sup>(١)</sup>.

سابعًا: الصدقات، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢٧١)</sup> [البقرة]، روى الترمذي في سننه من حديث معاذ رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيبَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»<sup>(٢)</sup>.

ثامنًا: الحج والعمرة، روى النسائي من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ»<sup>(٣)</sup>.

تاسعًا: المصائب، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَنَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةَ يُنْكَبُهَا، أَوْ الشُّوْكَةَ يُشَاكُّهَا»<sup>(٤)</sup>.

عاشرًا: صيام رمضان وقيامه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٥)</sup>، وروى البخاري

(١) برقم (٢٥١).

(٢) قطعة من حديث برقم (٢٦١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) برقم (٢٦٣١)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/٥٥٨) برقم (٢٤٦٧).

(٤) برقم (٢٥٧٤).

(٥) صحيح البخاري برقم (٣٨)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).

ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٧)، وصحيح مسلم برقم (٧٥٩).



الكلمة الثانية والثمانون

الحسد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي جاء الشرع بالنهاي عنها: الحسد، وقد أمر الله تعالى بالاستعاذة منه، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ من شرِّ ما خلق ۝٢ ومن شرِّ غاسقٍ إذا وقب ۝٣ ومن شرِّ النّفثات في العقَد ۝٤ ومن شرِّ حاسِدٍ إذا حسَد ۝٥﴾ [الفلق].

قال: الراغب: الحسد تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها<sup>(١)</sup>، والحسد من صفات أشر عباد الله اليهود، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ﴾ [النساء: ٥٤]، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابُرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»<sup>(٢)</sup>، وروى مسلم من حديث أبي سعيد الخدري: أن جبريل عليه السلام

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص ١١٦).

(٢) البخاري برقم (٦٠٦٥)، ومسلم برقم (٢٥٥٩).

أتى النبي ﷺ، فقال: «يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْزِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْزِيكَ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب: الحسد مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل، ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام: فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل، ويسعى في نقل ذلك إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه، وهو شرهما وأخبثهما، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه، وهو ذنب إبليس، حيث حسد آدم ﷺ لما رآه قد فاق على الملائكة بأن خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه في جواره، فما زال يسعى في إخراجهم من الجنة حتى أخرج منها، ومنهم من يحدث نفسه بذلك اختياراً، ويعيده في نفسه مستروحاً تمنى زوال نعمة أخيه، فهذا شبيه بالعزم المصمم على المعصية، وقسم آخر إذا حسد لم يتمن زوال نعمة المحسود بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، ويتمنى أن يكون مثله، فإن كانت الفضائل دنيوية، فلا خير في ذلك، كما قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظِيٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]. وإن كانت فضائل دينية فهو حسن، وقد تمنى النبي ﷺ الشهادة في سبيل الله ﷻ، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ

(١) برقم (٢١٨٦).

اللَّيْلِ وَأَنَاءَ النَّهَارِ»<sup>(١)</sup>. وهذا هو الغبطة، وسماه حسداً من باب الاستعارة، وقسم آخر إذا وجد من نفسه الحسد سعى في إزالته، وفي الإحسان إلى المحسود بإسداء الإحسان إليه، والدعاء، ونشر فضائله، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد حتى يُبدله بمحبة أن يكون أخوه المسلم خيراً منه، وأفضل، وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه. اهـ<sup>(٢)</sup>، قال ابن سيرين: «ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة؟! وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار؟!». اهـ.

وقال أبو الدرداء: «ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده». وقال ابن عباس: «إني لأمر على الآية من كتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم»، وقال معاوية رضي الله عنه: «كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها»، ولذلك قيل:

كُلُّ الْعِدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتُهَا      إِلَّا عِدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ  
وقال آخر:

أَيَا حَاسِدًا لِي عَلَى نِعْمَتِي      أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأَتِ الْأَدَبَ  
أَسَأَتَ عَلَى اللَّهِ فِي حُكْمِهِ      لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ  
فَأَخْزَاكَ رَبِّي بِأَنْ زَادَنِي      وَسَدَّ عَلَيَّكَ وَجْهَ الطَّلَبِ

روى الترمذي في سننه من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه: أن

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٢٥)، وصحيح مسلم برقم (٨١٥).

(٢) جامع العلوم والحكم، (ص ٢٦٠ - ٢٦٣).

النبي ﷺ قال: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأَمَمِ قَبْلَكُمْ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَنْبَأْتُكُمْ بِمَا يُبْتِ دَاكُمُ لَكُمْ؟ أَفُسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطَفُ لِحِيَّتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، وَقَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، وَجَاءَ فِي الْقِصَّةِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه تَبِعَهُ فِي مَنْزِلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي أَوَيْتُ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ؟ فَأَقْتَدَيْتُ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله: ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعدة أمور:

- ١ - التعوذ بالله من شره، والتحصن واللجأ إليه.
- ٢ - تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].
- ٣ - الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً.

(١) برقم (٢٥١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٣٦١).

(٢) (١٢٥/٢٠) برقم (١٢٦٩٧) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

- ٤ - التوكل على الله، فمن توكل على الله فهو حسبه.
  - ٥ - الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته ورضاه في خواطر نفسه.
  - ٦ - تجريد التوبة من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه.
  - ٧ - الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيراً في دفع العين وشر الحاسد.
  - ٨ - وهو من أصعب الأسباب، إطفاء نار الحاسد بالإحسان إليه.
  - ٩ - تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، الذي أزمته الأمور بيده سبحانه<sup>(١)</sup>.
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التفسير القيم لابن القيم (ص ٥٨٥ - ٥٩٣).



## المعاصي وعقوباتها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فمما ابتليت به مجتمعات المسلمين في هذه الأزمان كثرة المعاصي والذنوب، وانتشار المنكرات على اختلاف أنواعها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وهذه المعاصي لها أضرارٌ على القلوب، كضرر السموم على الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه المعاصي والذنوب، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء فطرده ولعنه وأبدله بالرحمة لعنًا، وبالإيمان كفرًا؟ وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله؟ إنها المعاصي والذنوب!!<sup>(١)</sup>.

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ٣٧ - ٣٨) بتصرف.

قال تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٠)

[العنكبوت].

وهذه الذنوب منها كبائر ومنها صفائر، وقد دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿إِنْ يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٣١)

[النساء]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ (النجم: ٣٢). أي صفائر الذنوب، روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ! قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ» (١).

ومن الناس من يتساهل في الذنوب والمعاصي، ويقول: ما دمت أودّي أركان الإسلام وفرائضه فالذنوب أمرها سهل، والله غفور رحيم، وهذا الكلام ليس بصحيح، فإن الله غفور رحيم، وشديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره، قال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة).

وقال تعالى: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّبَ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) [الحجر].

وقال تعالى محذراً من معصية نبيه ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٨٦).

وقال سبحانه: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبَزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ»<sup>(١)</sup>، وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْمُؤَبَّاتِ»<sup>(٢)</sup>. قال أبو عبد الله البخاري: يعني بذلك المهلكات.

ومعصية واحدة كانت سبباً لهزيمة الصحابة في معركة أحد، عندما أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَلَّا يَنْزِلُوا مِنَ الْجَبَلِ، فَعَصَوْهُ وَنَزَلُوا، فَقُتِلَ سَبْعُونَ، كما جاء في الصحيح<sup>(٣)</sup>.

ومعصية واحدة كانت سبباً في دخول امرأة النار، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعَمْهَا وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ حَشَائِشِ الْأَرْضِ»<sup>(٤)</sup>.

بل إن العبد ليتساهل بالكلمة التي تخرج من فمه، ولا يلقي لها بالاً، تكون سبباً لدخوله النار، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنَّ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٦٤٩٢).

(٣) البخاري برقم (٣٩٨٦).

(٤) البخاري برقم (٣٣١٨)، ومسلم برقم (٢٢٤٢).

(٥) البخاري برقم (٦٤٧٧)، ومسلم برقم (٢٩٨٨) واللفظ له.

ومعصية واحدة أخرجت آدم من الجنة، قال الشاعر:

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي      درك الجنان بها وفوز العابد  
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمَ      مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ  
قال الأوزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ».

ومن عقوبات المعاصي - وهي كثيرة، ذكرها ابن القيم في كتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» - فمنها:

أولاً: أنها تورث الذل لصاحبها، فإن العز كل العز بطاعة الله، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»<sup>(١)</sup>. وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم أعزنا بالطاعة، ولا تذلنا بالمعصية». وقال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَطَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ»<sup>(٢)</sup>. وفي دعاء القنوت: «إِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ»<sup>(٣)</sup> ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته، ومن

(١) سبق تخريجه.

(٢) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٣) سنن الترمذي برقم (٤٦٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/١٤٤) برقم (٤١١).

عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه وله من الذل بحسب معصيته»<sup>(١)</sup>. قال النبي ﷺ للأَنْصَارِ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَلَمْ تَكُونُوا أَذَلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ؟» قالوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ<sup>(٢)</sup>.

قال ابن المبارك:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ      وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِذْمَانُهَا  
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ      وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِضْيَانُهَا

ثانياً: أنها تورث الوحشة بين العبد وربه، وبين العبد وبين الناس، ولو اجتمعت للعبد لذات الدنيا كلها لم تذهب تلك الوحشة، قال عبد الله بن عباس: «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القبر والقلب، وهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق»<sup>(٣)</sup>.

ويشهد لكلام ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾<sup>(١٢٤)</sup> قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا<sup>(١٢٥)</sup> [طه].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

ثالثاً: ومن عقوباتها: أنها إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها

(١) الداء والدواء (ص ٢٧٧).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٨/١٠٥) برقم (١١٥٤٧) وقال محققوه: إسناده صحيح وأصله في الصحيحين.

(٣) الجواب الكافي (ص ٤٩).

فكان من الغافلين، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين]»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٣٣٣٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

## التقوى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

في هذه الآية الكريمة وصى الله سبحانه جميع خلقه الأولين والآخرين بأن يتقوه، وخص سبحانه المؤمنين بوصية التقوى، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

قال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله».

قال الذهبي: «أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترؤ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفاً من الله، لا ليُمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز»<sup>(١)</sup>. اهـ.

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٦٠١).

قال شيخ الإسلام: «التقوى هي فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه».

قال الشاعر:

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا      وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى  
وَاصْنَعْ كَمَا شِ فَوْقَ      أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذُرُ مَا يَرَى  
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً      إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وقال آخر:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى      تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا  
وَخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ      وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ اللَّهُ عَاصِيًا

قال الحسن البصري رحمته الله: «ما زالت التقوى بالمتقين، حتى تركوا كثيرًا من الحلال مخافة الوقوع في الحرام».

وقد ذكرت التقوى في كتاب الله في أكثر من مائتين وخمسين موضعًا، بل إنه قد تكرر الأمر بالتقوى في الآية الواحدة مرتين أو ثلاثًا، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة].

والمتقون هم أولياء الله وأحبابه، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ [يونس]، والمتقون هم أكرم الناس عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾ [الحجرات: ١٣]، روى الإمام

أحمد في مسنده من حديث أبي نضرة رضي الله عنه قال: حدثني من سمع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق أنه قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبْلَغْتُ؟» قالوا: بلغ رسول الله (١)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يوصي أصحابه بالتقوى، ويبدأ بها خطبه ووصاياهم، روى مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا» (٢)، وقال للصحابي أبي ذر كما في سنن الترمذي: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» (٣) الحديث.

فطريق السعادة، والعز، والكرامة، والنصر هو التقوى، وإنما تأتي المصائب، والبلايا، والمحن بسبب إهمال التقوى، وإضاعته، أو إضاعة جزء منها.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف].

ومن ثمرات التقوى:

أولاً: معية الله للمتقين، بالنصر والحفظ والإعانة والمحبة والتوفيق، وهذه منقبة عظيمة للمتقين، فلو لم يكن للمتقين إلا أنهم حازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلاً وشرفاً، قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ

(١) مسند الإمام أحمد (٣٨/٤٧٤) برقم (٢٣٤٨٩) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) برقم (١٧٣١).

(٣) سنن الترمذي برقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل].

ثانياً: حب الله للمتقين، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].

ثالثاً: غفران الذنوب، ومعرفة الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال].

رابعاً: التقى يجعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

خامساً: التقى يوفق للعمل النافع، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

سادساً: قبول الله تعالى من المتقين الأعمال الصالحة: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

قال شيخ الإسلام: «وعند أهل السنة والجماعة يتقبل العمل ممن اتقى الله فيه، فعمله خالصاً لله، موافقاً لأمر الله، فمن اتقاه في عمل تقبله منه، وإن كان عاصياً في غيره، ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه، وإن كان مطيعاً في غيره»<sup>(١)</sup>. اهـ، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فلو كانت الحسنه لا تقبل من صاحب السيئه لم تمحها.

سابعاً: ولاية الله تعالى بالتقوى، فإنه بالتقوى تنال ولاية الله، فمن اتقى الله فلا خوف عليه فيما يستقبل، ولا حزن ولا أسف على ما

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٢/١٠).

مضى، فإنه سبحانه يعوضه خيراً مما فاته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣].

ثامناً: تيسير الأمور، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]؛ أي: من اتقى الله يسر الله له الأمور، وسهل عليه كل أمر عسير.

تاسعاً: الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

عاشراً: الفوز بالجنة، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم]، وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [٦١] ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ [٧٢] [مريم].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





## تحريم الغناء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان].

صح عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أنهما فسرا ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾: بالغناء، وحلف ابن مسعود ثلاث مرات، فقال: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾: هُوَ الْغِنَاءُ»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النَّفَاقَ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الزَّرْعَ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله معلقاً على تفسير ابن مسعود وغيره للآية السابقة بأن المراد بها الغناء: فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم فهم أعلم الأمة بمراد الله عز وجل من كتابه فعليةهم نزل وهم أول من خوطب به من الأمة، وقد شاهدوا تفسيره من الرسول صلى الله عليه وسلم علماً وعملاً، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة، فلا يعدل عن تفسيرهم ما وجد إليه سبيل<sup>(٣)</sup>.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: أن

(١) تفسير ابن كثير (٤٦/١١) طبع وزارة الشؤون الإسلامية.

(٢) إغاثة اللهفان (١/٣٦٨). (٣) إغاثة اللهفان (١/٣٥٩).

النبي ﷺ قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ (١) وَالْحَرِيرَ وَالْحَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيُنزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ (٢) يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ (٣) لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي: الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيَبِيئُهُمُ اللَّهُ (٤) لَيْلًا، وَيَضَعُ الْعِلْمَ (٥) عَلَيْهِمْ، وَيَمْسَحُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٦).

فهذا الحديث يخبر عن أمر عظيم، وهو إهلاك بعض الأمة بأنواع من الهلاك، بسبب ما يرتكبون من الأمور ظاهرة التحريم، ومنها استحلالهم لآلات الملاهي المحرمة شرعاً، وهي في وقتنا المعاصر مثل: الكمنجا، والعود، والطبل، والبيانو، والربابة، والمزمار، وغيرها من المعازف، ودلالة الحديث على التحريم من وجهين:

الأول: قوله عليه الصلاة والسلام: «يَسْتَحِلُّونَ» أي يصيرونها حلالاً بعد حرمتها، ففيه التصريح بأن المذكورات في الحديث محرمة، ومنها المعازف.

الثاني: قرن المعازف مع الشيء المقطوع بحرمة بإجماع المسلمين، وهو الزنا وشرب الخمر، ولبس الحرير، وهو دليل على حرمتها.

روى الترمذي في سننه من حديث عمران بن حصين: أن النبي ﷺ قال: «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ فُؤُفٌ وَخَسْفٌ وَمَسْحٌ»، فقال رجل من المسلمين: متى ذاك يا رسول الله؟ قال: «إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ» (٧).

(١) الحر: أي الزنا.

(٢) علم: أي جبل.

(٣) بسارحة: أي ماشية لهم.

(٤) فبيئهم الله: أي يهلكهم ليلاً.

(٥) يضع العلم: أي يسقط الجبل عليهم.

(٦) برقم (٥٥٩٠).

(٧) برقم (٢٢١٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٤٢) برقم

(١٨٠١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وقد توعد الله سبحانه مستحلي المعازف بأن يخسف الله بهم الأرض، ويمسحهم قردة وخنازير، وإن كان الوعيد على جميع هذه الأفعال، فلكل واحد قسط في الذم والوعيد». اهـ<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

فهذا الحقُّ ليسَ بهِ خَفَاءٌ فدعني عن بُنيَّاتِ الطَّرِيقِ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ما خلاصته: «وإنما ذلك إذا استحلوا هذه المحرمات بالتأويلات الفاسدة، فإنهم لو استحلوها مع اعتقاد أن الرسول حرمها كانوا كفارًا، ولم يكونوا من أمته»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وقد اتفق الأئمة الأربعة على تحريم المعازف، ولو أتلفها متلف عندهم لم يضمن صورة التالف، بل يحرم عندهم اتخاذها. ولما سئل الإمام مالك عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء؟ قال: إنما يفعله عندنا الفساق<sup>(٣)</sup>.

ولما سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عنه قال: «الغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ»<sup>(٤)</sup>.

وأما مذهب أبي حنيفة، فهو من أشد المذاهب، فقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها، كالمزمار، والدف، حتى الضرب بالقصب، وصرحوا بأنه معصية، يوجب الفسق وتُرد به الشهادة<sup>(٥)</sup>.

وقد انتشر الغناء وللأسف في مجتمعنا، فالأغاني في التلفاز والقنوات الفضائية والمسجل والراديو، وغيرها من آلات اللهو.

قال يزيد بن الوليد: «إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في

(١) انظر: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (١/٢٨٣).

(٢) إغاثة اللفهان (١/٤٧٨). (٣) إغاثة اللفهان (١/٣٤٤).

(٤) المصدر السابق (١/٣٤٨). (٥) إغاثة اللفهان (١/٣٤٥).

الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل المسكر. وقال: فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا، أو رقية الزنا»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولا ريب أن كل غيور يجنب أهله سماع الغناء، كما يجنبهن أسباب الريب، ومن طرَّق أهله إلى سماع رقية الزنا فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه، ومن الأمر المعلوم عند القوم أن المرأة إذا استعصت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء، فحينئذ تعطي الليان، فلعمر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا، وكم من حر أصبح به عبدًا للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدل به اسمًا قبيحًا بين البرايا، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حلت به أنواع من البلايا، وكم جرع من غصة، وأزال من نعمة، وجلب من نقمة، وكم خبا لأهله من آلام منتظرة، وغموم متوقعة، وهموم مستقبلية؟!»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

فدع صاحب المزمار والدف والغنا  
ودعه يعيش في غيه وضلاله  
وفي تنننا يوم المعاد نجاته  
سيعلم يوم العرض أي بضاعة  
ويعلم ما قد كان فيه حياته  
إذا حُصِّلت أعماله كلها هبًا  
وما اختاره عن طاعة الله مذهبًا  
على تاتنا يحيا ويُبعث أشيبًا  
إلى الجنة الحمراء يُدعى مُقربًا  
أضاع وعند الوزن ما خفَّ أو ربا  
إذا حُصِّلت أعماله كلها هبًا

ومما تقدم من الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة، وأقوال أهل العلم، يتبين تحريم الغناء، وأنه من كبائر الذنوب، فيجب على

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٥).

(٢) إغاثة اللهفان من وساوس الشيطان (١/ ٣٦٦ - ٣٦٧).

المؤمن أن ينأى بنفسه عنه، فإنه لا يجتمع كلام الرحمن، ومزمار الشيطان في قلب امرئ أبداً.

تنبيه: انتشر في هذا الزمان ما يسميه أصحاب التسجيلات «الأناشيد الإسلامية»، قال الشيخ ناصر الدين الألباني رَضِيَ اللهُ فِي كِتَابِهِ «تَحْرِيمُ آلَاتِ اللّهُ»، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْأَدْلَةَ عَلَى تَحْرِيمِ الْغِنَاءِ: «وَيَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، فَكَيْفَ يَجُوزُ التَّقَرُّبُ إِلَيْهِ بِمَا حَرَّمَ، وَأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْعُلَمَاءُ الْغِنَاءَ الصُّوفِيَّ، وَاشْتَدَّ انْكَارُهُمْ عَلَى مُسْتَحْلِهِ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الْقَارِئُ فِي بَالِهِ هَذِهِ الْأُصُولَ الْقَوِيَّةَ، تَبَيَّنَ لَهُ بِكُلِّ وَضُوحٍ أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْغِنَاءِ الصُّوفِيِّ، وَالْأَنَاشِيدِ الدِّينِيَّةِ، بَلْ قَدْ تَكُونُ فِي هَذِهِ آفَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّهَا قَدْ تَلْحَنُ عَلَى أَلْحَانِ الْأَغَانِي الْمَاجِنَةِ، وَتَوَقَّعَ عَلَى الْقَوَائِنِ الْمَوْسِيقِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ أَوْ الْغَرْبِيَّةِ الَّتِي تَطْرَبُ السَّامِعِينَ وَتَرْقِصُهُمْ، وَتَخْرِجُهُمْ عَنْ طَوْرِهِمْ، فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ هُوَ اللَّحْنُ وَالطَّرْبُ، وَلَيْسَ النِّشِيدُ بِالذَّاتِ، وَهَذِهِ مَخَالَفَةٌ جَدِيدَةٌ، وَهِيَ التَّشْبِيهُ بِالْكَفَّارِ وَالْمَجَانِ، وَقَدْ يَنْتِجُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مَخَالَفَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ التَّشْبِيهُ بِهِمْ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ، وَهَجْرِهِمْ إِيَّاهُ، فَيَدْخُلُونَ فِي عَمُومِ شِكْوَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يُرَبِّ إِنِّي قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





## تحريم الزنا وأسبابه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ٦٩﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ٣٢﴾ [الإسراء].

فالآيات السابقة بين الله فيها أن من صفات عباده المؤمنين عدم الإشراف به، وعدم قتل النفس المحرمة، وأنهم يحفظون فروجهم عن الفواحش، وحذر من أنه من يقدم على هذه الفواحش فإن مصيره الخلود في العذاب المضاعف المهين، ما لم يرفع ذلك بالإيمان، والعمل الصالح، والتوبة الصادقة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْوِبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ٧١﴾ [الفرقان].

إن الزنا من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله، فقد قرنه الله بالشرك، وقتل النفس، لما فيه من إضاعة الأنساب، وانتهاك الحرمات، وإشعال العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه، أو ابنته، أو أخته، وفي ذلك خراب للعالم، ولهذا كان الزاني المحصن من الثلاثة الذين أحل الله دماءهم، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»<sup>(١)</sup>. وقد توعدده النبي ﷺ حين قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ فَكَانَ عَلَيْهِ كَالظِّلَّةِ، فَإِذَا انْقَطَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ»<sup>(٣)</sup>.

وفي صحيح البخاري، في حديث النبي ﷺ الطويل، وفيه: جاء جبريل وميكائيل إلى النبي ﷺ قال: «فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ، وَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ. قَالَ: فَاطْلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا (أَي: صَاحُوا مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ). فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الزُّنَاةُ، وَالزَّوَانِي»<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري برقم (٦٨٧٨)، ومسلم برقم (١٦٧٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٨٠٩)، وصحيح مسلم برقم (٥٧).

(٣) برقم (٤٦٩٠) وقال الذهبي في كتاب الكبائر (ص ٦٠): هذا الحديث على شرط البخاري ومسلم.

(٤) برقم (٧٠٤٧).

ولذلك أخذ النبي ﷺ البيعة من أصحابه على أن لا يقعوا في هذه الفاحشة، روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت: أن النبي ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا»<sup>(١)</sup> الحديث.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ولا أعلم بعد قتل النفس ذنبًا أعظم من الزنا»، وقال المنذري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «صح أن مدمن الخمر إذا مات لقي الله كعابد وثن، ولا شك أن الزنا أشد، وأعظم من شرب الخمر».

ولما حرم الله الزنا حرم الأسباب التي تؤدي إليه، ومن أعظمها: أولاً: إطلاق البصر قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، والنظر يكون في الأسواق، والأماكن العامة، وعبر شاشات القنوات الفضائية، والمجلات الهابطة، والتلفاز، وغيره.

ثانياً: خروج النساء متبرجات متعطرات إلى الأسواق، وهذا التبرج باب عظيم يؤدي إلى الفاحشة، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ثالثاً: دخول الرجال الأجانب على المرأة، وأخطر الأجانب على المرأة أقارب زوجها، وأقارب أبويها، فإنهم يترددون غالباً، وربما كان يجمعهم بيت واحد، وتارة تكون وحدها في البيت عند دخول أحدهم، روى البخاري، ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «يَا كُمْ وَالِدُخُولِ عَلَى النِّسَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْمُ؟ قَالَ: الْحَمْمُ الْمَوْتُ»<sup>(٢)</sup>، والحمو هو قريب الزوج.

(١) البخاري برقم (١٨)، ومسلم برقم (١٧٠٩).

(٢) البخاري برقم (٥٢٣٢)، ومسلم برقم (٢١٧٢).

رابعاً: ما يحدث من بعض المجتمعات الإسلامية من إقامة الحد على الضعيف، وتركه عن القوي، فإن هذا من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى انتشار الزنا، وهذا الذي فعله بنو إسرائيل، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ»<sup>(١)</sup>.

خامساً: تأخير من بلغ من الشباب، والشابات عن الزواج، فإنه بمجرد بلوغه تشتد عنده الشهوة، فإذا لم يكن بجانبه حلال يطفئها به، فربما يلجأ إلى الحرام الذي يجلب له العار في الدنيا، والخزي في الآخرة، روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»<sup>(٢)</sup>، وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرَضَّوْنَ دِينَهُ، وَخُلِقَهُ فَرَوْجُهُ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»<sup>(٣)</sup>.

سادساً: انتشار آلات اللهو، والفساد في البيوت، فالغناء هو بريد الزنا، والأفلام الخليعة التي تحكي الغرام بين الرجل والمرأة، عبر القنوات الفضائية الفاضحة، أو المواقع الإباحية في الإنترنت، أو مقاطع البلوتوث التي أساء استخدامها بعض الشباب، وصاروا يتداولون فيها الصور العارية كل ذلك مما يدعو إلى الفاحشة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [النور].

(١) البخاري برقم (٣٤٧٥)، ومسلم برقم (١٦٨٨).

(٢) البخاري برقم (٥٠٦٦)، ومسلم برقم (١٤٠٠).

(٣) سبق تخريجه.

سابعاً: انحراف بعض الرجال، وخيانتهم لزوجاتهم بمعاشرة النساء الأجنبية على غير الوجه الشرعي، فيكون هذا مدعاة لأن تقابل الزوجة زوجها بمثل ما قابلها به، وفي هذا يقول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

يا هاتكاً حُرِّمَ الرجال وتابعاً      طُرِقَ الفَسَادِ عِشْتَ غَيْرَ مُكْرَمٍ  
لو كنت حُرّاً من سُلالَةٍ ماجِدٍ      ما كُنْتَ هَتَّاکاً لِحُرْمَةِ مُسْلِمٍ  
من يَزنِ في قومٍ بِألفي دِرْهَمٍ      في أَهْلِهِ يُزْنَى بِرِباعِ الدِرْهَمِ  
إن الزِنا دَيْنٌ فإن أقرضتَهُ      كانَ الوفاً مِن أَهْلِ بَيْتِكَ فاعْلَمِ

وهذا الزوج الفاسق هو الذي سن هذه السيئة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان له وزرها، ووزر من عمل بها من بعده إلى يوم القيامة، كما جاء بذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ (١).

تنبيه: انتشر في هذا الزمان ما يسمى بجوال الكاميرا، وكم حدثت مفاسد منه، فكم من نساء محصنات غافلات صورن فيه، وكم من أعراض انتهكت عن طريقه، كم هدم من بيوت، وشتت من أسر، وجلب من مآسٍ؟! فينبغي للمؤمن أن يحذّر أهله منه، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ» (٢).  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين (٣).



(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٧).

(٢) البخاري برقم (٢٥٥٤)، ومسلم برقم (١٨٢٩).

(٣) هذه الكلمة مستفادة من خطبة للشيخ سعد الحميد حفظه الله.



## الاستخارة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري، والترمذي، والنسائي من حديث جابر رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، ثُمَّ يُسَمِّيه بِاسْمِهِ، خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - وَيَذْكُرُ الْأَمْرَ، وَيُسَمِّيه - شَرٌّ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن أبي جمرة: الحكمة في تقديم الصلاة على دعاء الاستخارة: «أن المراد هو حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء لذلك أنجع، ولا أنجح من

(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٨٢)، وسنن الترمذي برقم (٤٨٠)، والنسائي برقم (٣٢٥٣).

الصلاة، لما فيها من تعظيم الله، والثناء عليه، والافتقار إليه مألًا وحالًا»<sup>(١)</sup>.

وقال بعض أهل العلم: يجوز تكرارها - أي الاستخارة - في الأمر الواحد، وممن ذهب إلى جواز ذلك الحافظ العراقي، ومال إلى ذلك الشوكاني في النيل، فقال: قد يستدل للتكرار بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَعَا، دَعَا ثَلَاثًا، حديث صحيح. هذا وإن كان المراد به تكرار الدعاء في الوقت الواحد، فإن الدعاء الذي تسن الصلاة له تكرر الصلاة له، كالاستسقاء<sup>(٢)</sup>. اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وتثبت في أمره، فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: «ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هودوا إلى أرشد أمرهم»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

قال الشيخ كمال الدين محمد بن علي الزمكاني: إذا صلى الإنسان ركعتي الاستخارة لأمر فليفعل بعدها ما بدا له، سواء انشرح نفسه أم لا، فإن فيه الخير، وإن لم تنشرح نفسه. وقال: وليس في الحديث ما يدل على اشتراط انشراح النفس<sup>(٤)</sup>. اهـ.

تنبيه: الاستخارة تكون في الأمر الذي يريد أن يقدم عليه، سواء كان مترددًا فيه أم جازمًا، وليس كما يظن البعض أن الاستخارة في الأمر الذي يتردد فيه، لأن الاستخارة طلب التوفيق، والنتائج لا يعلمها إلا الله، وكم من أمر ظن صاحبه أن فيه خيرًا فكان فيه هلاكه، وكم من أمر ظن

(١) فتح الباري (١١/١٨٦).

(٢) نيل الأوطار (٢/٩٠).

(٣) الكلم الطيب لابن تيمية (ص ٧١).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٩/٢٠٦).

صاحبه أن فيه شرًا، فكان فيه نجاته؟! وحسبنا في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن فوائد الاستخارة وثمراتها:

أولاً: إنها دليل على تعلق قلب المؤمن بالله ﷻ، وتوكله عليه في سائر أحواله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَزِيِّزِ الرَّحِيمِ﴾ [الزمر: ٢١٧] الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ [٢١٨] وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجِدِينَ [٢١٩] [الشعراء].

ثانياً: الاستخارة تزيد ثواب المرء، وتقربه من ربه، وذلك لما تضمنه من الصلاة والدعاء، وفي الحديث: قلت: فما الصلاة يا رسول الله؟ قال: «خَيْرٌ مَوْضُوعٍ»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: في الاستخارة مخرج من الحيرة والشك، وهي مدعاة للطمأنينة وراحة البال، لأن العبد يفوض أمره إلى ربه الذي أزمه الأمور بيده سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

رابعاً: حصول الخير ودفع الشر؛ لأن ما يختاره الله لعبده أفضل مما يختاره العبد لنفسه؛ لأنه سبحانه هو العالم بمصالح عباده، العالم بغيبات الأمور.

خامساً: حصول البركة في الأمر الذي سيقدم عليه، والبركة ما حلت في قليل إلا كثر، ولا كثير إلا نفع، وفي حديث الاستخارة

(١) جزء من حديث في مسند الطيالسي (١/٦٥) برقم (٤٧٨)، وحسنه الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ بِرَقْمِ (٣٨٧٠).

السابق: «وَبَارِكْ لِي فِيهِ».

سادساً: أن المرء قد يحتقر شيئاً لصغره، ويكون في فعله أو تركه ضرر عظيم، ولذلك شرعت الاستخارة في الأمور كلها<sup>(١)</sup>.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) نيل الأوطار للشوكاني (٢/٨٨) طبعة وزارة الشؤون الإسلامية.

### وقفه مع آيات من كتاب الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَّمٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٥﴾﴾، قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات، فنزلوا في روضات الجنات، أنهم في شغل عن غيرهم لما هم فيه من النعيم المقيم، والفوز العظيم. قال ابن عباس: فاكهون: أي فرحون، وقال بعض المفسرين: أي في شغل مفكه للنفس ملذ لها من كل ما تهواه النفوس، وتلذذه العيون، ويتمناه المتمنون، ومن ذلك نكاح زوجاتهم الأبيكار من الحور العين في الجنة اللاتي قد جمعن حسن الوجوه والأبدان، وحسن الأخلاق»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أي في ظلال الأشجار على السرر المزينة باللباس المزخرف الفاخر الحسن، متكئون عليها اتكاءً يدل على كمال الراحة، والطمأنينة، واللذة.

(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٦٩)، وتفسير ابن سعدي (ص ٨١٩).

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ (٥٧) أي فاكهة كثيرة من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان، وغيرها، ولهم ما يدعون: أي يطلبون فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه، كما قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَّا تَشْتَهُيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٧١) [الزخرف].

قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ (٥٨)، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: في هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكدته بقوله: ﴿قَوْلًا﴾، وإذا سلم عليهم الرب الرحيم حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك الرب العظيم الرؤوف الرحيم لأهل دار كرامته الذين أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدًا، فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، وألا تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور لحصل ذلك، فترجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم<sup>(١)</sup>. اهـ.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: إن في الجنة أزواجاً مطهرة يتلذذ الإنسان ويتمتع بهن مع الجلوس على الأرائك، والاتكاء عليها، وتقديم الفواكه من الولدان والخدم، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، قال مجاهد: «مطهرة من الحيض، والغائط، والبول، والنخام، والبزاق، والمنى، والولد».

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (٥٦) [الرحمن]، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن

(١) (ص ٨١٩ - ٨٢٠).

النبي ﷺ قال: «لروحة في سبيل الله، أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة، أو موضع قيد- يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة أطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن أرقم رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل من أهل الجنة يُعطى قوة مئة رجل في الأكل، والشرب، والجماع، والشهوة»<sup>(٢)</sup>. فقال رجل من اليهود: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمّر».

قال الشاعر:

وَجَنَاتُ عَدْنٍ زُحِرْفَتْ ثُمَّ أُزْلِفَتْ      لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَامًا تَبَتَّلْ  
بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي      وَقُرَّةٌ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرَحَّلْ  
مَلَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَسُنْدُسٌ      وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَعْتَرِيهِ التَّحَلُّلُ  
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ حَسَانٌ كَوَاعِبُ      عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَشْكَلُ  
يُطَافُ عَلَيْهِمُ بِالَّذِي يَشْتَهُونَهُ      إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بَاخِرَ بَدَلُوا

ثانياً: إن في الجنة أنهاراً وفواكه، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافاً عظيماً، لا يمكن أن يدركه الإنسان بحسه في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة]. قال ابن عباس: «لا يُشبهه شيء مما في الجنة ما في الدنيا»<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري برقم (٢٧٩٦)، ومسلم برقم (١٨٨٠).

(٢) (٦٥/٣٢) برقم (١٩٣١٤) وقال محققوه: حديث صحيح.

الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءَ». روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) ﴿ (١)».

ثالثاً: إثبات كلام الرب تعالى لأهل الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب]. قال ابن كثير: «الظاهر أن المراد - والله أعلم - تحيتهم، أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام. أي: يوم يسلم عليهم، كما قال تعالى: ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ [يس]» (٢).

رابعاً: أن رؤية المؤمنين لربهم جل وعلا في الجنة، ورضاه عنهم أفضل النعم التي يكرم الله بها أهل الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب الرومي: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ نُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﻋَزَّ وَجَلَّ»، زاد في رواية: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ ﻋَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ! فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالُوا: يَا

(١) البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم (٢٨٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١١/١٨٤). (٣) برقم (١٨١).

رَبِّ، وَآيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

خامسًا: أن أهل الجنة كلما طلبوا شيئًا وتمنوه أدركوه، روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ فَقَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَحْذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبًّا! فَيَقُولُ لَهُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْحَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبًّا!! فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبًّا! قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ»<sup>(٢)</sup>.

قال: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٦٥٤٩)، ومسلم برقم (٢٨٢٩).

(٢) برقم (١٨٩).



### تأملات في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ ﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ [الطور].

قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن فضله، وكرمه، وامتنانه، ولطفه بخلقه، وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع ناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله، ومنزلته للتساوي بينه، وبين ذلك. اهـ<sup>(١)</sup>.

قال ابن عباس: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ ﴾ الْآيَةَ<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: وهذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء،

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٢٣٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/٢٣٢).

وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ»<sup>(١)(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾<sup>(٣١)</sup> [الطور]؛ لما أخبر تعالى عن مقام الفضل، ورفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر تعالى عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد، فقال: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾<sup>(٣١)</sup> أي: مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره، سواء كان أباً أو ابناً، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾<sup>(٣٨)</sup> إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ<sup>(٣٩)</sup> فِي جَنَّتِ يَسَاءَلُوْنَ<sup>(٤٠)</sup> عَنِ الْمُجْرِمِيْنَ<sup>(٤١)</sup> [المدثر].

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنها قيدت إلحاق ذرية المؤمن إلى درجته في الجنة بالإيمان، أما إذا كانت على غير الإيمان، فإنها لا تنتفع بصلاح الآباء، والأبناء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

(١) المصدر السابق (١٣/٢٣٢).

(٢) (١٦/٣٥٦ - ٣٥٧) برقم (١٠٦١٠)، وقال محققوه: إسناده حسن، وقال ابن كثير في

تفسيره (١٣/٢٣٢): إسناده صحيح.

(٣) برقم (١٦٣١).

الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفَاعِينَ﴾ [المدثر]. ﴿٤٨﴾

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُحْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ حِزْبِي أَحْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ<sup>(١)</sup>، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: إن فضل الله واسع، وهو سبحانه لا ينقص المؤمن من عمله شيئاً، بل يضاعفه له أضعافاً كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور].

وقال تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [١١٢] [طه]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء].

ثالثاً: عدل الله ﷻ، فهو لا يؤخذ أحداً بذنب غيره، قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

(١) الذبخ: هو الضبع الذكر وقد تلطخ بالنجاسة.

(٢) برقم (٣٣٥٠).

وقفه مع قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِي ﴾

﴿ ٥٠٠ ﴾

يَعْمَلُونَ ﴿ ١٣٤ ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ أَلَا نُزِرُ وَإِرَّةً وَزَرَ أُخْرَى ﴾ ﴿ ٢٨ ﴾ [النجم].

رابعًا: أن هذه الآية الكريمة من البشائر العظيمة التي يفرح بها المؤمنون، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ﴿ ٥٨ ﴾ [يونس].

خامسًا: الاهتمام بتربية الأبناء تربية إسلامية، كتعليمهم العبادات، وحثهم عليها، وإلحاقهم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتعليمهم الآداب الحسنة، والأخلاق الكريمة، وتجنبهم المحرمات، والمنكرات، وتحذيرهم منها، والدعاء لهم بالصالح والهداية، حتى ينتفع بهم أبائهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ﴿ ٧٤ ﴾ [الفرقان]، روى الإمام أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، عن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.



(٢) برقم (٥٠٢٧).

(١) سبق تخريجه.



## الاستغفار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

روى مسلم في صحيحه من حديث الأغر المزني رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»<sup>(١)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمر قال: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والعبد دائمًا بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنوب يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائمًا، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه ولا يزال محتاجًا إلى التوبة، والاستغفار، ولهذا كان سيد ولد آدم، وإمام المتقين محمد صلى الله عليه وسلم يستغفر الله في جميع الأحوال»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) برقم (٢٧٠٢).

(٢) برقم (١٥١٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم (١٣٤٢).

(٣) التحفة العراقية (١/٧٩).

وقد أمر الله نبيه والمؤمنين بالاستغفار، ووعدهم بالمغفرة، فقال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٦) [النساء]، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٩) [محمد]، وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٠) [المزمل].

والاستغفار يكون للنفس وللغير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧) [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١) [إبراهيم].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ» (١).

ولا يجوز الاستغفار للمشرك، ولو كان حبيباً، أو قريباً، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْاهٍ حَلِيمٌ (١١٤) [التوبة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى، وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأَذِنَ لِي، فَزُورُوا

(١) سبق تخريجه.

الْقُبُورِ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ» (١).

كما بين سبحانه أن الاستغفار لهم لا ينفعهم، ولا يقبله الله من صاحبه، قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) [التوبة].

وصيغ الاستغفار كثيرة، وقد وردت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، فمن ذلك ما رواه أبو داود من حديث زيد بن أسود مولى النبي ﷺ، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ قَالَ: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ» (٢).

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِمَا وَزَاعِي: كَيْفَ الْإِسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ، اسْتَغْفِرُ اللَّهَ (٣).

ومن أفضلها ما رواه البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ

(١) برقم (٩٧٦).

(٢) برقم (١٥١٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم (١٣٤٣).

(٣) برقم (٥٩١).



وَهُوَ كَوْنُ الرَّسُولِ ﷺ فِيْنَا، وَبَقِيَ الْإِسْتِغْفَارُ مَعْنَا، فَإِنْ ذَهَبَ هَلَكْنَا» (١).  
والاستغفار سبب لنزول الرحمة، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ  
بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل].

والاستغفار كفارة للمجلس، روى الترمذي في سننه من حديث  
أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ  
لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ،  
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي  
مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) التوبة إلى الله، للغزالي (ص ١٢٤).

(٢) برقم (٣٤٣٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٥٣) برقم (٢٧٣٠).



### شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزير)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِثَّةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَثْرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup>.

ومن أسماء الله الحسنى: العزير، قال القرطبي: «العزيرُ معناه المنيع، الذي لا ينال، ولا يغالب»<sup>(٣)</sup>، وقال ابن كثير: العزيرُ: الذي عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته، وعظمتيه، وجبروته، وكبريائه<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله: العزة متضمنة لأنواع ثلاثة:

- ١ - عزة القوة، الدال عليها من أسمائه القوي المتين.
- ٢ - عزة الامتناع، فإنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضروه، ولا نفعه فينفعوه، بل هو الضار النافع

(١) البخاري برقم (٦٤١٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) برقم (٧٣٩٢).

(٣) تفسير القرطبي (١٣١/٢) نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى.

(٤) تفسير ابن كثير (٤٥٦/٢) (٦/٣).

المعطي المانع.

٣- عزة القهر، والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، لا يتحرك منها متحرك إلا بحوله، وقوته<sup>(١)</sup>، وقال بعضهم: ذكر العزيز في القرآن في اثنتين وتسعين مرة<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، وقال أيضًا: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: الإيمان بالله ﷻ، وأن من أسمائه: العزيز الذي لا يُغلب، ولا يُقهر، يُعطي الشجاعة والثقة به سبحانه، لأن معناه أن ربه لا يُمانع، ولا يرد أمره، وأنه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاؤوا، والمتأمل في قصص الأنبياء والرسل يجد ذلك واضحًا جليًا، فمن ذلك قصة موسى ﷺ، عندما حاول فرعون أن يمنع خروج هذا الصبي بأن أمر بقتل جميع الذكور من بني إسرائيل، لأنه علم أنه سيخرج فيهم نبي ينتزع منه ملكه، ولكن يأبى الله العزيز إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون، فولد موسى ﷺ، وتربى في قصر فرعون، وفي بيته، وتحت رعايته، ولما حاول قتله أهلكه الله، وقائده هامان، وجنوده أجمعين، وغيرها من القصص<sup>(٣)</sup>.

ثانيًا: أن العزيز في الدنيا والآخرة هو من أعزه الله، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكِ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزُ مَن

(١) نزهة الأعين النواظر (٤٣٤ - ٤٣٥) نقلًا عن موسوعة نضرة النعيم (٧ / ٢٨٢١ - ٢٨٢٢).

(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، للنجدي (١ / ١٣٦).

(٣) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١ / ١٣٨).

تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران]، فمن طلب العزة فليطلبها من رب العزة، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، أي من أحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعًا، وقد ذم الله أقوامًا طلبوا العزة من غيره سبحانه، فوالوا أعداء الله من الكافرين، ظنًا منهم أن هذا هو سبيل العزة، وطريقها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْخِذُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء].

ومع عظم الطاعة تزداد العزة، فأعز الناس هم الأنبياء، ثم الذين يلونهم من المؤمنين المتبعين لهم.

قال فخر الدين الرازي: «وعزة كل أحد بقدر علو رتبته في الدين، فإنه كلما كانت هذه الصفة فيه أكمل كان وجدان مثله أقل، وكان أشد عزة، وأكمل رفعة»<sup>(١)</sup>.

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال النبي ﷺ للأَنْصَارِ: «أَلَمْ تَكُونُوا أَدِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ أَدَلَّنَا اللَّهُ»<sup>(٣)</sup>، وكان من دعاء السلف:

(١) شرح الأسماء (ص ١٩٦) نقلًا عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/١٤٠).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٨/١٠٥) برقم (١١٥٤٧) وقال محققوه: إسناده صحيح وأصله في الصحيحين.

(٣) مستدرک الحاكم (١/٢٣٦ - ٢٣٧) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه الشيخ عبدالسلام علوش: إسناده صحيح.

«اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا بِطَاعَتِكَ وَلَا تُذِلَّنَا بِمَعْصِيَتِكَ»<sup>(١)</sup>.

فصاحب الطاعة عزيز، وصاحب المعصية ذليل، ولذلك يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: «وَجِعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»<sup>(٢)</sup>.

ثالثًا: سؤال الله تعالى، والتضرع إليه بهذا الاسم العزيز، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعُ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي، وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجَعِي هَذَا، ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ، ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ وَتَرًا»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»<sup>(٤)</sup>.

رابعًا: من أسباب العزة والرفعة العفو والتواضع، روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»<sup>(٥)</sup>. فمن عفا عن شيء مع مقدرته على الانتقام، عظم في القلوب في الدنيا، وفي الآخرة يعظم الله له الثواب، وكذلك التواضع رفعة في الدنيا والآخرة.

خامسًا: أن ما أصاب المسلمين من ضعف، وذل وهوان، وتخلف عن بقية الأمم في هذه الأزمنة، إنما هو بسبب المعاصي والذنوب،

(١) الجواب الكافي (ص ٥٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم (٣٥٨٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٤) برقم (٢٨٣٨) وأصله في صحيح مسلم.

(٤) جزء من حديث البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧)، واللفظ له.

(٥) برقم (٢٥٨٦).

والبعد عن دين الله تعالى، ولو أنهم تمسكوا بهذا الدين، وعملوا به لأعزهم الله، ونصرهم على الأعداء، ولأصبحوا سادة العالم، وقادة الشعوب، كما حصل للصحابة رضي الله عنهم، فقد وصلت فتوحاتهم إلى مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث تميم الداري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيُبَلِّغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بَدَلْ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرْفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ، وَالْجِزْيَةُ<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مسند الإمام أحمد (٢٨/١٥٥) برقم (١٦٩٥٧) وقال محققوه: إسناده صحيح.



## شكر النعم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن نعم الله علينا لا تعد، ولا تحصى، بل هي متتابعة، بتتابع الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٢٤) [إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالِيهِ يَجْعُرُونَ﴾ (٥٣) [النحل].

ومن أعظم هذه النعم الهداية لهذا الدين، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والعبد دائماً بين نعمة من الله تحتاج إلى شكر، وذنب يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائماً، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، إلى آخر ما قال»<sup>(١)</sup>.

(١) التحفة العراقية (١/ ٧٩).

ومن هذه النعم على سبيل المثال: نعمة السمع، والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل].

ومنها نعمة الأمن في الأوطان، فإن حاجة الناس إلى الأمن أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، فقد قدمه إبراهيم عليه السلام على الرزق، فقال الله عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة: ١٢٦]، ولأن الناس لا يهناون بطعام ولا شراب مع الخوف، قال تعالى ممتنًا على قريش بهذه النعمة: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش]. وغير ذلك من النعم التي لا يستطيع حصرها، ولا الإحاطة ببعضها، وصدق الله إذ قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

وهذه النعم بلا شك تحتاج إلى شكر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

ومن الأسباب المعينة على شكر النعم:

أولاً: التأمل في نعم الله، واستحضارها في كل لحظة وحين، وعدم الغفلة عنها، فإن كثيراً من الناس يتنعمون بشتى أنواع النعم من مآكل، ومشارب، ومراكب، ومساكن، ومع ذلك لا يستشعرون هذه النعم، لأنهم لم يفقدوها يوماً من الأيام، واعتادوا عليها، لذلك فإن الله يريد منا التأمل في هذه النعم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُوْفِكُمْ ﴿٣﴾﴾ [فاطر].

ثانياً: أن ينظر كل واحد منا إلى من هو أسفل منه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظروا إلى

مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ، وَالْحَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، مِمَّنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن جرير: «هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا طَلَبَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَصْغَرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ لِيَلْحَقَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقَارِبَهُ. هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي غَالِبِ النَّاسِ، وَأَمَّا إِذَا نَظَرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا، ظَهَرَتْ لَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَشَكَرَهَا، وَتَوَاضَعَ وَفَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

ثالثاً: أن يعلم الإنسان أن الله تعالى يسأله يوم القيامة عن شكر هذه النعم، هل قام بذلك أو قصر؟ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر].

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ أُصِحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ، وَأَرْوِكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»<sup>(٤)</sup>، وفي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمِكَ، وَأَسْوَدَكَ»<sup>(٥)</sup>، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ، وَتَرْبَعًا؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣)، واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٣).

(٣) صحيح مسلم، شرح النووي (٩٧/٦).

(٤) مستدرک الحاكم (١٩١/٥) برقم (٧٢٨٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

(٧٦/٢) برقم (٥٣٩).

(٥) أي أجعلك سيِّداً على غيرك.

مُلَاقِيٍّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَن عُمْرِهِ فِيمَ أُنْفَاهُ؟ وَعَن عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَمَالِهِ مِنَّ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: شكر هذه النعم بالقلب والقول والفعل، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾<sup>(١٢)</sup> [لقمان]، وقال أيضاً: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(١٣)</sup> [سبأ]؛ فاستمرار هذه النعم بالشكر بأنواعه الثلاثة، وذهابها بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(١٤)</sup> [النحل].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرِ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»<sup>(٣)</sup>.

قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا      فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تَزِيلُ النِّعَمَ  
وَحُطَّهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ      فَارْبُ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمِ  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث مسلم في صحيحه برقم (٢٩٦٨).

(٢) برقم (٢٤١٦)، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (١١٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٠).

## الورع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث عليها الشرع، ورغب فيها: الورع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَأَمَّا الْوَرَعُ فَإِنَّهُ الْإِمْسَاكُ عَمَّا قَدْ يَضُرُّ، فَتَدْخُلُ فِيهِ الْمُحَرَّمَاتُ وَالشُّبُهَاتُ، لِأَنَّهَا قَدْ تَضُرُّ، فَإِنَّ مَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الورع ترك ما يضر، ومن ذلك ترك الأشياء المشتبه في حكمها، والمشتبه في حقيقتها، فالأول اشتباه في الحكم هل هو حرام أو حلال؟ والثاني اشتباه في الحال، فالإنسان الورع هو الذي إذا اشتبه الأمر عليه تركه إن كان اشتبهاً في تحريمه، وفعله إن كان اشتبهاً في وجوبه لئلا يآثم بالترك»<sup>(٢)</sup> أهـ. روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦١٥).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/٤٨٥ - ٤٨٦).

كثيْرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ»<sup>(١)</sup>.

وروى الحاكم في المستدرک من حديث سعد بن أبي وقاص: أن النبي ﷺ قال: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمْ الْوَرَعُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى النسائي من حديث الحسن بن علي قال: حَفِظْتُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ: «دَعُ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ»<sup>(٣)</sup>.

وفي صحيح مسلم من حديث النّوأس بن سمعان قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»<sup>(٤)</sup>.

والورع بابُه واسع يشمل الورع في النظر، والسمع، واللسان، والبطن، والفرج، والبيع، والشراء، وغير ذلك. ويكثر وقوع كثير من الناس في المحرمات والشبهات، بسبب تخلف هذه الأمور الثلاثة: الورع في اللسان، والبطن، والنظر، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(٣٦)</sup> [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾<sup>(١٩)</sup> [غافر]. قال الإمام أحمد بن حنبل:

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.

(٢) (٢٨٣/١) برقم (٣٢٠) وقال محققه: الحديث عندي أنه حسن، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤٢١٤).

(٣) برقم (٥٧١١) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/١١٥٣) برقم (٥٢٦٩).

(٤) برقم (٢٥٥٣).

«هو الرجل يكون في القوم فتمر به المرأة فيلحقها بصره»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»<sup>(٢)</sup>، ومعنى «مَا يَتَبَيَّنُ» أي: ما يتفكر فيها، ولا يتأملها هل هي خير أو شر؟

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْهَا، فَقَالَتْ: «أَحْمِي سَمْعِي، وَبَصْرِي، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا»، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ»<sup>(٣)</sup>.

وقال وهيب بن الورد، ولو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل في بطنك حلال أو حرام.

وقد كان عليه الصلاة والسلام إمام الورعين، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِأَكْلِهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأَلْقُهَا»<sup>(٤)</sup>؛ لأن الصدقة محرمة عليه، وعلى أهل بيته.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقتفون أثره صلى الله عليه وسلم، ويتبعون سنته، فروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ

(١) الورع للمروذي (ص ١١١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٨) واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٥٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٧٠).

(٤) البخاري برقم (٢٤٣٢)، ومسلم برقم (١٠٧٠).

فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث نافع - يعني عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال: «كَانَ فَرَضٌ لِلْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فِي أَرْبَعَةٍ، وَفَرَضٌ لِابْنِ عُمَرَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسِمِئَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، فَلِمَ نَقَصْتَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبَوَاهُ. يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: «تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا»<sup>(٣)</sup>، وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أرد درهماً واحداً من شبهة، أحب إلي من أن أتصدق بمئة ألف»، وكان عمر بن عبد العزيز تسرج له الشمعة ما كان في حوائج المسلمين، فإذا فرغ أطفالها، وأسرج عليه سراجها، وقال لامرأته يوماً: «عندك درهم أشترى عنباً؟ قالت: لا. قال: فعندك فلوس؟ قالت: لا، أنت أمير المؤمنين، ولا تقدر على درهم. قال: هذا أهون من معالجة الأغلال في جهنم».

وتقدم كلام الشيخ ابن عثيمين أن الاشتباه على نوعين: اشتباه في الحكم، فلا يدري المؤمن هل هو من الحلال البين؟ أو من الحرام البين؟ فهذا أمثله كثيرة جداً، لأنها تختلف باختلاف أفهام العلماء، فمنهم من يرى التحريم، ومنهم من يرى الحل، وقد يمثل لذلك ببعض

(١) برقم (٣٨٤٢).

(٢) برقم (٣٩١٢).

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٥٢/٨) برقم (١٤٦٨٣).

المعاملات، والمساهمات المالية المنتشرة في هذه الأيام<sup>(١)</sup>.

الثاني الاشتباه في الحال، وقد يمثل لذلك بالدجاج المستورد من الخارج، فبعض العلماء يرى جوازه؛ لأنه من طعام أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وقد تبين لدى بعض طلبة العلم أن كثيراً من هذا الدجاج يذبح بالصعق الكهربائي، أو غيرها من طرق الذكاة غير الشرعية، وهذا من المشتبه حاله، فالورع تركه.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن من تورع، وترك الشبهات، فإن الله يعوضه خيراً مما فاته، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة، وأبي الدهماء أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ وَعَبْدِكَ إِلَّا أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ولمزيد من التفصيل انظر كتاب «الأسهم المختلطة» للشيخ صالح العصيمي فقد أجاد فيه وأفاد.

(٢) سبق تخريجه.



## علاج الهموم والغموم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن المؤمن لا تخلو حياته من الهموم والأحزان التي تكدر عليه عيشته، وتنغص عليه لذته، ومع ما في ذلك من تكفير للسيئات، ورفع للدرجات، فإن فيها فوائد أخرى، من أهمها أنها تدفع المؤمن للجوء إلى الله، والانكسار بين يديه، والتضرع إليه، فيحصل بذلك للقلب من الراحة والطمأنينة، واستشعار القرب من الله ﷻ ما لا يمكن وصفه.

وأيضًا فإن هذه المنغصات تجعل المؤمن يعرف حقارة الدنيا، فيزهد فيها، ولا يركن إليها، ويقبل على الآخرة على بصيرة بأنها خير وأبقى، إذ لا هم فيها ولا حزن، كما قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٢٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٢٥﴾ [فاطر]، فما أعظم هذه الفائدة لمن عرف حكمة الله تعالى فيها! وهذه بعض الأسباب التي تُدفع بها الهموم والغموم والأحزان والمصائب لمن أحسن استعمالها.

أولاً: الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) [النحل]، وهذا وعد من الله لمن آمن

وعمل صالحًا، أن الله يحييه حياة سعيدة، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»<sup>(١)</sup>.

ثانيًا: فرح المسلم بما يحصل له من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، جزاء صبره واحتسابه على ما يصيبه من هموم الدنيا، ومصائبها.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذَى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية لمسلم: «حَتَّى الْهَمُّ يَهْمُهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية أخرى لمسلم: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً»<sup>(٤)</sup>. فيعلم المسلم أن ما يصيبه من هموم، وغموم إنما هو تكفير لسيئاته، وتكثير لحسناته، قال أحد السلف: «لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس»، وكان أحدهم يفرح بالبلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء.

ثالثًا: معرفة حقيقة الدنيا، وأنها فانية، متاعها قليل، وما فيها من لذة فهي مكدرة، لا تصفو لأحد، إن أضحكت قليلاً، أبكت طويلاً، وإن سرت يسيراً أحزنت كثيراً، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فيوم لك، ويوم عليك، روى مسلم في

(١) برقم (٢٩٩٩).

(٢) البخاري برقم (٥٦٤٢).

(٣) برقم (٢٥٧٣).

(٤) برقم (٢٥٧٢).

صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»<sup>(١)</sup>، وهي كذلك دار نصب، وأذى، وغم، وهم، ولذلك يستريح المؤمن إذا فارقتها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي قتادة: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالذَّوَابُّ»<sup>(٢)</sup> فهذا المعنى الذي يدركه المؤمن لحقيقة الدنيا، يهون عليه المصائب، والهموم؛ لأنه يعلم أن ذلك من طبيعتها.

رابعاً: هموم الدنيا وغمومها تشتت النفس، وتفرق شملها، فإذا جعل العبد الآخرة همه جمع الله له شمله، وقويت عزيمته، روى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فُقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

خامساً: الدعاء، فإنه علاج نافع لدفع الهم، والغم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من الهم، والحزن. روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: كُنْتُ أَخْدِمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ

(١) برقم (٢٩٥٦).

(٢) البخاري برقم (٦٥١٢)، ومسلم برقم (٩٥٠).

(٣) برقم (٢٤٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٥١٦).

كثيراً يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»<sup>(١)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة: أن النبي ﷺ قال: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»<sup>(٢)</sup>.

فإذا لهج العبد بهذه الأدعية بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده في تحصيل أسباب الإجابة، حقق الله له ما دعا، وعمل له، وانقلب همه فرحاً، وسروراً.

سادساً: التوكل على الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كافيه من كل شيء مما يهمله من أمر الدنيا والآخرة، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله، وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم، والغموم، وزالت عنه كثيرٌ من الأسقام القلبية والبدنية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه...»<sup>(٣)</sup> إلى آخر ما قال.

والأسباب كثيرة لمن تأملها، وقد اقتصرنا على الأهم منها، وجماع هذه الأسباب قراءة القرآن بتدبر، فإنه ربيع القلوب، ونور الصدور، وجلاء الأحزان، وذهاب الهموم والغموم، والشفاء لجميع

(١) برقم (٢٨٩٣).

(٢) برقم (٥٠٩٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٥٩) برقم (٤٢٤٦).

(٣) الأسباب المفيدة في الحياة السعيدة، (ص ٢٤ - ٢٥).

الأمراض البدنية والقلبية، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فمن قرأ هذا القرآن بتدبر وإقبال، ذهب عنه الهموم والغموم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: (٢٨)].<sup>(١)</sup>

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: رسالة الشيخ محمد المنجد: (علاج الهموم).



الكلمة الخامسة والتسعون

قصة نبي الله أيوب عليه السلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد قصّ الله علينا في كتابه العزيز قصص الأنبياء والمرسلين، لنأخذ منها الدروس والعبر، ولتشبث فؤاد النبي ﷺ، وتقوية إيمان المؤمنين، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

ومن هؤلاء الرسل نبي الله أيوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّْا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذْنَا بِيدِكَ صِغَةً فَأَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: إن أيوب عليه السلام كان رجلاً كثير المال بأنواعه المتعددة، من الأراضي الواسعة، والأنعام والمواشي، وكان ذلك بأرض البثينة بأرض حوران بالشام، قال ابن عساکر: «كانت كلها له، فابتلاه الله بفقد ذلك كله، وابتلي بأنواع البلايا في جسده، حيث لم يبق موضع في جسده لم يسلم من الأذى سوى قلبه ولسانه، وكان يذكر الله بهما، ويسبح ليلاً ونهاراً، وصباحاً ومساءً، حتى عافه المجلس، واستوحش منه الأنيس، وعافه القريب والبعيد، ورمي في مزبلة خارج بلده، ولم يبق عنده سوى زوجته، كانت تحفظ حقه، وقديم إحسانه، وشفقته عليها، وكانت تعمل بالأجر عند الناس، وتأتيه بالطعام، مع صبرها على فراق المال والولد، ومرض الزوج بعد النعمة، والحرمة التي كانت فيها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وكما تقدم كانت تخدم الناس بالأجر، وتطعم أيوب عليه السلام، ثم إن الناس لم يكونوا يستخدمونها، لعلمهم أنها امرأة أيوب، خوفاً من أن ينالهم من بلائه، أو تعديهم بمخالطته، فلما لم تجد أحداً يستخدمها عمدت فباعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيريها بطعام كثير، فأتت به أيوب، فقال: من أين لك هذا؟ وأنكره، فقالت: خدمت به أناساً، فلما كان من الغد لم تجد أحداً فباعت الضفيرة الأخرى بطعام، فأتته به فأنكره، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفت عن رأسها خمارها، فلما رأى رأسها مخلوقاً قال في دعائه: ﴿أَيُّ مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾، فجاء الفرج من الله: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغَسَّلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي اضرب الأرض برجلك، فامتثل ما أمر به، فأنبع الله عيناً باردة الماء، وأمره أن يغتسل فيها، ويشرب من مائها، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً، وأبدله الله بعد ذلك

صحة ظاهرة وباطنة، وجمالاً تاماً، ومالاً كثيراً، حتى صب له من المال مطراً عظيماً، جراد من ذهب، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُريَانَا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ»<sup>(١)</sup>.

وأخلف الله له أهله، كما قال سبحانه: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

قيل: أحياهم الله بأعيانهم، وقيل: عوضه الله عنهم في الدنيا بدلهم، وقيل غير ذلك، رحمة منا ورأفة وإحساناً وذكراً للعبدين<sup>(٢)</sup>.

ومن الدروس والعبر المستفادة من قصة نبي الله أيوب عليه السلام:

أولاً: ابتلاء الله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام، وأن هذا البلاء لم يزد إلا صبراً، واحتساباً، وحمداً، وشكراً، حتى إن المثل ليضرب بصبره عليه السلام، ويضرب المثل بما حصل له من أنواع البلاء. قال السدي: «تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم، والعصب»، روى أبو يعلى في مسنده من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبَثَ بِهِ بَلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ، وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَانِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ، وَيَرُوحَانِ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: تَعَلَّمَ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبُهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرَحْمَهُ اللَّهُ، فَيَكْشِفُ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَى أَيُّوبَ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولَانِ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ

(١) برقم (٢٧٩).

(٢) البداية والنهاية (١/٥٠٧-٥٠٩).

يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمْرًا بِالرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ، فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكْفَرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةً أَنْ يُذَكَّرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقٍّ...»<sup>(١)</sup> الحديث.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صِلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

ثانيًا: أن يقال: يا أهل البلاء، يا من ابتليتكم في أموالكم، أو أولادكم، أو أنفسكم اصبروا، واحتسبوا، فإن العوض من الله، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

قال ابن كثير: «هذه تذكرة لمن ابتلي في جسده، أو ماله، أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك، فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه»<sup>(٣)</sup>.

قال الشاعر:

إِذَا بُلِيتَ فَثِقْ بِاللَّهِ وَارْضَ بِهِ      إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ الْبَلَوَى هُوَ اللَّهُ

(١) (٢٩٩/٦) برقم (٣٦١٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٥٣ - ٥٤) برقم (١٧).

(٢) (٧٨/٣) برقم (١٤٨١) وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) البداية، والنهاية (١/٥١٣).

إذا قضى الله فاستسلم لقدرتِه ما لامرئٍ حيلةٌ فيما قضى الله  
 ثالثاً: أن من أصيب بمصيبة فصبر واحتسب واسترجع عوضه الله  
 خيراً مما فاته، كما حصل لأيوب عليه السلام، روى مسلم في صحيحه من  
 حديث أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ،  
 فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي،  
 وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». قَالَتْ: فَلَمَّا تُوِّفِيَ  
 أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟ ثُمَّ  
 عَزَمَ اللَّهُ لِي فَقُلْتُهَا. قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله <sup>(١)</sup>.

رابعاً: أن في هذا رسالة للزوجات المؤمنات بأن يصبرن على  
 مرض أزواجهن، أو فقرهم، أو غير ذلك مما يحصل لهم، ولهن في  
 ذلك قدوة امرأة أيوب عليه السلام، وكيف صبرت واحتسبت حتى كشف  
 عن زوجها الغمة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن  
 مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لَا يَضْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ  
 صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرِجْلِهَا مِنْ عِظَمِ  
 حَقِّهِ عَلَيْهَا» <sup>(٢)</sup>، وفي رواية: أن امرأة قالت: يا رسول الله ما حق الزوج  
 على زوجته؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لَوْ كَانَتْ  
 قَرَحَةً فَلَحَسَتْهَا مَا أَدَّتْ حَقَّهُ» <sup>(٣)</sup>.

خامساً: أن الله تعالى يجعل لأوليائه المتقين فرجاً ومخرجاً،  
 فإن أيوب حلف أن يضرب امرأته مئة سوط، قال ابن كثير: «فلما  
 عافاه الله صلى الله عليه وآله أفناه أن يأخذ الضغث، وهو شمراخ النخل، فيضربها ضربة

(١) برقم (٩١٨).

(٢) جزء من حديث (٦٥/٢٠) برقم (١٢٦١٤)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) صحيح ابن حبان برقم (٤١٥٢).

واحدة، ويكون هذا بمنزلة الضرب بمئة سوط، ويبر ولا يحنث، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله، وأطاعه، ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة الصديقة البارة الراشدة؛ ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعللها بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البداية، والنهاية (١/٥١٤).

### الأسباب الجالبة لمحبة الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن الأسباب الجالبة لمحبة الله عشرة: الأول: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، وما أريد به، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال عبد الله بن مسعود: «لَا تَنْشُرُوهُ كَنْشِرِ الدَّقْلِ، وَلَا تَهْدُوهُ كَهَدِّ الشَّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (١٦)، وصحيح مسلم برقم (٤٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٥٦) برقم (٨٧٣٣).

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتَهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» (١).

الثالث: دوام ذكره على كل حال، باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر هذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) [الرعد]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ» (٢).

الرابع: إيثار محابه على محابك، عند غلبة الهوى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) [التوبة]. فلا بد من إيثار ما أحبه الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده، فيحب ما يحبه الله، ويبغض

(١) برقم (٦٥٠٢).

(٢) البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥) واللفظ له.

ما يبغضه الله، ويوالي فيه، ويعادي فيه، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(١)</sup>، وفي صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»<sup>(٢)</sup>.

الخامس: مطالعة القلب لأسماء الله الحسنى وصفاته، ومشاهدتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٨٠)</sup> [الأعراف].

السادس: مشاهدة بره، وإحسانه، ونعمه الظاهرة، والباطنة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾<sup>(٥٣)</sup> [النحل].

ومن أعظم هذه النعم: نعمة الهداية لهذا الدين، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

السابع - وهو أعجبها -: انكسار القلب بين يديه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل»، روى البخاري في صحيحه من حديث شداد بن أوس:

(١) البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).

(٢) برقم (٦٦٣٢).

أن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ ... فَذَكَرَ الْحَدِيثَ» فجمع في قوله ﷺ: «أَبْوُءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبْوُءُ بِذَنْبِي» بين مشاهدة المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل، فمشاهدة المنة توجب له المحبة والشكر لولي النعمة والإحسان، ومطالعة عيب النفس، والعمل، توجب الذل والانكسار والافتقار في كل وقت، وألا يرى نفسه إلا مفلسًا، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس، فلا يرى لنفسه حالًا، ولا مقامًا، ولا سببًا يتعلق به، ولا وسيلة يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه، ويرى في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك، وخسر خسارة لا تجبر إلا أن يعود إلى الله ويتداركه برحمته<sup>(١)</sup>. اهـ.

الثامن: الخلوة وقت النزول الإلهي، وتلاوة كتابه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة، قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هُمْ يُسْتَغْفَرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يُنزَلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»<sup>(٢)</sup>.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطياب ثمرات كلامهم، وعدم الكلام إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك، ومنفعة لغيرك، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧ - ٨).

(٢) البخاري برقم (١١٤٥)، ومسلم برقم (٧٥٨).

«لَوْلَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ الْعَيْشَ فِي الدُّنْيَا: الْغَزْوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُكَابَدَةُ السَّاعَاتِ مِنَ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتُقُونَ أَطْيَبَ الْكَلَامِ كَمَا يُنْتَقَى أَطْيَبُ الثَّمَرِ»<sup>(١)</sup>. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتْ»<sup>(٢)</sup>.

العاشر: مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب سبحانه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مختصر قيام الليل للمروزي (ص ٦٢) بمعناه.

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٦١٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٤٧).



الكلمة السابعة والتسعون

حوض النبي ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝۱ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝۲ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝۳ ﴾ [الكوثر]، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد: إن أناساً يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه» (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدرّ المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه مسك أذفر» (٢).

وهذا الكوثر يصب منه ميزابان في حوض النبي ﷺ، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عندما ذكر الحوض قال: «يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ» (٣)،

(٢) برقم (٦٥٨١).

(١) برقم (٦٥٧٨).

(٣) برقم (٢٣٠٠).

وفي رواية أخرى لمسلم: «يَعْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحوض، وصفته ثبتت بطرق عن جمع من الصحابة عن النبي ﷺ، واشتهر ذلك واستفاض، بل تواترت في كتب السنة من الصحاح، والحسان، والمسانيد، والسنن، والحوض هو مجمع الماء.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ الْحَوْضَ حَقِيقِيٌّ عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا سَبَقَ، وَأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مَوْجُودٌ الْيَوْمَ»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْحَوْضُ مَوْجُودٌ الْآنَ»<sup>(٣)</sup> لما رواه البخاري، ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انصَرَفَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ»<sup>(٤)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»<sup>(٥)</sup>.

ولهذا يحتمل أنه في هذا المكان، لكن لا نشاهده لأنه غيبي، ويحتمل أن المنبر يوضع يوم القيامة على الحوض<sup>(٦)</sup>. اهـ.

وأما في كيفية مائه، فإنه أشد بياضاً من اللبن، هذا اللون، أما في الطعم فإنه أحلى من العسل، وفي الرائحة أطيب من المسك.

روى مسلم من حديث أبي ذر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا ذَكَرَ الْحَوْضَ

(١) برقم (٢٣٠١).

(٢) شرح صحيح مسلم (٥/٥٩).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (٢/١٥٧).

(٤) البخاري برقم (٦٥٩٠)، ومسلم برقم (٢٢٩٦).

(٥) البخاري برقم (٦٥٨٨)، ومسلم برقم (١٣٩١).

(٦) شرح العقيدة الواسطية (٢/١٥٧).

قال: «مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»<sup>(١)</sup>، وفي رواية في الصحيحين: «وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ»<sup>(٢)</sup>.

أَمَّا آيَتُهُ فَعَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَهَذَا وَرَدَ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ فِي الصَّحِيحَيْنِ<sup>(٣)</sup>، وَفِي بَعْضِهَا: «آيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ»<sup>(٤)</sup>، وَهَذَا لَفْظٌ أَشْمَلٌ لِأَنَّهُ يَكُونُ كَالنُّجُومِ فِي الْعَدَدِ، وَفِي الْوَصْفِ بِالنُّورِ وَاللِّمْعَانِ، فَآيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ كَثْرَةً، وَإِضَاءَةً، وَفِي بَعْضِ رَوَايَاتِ الصَّحِيحِ: أَنَّ هَذِهِ الْأَبَارِيقَ مِنْ ذَهَبٍ، وَفِضَّةٍ<sup>(٥)</sup>.

وَمَسَاحَةُ هَذَا الْحَوْضِ طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ: وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَدُورًا، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ بِهَذِهِ الْمَسَاحَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَّا إِذَا كَانَ مَدُورًا، وَهَذِهِ الْمَسَافَةُ بِاعْتِبَارِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ سِيرِ الْإِبِلِ الْمَعْتَادِ<sup>(٦)</sup>، فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «أَنَّ عَرْضَهُ مِثْلُ طُولِهِ مِنْ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ»، وَعَمَّانُ بَلَدَةٌ بِالْبَلْقَاءِ مِنَ الشَّامِ، وَأَيْلَةُ بَلَدَةٌ بِطَرَفِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ مِنْ طَرَفِ الشَّامِ، وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ يَمُرُّ بِهَا الْحَاجُّ مِنْ مِصْرَ<sup>(٧)</sup>.

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «مَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ»، وَهُمَا قَرِيَتَانِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةٌ أَيَّامَ<sup>(٨)</sup>، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «قَدْرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ

(١) برقم (٢٣٠١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٢).

(٣) البخاري برقم (٦٥٨٠)، ومسلم برقم (٢٣٠٣).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٥٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٢).

(٥) صحيح مسلم برقم (٢٣٠٣). (٦) شرح العقيدة الواسطية (٢/١٥٩).

(٧) صحيح مسلم برقم (٢٣٠٠).

(٨) صحيح البخاري برقم (٦٥٧٧)، صحيح مسلم برقم (٢٢٩٩).

أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ»<sup>(١)</sup>، وفي أخرى: «مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وذكر بعض العلماء تأويلات لاختلاف هذه المسافات التي ذكرت في عرض الحوض وطوله.

منها أن النبي ﷺ أخبر بالمسافة اليسيرة، ثم أعلم بالمسافة الطويلة، فأخبر بها كأن الله تفضل عليه باتساعه شيئاً بعد شيء، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة، وقيل غير ذلك<sup>(٣)</sup>.

وزمن الورود على الحوض قبل العبور إلى الصراط، لأن المقام يقتضي ذلك، حيث إن الناس في حاجة إلى الشرب في عرصات القيامة قبل العبور إلى الصراط، وقد رجح بعض أهل العلم ذلك، ومن شرب من الحوض لم يظماً أبداً، لما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو: «وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً»<sup>(٤)</sup>.

أما أسباب الورود على الحوض، فمنها:

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة، والثبات على ذلك، والبعد عن البدع المحدثثة في الدين وكبائر الذنوب، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري برقم (٦٥٨٠)، ومسلم برقم (٢٣٠٣).

(٢) البخاري برقم (٦٥٩١)، ومسلم برقم (٢٢٩٨).

(٣) انظر: فتح الباري (٤٧٢/١١).

(٤) البخاري برقم (٦٥٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

(٥) (٢٨٤/١) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٩٣٧).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»، فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا<sup>(١)</sup>.

قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج، والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون للكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر، والله أعلم<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ثانياً: عدم إعانة الولاة الظلمة على ظلمهم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث كعب بن عجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «أعاذك الله من إماراة السفهاء، قال: وما إماراة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهدي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردوا علي حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردوا علي حوضي»<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: الصبر على ما يصيب المؤمن من نقص في الدنيا، واستئثار غيره بها، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٨٣ - ٦٥٨٤، ٦٥٩٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٩٠).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٣٧).

(٣) (٢٢/٣٣٢) برقم (١٤٤٤١) وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

قال لأصحابه الأنصار: «سَتَرُونَ بَعْدِي أَثْرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى الْحَوْضِ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: المحافظة على الوضوء، روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عندما ذكر الحوض قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرَّجَالَ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيْبَةَ عَنْ حَوْضِهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

اللهم أوردنا حوض نبيك، واجعلنا من المتبعين لستته، اللهم اسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً، اللهم احشرونا في زمرة، واجعلنا من أتباعه مع النبيين، والصديقين والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٣١٤٧)، ومسلم برقم (١٨٤٥).

(٢) برقم (٢٤٨).

### شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافى)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة: «الشافى»، والشفاء يشمل شفاء الأبدان، وشفاء الصدور من الشبه والشهوات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء].

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عاد مريضاً يقول: «أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الحديث طلب الشفاء من جميع الأمراض، وليس من ذاك المرض الذي أصيب به المريض، ويشرع للمسلم أن يقول: «يا

(١) البخاري برقم (٢٧٣٦)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) البخاري برقم (٥٧٤٣)، ومسلم برقم (٢١٩١).

شافى اشفنى» فالله ﷻ يشفى من أمراض القلوب كالغل، والحسد، والشهوات، ويشفى من أمراض الأبدان، ولا يُدعى بهذا الاسم سواه.  
ومن آثار الإيمان بهذا الاسم:

أولاً: أن الله تعالى هو الشافى، ولا شافى إلا هو، ولا شفاء إلا شفاؤه، ولا يرفع المرض إلا هو، سواء كان مرضاً بدنياً أو نفسياً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ [الأنعام].

ثانياً: أن الله تعالى هو الشافى، لم ينزل داء إلا وأنزل له شفاء، وله أسباب، روى البخارى في صحيحه من حديث أبى هريرة رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»<sup>(١)</sup>.  
ومن الأسباب التي جعلها الله شفاء:

الدعاء: قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة]، روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها القرآن العظيم: قال تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٨٢﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [يونس].

(١) برقم (٥٦٧٨).

(٢) برقم (٣١٠٦) وصححه الألبانى في صحيح سنن أبى داود (٢/٦٠٠) برقم (٢٦٦٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، وكان النبي ﷺ يزور المرضى، ويدعو لهم، ويرقيهم بكتاب الله تعالى، كما كان يرقى نفسه بالقرآن، كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا»<sup>(١)</sup>، «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ بِالْمُعَوَّذَاتِ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها العسل: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾<sup>(٦٨)</sup> ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٦٩)</sup> [النحل].

ومنها الحبة السوداء: روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ»، قال ابن شهاب: «وَالسَّامُ الْمَوْتُ»<sup>(٣)</sup>.

ومنها الحمامة: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيِّ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ»<sup>(٤)</sup>.

ومنها ماء زمزم: روى ابن ماجه في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ»<sup>(٥)</sup>، وقد جربت أنا وغيري

(١) البخاري برقم (٥٧٤٥)، ومسلم برقم (٢١٩٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١٩٢).

(٣) البخاري برقم (٥٦٨٨)، ومسلم برقم (٢٢١٥).

(٤) برقم (٥٦٨١).

(٥) برقم (٣٠٦٢) وحسنه ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٣٦٠ - ٣٦١).

من الإستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض فبرئت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر، ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوماً، وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مراراً<sup>(١)</sup>. وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا وَاسِعًا، وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها ما أنزله الله ﷺ في الأرض من ترابها، ومياهها، وأشجارها، وثمارها، وغير ذلك مما خص الله بعلمه من شاء من عباده.

ثالثاً: أن هذا الشفاء قد يتأخر لحكمة إلهية، رفعا لدرجات المريض، وتكفيراً لسيئاته:

قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾<sup>(٨٣)</sup> فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء]، ذكر بعض المفسرين أنه لبث في مرضه ثمانية عشر عاماً ابتلاء من الله لنبيه، روى الترمذي في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ»<sup>(٣)</sup>.

ومما نبه عليه بعض أهل العلم أن بعض المرضى إذا أصيبوا بمرض تعلقت قلوبهم بالأسباب، كالمستشفيات، والأطباء، والواجب أن يكون

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٦١).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥/ ١١٣) برقم (٩١١٢).

(٣) برقم (٢٤٠٢) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٨٧) برقم (١٩٦٠).

تعلق القلب بالذي أنزل الداء، ولا يرفعه إلا هو.

وعلى المريض أن يحذر من اليأس، وإن استعصى مرضه، ففرج الله قريب، يذكر لي أحد الإخوة وقد أصيب بحادث سيارة أنه مكث في غيبوبة أربعة أشهر، ووالدته تقرأ عليه القرآن في سرير المستشفى، وتدعو له، ثم استيقظ من هذه الغيبوبة، وقد شفاه الله، وهو حي يرزق، فسبحان الله الشافي، ورجل آخر أصيب بمرض السرطان، وقرر الأطباء أن ليس له علاج، فاستمر على العسل والحبة السوداء مع خلطهما ببعض الأعشاب لعدة أشهر، فشفاه الله وعافاه، فسبحان الله العزيز الحكيم.

ويذكر أحد المسؤولين في الحرم المكي أن ناساً من هؤلاء المرضى، الذين قرر الأطباء أن ليس لهم علاج ممن أصيبوا بأمراض مستعصية، أنهم اعتكفوا في المسجد الحرام يشربون من ماء زمزم، ويدعون ربهم، ويتضرعون إليه، فإنه لا ملجأ منه إلا إليه، فشفاهم الله الشافي، والقصص في هذا كثيرة، وما ذكرته غيض من فيض، وقليل من كثير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





## خطر الدش

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا اليوم عن فتنة دخلت بيوت كثير من المسلمين، وحصل منها الكثير من الشرور والمفاسد، إنه الدش؛ والكلام عنها يكون في العناصر التالية:

أولاً: المخالفات الشرعية، ثانياً: أقوال العلماء، ثالثاً: شبهات والجواب عنها، برنامج ستار أكاديمي وخطورته.

فمن تلك المخالفات ما يتعلق بأمر العقيدة، وهو أخطر ما يكون، فهو يعرض صور الكفار وحضارتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب والميل لهم، وبالتالي يضعف جانب البراءة من المشركين والكفار المأمور به في الآيات الكريمات، والأحاديث الشريفة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: إظهار بعض الشعائر الإسلامية بصورة كريهة، كوضع

(١) (٤٨٨/٣٠) برقم (١٨٥٢٤) وقال محققوه: حديث حسن بشواهده.

اللحية على رجل ناقص العقل، وتمثيل تعدد الزوجات على أنه خيانة زوجية، ولمز الصالحين، وأهل الخير، ونحو ذلك مما هو استهزاء صريح بشعائر الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَعَآيِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٦﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ومنها: تصوير الاختلاط بين الرجال والنساء على أنه لا حرمة فيه، عن طريق المسلسلات، وقصص الحب والغرام، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور].

والمؤمن مأمور بغض البصر عن النساء الأجنبية، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ [النور]. روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله قال: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»<sup>(١)</sup>، فكيف بمن يتعمد النظر في النساء الكاسيات العاريات، وهن بكامل زينتهن على شاشات القنوات الفضائية، وكذلك رؤية النساء للرجال الأجانب وهم بكامل زينتهم، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

ومنها: الغناء المصحوب بالمعازف، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾ [لقمان]، وأكثر المفسرين كابن عباس، وابن مسعود فسروه بالغناء، وكان ابن مسعود يحلف على ذلك، روى البخاري في

(١) برقم (٢١٥٩).

صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْحَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ»<sup>(١)</sup>، فأخبار النبي ﷺ على أنهم يستحلونها معنى ذلك أنها في الأصل حرام.

ومنها: قتل الغيرة عند المسلمين، وكيف يرضى المسلم الغيور أن تجلس زوجته وبناته أمام شاشات القنوات الفضائية ينظرن إلى الشباب والشابات، وهم في أوضاع جنسية سيئة يندى لها الجبين، ويتفطر لها القلب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المغيرة بن شعبة: أن النبي ﷺ قال: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعِدٍ؟! لَأَنَا أَعْيُرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَعْيُرُ مِنِّي، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ»<sup>(٢)</sup>، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «شاع في هذه الأيام بين الناس ما يسمى بالدش، أو بأسماء أخرى، وأنه ينقل جميع ما يبيث في العالم من أنواع الفتن والفساد، والعقائد الباطلة، والدعوة إلى أنواع الكفر والإلحاد، مع ما يبيته من الصور النسائية، ومجالس الخمر والفساد، وسائر أنواع الشر الموجود في الخارج، وثبت لدي أنه قد استعمله كثير من الناس، وأن آلاته تباع وتصنع في البلاد، فلهذا وجب علي التنبيه إلى خطورته، ووجوب محاربتة والحذر منه، وتحريم استعماله، في البيوت وغيرها، وتحريم بيعه وشراؤه، وصنعه أيضًا، لما في ذلك من الضرر العظيم، والفساد الكبير، والتعاون على الإثم والعدوان، ونشر الكفر والفساد بين المسلمين، والدعوة إلى ذلك بالقول والعمل ..... إلى آخر ما قال»<sup>(٣)</sup>.

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ

(١) برقم (٥٥٩٠).

(٢) البخاري برقم (٧٤١٦)، ومسلم برقم (١٤٩٩).

(٣) مجموع مقالات وفتاوى الشيخ ابن باز (٧/٣٩٩).

يَسْتَرِعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>. وهذه الرعاية تشمل الرعاية الكبرى، والرعاية الصغرى، وتشمل رعاية الرجل في أهله، لقول النبي ﷺ: «الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُورٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ»<sup>(٢)</sup>، وعلى هذا فمن مات وقد خلف في بيته شيئاً من صحون الاستقبال، فإنه قد مات وهو غاش لرعيته، وسوف يحرم من الجنة كما جاء في الحديث، ولهذا نقول: إن أي معصية تترتب على هذا الدش الذي ركبه الإنسان قبل موته فإن عليه وزرها بعد موته، وإن طال الزمن، وكثرت المعاصي.

فاحذر أخي المسلم أن تخلف بعدك ما يكون إثماً عليك في قبرك، وما كان عندك من هذه الدشوش فإن الواجب عليك أن تكسره؛ لأنه لا يمكن الانتفاع به إلا على وجه محرم غالباً، ولا يمكن بيعه؛ لأنك إذا بعته مكنت المشتري من استعماله في معصية الله، وحينئذ تكون ممن أعان على الإثم والعدوان، وكذلك إذا وهبته، فإنك معين على الإثم والعدوان، ولا طريق للتوبة من ذلك قبل الموت، إلا بتكسير هذه الآلة «الدش» التي حصل فيها من الشر والبلاء ما هو معلوم اليوم للعام والخاص، فاحذر يا أخي أن يأتيك الموت فجأة، وفي بيتك هذه الآلة الخبيثة، فإن إثمها ستبوء به، وسوف يجري عليك بعد موتك»<sup>(٣)</sup>.

ومن الشبهات قول بعضهم: «إنه يشاهد في هذا الدش البرامج الدينية، وأخبار العالم، فيقال: إن هذا موجود في إذاعة القرآن الكريم وأفضل منه، وقد نصح الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ بالاستماع إليها، وغيرها من البدائل الأخرى».

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٥٠)، وصحيح مسلم برقم (١٤٢)، واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٨٩٣)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢٩).

(٣) خطبة للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ بتاريخ ٢٥/٣/١٤١٧هـ.

سئلت اللجنة الدائمة عن برنامج تعرضه إحدى القنوات الفضائية المسمى باستار أكاديمي، وما يشابهه من البرامج، وبعد دراسة الموضوع رأت اللجنة تحريم بث هذه البرامج، ومشاهدتها، وتمويلها، والمشاركة فيها، والاتصال عليها للتصويت، أو إظهار الإعجاب بها، وذلك لما اشتملت عليه تلك البرامج من استباحة للمحرمات المجمع على تحريمها والمجاهرة بها، ففي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري: قال النبي ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْحَمْرَ، وَالْمَعَارِفَ»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُضِيحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُضِيحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

وأي مجاهرة بالمحرمات والفواحش تفوق ما تبثه هذه البرامج، التي اشتملت على جملة من المنكرات العظيمة؟! من أهمها:

أولاً: الاختلاط بين الجنسين من الذكور والإناث، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ»<sup>(٣)</sup>.

فكيف بهذه البرامج التي تقوم فكرتها الرئيسية على خلط الجنسين من

(١) برقم (٥٥٩٠).

(٢) البخاري برقم (٦٠٦٩)، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

(٣) البخاري برقم (١٨٦٢) ومسلم برقم (١٣٤١).

الذكور والإناث، وإزالة الحواجز فيما بينهم مع ما عليه الإناث من التبرج والسفور، وإظهار المفاتن مما يسبب الشر والبلاء، قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ﴾ الآية [النور: ٣١].

ثانياً: الدعوة الصريحة للفاحشة، ووسائلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

ثالثاً: الدعوة إلى إماتة الحياء، وقتل الغيرة في قلوب المسلمين بألفة مشاهدة هذه المناظر التي تهيج الغرائز، وتبعد عن الأخلاق والفضائل، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مسعود البدري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى، إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعِ مَا شِئْتَ»<sup>(١)</sup>، وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المغيرة بن شعبة: أن النبي ﷺ قال: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعِدٍ؟! لَأَنَا أَعْيُرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَعْيُرُ مِنِّي»<sup>(٢)</sup>. ولا يكفي في ذلك أيها المسلم أن تترك المشاركة في هذه البرامج والنظر إليها، بل يجب عليك النصح والتذكير لمن تعلم أنه يشارك فيها بأي وجه من الوجوه، لما في ذلك من التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان<sup>(٣)</sup>. اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٦١٢٠).

(٢) برقم (٦٨٤٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٩٩).

(٣) رقم (٢٢٨٩٥)، وتاريخ ٨/٢/١٤٢٥ هـ.



### «فضل صلاة الفجر»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن نعم الله علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ومن بين هذه النعم العظيمة: نعمة النوم التي امتن الله بها على عباده، قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٧٣] [القصص]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبا]، فسكون العبد ساعات بالليل بعد حركة النهار المتواصلة مما يساعد على حياة المسلم وبقاء نمائه ونشاطه؛ ليؤدي وظائفه التي خلقه الله من أجلها، ومن بين هذه الوظائف: صلاة الفجر جماعة في المسجد، وهي صلاة فاضلة عظيمة.

وإليك أخي المسلم البشائر والفضائل العظيمة لمن أدى صلاة الفجر مع الجماعة:

أولاً: أنه في ذمة الله، أي في ضمان الله، وحفظه ورعايته في الدنيا والآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبُكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكُهُ، ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ

فِي نَارِ جَهَنَّمَ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أنها نجاة للعبد من النار، روى مسلم في صحيحه من حديث عمارة بن روية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي: الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: أنها سبب لدخول الجنة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: شهادة الملائكة لهذه الصلاة، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»<sup>(٤)</sup>.

خامساً: النور التام يوم القيامة، روى ابن ماجه في سننه من حديث سهل بن سعد الساعدي: أن النبي ﷺ قال: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٥)</sup>.

سادساً: أنه يكتب له قيام ليلة، روى مسلم من حديث عثمان بن عفان: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ

(١) برقم (٦٥٧).

(٢) برقم (٦٣٤).

(٣) البخاري برقم (٥٧٤)، ومسلم برقم (٦٣٥).

(٤) البخاري برقم (٥٥٥)، ومسلم برقم (٦٣٢).

(٥) برقم (٧٨١) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٣٠) برقم (٦٣٣).

اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»<sup>(١)</sup>.

سابعًا: الأمان من النفاق، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فَتَقَامَ ثُمَّ أُمِرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرَجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»<sup>(٢)</sup>، وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي عنه قال: «وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النَّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُرْتَى بِهِ يَتَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»<sup>(٣)</sup>، وقال ابن عمر: «كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْإِنْسَانَ فِي الْعِشَاءِ، وَفِي الْفَجْرِ، أَسَانَا بِهِ الظَّنَّ»<sup>(٤)</sup>.

ثامنًا: ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»<sup>(٥)</sup>، فإذا كانت سنة الفجر خير من الدنيا وما فيها من أموال وقصور، وأنهار، وزوجات، وغير ذلك من الشهوات والملذات، فكيف إذن بصلاة الفجر!؟

تاسعًا: رؤية الله عز وجل وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتسابق إليها المتسابقون، روى البخاري ومسلم من حديث جرير البجلي رضي عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ

(١) برقم (٦٥٦).

(٢) البخاري برقم (٦٥٧) ومسلم برقم (٦٥١).

(٣) جزء من حديث برقم (٦٥٤).

(٤) صحيح ابن حبان برقم (٢٠٩٦). (٥) برقم (٧٢٥).

أَلَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ﴿٣٩﴾ [ق]»<sup>(١)</sup>.

عاشراً: أن المحافظ على صلاة الفجر من أطيب الناس عيشاً، وأنشطهم بدنًا، وأنعمهم قلبًا، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ»<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت نصوص كثيرة فيها التحذير الشديد لمن تهاون في صلاة الفجر؛ فمن ذلك: ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرَجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

قال بعض أهل العلم: «إن النبي ﷺ ما همَّ بذلك إلا أن هؤلاء المتخلفين عن صلاة الجماعة قد ارتكبوا ذنبًا عظيمًا، وجرمًا كبيرًا».

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود قال: ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ. قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ»<sup>(٤)</sup>، وحسب من كان كذلك خيبة وخسارة وشرًا.

(١) البخاري برقم (٥٥٤)، ومسلم برقم (٦٣٣).

(٢) البخاري برقم (١١٤٢)، ومسلم برقم (٧٧٦).

(٣) البخاري برقم (٦٥٧) ومسلم برقم (٦٥١).

(٤) البخاري برقم (١١٤٤) ومسلم برقم (٧٧٤).

ومنها أن المتخلف عن صلاة الفجر يعرض نفسه لعقوبة الله في قبره، ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (٥٩) [مريم]، وفي صحيح البخاري قصة رؤيا النبي ﷺ الطويل، وجاء فيه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُثَلِّغُ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ» (١).

وسئلت اللجنة الدائمة برقم (٥١٣٠) عن شخص لا يصلي الفجر إلا بعد طلوع الشمس فما حكم صلاته؟ وهل يؤثر على الصيام؟ فكان الجواب: تركه لصلاة الصبح من غير نوم ولا نسيان بل تكاسلاً عنها حتى تطلع الشمس كفر أكبر على الصحيح من أقوال العلماء، وعلى هذا القول صيامه غير صحيح. اهـ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة المئة وواحد

السعادة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن كل إنسان في هذه الحياة يسعى إلى السعادة، وهي مطلب حقيقي لجميع الناس، المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والغني والفقير، كلهم يريدون السعادة ولكنهم يختلفون في نظرتهن لها، فمنهم من يراها في جمع المال والدرهم، وآخر يراها في الحصول على المناصب الرفيعة، وآخر يراها في الحصول على الشهادات العالية، ومنهم من يراها في غير ذلك.

والحق أن هذه الأمور جزء من السعادة، وليست السعادة كلها، فهي سعادة وقتية تزول بزوالها، فصاحب المال قد يفقد ماله، وصاحب المنصب قد يزاح من منصبه، بل إن هذا المال الذي هو عصب الحياة إذا لم يستخدمه صاحبه في طاعة الله يكون وبالاً عليه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة].

قال الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ      ولكن التقي هو السعيد  
ليس السعيد الذي تسعده دنياه      إن السعيد الذي ينجو من النار

كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجْرَكَمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ  
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران].

روى ابن حبان في صحيحه من حديث سعد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
«أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالجَارُ الصَّالِحُ،  
وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»<sup>(١)</sup>، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن  
عمرو: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»<sup>(٢)</sup>.

ووصفت هذه المرأة الصالحة في حديث آخر رواه أحمد في  
مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ النِّسَاءِ  
خَيْرٌ؟ قَالَ: الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي  
نَفْسِهَا وَمَالِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وذكر الشيخ السعدي رحمته الله أن من أسباب السعادة:

أولاً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا  
مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ  
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> [النحل]، قال ابن عباس: الحياة الطيبة  
هي الحياة السعيدة<sup>(٤)</sup>، وهذه السعادة شعور يضعه الله في قلوب عباده  
الصالحين وإن كانوا في ضيق الدنيا.

قال ابن القيم رحمته الله وهو يتحدث عن شيخه ابن تيمية رحمته الله: «ومع  
ما كان فيه من ضيق السجن إلا أنه كان من أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم  
عيشًا، وأنعمهم قلبًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا ضاقت بنا  
الأرض، واشتد بنا الكرب، أتيناها فما هو إلا أن نسمع كلامه ونراه، حتى

(١) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٢١). (٢) برقم (١٤٦٧).

(٣) (٣٨٣/١٢ - ٣٨٤) برقم (٧٤٢١) وقال محققوه: إسناده قوي.

(٤) تفسير ابن كثير (٨/٣٥٢).

ينقلب ذلك قوة وثباتاً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فاتاهم من طيبها وريحها ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة إليها»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن في الدنيا لجنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً عندما قيل له: إن السلطان قد أمر بنفيك إلى قبرص أو قتلك، أو سجنك، فقال: «والله إن بي من الفرح والسرور ما لو قسم على أهل الشام لوسعهم، والله إنني كالغنم لا تنام إلا على صوف، إن نفيت إلى قبرص دعوت أهلها إلى الإسلام».

ويقول أحد السلف: «إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب»، ويقول آخر: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف».

ثانياً: من أسباب السعادة الإيمان بقضاء الله وقدره، فإن الإنسان إذا آمن بالقضاء والقدر، أحس براحة نفسية، وانشرح صدر بما وقع له، وإن كان مما يكره، فقد أخبر النبي ﷺ أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة.

روى أبو داود في سننه من حديث ابن الديلمى عن أبي بن كعب أنه قال: «لو أن الله عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْراً لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ فَلَوْ مُتَّ عَلَى

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٨٢).

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٨١).

غير هذا لَدَخَلَتِ النَّارَ»، قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ بمثل ذلك<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال له: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»<sup>(٢)</sup>.

قال عمر رضي الله عنه: «أصبحت وما لي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر».

قال عبيد الله بن عتبة:

واضْبِرْ عَلَى الْقَدْرِ الْمَحْتُومِ وَاَرْضْ بِهِ      وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ  
فَمَا صَفَا لِمَرِيٍّ عَيْشٌ يُسْرُّ بِهِ      إِلَّا سَيَتَّبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ

ثالثاً: ومن الأسباب الموجبة للسرور وزوال الهم والغم السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور، وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردها، ومعرفته أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال وأن ذلك حمق وجنون، فيجاهد قلبه عن التفكير فيها وكذلك يجاهد قلبه عن قلقه لما يستقبله مما يتوهمه من فقر أو خوف أو غيرهما من المكاره التي يتخيلها في مستقبل حياته، فيعلم أن الأمور المستقبلية مجهول ما يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا

(١) برقم (٤٦٩٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٨٩٠) برقم (٣٩٣٢).

(٢) (٤/٤٠٩ - ٤١٠) برقم (٢٦٦٩) وقال محققوه: إسناده قوي.

السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها، ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه، واطمأن إليه في ذلك؛ إذا فعل ذلك اطمأن قلبه، وصلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه<sup>(١)</sup>.

رابعاً: الإكثار من ذكر الله ﷻ، فإن له سرّاً عجيباً، في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وذكر ابن القيم مئة فائدة للذكر. منها: أن الذكر يطرد الهم والحزن، ويجلب الفرح والسرور وطيب العيش.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد].

خامساً: القناعة برزق الله، فإن من قنع بما قسم الله سبحانه له انشرح صدره، وارتاحت نفسه، روى مسلم في صحيحه، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزَقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

سادساً: أن يعلم المؤمن علم اليقين أن السعادة الحقيقية في الآخرة، وأن الدنيا دار المصائب والنكد والأحزان، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد].

وقال تعالى حاكياً عن أهل الجنة: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الزمر] الذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ [فاطر].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ

(١) الأسباب المفيدة للحياة السعيدة للشيخ السعدي (ص ٢٠).

(٢) برقم (١٠٥٤).

قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»<sup>(١)</sup>.

ولما سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: متى يرتاح المؤمن؟ قال: أول ما يضع قدمه في الجنة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) برقم (٢٩٥٦).

## فتنة الدجال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فمن الفتن العظيمة التي حذر النبي ﷺ أمته منها في آخر الزمان فتنة الدجال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمر قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: «إني أنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام السفاريني رحمه الله: «وينبغي لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال، لا سيما في زماننا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن، وصارت السنن فيه كالبدع، والبدعة شرع يتبع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»<sup>(٢)</sup>.

والدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة، وردت بها الأحاديث لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره حتى إذا خرج عرفه المؤمنون،

(١) البخاري برقم (٦١٧٥)، ومسلم برقم (١٦٩).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/١٠٦ - ١٠٧).

فلا يفتنون به. ومن صفاته أنه رجل أحمر، قصير، أفحج، جعد الرأس، ممسوح العين اليمنى، كأنها عنبة طافية، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة، أي لحمية تنبت في مقدمة العين، ومكتوب بين عينيه (كافر) يقرؤها كل مسلم، كاتب أو غير كاتب، وهو عقيم لا يولد له.

ويخرج الدجال من جهة المشرق من خراسان، ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان، قال ابن كثير: «فيكون بدء ظهوره من أصبهان، من حارة بها يقال لها اليهودية، وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي، عليهم الأسلحة والسيجان، وهي الطيالة الخضراء، وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار، وخلق من أهل خراسان، فيظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجبابرة، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، فيتبعه على ذلك الجهلة من بني آدم، والطغام من الرعاع والعوام، ويخالفه ويرد عليه من هداه الله من عباده الصالحين، وحزب الله المتقين، فيفر الناس منه إلى الجبال، ويسرون في الأرض، فلا يترك بلداً إلا دخله، إلا مكة والمدينة، فقد حرم الله عليه دخولهما؛ لأن الملائكة تحرسهما»<sup>(١)</sup>.

وفتنة الدجال أعظم الفتن منذ خلق الله آدم، وذلك بسبب ما يجريه الله معه من الخوارق العظيمة، التي تبهر العقول، وتحير الألباب، فقد ورد أن معه جنة وناراً، وجنته نار، وناره جنة، وأن معه أنهار الماء، وجبال الخبز، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض. ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كسرعة الغيث، استدبرته الريح، إلى غير ذلك من الخوارق، كل ذلك وردت به الأحاديث الصحيحة، محنة من الله واختباراً، ليهلك المرتاب، وينجو المتيقن،

(١) انظر: البداية والنهاية (٢٠٥/١٩) بتصرف.

روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيِي الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيِي الْعَيْنِ نَارٌ تَأْجَجُ، فَإِذَا أَدْرَكَنَّ أَحَدًا، فَلَيَاتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، وَلِيُغَمِّضُ ثُمَّ لِيُطَاطِئُ رَأْسَهُ فَيَشْرَبُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان في ذكر الدجال أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٌ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٌ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنته، أتكفيننا فيه صلاة يوم؟ قال: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»، قلنا: يا رسول الله، وما إسرعه في الأرض؟ قال: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتَنْبِتُ، فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا وَأَسْبَعَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُضْبِحُونَ مُمَجِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِيبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسِّيفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَتَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرًا، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ

(١) برقم (٢٩٣٤).

إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَبَابٍ لُدًّا فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

أما الوقاية من فتنة الدجال، فقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، ومن ذلك:

أولاً: التمسك بالكتاب والسنة، ومعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى التي لا يشاركه فيها أحد، فيعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب، وأن الله تعالى منزه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

ثانياً: التعوذ من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: معرفة الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ التي بين فيها صفات الدجال، وزمن خروجه، ومكانه، وطريق النجاة منه، وقد ذكرت بعض ذلك، ومن أراد التوسع فليراجع النهاية لابن كثير، أو إتحاف الجماعة للشيخ التويجري، أو أشراط الساعة للشيخ الوابل، أو غيرها.

رابعاً: حفظ آيات من سورة الكهف، فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتمها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ

(١) برقم (٢٩٣٧).

(٢) برقم (٥٨٨).

عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ»<sup>(٢)</sup>.

قال النووي: سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتن بالدجال، وكذلك آخرها، قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف]<sup>(٣)</sup>.

خامساً: الفرار من الدجال، والابتعاد عنه، والأفضل سكنى مكة والمدينة، فقد أخبر النبي ﷺ أن الدجال لا يدخل مكة والمدينة، فينبغي للمسلم إذا خرج الدجال أن يبتعد منه، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فتنة للناس، فإنه يأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات فيتبع الدجال، روى أبو داود في سننه من حديث عمران بن حصين: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيِنَّا عَنْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّ الرَّجُلَ لِيَأْتِيَهُ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، هَكَذَا قَالَ»<sup>(٤)</sup>.

نسأل الله أن يعيذنا من فتنته وجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(٢) برقم (٨٠٩).

(١) برقم (٨٠٩).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٩٢ - ٩٣).

(٤) برقم (٤٣١٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٨١٤) برقم (٣٦٢٩).





## شرح اسم الله (الحكيم)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

ومن أسماء الله الحسنی التي وردت في كتابه: «الحكيم»، والمراد: «الحكيم في أفعاله وأقواله وقدره، فيضع الأشياء في محالها بحكمته وعدله»<sup>(٢)</sup>.

وللحكيم معنيان: أحدهما: الحاكم الذي له الحكم المطلق الكامل من جميع الوجوه، والخلق كلهم محكومون، له الحكم كله، وإليه يرجع الأمر كله، يحكم على عباده بقضائه وقدره، ويحكم بينهم بدينه وشرعه، ثم يوم القيامة يحكم بينهم بالجزاء بين فضله وعدله، فلا حاكم إلا الله، ولا يجوز تحكيم قانون ولا نظام سوى حكم الله، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ

(١) برقم (٢٧٣٦) وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٥٦).

الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ [المائدة].

قال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى].

وللحكيم معنى آخر، وهو ذو الحكمة، والحكمة ضد السفه، وهي وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها.

ولذلك كانت أحكام الله الكونية والشرعية والجزاء مقرونة بالحكمة ومربوطة بها، فلم يخلق سبحانه شيئاً عبثاً، ولم يترك خلقه سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، فما أعطى الله شيئاً إلا لحكمة، ولا أنعم بنعمة إلا لحكمة، ولا أصاب بمصيبة إلا لحكمة، وما أمر الله بشيء إلا لحكمة، والحكمة في فعله والتزامه، ولا نهى عن شيء إلا لحكمة والحكمة في تركه واجتنابه. قال تعالى مقررًا هذه الصفة العظيمة صفة الحكمة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [١١٥] فتعالى الله المليك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكبير ﴿١١٦﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [٢٧] [ص]، وللحكيم معنى ثالث وهو المحكم الذي أحكم كل شيء خلقه فما في خلق الرحمن من تفاوت ولا تناقض ولا خلل، صنع الله الذي أتقن كل شيء وليس في شرعه من تناقض ولا اختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء] (١).

قال بعضهم: ذكر الحكيم في أكثر من تسعين مرة، اقترن في أكثرها بالعزيم والعليم، مما يدل على أن حكيمته صادرة عن عزة وعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿نَزَعُ

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع (١/٨٦ - ٨٧).

دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ [الأنعام] وقال أيضًا: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: أن الأحكام الشرعية في الإسلام من لدن حكيم خبير، وما جاءت إلا لإسعاد البشرية، فليس هناك أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين]، وقال تعالى: ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأعراف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

ثانياً: أن الله حكيم في أقداره، فما يقدره الله تعالى على العباد من خير أو شر إنما هو لحكمة بالغة، وتدبير حكيم، قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرُ ﴿٥﴾﴾ [القمر]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يتحدث عن الحكمة: «وله سبحانه الحكمة البالغة في كل ما قدره وقضاه من خير و شر، وطاعة ومعصية، وحكمة بالغة تعجز العقول عن الإحاطة بكنهها، وتكل الألسن عن التعبير عنها»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: أن كلام الله حكيم ومحكم، وكيف لا يكون بهذه الصفة وهو كلام أحكم الحاكمين ورب العالمين، وقد وصف الله القرآن العظيم، وهو كلامه المنزل على نبيه محمد ﷺ بأنه حكيم ومحكم في ثمان آيات منها قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١]، وقال تعالى: ﴿يَسَّ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [يس].

(١) مدارج السالكين (١/٤٣٩).

فالقرآن حكيم في أسلوبه الرائع، حكيم في تشريعاته، حكيم في أمره ونهيه، حكيم في قصصه وأخباره، حكيم في كل ما اشتمل عليه.

رابعاً: أن الله يؤتي الحكمة من يشاء، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وتنوعت عبارات المفسرين في المراد بالحكمة، وقد اختصرها بعضهم بقوله: «يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيراً كثيراً».

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»<sup>(١)</sup>.

خامساً: خلق الله ﷻ محكم، لا خلل فيه ولا قصور، قال تعالى: ﴿وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

سادساً: أن الله سبحانه خلق الخلق لحكمة عظيمة، وهي عبادته سبحانه: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ [٥٨].

(١) البخاري برقم (٧٣)، ومسلم برقم (٨١٦).

[الذاريات].

سابعًا: كراهة التكني بأبي الحكم، روى أبو داود في سننه من حديث هانئ بن يزيد: أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟ فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ. قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ. قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» (١) (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٤٩٥٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٣٦) برقم (٤١٤٥).

(٢) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٤١ - ٢٥٧).



الكلمة المئة وأربعة

نعمة الهداية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده نعمة الهداية لهذا الدين، قال تعالى عن الأعراب: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات]، وقال تعالى ممتناً على نبيه بهذه النعمة: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّنْ آمَرْنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى]. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد: أن النبي ﷺ قال للأنصار: «أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟!»<sup>(١)</sup>. وامتن الله على أهل الجنة بهذه النعمة، فقال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. والهداية على قسمين:

١ - هداية الدلالة والإرشاد والبلاغ، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي

(١) صحح البخاري برقم (٤٣٣٠)، وصحيح مسلم برقم (١٠٦١).

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿الشورى: ٥٢﴾، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَيَّ رَسُولُنَا أَلْبَلَغُ الْمُنِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]. وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعلي: «فَوَاللَّهِ لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»<sup>(١)</sup>.

٢- هداية التوفيق لقبول الحق والإعانة عليه، وهي التي تفرد بها سبحانه فقال لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [٥١] ﴿القصص﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [٩١] ﴿يونس﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [١٣] ﴿السجدة﴾.

ومن أنواع الهداية:

أن يهدي الله العبد للقيام بالأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة مع الناس، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي أيوب: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَائِي وَذُنُوبِي كُلَّهَا، اللَّهُمَّ أَنْعِمْنِي، وَأَخِينِي، وَارْزُقْنِي، وَاهْدِنِي لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِصَالِحِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»<sup>(٢)</sup>.

ومن أعظم أنواع الهداية أن يهدي الله العبد للقيام بالتوحيد، والبعد عن الشرك، فإن من قام بذلك نال الأمن في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ

(١) صحيح البخاري برقم (٢٩٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٠٦) واللفظ له.

(٢) (٥٧٨/٤ - ٥٧٩) برقم (٥٩٩٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٢٦٦).

وكان النبي ﷺ يسأل ربه الهداية، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»<sup>(١)</sup>، وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لأصحابه بالهداية، وأرشد أمته إلى ذلك، روى البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبد الله أنه قال: لقد شكوت إليه - أي النبي ﷺ - أني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دوسًا عصت وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس. قال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَأْتِ بِهِمْ»<sup>(٣)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث علي رضي عنه: أن النبي ﷺ قال له: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ بِالْهُدَى، هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّادِدِ، سَدَادِ السَّهْمِ»<sup>(٤)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث البراء بن عازب قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ، حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعْرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعْرِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ: اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

(١) برقم (٢٧٢١).

(٢) البخاري برقم (٣٠٣٦)، ومسلم برقم (٢٤٧٥).

(٣) البخاري برقم (٢٩٣٧)، ومسلم برقم (٢٥٢٤).

(٤) برقم (٢٧٢٥).

فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا  
 إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا»<sup>(١)</sup>  
 قال شيخ الإسلام: «والعبد مضطر دائماً إلى أن يهديه الله  
 الصراط المستقيم، وهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء، فإنه لا نجاة  
 من العذاب، ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية، وهذا الهدى لا  
 يحصل إلا بهدى الله»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن العبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملاً،  
 وقبل أوامره، وصدق بأخباره كان ذلك سبباً لهداية أخرى تحصل له  
 على التفصيل فإن الهداية لا نهاية لها، ولو بلغ العبد فيها ما بلغ»<sup>(٣)</sup>، قال  
 تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ  
 ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾<sup>(٧٦)</sup> [مريم]، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَفُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ  
 إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾<sup>(١٣)</sup> [الكهف].

وأخبر ﷺ أن من أراد هدايته لهذا الدين فإنه يشرح صدره له،  
 وعلى العكس من ذلك من أراد له الشقاء والغواية، فإنه يضيق بهذا  
 الدين ذرعاً، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ  
 وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ  
 كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١٢٥)</sup> [الأنعام].

ومن أسباب الثبات على الهداية:

الدعاء: فقد روى الترمذي في سننه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:  
 كان رسول الله يكثر أن يقول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»  
 فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال:

(١) البخاري برقم (٣٠٣٤)، ومسلم برقم (١٨٠٣).

(٢) الفتاوى (٣٧/١٤) بتصرف. (٣) الفوائد (١/١٥١).

«نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعِينَ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يَقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»<sup>(١)</sup>.

ومنها المسارعة إلى الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ۖ وَإِذَا لَأْتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۖ﴾ [النساء].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢١٤٠) وقال: هذا حديث حسن.





## الزكاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الزكاة فريضة من فرائض الإسلام، وهي الركن الثالث من أركانه العظام، وقد دل على وجوبها الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابياً أتى

(١) البخاري برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦).

(٢) البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢).

النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ هَذَا»<sup>(١)</sup>.

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من بخل بها أو قصر في إخراجها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة].

فكل ما لا تؤدي زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحٌ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في الحديث المخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما خلاصته: أَنَّ صَاحِبَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِذَا لَمْ يُؤَدِّ حَقَّهَا، بَطِحَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعِ قَرْقَرٍ، أَي: أَنَّهُ يُبَطِّحُ عَلَى وَجْهِهِ فِي أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ وَاسِعَةٍ، ثُمَّ تَأْتِي هَذِهِ الْبَهَائِمُ فَتَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا وَأَظْلَافِهَا،

(١) البخاري برقم (١٣٩٧)، ومسلم برقم (١٣) من حديث أبي أيوب.

(٢) برقم (٩٨٧).

وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ آخِرُهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَلَا مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتَّبِعُ صَاحِبَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ، وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ، وَيُقَالُ: هَذَا مَالِكٌ الَّذِي كُنْتُ تَبَحُلُ بِهِ، فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ، أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَقْضُمُهَا كَمَا يَقْضُمُ الْفَحْلُ»<sup>(٢)</sup>.

والشجاع: الحية الذكر، والأقرع الذي تمعط شعره لكثرة سمه، وقيل: الشجاع الذي يواثب الراجل والفارس ويقوم على ذنبه، وربما بلغ رأس الفارس، ويكون في الصحاري، يتبع صاحبه الذي منع الزكاة.

والزكاة تجب في أربعة أصناف: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار، والسائمة من بهيمة الأنعام الإبل والبقر والغنم، وهي التي ترعى في البراري، والذهب والفضة، وعروض التجارة، وهي السلع المعدة للبيع، ويدخل في ذلك الأراضي، والعمارات، والسيارات المعدة للبيع، وغير ذلك من أصناف السلع، ولكل من هذه الأصناف الأربعة نصاب محدود، لا تجب الزكاة فيما دونه، وله تفصيل معروف في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والزكاة حق لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها، ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعاً أو يدفع ضرراً، ولا أن يقي بها ماله، أو يدفع بها

(١) البخاري برقم (٤٦٥٩)، ومسلم برقم (٩٨٧).

(٢) البخاري برقم (١٤٠٣)، ومسلم برقم (٩٨٨) واللفظ له.

عنه مذمة، بل يجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها لكونهم من أهلها لا لغرض آخر، مع طيب النفس، والإخلاص لله في ذلك حتى تبرأ ذمته، ويستحقَّ جزيلاً المثوبة والخلف، وقد أوضح الله سبحانه في كتابه الكريم أصناف المستحقين للزكاة فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ فُلُوهُنَّ فِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة].

ولو أعطيت الزكاة لمستحقيها لما بقي فقير في الإسلام.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



## صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الصلاة هي عمود الإسلام، وهي أعظم الواجبات والفرائض بعد الشهادتين، وقد أثنى الله ﷻ على عباده المحافظين على أدائها في المساجد فقال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ، فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۗ ﴾ (٣٦) رجالاً لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴿٣٧﴾ [النور] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٨) [التوبة].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته، وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ

أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةَ»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَدِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»<sup>(٢)</sup>، وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرَّبَاطُ»<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: «وقد أكثر الله تعالى من ذكر الصلاة في كتابه الكريم، وعظم شأنها، وأمر بالمحافظة عليها وأدائها في الجماعة، وأخبر أن التهاون بها والتكاسل عنها من صفات المنافقين، فقال: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾<sup>(٢٣٨)</sup> [البقرة] وكيف يعرف الناس محافظة العبد عليها، وتعظيمه لها، وقد تخلف عن أدائها مع إخوانه، وتهاون بشأنها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] «فأوجب سبحانه أداء الصلاة في الجماعة في حال الحرب وشدة الخوف، فكيف بحال السلم؟ ولو كان أحد يسامح في ترك الصلاة في جماعة لكان المصافون للعدو المهمدون بهجومه عليهم أولى بأن يسمح لهم في ترك الجماعة، فلما لم يقع ذلك علم أن أداء الصلاة في جماعة من أهم الواجبات، وأنه لا يجوز لأحد التخلف عن ذلك»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

والنصوص التي تبين وجوب صلاة الجماعة كثيرة، فمن ذلك ما

(١) البخاري برقم (٦٤٧)، ومسلم برقم (٦٤٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٦٥٠).

(٣) برقم (٢٥١).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز رحمته الله.

رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُتَأَفِّقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فُتُقَامَ، ثُمَّ أُمِرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بِيُوتِهِمْ بِالنَّارِ»<sup>(١)</sup>.

قال بعض أهل العلم: «إن النبي صلى الله عليه وسلم ما همَّ بذلك إلا أن هؤلاء المتخلفين عن صلاة الجماعة قد ارتكبوا ذنبًا عظيمًا، نسأل الله السلامة والعافية»، وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال: يا رسول الله: إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له، فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: «هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَجِبْ»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية لأبي داود قال: «لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً»<sup>(٣)</sup>. وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمِعَ الْمُتَنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُدْرًا، قَالُوا: وَمَا الْعُدْرُ؟ قَالَ: خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى»<sup>(٤)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود موقوفًا عليه أنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيَحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنْنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى،

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٥١) واللفظ له.

(٢) برقم (٦٥٣).

(٣) برقم (٥٥٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١١٠) برقم (٥١٦).

(٤) برقم (٥٥١)، قال الألباني رحمته الله: صحيح دون جملة العذر، وبلفظ: ولا صلاة له،

صحيح سنن أبي داود (١/١١٠) برقم (٥١٥).

وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ» (١).

وأجاب العلماء عن حديث صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمسا وعشرين درجة، أن المراد بيان ثواب صلاة الجماعة، وأن أجرها أكثر، وليس حكم صلاة الجماعة، والأفضلية لا تدل على عدم الوجوب فقد ثبت الوجوب بآيات وأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ.

يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحِكْمَةَ تَقْضِي بِوَجُوبِهَا.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، ومنها :

أولاً: إظهار شعيرة من أعظم شعائر الإسلام، وهي الصلاة؛ لأن الناس لو بقوا يصلون في بيوتهم ما عرف أن هناك صلاة.

ثانياً: التواد بين الناس؛ لأن ملاقة الناس ومصافحتهم لبعضهم البعض توجب المحبة والمودة. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفُشُوا السَّلَامَ

بَيْنَكُمْ» (١).

ثالثاً: شعور الناس بالمساواة في عبادة الله، لأنه في هذا المسجد يجتمع أغنى الناس إلى جنب أفقر الناس، والأمير إلى جنب المأمور، والحاكم إلى جنب المحكوم، والصغير إلى جنب الكبير، وهكذا فيشعر الناس بالمساواة؛ ولهذا أمر بمساواة الصفوف، وكان النبي ﷺ يقول: «اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ» (٢).

رابعاً: ما يحصل من تفقد الأحوال، أحوال الفقراء والمرضى، والمتهاونين بالصلاة، فإن الفقير إذا علم بحاله جماعة المسجد تصدقوا عليه، وواسوه، وكذلك إذا تخلف عن صلاة الجماعة عرف الناس أنه مريض، فقدموا له المساعدة أو متهاوناً فبادروه بالنصيحة (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٥٤).

(٢) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (٤٣٢).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٤/ ١٣٥ - ١٣٨).



## مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من نعم الله العظيمة على عباده نعمة الزواج، وهو من سنن المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد].

وقد حث عليه الشارع لما يترتب عليه من مصالح دينية ودنيوية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ»<sup>(١)</sup>.

وتكثر في هذه الأيام حفلات الزواج، وهذا شيء طيب يبشر بالخير؛ إلا أنه مما ينافي شكر هذه النعمة، وقوع كثير من المخالفات، فمن ذلك:

أولاً: المغالاة في المهور بما لا يطاق، والمشروع أن يكون قليلاً ميسراً، روى الحاكم في المستدرک من حديث عقبة بن عامر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ»<sup>(٢)</sup>. وقال عمر رضي الله عنه: «أَلَا

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٦٥) وصحيح مسلم برقم (١٤٠٠).

(٢) (٥٣٧/٢) برقم (٢٧٩٦) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه برقم (٤٠٨٣).

لَا تُغَالُوا صَدَقَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ، لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَكَحَ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أَنْكَحَ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِهِ، عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً»، وَالْأُوقِيَّةُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا وَثِنْتَا عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، هُوَ أَرْبَعَمِئَةٌ وَثَمَانُونَ دِرْهَمًا<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة أنها سئلت: كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت: «كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنِشًّا، قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشُّ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا قَالَتْ: نِصْفُ أُوقِيَّةٍ، فَتِلْكَ خَمْسُ مِئَةٍ دِرْهَمٍ، فَهَذَا صَدَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وفي زيادة المهور مفسد كثيرة من أعظمها تأخر كثير من الرجال والنساء عن الزواج، أو تركه بالكلية، وفي ذلك ما لا يخفى من المفسد.

ثانياً: دبلة الخطوبة، حيث يلبس الرجل دبلة تسمى دبلة الخطوبة، وهي عبارة عن خاتم يضعه في يده، وكثير من الناس يعتقد أن العقد مرتبط بهذه الدبلة، خاصة إذا كانت من الذهب، وقد حرم لبس الذهب على الرجال بأدلة كثيرة، منها ما رواه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحة، وقال: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»، فقبل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله! لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ الألباني: ووضع خاتم الخطوبة في يد العروس من

(١) سنن الترمذي برقم (١١١٤) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٢٠٩٠).

(٣) برقم (١٤٢٦).

عادات النصارى، وقد أمرنا بمخالفتهم<sup>(١)</sup>، وقال النبي ﷺ: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: المنصة، وهي جلوس الزوج والزوجة في مكان عال بمرأى من جميع الحاضرات، قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «ومن المنكرات العظيمة وضع منصة للعروسين أمام الحاضرات من النساء، فينظر الرجل إلى النساء الأجنبية، وهن بكامل زينتهن، وقد يدخل معه بعض أقارب الزوج أو الزوجة، فيحصل الاختلاط والفتنة»<sup>(٣)</sup>.

روى البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمَوَ؟ قَالَ: «الْحَمَوُ الْمَوْتُ»<sup>(٤)</sup>. والحمو قريب الزوج، وفي هذا تحريك للغرائز والشهوات، وما ينتج عن ذلك من فتنة وفساد.

رابعاً: التصوير، وهو من كبائر الذنوب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»<sup>(٥)</sup>. وخاصة إذا كان التصوير للنساء، فإن الفتنة بهن أعظم، وتقوم بعض النساء بتصوير الحاضرات في الحفل وهن بكامل زينتهن، وهذا من أعظم المفاسد، وهل يرضى أحد منا أن تلتقط صورة ابنته أو أخته وتنتشر بين الناس، فإلى الله المشتكى.

(١) انظر: آداب الزفاف (ص ٢١٢ - ٢١٣). (٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: التبرج وخطره، رسالة صغيرة للشيخ عبد العزيز بن باز.

(٤) البخاري برقم (٥٢٣٢)، ومسلم برقم (٢١٧٢).

(٥) (٢٣/٦) برقم (٣٥٥٨) وقال محققوه: إسناده صحيح.

خامساً: إحضار المغنيات ليغنين في حفلات الزواج مع الآلات والمعازف، ولا شك أن هذا من أعظم المنكرات، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ» <sup>(١)</sup>. وإنما أجاز الشارع الضرب بالدف عند النساء بشرط أن لا يصحبه غناء ما جن من قبل النساء.

سادساً: الإسراف في الولائم، واستئجار الفنادق، وقصور الأفراح بأموال طائلة، فينبغي الاقتصاد في ذلك، وترك الإسراف، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان].

سابعاً: لبس كثير من النساء في حفلات الزواج اللباس العاري، أو المفتوح، أو الضيق الذي يصف البشرة، أو الخارج عن الحياء، حتى لو كان عند النساء، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَأَسِيَّاتِ عَارِيَّاتٍ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» <sup>(٢)</sup>.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمته عن حضور الحفلات المشتملة على المنكرات، فقال: حضورها واجب إذا كان الإنسان يستطيع بحضوره أن يغير المنكر، وأما إذا كان لا يستطيع تغييره فإن حضورها

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٢١٢٨).



كُلُّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُشْرِكِينَ، لَا تَرَأَى نَارَاهُمَا»<sup>(١)</sup>.

وما ينتج عن ذلك السفر من مفسد، وخلع للحجاب، واختلاط المرأة بالأجانب، وذهاب إلى أماكن اللهو والفساد، وغير ذلك من المفسد.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم (١٦٠٤) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٥/٢٩) برقم (١٢٠٧).

## شرح حديث (مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فقد روى الإمام الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ<sup>(١)</sup> لَهُ الدُّنْيَا»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «أَصْبَحَ» أي: أصبح في ذلك اليوم، وفيه إشارة إلى أن المؤمن عليه ألا يحمل هم المستقبل، فإن أمره بيد الله، وهو الذي يدبر الأمور، ويقدر الأقدار، وعليه أن يحسن الظن بربه، ويتفائل بالخير.

قوله: «آمِنًا فِي سِرْبِهِ»، قيل: المعنى: في أهله وعياله، وقيل: في مسكنه وطريقه، وقيل: في بيته، فهو آمن أن يقتله أحد، أو يسرق بيته، أو ينتهك عرضه.

والأمن من أعظم نعم الله على عباده بعد نعمة الإيمان والإسلام، ولا يشعر بهذه النعمة إلا من فقدوها، كالذين يعيشون في البلاد التي يختل فيها النظام والأمن، أو الذين عاصروا الحروب الطاحنة التي تهلك الحرث والنسل، فهم ينامون على أزيز الطائرات وأصوات

(١) وحيزت: جمعت.

(٢) برقم (٢٣٤٦) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٧٤) برقم (١٩١٣).

المدافع، ويضع الواحد منهم يده على قلبه ينتظر الموت في أي لحظة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَلْمَنٌ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام].

وقد وعد الله المؤمنين بالأمن إن حققوا التوحيد وأخلصوا الإيمان، وعملوا الصالحات، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ [يونس].

قوله: «مُعَافَىٰ فِي بَدَنِهِ»، أي: صحيحاً سالمًا من العلل والأسقام، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَالْجُدَامِ، وَمَنْ سَبَّيَ الْأَسْقَامَ»<sup>(١)</sup>.

وكان النبي ﷺ يسأل ربه صباحًا ومساءً هذه العافية في دينه ودنياه ونفسه وأهله وماله، وأمر أصحابه بذلك، روى الإمام أبو داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هُوَ لِأَيِّ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي...» الحديث<sup>(٢)</sup>.

(١) (٣٠٩/٢٠) برقم (١٣٠٠٤) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) برقم (٥٠٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٥٧) برقم (٤٢٣٩).

وروى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن رفاعة عن أبيه قال: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»<sup>(١)</sup>.

وأخبر النبي ﷺ أن الكثير من الناس مفرط ومغبون في هذه النعمة، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»<sup>(٢)</sup>.

وأرشد النبي ﷺ أمته إلى اغتنام الصحة قبل المرض، روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ ... وَذَكَرَ مِنْهَا: صِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ»<sup>(٣)</sup>.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما كما في صحيح البخاري يقول: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»<sup>(٤)</sup>.

والذي يزور مستشفيات المسلمين ويرى ما ابتلي به إخوانه من الأمراض الخطيرة التي عجز الطب الحديث عن علاج بعضها ليحمد الله ﷻ صباحًا ومساءً على نعمة العافية، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّكُمْ

(١) برقم (٣٥٥٨) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٠) برقم (٢٨٢١).

(٢) برقم (٦٤١٢).

(٣) برقم (٤٣٥/٥) برقم (٧٩١٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه،

وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٠٧٧).

(٤) برقم (٦٤١٦).

الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم].

قوله: «عنده قوت يومه»، أي: قدر ما يغديه ويعشيه، والطعام من نعم الله العظيمة، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ ﴿٤﴾ [قریش].

وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ بالله من الجوع، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّحِيجُ»<sup>(١)</sup>.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه الكفاف، أي مقدار ما يكفيه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»<sup>(٢)</sup>.

ومما تقدم يتبين أن من اجتمعت له هذه الخصال الثلاث في يومه، فكأنما ملك الدنيا كلها، وقد اجتمع لكثير من الناس أضعاف أضعاف ما ذكر في هذا الحديث، ومع ذلك فهم منكرون لها، محتقرون ما هم فيه، فهم كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿أَفِينِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

ودواء هذا الداء أن ينظر المرء إلى من حرم هذه النعم، أو بعضها، كما أرشد إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظُرُوا إِلَيَّ مَنَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ،

(١) برقم (١٥٤٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٨/١) برقم (١٣٦٨).

(٢) البخاري برقم (٦٤٦٠)، ومسلم برقم (١٠٥٥).

وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير وغيره: هَذَا حَدِيثٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَىٰ مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا طَلَبَتْ نَفْسُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَاسْتَصَغَرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ لِيَلْحَقَ بِذَلِكَ، أَوْ يُقَارِبَهُ. هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي غَالِبِ النَّاسِ، وَأَمَّا إِذَا نَظَرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَىٰ مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا، ظَهَرَتْ لَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ، فَشَكَرَهَا، وَتَوَاضَعَ وَفَعَلَ فِيهِ الْخَيْرَ. اهـ<sup>(٢)</sup>.

وأختم بهذا الحديث الذي يبين أن كثيراً من الناس يعيشون عيشة الملوک:

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه:  
أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَيْكَ  
أَمْرًا تَأْوِي إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَلَيْكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ:  
فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ. قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ<sup>(٣)</sup>.

قال الشاعر:

إذا اجتمع الإسلام والقوت للفتى      وأضحى صحيحاً جسمه وهو في أمن  
فقد ملك الدنيا جميعاً وحازها      وحقَّ عليه الشكرُ لله ذي المنِّ  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٦٤٩٠)، ومسلم برقم (٢٩٦٣).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٩٧/٦).

(٣) برقم (٢٩٧٩).



### تفسير آية الكرسي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة، والصفات الكريمة، فلقد كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردًا للإنسان في أوقاته صباحًا ومساءً، وعند نومه، وأدبار الصلوات المكتوبات. اهـ<sup>(١)</sup>.

وتسمى آية الكرسي لذكر الكرسي فيها.

قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إخبار بأنه المتفرد بالالهية لجميع الخلائق، وهو الحي في نفسه، الذي لا يموت أبدًا،

(١) تفسير ابن سعدي، (ص ١١٢).

القيم بغيره، ومن تمام حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، والسنة هي النعاس، وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إخبار بأن الجميع عبيده، وفي ملكه، وتحت قهره وسلطانه، كقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾<sup>(١٣)</sup> لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا<sup>(١٤)</sup> وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا<sup>(١٥)</sup> [مريم].

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، هذا من عظمته وجلاله، وكبريائه ﷺ أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع عنده إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقوله: ﴿وَكَمْ مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَى﴾<sup>(١٦)</sup> [النجم].

وفي حديث الشفاعة الطويل قال ﷺ: «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷺ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) برقم (١٧٩).

(٢) البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤).

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، كقوله تعالى إخباراً عن الملائكة: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٦٤) [مريم].

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ قال ابن كثير: أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله ﷻ، وأطلعته عليه، ويحتمل أن يكون المراد: لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] (١).

قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؛ روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره» (٢). وهذا يدل على كمال عظمة الله وسعة سلطانه، فإذا كان هذا حال الكرسي، أنه يسع السماوات والأرض على عظمتها وعظمة من فيهما، فكيف بالعرش الذي هو أعظم من الكرسي؟!

قال الطحاوي: والعرش والكرسي حق، قال ابن أبي العز الحنفي: العرش سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم (٣)، وهو سقف المخلوقات، قال عبدالله بن رواحة:

شَهِدْتُ بَأَنَّ وَعَدَ اللهُ حَقًّا وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٠٩).

(٢) (٦٧٨/٢) برقم (٣١٧٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ مقبل الوداعي في تخريجه لأحاديث تفسير ابن كثير (١/٥٧١)، وأخرجه الذهبي في كتابه العلو (ص ٧٦)، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص ٤٥).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣١١).

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ  
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ شَدَادُ مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسَوِّمِينَ<sup>(١)</sup>

روى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَا يُؤُدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، أي: لا يثقله ولا يكثره حفظ السماوات والأرض ومن فيهما، ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، وهو العلي بذاته، فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته، العظيم الذي يتضاءل عند عظمته جبوت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنها أعظم آية في القرآن، وقد وردت نصوص كثيرة في فضلها، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ»، قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

(١) العقيدة الطحاوية (ص ٣١١).

(٢) برقم (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥١).

(٣) برقم (٨١٠).

وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَلِكَ شَيْطَانٌ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: سعة علم الله وإحاطته بكل شيء، فهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [٥٩] [الأنعام].

ثالثاً: عظمة الله سبحانه، وسعة سلطانه، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [١٧] [الزمر].

رابعاً: أن الله تعالى لا يثقله ولا يكثره حفظ السماوات والأرض، بل ذلك سهل يسير عليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [٤١] [فاطر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





## حفظ اللسان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من نعم الله العظيمة على الإنسان، نعمة اللسان، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾ [البلد].

وهذا اللسان إن لم يستخدم في طاعة الله، كان وبالاً على صاحبه، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النور].

وقد وردت نصوص شرعية كثيرة تحث على حفظ اللسان، قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [النحل].

روى الترمذي في سننه من حديث معاذ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ عَمَلٍ يُقَرِّبُهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُهُ مِنَ النَّارِ؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ

يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا»، أي لا يدري هل هي في طاعة الله أو معصيته؟

وروى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ، وَابْكُ عَلَى خَطِيئَتِكَ»<sup>(٤)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث سفيان الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به؟ قال: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»، قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هَذَا»<sup>(٥)</sup>.

وقال عبد الله بن مسعود: «أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم

(١) برقم (٢٦١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٨).

(٣) برقم (٦٤٧٤).

(٤) برقم (٢٤٠٦) وقال: هذا حديث حسن.

(٥) برقم (٢٤١٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ما بلغ حاجته»<sup>(١)</sup>.

قال محمد بن واسع لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى، حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال الأوزاعي: «كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول: أما بعد، فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه»<sup>(٣)</sup>.

وقال عبد الله بن مسعود: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلَيَّ طَوْلِ سَجْنٍ مِنْ هَذَا اللُّسَانِ»<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء. اهـ<sup>(٥)</sup>.

وشر حركات الجوارح حركة اللسان، وهي أضر ما يكون على العبد.

قال ابن القيم: ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقه، وشرب الخمر،

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (ص ٢٤١).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١٢٠).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ١١٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٠٠).

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩).

ومن النظر الحرام، وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، ينزل في النار بالكلمة الواحدة أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يقطع ويذبح في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول. اهـ<sup>(١)</sup>.

وإذا أردت أن تعرف ذلك فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله: أن النبي ﷺ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ إِلَّا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ»<sup>(٢)</sup>. أو كما قال.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ ذُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ، وَتَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي حَقِّ رَجُلٍ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: أَغْزَوْتَ الرُّومَ؟ قَالَ: لَمْ أَفْعَلْ. قَالَ: سَلِمَ مِنْكَ النِّصَارِيُّ، وَلَمْ يَسَلِمْ مِنْكَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ!

وقال بعضهم: تسعة أعشار الذنوب من اللسان.

قال الشاعر:

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ      لَا يَلِدَغَنَّكَ إِنَّهُ تُعْبَانُ  
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ      كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشَّجَعَانُ

قال بعض أهل العلم: في اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى، آفة السكوت عن الحق، أو آفة الكلام بالباطل، وقد تكون كل منهما أعظم من الأخرى في وقتها، فالساكت عن

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٠).

(٢) برقم (٢٦٢١).

الحق شيطان أحرص عاص لله، مرء، مداهن، إذا لم يخف على نفسه مثل من يرى المنكرات أمام عينيه مع قدرته على التغيير ولا يفعل.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

الآفة الثانية: التكلم بالباطل، وهو شيطان ناطق عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط هم أهل الصراط المستقيم، كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا يرى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً عن أنها تضره في آخرته يوم القيامة.، عندما يأتي بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكره الله وما اتصل به. اهـ<sup>(٢)</sup>.

والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٤٩).

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٤٢).



## الحوار العين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعيم الجنة الذي وعد الله به المؤمنين، مما تشتاق إليه النفوس، وتهفو إليه القلوب، الحوار العين، فقد وصفهن الله بأحسن الصفات، وحلاهن بأجمل الحلي، وشوق الخطاب إليهن، حتى كأن المؤمنين يرونهن رأي العين، قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَصِرَتْ الظُّرُفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۗ ﴿٥٦﴾ فَإِنِّي ءَأَلَا رَبِّكُمَا تُكَدِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۗ ﴿٥٨﴾ [الرحمن].

قال الحسن وعامة المفسرين: «في صفاء الياقوت، وبياض المرجان»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۗ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۗ ﴿٢٣﴾ [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ۗ ﴿٣٥﴾ لَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۗ ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ۗ ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۗ ﴿٣٨﴾ [الواقعة].

والحوار جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء، شديدة سواد العين، قالت عائشة رضي الله عنها: «البياض نصف

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٣٣٤).

الحسن». وقال عمر رضي الله عنه: «إذا تم بياض المرأة في حسن شعرها، فقد تم حسنها».

والعرب تمدح المرأة بالبياض، قال الشاعر:

بيضٌ أو أنسٌ ما هممن بريبةٍ      كظباءِ مكةَ صيْدُهِنَّ حرامٌ  
يُحسبن من لين الحديثِ زوانيا      ويصْدُهِنَّ عن الخنا الإسلامُ

قوله: ﴿عُرْبًا﴾ في الآية الكريمة، العرب جمع عروب، وهي التي جمعت إلى حلاوة صورتها، حسن التاني والتبعل والتحبب إلى الزوج بدلها وحديثها، وحلاوة منطقتها، وحسن حركاتها. وذكر المفسرون في تفسير العرب بأنهن العواشق المتحبيبات، الغنجات، الشكلات، المتعشقات، الغلمات، المغنوجات، كل ذلك من ألفاظهم<sup>(١)</sup>.

قوله ﴿أَثْرَابًا﴾: قال ابن عباس: وسائر المفسرين: مستويات على سن واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة<sup>(٢)</sup>.

وقد أودع سبحانه في الحوار العين من حسن الخلق والخلق، وجمال الصورة، ورقة البشرة ما يبهر العقول، وتعجز الألسن عن وصفه.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، أَنْيَّتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سَوْقَيْهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ،

(١) بدائع التفسير (٤/٣٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١٣/٣٧٦).

لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدَوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلِقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِفُهَا - يَعْنِي الْخِمَارَ - عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»<sup>(٢)</sup>.

والحور العين مطهرات من كل أذى وقذر ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة].

قال جمع من المفسرين: المطهرة من طهرت من الحيض والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قدر وأذى مما يكون في نساء الدنيا<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله: فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى

(١) البخاري برقم (٣٢٤٥)، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

(٢) البخاري برقم (٢٧٩٦)، وأخرج مسلم أوله برقم (١٨٨٠)، والغدوة الذهب أول النهار للغزو في سبيل الله، والروحة الذهب آخره للغزو في سبيل الله.

(٣) تفسير ابن كثير (١/٣٢٢ - ٣٢٣).

غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ<sup>(١)</sup>.

وإن من أعظم ما أتحف الله به عباده في دار كرامته، زواجهم من الحور العيون، فهذا الزواج تتحقق السعادة وتكتمل اللذة، قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [٢٠] [الطور]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾ [٥٥] هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْزَاقِ مُتَّكِئُونَ﴾ [٥٦] [يس].

قال عبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهم: «شغلهم افتضاض الأبقار»<sup>(٢)</sup>.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُونَ مِثْلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»<sup>(٣)</sup>.

وهذه الخيام غير الغرف والقصور التي في الجنة، فذاك نعيم آخر، روى الطبراني في المعجم الصغير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَصِلُ إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِئَةِ عَذْرَاءٍ»<sup>(٤)</sup>.

والحور العيون يشتقن إلى أزواجهن من المؤمنين، فتدعو الواحدة منهن على من يتعرض لزوجها في الدنيا، فكيف إذا قدم عليها وبشرت

(١) بدائع التفسير (٢٩٧/١). (٢) تفسير ابن كثير (٣٦٩/١١).

(٣) البخاري برقم (٣٢٤٣)، ومسلم برقم (٢٨٣٨).

(٤) (٦٨/٢) برقم (٧٩٥) وقال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: هذا الحديث عندي على

شرط الصحيح، تفسير ابن كثير (٣٧٥/١٣).

بذلك، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتِلِكَ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا»<sup>(١)</sup>.

وعرائس الجنان من الحور العين لا يزددن مع مرور الدهور والأحقاب إلا حسناً وجمالاً، وحباً وتودداً لأزواجهن في الجنة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزِدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ اَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»<sup>(٢)</sup>.

والصالحون في هذه الدار بعدما علموا ما جاء في كتاب ربهم وسنة نبيهم في شأنهن - أي الحور العين - يكونون في أشد الشوق والحب إليهن، مما له أكبر الأثر في إقبالهم على طاعة مولاهم، وأن يقر أعينهم بهن، قال ربيعة بن كلثوم: نظر إلينا الحسن ونحن شباب، فقال: يا معشر الشباب، أما تشاقون إلى الحور العين؟<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله:

يا خَاطِبَ الحُورِ الحِسانِ وطالِبًا      لوصالهن بجنة الحيوان  
لو كُنْتَ تَدْرِي من خَطْبَتِ ومن طَلَبِ      ست بذلت ما تحوي من الأثمان

(١) (٤١٧/٣٦) برقم (٢٢١٠١) وقال محققوه: إسناده حسن، والدخيل الذي يرحل سريعاً.

(٢) برقم (٢٨٣٣).

(٣) انظر: رسالة (بشرى المحبين بأخبار الحور العين) للشيخ سعد الحمدان.

أَوْ كُنْتُ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكِنِهَا جَعْدٌ  
وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسْكِنِهَا فَإِنْ  
أَسْرَعَ وَحُثَّ السَّيْرَ جَهْدَكَ إِنَّمَا  
فَاعْشَقْ وَحَدِّثْ بِالْوَصَالِ النَّفْسَ  
وَاجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَدِ  
وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي وَسِرِّ  
لَمْتُ السَّعْيِ مِنْكَ لَهَا عَلَى الْأَجْفَانِ  
رُمْتُ الْوِصَالَ فَلَا تَكُنْ بِالْوَانِي  
مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةً لَزْمَانِ  
وَإِبْذَلْ مَهْرَهَا مَا دَمْتَ ذَا إِمْكَانِ  
يَوْمَ الْوَصْلِ يَوْمَ الْفَطْرِ مِنْ رَمَضَانَ  
تَلْقَى الْمَخَافَ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانِ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة المئة واثنتا عشرة

الابتلاء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، يتلى فيها المؤمن بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والشهوات والشبهات، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء].

أي نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعمة تارة أخرى، فننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، قال ابن عباس: «﴿وَنَبَلُوكُم﴾: أي نبتليكم بالشر والخير، أي بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال»<sup>(١)</sup>. ثم قال تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: فنجازيكم على مواقفكم من هذه الأحوال، فمن وقف موقف المؤمن واتقى الله في كل حالة نال المثوبة، ومن أساء نال العقوبة.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٧٨).

وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ  
خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا  
مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ ﴿٢١٤﴾ [البقرة].

روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الأرت قال:  
شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له:  
ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر  
له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق  
بانتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه  
من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى  
يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أو الذئب  
على غنمه، ولكنكم تستعجلون»<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت:  
يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل،  
فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن  
كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه  
يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»<sup>(٢)</sup>.

وسأل رجل الشافعي رحمته الله فقال: يا أبا عبد الله، أيهما أفضل  
للرجل: أن يمكن فيشكر الله عز وجل؟ أو يبتلى فيصبر؟ فقال الشافعي: لا

(١) برقم (٣٦١٢).

(٢) برقم (٢٣٩٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

يُمْكِنُ حَتَّى يُبْتَلَى، فَإِنَّ اللَّهَ ابْتَلَى نُوْحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدًا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَلَمَّا صَبَرُوا مَكْنَهُمُ اللَّهُ فَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنْ يَخْلُصَ مِنَ الْأَلَمِ الْبَتَّةِ. اهـ (١).

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والله أسأل أن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبدًا، فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاثة. اهـ (٢).

والمؤمن يصيبه البلاء تكفيرًا لسيئاته، ورفعة لدرجاته، وحتى يتميز الخبيث من الطيب،، وغير ذلك من الحكم.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك ووعكًا شديدًا، فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك ووعكًا شديدًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلٌ، إِنِّي أُوْعَكَ كَمَا يُوْعَكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلٌ» ثم قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٢٣٢ - ٢٣٣).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٣).

(٣) برقم (٥٦٦٠).

النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» (١).

قال أبو عبيدة الهروي: أي يبتليه بالمصائب ليشبهه عليها، وقد تبتلى أمة الإسلام بتكالب الكفار واعتدائهم عليها، إما عقوبة لها على تقصيرها في طاعة ربها، أو ابتلاء واختباراً لها، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

وقال تعالى: ﴿الْمَ (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)﴾ [العنكبوت].

وما نراه في هذه الأزمان من تكالب أمم الكفر من كل مكان، واتحادهم ضد المسلمين، ما هو إلا مصداق لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أبو داود من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (٢).

ولن يكون الخلاص والنجاة من ذلك إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والبراءة من الشرك وأهله، ويجب على المؤمن أن يكون على ثقة ويقين بنصر الله القريب، وإن كثر الأعداء، وعظمت قوتهم، فإن الله سينصر دينه والمؤمنين، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠) [يوسف].

(١) برقم (٥٦٤٥).

(٢) برقم (٤٢٩٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨١٠) برقم (٣٦١٠).

الَّذِينَ اسْتَفْتَاكَ مِنَ الْكِتَابِ فَأْتِ بِهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ [يوسف].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ [غافر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





## الزهد في الدنيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد وصف ربنا ﷺ حال الدنيا وأهلها فيها، وكشف حقيقتها، وبين قصر مدتها، وانقضاء لذتها، فقال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

فبين لنا العليم الحكيم في هذه الآية حال الدنيا التي افتتن الناس بها، وبين أنها لعب لا ثمرة فيه سوى التعب، وهو يشغل صاحبه ويلهيه عما ينفعه في آخرته، وزينة تخدع المفتون بها، وتفاجر بالأنساب والعظام البالية، ومباهاة بكثرة الأموال والأولاد، وعظم الجاه، وأشار سبحانه إلى أنها مع ذلك سريعة الزوال، كمثل غيث أعجب الزراع نباته الناشئ منه، ثم يهيج ويتحرك وينمو إلى أقصى ما قدره الله له، فسرعان ما تراه مصفراً متغيراً ذابلاً بعد أن كان أخضر نضراً، ثم يعود إلى اليبس هشيمًا متكسراً، ففيه تشبيه جميع ما في الدنيا من السنين الكثيرة بمدة نبات غيث واحد يفنى ويضمحل ويتلاشى في أقل من سنة، إشارة إلى سرعة زوالها وقرب فنائها.

ثم أشار سبحانه إلى عظم شأن الآخرة بما فيها من الآلام والعذاب الشديد لمن عصاه، والمغفرة والرضوان الموجب لكمال النعيم لمن أطاعه.

قال تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾ [الكهف].

وقال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَعَادِ ۝١٤﴾ ﴿ قُلْ أُوْنِيْبِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۗ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝١٥﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَمَتٌّ ۗ﴾ [الرعد: ٢٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث المستورد بن فهر: أن النبي ﷺ قال: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَىٰ بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَوْمِ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟» (١).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ حَصِيرٍ، فَأَثَّرَ فِي جِلْدِهِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كُنْتَ آذَنْتَنَا فَفَرَشْنَا لَكَ عَلَيْهِ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟! إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ

تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين: النظر الأول: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها، وألم المزاحمة عليها، والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنعص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من همٍّ قبل حصولها، وهمٍّ في حال الظفر بها، وحزن وغم بعد فواتها، فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة، وإقبالها، ومجيئها، ولا بد من دوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا، فهي كما قال سبحانه: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [١٧] [الأعلى] فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطة مضمحلة، فإذا تم له هذان النظران أثر ما يقتضي العقل إثارة، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه، فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النافع العاجل، واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل، واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا أثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل، وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان، وضعف العقل والبصيرة، فإن الراغب في الدنيا، الحريص عليها، المؤثر لها إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق، فإن لم يصدق بذلك كان عادماً للإيمان رأساً، وإن صدق بذلك ولم يؤثر كان فاسد العقل سيئاً

(١) برقم (٤١٠٩) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٩٤) برقم (٣٣١٧).

الاختيار لنفسه. والنبي ﷺ عُرِضَتْ عَلَيْهِ مَفَاتِيحُ كَنُوزِهَا فَرَدَهَا، وَفَاضَتْ عَلَى أَصْحَابِهِ فَأَثَرُوا بِهَا وَلَمْ يَبِيعُوا حَظَّهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ بِهَا وَعَلِمُوا أَنَّهَا مَعْبَرٌ وَمَمَرٌ لَا دَارَ مَقَامٍ وَمَسْتَقَرٍّ، وَأَنَّهَا دَارُ عُبُورٍ لَا دَارَ سُرُورٍ، وَأَنَّهَا سَحَابَةٌ صَيْفٌ تَنْقَشِعُ عَنْ قَلِيلٍ، وَخِيَالٌ طَيْفٌ مَا اسْتَتَمَ الزِّيَارَةَ حَتَّى آذَنَ بِالرَّحِيلِ اهـ<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

لَا طَيْبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ لَدَائَتْهُ مُنْغَصَّةً بِأَدْكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ

وقد توعد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا، واطمأن بها، وغفل عن آياته ولم يرج لقاءه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [يونس].

وقد عاتب سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة].

وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا، ورضاه بها يكون تشاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة، ويكفي في الزهد في الدنيا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ

(١) الفوائد (ص ١١٢ - ١١٣) بتصرف.

بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الأحقاف].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم].

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس قناعة وزهداً في الدنيا، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة ابن أختها: «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ آيَاتِهِمْ، فَيَسْقِينَاهُ»<sup>(١)</sup>. روى البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن الحارث قال: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَلَا عَبْدًا وَلَا أُمَّةً وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً<sup>(٢)</sup>.

بل إنه عليه الصلاة والسلام توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير<sup>(٣)</sup>.

وأوصى النبي ﷺ جماعة من الأنصار أن يكون بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد الراكب، ووصى ابن عمر أن يكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل، وقال لأبي هريرة: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: والزهد زهد في الحرام، وهو فرض عين،

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٥٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٧٢).

(٢) برقم (٢٧٣٩). (٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٧).

(٤) ابن ماجه في سننه برقم (٤١٠٢) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٤٤).

وزهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا، وزهد في الفضول، وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره، وزهد في الناس، وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله، وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما شغلك عنه. وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحفظ، والفرق بينه وبين الورع أن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة، والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع. إلى آخر ما قال<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفوائد (ص ١٣٨).

## العافية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده بعد نعمة الإيمان والإسلام، نعمة العافية، قال تعالى عن نبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يخاطب قومه: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود].

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»<sup>(١)</sup>.

والغبن أن يشتري الإنسان السلعة بأكثر من ثمنها، فمن صح بدنه وتفرغ من الأشغال العالقة به، ولم يسع لإصلاح آخرته يقال عنه: رجل مغبون.

روى الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «آمناً في سربه»، أي: آمناً على نفسه وأهله وعياله وماله.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

قوله: «مُعَافَى فِي جَسَدِهِ»، أي: من الأمراض، أي: صحيحًا سالمًا من العلل والأسقام.

قوله: «عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ»، أي: كفاية قوته وحاجته من وجه حلال.

قوله: «فَكَأَنَّمَا حَيَّرَتْ لَهُ الدُّنْيَا»، أي: ضمت وجمعت، فمن جمع الله له بين عافية بدنه، وأمن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها، فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها، بأن يصرفها في طاعة المنعم، لا في معصيته.

وإن من أعظم المطالب، وأرفع المراتب التي ينبغي للمؤمن أن يحرص عليها سؤال الله العافية، روى الترمذي في سننه من حديث رفاعة بن رافع قال: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى الْمُنْبِرِ، ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمُنْبِرِ ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعْلِيْقًا عَلَى الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ: «فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه، فجمع أمر الآخرة في كلمة، وأمر الدنيا كله في كلمة»<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

(١) سبق تخريجه.

(٢) تحفة الذاكرين (ص ٣٠٥).

## المُعَافَاةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (١).

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن أفضل ما سأله العباد أن يعافيه الله، لأن العمدة الكبرى، والمنحة العظمى في نيل السعادة الدنيوية والآخروية هي العافية.

وروى البزار في كشف الأستار من حديث أنس بن مالك: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ مُبْتَلِينَ، فَقَالَ: «أَمَا كَانَ هَؤُلَاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ؟!»، وفي الحديث دليل على أن سؤال الله العافية يدفع كل بلية، ويرفع كل محنة، ولهذا جاء ﷺ بهذا الاستفهام بمعنى الاستنكار، فكأنه قال لهم: كيف تتركون أنفسكم في هذه المحنة والابتلاء؟ وأنتم تجدون الدواء الحاسم لها، والمرهم الشافي لما أصابكم منها، وهو الدعاء بالعافية، واستدفاع هذه المحنة النازلة بكم، بهذه الدعوة الكافية، وفي هذا ما يزيد النفوس نشاطاً والقلوب بصيرةً، باستعمال هذا الدواء عند عروض كل داء، ومساس كل محنة، ونزول كل بلية، قال أحد الصالحين: «أكثرُوا من سؤال العافية، فإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه لا يأمن ما هو أشد منه، وإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء، وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم». والذي يزور مستشفيات المسلمين ويرى ما ابتلي به إخوانه من الأمراض الخطيرة التي عجز الطب الحديث عن علاج بعضها، ليحمد الله ﷻ صباحاً ومساءً على نعمة العافية.

(١) برقم (٣٨٥١)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣١٠٦).

(٢) (٣٦/٤) برقم (٣١٣٤) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السلسلة الصحيحة (٢١٩٧).

قال الشاعر:

إني وإن كان جمع المال يُعجِبُنِي      ما يعدلُ المالُ عندي صحَّةَ الجسدِ  
المالُ زينٌ وفي الأولادِ مكرمةٌ      والسقمُ يُنسيك ذكراً المالِ والولدِ

وكان النبي ﷺ يسأل ربه العافية صباحاً ومساءً، وحتى عند نومه، فروى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»<sup>(١)</sup>. قال أبو داود: قال وكيع: يعني الخسف، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن الحارث، يحدث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي ... الحديث، وقال في آخره: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

والعافية في الدنيا هي دفع الله عن العبد جميع الأسقام والبلايا وجميع ما يكرهه ويشينه، والعافية في الآخرة هي دفع الله عنه جميع أهوال الآخرة وأفزاعها، ولا يخرج مطلوب العبد من هذين القسمين.

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من سيئ الأسقام، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٢٧١٢).

البرص، والجذام، والجذام، ومن سَيِّئِ الْأَسْقَامِ»<sup>(١)</sup>.

وأرشد عليه الصلاة والسلام أمته إلى اغتنام الصحة قبل المرض، فروى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ.. ذكر منها: صِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ»<sup>(٢)</sup>: وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»<sup>(٣)(٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم (٦٤١٦).

(٤) انظر: رسالة الشيخ عبد الهادي وهبي «الوسيلة الكافية لتحقيق العافية».



## مكانة المرأة في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا اليوم عن المرأة، وسيكون الكلام فيها حول الأمور التالية:

أولاً: حالة المرأة قبل الإسلام.

ثانياً: صور مضيئة لتكريم المرأة في الإسلام.

ثالثاً: شبهات والجواب عنها.

رابعاً: واجبنا نحو ذلك.

أولاً: حالة المرأة قبل الإسلام:

لقد كانت المرأة قبل الإسلام في بعض مجتمعات الجاهلية تعيش فترة عصيبة، فقد كانوا يكرهون ولادتها، فمنهم من يدفنها وهي حية تحت التراب خوفاً على نفسه من العار، ومنهم من يتركها تبقى في حياة الذل والمهانة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨﴾  
 يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْرِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩﴾ [النحل]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩﴾ [التكوير].

والموودة هي البنت تدفن حية حتى تموت تحت التراب، والمرأة في الجاهلية ليس لها حظ في الميراث مهما عانت من الفقر والحاجة؛ لأن الميراث يختص بالرجال، بل إنها كانت تورث عن زوجها الميت كما يورث سائر المتاع، وكان الجمع الكثير من النساء يعشن تحت زوج واحد، حيث كانوا لا يتقيدون بعدد محدد من الزوجات، ولا يبالون بما ينالهن من المضايقات والظلم، روى مسلم في صحيحه من حديث عمر رضي الله عنه أنه قال: «وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ»<sup>(١)</sup>.

ثانيًا: صور مضيئة لتكريم المرأة في الإسلام:

فقد رفع عنها المظالم، وأعاد لها مكانتها، وجعلها شريكة الرجل في الثواب والعقاب وسائر الحقوق، إلا ما اختص الله به النساء، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

روى الترمذي في سننه من حديث أمِّ عُمَارَةَ رضي الله عنها: أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: مَا أَرَىٰ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ، وَمَا أَرَىٰ النِّسَاءَ يُذَكَّرْنَ بِشَيْءٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ

(١) برقم (١٤٧٩).

مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب] (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ» (٢).

وحرّم الإسلام اعتبار المرأة من موروثات الزوج، كما هو الحال في الجاهلية، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ [النساء: ١٩].

فضمن لها استقلال شخصيتها، وجعلها وارثة لا موروثة، وجعل للمرأة حقاً في مال قريبها من الميراث، فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرٌ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (٣).

وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (٤).

ثالثاً: شبهات والجواب عنها:

يردد أهل الشهوات عبر وسائل الإعلام المختلفة بأن المرأة تعاني من الظلم، وأنها شق معطل، وأن البيت سجن لها، والقوامة سيف وصلت

(١) برقم (٣٢١١) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٩٢/٣) برقم (٢٥٦٥).

(٢) (٢٦٥/٤٣) برقم (٢٦١٩٥) وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٣) برقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٦٨).

(٤) برقم (١٩٧٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٤/١) برقم (١٦٠٨).

عليها أن تتخلص منه، وقد أوجد ذلك وللأسف أثرًا عند بعض النساء. أما القول بأن المرأة تعاني من الظلم، فقد سبق الكلام عن مكانة المرأة في الإسلام، وكيف رفع المظالم التي كانت عليها في الجاهلية، وهي ليست شق معطل، بل إن بقاءها في بيتها وتربيتها لأولادها من أعظم الأعمال التي تثاب عليها، وتخرج ثمراتها إلى المجتمع المسلم.

روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ»<sup>(١)</sup>.

والذي ينظر إلى المجتمعات الغربية وكيف خرجت المرأة لتزاحم الرجال، وتركت أطفالها في رعاية الخدم، أو الحضانة، أو غيرها، وما جنى هؤلاء الغربيون من الفساد، وانحلال الأخلاق، وكثرة أولاد الزنا، والتفكك الأسري، وانتشار المخدرات والمسكرات، وغير ذلك، ليدرك عظمة هذا الدين، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أما القوامة فقد جعلت لحماية المرأة وصيانة عرضها من الرجال، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

قال ابن كثير: «أي الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت».

قال ابن عباس: «﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: يعني أمراء عليهن، أي: تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله،

(١) برقم (٤١٥١) وصححه الشيخ الألباني في آداب الزفاف (ص ٢٨٦).

رابعاً: واجبنا نحو ذلك:

أولاً: تربية أبنائنا وبناتنا وزوجاتنا تربية صالحة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أدبوهم وعلموهم الخير»، وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

ولو أن كل رجل اهتم بأسرته، ورباهم على الكتاب والسنة؛ لصلح المجتمع كله.

ثانياً: التزود بالعلم الشرعي، وبالعلم يكتشف المؤمن ضلال المضلين، وانحراف المنحرفين من العلمانيين وأهل الأهواء والشهوات، ويستطيع الرد عليهم وكشف مخططاتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

ثالثاً: الدعوة إلى الله عز وجل، وتحذير الناس من أهل الشر، وما يخططون له من إفساد المرأة، وإبعادها عن دينها، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠ - ٢١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٥٥٨)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢٩).

قال: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

## التحذير من الربا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة التي حرمها الله ورسوله، ولعن فاعلها، الربا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْلَ الرِّبَا، وَمُوكَلَّهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيهِ، وَقَالَ: «هُم سَوَاءٌ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في رؤيا النبي ﷺ، وجاء فيه: «... أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ -: أَحْمَرٌ مِثْلَ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ

(١) برقم (١٥٩٨).

يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجْرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجْرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرَّبَا»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ ... وذكر منها: الربا»<sup>(٢)</sup>.

ومن صور الربا المحرم: شراء الأسهم الربوية، أو إيداع الأموال في البنوك، وأخذ الزيادة الربوية التي يسمونها فوائد، أو الاقتراض من البنوك، ورد المبالغ إليها مع الزيادة الربوية، وإن من الجرائم العظيمة، والأمر الخطيرة ما نسمعه ونشاهده هذه الأيام من تسابق أهل هذه البنوك بوضع شتى الطرق والحيل والدعايات لإيقاع الناس في الربا، وترغيبهم بشتى الوسائل لتزداد أرصدهم من هذه الأموال الخبيثة، وعلى سبيل المثال ما يسمى بطاقة فيزا سامبا، وقد صدرت فيها فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم التعامل بها، وأنها من الربا الذي حرمه الله ورسوله.

جاء في الفتوى رقم (١٧٦١١): يتداول بين الناس في الوقت الحاضر بطاقة فيزا سامبا، صادرة من البنك السعودي الأمريكي، وقيمة هذه البطاقة الذهبية (٤٨٥) ريالاً، وإذا كانت فضية (٢٤٥) ريالاً، تسدد هذه القيمة سنوياً لمن يحمل بطاقة فيزا للاستفادة منها كاشتراك سنوي، ويحق لحامل هذه البطاقة أن يسحب من فروع البنك المبلغ الذي يريده سلفة، ويسدد بنفس القيمة خلال مدة لا تتجاوز

(١) برقم (٧٠٤٧).

(٢) البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩).

أربعة وخمسين يوماً، وإذا لم يسدد المبلغ المسحوب سلفة خلال الفترة المحددة يأخذ البنك عن كل مئة ريال فوائد قيمتها ريال وخمس وتسعين هللة (٩٥، ١)، ويحق لحامل هذه البطاقة شراء البضائع من المحلات التجارية التي تتعامل مع البنك، دون أن يدفع مالا نقدياً، وتكون سلفة عليه للبنك، وإذا تأخر عن سداد القيمة عن مدة أربعة وخمسين يوماً يأخذ البنك عن كل مئة ريال ريالاً وخمسة وتسعين هللة، فما حكم استعمال هذه البطاقة، والاشتراك السنوي مع هذا البنك.

الجواب: إذا كان حال بطاقة فيزا سامبا كما ذكر، فهذا إصدار جديد من أعمال المرابين، وأكل لأموال الناس بالباطل، وتأثيرهم، وتلويث مكاسبهم، وتعاملهم، وهو لا يخرج عن حكم ربا الجاهلية المحرم في الشرع المطهر (إما أن تقضي، وإما أن تربى)، ولهذا لا يجوز إصدار هذه البطاقة، ولا التعامل بها. اهـ.

ومن صورته كذلك بيع العينة، ويسميه بعض الناس الدينة، ومثاله: أن يبيع شخص سلعة على شخص آخر بمبلغ ألف ريال مؤجلة لمدة سنة، ثم في نفس الوقت يشتري البائع سلعته من المشتري بمبلغ خمسمئة ريال معجلة، وتبقى الخمسمئة ريال في ذمة المشتري الأول، وقد ورد النهي الصريح من النبي ﷺ عن بيع العينة، روى الإمام أبو داود في سننه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

ومن الشبهات التي يرددها بعض الناس قول بعضهم: أنا مضطر لأخذ

(١) سبق تخريجه.

القرض من هذا البنك الربوي، فعندي ضائقة مالية، أو أريد أن أتزوج، أو أريد أن أبنى مسكناً ولم أجد من يقرضني من الناس، والضرورات تبيح المحظورات، والجواب عن ذلك أن يقال: إن الضرورة إنما تكون عند خوف الشخص على حياته، فتباح له بقدر الحاجة، كأن يكون في خارج البلد، واشتد به الجوع والعطش حتى كاد أن يموت، ولم يجد إلا خمراً أو ميتة، فتباح له بقدر ما يسد رمقه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقال بعض أهل العلم: إنه يتناول ثلاث لقم ولا يزيد عليها، وأيضاً يقال لهذا وأمثاله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ومن الشبهات كذلك قول بعضهم: إن هذه البنوك مؤسسات تجارية، فهي تدفع رواتب للموظفين، وتدفع إيجاراً للمبنى، وتحتاج إلى أجهزة تشتريها بمبالغ مالية، وغير ذلك، فالقروض التي تعطيها للناس بفوائد إنما هي للمصاريف الإدارية، وهذا كلام فيه تضليل؛ لأن صورة الربا التي وردت النصوص الشرعية بتحريمها موجودة، ومنطقة على هذه البنوك، وسواء سميت مصاريف إدارية، أو فوائده، أو غير ذلك، فالأسماء لا تغير الحقائق، وقد صدرت فتاوى من علماء هذه البلاد بتحريم التعامل مع هذه البنوك، عملاً أو شراءً أو اقتراضاً أو غير ذلك، جاء في الفتوى رقم (٣١٩٧): ما حكم الزيادة التي تأخذها البنوك؟

الجواب: الفائدة التي تأخذها البنوك من المقترضين، والفوائد التي تدفعها للمودعين عندها، هذه الفوائد من الربا الذي ثبت تحريمه بالكتاب والسنة والإجماع. اهـ.

وجاء في الفتوى رقم (١٠٨٠): هل ينطبق على كاتب الحسابات في بنك حديث لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه؟

الجواب: البنوك تتعامل بالربا مع من تقرضه، ومع من يودع فيها نقوداً، ومع غيرهم، ولا بد لمن عمل فيها كاتباً للحسابات أن يتولى حساب المعاملات الربوية، ويقيد في الدفاتر ما على كل من أطراف المعاملات، وما له، ويتحدد بذلك المدين من الدائن، وعلى ذلك ينطبق الحديث المذكور على كاتب الحسابات في البنوك الربوية، وما في حكمها من المصارف. اهـ<sup>(١)</sup>.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عن سواك.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٣/٣٤٤).



## وقفه مع قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا..﴾ الآية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «هذا خطاب لسائر الخلائق برهم وفاجرهم، ومؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد إلا سيرد النار حكماً حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه»<sup>(١)</sup>. اهـ.

روى الإمام الترمذي في سننه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوْلَهُمْ كَلْمَحُ الْبَرِّقِ، ثُمَّ كَالرَّيْحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجْلِ، ثُمَّ كَمَشِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين، والصراط الذي وردت

(١) تفسير ابن سعدي، (ص ٥٨٠).

(٢) برقم (٣١٥٩) وقال: هذا حديث حسن.

الإشارة إليه في الأحاديث هو جسر منصوب على متن جهنم، وهو صراط دقيق جداً كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «بَلَّغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَذْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ»<sup>(١)</sup>.

والصراط ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال السفاريني رحمته الله: والصراط شرعاً جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار وخلق من حين خلقت جهنم<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر:

أَمَامِي مَوْقِفٌ قُدَّامَ رَبِّي      يُسَائِلُنِي وَيَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ  
وَحَسْبِي أَنْ أَمُرَ عَلَى صِرَاطٍ      كَحَدِّ السَّيْفِ أَسْفَلُهُ لَظَاءُ

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحْضٌ مَزَلَّةٌ - قال في الحاشية: «الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام، ولا تستقر» - فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ، وَحَسَكٌ - الخطاف هو الحديد المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء، والكلايب هي حديدة معطوفة الرأس، ويعلق عليها اللحم، والحسك هي شوكة صلبة معروفة - فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرَّكَابِ، فَتَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ

(١) صحيح مسلم برقم (١٨٣).

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١٨٩/٢).

يُسْحَبُ سَحْبًا ... الحديث»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مريم].

قال ابن كثير: أي إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار، والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: أن الورود على النار لا بد منه لكل الناس، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ» قَالَتْ حَفْصَةُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا»<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ»<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: الصراط حق يجب الإيمان به، والاستعداد له بالعمل الصالح، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله: «والصراط حق، يوضع على شفير جهنم، ويمر الناس عليه، والجنة من وراء ذلك، نسأل الله

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٨١)، وصحيح مسلم برقم (١٨٣) مختصراً.

(٢) تفسير ابن كثير (٢٨٧/٩).

(٣) (٥٩٠/٤٤) برقم (٢٧٠٤٢) وقال محققوه: صحيح.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٦٥٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٣٢) واللفظ له.

السلامة في الجواز» (٢).

ثالثاً: أن التقوى سبب النجاة في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر].

رابعاً: أن الظلم عاقبته الهلاك في الدنيا والآخرة، لقوله في هذه الآية: ﴿ وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴾ [مريم: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». قَالَ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود] (١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم].

خامساً: أن سرعة مرور المؤمن على الصراط بقدر أعماله التي كانت في الدنيا؛ فلذلك ينبغي له المسارعة إلى الخيرات والأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

(١) البخاري برقم (٤٦٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٨٣).





## تحريم الدخان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المعاصي التي انتشرت بين صفوف المسلمين، وابتلي بها كثير من الناس شرب الدخان، ولا يخفى على كل عاقل مطلع على مقاصد الشريعة الإسلامية تحريم هذا الدخان، وذلك من عدة وجوه:

أولاً: إنه من الخبائث، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

ولا شك أن الدخان من الخبائث، ولا ينكر ذلك إلا مكابر، أو صاحب هوى، وكثير من الذين شربوا الخمر، واستخدموا المخدرات كانت البداية هي الدخان، ثم تطور الأمر بعد ذلك، والمعصية تقول: أختي أختي، وثبت طبيياً أن ٨٠٪ من الذين استخدموا المخدرات كانت البداية هي التدخين.

ثانياً: إن في شربه إلقاء بالنفس إلى التهلكة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا

بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴿ [البقرة: ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تَحَسَّى سَمًا فَكَتَلَ نَفْسَهُ، فَسَمَّهُ فِي يَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

ولا شك بأن شارب الدخان إذا مات بسببه فإنه يعد قاتلاً لنفسه بتلك المواد السامة في السجائر وإن كان القتل بطيئاً، إذ لا خلاف بأن من تسبب في قتل نفسه، سواء كان القتل بطيئاً أو سريعاً فإنه يأثم بذلك.

ثالثاً: إن في شربه أضراراً صحية على البدن، وقد تعالت صيحات الأطباء بالتحذير منه، وقالوا: إن الدخان يحتوي على مواد سامة، من أهمها مادة النيكوتين، وهذه المادة لو وضع منها نقطتان في فم كلب لمات في الحال، وخمس نقاط تكفي لقتل جمل، ويقول أحد الأطباء: إن الكمية الموجودة من هذه المادة في سيجارة واحدة كافية لقتل إنسان لو أعطيت له بواسطة الوريد. وقد ذكر بعضهم أن أخوين تراهنا أيهما يدخن أكثر من الآخر، فمات أحدهما قبل السيجارة السابعة عشر، ومات الآخر قبل أن يتم الثامنة عشر.

ومن أشد الأمراض التي يحدثها التدخين مرض السرطان، يقول

(١) البخاري برقم (٥٧٧٨)، ومسلم برقم (١٠٩).

(٢) البخاري برقم (٦١٠٥)، ومسلم برقم (١١٠).

الأطباء: إن نسبة كبيرة من مرضى السرطان أصيبوا بهذا المرض بسبب الدخان، وأيضاً أمراض القلب والجهاز التنفسي.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لَا ضَرَرَ وَلَا إِضْرَارَ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: إن في شربه إضاعة للمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

ولا شك بأن شارب الدخان من أكثر المبذرين، ولو رأينا شخصاً يمسك الدراهم بيده، ويشعل النار فيها لقلنا: إنه مجنون.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي: أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟»<sup>(٢)</sup>.

خامساً: إن الدخان لا يقتصر ضرره على صاحبه، بل يتعدى ضرره إلى زوجته وأولاده وأقربائه وجلسائه، وقد تقرر عند الأطباء ذلك، وهو واضح من تلوث الهواء بالغازات السامة التي تنبعث منه، وتقدم في الحديث قوله ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا إِضْرَارَ».

سادساً: إن الدخان تنبعث منه رائحة خبيثة تكون في فم المدخن وبدنه وثيابه، تؤذي الجليس والأنيس، وخصوصاً عند دخوله المسجد واختلاطه بالمصلين، وقد أمر النبي ﷺ من وجدت منه رائحة الثوم والبصل ونحوها أن يخرج من المسجد، مع أنهما مما أحله الله، فكيف يكون نهيه إذا لصاحب الدخان؟ وهو القائل: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ

(١) (٥٥/٥) برقم (٢٨٦٥) وقال محققوه: حسن.

(٢) سبق تخريجه.

وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»<sup>(١)</sup>.

ومما ينبغي التنبيه عليه مقاطعة المحلات التجارية التي تباع هذه السموم على الناس، وفي المقابل تشجيع المحلات والدكاكين التي تمتنع عن بيع الدخان، وهذا من التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

قد يقول البعض من الناس: لا أستطيع ترك الدخان، فيقال له: أنت تترك الدخان في رمضان أكثر من عشر ساعات، فالمسألة تحتاج إلى عزيمة وإرادة، وقد جرب أناسٌ كثيرون فتعبوا في بداية الأمر، ولكن الله علم منهم صدق النية، فأعانهم وتركوه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

وهناك عيادات متخصصة لمعالجة المدخنين، ويقوم عليها إخوة أفاضل، وقد نفع الله بها، وترك الكثير من المدخنين شرب الدخان بعد مراجعة هذه العيادات وأخذ العلاج اللازم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ ﷻ، إِلَّا أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم (٨٥٤)، وصحيح مسلم برقم (٥٦٤).

(٢) سبق تخريجه.

## فضل يوم الجمعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله تعالى خص أمة محمد ﷺ بخصائص ومميزات عن بقية الأمم، ومن ذلك أنه جل وعلا اختار لهم هذا اليوم العظيم، وهو يوم الجمعة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله ﷺ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمَ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْأَخْرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا»<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن حبان وابن خزيمة في صحيحهما من حديث أبي هريرة

(١) برقم (٨٥٦)، ورواه البخاري بمعناه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٨٧٦).

(٢) برقم (٨٥٤).

أن النبي ﷺ قال: «لا تَطْلُعُ الشَّمْسُ ولا تَغْرُبُ على يوم أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلا وهي تَفْرَعُ يومَ الجمعةِ إلا هَدَيْنِ الثَّقَلَيْنِ الجنَّ والإنسَ»<sup>(١)</sup>.

ومن فضائل هذا اليوم: أن الله جعله عيداً للمسلمين، روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ، جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ»<sup>(٢)</sup> الحديث.

ومنها: أن فيه ساعة الإجابة، وهي الساعة التي لا يسأل الله عبد مسلم فيها شيئاً إلا أعطاه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهُ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَقَالَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا، يُزَهِّدُهَا»<sup>(٣)</sup>.

واختلف العلماء في وقتها على أقوال، أرجحها قولان:

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، وحجة هذا القول ما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة بن أبي موسى: أن عبد الله بن عمر قال له: أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة شيئاً؟ قال: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح ابن حبان برقم (٢٧٥٩) وصحيح ابن خزيمة برقم (١٧٢٧)، وقال محققه د/ محمد الأعظمي: إسناده صحيح.

(٢) برقم (١٠٩٨) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٨١) برقم (٩٠١).

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٢٩٤)، وصحيح مسلم (٨٥٢).

(٤) برقم (٨٥٣).

الثاني: أنها بعد العصر، وهو أرجح القولين، لما روى النسائي من حديث جابر رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَوْمَ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لَا يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»<sup>(١)</sup>.

وهذا القول هو قول أكثر السلف، وعليه أكثر الأحاديث، أما حديث أبي موسى السابق فقد أعل بعلل كثيرة أشار إليها الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري<sup>(٢)</sup>.

ومنها أنه يوم تكفير السيئات، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ، إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»<sup>(٣)</sup>.

ومن آداب يوم الجمعة التي ينبغي للمؤمن الحرص عليها:

أولاً: استحباب قراءة الإمام ع ﴿الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السَّجْدَةِ، وَ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ في فجر يوم الجمعة، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ﴿الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ ﴿السَّجْدَةَ، وَ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ﴾<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: استحباب كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه النسائي من حديث أوس بن أوس: «مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عليه السلام، وَفِيهِ قُبُضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قالوا:

(١) برقم (١٣٨٩) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٠٨/١) برقم (١٣١٦).

(٢) انظر: فتح الباري (٢/٤٢١ - ٤٢٢).

(٣) برقم (٢٣٣). (٤) برقم (٨٧٩).

يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟! أَيْ يَقُولُونَ: قَدْ بَلَيْتَ. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَرَّمَ عَلَيَّ الْأَرْضَ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ» (١).

وروى البيهقي في سننه من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» (٢).

ثالثاً: الأمر بالاغتسال فيه، وهو أمر مؤكد جداً، ويرى بعض العلماء وجوب الغسل، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَأَنْ يَسْتَنَّ، وَأَنْ يَمَسَّ طَيْبًا إِنْ وَجَدَ» (٣).

رابعاً: استحباب مس الطيب والسواك، ولبس أحسن الثياب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاسْتَاكَ وَمَسَّ مِنْ طَيْبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى رَكَعَ مَا شَاءَ أَنْ يَرُكَّعَ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا» (٤).

خامساً: استحباب قراءة سورة الكهف، روى الحاكم من حديث

(١) برقم (١٣٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/٢٩٧) برقم (١٣٠١).

(٢) (٢٤٩/٣) برقم (٥٧٩٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٠٧).

(٣) البخاري برقم (٨٨٠)، ومسلم برقم (٨٤٦).

(٤) (٢٩٢/١٨) برقم (١١٧٦٨) وقال محققوه: إسناده حسن.

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»<sup>(١)</sup>.

سادساً: استحباب التبكير إلى صلاة الجمعة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أوس بن أبي أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَغَسَلَ أَحَدُكُمْ رَأْسَهُ وَاغْتَسَلَ ثُمَّ غَدَا أَوْ ابْتَكَرَ، ثُمَّ دَنَا فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ خَطَاهَا كَصِيَامِ سَنَةٍ وَقِيَامِ سَنَةٍ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَانَ مَا قَرَّبَ بَدَنَهُ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَانَ مَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَانَ مَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَانَ مَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَانَ مَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»<sup>(٣)</sup>.

والتبكير إلى الصلاة يوم الجمعة من السنن العظيمة، التي قصر فيها كثير منا، ولعل فيما تقدم من الأحاديث الواردة في فضل التبكير ما يقوي العزائم، ويشحذ الهمم للمسارعة إلى هذا الفضل، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

وليحذر المسلم من التخلف عن صلاة الجمعة أو التساهل في ذلك، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر وأبي هريرة

(١) (١١٧/٣) برقم (٣٤٤٤) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٤٧٠).  
(٢) (٨٣/٢٦) برقم (١٦١٦١) وقال محققوه: حديث صحيح.  
(٣) صحيح البخاري برقم (٨٨١)، وصحيح مسلم برقم (٨٥٠).

حدثاه أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وُدِّهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم (٨٦٥).

## الأمانة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأخلاق الجميلة التي وصف الله بها أنبياءه وعباده المؤمنين الأمانة. فوصف بها موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. ووصف بها يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

وكذلك غيرهما من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيث كان كل واحد منهم يقيم الحجة على قومه بوجوب طاعته؛ لأن الله ائتمنه على رسالته، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧] وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ [الشعراء: ١٠٨].

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهورًا بينهم بأنه الأمين، فكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم، ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكل عليًا رد الودائع إلى أصحابها، وجبريل عليه السلام أمين الوحي، قد وصفه الله بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١١٣] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ [الشعراء: ١١٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ [الشعراء: ١١٤].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرْقَلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيِّ (١).

وهي من صفات المؤمنين المفلحين، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾ [المؤمنون].

وبهذه الأمانة يحفظ الدين، والأعراض، والأموال، والأرواح، والمعارف، والعلوم، والولاية، والوصاية، والشهادة، والقضاء، والكتابة، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢)﴾ [الأحزاب].

قال بعض المفسرين: المعنى أن الله ﷻ عرض طاعته وفرائضه على السماوات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثبتت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبت حملها شفقاً منها ألا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بالذي فيه الحظ له. اهـ (٢).

قال ابن جرير تعليقا على الآية الكريمة: وأولى الأقوال في ذلك

(١) البخاري برقم (٢٦٨١)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

(٢) تفسير الطبري (٣٣٩/١٠).

بالصواب ما قاله الذين قالوا إنه عني بالأمانة في هذا الموضوع جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس، وذلك أن الله لم يخص بقوله: ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ بعض معاني الأمانات لما وصفنا<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين، ونسب هذا القول لجمهور المفسرين، وقال بعضهم: كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة، كالصلاة، والزكاة، والصيام، وأداء الدين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار<sup>(٢)</sup>.

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث شداد بن أوس: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةَ»<sup>(٣)</sup>.

وأخبر النبي ﷺ أن فقدان الأمانة من علامات الساعة، فروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»<sup>(٤)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث حذيفة قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا فَقَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيُظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ، فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرِ دَحْرَجْتُهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا، - أي مرتفعًا - وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ،

(١) تفسير الطبري (٦٧١٥ / ٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٥ / ١٧).

(٣) (٢٩٥ / ٧) برقم (٧١٨٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٣).

(٤) رقم (٥٩).

فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي  
فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلُهُ! وَمَا أَظْرَفُهُ! وَمَا أَجَلَدَهُ! وَمَا فِي  
قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»<sup>(١)</sup>.

وأخبر النبي ﷺ أن إضاعة الأمانة من علامات النفاق، فروى  
البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ  
الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكرت الأمانة في القرآن على ثلاثة أوجه، قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَمَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>  
[الأنفال]. والمراد الفرائض.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾  
[النساء: ٥٨]. والمقصود الودائع، وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحَدُهُمَا يَتَأَبَّتِ  
أَسْتَعِجْرُهُ لِيَكْ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِي الْأَمِينُ﴾<sup>(٤)</sup> [القصص]. والمراد  
العفة والصيانة.

ومن الأمانة حفظ الأسرار الزوجية، فروى مسلم في صحيحه من  
حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ  
عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَىٰ امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ  
سِرَّهَا»<sup>(٥)</sup>.

ومنها عدل الحاكم بين الرعية، فروى مسلم من حديث أبي ذر رضي عنه  
قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي،

(١) البخاري برقم (٦٤٩٦)، ومسلم برقم (١٤٣).

(٢) البخاري برقم (٣٣)، ومسلم برقم (٥٩).

(٣) برقم (١٤٣٧).

ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»<sup>(١)</sup>.

ومما تقدم يتبين أن الأمانة أوسع مما يتصور بعض الناس أنها مقصورة على الودائع، فإنها تشمل أمانة الرجل على دينه أن يقوم به ويحافظ عليه، فوقت المسلم أمانة، وعرضه أمانة، وماله أمانة عنده، وسمعه وبصره ولسانه أمانة، وجوارحه على وجه العموم أمانة.

ومنها أمانة الراعي على رعيته، والرجل على أهل بيته، والمرأة على بيتها وأولادها، والمدير على موظفيه الذين يعملون عنده، والموظف في وظيفته، والمدرس على طلابه، وبالجملة فإن الأمانة تشمل جميع وظائف الدين، كما قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ.

اللهم اجعلنا ممن إذا أوْتِمن أدى الأمانة، اللهم إنا نعوذ بك من الخيانة وسائر الصفات الذميمة، اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، واجعلنا من الراشدين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





## صلة الأرحام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أنفس القرب، وأجل الطاعات، وأعلاها منزلة، وأعظمها بركة، وأعمها نفعاً في الدنيا والآخرة، صلة الأرحام، والأرحام هم أقارب الرجل نفسه، كأمه وأبيه، وابنه، وابنته، وأخته، وأخيه، وكل من كان بينه وبينه صلة من قبل أبيه، أو أمه، أو ابنه، أو ابنته، ولا يدخل في ذلك أقارب الزوج أو الزوجة، فهؤلاء يحسن إليهم، لكن ليسوا أرحاماً، وإنما هم أصهار، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ [الأنفال].

وقد أوصى الله تعالى بصلة الأرحام: وجعل الوصية بصلة الأرحام قرينة الوصية بالتقوى، قال تعالى: ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء].

أي اتقوا الله بفعل طاعته، وترك معصيته، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، لكن صلوها وبروها كما قال ابن عباس وغير واحد من السلف. قال تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ [الروم].

فبين سبحانه أن صلة الرحم حق لازم واجب الأداء، سواء كان حقاً مادياً أو معنوياً.

ولقد كانت الدعوة لصلة الرحم من أوائل ما دعا إليه النبي ﷺ أول بعثته، ففي الصحيحين في قصة أبي سفيان مع هرقل حين سأله هرقل: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ يعني النبي ﷺ، قال أبو سفيان: قُلْتُ: يَقُولُ: اَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ<sup>(١)</sup>.

وصلة الأرحام سبب لبسط الرزق وطول العمر في الدنيا، وفي الآخرة الفوز بالجنة والنجاة من النار.

ففي الصحيحين من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته، أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله، أو يا محمد، أخبرني بما يقربني من الجنة؟ وما يباعدني من النار؟ قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه، ثم قال: «لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ»، قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد. فقال النبي ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: «إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أَمَرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري برقم (٧)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

(٢) البخاري برقم (١٣٩٧) ومسلم برقم (٣٩).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٣).

(٤) البخاري برقم (٥٩٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

وقطיעة الرحم كبيرة من كبائر الذنوب، التي توعد الله صاحبها بألوان من الوعيد والعقوبات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ [الرعد].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحْمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهَوَ لَكَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد]»<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»<sup>(٢)</sup>.

وقاطع الرحم مهدد بعدم دخول الجنة، ففي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»<sup>(٣)</sup>.

والواصل لرحمه هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا

(١) البخاري برقم (٥٩٨٧)، ومسلم برقم (٢٥٥٤).

(٢) برقم (٢٥١١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٩٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٥٦). واللفظ لمسلم.

قَطَعَتْ رَحْمُهُ وَصَلَّهَا»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ؟! فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

قال شراح الحديث: أي كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم، ولكن ينالهم إثم عظيم لتقصيرهم بحقه، وإدخالهم الأذى عليه.

قال الشاعر:

وظَلُمْتُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدَّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ  
وتحصل صلة الرحم بالإحسان إليهم بما يتيسر من أنواع الإحسان، قال ابن أبي جمرة: تكون صلة الرحم بالمال، والعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالذعاء.

قال القرطبي: تجب مواصلتها - يعني الرحم - بالتواد والتناصح والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، والنفقة على القريب، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم. والمعنى الجامع للصلة أنها إيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم، بحسب الوسع والطاقة لكل شخص منهم بحسب منزلته وحاله، ومناسبة صلته، وتيسر ذلك. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(١) برقم (٥٩٩١).

(٢) برقم (٢٥٥٨).

قال الإمام النووي: قال أصحابنا: «يستحب أن يقدم الأم في البر، ثم الأب، ثم الأولاد، ثم الأجداد والجدات، ثم الإخوة والأخوات، ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام، كالأعمام والعمات، والأخوال والخالات، ويقدم الأقرب فالأقرب»<sup>(١)</sup>، إلى آخر ما قال.

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي رمثة رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول: «بِرُّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتِكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»<sup>(٢)</sup>.

والصدقة على ذي الرحم تضاعف لصاحبها، روى الترمذي في سننه من حديث سلمان بن عامر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث ميمونة بنت الحارث: أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً، وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي؟ قَالَ: «أَوْ فَعَلْتِ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ»<sup>(٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٠٣/٦).

(٢) (٢٠٩/٥) برقم (٧٣٢٧)، وقال محققه الشيخ عبد السلام علوش: له شواهد.

(٣) برقم (٦٥٨)، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٤) البخاري برقم (٢٥٩٢)، ومسلم برقم (٩٩٩).



## وقفه مع سورة الماعون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر، سورة الماعون، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللِّدِينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللِّدِينِ ﴿١﴾﴾ أي: أرايت يا محمد الذي لا يصدق بالجزاء وما فيه من ثواب وعقاب، وقيل: إنه عام لكل من يتوجه إليه الخطاب، وهؤلاء هم الذين ينكرون البعث، ﴿وَكَاذِبًا يَفُؤُونَ أَيَّدًا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الواقعة]، ويقول القائل منهم: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس].

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ أي الذي يقهر اليتيم، ويظلمه حقه، ولا يطعمه، ولا يحسن إليه، واليتيم هو الذي مات أبوه، وهو دون سن البلوغ، ذكراً كان أو أنثى.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ أي لا يأمر به من أجل بخله، أو تكذيبه بالجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ

الْيَتِيمَ ﴿٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿١٨﴾ [الفجر].

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون] فويل: أي عذاب لهم، قال بعض المفسرين: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد خروج الوقت.

روى أبو يعلى في مسنده من حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ سَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتَاهُ، أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ ﷺ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ أَيَّنَا لَا يَسْهُو؟ أَيَّنَا لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ؟! قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا إِضَاعَةُ الْوَقْتِ يَلْهُو حَتَّى يَضِيعَ الْوَقْتُ<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم].

وقال آخرون: يتركونها فلا يصلونها، وقد ورد ذلك عن ابن عباس، وقال: هم المنافقون الذين يتركون الصلاة سرًّا، ويصلونها علانية.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي يؤخرون الصلاة إلى آخر الوقت دائمًا أو غالبًا، وإما يقصرون عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، وكل من اتصف بشيء من ذلك له قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها، وكمل النفاق العملي، كما في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ، قَامَ

(١) (١/٣٣٦) برقم (٧٠٠)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٤٤١): إسناده

فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»<sup>(١)</sup>.

فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى كما ثبت به النص الى آخر وقتها وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن، ولا خشع أيضًا، ولهذا قال: لا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولعله إنما حملة على القيام إليها مراعاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو كما إذا لم يُصل بالكلية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

وقال تعالى ههنا: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾<sup>(٦)</sup> وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ<sup>(٧)</sup> أي: لا أحسنوا عبادة ربهم بإخلاص العبادة له، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما يُنتفع به، ويُستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم كالإناء، والدلو، والفأس، فهؤلاء؛ لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى<sup>(٢)</sup>. أه.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن فيها الحث على إطعام اليتيم والمسكين، والتحضيض على ذلك، روى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، وَأَحْسَبُهُ قَالَ: «وَالْقَائِمِ لَا يُفْتَرُ وَالصَّائِمِ لَا يُفْطَرُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) برقم (٦٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/٤٦٨ - ٤٧١).

(٣) برقم (٦٠٠٥).

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٠٠٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٢) واللفظ له.

ثانيًا: الحث على أداء الصلاة في وقتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَقْتِهَا»<sup>(١)</sup>.

ثالثًا: الحث على فعل المعروف، وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإئاء، والدلو، والكتاب، والفأس، ونحو ذلك؛ لأن الله ذم من لم يفعل ذلك.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو: أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً، أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ حَسَّانُ: فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ الْعَنْزِ، مِنْ رَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَنَحْوِهِ، فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً<sup>(٣)</sup>.

رابعًا: الحث على الإخلاص في العمل، والتحذير من الرياء والسمعة، كما قال تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَيَّ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾<sup>(٤)</sup> إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ [الإنسان].

روى البخاري ومسلم من حديث جندب: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»<sup>(٤)</sup>.

المعنى: أن من سمع فضحه الله، وبين للناس أن الرجل ليس

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٢٦٣١).

(٣) برقم (٢٦٣١).

(٤) البخاري برقم (٦٤٩٩)، ومسلم برقم (٢٩٨٧).

مخلصاً، ولكنه يريد أن يسمعه الناس فيمدحونه على عبادته، ومن رأى  
كذلك يفضحه الله، ويبين أمره إن عاجلاً أو آجلاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى  
آله وصحبه أجمعين.





## كلمة توجيهية للمدرسين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه بعض الوصايا التي أوصي بها نفسي وإخواني المدرسين، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها.

أولاً: إخلاص النية لله تعالى في تعليمهم أبناءهم وإخوانهم الطلاب، وتربيتهم على ما يرضي ربهم جل وعلا، والصبر على ذلك احتساباً للأجر منه، وابتغاء ثوابه، قال بعض أهل العلم: «الإخلاص هو ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله تعالى، ولا مجاز سواه، وهو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة الرسل ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١١١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١١٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١١٣) ﴿ [الأنعام].

والإخلاص شرط لقبول العمل، فإن العمل لا يقبل إلا بشرطين: الأول: أن يكون العمل ظاهره موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بينه رسول الله ﷺ، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث

عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (١).

الثاني: أن يكون العمل خالصًا لوجه الله تعالى، روى البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» (٢).

قال الفضيل بن عياض: أحسن عملاً أخلصه وأصوبه، وقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة (٣).

ومن أعظم الدلائل على الإخلاص: أن العبد يعمل العمل الصالح، ثم لا يبالي باطلاع الناس عليه، بل لو نسب إلى غيره لأفرحه ذلك لعلمه أنه محفوظ عند الله تعالى.

وقيل لسهل التستري: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس له فيها نصيب - أي من الدنيا -.

ثانيًا: تقوى الله عز وجل، ومراقبته في السر والعلن، فإن تقوى الله عز وجل وصيته للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يوصي أصحابه بتقوى الله، ففي حديث العرباض بن سارية: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ

(١) البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

(٣) مدارج السالكين (٩٣/٢).

## وَالطَّاعَةَ» (١).

قال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله».

والحذر من المعاصي كبيرها وصغيرها، فقد وعد الله تعالى من اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر، ويدخله مدخلا كريما، قال تعالى: ﴿إِنْ جَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. أي كثير الخير والبركة، والحذر من صغائر الذنوب، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ» (٢).

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ.

قال الأوزاعي: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ».

ثالثاً: القدوة الحسنة، فمن المعلوم أن الطالب يتأثر بمعلمه، ويحب تقليده والافتداء به، فيجب على المربين والمعلمين ألا تخالف أقوالهم أفعالهم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

وقال تعالى عن نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا

(١) سنن أبي داود برقم (٤٦٠٧) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٧١) برقم (٣٨٥١).

(٢) برقم (٦٤٩٢).

أَنهَٰكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴿ [هود: ٨٨].

قال الشاعر:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثلهُ عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ  
 رابعاً: حسن الخلق، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ  
 إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ [الإسراء].  
 قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا  
 الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [فصلت].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال:  
 «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ  
 لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبُذِيءَ»<sup>(١)</sup>.

وحسن الخلق يشمل جوانب كثيرة من حياة المسلم في أقواله  
 وأعماله؛ في عبادته لربه، وتعامله مع عباده، قال عبد الله بن المبارك:  
 «حُسْنُ الْخُلُقِ طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَأَنْ تَحْتَمَلَ  
 مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ».

فأوصي أخي المدرس أن يكون حسن الخلق مع زملائه، ومع  
 طلابه، ومع أولياء أمورهم، وأن يكون رفيقاً في تعامله معهم.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ قال:  
 «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان النبي ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فمن أحب أن يهتدي

(١) برقم (٢٠٠٢)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٢٥٩٣).

إلى معالي الأخلاق، فليقتد بمحمد ﷺ، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه قال: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُمَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتُهُ؟»<sup>(١)</sup>.

خامسًا: أن يحرص المدرس على تربية طلابه تربية صالحة فيعلمهم أمور الإسلام والإيمان، ويغرس محبة الله وتعظيمه في قلوبهم، ويحبب إليهم النبي ﷺ، ويبين لهم وجوب اتباعه، والعمل بسنته، والاقترداء به، ويعلمهم الآداب الحسنة، والأخلاق الكريمة، كآداب المسجد، والمجلس، واحترام المعلم والكبير، والأدب مع الزملاء والأصدقاء، ويعودهم على الكلام الحسن، ويحذرهم من الألفاظ القبيحة، وغير ذلك من جميل الآداب وكريم الخصال.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٢٠١٥)، وأصله في الصحيحين.



## الكلمة المئة وأربع وعشرون

### غض البصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الفتن التي يواجهها المسلم في هذه الحياة فتنة النظر إلى النساء وهذه الفتنة تواجهه في السوق، وفي الطرقات، وفي الأماكن العامة، وفي الجرائد والمجلات، وفي غير ذلك، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمور المعينة للتغلب على هذه الفتنة:

أولاً: استحضار النصوص الواردة في الأمر بغض البصر، والنهي عن إطلاقه في الحرام، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور].

(١) البخاري برقم (٥٠٩٦)، ومسلم برقم (٢٧٤٠).

(٢) برقم (٢٧٤٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما:  
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزَّانَا، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا  
 مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ  
 زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى  
 وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»<sup>(١)</sup>، وروى مسلم في صحيحه من  
 حديث جرير بن عبد الله قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟  
 فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصْرِي»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن بريدة عن أبيه قال: قال  
 رسول الله ﷺ لعلي: «يَا عَلِيُّ، لَا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى،  
 وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: استحضر العبد اطلاع الله عليه، وإحاطته به لكي يخاف،  
 ويستحي منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ  
 أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا  
 تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ  
 أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وجاء في الأحاديث المختارة عن سعيد بن زيد أن رجلاً قال  
 لرسول الله ﷺ: أوصني، قال: «أوصيك أن تستحي الله ﷻ، كما تستحي  
 رجلاً صالحاً من قومك»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٢٤٣)، وصحيح مسلم (٢٦٥٧).

(٢) برقم (٢١٥٩).

(٣) برقم (٢١٤٩) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٣/٢) برقم (١٨٨١).

(٤) الأحاديث المختارة (٢٩٩/٣) برقم (١٠٩٩)، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في

صحيح الجامع الصغير (٤٩٨/١) برقم (٢٥٤١).

ثالثاً: أن يتذكر العبد شهادة العينين عليه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت]، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «مِنْ مُحَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُحَلَّىٰ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ الْكَلَامِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلٌّ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: أن يتذكر العبد منافع، وثمرات غض البصر، قال ابن القيم رحمته الله: «ومن ثمراته:

أ - أن في غضه امتثال لأمر الله، الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاذه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

ب - أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه، قال الشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّظْرِ      وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصَغَرِ الشَّرِّ  
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا      فِي أَعْيُنِ الْغَيْرِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطْرِ  
كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا      فَتَكَ السَّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتْرِ  
يَسُرُّ نَاطِرُهُ مَا ضَرَّ خَاطِرُهُ      لَا مَرَحِبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرْرِ

(١) برقم (٢٩٦٩).

وقال آخر:

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا      لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبَتِكَ الْمَنَاظِرُ  
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُفْلَهُ أَنْتَ قَادِرٌ      عَلَيْهِ وَلَا عَن بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

ج- أنه يورث القلب سرورًا، وانشراحًا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك بقهر عدوه بمخالفة نفسه وهواه<sup>(١)</sup>، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة، وأبي الدهماء: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا أَبَدَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

د - أنه يكسب القلب نورًا، كما أن إطلاقه يكسب القلب ظلمة، ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر، فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(٣٠)</sup> [النور].

ثم قال إثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

أي مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل جانب، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان<sup>(٣)</sup>.

خامسًا: الزواج وهو من أنفع العلاج وأقواه في معالجة هذا الأمر، روى البخاري، ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٥٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٥٨).

لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»<sup>(١)</sup>.

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من شر البصر الذي يؤدي إطلاقه إلى كل شر، فروى البخاري في الأدب المفرد من حديث شكل بن حميد رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني دعاءً أنتفع به. قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ عَافِنِي مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَلِسَانِي، وَقَلْبِي، وَشَرِّ مَنِّي»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «وَبَصَرِي»: كي لا أنظر إلى محرم، وفي هذا الحديث الالتجاء إلى الله تعالى بالمعافاة من شر السمع والبصر واللسان والقلب، والمني؛ لأن هذه الحواس والأشياء خلقت للطاعة<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

(٢) (٦٦٣) واللفظ له، وأبو داود برقم (١٥٥١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥١٥).

(٣) الشرح الممتع (٢٢/٤).



## تحريم حلق اللحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المعاصي التي انتشرت بين صفوف الناس، وابتلي بها كثير من المسلمين حلق اللحية.

روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جرير رضي عنه قال: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنِي: «فِيَمَا اسْتَطَعْتَ»، وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ<sup>(٢)</sup>.

وعملاً بهذا التوجيه النبوي الكريم كانت هذه الكلمة للتذكير بتحريم حلق اللحية.

واللحية اسم جامع للشعر النابت على العارضين والخددين والذقن، وقد وردت النصوص الشرعية بالتحذير من حلقها، أو أخذ جزء منها، وذلك من عدة وجوه:

(٢) برقم (٥٦).

(١) برقم (٥٥).

أولاً: أنه تغيير لخلق الله، قال تعالى حاكياً عن إبليس لعنه الله: ﴿وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ ءَآذَانَ الْاَنْعَمِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرْتَ خَلْقَ اَللّٰهِ﴾ [النساء: ١١٩].

فالواجب على المسلم أن لا يتعرض لشيء مما خلقه الله بالتغيير، إلا ما أذن الشرع في أخذه، مثل شعر الرأس، والشارب، والإبطين، والأظافر، وغير ذلك مما أذن فيه الشرع، وإذا كانت المرأة التي تقوم بتنف الحاجبين، وتفليج الأسنان للحسن، قد لعنها رسول الله ﷺ كما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَعَنَ اَللّٰهُ اَلْوَاشِمَاتِ، وَالمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ، وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اَللّٰهِ» ما لي لا ألعن من لعن رسول الله وهو في كتاب الله <sup>(١)</sup>.

وعلة ذلك أنها غيرت خلق الله، مع أنه مباح لها الزينة، فالرجل من باب أولى، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اَللّٰهِ اَلَّتِي فَطَرَ اَلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّيْلَ لِخَلْقِ اَللّٰهِ ذَلِكَ اَلدِّينُ اَلْقَيِّمُ وَلَكِنْ اَكْثَرَ اَلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

ثانياً: أن اللحية من سنن الفطرة، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة: أن النبي ﷺ قال: «عَشْرٌ مِنَ اَلْفِطْرَةِ ... وَذَكَرَ مِنْهَا: قَصَّ الشَّارِبِ، وَاعْفَاءَ اللِّحْيَةِ» <sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: أن في حلقها مخالفة للأحاديث الصحيحة الموجبة لإعفائها، وهي كثيرة، ومقتضى الأمر الوجوب ما لم يأت صارف عن هذا الأمر، فدل على أن إعفاءها أمر واجب على كل مسلم، قال

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٤٣)، وصحيح مسلم برقم (٢١٢٥).

(٢) برقم (٢٦١).

تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ومن هذه الأحاديث ما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنْهَكُوا الشَّوَارِبَ - يَعْنِي: حُقُفُوا الشَّوَارِبَ -، وَأَعْفُوا اللَّحْيَ»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر: عن النبي ﷺ: أَنَّهُ أَمَرَ بِإِحْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَإِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ<sup>(٢)</sup>، وقد عد النووي الألفاظ التي وردت في اللحية، فبلغت خمسًا، وهي: أعفوا، وأرخوا، وأوفوا، وأرجوا، ووفروا، وهذه تدل على ترك اللحية وافرة، وعدم التعرض لها بشيء من الحلق أو التنف أو التقصير<sup>(٣)</sup>.

رابعًا: أن في حلقها تشبهاً بالمشركين والمجوس واليهود والنصارى، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفَرُّوا اللَّحْيَ، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ»<sup>(٤)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديثه: أن النبي ﷺ قال: «جُزُوا الشَّوَارِبَ، وَأَزْحُوا اللَّحْيَ، خَالِفُوا الْمَجُوسَ»<sup>(٥)</sup>. وذلك أن المجوس يطيلون الشوارب، ويقصون اللحية، وبعضهم يحلقها تمامًا، فنهانا النبي ﷺ عن التشبه بهم في هذا وذلك، وفي الحديث الذي رواه ابن

(١) البخاري برقم (٥٨٩٣)، ومسلم برقم (٢٥٩).

(٢) برقم (٢٥٩).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٥١).

(٤) البخاري برقم (٥٨٩٢)، ومسلم برقم (٢٥٩).

(٥) برقم (٢٦٠).

جرير، وابن سعد في الطبقات في قصة رسولي كسرى حينما رأهما النبي ﷺ وقد حلق كل واحد منهما لحيته، ووفرا شاربيهما، فأعرض عنهما النبي ﷺ وقال: «وَيْلَكُمْ، مَنْ أَمَرَكُمْ بِهَذَا؟»، فقالا: أمرنا ربنا، يعينان كسرى، فقال لهما النبي ﷺ: «وَلَكِنْ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعْفِيَ لِحْيَتِي، وَأَنْ أَقْصَّ شَارِبِي»<sup>(١)</sup>.

فإذا كان النبي ﷺ أنكر على هذين الرجلين، مع العلم بأنهما كافران من المجوس، فالمسلم من باب أولى.  
إضافة إلى أن اللحية زينة وجمال للرجل.

خامساً: إن في حلقها مخالفة لسنة النبي ﷺ والأنبياء قبله، والخلفاء الراشدين والصحابة من بعدهم، قال تعالى حاكياً عن هارون وهو يخاطب موسى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [٤٤] [طه].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: إذا ضمت هذه الآية إلى آية الأنعام التي ذكر فيها ﷺ الأنبياء، ثم قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبُهِدْتُهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]. دلت على لزوم إعفاء اللحية وهذا دليل من كتاب الله.

وإعفاء اللحية من السمات التي أمرنا به في القرآن العظيم، وأنه كان سمات الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، والعجب من الذين مسخت ضمائرهم، واضمحل ذوقهم، حتى صاروا يفرون من صفات الذكورية، وشرف الرجولة إلى خنوثة الأنوثة، ويمثلون بوجوههم

(١) أخرجه ابن جرير (٢/٢٦٦) وابن سعد في الطبقات (١/١٤٧/٢)، وهو حسن انظر: تخريج فقه السيرة (ص ٣٥٩) للألباني، والعزو منه.

بحلق أذقانهم، ويتشبهون بالنساء، حيث يحاولون القضاء على أعظم الفوارق الحسية بين الذكر والأنثى، وهو اللحية، وقد كَانَ ﷺ كَثَّ اللِّحْيَةِ، وهو أجمل الخلق وأحسنهم صورة، والرجال الذين أخذوا كنوز كسرى وقيصر، ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها ليس فيهم حالق، نرجوا الله أن يرينا وإخواننا المؤمنين الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه<sup>(١)</sup>. اهـ.

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ<sup>(٢)</sup>، وفي صحيح البخاري من حديث أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: «قُلْنَا لِحَبَّابٍ: أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْنَا: بِمَ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ؟ قَالَ: بِاضْطِرَابِ لِحْيَتِهِ»<sup>(٣)</sup>، وهذا دليل على أنه كان يعفيها ولا يأخذ منها شيئاً، وهكذا الصحابة جميعاً ولم يعرف حلق اللحية إلا في الأزمنة المتأخرة.

وبعض الناس يثير شبهة إذا نصحته بعدم حلق اللحية، فيقول: الإيمان بالقلب، وليست القضية تربية اللحية، فكم من إنسان حلق اللحية خدم الإسلام والمسلمين، وكم من إنسان أعفى لحيته وعليه من التقصير ما الله به عليم؟

فالجواب عن ذلك أن على المؤمن الالتزام بأوامر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣١)</sup> [آل عمران]. وقال ﷺ: «مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أضواء البيان (٣/٦٤).

(٢) قطعة من حديث برقم (٢٣٤٤).

(٣) برقم (٧٤٦).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨) وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذه شبهة باطلة، لو أخذنا بها لتركنا كثيرًا من الأوامر والنواهي التي جاء بها الشرع. ثم إن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، فلا يكفي التصديق بالقلب، بل لا بد من العمل، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



### كلمة توجيهية للمرأة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

روى الترمذي في سننه من حديث أمِّ عَمَارَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرِّجَالِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذَكَّرْنَ بِشَيْءٍ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ (١).

وهذه بعض الوصايا التي أوصي بها أخواتي المسلمات، وأسأل الله أن ينفع بها، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

(١) برقم (٣٢١١)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٩٢/٣) برقم (٢٥٦٥).

الوصية الأولى: التمسك بالتوحيد، والحذر من الشرك، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان].

وقد ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، أن أصل دين الإسلام وقاعدته أمران عظيمان، وهما:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاتة فيه، وتكفير من تركه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّاهِلَ الْكُفْرُ بِتَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

فأمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى (لا إله إلا الله) الذي دعا إليه العرب وغيرهم، والكلمة السواء هي (لا إله إلا الله)، أي لا معبود بحق إلا الله، فلا دعاء ولا استغاثة، ولا ذبح، ولا نذر، ولا غير ذلك من العبادات إلا لله سبحانه، وهذه هي دعوة الرسل ﷺ.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل، أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والشرك محبط لجميع الأعمال، كبيرها وصغيرها، ولا يقبل الله من صاحبه صرفاً ولا عدلاً، ولا فرضاً ولا نفلاً، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا

عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ [الفرقان] (١).

وإن مما تقشعر منه القلوب والأبدان، وهو منذر بخطر عظيم يداهم الأمة في أفضل ما تملكه وتعز به، ألا وهو ما يبثه الكفرة أعداء الإسلام عبر القنوات الفضائية، وغيرها من الوسائل من الدعايات الهدامة التي تسعى إلى تشكيك المسلمين في دينهم، وتدعوهم بمكر ودهاء إلى الانسلاخ منه، فالحذر الحذر، وهذا هو الخطر الأول.

أما الخطر الثاني: فمما يلاحظ انتشار الكهانة والسحر، وكثرة المرتادين لهم بعذر التداوي ونحوه، ولا يجوز للمسلمة الذهاب إلى هؤلاء الكهنة الذين يدعون معرفة المغيبات، لتعرف منهم مرضها، كما لا يجوز لها أن تصدقهم فيما يخبرونها به، فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادعوا علم الغيب، روى مسلم في صحيحه من حديث صفية: عن بعض أزواج النبي ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» (٢).

وهناك الأخطار الكثيرة التي لا يمكن الخلاص منها إلا بما سبق ذكره من تحقيق التوحيد، والتمسك به، ومعرفة الشرك والكفر والحذر منهما، والبراءة من أهلها.

الوصية الثانية: المحافظة على هذه الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها، قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة].

(١) انظر: مجموعة التوحيد (ص ٤٥ - ٤٨).

(٢) برقم (٢٢٣٠).

وهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، روى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث عبد الله بن قرط: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»<sup>(١)</sup>.

وكان من آخر ما وصى به النبي ﷺ وهو يعالج سكرات الموت أن قال: «الصَّلَاةُ، الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيَّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

واعلمي أختي المسلمة أنه لا يكتمل إسلام المرأة إلا بالقيام بأركان الإسلام الخمسة، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»<sup>(٤)</sup>.

الوصية الثالثة: التفقه في الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية رضي الله عنه: أن

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم (١٤٢٠)، قال أبو عمر النمري: لم يختلف عن مالك في إسناد هذا الحديث وهو صحيح ثابت، سنن أبي داود ص ١٧٢.

(٤) سبق تخريجه.

النبي ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (١).

لذلك ينبغي للمرأة المسلمة أن تحرص على تعلم أمور دينها، كحضور الدروس والمحاضرات، والاستماع إلى الأشرطة المفيدة، وقراءة الكتب النافعة، ومن أهمها حفظ كتاب الله، فهو رأس العلوم كلها، ومنبع الحكم، ورياض الصالحين، والعصمة من الضلال لمن تدبره وعمل به، تقول عائشة رضي الله عنها: «نِعَمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ» (٢).

الوصية الرابعة: تقوى الله عز وجل ومراقبته في السر والعلن، فإن تقوى الله وصية الله للأولين والآخرين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وكان النبي ﷺ كثيراً ما يوصي أصحابه بتقوى الله، وفي حديث العرباض بن سارية: أن النبي ﷺ قال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ» (٣).

والحذر من المعاصي، كبيرها وصغيرها، فقد وعد الله تعالى من اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر، وأن يدخله مدخلاً كريماً، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

الوصية الخامسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:

(١) البخاري برقم (٣١١٦)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم.

(٣) سبق تخريجه.

﴿ يَنْسَاءُ النَّبِيَّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب].

وهذا خطاب لنساء النبي ﷺ، صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مخاطبات بذلك. قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة].

فعلى المرأة المسلمة أن تحرص على هذه الشعيرة العظيمة، خاصة في بيتها مع أولادها وأقاربها، وإذا رأت من أخواتها المسلمات تقصيراً في طاعة الله في صلاتهن أو صيامهن، أو حقوق أزواجهن، أو غير ذلك، فعليها أن تنصحن بالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، مقتدية في ذلك بنساء الصحابة رضي الله عنهن.

الوصية السادسة: الاتصاف بصفة الحياء، قال تعالى عن موسى ﷺ عندما سقى المرأتين: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص: ٢٥].

والملاحظ أن خلق الحياء أصبح ضعيفاً عند كثير من النساء، ومن صور ذلك خروج المرأة مع السائق بمفردها، أو لبس النقاب الذي يوضع على منتصف الأنف، فيستر ما تحت ذلك، ويظهر العينين والجبهة، أو لبس البنطال أمام النساء، أو وضع العباءة على الكتف، أو لبس الملابس الضيقة أو المفتوحة، أو العارية. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا ... وذكر أحدهما: نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَحِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ

مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»<sup>(١)</sup>.

فعلى المرأة المسلمة أن تتنبه لما يريده أعداء الله، فهم يريدون انحلالها، وأن تصبح سلعة رخيصة بأيديهم، ويريدون سلخها من إيمانها ودينها، وخروجها عن فطرتها التي فطرها الله عليها، فعليها أن تكون على حذر من ذلك.

الوصية السابعة: الإكثار من الصدقة، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(١١٤)</sup> [النساء].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾<sup>(٣٩)</sup> [سبأ].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ وعظ النساء، وقال: «أَكْثَرُنَ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ كُنَّ حَطْبُ جَهَنَّمَ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه ﷺ، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسله، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة، ويحث عليها، ويدعو إليها بماله وقوله، ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدرًا، وأطيبهم عيشًا، وأنعمهم قلبًا، فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في انشراح الصدر. اهـ<sup>(٣)</sup>.

ومن أفضل أنواع الصدقة التي تستمر للعبد بعد وفاته الصدقة

(٢) برقم (٨٨٥).

(١) برقم (٢١٢٨).

(٣) زاد المعاد (٢/ ٢١ - ٢٢) بتصرف.

الجارية، كحفر الآبار، وبناء المساجد، وطباعة الكتب، والأوقاف الخيرية على الفقراء والمساكين، ونحو ذلك.

الوصية الثامنة: الابتعاد عن رفيقات السوء، فقد أخبر تعالى أن الإنسان يندم يوم القيامة على مصاحبته للجلسيس السوء الذي أضله وأبعده عن طريق الحق، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٢٧) يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانَا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٧) [الزخرف].

روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»<sup>(١)</sup>.

وكم من فتاة فشلت في دراستها بسبب رفيقات السوء، وكم من فتاة انتهك عرضها، وخسرت كرامتها بسبب رفيقات السوء، وكم من فتاة وقعت في المخدرات والمسكرات، وما ترتب على ذلك من مآسي كثيرة بسبب ذلك.

لذلك أوصي أخواتي المسلمات بالحرص على الرفقة الصالحة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري برقم (٥٥٣٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٨).

## خطر التلفاز

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا هذا اليوم عن فتنة دخلت كل بيت إلا من رحم الله؛ إنه التلفاز، ولعل الكلام فيه يكون في العناصر التالية:

أولاً: المخالفات الشرعية فيه.

ثانياً: أقوال العلماء فيه.

ثالثاً: شبهات والجواب عنها.

رابعاً: الحل.

فمن تلك المخالفات الشرعية: ما يتعلق بأمور العقيدة، وهو أخطر ما يكون، فهو يعرض صور الكفار وحضارتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب بهم، والميل إليهم، وبالتالي يضعف جانب البراءة من المشركين والكفار المأمور به في الآيات الكريمات، والأحاديث النبوية الشريفة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

عَنْهُ أَوْلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: إظهار بعض الشعائر الإسلامية بصور كريهة، كوضع اللحية على رجل ناقص العقل، وتشويه صورة الحجاب، ولمز الصالحين وأهل الخير، ونحو ذلك مما فيه استهزاء بشعائر الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿﴾ [التوبة].

ومنها: ما يسمى بأفلام الكرتون، وتعرض هذه الأفلام بطريقة خبيثة يتلقى فيها الأطفال ما يخالف العقيدة الإسلامية، والآداب الفاضلة، من الكفر والضلال والعشق، فقد ذكرت الأخت طيبة الياحي في كتابها «بصمات على ولدي»، بعد مشاهدتها لعدد من برامج الأطفال ما خلاصته: «أن هذه البرامج تحتوي على مخالفات شرعية كثيرة، مثل صور الصليب، والتبرج، والاختلاط، وسماع الموسيقى، وشرب الدخان»، وفيها يقول أحدهم وهو يخاطب زميله: كما كنت حين صنعتك، وكأنه الخالق الذي يخلق البشر، وقول آخر: «إن نظامهم يسيطر على كل المجرات في الكون ما خلا المجموعة الشمسية»، وهذا كفر، فنظام من ذلك الذي يسيطر على كل المجرات تلك السيطرة إلا ناموس الخالق جل وعلا. وينبغي على الآباء أن يعلموا الأبناء أن أكثر برامج التلفاز،

(١) سبق تخريجه.

وخاصة المسلسلات والأفلام، وحتى الكارتونية منها مصدرها الدول الأجنبية (الكافرة) المعادية للإسلام والمسلمين، والتي لا شيء أحب إلى قلبها من إفساد المسلمين، وصرفهم عن دينهم وخلقهم وتراثهم الخير، حتى يبقوا دائماً وأبداً تحت سيطرتهم، مع إعلامهم أن اليهودية العالمية هي التي تسيطر على جميع وسائل الإعلام، والوكالات في الغرب، لذلك لا تقدم لنا إلا الشر بأثواب براقه خداعة<sup>(١)</sup>.

وغير ذلك من المخالفات الكثيرة، مما يقدر في عقيدة الطفل وسلوكه وأخلاقه.

ومن المخالفات الشرعية الأخرى تصوير الاختلاط بين الرجال والنساء، على أنه أمر عادي لا حرمة فيه عن طريق المسلسلات، وقصص الحب والغرام، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

والمؤمن مأمور بغض البصر عن النساء الأجنبية، قال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور].

روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؟ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»<sup>(٢)</sup>.

فكيف بمن يتعمد النظر إلى النساء العاريات وهن بكامل زينتهن على شاشة التلفاز، وكذلك رؤية النساء للرجال الأجانب وهم بكامل

(١) انظر: (ص ٥٧، ٦٧، ٨١). من كتاب الأخذ طيبة يحيى.

(٢) سبق تخريجه.

زيتهم، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

ومنها: الغناء المصحوب بالمعازف، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦].

وأكثر المفسرين كابن عباس وابن مسعود على أنه الغناء.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ»<sup>(١)</sup>.

أقوال العلماء فيه: سئل المشايخ عبد الله بن حميد، وعبد العزيز ابن باز، وابن عثيمين رحمهم الله عن التلفاز، هل هو حرام أو حلال؟ فأجابوا بأن التلفاز آلة لا نستطيع أن نحرمها، تستخدم للخير أو الشر، فإن استخدم التلفاز في محرم، مثل الغناء الماجن، وإظهار صور فاتنة، وتمثيلات هابطة، فيها كذب وخيانات زوجية، واختلاط بين الرجال والنساء، ومسلسلات بوليسية إجرامية، فإنه حرام، وإن استعمل في الخير كقراءة القرآن، وإبانة الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذلك جائز، وإن تساوى الأمران، أو غلب جانب الشر كما هو الحال الآن، فهو حرام<sup>(٢)</sup>.

وسئلت اللجنة الدائمة عن التلفاز، فقالوا: إنه آلة تستخدم للخير والشر، بحسب الحال التي تستخدم فيه، ولكن الأحوط ترك إدخاله، لأنه

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: رسالة الجواب المفيد في حكم التصوير، للشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله، وبها ملحق عن حكم التلفاز.

قد يكون وسيلة إلى سماع ما يحرم، وذريعة إلى رؤية ما تنشأ منه فتنة من الصور العارية، وحركاتها الفاتنة<sup>(١)</sup>.

شبهات والجواب عنها:

قد يقول قائل: ما هو البديل للتلفاز؟

وهذا هو الخطأ الفادح، وهو مطالبة المسلم دائماً بالبدايل في كل شيء منع منه، وحرم عليه، مع أن الواجب على المسلم أن يقول: سمعنا وأطعنا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور].

والبدايل كثيرة، منها: حلقات تحفيظ القرآن الكريم، أو المحاضرات القيمة التي تقام في المساجد أو المؤسسات الخيرية، أو شراء الكتب النافعة، أو الأشرطة المفيدة، أو المسابقات الثقافية، وغير ذلك من البدائل التي لا تخفى على الجميع.

ومن الشبهات كذلك: قول بعضهم: إنه يشاهد في هذا التلفاز الصلاة في الحرم المكي، والبرامج الدينية، والأخبار، فيقال: إن هذا موجود في إذاعة القرآن الكريم، وأفضل منه، وقد نصح الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ بالاستماع إليها.

ومنها قول بعضهم: أعلم أن التلفزيون بوضعه الحالي لا يجوز بقاءه في بيتي، ولكن إذا لم أحضره للأولاد ذهبوا يشاهدونه عند الجيران، أو في أماكن أخرى، فيقال:

أولاً: إن المنكر لا يزال بمنكر مثله، بل ينبغي أن تبين لهم أن

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، (٢٦ / ٢٧١ - ٢٧٢) رقم (٢١٣٣).

المشاهدة لتلك البرامج حرام هنا وعند الجيران.

ثانياً: المنكر المترتب على اقتناء التلفزيون في البيت أعظم من المنكر المترتب على ذهابهم للمشاهدة عند الجيران؛ لأن ذهابهم عند الجيران سيقصر على أوقات محدودة، أما وجوده في البيت فسوف يسهل لهم رؤية المنكرات في كل وقت.

أخيراً: تذكر يا عبد الله أن الموت قد يأتيك بغتة، وهذا الجهاز في بيتك، واسمع إلى هذا الحديث الذي تفرع لهوله القلوب، وتشيب منه الرؤوس، وترتعد منه الفرائص: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

## ذم الترف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [١٦] ﴿ [الإسراء].

المترف: هو المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، والمعنى أن الله تعالى أمر هؤلاء المترفين بطاعته فلم يمتثلوا أمره، بل فسقوا وأفسدوا، فحق عليهم العذاب والدمار، وقد أخبر ﷺ عن حال هؤلاء المترفين، وأنهم أتتهم آيات الله ونذره فأعرضوا عنها واستكبروا عليها، فأخذهم العذاب، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المؤمنون].

وقد أخبر ﷺ أن الترف من صفات الكفار، قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ [الواقعة] أي منعمين مقبلين على الشهوات والملذات، وقد بين سبحانه أن عاقبة الترف وخيمة في الدنيا والآخرة، فقال عن نبيه صالح، وهو يخاطب قومه ثمود، وكانوا عرباً

يسكنون مدينة الحجر التي بين واد القرى وبلاد الشام، ومساكنهم معروفة، وتسمى الآن مدائن صالح: ﴿أَتُرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ﴾ (١٤٦) فِي جَنَّتِ وَعُيُونِ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرَاهِينَ ﴿١٤٩﴾ إِلَى أَنْ قَالَ ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ [الشعراء]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى واعظاً لهم، ومحذرهم نقم الله أن تحل بهم، ومذكراً بنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة، وجعلهم في أمن من المحذورات، وأنت لهم من الجنات، وفجر لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزرع والثمار، ولهذا قال: ﴿وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَضِيمٌ﴾ قال: إذا رطب واسترخى، وتنحون من الجبال بيوتاً فارهين، قال ابن عباس وغير واحد: حاذقين، وفي رواية عنه: شرهين أشرين، وهو اختيار مجاهد وجماعة، ولا منافاة بينهم، فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكنها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم. اهـ (١).

الشاهد أنهم كانوا يعيشون حياة الترف، فكذبوا رسولهم، فكان عاقبتهم الهلاك في الدنيا والآخرة.

ولقد أخبر النبي ﷺ أن المترفين في الدنيا ينسون ما كانوا فيه من النعيم في الآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِأَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٣٦٢ - ٣٦٣).

رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»<sup>(١)</sup>.

ولقد كان نبينا محمد ﷺ من أبعد الناس عن الترف، روى البخاري ومسلم من حديث عمر رضي عنه: أنه أتى النبي ﷺ، فراه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء، وقال: يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه، وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس، وقال: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال ﷺ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا» وفي رواية: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟!»<sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر هذا الترف في وقتنا الحاضر: الإغراق في الكماليات بشكل عجيب، فعلى سبيل المثال بعض الأسر تغير أثاث المنزل بشكل سنوي حتى لو كان بحالة جيدة، وتدفع في ذلك المبالغ الطائلة.

ومنها قيام بعض الأسر بشراء المأكولات والمشروبات بشكل يومي من المطاعم الغالية الثمن من غير حاجة إلى ذلك.

ومنها أن بعض النساء تقوم بتغيير ملابسها بشكل مستمر في كل مناسبة أو عرس، حتى لو كان هذا الثوب لم يستعمل إلا مرة واحدة، وتدفع في ذلك المبالغ الطائلة.

ومنها سفر بعض الناس للسياحة سنويا، ويدفعون في ذلك المبالغ الطائلة حتى لو كانت هذه المبالغ بالدين، وغير ذلك من مظاهر الترف.

ومن المفاسد التي تنتج عن الترف:

(١) برقم (٢٨٠٧).

(٢) البخاري برقم (٤٩١٣)، ومسلم برقم (١٤٧٩).

أولاً: الأمراض الكثيرة في وقتنا الحاضر، كمرض السمينة، وأمراض القلب، والجلطات، وغيرها.

ثانياً: أنه يؤدي إلى الكسل، والراحة، والتعلق بالدنيا، مما يسهل على الأعداء التسلط على الأمة، وإفساد عقيدتها، ونهب خيراتها، وثرواتها، وأمة الإسلام ينبغي أن تكون أمة مجاهدة قوية تعد نفسها للدعوة إلى الله ونشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها، وإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، ولا يكون هذا إلا بالعمل الجاد، وليس بالترف والراحة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ثالثاً: أنه يؤدي إلى ضياع ثروات الأمة، ومقدراتها، فيما لا فائدة فيه، والأمة بأمس الحاجة إلى استغلال هذه الثروات، في بناء قوتها الاقتصادية، والعسكرية لتأخذ مكانتها بين الأمم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

رابعاً: أن الترف يؤدي إلى ضعف الأمة، وحاجتها إلى مساعدة الآخرين، وعدم اعتمادها على شبابها ومقدراتها، وهذا يؤدي بدوره إلى تسلط الأعداء عليها، ونهب خيراتها، وإفساد دينها، وغير ذلك من المفساد.

وهذا كله فيما إذا كان الترف مقتصرًا على التوسع والانبساط في المباح، فأما إذا تجاوز ذلك إلى الشهوات المحرمة فإن الأمر يكون قد وصل إلى مرحلة الخطر، ومنذر بالهلاك والدمار، كما مر في الآيات السابقة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## أخطاء في الطهارة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الطهارة شرط من شروط الصلاة، التي لا تقبل إلا بها، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»<sup>(٢)</sup>.

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين تتعلق بالطهارة، أحببت التذكير بها أداء لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة.

أولاً: أن بعض الناس، أو كثير منهم يعبدون الله على جهل، فيقعون في أخطاء فاحشة، في الطهارة، والصلاة، والصيام، والحج، وغيرها من العبادات، بل قد يتعدى ذلك إلى الخطأ في أمور في التوحيد والأيمان، وللأسف قد يكون بعض هؤلاء ممن يزعمون أنهم من المثقفين، غير أن ثقافتهم ثقافة ضحلة لا تتعدى الجرائد والمجلات والقنوات الفضائية، والواجب على المسلم أن يعرف دينه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

(١) برقم (٢٢٤).

(٢) البخاري برقم (١٣٥)، ومسلم برقم (٢٢٥).

ويسأل أهل العلم عما أشكل عليه من ذلك، قال تعالى: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤٣)</sup> بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾<sup>(٤٤)</sup> [النحل].

روى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري من حديث جابر: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»<sup>(٢)</sup>، وكان يقول في حجته فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكُكُمْ، فَإِنِّي لَا أَذْرِي لِعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»<sup>(٣)</sup>، وقد يبلغ الأمر ببعض الناس إلى الإعراض عن تعلم الدين، وفي هذا خطر عظيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾<sup>(١٢٤)</sup> قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾<sup>(١٢٥)</sup> قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْنَتْنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾<sup>(١٢٦)</sup> [طه].

ثانياً: من الأخطاء ما يتعلق بالوضوء، فمن ذلك ترك إسباغ الوضوء، ومعنى الإسباغ إعطاء كل موضع من مواضع الوضوء حقه، وعلى المصلي أن ينتبه عند الوضوء إذا كان في يده ساعة أو خاتم أو غير ذلك، فلا بد أن يصل الماء إلى العضو، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ، أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ»<sup>(٤)</sup>.

والعقب هو مؤخر القدم، روى مسلم في صحيحه من حديث

(١) برقم (٢٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٧/٢) برقم (٣٩١٤).

(٢) برقم (٦٣١). (٣) برقم (١٢٩٧).

(٤) برقم (٢٤١).

جابر رضي الله عنه، قال: أَخْبَرَنِي عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُنْفُرٍ عَلَى قَدَمِهِ، فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وَضُوءَكَ» فَرَجَعَ ثُمَّ صَلَّى (١).

ومنها: عدم إكمال غسل اليدين إلى المرفقين، والواجب عليه غسل يديه كلها من أطراف الأصابع إلى المرافق؛ لأن الكفين داخلان في مسمى اليد، وقد نبه على ذلك بعض أهل العلم من المعاصرين.

قال الشيخ ابن عثيمين وهو يتحدث عن صفة الوضوء: وغسل اليدين إلى المرافق من أطراف الأصابع إلى المرافق مرة واحدة، ويجب أن يلاحظ المتوضىء كفيه عند غسل ذراعيه، فيغسلهما مع الذراعين، فإن بعض الناس يغفل عن ذلك، ولا يغسل إلا ذراعيه، وهو خطأ<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أن بعضهم عند غسل الوجه لا يغسل صفحة وجهه كاملة، بل تبقى أجزاء من الوجه، جهة الأذنين لم يمسه الماء، والصحيح أن حدود الوجه من منابت شعر الرأس إلى أسفل اللحيين والذقن طولاً، وعرضاً إلى أصول الأذنين.

ومنها: أن بعضهم يكتفي بمسح مقدم رأسه، أو يمسخ إلى منتصف الرأس، والصحيح أن عليه أن يمسخ جميع الرأس، فقد روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم قال: ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ، بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ، حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ (٣).

(١) برقم (٢٤٣).

(٢) انظر: الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٥٢/٢).

(٣) البخاري برقم (١٨٥)، ومسلم برقم (٢٣٥).

ومنها: عدم تخليل أصابع اليدين والرجلين، فقد روى أبو داود في سننه من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ يَدْلُكَ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِخِنْصَرِهِ<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلَّلْ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: الإسراف في الماء، قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]. روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ<sup>(٣)</sup>.

وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المؤمن أن يزيد على وضوئه ثلاث مرات، روى النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله عن الوضوء، فأراه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: «هَكَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَيَّ هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ»<sup>(٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (١٤٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٠ / ١) برقم (١٣٤).  
 (٢) برقم (٣٩) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٤ / ١) برقم (٣٦).  
 (٣) البخاري برقم (٢٠١)، ومسلم برقم (٣٢٥).  
 (٤) برقم (١٤٠) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣١ / ١) برقم (١٣٦).

## أخطاء في الصلاة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن الصلاة هي عماد الدين، والركن الثاني من أركانه، وهي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة؛ لذلك وجب على المسلم أن يحرص على أدائها، كما أمره النبي ﷺ، وبين صفتها لأمته.

روى البخاري في صحيحه من حديث مالك بن الحويرث: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»<sup>(١)</sup>.

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط: أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين أحببت التذكير بها أداء لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة، فمن ذلك:

أولاً: عدم إقامة الصلب في الركوع أو السجود، روى النسائي في سننه وأحمد في مسنده من حديث أبي مسعود رضي الله عنه: أن

(٢) سبق تخريجه.

(١) برقم (٦٣١).

النبي ﷺ قال: «لَا تُجْزِي صَلَاةً لِأَحَدٍ لَا يُقِيمُ فِيهَا ظَهْرَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»<sup>(١)</sup>.

وقد جعل الرسول ﷺ لص الصلاة وسارقها شرًّا من لص الأموال، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَسْوَأُ النَّاسِ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا»، أَوْ قَالَ: «لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»<sup>(٢)</sup>.

أما الركوع فإن بعض الناس يخفض ظهره أكثر من اللازم، أو يرفعه، وهذا خطأ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا رَكَعَ بَسَطَ ظَهْرَهُ وَسَوَّاهُ<sup>(٣)</sup>، حَتَّى لَوْ صَبَّ الْمَاءُ عَلَيْهِ لَأَسْتَقَرَّ<sup>(٤)</sup>.

وروى النسائي من حديث أبي حميد قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَكَعَ اعْتَدَلَ، فَلَمْ يَنْصِبْ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُقْنِعْهُ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ<sup>(٥)</sup>.

وأما السجود فإن بعض المصلين إذا سجد لا يمكن جبهته من الأرض، وبعضهم يرفع قدميه عن الأرض، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث العباس بن عبد المطلب: أن النبي ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ، الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ،

(١) سنن النسائي برقم (١٠٢٧) ومسنند الإمام أحمد (٣٢٩/٢٨) برقم (١٧١٠٣) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) (٣١٩/٣٧) برقم (٢٢٦٤٢) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم (٨٢٨).

(٤) سنن ابن ماجه برقم (٨٧٢) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٤٤/١) برقم (٧١٢).

(٥) برقم (١٠٣٩) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٢٤/١) برقم (٩٩٤).

وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث يدل على أن أعضاء السجود سبعة، وأنه ينبغي للمصلي أن يسجد عليها كلها.

ومنها: عدم الطمأنينة في الصلاة، وهي ركن من أركان الصلاة، لا تصح بدونه، روى البخاري في صحيحه من حديث زيد بن وهب قال: رَأَى حُدَيْفَةَ رَجُلًا لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، قَالَ: مَا صَلَّيْتُ، وَلَوْ مِثُّ مِثِّ عَلَى غَيْرِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَيْهَا<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا دليل على وجوب الطمأنينة في الركوع والسجود، وأن الإخلال بها مبطل للصلاة؛ لأنه قال له: ما صليت، وهو نظير قوله ﷺ للمسيء صلواته في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى، فسلم على النبي ﷺ فرد، وقال: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء، فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني! فقال: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: مسابقة الإمام، وقد جاء النهي الصريح من النبي ﷺ

(١) البخاري برقم (٨١٢)، ومسلم برقم (٤٩٠).

(٢) برقم (٧٩١).

(٣) البخاري برقم (٧٥٧)، ومسلم برقم (٣٩٧).

عن ذلك. روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ، وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «رَأَيْتُمُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ؟!»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ لَمْ يَحْنِ أَحَدٌ مَنَا ظَهْرَهُ حَتَّى يَقَعَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا، ثُمَّ نَقَعَ سُجُودًا بَعْدَهُ<sup>(٣)</sup>.

ومنها: أن بعضهم إذا سلم الإمام التسليمة الأولى، وعليه قضاء بعض الركعات لا ينتظر حتى يسلم الإمام التسليمة الثانية، وإنما يقوم مباشرة ليكمل ما تبقى من الركعات، وهذا خطأ. والأولى أن ينتظر حتى يسلم الإمام التسليمة الثانية<sup>(٤)</sup>.

ومنها: الصلاة بثياب مسبلة، والإسبال منهي عنه على وجه العموم، لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، من

(١) برقم (٤٢٦).

(٢) البخاري برقم (٦٩١)، ومسلم برقم (٤٢٧) واللفظ له.

(٣) برقم (٦٩٠).

(٤) خروجًا من خلاف من يرى ركنيتها، وعليه يحكم بطلان صلاته.

حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَتَّانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

وبعض أهل العلم يُشدد في الأمر إذا كان الإِسْبَالُ في الصلاة؛ لأن من شروط الصلاة ستر العورة، والذي يصلي في الثياب المسبلة قد ستر عورته بثياب محرمة، ولذلك فإن صلاته في خطر.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (١٠٦).

(٢) برقم (٥٧٨٧).



## خطر النفاق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم الذنوب عند الله تعالى النفاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

والنفاق ينقسم إلى قسمين: اعتقادي وعملي، فأما الاعتقادي فهو على ستة أنواع: تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول ﷺ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

فالمنافق في هذا القسم مؤمن الظاهر، كافر الباطن. أما إيمانه الظاهر فإنه يشهد شهادة الحق، ويصلي ويصوم ويحج ويجاهد ويشارك المسلمين في شعائر الدين الظاهرة، كما هو حال المنافقين في عهد النبي ﷺ، وفي كل زمن يكون فيه الحق منصوراً، وأما كفره باطناً فما يخفيه من التكذيب بالحق، وإضمار العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وهذا الصنف من الناس هم أشد أعداء الله ورسوله، ولهذا كان جزاؤهم أعظم من جزاء الكافرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٤٥) [النساء].

وقال تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٨٤) [التوبة].

وقد فضحهم الله تعالى في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ووصفهم بأنهم كذابون يصدون عن سبيل الله، وأنهم يستكبرون، كما وصفهم بأنهم لا يفقهون ولا يعلمون، ولا يعقلون. ومن أبرز سماتهم - قاتلهم الله - موالاتهم للكفار، وعقدتهم اللقاءات معهم في العفن تارة، وفي السر تارات، قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (٥٢) [المائدة]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَىٰ آدْبُرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) [محمد].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على الآية الكريمة: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ...﴾: هم المنافقون، يعتذرون عن موالاتهم الكفار من اليهود بأنهم يخشون أن تدور عليهم الدوائر، أي دول الدهر الدائرة من قوم إلى

قوم، كما قال الشاعر:

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ كَلَاكِلَهُ أَنْخَ بِأَخْرِينَا  
يعنون إما بقحط فلا يميروننا، ولا يتفضلون علينا، وإما بظفر  
الكفار بالمسلمين، فلا يدوم الأمر للنبي ﷺ وأصحابه، زعمًا منهم أنهم  
عند تقلب الدهر بنحو ما ذكر يكون لهم أصدقاء كانوا محافظين على  
صداقتهم، فينالون منهم ما يؤمل الصديق من صديقه، وأن المسلمين  
يتعجبون من كذبهم في إقسامهم بالله جهد أيمانهم إنهم لمع المسلمين،  
وبين في هذه الآية أن تلك الدوائر التي حافظوا من أجلها على صداقة  
اليهود، أنها لا تدور إلا على اليهود والكفار، ولا تدور على المسلمين،  
بقوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِيهِ  
أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة].

وعسى من الله نافذة؛ لأنه الكريم العظيم الذي لا يُطمع إلا فيما  
يعطي، والفتح المذكور قيل هو فتح المسلمين لبلاد المشركين، وقيل  
الفتح الحكم، كقوله: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾  
[الأعراف].

وعليه فهو حكم الله، بقتل مقاتلة بني قريظة، وسبي ذراريهم،  
وإجلاء بني النضير، وقيل: هو فتح مكة، وهو راجع إلى الأول<sup>(١)</sup>.

وقال أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا  
بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۗ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد] قال بعض  
العلماء: إنها نزلت في المنافقين، وقال بعضهم: إنها نزلت في اليهود،  
وإن المنافقين أو اليهود قالوا للكفار الذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم

(١) انظر: أضواء البيان (١/٣١٤).

في بعض الأمر، وهو عداوة النبي ﷺ، والتشيط عن الجهاد، ونحو ذلك. والتحقيق الذي لا شك فيه أن هذه الآيات عامة في كل ما يتناوله لفظها، وأن كل ما فيها من الوعيد عام لمن أطاع من كره ما نزل الله (١).

القسم الثاني: النفاق العملي، وهو خمسة أنواع:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَرَبُّعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَتْ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، وقال مسلم في صحيحه: «إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» مكان «إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» (٢).

وقد ذكر ابن رجب أن من النفاق العملي أن يظهر الإنسان علانية سالحة، ويبطن ما يخالف ذلك (٣).

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم لسعة علمهم، وعميق إيمانهم، يخشون على أنفسهم من النفاق، قال البخاري رضي الله عنه في صحيحه، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: «مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا». وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانٍ جَبْرِيَلٍ وَمِيكَائِيلَ»، وَيَذْكُرُ عَنِ الْحَسَنِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَمَا يُحَذِّرُ مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ

(١) انظر: أضواء البيان (٥/١٤٨).

(٢) البخاري برقم (٣٤)، ومسلم برقم (٥٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٤٨١).

يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ [آل عمران: ١٣٥] <sup>(١)</sup>.

وروي عن الحسن أنه كان يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو: ما مضى مؤمن قط، ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط، ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن، وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق. اهـ <sup>(٢)</sup>.

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لحذيفة: أسألك بالله يا حذيفة هل عدني رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين؟ قال: لا ولا أزكي أحداً بعدك <sup>(٣)</sup>.

فعمر رضي الله عنه لم يقل ذلك رياءً، ولكن العبد كلما ازداد علماً زاد خوفه من ربه، والصحابة لعظم خوفهم من ربهم، وسعة علمهم لم يكونوا يحتقرون الذنوب، بل كانوا يستعظمونها، ويخافون عواقبها، ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمُوبِقَاتِ» <sup>(٤)</sup>.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ.

وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه: قال أناس لابن عمر: «إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ

(١) صحيح البخاري، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٤٩١)، وانظر: رسالة الشيخ عبد الرحيم المالكي (النصيحة والتحذير من الوقوع في الخطر الكبير) (ص ١٢ - ١٦).

(٤) برقم (٦٤٩٢).

إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا»<sup>(١)</sup>.

وإن من صور النفاق ما يطالب به بعض الناس الذين هم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويدعون أنهم يريدون إصلاح المجتمع، ونفع الأمة، ويرددونه بين الفينة والأخرى من هتك للحجاب، والدعوة للتبرج والسفور واختلاط الشباب بالفتيات في الأعمال، ومقاعد الدراسة، وأن في قوامة الرجل على المرأة كبتاً لحريتها، فيطالبون بالمساواة، زعمًا منهم أن فيها إنصافًا وعدلاً بينها وبين الرجل، وإلى نشر الموسيقى في المدارس والمراحل التعليمية الأخرى، وإلى تقليص المواد الدينية، وتخفيضها، وإلى قيادة المرأة للسيارة.

ومن صورهِ كذلك مطالبتهم للناس بالاعتماد على البنوك الربوية في بيعهم وشرائهم، وقروضهم، وسائر شؤونهم، وأن ما تأخذه البنوك من فوائد إنما هو لمصلحة المجتمع، ويدعم اقتصاده، وينشرون هذا عبر الصحف والمجلات، ووسائل الإعلام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة].

إلى غير ذلك من المطالب والأساليب الماكرة التي يخططون لها ليلاً ونهاراً، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٧١٧٨).

## الكلمة المئة واثنان وثلاثون

### الظلم وعواقبه الوخيمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الذنوب العظيمة التي حرّمها الله على عباده، ورتب عليها العقوبة في الدنيا والآخرة الظلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [٤٢] [إبراهيم].  
وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [٥٢] [النمل].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عليه السلام أنه قال: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»<sup>(١)</sup>.

والظلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ظلم العبد نفسه بالكفر والشرك والنفاق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٨٢] [الأنعام].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن

(١) برقم (٢٥٧٧).

مسعود أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أيننا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنَئِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»<sup>(١)</sup>.

فهذا النوع من الظلم لا يغفر الله لصاحبه إذا مات عليه، بل هو ملعون مطرود من رحمة الله في كتاب الله، وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

القسم الثاني: ظلم بين العبد وبين الناس، وله صور كثيرة منها: أكل أموال الناس بالباطل ظلماً وعدواناً، مثل أكل مال اليتيم، أو عدم إعطاء العمال رواتبهم، أو بخسها، أو السرقة، أو الغش، أو الربا، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها الاعتداء على أراضي المسلمين، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ، طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»<sup>(٣)</sup>.

ومعنى طوقه: أي يجعل طوقاً في عنقه، يحمله، لا من أرض واحدة، بل من السبع الأرضين، نسأل الله العافية.

ومنها ظلم الناس بالقتل والسجن والضرب والشتيم والتعذيب،

(١) البخاري برقم (٣٢) ومسلم برقم (١٢٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٤٤٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٧٨) من حديث ابن عمر.

(٣) البخاري برقم (٢٤٥٣)، ومسلم برقم (١٦١٢).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ...»<sup>(١)</sup>.

وما يفعله اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة، بإخواننا المسلمين في فلسطين من قتل وتشريد وانتهاك للحرمات لهو من أعظم الظلم وأشنعها، ولا غرابة في ذلك، فهم قتلة الأنبياء ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾<sup>(١٨١)</sup> [آل عمران].

ومنها: اتهام الآخرين ورميهم بما ليس فيهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾<sup>(١١٣)</sup> [النساء].

ومنها: مظل الغني، أي منع قضاء ما استحق أدائه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَظْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»<sup>(٢)</sup>.

فمن كان مديوناً لرجل، واستطاع السداد فلا يجوز المماطلة؛ لأن هذا من الظلم.

ومنها: ظلم المرأة حقها من صداق ونفقة وكسوة، أو الاستيلاء على مالها، وغير ذلك من الأحوال، فمن وقع في شيء من الظلم فليسارع بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى، ولا يغتر بإمهال الله له، فإنه يمهل ولا يهمل.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»

(١) برقم (٢١٢٨).

(٢) البخاري برقم (٢٢٨٧)، ومسلم برقم (١٥٦٤).

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكرة: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَىٰ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ ﷻ الْعُقُوبَةَ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدْخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبُغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» (٢).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيَمَةَ، وَعَاقِبَةَ الْعَدْلِ كَرِيمَةَ، وَيُرْوَى أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً» (٣).

ودعوة المظلوم مستجابة كما في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّىٰ يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (٤).

قال الشاعر:

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا      فَالظُّلْمُ مَرْتَعَةٌ يُفْضِي إِلَى النَّدَمِ  
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ      يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ

ونحن نرى في هذه الأيام تساقط هؤلاء الظلمة الطغاة واحداً تلو الآخر، قد ذهب عزهم، وزال سلطانهم، وأصبحوا في حالة يرثى

(١) البخاري برقم (٤٦٨٦) ومسلم برقم (٢٥٨٣).

(٢) سبق تخريجه. (٣) مجموع الفتاوى (٦٣/٢٨).

(٤) قطعة من حديث (٤١٠/١٣) برقم (٨٠٤٣)، وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

لها، وصدق الله إذ يقول: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهَيْنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الدخان]، وقال تعالى: ﴿ فَأَعْتَبُوا يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر].

القسم الثالث: ظلم العبد نفسه بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر].

وقال تعالى عن نبيه موسى ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص].

وهذا النوع من الظلم - وهو ظلم العبد نفسه بالمعاصي والذنوب التي دون الشرك - فإن صاحبه تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له وستره.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]»<sup>(١)</sup>.

ويجب على المؤمن أن يحرص على براءة ذمته من حقوق الآخرين، وأن يتحلل منهم قبل يوم القيامة، حيث لا درهم ولا دينار،

(١) البخاري برقم (٢٤٤١)، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

وإنما هي الحسنات والسيئات.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## تحريم الإسبال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْوِي سَوْءَ تَكْمٍ وَرِيشًا وَلِبَاسَ الْتَقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف].

فاللباس نعمة عظيمة من نعم الله الكثيرة على عباده لستر العورات، ووقاية من الحر والبرد وسائر الآفات، وقد جاءت الشريعة بأحكامه مفصلة، مبينة، وبينت القدر الواجب ستره، والمستحب من اللباس، والمحرم والمكروه والمباح مقداراً وكيفية.

ومما وردت به تحريم ما نزل عن الكعبين من كل ما يلبس من إزار أو ثوب أو بشت أو سروال أو بنطال إلى غير ذلك، مما يلبسه الرجال، فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جر منها شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»<sup>(١)</sup>، وأحاديث النهي عن الإسبال بلغت مبلغ التواتر المعنوي في الصحاح والسنن والمسانيد، وغيرها، برواية جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: ابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود،

(١) برقم (٤٠٩٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٧١/٢) برقم (٣٤٥٠).

وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وغيرهم، وجميعها تفيد النهي الصريح، نهى التحريم، لما فيها من الوعيد الشديد، ومعلوم أن كل متوعد عليه بعقاب من النار، أو غضب، أو نحوها، فهو محرم، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، ولا يقبل النسخ، ولا يُرفع حكمه، بل هو من الأحكام الشرعية المؤبدة في التحريم.

والإسبال فيه عدة محاذير:

أولاً: مخالفة السنة، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى عَضَلَةِ سَاقَيْهِ»<sup>(١)</sup>، ثُمَّ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، ثُمَّ إِلَى كَعْبَيْهِ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup> ووفي رواية أخرى: «فَإِنْ أَبَيْتَ فَأَسْفَلَ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَلَا حَقَّ لِلْإِزَارِ فِي الْكَعْبَيْنِ»<sup>(٣)</sup>، والكعبان هما العظامان الناتئان في جانبي مفصل الساق من القدم.

ثانياً: الوعيد الشديد لمن أسبل إزاره تحت الكعبين، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: أنه من الخيلاء التي تورث في النفس العجب، والترفع، والكبر، ونسيان نعمة الله على عبده، وكل هذا من موجبات مقت الله للمسبل، ومقت الناس له، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

(١) وعضلة الساقين هي حد أعلى من أنصاف الساقين بقليل.

(٢) (٢٤٧/١٣) برقم (٧٨٥٧) وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) سنن الترمذي برقم (١٧٨٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) برقم (٥٧٨٧).

رابعاً: التشبه بالنساء، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»<sup>(١)</sup>.

خامساً: تعريض الملبوس للنجاسة والقذر، والمؤمن مأمور باجتنب النجاسات، والبعد عنها، قال تعالى: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾<sup>(٤)</sup> [المدثر]. ولهذا أمر عمر رضي الله عنه الرجل الذي زاره وهو على فراش الموت برفع إزاره، وقال له: هُوَ أَنْقَى لثَوْبِكَ، وَأَتَقَى لِرَبِّكَ<sup>(٢)</sup>.

سادساً: تعريض عبادته لعدم القبول، فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود، عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خِيَلَاءَ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَامٍ»<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

(١) برقم (٥٨٨٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٠) باب قصة البيعة - مقتل عمر بن الخطاب.

(٣) قال محمد شمس الحق العظيم آبادي: أي في أن يجعله في حل من الذنوب، وهو أن يغفر له، ولا في أن يمنعه ويحفظه من سوء الأعمال، أو في أن يحل له الجنة، وفي أن يحرم عليه النار، أو ليس هو في فعل حلال، ولا له احترام عند الله تعالى. عون المعبود (٢/٢٤٠).

(٤) برقم (٦٣٧). قال أبو داود: روى هذا جماعة عن عاصم موقوفاً على ابن مسعود، منهم: حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وأبو الأحوص، وأبو معاوية، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٢٦) برقم (٥٩٥). وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال: بينما رجل يصلي مسبلاً إزاره إذ قال له رسول الله ﷺ: (اذهب فتوضأ، فذهب فتوضأ، فذهب فتوضأ، ثم جاء، ثم قال: اذهب فتوضأ، فذهب فتوضأ، ثم جاء، فقال له رجل: يا رسول الله، ما لك أمرته أن يتوضأ، ثم سكت عنه؟ فقال: إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره، وإن الله تعالى لا يقبل صلاة رجل مسبل إزاره)، قال المنذري في مختصره: في إسناده أبو جعفر، وهو رجل من أهل المدينة لا يعرف اسمه، قال النووي في رياض الصالحين بعد إيراد هذا الحديث: رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم، (ص ٢٥٩) برقم (٧٩٧).

سابعًا: إن الإسبال من الكبائر، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَارٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»<sup>(١)</sup>، قَالَ الشَّيْخُ بَكْرُ أَبُو زَيْدٍ: «فلهذه الوجوه السابقة»<sup>(٢)</sup>، ورد النهي مطلقًا عن الإسبال في حق الرجال، وهذا بإجماع المسلمين إن كان لخيلاء، فإن كان لغير الخيلاء فهو محرم مذموم»، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر مرفوعًا: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ»<sup>(٣)</sup>.

وظاهره أن مجرد الإسبال يستلزم الخيلاء، ولو لم يقصد اللابس ذلك، إضافة إلى أن النبي ﷺ أنكر على المسبل إسباله دون النظر في قصده الخيلاء أم لا، فقد أنكر على ابن عمر، وجابر بن سليم، وعلى عمرو الأنصاري، فرفعوا أزرهم إلى أنصاف سوقهم، وهذا يدل بوضوح على أن الوصف بالخيلاء، وتقييد النهي به في بعض الأحاديث إنما خرج مخرج الغالب، والقييد إذا خرج مخرج الأغلب، فإنه لا مفهوم له عند عامة الأصوليين كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّيْكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، ويستثنى من هذا

(١) برقم (١٠٦).

(٢) ما تقدم مأخوذ من رسالة (حد الثوب والأزره وتحريم الإسبال ولباس الشهرة) للشيخ بكر أبو زيد (بتصرف).

(٣) (٢٣٨/٣٤) برقم (٢٠٦٣٥) وقال محققوه: حديث صحيح.

الأصل ثلاث حالات:

الحالة الأولى: من لم يقصد الإسبال لعارض من نسيان أو استرخاء مع تعاهد له برفعه، كما جاء في حديث أبي بكر المشهور.

الحالة الثانية: من أسبل لمرض في قدميه، وللضرورة أحكامها.

الحالة الثالثة: النساء فقد رخص النبي ﷺ لهن بإرخاء ذيول ثيابهن لستر القدمين، وهما من عورة النساء<sup>(١)</sup>.

ومما سبق يتبين أن الإسبال في حق الرجال منهي عنه مطلقاً، وأنه في ذاته خيلاء، وإن المسبل مرتكب لمحرم وكبيرة من كبائر الذنوب، معرض نفسه لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن النسائي برقم (٥٣٣٦) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/١٠٨٠) برقم (٤٩٢٩).

(٢) انظر: رسالة الشيخ بكر أبو زيد (حد الثوب والأزرة وتحريم الإسبال ولباس الشهرة) (ص ٢٢ - ٢٤) (بتصرف).



### فوائد من حديث خبيب بن عدي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهطٍ سريةً عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة، وهو بين عسفان ومكة، ذكروا لحيي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فنفروا لهم قريبا من منتي رجل، كلهم رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مآكلهم تمرا تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فاقتصوا آثارهم، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد، وأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق، ولا نقتل منكم أحدا. فقال عاصم بن ثابت أمير السرية: أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرمؤهم بالنبل، فقتلوا عاصمًا في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهطٍ بالعهد والميثاق، منهم خبيب الأنصاري، وابن دثنة، ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أحببكم، إن لي في هؤلاء لأسوة، يريد القتلى، وجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى، فقتلوه، فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وبيعة بدر، فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر

ابن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستجد بها، فأعارته، فأخذ ابناً لي وأنا غافلة حين أتاه، قالت: فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففرغت فرعة عرفها خبيب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك .

والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب في يده، وإته لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمر، وكانت تقول: إته لرزق من الله رزقه خبيبا، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطلوتها، اللهم أحصهم عدداً:

ولست أبا لي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مضرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبراً، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم، وما أصيبوا، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليوتوا بشيء منه يعرف، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسولهم، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئاً<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث اشتمل على فوائد كثيرة، ذكر كثيراً منها الحافظ ابن

حجر في كتابه فتح الباري<sup>(١)</sup>.

أولاً: جاء في الحديث أن عاصم بن ثابت قد قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر، قال ابن حجر: لعله عقبة بن أبي معيط، وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال: «كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهدًا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشرکًا أبدًا»، وفي رواية أنه قال: «إني أحمي لك اليوم دينك، فاحم لي لحمي»، فأرسل الله هذه الزنابير أو النحل فحمته من المشركين. قال عمر رضي الله عنه لما بلغه خبره: «يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته».

ثانيًا: أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان، ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالعزيمة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن.

ثالثًا: الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله.

رابعًا: الدعاء على المشركين بالعموم، والصلاة عند القتل، وفي الحديث أن خبيب بن عدي أول من سنَّ صلاة الرُّكعتين عند القتل.

خامسًا: فيه إنشاء الشعر وإنشاده عند القتل، ودلالة على قوة يقين خبيب وشدته في دينه.

سادسًا: أن الله تعالى يبتلي عبده المسلم بما شاء، كما سبق في علمه ليثيبه، ولو شاء ربك ما فعلوه، قال تعالى: ﴿الْمَ (١) أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ

(١) (٧/٣٨٤).

الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت].

سابعًا: فيه استجابة دعاء المسلم، وإكرامه حيًا وميتًا، وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين، ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمة بقطع لحمه .

ثامنًا: فيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم .

تاسعًا: فيه أن الغدر والخيانة من صفات الكفار، فقد قتلوا عبد الله بن طارق، وباعوا زيدًا وخبيبا على قريش، من أجل دراهم معدودة.

عاشرًا: كرامة الله لأوليائه في الدنيا والآخرة، فإن خبيبا قد رزقه الله العنب وما بمكة من ثمرة، وهو موثق بالحديد عند عدوه، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق].

وغير ذلك من الفوائد والعبر عند التأمل.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## تحريم التصوير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن المنكرات التي انتشرت بين الناس، وابتلي بها كثير من المسلمين التصوير، وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في الصحاح والمسانيد والسنن دالة على تحريم تصوير كل ذي روح، آدمياً كان أو غيره، وهتك الستور التي فيها الصور، والأمر بطمس الصور، ولعن المصورين، وبيان أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة، ففي الصحيحين من حديث أبي زرعة قال: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ، فَرَأَى أَعْلَاهَا مُصَوَّرًا يُصَوِّرُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً»<sup>(١)</sup>.

وفيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري برقم (٥٩٥٣)، ومسلم برقم (٢١١١).

(٢) البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم برقم (٢١٠٩).

(٣) البخاري برقم (٥٩٥١)، ومسلم برقم (٢١٠٨).

وفي الصحيحين من حديث القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةَ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذِّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»، وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ» (١).

وفي صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه: أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ أَلَا تَدْعُ نَمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَيْتَهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا» (٢).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: وهذه الأحاديث وما في معناها دلالة ظاهرة على تحريم التصوير لكل ذي روح، وأن ذلك من كبائر الذنوب المتوعد عليها بالنار، وهي لأنواع التصوير، سواء كان للصورة ظل أم لا، وسواء كان التصوير في حائط أو ستر أو قميص أو قرطاس أو غير ذلك؛ لأن النبي ﷺ لم يفرق بين ما له ظل ولا غيره، ولا بين ما جعل في ستر أو غيره، بل لعن المصور وأخبر أن المصورين أشد الناس عذاباً يوم القيامة، وأن كل مصور في النار، وأطلق ذلك، ولم يستثن شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

(١) البخاري برقم (٥٩٦١)، ومسلم برقم (٢١٠٧).

(٢) برقم (٩٦٩).

يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [النور: ٦٣] <sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ولا يجوز للمسلم أن يقتني الصور في بيته، ولا يحتفظ بها، إلا الصور الضرورية التي يحتاجها، كصورة حفيظة النفوس، وجواز السفر، وإثبات الشخصية، فهذه أصبحت ضرورية، وهي لا تتخذ من باب محبة التصوير، وإنما تتخذ للضرورة والحاجة، أما ما عدا ذلك من الصور فلا يجوز الاحتفاظ بها للذكريات، ولا الاطلاع عليها، وما أشبه ذلك، ويجب على الإنسان أن يتلف الصور، وأن يخلي بيته منها مهما أمكنه ذلك، وإذا كان في منزله صور معلقة على الحيطان، أو منصوبة، سواء كانت تماثيل أو كانت رسوماً على أوراق من صور ذوات الأرواح، كالبهائم والطيور والادميين، وكل ما فيه روح، فإنه يجب إزالته، فقد غضب النبي ﷺ حينما رأى سترًا وضعت عائشة على الجدار فيه تصاوير. اهـ <sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني وهو يرد على من فرق بين التصوير الشمسي والتصوير باليد: وقريب من هذا تفريق بعضهم بين الرسم باليد، وبين التصوير الشمسي بزعم أنه ليس من عمل الإنسان! وليس من عمله فيه إلا إمساك الظل فقط، كذا زعموا، أما ذلك الجهد الجبار الذي صرفه المخترع لهذه الآلة حتى استطاع أن يصور في لحظة ما لا يستطيعه بدونها في ساعات فليس من عمل الإنسان عند هؤلاء! وكذلك توجيه المصور للآلة وتسديدها نحو الهدف المراد تصويره، وقبيل ذلك تركيب ما يسمونه بالفلم، ثم بعد ذلك تحميضه، وغير ذلك

(١) رسالة للشيخ بعنوان (الجواب المفيد في حكم التصوير) (ص ١٣).

(٢) فتاوى الشيخ صالح الفوزان (٢/١٩٣).

مما لا أعرفه، فهذا أيضًا ليس من عمل الإنسان عند أولئك أيضًا! (١)

سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ عن عرض الصور الكبيرة والصغيرة في المحلات التجارية وهي صور إما لممثلين عالميين أو أناس مشهورين وذلك للتعريف بنوع أو أصناف من البضائع كالعطورات وغيرها. وقال السائل: عند إنكارنا على أصحاب المحلات يجيبون بأنهم اطلعوا على فتوى لفضيلتكم بأن التصوير المجسم هو الحرام وغير ذلك فلا؟ فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: من نسب إلينا أن المحرم من الصور هو المجسم وأن غير ذلك غير حرام فقد كذب علينا ونحن نرى أنه لا يجوز لبس ما فيه صورة سواء كان من لباس الصغار أو من لباس الكبار وأنه لا يجوز اقتناء الصور للذكرى أو غيرها إلا ما دعت الضرورة أو الحاجة إليه مثل التابعة والرخصة والله الموفق (٢).

وسئلت اللجنة الدائمة عن التصوير الذي تستخدم فيه كاميرا الفيديو هل يقع حكمه تحت التصوير الفوتوغرافي؟

فأجابت: نعم حكم التصوير بالفيديو حكم التصوير الفوتوغرافي بالمنع والتحريم لعموم الأدلة (٣).

#### ومن مفسد الصور:

أولاً: فيها مضاهاة لخلق الله، وادعاء المشاركة لله في خلقه، الذي اختص به، فإنه هو الخالق البارئ المصور، له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

(١) آداب الزفاف (ص ١٩٢).

(٢) فتاوى كبار العلماء في التصوير للشيخ عبدالرحمن بن سعد الشري (ص ١٢٤).

(٣) (١/ المجموعة الثانية) (ص ٢٨٨).

ثانياً: إن التصوير وسيلة من وسائل الشرك، فأول ما حدث الشرك في الأرض كان بسبب التصوير، لما صور قوم نوح رجالاً صالحين ماتوا في عام واحد، فتأسفوا عليهم، فجاء الشيطان وألقى إليهم أن يصوروا تصاويرهم، وينصبوها على مجالسهم حتى يتذكروا بها العبادة، ففعلوا ذلك، ولما مات هذا الجيل جاء الشيطان إلى من بعدهم وقال: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا ليستقوا بها المطر، وليعبدوها، فعبدوها من دون الله عز وجل، ومن ثم حدث الشرك في الأرض بسبب التصوير.

ثالثاً: أنه سبب في فساد الأخلاق، وذلك إذا صورت الفتيات في المجلات والصحف، والقنوات الفضائية، أو صورت للذكريات، أو ما أشبه ذلك، فإن هذا يجر إلى الافتتان بتلك الصور، وبالتالي يوقع في القلب المرض والشهوة، ولهذا اتخذ المفسدون التصوير مطية ووسيلة لإفساد الأخلاق بتصوير النساء في الأفلام والمجلات، والأدوات المنزلية، والدعايات، وغيرها<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: فتاوى الشيخ صالح الفوزان (٢/١٩٢ - ١٩٣).



## الموت وعظاته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن المنهمك في الدنيا المكب على شهواتها وملذاتها يغفل قلبه عن ذكر الموت فلا يذكره، وإن ذكره كرهه ونفر منه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتِجُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة].

وقال تعالى: ﴿أَيُّنَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ ﴿٧٨﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وأما العارف بربه، فإنه يذكر الموت دائماً، أخذاً بوصية رسول الله ﷺ عندما قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ - يعني الموت -»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمير أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَرُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ

(١) سنن الترمذي برقم (٢٣٠٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٦) برقم (١٨٧٧).

ذِكْرًا، وَأَحْسَنَهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ»<sup>(١)</sup>.

قال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فيها فرحًا، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها».

قال الشاعر:

لَا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ لِدَائُهُ      مُنْغَصَّةً بِادِّكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ  
وقال عمر بن عبد العزيز: إذا غفل قلبي عن ذكر الموت ساعة فسد،  
وقال بعضهم: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة،  
وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء:  
تسوية التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والكسل في العبادة.

والموت له سكرات وكربات، وهي تعتري كل مخلوق، وقد يهونها الله على بعض عباده، كالشهداء؛ لأن الشهيد «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»، كما في الحديث الصحيح<sup>(٢)</sup>.

وقد تشدد هذه السكرات على بعض العباد تخفيفًا من الذنوب، ورحمة وزيادة في الدرجات، كالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وفي مقدمتهم خاتمهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فإنه قد لقي من الموت شدة، وهو أحب الخلق إلى الله.

ففي صحيح الإمام البخاري من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، أَوْ عُلبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا

(١) برقم (٤٢٥٩) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٨٤).

(٢) سنن النسائي برقم (٢٠٥٣) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/٤٤١) برقم (١٩٤٠).

وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ»، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ<sup>(١)</sup>.

وَحِينَما ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَكَرَبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ أَيْبُكَ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»<sup>(٢)</sup>.

حَتَّى إِنَّهُ مِنْ شِدَّةِ كَرَبِهِ قَالَ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ، لَمْ تُحْلَلْ أَوْ كَيْتِهِنَّ، لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>.

وَكَانَ كَلِمَا اغْتَسَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، وَهُمْ بِالصَّلَاةِ مَعَ النَّاسِ يَغْمَى عَلَيْهِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -<sup>(٤)</sup>.

وَتَقُولُ عَائِشَةُ: مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي<sup>(٥)</sup> وَذَاقِنَتِي<sup>(٦)</sup> فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٧)</sup>.

وَتَشَدُّدِ هَذِهِ السَّكْرَاتِ عَلَى الْكُفَّارِ، وَكَذَلِكَ عَلَى عِصَاةِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذْبًا أَوْ قَالَ أُوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا

(١) برقم (٤٤٤٩).

(٢) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢).

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم (٤٤٤٢).

(٤) صحيح مسلم برقم (٤١٨).

(٥) قال ابن الأثير: الحاقنة: الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الخلف، النهاية في غريب الحديث (١/٦٤).

(٦) قال ابن الأثير: الذاقنة: الذقن، وقيل: طرف الحلقوم، وقيل: ما يناله الذقن من الصدر، النهاية في غريب الحديث (٢/١٦٢).

(٧) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٦).

كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ - وفي رواية: الْفَاجِرَ - إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ - غِلَظٌ شَدَادٌ - سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسْوَحُ<sup>(١)</sup> مِنَ النَّارِ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَتَيْتَهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ: أَخْرَجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَعَظْبٍ، قَالَ: فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ - الْكَثِيرُ الشَّعْبِ - مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ - فَتَقَطُّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ»<sup>(٢)</sup>.. الحديث.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنٌ فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيءٌ لَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ»<sup>(٣)</sup>.

وروى الشيخان من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلِ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»<sup>(٤)</sup>.

(١) المسووح: وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفًا وقهراً للبدن.

(٢) (٥٠١/٣٠) برقم (١٨٥٣٤) وقال محققوه: إسناده صحيح، وصححه الشيخ الألباني في كتابه أحكام الجنائز وبدعها، وجمع زيادات الحديث (ص ١٩٨ - ٢٠٢).

(٣) (٢٣/١٣) برقم (٧٥٧٨) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٣٥١)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٨٠).

وحق على كل إنسان أن يستعد للموت قبل نزوله، وذلك بالمبادرة بالعمل الصالح قبل حلول الأجل.

لقد حثنا ربنا ﷺ أعظم الحث، ودعا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة، وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه، وقد حيل بينه وبينه، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ (١٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۗ (١٠٠) ﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۗ (١) ﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ۗ (١٠) ﴾ [المنافقون].

قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَدْرِ  
 روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر قال: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» (١).

وفي رواية للترمذي: «وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ غَدًا» (٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) برقم (٢٣٣٣) وصحح الزيادة الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١١٥٧).

قال الشاعر:

تَفَانُوا جَمِيعاً فَمَا مُخْبِرٌ      وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الْخَبِرُ  
تَرُوحُ وَتَغْدُو بَنَاتُ الشَّرَى      وَتُمحَى مَحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ  
فِيَا سَائِلِي عَنِ أَنْاسٍ مَضَوْا      أَمَّا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرٌ؟

وقال آخر:

ولو أنا إذا متنا تركنا      لكان الموتُ غايةَ كلِّ حيٍّ  
ولكنَّا إذا متنا بُعثنا      ونسأل بعدها عن كلِّ شيءٍ  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



## مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، فشهد بدرًا وأحدًا والخندق، وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، ولم يفارق النبي ﷺ لا في حضر ولا سفر، ولد بعد حادثة الفيل بسنتين وستة أشهر، صلى بالناس إمامًا في مرض النبي ﷺ الذي مات فيه، وهو من أحب الناس إلى النبي ﷺ، وقد تزوج النبي ﷺ ابنته، وهو أول من أسلم من الرجال، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها، وهو رفيق النبي ﷺ في الغار، وقد نال شرف صحبته في ذلك، وقد أنزل الله فيه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال عمر بن الخطاب: «لو وُزنَ إيمَانُهُ بإيمَانِ الأُمَّةِ لَرَجَحَ إيمَانُهُ». إنه صديق هذه الأمة أبو بكر، واسمه عبد الله بن أبي قحافة

عثمان بن عامر بن عمرو القرشي، وقد أجمعت الأمة على تسميته بالصديق؛ لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ، وقد وصفته ابنته عائشة فقالت: «كان أبي أبيض نحيفاً خفيف العارضين، منحني الظهر قليلاً، غائر العينين.

وقد وردت أحاديث تدل على فضله ومكانته، وأنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين من حديث عائشة في مرضه الذي مات فيه: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكَ وَأَخَاكَ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّيَ مُتَمَنَّيًّا، وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»<sup>(١)</sup>.

قال العلماء: وفي هذا الحديث دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق، وأحقهم بالخلافة، وأولاهم بإمامة المسلمين.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيْنَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةَ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافئُهُ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي

(١) برقم (٥٦٦٦) وصحيح مسلم (٢٣٨٧) واللفظ له.

(٢) البخاري برقم (٣٩٠٤)، ومسلم برقم (٢٣٨٢).

بَكَرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

وقد أنفق رضي الله عنه بعد إسلامه أربعون ألفاً على الصدقات، وإعتاق العبيد من المسلمين.

روى الترمذي في سننه من حديث عمر بن الخطاب قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَّصِدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَآتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ وَأَنْعَمًا»<sup>(٣)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «هَذَانِ سَيِّدَا كُھُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّنَ وَالْمُرْسَلِينَ»<sup>(٤)</sup>.

وقد تولى الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت خلافته سنتان وسبعة أشهر، وعندما ارتدت العرب واشرب النفاق، وانحازت

(١) برقم (٣٦٦١) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٠/٣) برقم (٢٨٩٤).

(٢) برقم (٣٦٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) برقم (٣٦٥٨) وقال: هذا حديث حسن.

(٤) برقم (٣٦٦٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠١/٣) برقم (٢٨٩٧).

الأنصار، قالت عائشة رضي الله عنها: «فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها»، وقال كلمته المشهورة: «لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ»<sup>(١)</sup>.

يقول العلماء: حفظ الله الدين، برجلين: أبو بكر في حروب الردة، وأحمد بن حنبل في فتنة الجهمية.

وجمع القرآن في عهده، يقول علي بن أبي طالب: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر. وكان رضي الله عنه شديد الورع، روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: لما استخلف أبو بكر الصديق قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، ويحترف للمسلمين فيه<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: أشار بذلك أنه كان كسوباً لمؤنته ومؤونة عياله بالتجارة من غير عجز تمهيداً على سبيل الاعتذار عما يأخذه من مال المسلمين إذا احتاج إليه، فقد روى ابن سعد وابن المنذر بإسناد صحيح عن مسروق عن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة بعدي، قالت: فلما مات نظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وناضح كان يسقي بستاناً له، فبعثنا بهما إلى عمر، فقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده<sup>(٣)</sup>.

تقول عائشة رضي الله عنها: كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٠).

(٢) برقم (٢٠٧٠). (٣) فتح الباري (٤/٣٠٤).

لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يوماً بارداً، فحُمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، ودخل عليه الصحابة في مرضه، فقالوا: ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ فقال: قد نظر إلي، فقالوا: ما قال؟ قال: إني فعال لما أريد، تقول عائشة رضي الله عنها: لما ثقل أبي تمثلت بهذا البيت:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الشَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ  
فكشف عن وجهه وقال: ليس ذلك يا بنية، ولكن قولني: ﴿وَجَاءَتْ  
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق] (١).

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فقال: في كم كفتتم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية، ليس فيها قميص ولا عمامة. وقال لها: في أي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: يوم الاثنين. قال: فأأي يوم هذا؟ قالت: يوم الاثنين. قال: أرجو فيما بيني وبين الليل. فنظر إلى ثوب عليه كان يمرّض فيه، به ردع من زعفران، فقال: اغسلوا ثوبي هذا، وزيدوا عليه ثوبين، فكفونوني فيها. قلت: إن هذا خلق؟ قال: إن الحَيَّ أَحَقُّ بالجديد من الميت، إنما هو للمهلة. فلم يتوفَّ حتى أمسى من ليلة الثلاثاء، ودُفِنَ قبل أن يُصْبِحَ (٢).

رضي الله عن أبي بكر، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٦٣ - ٦٤). (٢) برقم (١٣٨٧).



## مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، ولد بعد حادثة الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من السابقين إلى الإسلام، قال فيه النبي ﷺ في الحديث المخرج في مسند الإمام أحمد: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ»<sup>(١)</sup>.

وقال عنه ﷺ كما في الحديث المخرج في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»<sup>(٢)</sup>.

كان إسلامه فتحًا على المسلمين، وفرجًا لهم من الضيق، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة، تزوج النبي ﷺ من ابنته، وهو أحد

(١) (١٤٤/٩) برقم (٥١٤٥) وقال محققوه: حديث صحيح من حديث ابن عمر.

(٢) البخاري برقم (٣٢٩٤)، ومسلم برقم (٢٣٩٦).

العشرة المبشرين بالجنة، وفي عهده سقطت دولتي فارس والروم، قال عنه عبد الله بن مسعود: «ما عبد الله جَهْرَةً حَتَّى أَسْلَمَ هَذَا الرَّجُلُ».

إنه فاروق هذه الأمة، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أبو حفص، كان إسلامه ﷺ قد تحقق ببشارة النبي ﷺ فيما رواه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ <sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي عنه أنه قال: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ» <sup>(٢)</sup>.

قال ابن عباس: «أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب»، وصفه أهل السير بأنه كان رجلاً طويلاً جداً، ومن طوله إنه إذا ركب الفرس تخط رجلاه بالأرض، ومع طوله فإنه كان ضخماً عريض المنكبين، مفتول الساعدين، أبيض مشرباً بالحمرة، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على فضله ومكانته، فمن ذلك ما رواه الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» <sup>(٣)</sup>، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَيَّ جَانِبَ قَصْرِ، قُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ قَالَ: أَعَلَيْكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغَارُ؟! <sup>(٤)</sup>

(١) برقم (٣٦٨١) وقال: هذا حديث صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤/٣) برقم (٢٩٠٧).

(٢) برقم (٣٦٨٤). (٣) برقم (٣٦٨٦).

(٤) البخاري برقم (٧٠٢٣)، ومسلم برقم (٢٣٩٤).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمُرٌ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ» قالوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدِّين» (١).

وقد كان ﷺ رجلاً ملهماً، نزل القرآن الكريم في موافقته في عدد من آرائه، ففي الصحيحين من حديث عمر أنه قال: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى؟ فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وَآيَةُ الْحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ؟ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبُرِّ وَالْفَاجِرِ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (٢).

وكذلك وافقه في أسارى بدر، وفي ترك الصلاة على المنافقين، وفي غيرها من المواضع، وكان ﷺ من أعلم الصحابة وأفقههم، قال عبد الله بن مسعود: لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان، ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح بهم علم عمر، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم (٣).

(١) البخاري برقم (٣٦٩١)، ومسلم برقم (٢٣٩٠).

(٢) البخاري برقم (٤٠٢)، ومسلم برقم (٢٣٩٩).

(٣) مستدرک الحاکم (٣٩/٤) برقم (٤٥٥٣) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والطبراني في الكبير (١٦٣/٩) برقم (٨٨٠٩) وقال في مجمع الزوائد (٦٩/٩): رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق، سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان تقيًا ورعًا زاهدًا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد كثرت الفتوحات في عهده، وسقطت دولتي فارس والروم، وكانت هذه من أعظم الإنجازات في عهده، وأصيب الناس في إحدى سنوات عهده بمجاعة شديدة، أجذبت الأرض، واسودت، وانقطع المطر، وسمي ذلك العام عام الرمادة، فكان يأكل الخبز والزيت، ويقول: لن أشبع حتى يشبع أطفال المسلمين، وكان يقول: لو أن بغلة عثرت في طريق العراق لخشيت أن يسألني الله عنها يوم القيامة. وفي صحيح البخاري من حديث عمرو بن ميمون الأنصاري أنه قال: «شَهِدْتُ عُمَرَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَيَّامٍ وَهُوَ يَقُولُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لَأَدْعَنَّ أَرَامِلَ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ رَابِعَةٌ إِلَّا وَأُصِيبَ»<sup>(١)</sup>. وقد أكرمه الله بالشهادة، فكان قتله على يد الغادر الشقي أبي لؤلؤة المجوسي في سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وهو يؤم الناس لصلاة الفجر، طعنه بسكين ذات شقين.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب الناس على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أبا بكر ثم قال: رأيت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلي، رأيت كأن ديكاً نقرني نقرتين، قال: وذُكِرَ لي أنه ديكٌ أحمر، فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر رضي الله عنه فقالت: يفتلك رجلٌ من العجم<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين حفصة أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدٍ

(١) برقم (٣٧٠٠).

(٢) (١/٢٥٠) برقم (٨٩) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

رَسُولِكَ»<sup>(١)</sup>. فاستجاب الله لدعوته الصالحة.

رضي الله عن عمر، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء،  
وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين،  
وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى  
آله وصحبه أجمعين.



---

(١) برقم (١٨٩٠).



الكلمة المئة وتسع وثلاثون

النهي عن البدع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿الْمَصَّ ۝١ كَذَّبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَيُذَكِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup>.

والبدعة هي كل ما أحدث في الشرع بغير دليل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).

(٢) سنن النسائي برقم (١٥٧٨) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/ ٣٤٥ - ٣٤٦) برقم (١٤٨٧) وأصله في صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال ابن رجب في شرح هذا الحديث: «وهو أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»<sup>(١)</sup> ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراود به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر: «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه»<sup>(٣)</sup>.

وقال النووي: «وهذا الحديث مما ينبغي أن يعتنى بحفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به كذلك»<sup>(٤)</sup>.

وقال الطريقي: «هذا الحديث يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع»<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن القيم: «القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن»<sup>(٦)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم الجمعة: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(٧)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم (١)، وصحيح مسلم برقم (١٩٠٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٧٦). (٣) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣).

(٤) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣). (٥) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣).

(٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/٢١٣).

(٧) برقم (٨٦٧).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: «وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن السلف الصالح بعدهم التحذير من البدع، والترهيب منها، وما ذاك إلا لأنها زيادة في الدين، وشرع لم يأذن به الله، وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم وابتداعهم فيه ما لم يأذن به الله، ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي، واتهامه بعدم الكمال، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم، والمنكر الشنيع، والمصادمة لقول الله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والمخالفة الصريحة لأحاديث الرسول ﷺ المحذرة من البدع، والمنفرة منها<sup>(١)</sup>. اهـ.

وَمَرَّ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى أَنْاسٍ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ وَهُمْ حَلَقٌ، وَفِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى، وَرَجُلٌ يَقُولُ لَهُمْ: سَبَّحُوا مِئَةً، فَيَسْبَحُونَ، كَبَّرُوا مِئَةً فَيَكْبُرُونَ، هَلَّلُوا مِئَةً فَيَهْلَلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيَحْكُمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ، وَأَيْتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَحُو بَابِ ضَلَالَةٍ؟ قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ! قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبْهُ؟! (٢).

وقال أهل العلم: إن كل عمل يتقرب به المسلم إلى ربه ﷻ لا بد له من شرطين:

(١) رسالة للشيخ بعنوان: التحذير من البدع (ص ١١).

(٢) معجم الطبراني الكبير (٩/١٢٧) رقم (٨٦٣٦)، وروي بألفاظ كثيرة.

الأول: الإخلاص لله ﷻ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

الثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ، وهذه المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة:

١ - السبب: فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعياً فهي مردودة على صاحبها، مثالها: رجل يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ فالتهدج عبادة وسنة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة، لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعاً، وهذا أمر مهم يتبين به ابتداع كثير ممن يظن أنه من السنة، وليس من السنة، ومن الأمثلة كذلك: بدعة المولد، فإن هذا السبب لم يشرع، ولم يفعله النبي ﷺ ولا الصحابة، ولا القرون المفضلة، وإنما أحدثته الدولة العبيدية الرافضية، لما حكمت مصر في القرن العاشر.

٢ - الجنس: فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم تشرع في جنسها، فهي غير مقبولة، ومثال ذلك: أن يضحي رجل بفرس، فلا تصح أضحيته، لأنه خالف الشريعة في جنسها، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام - الإبل، والبقر، والغنم -.

٣ - القدر: فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، فيقال له: هذه بدعة غير مقبولة، لأنها مخالفة للشرع في القدر، ومن باب أولى لو

(١) البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

أن الإنسان صلى الظهر مثلاً خمساً، فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

٤ - الكيفية: فلو أن رجلاً توضأ، فبدأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه، ثم غسل يديه، ثم وجهه، فيقال له: وضوءك باطل، لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

٥ - الزمان: فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة، فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان، وبعض الناس في شهر رمضان يتقرب إلى الله بذبح الأغنام، وهذا عمل بدعة لأنه ليس هناك شيء يتقرب به إلى الله بالذبح إلا الأضحية، والهدي، والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر كالذبح في عيد الأضحى فبدعة، وأما الذبح لأجل الأكل جائز.

٦ - المكان: فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد، فإن اعتكافه لا يصح، وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مصلى البيت فلا يصح اعتكافها، لمخالفة الشرع في المكان.

ومن الأمثلة: لو أن رجلاً أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق، ووجد ما حوله قد ضاق، فصار يطوف من وراء المسجد، فلا يصح طوافه، لأن مكان الطواف البيت، قال الله تعالى لإبراهيم الخليل: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾<sup>(١)</sup> [الحج: ٢٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر: رسالة (الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع)، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ٢٠ - ٢٣).



## الكلمة المئة وأربعون

### قدرة الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنه ينبغي للمؤمن أن يتأمل في آيات الله الدالة على كمال قدرته، ليعظمه حق تعظيمه، ويقدره حق قدره، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢) [يس]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ (٥٠) [القمر]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٧) [الزمر]، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله - أي ابن مسعود - قال: «قَالَ جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٧)» (١).

ومن الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرته خلق السماوات،

(١) البخاري برقم (٤٨١١)، ومسلم برقم (٢٧٨٦).

والأرض، والجبال، والدواب في ستة أيام، ولو شاء لخلقها في لمحة بصر، ولكن كان ذلك لحكمة إلهية منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق. ٣٨].

ومنها: أن الله تعالى خلق آدم من سلالة من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، يخرج من بين الصلب والترائب، ثم يستقر في قرار مكين، في مكان لا يعتريه شمس ولا هواء، ولا حر ولا برد، في ظلمات ثلاث، ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة الغشاء، أربعون يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، فإذا تمت هذه الأيام، وهي أربعة أشهر، أرسل الله تعالى إليه الملك الموكل بالأجنة، فنفخ فيه الروح، فأصبح إنساناً بعد أن كان جماداً، فتبارك الله أحسن الخالقين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [١٢] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [١٣] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [١٤]. [المؤمنون].

ومنها: أن الله خلق عيسى من أم بلا أب، وأنطقه الله تعالى في المهده وهو صبي، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٥٩]. [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [٢٧] ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [٢٨] ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [٢٩] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [٣٠] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [٣١]. [مريم].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه حوادث كثيرة تدل على قدرته على إحياء الموتى في هذه الدنيا.

ومنها: قصة بني إسرائيل حين قالوا لنبيهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فعاقبهم الله تعالى، فأخذتهم الصاعقة، فماتوا، ثم بعثهم الله تعالى من بعد موتهم، وفي هذا يقول تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

ومنها: قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قد تهدم بناؤها، ويست أشجارها فاستبعد أن تعود على ما كانت عليه من العمران والسكان، فأراه الله تعالى آية في نفسه تدل على قدرته، فأماته الله مئة سنة، وكان معه حمار وطعام وشراب، فمات الحمار، وتمزقت أوصاله، ولاحت عظامه، وبقي الطعام والشراب لم يتغير واحد منهما بنقص ولا طعم ولا لون ولا رائحة، مئة سنة والشمس تصهره، والرياح تتعاقب عليه، ثم بعث الله ﷻ ذلك الرجل وأراه الحمار، فنظر إلى عظامه المتفرقة في الأرض يركب بعضها بعضاً، كل عظم في محله، ثم يكسوها الله لحماً، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَيْفَ لِي إِذْ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لِي لَيْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة].

ومنها: قصة إبراهيم الخليل حين سأل ربه أن يريه كيف

يحيي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير، فيقطعهن أجزاء فيفرقها على الجبال التي حوله، على كل جبل جزء من هذه الطيور، ثم يناديهن، وحينئذ تلتئم هذه الأجزاء المتفرقة في الجبال بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم عليه السلام مشياً لا طيراً، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة].

فهذه الأمثلة من إحياء الله تعالى الموتى في الدنيا دليل على قدرته سبحانه على البعث يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَفْئِيسٍ وَاحِدَةً﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

فسبحانه من إله عظيم قادر، لا يعجزه شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة المئة وإحدى وأربعون

علامات حسن الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران)، وقال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف)، وقال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر)، في هذه الآيات وغيرها يوصي الرؤوف الرحيم عباده بالثبات على الدين والموت على الإسلام، لأنه من حصل له ذلك فاز الفوز العظيم الذي لا فوز أكبر منه، وسعد السعادة التي لا شقاوة معها، فإن من علامات سعادة العبد حسن خاتمته، ولا أحسن، ولا أفضل من أن يموت العبد مؤمناً بربه، راضياً بدينه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»<sup>(١)</sup>.

وأن من علامات حسن الخاتمة:

الاستشهاد في سبيل الله، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ

(١) جزء من حديث في البخاري برقم (٦٤٩٣)، ومسلم برقم (٢٦٥١).

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ [آل عمران]، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

وترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصاً من قلبه، ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة لما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أن يوفق المحتضر للنطق بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، روى أبو داود في سننه من حديث معاذ بن جبل: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

قال بعض أهل العلم: «لأنها شهادة شهد بها عند موته، وقد ماتت شهواته، وذهلت نفسه لما حل به من هول الموت، وذهب حرصه ورغبته، وسكنت أخلاقه السيئة، وذل وانقاد لربه، فاستوى ظاهره وباطنه، فغفر له بهذه الشهادة لصدقه».

ومنها: الموت بعرق الجبين:

روى الترمذي في سننه من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: عن

(١) البخاري برقم (٢٨١٧)، ومسلم برقم (١٨٧٧).

(٢) برقم (١٩٠٩).

(٣) برقم (٣١١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٠٢) برقم (٢٦٧٣).

النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ»<sup>(١)</sup>.

قال بعض أهل العلم: قيل: هو لما يعالج من شدة الموت، فقد تبقى عليه بقية من ذنوب، فيشدد عليه وقت الموت ليخلص عنها، وقيل: هو من الحياء، فإنه إذا جاءت البشرية مع ما كان قد اقترف من الذنوب حصل له بذلك خجل وحياء من الله تعالى، فغرق لذلك جبينه، وقيل: يحتمل أن عرق الجبين علامة جُعِلَتْ لموت المؤمن، وإن لم يعقل معناه<sup>(٢)</sup>.

ومنها: وفاة المسلم بالطاعون، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: الموت بداء البطن، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ»<sup>(٤)</sup>.

وذكر بعض الشراح أن المبطون من أصابه إسهال، أو استسقاء، أو وجع بطن.

ومنها: الموت بالحرق أو الغرق أو الهدم أو الطاعون أو ذات الجنب، أو موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ،

(١) برقم (٩٨٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) التذكرة للقرطبي (ص ٢٤) وتحفة الأحوذى (٤/٣٠).

(٣) البخاري برقم (٢٨٣٠)، ومسلم برقم (١٩١٦).

(٤) قطعة من حديث برقم (١٩١٥).

وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث جابر بن عتيك: أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب، فصاح به رسول الله ﷺ فلم يجبه، فاسترجع رسول الله ﷺ وقال: «غَلِبْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّبِيعِ»، فصاح النسوة وبكين، فجعل ابن عتيك يسكتهن، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُنَّ فَإِذَا وَجَبَ فَلَا تَبْكِينَ بَاكِيَةً»، قالوا: وما الوجوب يا رسول الله؟ قال: «الْمَوْتُ»، قالت ابنته: والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيداً فإنك كنت قد قضيت جهازك، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَيَّ قَدْرَ نَيْتِهِ، وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟»، قالوا: القتل في سبيل الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «الشَّهَادَةُ سَبْعُ سَوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمُعِ شَهِيدٌ»<sup>(٢)</sup>.

وذات الجنب هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع.

والمرأة تموت بجمع، أي تموت وفي بطنها ولد، أو تموت من الولادة، كذا قاله المناوي<sup>(٣)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومنها: الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس والمال، روى أبو داود في سننه من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ

(١) البخاري برقم (٦٥٣)، ومسلم برقم (١٩١٤).

(٢) برقم (٣١١١)، وصححه الألباني في كتابه أحكام الجنائز وبدعها، (ص ٥٤ - ٥٥).

(٣) فيض القدير (٤/١٧٩).

دينه، فهو شهيد<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٤٧٧٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٠٦/٣) برقم (٣٩٩٣).

(٢) برقم (١٤٠).



## وفاته عليه الصلاة والسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، فبكى أبو بكر الصديق، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الحديث إشارة إلى قرب وفاته عليه الصلاة والسلام، وأن ساعة الفراق قد باتت قريبة، وإلى عزوفه عليه الصلاة والسلام عن الدنيا، واشتياقه إلى الرفيق الأعلى.

وقال بعض أهل العلم: إن الله جمع لنبيه بين النبوة والشهادة، ويستدلون على ذلك بما أخرجه البخاري في صحيحه قالت عائشة رضي عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه: «يَا عَائِشَةُ، مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ

(١) البخاري برقم (٤٦٦)، ومسلم برقم (٢٣٨٢).

انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ»<sup>(١)</sup>.

قال شراح الحديث: الأبهر عرق بالظهر متصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه، وهو يشير بذلك إلى ما حصل له في غزوة خيبر عندما جاءت امرأة يهودية، يقال لها: زينب بنت الحارث بشاة مسمومة، وقدمتها للنبي ﷺ فوضع لقمته في فمه، فلم يستسغها، فرمى بها، ومكث عليه الصلاة والسلام من السنة السابعة إلى السنة الحادية عشرة وهو يعاني من آثار السم الذي يعاوده فترة بعد أخرى<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عبد البر: «ثم لما دنت وفاته ﷺ، أخذه وجعه في بيت ميمونة، فخرج إلى أحد، فصلى عليهم صلاة الميت، ودعا لهم، وكان ذلك بعد ثماني سنوات من استشهادهم»<sup>(٣)</sup>. اه، وكان أول ما يشكو في علة الآلام الشديدة في رأسه، فدخل على عائشة رضي الله عنها، فقالت: وارأساه يا نبي الله، فقال رسول الله ﷺ: «ذَلِكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ، فَأَسْتَغْفِرُ لَكَ، وَأَدْعُو لَكَ»، فقالت عائشة: واثكلياه، والله إنني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذاك، لظلت آخر يومك معرسًا ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ»<sup>(٤)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: «أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء<sup>(٥)</sup>.

تقول عائشة رضي الله عنها، وهي تحكي مشهد احتضاره ﷺ: «كَانَ بَيْنَ

(١) برقم (٤٤٢٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٧٧).

(٣) انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير (١/٢٦٩).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٢١٧).

(٥) البخاري برقم (٤٤٥٠)، ومسلم برقم (٢٤٤٣).

يَدِيهِ رَكُوعًا، أَوْ عُلْبَةً فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ، وَمَالَتْ يَدُهُ»<sup>(١)</sup>. تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ، وَإِنَّهُ لَبَيِّنَ حَاقِنْتِي وَذَاقِنْتِي، فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٢)</sup>، وَتَقُولُ أَيْضًا: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَدِدَ عَلَيْهِ فِي سَكْرَاتِ الْمَوْتِ، رَفْعَةً لِدَرَجَاتِهِ، وَإِلَّا فَهُوَ الْمَغْفُورُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ، ثُمَّ بَدَأَتْ الْحُمَى الشَّدِيدَةَ تَنْتَشِرُ فِي جَسَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَيَقُولُ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ لَمْ تُحَلَّلْ أَوْ كَيْتُهُنَّ»، فَيُوضَعُ فِي مَخْضَبٍ ثُمَّ يُصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ، حَتَّى أَشَارَ إِلَيْهِمْ: «أَنْ حَسْبُكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

وَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِجَوَارِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ رَأَتْهُ وَهُوَ يُعَانِي مِنْ هَذِهِ السَّكْرَاتِ الْعَظِيمَةِ، فَقَالَتْ: وَكَرَبَ أَبَاهُ. فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَيَّ أْبِيكَ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»<sup>(٥)</sup>.

وَلَمَّا هَمَّ بِالصَّلَاةِ مَعَ النَّاسِ أَغْمِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ<sup>(٦)</sup>، ثُمَّ أَفَاقَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَزَالُ يَحْمِلُ هَمَّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، فَيَقُولُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ مِنْ حَيَاتِهِ: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»<sup>(٧)</sup>، لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ<sup>(٨)</sup>، أَلَا فَلَا

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٤٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢).

(٤) صحيح مسلم برقم (٤١٨).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) صحيح البخاري برقم (٤٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٥٣١).

تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ» (١).

تقول عائشة رضي الله عنها: لما نزل به - أي الموت - ورأسه على فخذي عُشي عليه ثم أفاق، ثم شخص بصره إلى سقف البيت، وقد أخبرنا قبل ذلك: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ»، فيخير بين الدنيا وبين ما عند الله، فعرفت أنه لا يختارنا، وأنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صَحيحٌ، ثم رفع بصره إلى السماء، وجعل يقول: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»، فكانت آخر كلمة تكلم بها حتى قبض (٢)، ومالت يده الشريفة.

قالت فاطمة رضي الله عنها: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ (٣).

قال الحافظ ابن كثير: وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام سنة إحدى عشرة من الهجرة في الثاني عشر من ربيع الأول، الموافق يوم الاثنين، ومكث بقية الاثنين ويوم الثلاثاء بكماله، ودفن ليلة الأربعاء، وهو المشهور عند الجمهور (٤).

ومن الدروس والعبر المستفادة من وفاته عليه الصلاة والسلام:

١ - أن الموت سبيل كل حي، فلا أحد كائنًا من كان سيخلد في هذه

(١) صحيح مسلم برقم (٥٣٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٣)، وبرقم (٤٤٣٥) و(٤٤٤٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٤٤).

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢). (٤) البداية والنهاية (٨/١٥٢).

الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِيَّاهُمْ مَمِّتُونَ﴾ (٣٠) [الزمر].

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١٨٥) [آل عمران].

٢ - زهده عليه الصلاة والسلام في هذه الحياة الدنيا، ورغبته في الآخرة، ففي صحيح البخاري من حديث عمرو بن الحارث، قال: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أُمَّةً، إِلَّا بَغَلْتُهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً<sup>(١)</sup>.

بل إنه عليه الصلاة والسلام: تُؤَفِّي وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ<sup>(٢)</sup>.

٣ - أن موته عليه الصلاة والسلام من أعظم المصائب، ولن يتلى المسلمون بمصيبة أعظم من وفاته، روى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصَابَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»<sup>(٣)</sup> ليكون ذلك تسلية له في مصيبته.

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنْ

(١) برقم (٤٤٦١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٧)، وصحيح مسلم برقم (١٦٠٣).

(٣) (٥٣/١) برقم (٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٤٧).

رَسُولِ اللَّهِ الْأَيْدِي، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»<sup>(١)</sup>.  
 وقالت فاطمة رضيها لله لأنس بعدما دفن النبي ﷺ: «يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ  
 أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ التُّرَابَ؟!»<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر:

اصبر لكل مُصِيبَةٍ وَتَجَلِّدِ      واعلم بأن المَرءَ غَيْرَ مُخَلِّدِ  
 وَإِذَا أَتَتْكَ مُصِيبَةٌ تَشْجَى بِهَا      فاذكر مُصَابِكَ بالنبي محمد<sup>(٣)</sup>  
 اللهم احشرونا في زمرة، وأوردنا حوضه، واجعلنا من أتباعه.  
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى  
 آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٣٦١٨)، وقال ابن كثير: إسناده على شرط الشيخين، وقال الترمذي: حديث غريب صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٤٦٢).

(٣) انظر: مرض النبي ﷺ ووفاته، وأثر ذلك على الأمة، للشيخ خالد أبو صالح.

## الكلمة المئة وثلاث وأربعون

### أسباب النصر على الأعداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان يبتلى فيها المؤمنون بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ كَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ كَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

قال ابن كثير: أي إن كنتم قد أصابتمكم جراح، وقتل منكم طائفة، فقد أصاب أعداءكم قريب من هذا من قتل وجراح، وتلك الأيام نداولها بين الناس، أي نديل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة، لما لنا في ذلك من الحكمة<sup>(١)</sup>.

وعداوة الكفار للمؤمنين عداوة قديمة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٩٩ - ٢٠٠).

والنصر على الأعداء له أسباب كثيرة، أذكر منها:

أولاً: الإيمان بالله، والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

والمؤمنون الموعودون بالنصر هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [٣] [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٥٥] [النور].

ثانياً: الإخلاص والصدق في نصر دين الله، قال تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّكُمُ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٤٠] ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [٤١] [الحج].

وقال سبحانه: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [٧] [محمد].

ثالثاً: التوكل على الله، قال تعالى: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [١٦٠] [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ

اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ [التوبة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ  
 فِي سَبِيلِهِ، وَتَصَدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي  
 خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: الثبات عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا  
 لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن  
 أبي أوفى رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ،  
 وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ  
 ظِلَالِ السُّيُوفِ»<sup>(٢)</sup>.

خامساً: الشجاعة والإقدام عند لقاء العدو، واليقين أن الأجل لا  
 يقدمه إقدام، ولا يؤخره إحجام، قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَوْ  
 كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ  
 عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال الشاعر:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشجع الناس، وأقواهم قلباً عند لقاء العدو، روى  
 مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ

(١) البخاري برقم (٣١٢٣)، ومسلم برقم (١٨٧٦).

(٢) البخاري برقم (٢٩٦٦)، ومسلم برقم (١٧٤٢).

الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ<sup>(١)</sup>.

سادساً: كثرة الذكر والدعاء، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الذَّبَابُ فَأَمْنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٤٥] [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [١] [الأنفال].

وكان النبي ﷺ يدعو ربه ويستغيث به في معاركه، كما في معركة بدر وغيرها، وكان من دعائه: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

سابعاً: لزوم طاعة الله تعالى ورسوله، والحذر من المعاصي والتنازع، قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ، وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [٤٦] [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

ثامناً: لزوم طاعة الأمير، والحذر من الاختلاف عليه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي

(١) برقم (١٧٧٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٩٣٣)، وصحيح مسلم برقم (١٧٤٢) واللفظ له.

(٣) سبق تخريجه.

فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: الصبر على مشاق الجهاد، وخاصة عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا أُضْعَفًا مُضْعَفًا<sup>ط</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا<sup>ط</sup> وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال له: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَيَّ مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»<sup>(٢)</sup>.

عاشراً: الإخلاص لله، فلا يكون المقاتل مجاهدًا في سبيل الله إلا بالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا<sup>ط</sup> وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلِ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلِ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِنُكُونِ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

الحادي عشر: الأخذ بأسباب القوة، والإعداد لذلك

(١) البخاري برقم (٧١٣٧)، ومسلم برقم (١٨٣٥).

(٢) (١٩/٥) برقم (٢٨٠٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) البخاري برقم (٢٨١٠)، ومسلم برقم (١٩٠٤).

امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [الأنفال].

روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ وهو على المنبر يقول: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»<sup>(١)</sup>.

ومن أعظم أسباب الخذلان: المعاصي والذنوب، فإنها تخون العبد وهو أحوج ما يكون إلى نصر ربه، قال تعالى مبيناً سبب انهزام بعض المسلمين في إحدى الغزوات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٥٥﴾ [آل عمران].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين<sup>(٢)</sup>.



(١) برقم (١٩١٧).

(٢) انظر رسالة الشيخ سعيد بن وهف القحطاني: الجهاد في سبيل الله، فضله، مراتبه، أسباب النصر على الأعداء.

## الكلمة المئة وأربع وأربعون

### فضل أيام عشر ذي الحجة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الخالق لجميع المخلوقات جل وعلا قد فضل بعضها على بعض، واختار منها ما شاء، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص].

ومن هذه الأزمنة الفاضلة، التي فضلها الله على غيرها أيام عشر ذي الحجة، قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر]. والإقسام بالشيء دليل على أهميته وعظمته، قال ابن عباس والزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف: «إنها عشر ذي الحجة»، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وهو الصحيح»<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج].

قال ابن عباس: «الأيام المعلومات أيام عشر ذي الحجة»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (١٤/٣٣٨).

(٢) صحيح البخاري، باب فضل العمل في أيام التشريق.

وقد أخبر النبي ﷺ أنها من أفضل الأيام، وأن العمل الصالح فيها أعظم من غيرها، روى البخاري والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ، مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ التَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الأيام العشر يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم القر، وهي من أعظم الأيام عند الله، روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن قرط: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ»<sup>(٣)(٤)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»<sup>(٥)</sup>.

فهو يوم المغفرة والعتق، وصومه يكفر ستين، روى مسلم والترمذي من حديث أبي قتادة: أن النبي ﷺ قال: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ: إِنِّي أَحْتَسِبُ

(١) صحيح البخاري برقم (٩٦٩)، وسنن الترمذي برقم (٧٥٧)، واللفظ له.

(٢) (٣٢٣/٩ - ٣٢٤) برقم (٥٤٤٦)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) يوم القر: هو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة.

(٤) برقم (١٧٦٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣١/١) برقم (١٥٥٢).

(٥) برقم (١٣٤٨).

عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكْفِرَ السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة أنها مكان لاجتماع أمهات العبادة فيها، وهي الصلاة، الصيام، الصدقة، الحج، ولا يتأتى ذلك في غيرها<sup>(٢)</sup>، وقال ابن رجب: لما كان الله ﷻ قد وضع في نفوس المؤمنين حيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادراً على مشاهدته في كل عام، فرض على المستطيع الحج مرة واحدة، في عمره، وجعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين والقاعدين، فمن عجز عن الحج في كل عام قدر في العشر على عمل يعمل في بيته يكون أفضل من الجهاد<sup>(٣)</sup>. اهـ.

ولا خلاف في تفضيل أيام العشر على بقية أيام السنة، لقوة النصوص في ذلك، والخلاف في الليالي، فقليل إن ليالي رمضان أفضل، وممن رجح ذلك ابن القيم، فقال: وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويدل عليه أن ليالي العشر من رمضان، إنما فضلت باعتبار ليلة القدر، وهي من الليالي، وعشر ذي الحجة إنما فضل باعتبار أيامه، إذ فيه يوم النحر، ويوم عرفة، ويوم التروية<sup>(٤)</sup>.

وينبغي لمن وفقه الله لمعرفة فضل هذه الأيام، وأمد له في عمره، أن يجتهد فيها بكثرة الأعمال الصالحة، فما هي إلا أيام معدودة ثم تنقضي، وكان السلف الصالح يجتهدون فيها، وكان سعيد بن جبير يجتهد فيها اجتهاداً عظيماً، حتى ما يكاد يقدر عليه.

(١) مسلم برقم (١١٦٢)، والترمذي برقم (٧٤٩) واللفظ له.

(٢) فتح الباري (٢/٤٦٠).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي (ص ٣١٠).

(٤) زاد المعاد (١/٥٧) بتصرف.

ومن الأعمال الصالحة في أيام العشر:

حج بيت الله الحرام، وهو من أفضل الأعمال والقربات، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، يَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةٌ أَعْوَامٍ، لَا يَفِدُ إِلَيَّ لِمَحْرُومٍ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: الصيام، قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وقال تعالى بعدما ذكر المسارعين إلى الخيرات من الرجال والنساء: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّالِمِينَ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وَمِنهَا: الصدقة: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنَّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة].

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الحَطِيبَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ذكر الله. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد].

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله: «ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها، لكفى

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

بها فضلاً وشرفاً»<sup>(١)</sup>.

والذكر عمومًا، والتكبير خصوصًا من شعائر هذه الأيام، قال تعالى: ﴿وَيَذَكِّرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

وتقدم حديث: «فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ التَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ، يُكَبِّرَانِ، وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا<sup>(٢)</sup>.

وكان السلف يحرصون على إحياء هذه الشعيرة في أيام العشر، وصفة التكبير: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ».

وغير ذلك من أبواب الخير العظيمة التي فتحها الله لعباده.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٧١).

(٢) صحيح البخاري، باب فضل العمل في أيام التشريق.

الكلمة المئة وخمس وأربعون

طلب العلم الشرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أفضل العبادات، وأجل الطاعات التي حث عليها الشرع طلب العلم الشرعي، والمقصود بالعلم الشرعي، علم الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

روى البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup>.

قال بعض أهل العلم: «من لم يفقه في الدين لم يرد به خيراً»، وروى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ

(١) البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

العَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ  
الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَثُوا  
الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ<sup>(١)</sup>.

قال الأوزاعي: «الناس عندنا هم أهل العلم، ومن سواهم فلا شيء»، وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله: «حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب». قال سفيان الثوري: من أراد الدنيا والآخرة فعليه بطلب العلم، وقال أبو جعفر الطحاوي: كنت عند أحمد بن أبي عمران فمر بنا رجل من بني الدنيا فنظرت إليه وشغلت به عما كنت فيه من المذاكرة، فقال لي: كأني بك قد فكرت فيما أُعطي هذا الرجل من الدنيا، قلت له: نعم، قال: هل أدلك على خلة؟ هل لك أن يحول الله إليك ما عنده من المال ويحول إليه ما عندك من العلم فتعيش أنت غنياً جاهلاً ويعيش هو عالماً فقيراً؟ فقلت: ما أختار أن يحول الله ما عندي من العلم إلى ما عنده فالعلم غني بلا مال، وعز بلا عشيرة، وسلطان بلا رجال، وفي ذلك قيل:

العلم كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ      نِعْمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبَ صَحْبَا  
قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَا لَا تُمُّ يُحْرَمُهُ      عَمَا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذَّلَّ وَالْحَرْبَا  
وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا      وَلَا يَحَازِرُ مِنْهُ الْفَوْتُ وَالسَّلْبَا  
يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ      لَا تَعْدَلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبًا<sup>(٢)</sup>

ومن فضائل هذا العلم: أنه يبقى أجره بعد انقطاع أجل صاحبه، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) برقم (٣٦٤١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٩٤) برقم (٣٠٩٦).

(٢) جامع الآداب لابن القيم تحقيق يسري السيد محمد (١/٢٧١ - ٢٧٢).

«إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: أن أهل العلم هم القائمون بأمر الله حتى تقوم الساعة، روى البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَرَأَى طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>، روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال عن هذه الطائفة: «إن لم يكونوا من أهل الحديث فلا أدري من هم».

قال عبد الله بن داود: سمعت سفيان الثوري يقول: إن هذا الحديث عز، فمن أراد به الدنيا وجدها ومن أراد الآخرة وجدها... وكان الشافعي إذا رأى شيخاً سألته عن الحديث والفقه، فإن كان عنده شيء وإلا قال له: لا جزاك الله خيراً عن نفسك ولا عن الإسلام، قد ضيعت نفسك وضيعت الإسلام<sup>(٣)</sup>.

ومنها: أنه طريق عظيم إلى الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»<sup>(٤)</sup>.

ومنها: أن العالم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمٍ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٤١)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٧) واللفظ له.

(٣) جامع الآداب لابن القيم، تحقيق يسري السيد محمد (١/ ٢٧١ - ٢٧٣).

(٤) قطعة من حديث برقم (٢٦٩٩).

أَهْلِ الْأَرْضِ؟ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَكَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟»<sup>(١)</sup>.

ومنها: أن الله تعالى يقذف لأهل العلم الربانيين هيبة ومحبة، وتقديرًا في قلوب الناس، فتجد الألسن تتابع في الثناء عليهم، والقلوب تنفق على احترامهم وتقديرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾<sup>(١٦)</sup> [مريم].

ومنها: أن طلب العلم خير للمرء من متاع الدنيا، روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثُ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»<sup>(٢)</sup>.

ووسائل طلب العلم كثيرة، كحضور الدروس العلمية للعلماء والمشايخ، والمحاضرات العامة، والكلمات في المساجد، وقراءة الكتب النافعة، والاستماع إلى الأشرطة المفيدة، وسؤال أهل العلم عما أشكل، وحفظ كتاب الله فهو رأس العلوم كلها. والله دَرُّ الشافعي عندما قال:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ إِلَّا الْحَدِيثَ وَعِلْمَ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٦٦) واللفظ له.

(٢) برقم (٨٠٣).

العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين

وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَأَقْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا»<sup>(١)</sup>.

وكان النبي ﷺ يستعيد بالله من علم لا ينفع، روى النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ: مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن ماجه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»<sup>(٣)</sup>.

ويجب على المسلم أن يطلب العلم الشرعي خالصًا لوجه الله، لا من أجل منصب، أو مال، أو عرض من الدنيا، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ﷻ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، يعني: رِيحَهَا<sup>(٤)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ

(١) البخاري برقم (١٠٠)، ومسلم برقم (٢٦٧٣).

(٢) برقم (٥٤٦٧) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/١١٢٥) برقم (٥١١٠).

(٣) برقم (٣٨٤٣) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٢٧) برقم (٣١٠٠).

(٤) برقم (٣٦٦٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٦٩٧) برقم (٣١١٢).

الكثير، أصاب أرضاً، فكانَ منها نقيّةً، قبلتِ الماءَ، فأُنبتتِ الكلاً والعُشبَ الكثيرَ، وكانتُ منها أجادِبُ، أمسكتِ الماءَ، فنفعَ اللهُ بها الناسَ، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابتُ منها طائفةٌ أخرى، إنّما هي قيعانٌ لا تُمسكُ ماءً، ولا تُنبتُ كلاً، فذلكَ مثلُ من فقهَ في دينِ اللهِ، ونفعَهُ ما بعثني اللهُ به، فعلمَ وعلمَ، ومثلُ من لم يرفعْ بذلكَ رأساً، ولم يقبلْ هدىَ اللهِ الذي أُرسلتُ به»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٨٢).

## الكلمة المئة وست وأربعون

### معنى لا إله إلا الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن كلمة الإخلاص هي كلمة (لا إله إلا الله)؛ لأنها تعني إخلاص العبادة لله تعالى، وإفراده بها؛ لأن معناها: لا معبود حقاً إلا الله، وهي كلمة عظيمة، من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وفي سبيل تحقيقها أمر الله المؤمنين بالجهاد، وجردت السيوف ورُكبت الجياد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [٢٥] [الأنبياء]. وكان كل رسول أول ما يدعو قومه إليها، فيقول كما قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقد كان الكفار الذين بعث فيهم الرسول ﷺ مقرون بأنه لا خالق إلا الله، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف]، غير أن هذا الإقرار لا يكفي في تحقيق التوحيد، إذ لا بد من المعرفة والعلم المستلزم لإفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وهذا ما أراده ربنا ﷻ، إذ يقول: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ولقد فهم كفار قريش وغيرهم أن هذا هو المعنى الذي تضمنته هذه الكلمة العظيمة، فقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص]، ومن المسلمين من يقول هذه الكلمة، ويصلي ويصوم ويحج ويتصدق ومع ذلك يصرف شيئاً

من أنواع العبادة لغير الله تعالى، كالأستغاثة بالأولياء والصالحين، أو النذر لهم، أو دعائهم من دون الله، فهؤلاء لم يحققوا معنى لا إله إلا الله، وأنه إفراد الله بالعبادة، وصرف جميع أنواعها له، وأن من صرف شيئاً منها لغيره فهو مشرك، وإن قال لا إله إلا الله، وصلى، وصام، وزعم أنه مسلم، فإن العبد لا يكون مسلماً حقاً، ولا ينجو من الخلود في نار جهنم إلا بالإيمان الخالص الذي لا يخالطه شرك، ولا يناقضه كفر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام]، ومن عبد الله، وعبد معه غيره لم تنفعه تلك العبادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) [الزمر]، وقد ذكر أهل العلم أن معنى لا إله إلا الله يتضمن شروطاً لا يتم إلا بها.

وشروط هذه الكلمة ثمانية:

أولاً: العلم بمعناها، المراد منها، وما تنفيه، وما تثبته، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٩) [محمد].

روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

وكثير من الناس ينطق بها بلسانه، ولا يعلم شيئاً من معناها، ولهذا يقع في الشرك.

ثانياً: اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها متيقناً بما تدل عليه، فإذا كان في قلبه شك بما تدل عليه لم تنفعه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

ثالثًا: الإخلاص المنافي للشرك، فلا يقولها رياء ولا سمعة، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ»<sup>(٢)</sup>.

رابعًا: الصدق المنافي للكذب، فيقول لا إله إلا الله صادقًا من قلبه، قال تعالى: ﴿الْمَرْءَ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [٣] [العنكبوت]، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»<sup>(٣)</sup>، فاشترط الصدق في هذا الحديث.

خامسًا: المحبة المنافية للبعوض، فيحب هذه الكلمة، وما تدل عليه، وأهلها العاملين بمقتضاها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

سادسًا: الانقياد لما دلت عليه، المنافي لترك ذلك، فيجب الانقياد لما تدل عليه لا إله إلا الله من الأعمال الظاهرة والباطنة، قال تعالى:

(١) برقم (٢٦).

(٢) برقم (٦٥٧٠).

(٣) البخاري برقم (١٢٨)، ومسلم برقم (٣٢).

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥]،  
والاستسلام هو الانقياد لأوامر الله.

سابعاً: القبول المنافي للرد، فيجب القبول لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فمن قالها، ولم يقبل ذلك ويلتزم به، كان ممن قال فيهم سبحانه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات].

ثامناً: الكفر بما يعبد من دون الله من الطواغيت، وإثبات العبادة لله وحده، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>. وقد نظم بعضهم فقال:

عِلْمٌ، يَقِينٌ، وَإِخْلَاصٌ، وَصِدْقٌ مَعَ      مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولَ لَهَا  
وَزَيْدًا ثَامِنًا الْكُفْرَانَ مِنْكَ بِمَا      سِوَى الْإِلَهِ مِنَ الْأَنْدَادِ قَدْ أَلَّهَا

ومن فضائل هذه الكلمة العظيمة:

أولاً: أنه يُفْتَحُ لقائلها أبواب الجنة الثمانية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رقم (٢٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٨) واللفظ له.

ثانياً: أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم، فإنهم لا بد أن يخرجوا منها، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللهُ عز وجل: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي! لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»<sup>(١)</sup>.

وروى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ، أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: أن من قالها قبل أن يموت، فمات عليها، دخل الجنة، روى أبو داود في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٧٥١٠)، ومسلم برقم (١٩٢).

(٢) (٢٧٤/٦) برقم (٦٣٩٦) وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٠٩٨/٢) برقم (٦٤٣٤).

(٣) سبق تخريجه.





وروى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتِ اللَّيْلَةَ، لَمْ يَرِ مِثْلَهُنَّ قَطُّ؟» ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١)، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١)». (١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١).

أي ألبأ وألود وأعتصم برب الفلق، أي الإصباح، ويجوز أن يكون أعم من ذلك؛ لأن الفلق كل ما يفلقه الله تعالى من الإصباح والنوى والحب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (٢).

أي: من شر جميع المخلوقات، حتى من شر النفس؛ لأن النفس أماراة بالسوء وفي الحديث: ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن شر ما خلق يشمل شياطين الإنس والجن، والهوام، وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٣).

الغاسق، قيل إنه الليل، وقيل إنه القمر، والصحيح أنه عام لهذا وهذا، أما كونه الليل فلأن الله تعالى قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

والليل تكثر فيه الهوام والوحوش؛ فلذلك استعاذ من شر الغاسق أي الليل، وأما القمر فقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث عائشة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ فَقَالَ: «اسْتَعِيدِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ» (٢).

(١) برقم (٨١٤).

(٢) برقم (٣٣٦٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

لأن سلطانه يكون في الليل، وإذا وقب: أي إذا دخل، فالليل إذا دخل بظلامه غاسق، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسق، ولا يكون ذلك إلا بالليل.

قوله: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾:

هن الساحرات، يعقدن الحبال وغيرها، وتنفت بقراءة مطلسمه فيها أسماء الشياطين على كل عقدة تعقد، ثم تنفت، ثم تعقد ثم تنفت، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصاً معيناً، فيؤثر هذا السحر بالنسبة للمسحور، وذكر الله النفاثات دون النفائين لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء، فلهذا قال: ﴿ النَّفَثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾، ويحتمل أن يقال: إن النفاثات يعني الأنفس النفاثات، فيشمل الرجال والنساء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَهُودِيٍّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: (لَيْدُ بْنُ الْأَعْصَمِ)، قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، دَعَا ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟<sup>(١)</sup>، قَالَ: لَيْدُ ابْنِ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ<sup>(٢)</sup>، قَالَ:

(١) أي: سحره.

(٢) قوله: مشط ومشاطة: قال ابن حجر: أما المشط فهو بضم الميم، ويجوز كسرهما، أثبتته أبو عبيدة، وأنكره أبو زيد، وبالسكون فيها، وقد يضم ثانيه مع ضم أوله فقط، وهو الآلة المعروفة التي يسرح بها شعر الرأس واللحية. فتح الباري (١٠/٢٢٩).

وَجُفَّ طَلْعَةَ ذَكَرٍ<sup>(١)</sup> ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بَطْنِ ذِي أَرْوَانَ، قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، وَاللَّهِ لَكَانَ مَاءَهَا نُفَاعَةَ الْحِنَاءِ، وَلَكَانَ نَخْلَهَا رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: «لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فِدْفِنْتُ»<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾<sup>(٥)</sup>:

الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، فتجده يضيق ذرعاً إذا أنعم الله على هذا الإنسان بمال أو جاه أو علم أو غير ذلك، فيحسده. والحساد نوعان: نوع يحسده ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره، والشرب والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد، ولهذا قال ﴿إِذَا حَسَدَ﴾<sup>(٥)</sup>، ومن حسد الحاسد العين التي تصيب المعان؛ لأنها لا تصدر غالباً إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، والعين كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ»<sup>(٣)</sup>.

وروى ابن عدي في الكامل من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ، وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) قوله: جف طلعة ذكر: وهو الغشاء الذي يكون على الطلع، ويطلق على الذكر والأنثى،

فلهذا قيده بالذكر في قوله: طلعة ذكر، وهو بالإضافة. اهـ. فتح الباري (١٠/٢٢٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٨)، وصحيح مسلم برقم (٢١٨٩) واللفظ له.

(٣) برقم (٢١٨٨).

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال (٦/٤٠٨)، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: حديث حسن،

انظر: صحيح الجامع الصغير برقم (٤١٤٤).

قال المناوي: أي تقتله فيدفن في القبر، وتدخل الجمل القدر، أي إذا أصابته، أو أشرف على الموت ذبحه مالكة، وطبخه في القدر، وهذا يعني أن العين داء، والداء يقتل، فينبغي للعائن أن يبادر إلى معالجته بالبركة، فتكون رقية منه<sup>(١)</sup>.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ<sup>(٢)</sup>.

وذكر الله ﷻ الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد؛ لأن البلاء كله في هذه الأحوال الثلاثة يكون خفيًا، وعلى المؤمن أن يعلق قلبه بربه، ويفوض أمره إليه، ويحقق التوكل عليه، ويستعمل الأوراد الشرعية التي بها يحصن نفسه ويحفظها من شر هؤلاء السحرة والحساد، وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فيض القدير (٤/٣٩٧).

(٢) برقم (٢١٨٦).

(٣) انظر: تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (ص ٣٥٢ - ٣٥٤).



## آداب الطعام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أسرار عظمة هذا الدين أنه ما ترك جانباً من جوانب الحياة إلا وتناوله بالبيان والإيضاح، ومن هذه الجوانب التي تناولها هذا الدين آداب الطعام، ومن تلك الآداب:

أولاً: التسمية قبل البدء بالطعام أو الشراب، روى البخاري ومسلم من حديث عمرو بن سلمة: أن النبي ﷺ قال له: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»<sup>(١)</sup>.

وإذا نسي أن يسمي عند أول الطعام فليسم إذا ذكر، روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً فَلْيَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: الأكل والشرب باليمين، فلا يجوز للمسلم أن يأكل أو يشرب بشماله، روى مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع، أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتُ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ، قَالَ: فَمَا

(١) البخاري برقم (٥٣٧٦)، ومسلم برقم (٢٠٢٢).

(٢) برقم (١٨٥٨) وقال: حديث حسن صحيح.

رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: الأكل بثلاثة أصابع، روى مسلم في صحيحه من حديث كعب بن مالك أنه حدثهم: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعٍ، فَإِذَا فَرَّغَ لَعَقَهَا»<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: لعق الأصابع وصحفة الطعام، فإذا أكل الإنسان الطعام، وبقي شيء يسير منه، لا يضره تناوله، أو بقي أثر للطعام في الصحفة، فالسنة أن يلعقها، لأن الإنسان لا يدري أين البركة، وكذلك السنة لعق الأصابع، روى مسلم في صحيحه من حديث كعب بن مالك قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعٍ، فَإِذَا فَرَّغَ لَعَقَهَا»<sup>(٤)</sup>، وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهِ الْبَرَكَةُ؟»<sup>(٥)</sup>.

خامساً: أكل ما تناثر من الطعام:

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَدَى، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ»<sup>(٦)</sup>.

(٢) برقم (٢٠٢٠).

(٤) برقم (٢٠٣٢).

(٦) برقم (٢٠٣٣).

(١) برقم (٢٠٢١).

(٣) برقم (٢٠٣٢).

(٥) برقم (٢٠٣٣).

سادساً: الأكل مع الغير من زوجة، أو أولاد أو ضيف غيرهم:

روى أبو داود في سننه من حديث وحشي بن حرب عن أبيه عن جده رضي عنه: أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟» قالوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ»<sup>(١)</sup>.

سابعاً: النهي عن التنفس في الإناء:

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

ومثله النفخ في الطعام والشراب، روى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري قال: نَهَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ، أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ<sup>(٣)</sup>.  
ثامناً: النهي عن الأكل من أعلى الصفحة، أو أوسطها:

وينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يكون الطعام واحد بمعنى أن الذي في الصفحة طعام من نوع واحد، فالسنة أن يأكل مما يليه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: «وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»<sup>(٤)</sup>، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي عنهما: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ»<sup>(٥)</sup>.

الثاني: أن يكون الطعام أنواعاً، فلا بأس بالأكل من أعلى الصفحة،

(١) سبق تخريجه. (٢) برقم (١٥٣).

(٣) برقم (٣٧٢٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧١٠/٢) برقم (٣١٧١).

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٣٧٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٢٢).

(٥) برقم (١٨٠٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

وجوانبها، ويدل لذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَّبَعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالِي الصَّخْفَةِ»<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: النهي عن الشرب قائماً:

لقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِ»<sup>(٢)</sup>.

عاشراً: الاقتصاد في أكل الطعام:

روى الترمذي من حديث المقدم بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقْمَنُ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِبَطْعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ»<sup>(٣)</sup>.

فائدة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن رسول الله ﷺ صَافَهُ ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَحَلَبَتْ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاةٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»<sup>(٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البخاري برقم (٢٠٩٢)، ومسلم برقم (٢٠٤١).

(٢) برقم (٢٠٢٦).

(٣) برقم (٢٣٨٠)، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) برقم (٢٠٦٣) ومختصراً برقم (٢٠٦٢).

الكلمة المئة وتسع وأربعون

وقفه مع قوله تعالى

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى  
آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن  
محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ  
قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء  
كلمة الله ﴿ أَمْوَاتًا ﴾ أي لا يخطر ببالك وحسابك أنهم ماتوا وفقدوا،  
وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا، والتمتع بزهرتها الذي يحذر من فواتها،  
من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة، بل قد حصل لهم أعظم مما  
يتنافس فيه المتنافسون، فهم أحياء عند ربهم في دار كرامته، ويرزقون  
بأنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه إلا من أنعم به عليهم. اهـ<sup>(١)</sup>.

روى مسلم في صحيحه من حديث مسروق قال: سألنا عبد الله  
عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ

(١) تفسير ابن سعدي (ص ١٥٦ - ١٥٧).

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٩﴾ [آل عمران]؟ قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَزْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَيَّ تِلْكَ الْقَنَادِيلُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطَّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ! نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا، حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ، تُرْكُوا» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ لَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، غَيْرُ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ» (٢).

قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيسْتَبشرون بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران]، أي الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله، أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم، ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم.

ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا في غداة واحدة، وقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) برقم (١٨٨٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٨١٧)، وصحيح مسلم برقم (١٨٧٧)، واللفظ له.

يدعو على الذين قتلوهم، قَالَ أَنَسٌ: فَقرَأْنَا فِيهِمْ قرَأْنَا، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ، «بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا، أَنَا لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِي عَنَّا، وَأَرْضَانَا»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، أي يهنئ بعضهم بعضاً بأعظم شيء، وهو نعمة ربهم وفضله وإحسانه، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، بل ينميهِ ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ»<sup>(٢)</sup> نَهْرٍ بِيَابِ الْجَنَّةِ، فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: وكان الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح، والله أعلم، وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن، بأن روحه تكون في الجنة، تسرح أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، فإن الإمام أحمد رواه عن محمد بن إدريس الشافعي، ورواه الشافعي عن

(١) البخاري برقم (٤٠٩٠)، ومسلم برقم (٦٧٧).

(٢) بارق: أي على جانب نهر، الفتح الرباني للبنا رحمته الله (٢٨/١٣).

(٣) (٢٢٠/٤) برقم (٢٣٩٠) وقال محققوه: إسناده صحيح، قال ابن كثير في تفسيره

(٢٦٢/٣): وهو إسناد جيد.

مالك بن أنس، ومالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة، وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر، فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يميّتنا على الإيمان<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: الترغيب في الجهاد، والزهد في الدنيا ومتاعها الزائل، روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: فضل الجهاد ومكانته العظيمة، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ قَالَ: فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»<sup>(٤)</sup>.

خامساً: أن فيها تسليّة للأحياء عن قتلاهم، وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله، والتعرض للشهادة، روى البخاري في صحيحه: أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ بِنْتَ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي

(١) (٥٧/٢٥ - ٥٨) برقم (١٥٧٧٨) وقال محققوه: إسناده صحيح، من فوق الإمام الشافعي على شرط الشيخين.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢٦٣).

(٣) برقم (١٩٠٩).

(٤) برقم (٢٧٩٠).

عَنْ حَارِثَةَ؟ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ - أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرِبٌ<sup>(١)</sup> - فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ. قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»<sup>(٢)</sup>.

سادساً: أن هذا الفضل الوارد في الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة لا يكون إلا لمن قاتل لإعلاء كلمة الله، ونصرة دينه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعريّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذُّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

أما من قاتل تحت راية عمية ينصر قومية، أو وطنية، أو حرية، أو غيرها من الشعارات الزائفة فهو كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِيَّةٍ<sup>(٤)</sup>، يَدْعُو عَصِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصِيَّةً، فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةٌ»<sup>(٥)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أي طائش لا يعرف من رماه.

(٢) برقم (٢٨٠٩).

(٣) البخاري برقم (٢٨١٠)، مسلم برقم (١٩٠٤).

(٤) عمية: قال القاضي عياض: يقال بكسر العين وبضمها، وكسر الميم وتشديدها وتشديد الياء، قال الإمام: قيل الأمر الأعمى كالعصية، لا يستبين ما وجهه، قاله أحمد بن حنبل، وقال إسحاق: هذا في تجارح القوم وقتل بعضهم بعضاً وكأنه من التعمية وهو التلبس، وفي حديث ابن الزبير: يموت ميتة عمية، أي: ميتة فتنة وجهل. المصدر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٦/٢٦٣).

(٥) برقم (١٨٥٠).



## سورة الفاتحة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،  
وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من سور القرآن العظيم التي نقرأها في كل صلاة فرضاً ونفلاً:  
سورة الفاتحة، وهي أعظم سور القرآن، روى البخاري في صحيحه من  
حديث أبي سعيد بن المَعَلَّى قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ:  
«أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:  
٢٤]؟ ثُمَّ قَالَ لِي: لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ  
أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ:  
أَلَمْ تَقُلْ: لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: ﴿الْحَمْدُ  
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، الَّذِي  
أُوتِيَتْهُ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بن كعب: أن النبي ﷺ  
قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي  
الرَّبُّورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

(١) برقم (٤٤٧٤).

الَّذِي أُعْطِيَتْهُ»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا، لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد هو الثناء، على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب هو المتولي جميع العالمين، وهو الذي أوجد الخلق من العدم، وأنعم عليهم بالنعمة العظيمة التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

والرب هو المالك المتصرف، ويُطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، ولا يستعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة، تقول: رب الدار، ولا تقول الرب على غير الله.

قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها الله للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسوله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن

(١) برقم (٢٨٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٨٠٦).

عداهم فلهم نصيب منها، قال تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(٤)</sup>، أي: هو المتصرف في ذلك اليوم، وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، فهو مالك الدنيا والآخرة، وإنما أضيف الملك إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۗ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾<sup>(١٧)</sup> ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾<sup>(١٩)</sup> [الإنفطار]. وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾<sup>(١٥)</sup> يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۗ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>(١٦)</sup> [غافر].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، سَلِّبِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عباس: «لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكماً كملكهم في الدنيا، قال: ويوم الدين يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة،

(١) برقم (٢٧٥٥).

(٢) البخاري برقم (٢٧٥٣)، ومسلم برقم (٢٠٤).

يدينهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه»، وكذا قال غيره من الصحابة والتابعين.

قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ فالعبادة كمال المحبة، وكمال الخضوع، والخوف والذل، وقدم المفعول - وهو إياك - وكرر للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، ولذلك قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾، فالأول التبرؤ من الشرك، والثاني: التبرؤ من الحول والقوة. بل إن الصلاة لا تصح لمن لم يقرأ بهذه السورة، روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت: أن النبي ﷺ قال: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ فهذا هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم، الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما من الله على رسوله ﷺ بعد الفتح بقوله: ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

والهداية ههنا التوفيق والإرشاد، فليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة، فإن الهداية إلى ذلك تتضمن العلم النافع، والعمل الصالح على وجه الاستقامة والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقي الله. و﴿الصِّرَاطَ﴾ هو الطريق الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه، والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ

(١) البخاري برقم (٧٥٦)، ومسلم برقم (٣٩٤).

فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦١﴾ [النساء].

وأنت دائماً في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم، وعلبك من الفرائض أن تصدق الله أن طريقه هو المستقيم، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم، بل معوج، وهذه أول الواجبات من هذه الآية، واعتقاد ذلك بالقلب، وليحذر المؤمن من خدع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملاً وتركه مفصلاً، فإن أكثر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق، وأن ما خالفه باطل، فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم، فكما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى، وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم، وأن النصارى ضالون، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله، كيف يعلمه الله، ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائماً، مع أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه يفعله، هذا من ظن السوء بالله<sup>(١)</sup>.

ويستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين، ومعناها: اللهم استجب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَن وَافَقَ تَأْمِينَهُ

(١) انظر: رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في تفسير سورة الفاتحة (ص ١٨ - ٢٧).

تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(١)</sup>.

اللهم اجعل هذا القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا،  
وذهاب همومنا، واجعله شافعاً وحجة لنا يوم القيامة.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى  
آله وصحبه أجمعين.



(١) البخاري برقم (٧٨٠)، ومسلم برقم (٤١٠).



الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
		<b>ب - التفسير</b>	
٦٥٩	٢ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ..... سورة طه	٨٤٧	سورة الفاتحة ..... سورة البقرة
١٩٩	١ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا﴾ ..... سورة يس	٢٢٥	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَبَيِّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ..... ٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ﴾ ..... سورة آل عمران
٤٩١	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾ ..... سورة الزخرف	٤٠٣	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ ..... ٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ﴾ ..... ٣ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ..... ٤ - تفسير آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ..... ٥ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ..... سورة الكهف
١٨٩	١ - دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ..... سورة الطور	١٥١	
٤٩٧	١ - تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنْبَعَثُوا فِي بَعْضِ الْأَمْمَاتِ﴾ ..... سورة الصف	٢٠٣	
١٤٥	١ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ﴾ ..... سورة التحريم	٦١١	
٢٥٧	١ - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ..... جزء عم	٨٤١	
٢١٣	١ - سورة التكاثر ..... ٢ - سورة العصر ..... ٣٧٩	١٨٥	١ - فوائد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ ..... سورة مريم
		١٦٩	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ ..... سورة مريم

<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>
٥٩٣ .....	٤ - صلاة الجماعة .....	٦٨٧ .....	٣ - سورة الماعون .....
٣٠٩ .....	٥ - الخشوع في الصلاة .....	٢١٩ .....	٤ - سورة الإخلاص .....
٥٥٩ .....	٦ - فضل صلاة الفجر .....	٨٣١ .....	٥ - سورة الفلق .....
٧٧ .....	٧ - فضل قيام الليل .....	<b>ج - الحديث</b>	
١١٧ .....	٨ - سنن صلاة العيد .....	١ - شرح حديث السبعة الذين	
١٠٣ .....	٩ - فضل العشر الأواخر من رمضان .....	يظلمهم الله .....	٢١ .....
٤٨٧ .....	١٠ - الاستخارة .....	٢ - شرح حديث من ترك شيئاً لله .....	٥٣ .....
<b>الزكاة</b>		٣ - شرح حديث: بعثت بالسيف بين يدي	٣ .....
٥٨٩ .....	١ - الزكاة .....	الساعة .....	٢٠٧ .....
٣٧٥ .....	٢ - زكاة الفطر .....	٤ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب .....	٢٢٩ .....
<b>الصيام</b>		٥ - وقفة مع حديث جاء جبريل إلى	٥ .....
٧١ .....	١ - فضل الصيام .....	النبي ﷺ فقال: عش ما شئت .....	٣٦٩ .....
٦٧ .....	٢ - فضل رمضان .....	٦ - شرح حديث يتبع الميت ثلاثة .....	٤٣٩ .....
٣ .....	٣ - مخالفات تقع من بعض	٧ - فوائد من حديث خبيب بن عدي .....	٧٥٧ .....
٩٧ .....	الصائمين .....	٨ - شاب نشأ في عبادة الله .....	١٢٧ .....
<b>الحج</b>		٩ - الأجل والرزق .....	٣٠٣ .....
٢٦٧ .....	١ - وجوبه وفضله .....	١٠ - شرح حديث «من أصبح آمناً في	١٠ .....
٤٢٩ .....	٢ - مخالفات تقع من بعض الحجاج .....	سربه...» الحديث .....	٦٠٥ .....
<b>الوصايا</b>		<b>الفقه</b>	
٤٣ .....	١ - كتابة الوصية .....	<b>الطهارة والصلاة</b>	
<b>البدع</b>		١ - أخطاء في الطهارة .....	٧٢٩ .....
٧٨٥ .....	١ - النهي عن البدع .....	٢ - أخطاء في الصلاة .....	٧٣٣ .....
		٣ - الصلاة ومكانتها في الإسلام ..	٣٢٣ ..

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	<b>محرمات عامة</b>		<b>الأدعية والأذكار</b>
٦٦٥	١- تحريم الدخان	٨٣	١- الدعاء آدابه وموانعه
٧٦١	٢- تحريم التصوير	٥٠١	٢- الاستغفار
٤٥٧	٣- الحسد		<b>الطعام</b>
٧٤٥	٤- الظلم وعواقبه الوخيمة	٨٣٧	١- آداب الطعام
	<b>المواعظ والرقائق</b>		<b>المحرمات</b>
٢٦٣	١- آفة السهر		<b>المال</b>
٤٥١	٢- كفارات الذنوب	١٩٣	١- أكل المال الحرام
٤٦٣	٣- المعاصي وعقوباتها	٦٥٣	٢- التحذير من الربا
٤٦٩	٤- التقوى	٢٥١	٣- النهي عن الإسراف
٥١٧	٥- الورع	١٦٣	٤- النهي عن المسألة
٦١٧	٦- حفظ اللسان	٧٢٥	٥- ذم الترف
٦٢٣	٧- الحور العين		<b>صيانة الأعراض</b>
٦٢٩	٨- الابتلاء	٤٨١	١- تحريم الزنا وأسبابه
٦٣٥	٩- الزهد في الدنيا	٦٩٩	٢- غض البصر
٦٩٩	١٠- غض البصر	٤٧٥	٣- تحريم الغناء
٢٧٩	١١- سوء الخاتمة	٥٥٣	٤- خطر الدش
٧٢٥	١٢- ذم الترف	٧١٩	٥- خطر التلفاز
٧٩٥	١٣- علامات حسن الخاتمة		<b>اللباس</b>
٧٦٧	١٤- الموت وعظاته	٧٥١	١- تحريم الإسبال
٢٨٥	١٥- الوقت وخطر السفر إلى الخارج		<b>الزينة</b>
٣٨٩	١٦- لذة العبادة	٧٠٥	١- تحريم حلق اللحية
١١٣	١٧- المواظبة على العبادة		

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	<b>فضائل عامة</b>	٣٩	١٨ - العجلة .....
٣٥١	١ - فضل الدعوة إلى الله .....	٥٧	١٩ - طول الأمل .....
٩١	٢ - فضل الصدقة .....	٤٣٥	٢٠ - التوبة .....
	<b>موضوعات تهتم المرأة</b>		<b>الفضائل</b>
٦٤٧	١ - مكانة المرأة في الإسلام .....		<b>الأذكار</b>
٧١١	٢ - كلمة توجيهية للمرأة .....	٦٣	١ - فضل القرآن وقراءته .....
٤١٣	٣ - مفسدات العنوسة .....	١٠٧	٢ - فضل الذكر .....
٣٥٧	٤ - تربية الأبناء .....	٥٠١	٣ - الاستغفار .....
٧١٩	٥ - خطورة التلفاز .....		<b>الصلاة</b>
٥٩٩	٦ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح .....	٤٤٣	١ - فضل التكبير إلى الصلاة .....
	<b>الأخلاق</b>	٥٥٩	٢ - فضل صلاة الفجر .....
٣٣	١ - حسن الخلق .....	٦٦٩	٣ - فضل يوم الجمعة .....
١٣٩	٢ - الحياء .....	٧٧	٤ - فضل قيام الليل .....
١٥٧	٣ - القناعة .....	٥	٥ - فضل العشر الأواخر من رمضان .....
٣٣٩	٤ - الصبر .....	١٠٣	
٦٧٥	٥ - الأمانة .....		<b>الصيام</b>
٦٨١	٦ - صلة الأرحام .....	٧١	١ - فضل الصيام .....
	<b>السير</b>	٦٧	٢ - فضل رمضان .....
٥٢٩	١ - قصة نبي الله أيوب <small>عليه السلام</small> .....		<b>الحج</b>
	٢ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق <small>رضي عنه</small> .....	٢٦٧	١ - الحج وجوبه وفضله .....
٧٧٣			<b>عشر ذي الحجة</b>
	٣ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب <small>رضي عنه</small> .....	٨١٣	١ - فضل العشر من ذي الحجة .....

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٥٧	١٠- الحسد	٤	٤ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>
٤١٧	١١- النكت	٣٣٣	٥ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص <small>رضي الله عنه</small>
٢٦٣	١٢- آفة السهر	٢٤٥	٦ - مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ <small>رضي الله عنه</small>
٥٢٣	١٣- علاج الهموم والغموم	١٧٣	٧ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد <small>رضي الله عنه</small>
<b>توجيهات عامة</b>			
٢٩	١- التوفيق	<b>قضايا اجتماعية</b>	
٣٩	٢- العجلة	١	١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٧	٣- البركة	٣١٧	٢- مفسد العنوسة
١٢١	٤- الرؤيا	٤١٣	٣- الطلاق
٤٠٩	٥- نصائح عامة	٣٨٣	٤- مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح
٤٤٧	٦- أسباب انشراح الصدر	٥٩٩	٥- تربية الأبناء
٥١٣	٧- شكر النعم	٣٥٧	٦- خطر التلفاز
٥٢٣	٨- علاج الهموم والغموم	٧١٩	٧- خطر الدش
٥٦٥	٩- السعادة	٥٥٣	٨- صلاة الجماعة
٨٠١	١٠- وفاته عليه الصلاة والسلام	٥٩٣	٩- صلة الأرحام
٨٠٧	١١- أسباب النصر على الأعداء	٦٨١	
٦٤١	١٢- العافية		
٥١٧	١٣- الورع		



## الفهرس الثاني فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الموضوع	الصفحة
<b>الجزء الأول</b>	
تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي	٥
تقديم فضيلة الشيخ ناصر بن سليمان العمر	٧
تقديم فضيلة الشيخ سعد بن عبد الله الحميد	٩
تقديم فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد	١١
المقدمة	١٣
١- الإخلاص	١٥
٢- السبعة الذين يظلمهم الله في ظله	٢١
٣- التوفيق	٢٩
٤- حسن الخلق	٣٣
٥- العجلة	٣٩
٦- كتابة الوصية	٤٣
٧- البركة	٤٧
٨- من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه	٥٣
٩- طول الأمل	٥٧
١٠- فضل القرآن وقراءته	٦٣
١١- فضل رمضان	٦٧
١٢- فضل الصيام	٧١
١٣- فضل قيام الليل	٧٧
١٤- الدعاء: آدابه وموانعه	٨٣
١٥- فضل الصدقة	٩١
١٦- مخالفات يقع فيها بعض الصائمين	٩٧
١٧- فضل العشر الأواخر من رمضان	١٠٣
١٨- فضل الذكر	١٠٧

- ١٩ - المواظبة على العبادة ..... ١١٣
- ٢٠ - سنن العيد ..... ١١٧
- ٢١ - الرؤيا ..... ١٢١
- ٢٢ - شاب نشأ في عبادة الله ..... ١٢٧
- ٢٣ - التحذير من الشرك ..... ١٣٣
- ٢٤ - الحياء ..... ١٣٩
- ٢٥ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ..... ١٤٥
- ٢٦ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ ..... ١٥١
- ٢٧ - القناعة ..... ١٥٧
- ٢٨ - النهي عن المسألة ..... ١٦٣
- ٢٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ..... ١٦٩
- ٣٠ - سيرة سعد بن معاذ رضي الله عنه ..... ١٧٣

### الجزء الثاني

- ٣١ - أصل الدين وقاعدته ..... ١٨١
- ٣٢ - فوائد من قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ..... ١٨٥
- ٣٣ - دروس وعبر من قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ..... ١٨٩
- ٣٤ - أكل المال الحرام ..... ١٩٣
- ٣٥ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ ﴾ ..... ١٩٩
- ٣٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ ﴾ ..... ٢٠٣
- ٣٧ - شرح حديث: بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة ..... ٢٠٧
- ٣٨ - سورة التكاثر ..... ٢١٣
- ٣٩ - سورة الإخلاص ..... ٢١٩
- ٤٠ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ..... ٢٢٥
- ٤١ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب ..... ٢٢٩
- ٤٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ ..... ٢٣٥
- ٤٣ - الولاء والبراء في الإسلام ..... ٢٤١
- ٤٤ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص ..... ٢٤٥
- ٤٥ - النهي عن الإسراف ..... ٢٥١

- ٤٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ ..... ٢٥٧
- ٤٧ - آفة السهر ..... ٢٦٣
- ٤٨ - الحج: وجوبه وفضله ..... ٢٦٧
- ٤٩ - نواقض الإسلام العشرة ..... ٢٧٣
- ٥٠ - سوء الخاتمة ..... ٢٧٩
- ٥١ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج ..... ٢٨٥
- ٥٢ - التوكل ..... ٢٩١
- ٥٣ - مبطلات الأعمال ..... ٢٩٧
- ٥٤ - الأجل والرزق ..... ٣٠٣
- ٥٥ - الخشوع في الصلاة ..... ٣٠٩
- ٥٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... ٣١٧
- ٥٧ - الصلاة ومكانتها في الإسلام ..... ٣٢٣
- ٥٨ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد ..... ٣٢٩
- ٥٩ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب ..... ٣٣٣
- ٦٠ - الصبر ..... ٣٣٩
- ٦١ - عذاب القبر ونعيمه ..... ٣٤٥
- ٦٢ - فضل الدعوة إلى الله ..... ٣٥١
- ٦٣ - تربية الأبناء ..... ٣٥٧
- ٦٤ - خطورة الاستهزاء بالدين ..... ٣٦٣
- ٦٥ - وقفة مع حديث شريف ..... ٣٦٩
- ٦٦ - زكاة الفطر ..... ٣٧٥
- ٦٧ - سورة العصر ..... ٣٧٩
- ٦٨ - الطلاق ..... ٣٨٣
- ٦٩ - لذة العبادة ..... ٣٨٩
- ٧٠ - أسباب الثبات على الدين ..... ٣٩٥

### الجزء الثالث

- ٧١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ﴾ ..... ٤٠٣
- ٧٢ - نصائح عامة ..... ٤٠٩

الموضوع	الصفحة
٧٣- مفسد العنوسة.....	٤١٣
٧٤- النكت.....	٤١٧
٧٥- وصايا لطلبة العلم.....	٤٢١
٧٦- مخالقات يقع فيها بعض الحجاج.....	٤٢٩
٧٧- التوبة.....	٤٣٥
٧٨- شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة).....	٤٣٩
٧٩- فضل التبكير إلى الصلاة.....	٤٤٣
٨٠- أسباب انشراح الصدر.....	٤٤٧
٨١- كفارات الذنوب.....	٤٥١
٨٢- الحسد.....	٤٥٧
٨٣- المعاصي وعقوباتها.....	٤٦٣
٨٤- التقوى.....	٤٦٩
٨٥- تحريم الغناء.....	٤٧٥
٨٦- تحريم الزنا وأسبابه.....	٤٨١
٨٧- الاستخارة.....	٤٨٧
٨٨- وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾.....	٤٩١
٨٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾.....	٤٩٧
٩٠- الاستغفار.....	٥٠١
٩١- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزیز).....	٥٠٧
٩٢- شكر النعم.....	٥١٣
٩٣- الورع.....	٥١٧
٩٤- علاج الهموم والغموم.....	٥٢٣
٩٥- قصة نبي الله أيوب <small>عَلَيْهِ السَّلَام</small> .....	٥٢٩
٩٦- الأسباب الجالبة لمحبة الله.....	٥٣٥
٩٧- حوض النبي <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small> .....	٥٤١
٩٨- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافی).....	٥٤٧
٩٩- خطر الدش.....	٥٥٣
١٠٠- فضل صلاة الفجر.....	٥٥٩

الموضوع	الصفحة
١٠١ - السعادة.....	٥٦٥
١٠٢ - فتنة الدجال.....	٥٧١
١٠٣ - شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الحكيم).....	٥٧٧
١٠٤ - نعمة الهداية .....	٥٨٣
١٠٥ - الزكاة .....	٥٨٩
١٠٦ - صلاة الجماعة.....	٥٩٣
١٠٧ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح .....	٥٩٩
١٠٨ - شرح حديث (من أصبح آمناً في سربه) .....	٦٠٥
١٠٩ - تفسير آية الكرسي .....	٦١١
١١٠ - حفظ اللسان.....	٦١٧
١١١ - الحور العين .....	٦٢٣
١١٢ - الابتلاء.....	٦٢٩
١١٣ - الزهد في الدنيا .....	٦٣٥
١١٤ - العافية .....	٦٤١
١١٥ - مكانة المرأة في الإسلام.....	٦٤٧
١١٦ - التحذير من الربا.....	٦٥٣
١١٧ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ﴾ .....	٦٥٩
١١٨ - تحريم الدخان.....	٦٦٥
١١٩ - فضل يوم الجمعة .....	٦٦٩
١٢٠ - الأمانة.....	٦٧٥
١٢١ - صلة الأرحام .....	٦٨١
١٢٢ - سورة الماعون.....	٦٨٧
١٢٣ - كلمة توجيهية للمدرسين .....	٦٩٣
١٢٤ - غض البصر.....	٦٩٩
١٢٥ - تحريم حلق اللحية .....	٧٠٥
١٢٦ - كلمة توجيهية للمرأة.....	٧١١
١٢٧ - خطر التلفاز .....	٧١٩
١٢٨ - ذم الترف .....	٧٢٥

الموضوع	الصفحة
١٢٩ - أخطاء في الطهارة	٧٢٩
١٣٠ - أخطاء في الصلاة	٧٣٣
١٣١ - خطر النفاق	٧٣٩
١٣٢ - الظلم وعواقبه الوخيمة	٧٤٥
١٣٣ - تحريم الإسبال	٧٥١
١٣٤ - فوائد من حديث خبيب بن عدي	٧٥٧
١٣٥ - تحريم التصوير	٧٦١
١٣٦ - الموت وعظاته	٧٦٧
١٣٧ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق	٧٧٣
١٣٨ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب	٧٧٩
١٣٩ - النهي عن البدع	٧٨٥
١٤٠ - قدرة الله	٧٩١
١٤١ - علامات حسن الخاتمة	٧٩٥
١٤٢ - وفاته عليه الصلاة والسلام	٨٠١
١٤٣ - أسباب النصر على الأعداء	٨٠٧
١٤٤ - فضل أيام عشر ذي الحجة	٨١٣
١٤٥ - طلب العلم الشرعي	٨١٩
١٤٦ - معنى لا إله إلا الله	٨٢٥
١٤٧ - سورة الفلق	٨٣١
١٤٨ - آداب الطعام	٨٣٧
١٤٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَلَا تُحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾	٨٤١
١٥٠ - سورة الفاتحة	٨٤٧



الديرة المشرفة  
مسن  
الكلمات الملقاة

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي: أمين بن عبد الله

الدرر المتتقاة من الكلمات الملقةة - الجزء الرابع والخامس .

/ أمين بن عبد الله الشقاوي - ط٣ - الرياض، ١٤٣٤ هـ

٦٤٤ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٤ - ١٣٥١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

(في مجلد واحد)

١ - الوعظ والإرشاد ٢ - الإسلام - مجموعات أ - العنوان

١٤٣٤ / ٤٠٧

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٤ / ٤٠٧

ردمك: ٤ - ١٣٥١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

واللغة أراد طباعته وتوزيعه فجاءنا بعد موافقة المؤلف الوطنية

الطبعة الثالثة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

جوال رقم : ٥٠٤٤٢٠٥٦٠

الدروس السنوية

من

الكلمات الملقاة

فروع يومية

(١٠٠) درسي للترعة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على الصلوات

إعداد

و. أمين بن عبد الله الشقاوي

الجزء الرابع



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،  
وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ «الدرر المنتقاة  
من الكلمات الملقاة: دروس يومية» إعداد الشيخ الدكتور أمين بن  
عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف  
والدعوة والإرشاد.

والشيخ أمين معروف لديّ وهو من الدعاة المعروفين بالعلم  
والبصيرة، وقد سمعتُ عدداً من كلماته التي يلقيها في المساجد.

ولما تصفّحتُ الكتاب وجدته منوعاً يشمل موضوعات متعددة  
في العقيدة والتفسير والحديث والفقّه، وفي العلم، والوصايا،  
والأدعية والأذكار، وآداب الطعام، والمحرمات، وصيانة الأعراس  
واللباس، والمواعظ والرقائق والفضائل والأخلاق، وقضايا اجتماعية  
كقضية المرأة وغيرها وتوجيهات عامة وغيرها.

ولا شكّ أن هذه الموضوعات شاملة لقضايا متعددة من أمور  
الدين، الناس بحاجة إليها، فهذه الكلمات مفيدة لعامة الناس، وهي  
مفيدة للدعاة والخطباء وأئمة المساجد يقرؤونها على الناس دروساً  
يومية.

وإنني أوصي عموم المسلمين بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي أيضاً أئمة المساجد والخطباء والدعاة بالاستفادة من هذا الكتاب على شكل دروس يومية تقرأ على المصلين.

والمؤلف - وفقه الله - بذل جهده في اختيار الموضوعات المهمة، ودعمها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم المعترين، ورجع إلى كتب التفسير وكتب الفقه وكتب الحديث وكتب التاريخ والسير، فجاء هذا الكتاب - بحمد الله - وافياً بالعرض نافعاً يجد فيه الباحث بغيته.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وبكلمات الشيخ أمين التي يلقيها في المساجد، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه جواد كريم.

وصلى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

١٢ / ٤ / ١٤٢٧ هـ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكرم الأخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي - وفقه الله -:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد:

أشكركم على هديتكم كتاب (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة) وقد تصفحت سفركم الجميل وألفيته من الكتب النافعة في بابه ومناسباً في وقتنا هذا لما اشتمل عليه من موضوعات تهتم العامة والخاصة، وتقرب كثيراً من المعاني إلى الأفهام وتصلح حال كثير من الناس بأسلوب لطيف وتأصيل شرعي مستمد من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وفقكم الله وجعلكم مباركين أينما كنتم.

ونفع بعلمكم ورزقنا وإياكم حسن القصد والعمل.

كتبه

ناصر بن سليمان العمر

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» الذي ألفه أخونا الشيخ أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية - وفقه الله -، فوجدته كتاباً نافعاً مناسباً لعموم المسلمين، وبخاصة الدعاة والخطباء وأئمة المساجد، فقد ضمَّه مؤلفه مئة درس في موضوعات متعددة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والقضايا الاجتماعية والأسرية، وما يخص المرأة، وبعض القضايا المعاصرة، كما حرص المؤلف على تجنب الأحاديث الموضوعية والضعيفة ما أمكن، فنسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

سعد بن عبد الله الحميد

٧ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فقد استمعت إلى بعض الكلمات والدروس التي كان يلقيها الشيخ: أمين بن عبد الله الشقاوي، وكانت هذه الدروس والكلمات مفيدة وقيّمة، فهي جامعة ومختصرة مع الاعتناء بالأدلة من الكتاب والسنة، والنقل عن أهل العلم.

وقد قام - وفقه الله - بجمع هذه الكلمات والدروس في كتاب أسماه: (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة)، وهي شاملة لكثير من قضايا الشريعة من: التوحيد، والعقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتفسير، والحديث، وغير ذلك من القضايا والمسائل. فبارك الله فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أما بعد:

فهذا هو المجلد الثاني من كتاب الدرر المنتقاة يشتمل على

الجزئين الرابع والخامس، حيث يحتوي كل جزء على خمسين كلمة وهو كسابقه قد التزمت ألا أورد فيه من الأحاديث إلا ما صحح فليطمئن قراء كتابي الأعزاء إلى ذلك، مع أنني قد يسرت للقارئ الكريم الوصول إلى مصادر الكتب إذا أحب الرجوع إليها.

وقد حرصت على ذكر بعض الموضوعات التي حدثت خلال السنوات الأخيرة، وقد قمت بضبط الأحاديث، وبعض الكلمات بالشكل ليتمكن القراء من القراءة الصحيحة، تلبية لطلبات قراء الكتاب.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب جامعه وقارئه وناشره وسامعه، وأن يجزي كل من أعاننا على إخراجه خير الجزاء، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يقبله إنه جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه :

جاء في المجلد السابق في بعض المواضع عند ذكر علي وفاطمة قول: « عَلَيْهِمَا » والذي عليه عمل السلف الترضي عن أصحاب النبي ﷺ أهل البيت وغيرهم، وقد أدخلت هذه الكلمة بغير علمي حيث إن الكتاب طبع خارج المملكة ولم يُتنبه لها إلا بعد الطبع.

المؤلف

الرياض ١/٦/١٤٣٠هـ

الكلمة الأولى

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وعملاً بهذه الآية الكريمة: لنستمع إلى آية من كتاب الله، ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾. قال مجاهد: أي أصناف مصنفة تُعرف بأسمائها، وقال قتادة: الطير أمة والإنس أمة، والجن أمة، وقال السدي: ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أي خلق أمثالكم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي الجميع علمهم عند الله، لا ينسى واحداً من جميعهم من رزقه وتدييره، سواء كان

(١) تفسير ابن كثير (٦/٣١).

برياً أو بحرياً، كقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود]، أي: مُفْصِح بِأَسْمَائِهَا وَأَعْدَادِهَا وَمِظَانِهَا، وَحَاصِرٌ لِحَرَكَاتِهَا وَسُكُنَاتِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٦٠] (١) [العنكبوت]، أي: لَا تَطِيقُ جَمْعَهُ وَتَحْصِيلَهُ، وَلَا تَدْخُرُ شَيْئاً لَعْدٍ، ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، أي: اللَّهُ يُقَيِّضُ لَهَا رِزْقَهَا عَلَى ضَعْفِهَا، وَيَسِرُّهَا عَلَيْهَا، فَيَبِيعُ إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الرِّزْقِ مَا يَصْلِحُهُ، حَتَّى الذَّرِّ فِي قَرَارِ الْأَرْضِ، وَالطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ، وَالْحَيْتَانِ فِي الْمَاءِ (٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: روى ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «حشرها: الموت».

القول الثاني: إن حشرها هو بعثها يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير] روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ ﷺ: «لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا» (٣).

وروى عبد الرزاق بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾، قال: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة: البهائم والدواب والطيور،

(١) تفسير ابن كثير (٦/٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٠/٥٢٦).

(٣) (٣٥/٣٤٥) برقم ٢١٤٣٨، وقال محققوه: حديث حسن.

وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ؛ أن يأخذ للجَمَاء من القرآن، قال: ثم يقول: «كوني ترابًا، فلذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيِّنَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٤٠) [النبأ]» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ، إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا» (٢).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: عدل الله التام بين البهائم والطيور وسائر المخلوقات، وهذا العدل دقيق جداً حتى في مثقال الذرة الذي يحقره الناس، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿يَبْنِيْ إِيَّاهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦) [لقمان].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءِ» (٣).

ثانياً: إن الله قد تكفل برزق جميع الدواب والطيور والأسماك

(١) تفسير عبد الرزاق (٢/٢٠٦).

(٢) (٣٥/٣٤٦) برقم ٢١٤٣٩، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) ص ١٠٤، حديث رقم ٢٥٨٢.

وسائر المخلوقات، من كان منها في الأرض أو الجو أو البحار والأنهار، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت].

قال حاتم بن الأصم:

وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ وَاللَّهَ رَازِقِي      ورازقُ هذا الخلقِ في العسرِ واليسرِ  
تَكْفُلُ بِالْأَرْزَاقِ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ      وللضبِ في البيداءِ والحوتِ في البحرِ

ثالثاً: أنه يجب على المؤمن أن يتوكل على الله الرزاق الذي رزق جميع المخلوقات فإن رزقه سبحانه لا يختص ببقعة، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ: لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: علمُ الله التام الشامل فلا يغيب عنه شيء، صغيراً كان أو

(١) تفسير ابن كثير (١٠/٥٢٦).

(٢) (١/٣٣٢) برقم ٢٠٥، وقال محققوه: إسناده قوي.

كبيراً، ولا ينسى أحداً من خلقه، سواء كان إنساناً أو دابة أو طيراً، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس].

خامساً: إن المؤمن إذا استشعر عظمة الله وقدرته وإحاطته بكل شيء، حاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة، وأبرأ ذمته من حقوق العباد.

قال تعالى: ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ [الكهف].

سادساً: إثبات الحشر لجميع المخلوقات حتى الدواب والطيور بنص الآية، والحديث .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة الثانية

الذلة وأسبابها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: «إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»<sup>(١)</sup>.

قال الراغب: «الذل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود، نحو قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣]<sup>(٢)</sup> اهـ، وفيما عدا ذلك يكون مذموماً؛ لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين».

ومن أسباب الذل الذي جعله الله عقوبة لمن عصاه، وخالف أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم:

أن من كفر به وحارب أوليائه أذله الله، قال تعالى عن اليهود: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضِبِ

(١) جزء من حديث في مستدرک الحاكم (١/٢٣٦ - ٢٣٧)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه: سنده صحيح.

(٢) المفردات ص ١٨١.

مَنْ أَلَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ [آل عمران].

قال ابن جرير: يقول جل ثناؤه: ألزم اليهود المكذبون بمحمد ﷺ الذلة أينما كانوا من الأرض، وبأي مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين والمشركين ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ﴾ أي: السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذرائعهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده، قبل أن يُثَقِّفُوا في بلاد الإسلام<sup>(١)</sup>.

وأخبر جل وعلا أنه كتب الذل والصغار عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَجَلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة].

قال ابن كثير: «أي أذلاء حقيرون مهانون»<sup>(٢)</sup>.

ومن أسباب الذل والهوان:

التكبر على أوامر الله والاحتقار لعباد الله: روى الترمذي في

(١) تفسير ابن جرير (٣/١٩٢١).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/١٧٦).

سننه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَعْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُوَلَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ»<sup>(١)</sup>.

ومنها ترك الجهاد في سبيل الله والاشتغال بالدنيا: روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها النفاق: قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون]، وكما أن الذل عقوبة في الدنيا، فهو كذلك عقوبة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ حَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

وبالجمله فكل من عصى الله، وخالف أمر رسوله صلى الله عليه وسلم: أصابه الذل والصغار بقدر معصيته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»<sup>(٣)</sup>.

(١) ص ٤٠٦ برقم ٢٤٩٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.  
 (٢) ص ٣٨٦ برقم ٣٤٦٢، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٤٢/١) برقم ١١.  
 (٣) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد (٩٢/٢)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١/٥٤٥-٥٤٦) رقم ٢٨٣١.

قال ابن المبارك:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ      وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا  
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ      وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا  
وأهل المعصية يجدون الذل في قلوبهم، وإن حاولوا إخفاءه.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال<sup>(١)</sup>، وهملجت<sup>(٢)</sup> بهم البراذين<sup>(٣)</sup>؛ إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أبا لله إلا أن يذل من عصاه»<sup>(٤)</sup>، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج].

وقد علّمنا النبي ﷺ أن نستعيز بالله من الذل، روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ»<sup>(٥)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَمِنْ ضَلَعِ الدِّينِ وَعَلْبَةِ الرَّجَالِ»<sup>(٦)</sup>.

والعزة لمن أطاع الله، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

(١) طقطقت البغال: صوتت حوافرها.

(٢) هملجت: أي مشت مشياً سهلاً.

(٣) البرذون: الفرس غير الأصيل.

(٤) الجواب الكافي، ص ٥٣.

(٥) ص ١٨٣ برقم ١٥٤٤، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٧/١) برقم ١٣٦٦.

(٦) ص ٥٥٦ برقم ٢٨٩٣، وصحيح مسلم ص ١٠٨٥ برقم ١٣٦٥.

جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿ [فاطر: ١٠]،  
وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ  
تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ [آل  
عمران]، أي: تعز من تشاء بطاعتك، وتذل من تشاء بمعصيتك، كما  
قال المفسرون.

والمؤمن هو العزيز وإن قل ماله أو جاهه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ  
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وكان من دعاء  
السلف: «اللهم أعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك»<sup>(١)</sup>.

والمؤمنون أعزة وإن قلوا، والله ناصرهم إذا صدقوا في إيمانهم  
وطاعة ربهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ [آل عمران].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال للأَنْصار: «أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ؟!»<sup>(٢)</sup>.

والذل له عدة معان:

التواضع: قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ  
الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

(١) الجواب الكافي، ص ٥٣.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٠٥/١٨) برقم ١١٥٤٧ وقال محققوه: إسناده صحيح، وأصله  
في الصحيحين.

القلة: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

السهولة: قال تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلاً﴾ [الإنسان: ١٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لا بد من أذى لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر على الأذى في طاعة الله بل اختار المعصية، كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فر منه بكثير، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُوذِنْتُ لِي وَلَا نَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]؛ ومن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله، كما فعل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيره من الأنبياء عَلَيْهِ السَّلَامُ والصالحين، كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة» وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيماً وسروراً، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزناً وثبوراً.

فيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ خاف الله من الذنوب، ولم يخف من أذى الخلق وحبسهم إذا أطاع الله بل أثر الحبس والأذى مع الطاعة على الكرامة والعز وقضاء الشهوات ونيل الرياسة والمال مع المعصية، فإنه لو وافق امرأة العزيز نال الشهوة، وأكرمتها المرأة بالمال والرياسة وزوجها في طاعتها، فاختار يوسف الذل والحبس، وترك الشهوة والخروج عن المال والرياسة مع الطاعة على العز والرياسة والمال وقضاء الشهوة مع المعصية<sup>(١)</sup>، قال وهب بن منبه: لما مر يوسف على

(١) الفتاوى (١٥/١٣٢).

امرأة العزيز بعدما أصبح عزيز مصر قالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكًا بطاعته، والملوك عبيدًا بمعصيته<sup>(١)</sup>.

وأخبر النبي ﷺ أن المستقبل لهذا الدين، وأن الله سيوصله إلى الناس كافة، ولو كره الكافرون. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث تميم الداري رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، وَبِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

وكان تميم الداري رضي عنه يقول: «قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذل والصغار والجزية»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير القرطبي (١١/٣٨٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٨/١٥٤) برقم ١٦٩٥٧ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط مسلم.



الكلمة الثالثة

العقوبات الإلهية وأسباب رفعها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فمما ابتليت به مجتمعات المسلمين في هذه الأزمان كثرة المعاصي والذنوب، وانتشار المنكرات على اختلاف أنواعها وهذا نذير شر وهلاك للأمة، وقد ثبتلى بعقوبات في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى عن الأمم السابقة: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت]، روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَوْوَنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا

الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا»<sup>(١)</sup>.

فبيّن النبي ﷺ بعضاً من العقوبات التي تصاب بها أمته في آخر الزمان، إذا وقعوا في المحرمات وجأهروا بها.

والذي يتأمل في أحوال الناس في هذه الأيام يجد أن العقوبات قد حصلت بالفعل، فما النكبات المالية التي وقعت وتقع على الدول والأفراد، وانتشار الأمراض الخطيرة في الإنسان والحيوان، وغلاء الأسعار، ونزع البركات، وقلة الأمطار والجو الخانق والغبار، والزلازل، والبراكين، والآثار الناتجة عن إشعال الحروب والفتن هنا وهناك، إلا دليل واضح وبرهان ساطع لمن تدبر وعقل، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾<sup>(٣٠)</sup>

[الشورى]، وقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾<sup>(٤١)</sup> [الروم]، فإن سألت عن الدواء النافع والعلاج الناجع، فأليك بعضاً مما دل عليه القرآن والسنة: من الأسباب الواقية من هذه الشرور.

أولاً: الإقلاع عن المعاصي والتوبة الصادقة إلى الله، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾<sup>(١٦)</sup> [الأعراف].

(١) ص ٤٣٢ برقم (٤٠١٩)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن ابن ماجه (٣٧٠ / ٢) برقم ٣٢٤٦.

قال بعض السلف: «لا تستبطئ الإجابة، وقد سددت طريقها بالمعاصي».

قال الشاعر:

نحن ندعو الإله في كل كرب      ثم ننساه عند كشف الكروب  
كيف نرجو إجابة لدعاء      قد سددنا طريقها بالذنوب

قال علي رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة».

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قال أبو العتاهية:

لَهَوْنَا لِعَمْرِ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعْتُ      ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنْ ذُنُوبٌ  
فِيَا لَيْتَ أَنْ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى      وَيَأْذُنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَنَتُوبُ

ثانيًا: كثرة الاستغفار فهو سبب للإمداد بالأموال والبنين ورغد العيش، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [١٠] يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا [١١] وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا [١٢]﴾ [نوح].

قال الفضيل بن عياض: «استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين».

روى مسلم في صحيحه من حديث الأغر المزني رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»<sup>(١)</sup>،

(١) ص ١٠٨٣، برقم (٢٧٠٢).

فإذا كان هذا حال سيد الأولين والآخرين، المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بنا نحن المذنبين المقصرين؟!

ثالثاً: البعد عن المال الحرام، ومن أعظمه: الربا الحرام الذي هو حرب على الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة].

وللأسف: إن كثيراً من الناس يُودعون أموالهم في هذه البنوك، ويأخذون عليها ربا يسمونه فوائد، أو يقترضون بزيادة ربوية، أو يشترون ويبيعون بأسهم البنوك الربوية.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون]، وَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]؛ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ! يَا رَبَّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»<sup>(١)</sup>.

فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن أكل المال الحرام مانع من قبول الدعاء.

(١) ص ٣٩١، رقم (١٠١٥).

رابعًا: الابتعاد عن الشبهات ومنها الأسهم التي تهافت الناس عليها، وهي أشبه ما تكون بالقمار، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ: أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟»<sup>(١)</sup>.

قال ابن المبارك: «لأن أرد درهماً واحداً من شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بمئة ألف، وقال عمر: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام» قال بعض أهل العلم: إذا اشتبه عليك شيء هل هو من الحلال أو من الحرام فانظر إلى ثمرته ونتيجته، فإن الخير يأتي بالخير والشر لا ينتج عنه إلا شراً.

قال صلى الله عليه وسلم: «اسْتَفْتِ نَفْسَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ»<sup>(٢)</sup>.

خامسًا: إخراج الزكاة في وقتها، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»<sup>(٣)</sup>.

وما أكثر الذين يمتنعون عن الزكاة أو يتحايلون على عدم إخراجها، وقد جاء في الحديث السابق ذكره قوله صلى الله عليه وسلم: «وَلَمْ

(١) ص ٣٩٣، برقم (٢٠٨٣).

(٢) البخاري في التاريخ (١/١٤٤-١٤٥) من حديث وابصة، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١/٢٢٤) برقم ٩٤٨.

(٣) صحيح البخاري ص ٢٥ برقم ٨، وصحيح مسلم ص ٤٠ برقم ١٦.

يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

وأحسبُ الناسَ لو أعطوا زكاتهمُ      لَمَا رأيتَ بني الإعدامِ شاكينا  
وكذلك الصدقة والإنفاق على الفقراء والمساكين والأقارب  
والمحتاجين، فإن الله يدفع بذلك شرورًا عظيمة، قال ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ  
تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا تُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»<sup>(٢)</sup>.

سادسًا: إخراج القنوات الفضائية السيئة التي تنشر الرذائل  
وتدعو إليها وتحارب الفضائل وتقلل من شأنها فكم هتكت من  
أعراض، وكم ضيقت من صلوات بأسبابها؟!!

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ  
يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ  
عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>. وهذه الرعاية تشمل الرعاية الكبرى والرعاية  
الصغرى، وتشمل رعاية الرجل في أهله؛ يقول النبي ﷺ: «وَالرَّجُلُ  
رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(٤)</sup>؛ وعلى هذا فمن مات وقد  
خلف في بيته شيئًا من صحون الاستقبال، «فإنه قد مات وهو غاش

(١) سبق تخريجه.

(٢) جزء من حديث في سنن الترمذي ص ٤٢٥، برقم ٢٦١٦، قال الترمذي عنه: حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري ص ١٣٦٤، برقم ٧١٥، وصحيح مسلم ص ٨١، برقم ١٤٢، واللفظ له.

(٤) صحيح البخاري ص ١٧٩، برقم ٨٩٣، وصحيح مسلم ص ٧٦٣، برقم ١٨٢٩.

لرعيته وسوف يحرم من الجنة، كما جاء في الحديث، ولهذا نقول: إن أي معصية تترتب على هذا (الدش) الذي ركب الإنسان قبل موته، فإن عليه وزرها بعد موته، وإن طال الزمان وكثرت المعاصي»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) خطبة للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: بتاريخ ٢٥/٣/١٤١٧هـ.



الكلمة الرابعة

أخطاء في الصلاة (٢)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فإن الصلاة عماد الدين والركن الثاني من أركانه، وهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، ولذلك وجب على المسلم أن يحرص على أدائها: كما أمره النبي ﷺ بذلك، وبيّن صفتها لأُمَّته.

روى البخاري في صحيحه من حديث مالك بن الحويرث رضي عنه:  
أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»<sup>(١)</sup>.

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط رضي عنه:  
أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين: أحببت التذكير بها أداءً  
لحق الله تعالى، وقيامًا بواجب النصيحة؛ فمن ذلك:

أولاً: الصلاة بالثياب الضيقة أو البنطال الضيق، قال بعض أهل  
العلم: والمحذور في ذلك أن اللباس الضيق يجسّم العورة، وهذا

(١) ص ١٣٧، برقم ٦٣١.

(٢) (٢/٢٤٠) برقم ١٨٥٩، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم ١٣٥٨.

على العموم منهي عنه، فكيف إذا كان في الصلاة؟! قال تعالى:  
﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُذُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

ثانياً: الصلاة في الثياب الشفافة: فكما يحرم الصلاة في اللباس الضيق لأنه يجسم العورة ويصف شكلها وحجمها، فكذلك تحرم الصلاة في الثياب الرقيقة التي تشفُّ عما وراءها من البدن.

قال الفقهاء في شروط صحة الصلاة: مبحث ستر العورة، ويشترط في الساتر: أن يكون كثيفاً، فلا يجزئ الساتر الرقيق<sup>(١)</sup>.

وهذا يحدث في الصيف: نجد أن بعض الناس يلبس الثياب الشفافة مع السراويل القصيرة، ثم يصلي فيها.

ثالثاً: الصلاة في ملابس النوم أو (البيجامات) أو ملابس العمل، وقد تكون متسخة وبها روائح كريهة تؤذي المصلين، والسبب يعود إلى الكسل: فيتكاسل عن تغييرها؛ بينما لو أراد أن يزور مسؤولاً أو رجلاً له مكانته، لاستعدَّ لذلك؛ فربُّ العالمين أولى بالتجمل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُذُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

رابعاً: الإسبال في الصلاة ويشمل الثوب و«البشت» والبنطال، والإسبال منهي عنه على وجه العموم، لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قال:

(١) انظر: المغني (٢/ ٢٨٦ - ٢٨٧).

فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلِيفِ الْكَاذِبِ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>. فإذا كان هذا الوعيد الشديد لعموم المسبلين، ففي الصلاة أشد وأعظم؛ فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابن مسعود رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خِيَلَاءً، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَامٍ»<sup>(٣)</sup>.

خامساً: المواظبة على صلاة النافلة في المسجد وهذا خلاف السنة، والمستحب أن تكون صلاة النافلة في البيت؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي عنهما: أن النبي ﷺ قال: «اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»<sup>(٤)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حيث جابر بن عبد الله رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ، فَلْيَجْعَلْ لَبِيَّتَهُ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا»<sup>(٥)</sup>.

وروى ابن ماجه في سننه من حديث عبد الله بن سعد رضي عنه

(١) ص ٦٨، برقم (١٠٦).

(٢) ص ١١٣٢، برقم ٥٧٨٧.

(٣) صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/١٢٦)، برقم ٥٩٥.

(٤) ص ١٠٤، برقم ٤٣٢، وصحيح مسلم ص ٣٠٧، برقم ٧٧٧.

(٥) ص ٣٠٧، برقم ٧٧٨.

قال: سألت رسول الله ﷺ أيما أفضل: الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد؟ قال: «أَلَا تَرَى إِلَى بَيْتِي مَا أَقْرَبُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ؟! فَلَأَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً»<sup>(١)</sup>، ولا بأس أن يصلي النافلة في المسجد أحياناً إلا أن السنة الغالبة صَلَاتُهَا فِي الْبَيْتِ وَهُوَ أَفْضَلُ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْمَتَّقِدَةُ.

سادساً: رفع بعض المصلين أصواتهم في القراءة السرية أو في بعض أذكار الصلاة، وهذا يشوش على الباقيين صَلَاتَهُمْ، وقد ورد النهي عن ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾<sup>(١١٠)</sup> [الإسراء].

روى مالك في الموطأ من حديث البياضي رضي عنه: أن النبي ﷺ خرج على الناس وهم يصلُّون، وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال: «إِنَّ الْمُصَلِّيَّ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُنَاجِيهِ بِهِ، وَلَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ»<sup>(٢)</sup>.

سابعاً: إدخال بعض المصلين أجهزة الجوال إلى المساجد: وبها نغمات موسيقية، وهذه النغمات لا تجوز خارج المسجد، فكيف بالمسجد؟! قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٣٢)</sup> [الحج].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه:

(١) ص ١٥٢، برقم ١٣٧٨، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في إرواء الغليل (٢/١٩٠).

(٢) ص ٥٣، برقم ٢١٨، وقال محققه: حديث صحيح.

أن النبي ﷺ قال: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْحَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ»<sup>(١)</sup>.

وقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة بتحريم النغمات الموسيقية الصادرة من هذه الجوانات<sup>(٢)</sup>، ولا شك أن إدخالها إلى هذه المساجد انتهاك صريح لحرمتها، إضافة إلى إيذاء المصلين وإفساد صلاتهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾<sup>(٥٨)</sup> [الأحزاب].

ثامناً: الصلاة في الملابس التي فيها صور، والصور منهي عنها على وجه العموم، فكيف بالمسجد؟! روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ، لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»<sup>(٣)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الهياج الأسدي: أن علياً رضي الله عنه قال له: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ؟ «لَا تَدْعُ تَمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَيْتَهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا»<sup>(٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٠١، برقم ٥٥٩٠.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/٢٦١) برقم ٢٠٨٤٢.

(٣) ص ١١٥٦ برقم ٥٩٦١، ومسلم ص ٨٧٥ برقم ٢١٠٧.

(٤) ص ٣٧٤، برقم ٩٦٩.



الكلمة الخامسة

شرح اسم الله الخالق المصوّر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَتُرُّ يُحِبُّ الْوَتْرَ»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد اسم الله الخالق المصوّر في آيات كثيرة، قال تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦].

(١) ص ١٢٣١، برقم ٦٤١٠، ومسلم ص ١٠٧٥، برقم ٢٦٧٧.

(٢) صحيح البخاري، ص ١٤٠٩، برقم ٧٣٩٢.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار].

قال بعضهم: المصوّر هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة، وهيئات متباينة من الطول والقصر، والحسن والقبح، والذكورة والأنوثة: كل واحد بصورته الخاصة، قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون].

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين العظيمين:

أولاً: إن الله تعالى هو الخالق وحده وما سواه مخلوق، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴿٣﴾﴾ [فاطر]، فكل ما سوى الله مخلوق محدث، وكل المخلوقات سبقها العدم؛ قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان].

ثانياً: إن الله تعالى لم يزل خالقاً كيف شاء ومتى شاء ولا يزال، قال تعالى: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٥﴾﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص]، وقال تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج].

ثالثاً: إن الله تعالى ذكره خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر].

رابعاً: خلق الله العظيم، فلا يستطيع مخلوق أن يخلق مثله، فضلاً عن أن يخلق أفضل منه، قال سبحانه: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا

خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان: ١١].

وفي هذا تحدُّ لجميع الخلق من الجن والإنس وغيرهم.

وقد أثبت الله عجزهم عن خلق ضعيف حقير: كالذباب، ولو اجتمعوا على ذلك، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبًا مَثَلًا فَاَسْتَمِعُوا لَهُمْ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ١٧].

خامسًا: إن الله حرَّم على عباده أن يصوِّروا الصور ذوات الأرواح، لما فيها من مضاهاة لخلق الله، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟! فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»<sup>(٣)</sup>؛ وفي هذا دليل على تعذيب المصوِّر: وهو أن يكلف نفخ الروح في الصورة التي صوَّرها، وهو لا يقدر على ذلك، فيستمر تعذيبه.

سادسًا: خلق الله العظيم، فهو الذي خلق السماوات

(١) صحيح البخاري ص ١١٥٥، برقم ٥٩٥٣، وصحيح مسلم ص ٨٧٦، برقم ٢١١١.  
 (٢) صحيح البخاري ص ١١٥٥، برقم ٥٩٥٠، وصحيح مسلم ص ٨٧٥، برقم ٢١٠٩.  
 (٣) صحيح البخاري ص ١١٥٥، برقم ٥٩٥١، وصحيح مسلم ص ٨٧٥، برقم ٢١٠٨.

والأرض، وهما أعظم من خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) [غافر]، ومن عظمة خلق الله: أن الكرسي وهو موضع القدمين - كما قال ابن عباس رضي الله عنهما - وسع السماوات والأرض جميعاً، والعرش أعظم من ذلك، والله تعالى مستوٍ على عرشه، وهو أعظم وأكبر من كل شيء.

سابعاً: إن الله تعالى ما خلق هذا الخلق عبثاً، وإنما لغاية عظيمة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١١٦﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ [الأنبياء].

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه خلق السماوات والأرض بالحق: أي بالعدل والقسط ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (٣١) [النجم]، وأنه لم يخلق ذلك عبثاً ولا لهواً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٣٧) [ص] (١).

ثم بين سبحانه الحكمة في الخلق فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٥/٩).

الذاريات (التيقنات) مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُبْتَلَاةِ

٤٧

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١٦٩ - ١٧٤).



الكلمة السادسة

شرح حديث: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث الشريف من الأحاديث العظيمة التي عليها مدار الدين، ولو عمل الناس به لقضى على كثير من المنكرات والخصومات بين الناس، ولعمم المجتمع الأمن والخير والسلام، وهذا يحصل عند كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه، لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله ويتفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك: وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير، من غير أن ينقص عليه من ذلك شيء<sup>(٢)</sup>.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ رضي عنه: أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان، قال: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ: أَنْ تُحِبَّ

(١) ص ٢٦ برقم ١٣، وصحيح مسلم ص ٥٠ برقم ٤٥.  
 (٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب: ص ١٤٧، بتصرف.

لِلَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَتُعْمَلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ» قال: وماذا يا رسول الله؟ قال: «وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَنْ تَقُولَ خَيْرًا أَوْ تَصْمُتَ»<sup>(١)</sup>.

وهذا من خصال الإيمان العظيمة، ولذلك رتب النبي ﷺ دخول الجنة على العمل بها، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث يزيد ابن أسد القسري رضي عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَتُحِبُّ الْجَنَّةَ؟» قلت: نعم، قال: «فَأَحِبِّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنه: عن النبي ﷺ قال: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَخَّرَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي؛ لَا تَأْمُرَنَّ عَلَيَّ اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»<sup>(٤)</sup>.

وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه، وهو رضي عنه يحب هذا لكل ضعيف، وإنما كان يتولَّى أمور الناس لأن الله قواه على ذلك، وأمره بدعاء الخلق كلهم إلى طاعته، وأن يتولَّى سياسة دينهم ودنياهم.

وكان محمد بن واسع يبيع حمارًا له، فقال له رجل: أترضاه لي؟

(١) (٤٤٦/٣٦)، برقم ٢٢١٣٠، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) (٢١٦/٢٧)، برقم ١٦٦٥٥، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) ص ٧٧٠، جزء من حديث رقم ١٨٤٤.

(٤) ص ٧٦٣، برقم ١٨٢٦.

قال: لو رضيته لم أبعه؛ وهذا إشارة منه إلى أنه لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه، وهذا كله من جملة النصيحة لعامة المسلمين، التي هي من جملة الدين.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، مه، فقال: «أذنه»، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال صلى الله عليه وسلم: «أتحبُّه لأُمَّك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لأُمَّهاتهم؟» قال صلى الله عليه وسلم: «أفتحبُّه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لبناتهم؟» قال صلى الله عليه وسلم: «أفتحبُّه لأُختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لأخواتهم؟» قال صلى الله عليه وسلم: «أفتحبُّه لعممتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لعمماتهم؟» قال صلى الله عليه وسلم: «أفتحبُّه لخاليتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم؟» قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء <sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب: وينبغي للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية، ولهذا أمر أن ينظر في الدين إلى من فوقه، وأن يتنافس في طلب ذلك جهده وطاقته، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين]؛ ولا يكره أن أحداً يشاركه في ذلك، بل

(١) (٣٦/٤٤٠) برقم ٢٢٢١١، وقال محققوه: إسناده صحيح.

يحب للناس كلهم المنافسة فيه، ويحثهم على ذلك، وهذا من تمام أداء النصيحة للإخوان؛ فإذا فاقه أحد في فضيلة دينية، اجتهد على لحاقه، وحزن على تقصير نفسه وتخلفه عن لحاق السابقين: لا حسدًا لهم على ما آتاهم الله، بل منافسة لهم وغبطة وحزنًا على النفس، لتقصيرها وتخلفها عن درجات السابقين؛ وينبغي للمؤمن أن لا يزال يرى نفسه مقصرًا عن الدرجات العالية مستفيدًا بذلك أمرين نفيسين: الاجتهاد في طلب الفضائل والازدياد منها، والنظر إلى نفسه بعين النقص؛ وينشأ من هذا: أن يحب للمؤمنين أن يكونوا خيرًا منه، لأنه لا يرضى لهم أن يكونوا على مثل حاله، كما أنه لا يرضى لنفسه بما هي عليه، بل هو يجتهد في إصلاحها.

وقد قال محمد بن واسع لابنه: أمّا أبوك فلا كثر الله في المسلمين مثله، فمن كان لا يرضى عن نفسه، فكيف يحب للمسلمين أن يكونوا مثله مع نصحه لهم؟! بل هو يحب للمسلمين أن يكونوا خيرًا منه، ويحب لنفسه أن يكون خيرًا مما هو عليه<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لأمرُّ على الآية من كتاب الله، فأودُّ أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم».

وقال الشافعي رحمته الله: «وددت أن الناس تعلموا هذا العلم، ولم يُنسب إليّ منه شيء».

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جامع العلوم والحكم، ص ١٤٨-١٤٩.

الكلمة السابعة

علو الهمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً  
رسول الله، وبعد:

فإن من الخصال الجميلة، والخلال الحميدة، والأخلاق العالية  
الرفيعة: الهمة العالية، والناس إنما تعلقو أقدارهم، وترتفع منازلهم:  
بحسب علو هممهم وشريف مقاصدهم، قال بعضهم: علو الهمة هو  
استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، ومعنى ذلك: أن المؤمن  
لا تنتهي إنجازاته في أمور دينه ودنياه، بل كلما انتهى من إنجاز سعى  
إلى آخر، وهكذا حال صاحب الهمة العالية.

وقد حث سبحانه عباده على علو الهمة، والمسارة إلى الخيرات،  
والتنافس في أعالي الدرجات، قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ  
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل  
عمران]، وقال تعالى: ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الصفات]،  
وقال تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴾ [المطففين].

وبين تعالى فضل المجاهدين أصحاب الهمم العالية، على  
القاعدين المؤثرين للراحة والدعة، فقال: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ  
الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ  
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي  
مَنْكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ  
وَقَاتِلُوا وُكُلًا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدِكُمْ فَسَيْلَةً، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ  
لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»<sup>(١)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه كما روى الطبراني في الكبير من حديث  
الحسن بن علي رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا،  
وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»<sup>(٢)</sup> أي: الحقير الرديء منها.

وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أعلى الناس همة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا  
الْمُرْسَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ  
تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل]، وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يمثل لهذا التوجيه الرباني  
الكبير، فيقوم حتى تتفطر قدماه؛ وفي النهار جهاد، ودعوة، وقيادة للأمة،  
وكان في بيته تسع نسوة يقوم على شؤونهن، وكان يضع الحجر على بطنه  
من الجوع، وتمر الليالي تلو الليالي لا يوقد في بيت رسول الله نار إن هو  
إلا الأسودان - التمر والماء - لقد ولَّى عهد النوم والراحة، قال تعالى:

(١) (٢٩٦/٢٠) برقم ١٢٩٨١، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) (١٣١/٣) برقم ٢٨٩٤، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٨٤/١) برقم ١٨٩٠.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾ [الشرح].

وكان عليه الصلاة والسلام يبحث أصحابه على الهمة العالية والمسابقة إلى الدرجات العالية، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في غزوة بدر، قال: فأنطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه حتى سبقتوا المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَيَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فدنا المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»، قال: يقول عمير بن الحُمَامِ الأنصاري: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟! قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟!» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ! يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِلَّا رَجَاءَةٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ أَنَا حَيِّتٌ حَتَّىٰ أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ (١).

ومن الأمثلة على الهمة العالية ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم الأحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني

(١) ص ٧٨٩، برقم (١٩٠١).

المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل وقد مَثَلَ به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنائه.

قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية [الأحزاب: ٢٣] <sup>(١)</sup>.

#### وعلو الهمة على قسمين:

الأول: رجل يشعر بأن فيه الكفاية لعظائم الأمور، ويجعل هذه العظائم همته، وهذا ما يسمى (عظيم الهمة، أو: عظيم اليقين).

الثاني: رجل فيه الكفاية لعظائم الأمور، ولكنه يحتقر نفسه فيضع همه في سفاسف الأمور وصغائرها، وهذا ما يسمى صغير الهمة؛ قال المتنبي:

وَمَا أَرَى فِي عيوبِ النَّاسِ عيبًا      كنقصِ القادرين عَلَى التمامِ  
ومن الأمثلة على علو الهمة:

ما قاله مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: والله ما أنزلت آية، إلا وأنا أعلم فيما نزلت؟ وأين نزلت؟ ولو أعلم أحدًا

(١) صحيح البخاري ص ٥٤٢، برقم ٢٨٠٥؛ وصحيح مسلم ص ٧٩٠، برقم (١٩٠٣).

أعلم بكتاب الله مني، تبلغه المطايا، لأتيته.

وكان الإمام البخاري يقوم في الليلة الواحدة: ما يقارب عشرين مرة، لتدوين حديث أو فكرة، وقال الإمام أحمد بن حنبل: رحلت في طلب السنة إلى الثغور والشامات والسواحل، والمغرب والجزائر، ومكة والمدينة، واليمن وخراسان وفارس، وقال: حججت خمس حججات: منها ثلاث حجج راجلاً من بغداد إلى مكة، وقال ابن الجوزي: طاف الإمام أحمد بن حنبل الدنيا مرتين، حتى جمع المسند وفيه ثلاثون ألف حديث.

وقال أيضاً: ولو أني قلت: طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيها، وأحتقر همم الطلاب ولله الحمد<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقال ابن الجوزي - في ترجمة الطبراني -: هو العلامة سليمان ابن أحمد مُسند الدنيا، زادت مؤلفاته على خمسة وسبعين مؤلفاً، سئل عن كثرة أحاديثه؟! فقال: كنت أنام على الحصير ثلاثين سنة.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَا  
وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ  
تَفْرِيجُ هَمِّ وَاِكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ  
وَعِلْمٌ وَأَدَابٌ وَصَحْبَةٌ مَاجِدِ

(١) صيد الخاطر، ص ٤٠٢.

ومن الأمثلة على علو الهمة في وقتنا المعاصر: ما أخبرني به أحد الإخوة أن هناك أعمى وأصم وأبكم لا تفوته تكبيرة الإحرام، والعجيب أن الذي يقوده إلى المسجد: ابنه وهو أصم وأبكم، ومع ذلك: الاثنان عندهما همة عالية للمبادرة إلى بيوت الله، والصلاة مع الجماعة، مع أنهما معذوران شرعاً.

وقال المتنبي:

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا      تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

وقال أيضاً:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفِ مَرُومٍ      فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ  
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ      كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ

وقال أبو فراس الحمداني:

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوَسُّطُ عِنْدَنَا      لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ  
تَهُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا      وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِهِ الْمَهْرُ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يتحدث عن الهمة: فكيف يحسن بذي همة قد أزاح الله عنه عله، وعَرَفَهُ السعادة والشقاوة أن يرضى بأن يكون حيواناً وقد أمكنه أن يصير إنساناً، وبأن يكون إنساناً وقد أمكنه أن يكون ملكاً، وبأن يكون ملكاً وقد أمكنه أن يكون ملكاً في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فتقوم الملائكة في خدمته، وتدخل عليهم من كل باب، قال تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عُنُقِي الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٤).

وهذا الكمال إنما يُنالُ بالعلم ورعايته والقيام بموجبه وأعظم النقص نقص القادر على التمام وحسرتة على تفويته، فَثَبَّتَ أنه لا شيء أقبح بالإنسان من أن يكون غافلاً عن الفضائل الدينية، والعلوم النافعة والأعمال الصالحة، فمن كان كذلك فهو من الهمج الرعاع الذين يكدرون الماء ويقلون، إن عاش عاش غير حميد، وإن مات مات غير فقيد، وفقدهم راحة للبلاد والعباد، ولا تبكي عليهم السماء، ولا تستوحش له الغبراء<sup>(١)</sup>.

الخلاصة: أنه ينبغي للمؤمن أن تكون همته عالية، يسعى إلى معالي الأمور وفيما يصلحه من أمر دينه ودنياه، وأن يبذل في ذلك الغالي والنفيس، وألا يكون ضعيف الهمة يحب الراحة والكسل، فإنه بقدر الكد تكتسب المعالي، ومن طلب العلاء سهر الليالي<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر:

وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ      أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ  
تَرَوْمُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا      يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جامع الآداب من كلام ابن القيم بتحقيق يسري السيد محمد (١/ ٢١٨ - ٢١٩).  
(٢) انظر: علو الهمة لأخينا الشيخ إسماعيل المقدم.



الكلمة الثامنة

فتنة المال

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فإن من نعم الله العظيمة على عباده: نعمة المال، قال تعالى:  
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال تعالى ممتنّاً على نبيّه بهذه النعمة: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨) [الضحى]، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ (١٤) [آل عمران].

قال عمر رضي الله عنه كما في صحيح البخاري: «اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه» (١).

والمال إما أن يستخدم في الخير أو الشر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) [التغابن]، وهو من الفتن العظيمة التي يُبتلى بها المؤمن، والقليل من الناس من يصبر عليها؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عياض بن

(١) ص ١٢٣٦ كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «هذا المال خضرة حلوة».

حمار رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ»<sup>(١)</sup>، وقال الإمام أحمد بن حنبل: «ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر».

والعبد يُسأل عن ماله يوم القيامة ماذا عمل فيه؟ روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةً مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ»<sup>(٣)</sup>.

وقد جُبِلَتِ النُّفُوسُ عَلَى حُبِّ الْمَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر]، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَا يَبْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ»<sup>(٤)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَكْبُرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبُرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ الْمَالِ

(١) (٢٩/٢١٥) برقم ١٧٤٧١، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) ص ٣٩٦، برقم ٢٤١٦، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ص ١٠٣٠ برقم ٥١٩٦، وصحيح مسلم ص ١٠٩٥ برقم ٢٧٣٦.

(٤) ص ١٢٣٦ برقم ٦٤٣٦، وصحيح مسلم ص ٤٠٢ برقم ١٠٤٩.

وَطُولُ الْعُمْرِ»<sup>(١)</sup>.

وقد حذّر النبي ﷺ أمّته من فتنة المال، فروى البخاري ومسلم من حديث عمرو بن عوف رضي عنه : أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «فَأَبْشُرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

والذي يتأمل في أحوال الناس في هذه الأيام، وانكبابهم على كسب هذا المال بأي وسيلة كانت: سواء كان في مساهمات مشبوهة، أو معاملات فيها مخالفات شرعية: كالربا، والغش، وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها، ليتذكّر قول النبي ﷺ كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه : «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ: أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟»<sup>(٣)</sup>.

وقد أرشد النبي ﷺ أمّته إلى القناعة وعيشة الكفاف.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنهما : أن النبي ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كِفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»<sup>(٤)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة

(١) ص ١٢٣٣ برقم ٦٤٢١، وصحيح مسلم ص ٤٠٢ برقم ١٠٤٧.

(٢) ص ٧٦٢ برقم ٤٠١٥، وصحيح مسلم ص ١١٨٨، برقم ٢٩٦١.

(٣) ص ٣٩٣، برقم ٢٠٨٣.

(٤) ص ٤٠٤، برقم ١٠٥٤.

أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»<sup>(١)</sup> والعرض هو متاع الدنيا، ومعنى الحديث الغنى المحمود هو غنى النفس وشبعها، وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بما عنده فليس له غنى.

قال الشاعر:

النَّفْسُ تَجْزَعُ أَنْ تَكُونَ فَقِيرَةً      وَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنَى يُطْغِيهَا  
وَعِنَى النَّفْسِ هُوَ الْكَفَافُ فَإِنْ أَبَتْ      فَجَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يَكْفِيهَا

وقد ذمَّ الله ورسوله عبد المال: الذي إذا أُعْطِيَ رَضِيَ، وإن لم يُعْطَ سَخَطَ، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدَّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ، وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»<sup>(٢)</sup>.

وهذا المال إن لم يستخدمه صاحبه في طاعة الله وينفقه في سبيله، كان وبالاً وحسرة عليه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

(١) صحيح البخاري ص ١٢٣٨، برقم ٦٤٤٦؛ وصحيح مسلم ص ٤٠٢، برقم ١٠٥١.

(٢) ص ١٢٣٥، برقم ٦٤٣٥.

فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ [الأنفال].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اِثْنَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ، وَقِلَّةَ الْمَالِ أَقْلٌ لِلْحِسَابِ»<sup>(١)</sup>.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ: بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ»<sup>(٢)</sup>.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن البركة إنما تحل في هذا المال، إذا أخذه صاحبه بطيب نفس من غير شره ولا إلحاح، فروى البخاري ومسلم من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»<sup>(٣)</sup>.

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن المال عرض زائل ومتاع مفارق، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد].

(١) (٣٦/٣٩)، برقم ٢٣٦٢٥؛ وقال محققوه: إسناده جيد.  
 (٢) (٢٠٨/١٤)، برقم ٨٥٢١؛ وقال محققوه: إسناده حسن.  
 (٣) ص ٢٨٧ برقم ١٤٧٢، وصحيح مسلم ص ٣٩٨ برقم ١٠٣٥.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»<sup>(١)</sup>.

وبعض الناس يغلط، ويظن أن من رزق مالا كثيرا، فإنه قد وُفق: وهو دليل على محبة الله له! والأمر ليس كذلك، فإن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب؛ وقد ذكر الله هذا عن الإنسان، وأخبر أن الأمر ليس كما ظن، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١٢٤٨ برقم ٦٥١، وصحيح مسلم ص ١١٨٨ برقم ٢٩٦٠.

الكلمة التاسعة

فتنة النساء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده  
ورسوله، وبعد:

فإن من الفتن العظيمة التي يواجهها المسلم في هذه الحياة: فتنة  
النساء، وهذه الفتنة تواجهه في السوق وفي الطرقات وفي الأماكن  
العامة، وفي الجرائد والمجلات وفي وسائل الإعلام، قال تعالى:  
﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ ﴾ [آل عمران].

وقد حذر النبي ﷺ أمته من فتنة النساء، روى البخاري ومسلم  
من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ  
بَعْدِي فِتْنَةً، أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وقد أخبر النبي ﷺ أن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء،  
فروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أن  
النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ

(١) ص ١٠١٠، برقم ٥٠٩٦، وصحيح مسلم ص ١٠٩٥، برقم ٢٧٤٠.

كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وأخبر النبي ﷺ أن الصابر على هذه الفتنة: من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «رَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»<sup>(٢)</sup>؛ قال القاضي عياض: «وخصَّ ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها وعسر حصولها، وهي جامعة للمنصب والجمال، لا سيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها؛ فالصبر عنها لخوف الله تعالى - وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال - من أكمل المراتب وأعظم الطاعات، فرتب الله عليه أن يظله الله في ظله، وذات المنصب: هي ذات الحسب والنسب الشريف»<sup>(٣)</sup>؛ قال تعالى - في هذا وأمثاله -: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

وقدوة هذا الصابر على فتنة النساء: نبي الله الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الْوَلَّىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ

(١) ص ١٠٩٦، برقم ٢٧٤٢.

(٢) ص ٢٧٧، برقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم ص ٣٩٧، برقم ١٠٣١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٢٢).

الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ  
 الظالمون ﴿٢٣﴾ [يوسف]، بل إن يوسف عليه السلام أثر السجن على أن  
 ينقاد لهذه الفتنة، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ  
 وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ [يوسف]، قال  
 ابن القيم: « وقد ذكر الله ﷻ عن يوسف الصديق عليه السلام من العفاف  
 أعظم ما يكون، فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في  
 حق غيره، فإنه ﷻ كان شاباً والشباب مركب الشهوة، وكان عزباً  
 ليس عنده ما يعوضه، وكان غريباً عن أهله ووطنه والمقيم بين أهله  
 وأصحابه، يستحي منهم أن يعلموا به فيسقط من عيونهم، فإذا تغرب  
 زال هذا المانع، وكان في صورة المملوك، والعبد لا يأنف مما يأنف  
 منه الحر، وكانت المرأة ذات منصب وجمال؛ والداعي مع ذلك  
 أقوى من داعي من ليس كذلك، وكانت هي المطالبة فيزول بذلك  
 كلفة تعرض الرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة، وزادت مع الطلب  
 الرغبة التامة والمرادة التي يزول معها ظن الامتحان والاختبار لتعلم  
 عفافه من فجوره، وكانت في محل سلطانها وبيتها بحيث تعرف وقت  
 الإمكان ومكانه الذي لا تناله العيون، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب  
 لتأمين هجوم الداخل على بغته، وأتته بالرغبة والرغبة، ومع هذا كله  
 عفَّ لله ولم يطعها، وقدم حق الله وحق سيدها على ذلك كله، وهذا  
 أمر لو ابتلي به سواه لم يعلم كيف تكون حاله؟ »<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

(١) بدائع التفسير (٢/٤٤٥ - ٤٤٦).

وإني لتنهاني خلائقُ أربَعُ عن الفُحشِ فيها للكريمِ روادعُ  
حياءٌ وإسلامٌ وشيبٌ وعفةٌ وما المرءُ إلا ما حبتهُ الطبايعُ

والصبر على هذه الفتنة وإيثار رضا الله على هوى النفس: من  
أفضل الأعمال التي تقرب العبد إلى ربه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ  
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

روى الإمامان البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَحَدُهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَّأُوا إِلَى غَارٍ  
فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ،  
فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللَّهَ  
تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي  
ابْنَةٌ عَمَّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا  
فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِئَةَ دِينَارٍ فَحِثَّتْهَا بِهَا،  
فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ  
إِلَّا بِحَقِّهِ! فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ،  
فَأَفْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ»<sup>(١)</sup> الحديث.

وقد أمر الله المؤمنين الذين لم يستطيعوا النكاح بالصبر والعفة،  
قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾  
[النور: ٣٣].

ومن أسباب دفع فتنة النساء: غض البصر وحفظ الفرج والنكاح

(١) ص ٤١٣ برقم ٢٢١٥، وصحيح مسلم ص ١٠٩٦ برقم ٢٧٤٣.

الحلال، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُؤُجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ - أَي النِّكَاحَ - فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النِّظَرِ      ومعظم النار من مستصغر الشرر  
والمرء ما دام ذا عين يُقَلِّبُهَا      في أعين الغيد موقوف على الخطر  
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها      فتك السهام بلا قوس ولا وتر  
يسر ناظره ما ضرَّ خاطره      لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ثواباً لمن حفظ فرجه، روى البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup>.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١٠٠٥ برقم ٥٠٦٦، وصحيح مسلم ص ٥٤٩ برقم ١٤٠٠.

(٢) ص ١٢٤٣، برقم ٦٤٧٤.



الكلمة العاشرة

فتنة الدنيا

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الفتن العظيمة التي حذر الله ورسوله منها: فتنة الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥ ﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ۗ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۗ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ۗ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرَاهُمْ مُصْفَرًّا ۗ ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ۝٢٠ ﴾ [الحديد].

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من فتنة الدنيا.

فروى البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن ميمون الأودي قال: كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات، كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة، ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر الصلاة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمَرِ،

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»<sup>(١)</sup>.

وقد نهى الله نبيه ﷺ عن التطلع إلى الدنيا وفتنتها، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه].

وبين تعالى أن ما يعطيه الكفار من نعم الدنيا، إنما ذلك لهوان الدنيا عنده وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنة، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [٣٣] ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ [٣٤] ﴿وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٣٥] [الزخرف].

روى الترمذي في سننه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) ص ٥٤٥، برقم ٢٨٢٢.

(٢) ص ٣٨٣، برقم ٢٣٢٠، قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتُهُ (أَي: جَانِبَهُ)، فَمَرَّ بِجَدِّي أَسَكَّ (أَي: صَغِيرِ الْأُذُنِينَ) مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرُهُمْ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من فتنة الدنيا وزخرفها، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

قال الشافعي رحمته الله:

إِنْ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنَا      تركوا الدنيا وخافوا الفِتنَا  
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا      أنها ليست لِحَيٍّ وَطِنَا  
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا      صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُنْفِنَا

وقال ابن أبي حصينة المعري:

أحلام نوم أو كظل زائلٍ      إن اللبيب بمثلها لا يُخدعُ

(١) ص ١١٨٧، برقم ٢٩٥٧.

(٢) ص ٧٦٢، برقم ٤٠١٥، وصحيح مسلم ص ١١٨٨، برقم ٢٩٦١.

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس بُعدًا عن الدنيا وفتنتها، فروى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: نام النبي ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَضَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث عمر: أنه رضي عنه صعد إلى مشربة النبي ﷺ لما آلى من نسائه، فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال: يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه؛ وكان رسول الله ﷺ متكئا، فجلس وقال: «أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال رضي عنه: «أَوْلَيْكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، وفي رواية: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟!»<sup>(٢)</sup>.

قال علي رضي عنه - وهو يصف الدنيا -: أولها عناء وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من صح فيها أمن، ومن حرص ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها (أي سعى إليها) فتنته، ومن قعد عنها أتمته، ومن نظر إليها أعمته، ومن نظر بها (أي اعتبر بها) بصَّرتة، قال الشاعر أبو الحسن التهامي:

طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا      صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ

(١) ص ٣٨٩، برقم ٢٣٧٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ص ٩٦٩، برقم ٤٩١٣، وصحيح مسلم ص ٥٩٣، برقم ١٤٧٩.

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه بالتقلل من الدنيا وزيتها، فروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضيما الله قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»؛ وكان ابن عمر رضيما الله يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»<sup>(١)</sup>.

وكان الصحابة يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم، فروى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: اشتكى سلمان فعاده سعد فرآه يبكي، فقال له سعد: ما يبكيك يا أخي! أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟! أليس؟ أليس؟ قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين ما أبكي ضناً للدنيا ولا كراهية للآخرة، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً فما أراني إلا قد تعديت، قال: وما عهد إليك؟ قال: عهد إليّ أنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب ولا أراني إلا قد تعديت، قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً من نفقة كانت عنده<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١٢٣٢، برقم ٦٤١٦.

(٢) ص ٤٤٤ برقم ٤١٠٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٣٩٢-٣٩٣) برقم ٣٣١٢.



الكلمة الحادية عشرة

النهي عن السخرية بالناس واحتقارهم

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الصفات الذميمة التي ذمها الله ورسوله: السخرية بالناس واحتقارهم، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة]، والويل: كلمة تهديد ووعيد لمن كانت هذه صفاته، قال المعلمي رَحِمَهُ اللهُ: الهمز هو السخرية من الناس بالإشارة؛ كتحرير اليد قرب الرأس: إشارة إلى الوصف بالجنون، أو الإشارة بالعين: رمزاً للاستخفاف أو نحو ذلك.

واللمز: هو السخرية من الناس بالقول، كتسمية الشخص باسم يدل على عاهة فيه أو مرض، أو اتهامه بخليقة سيئة، أو التعريض بذلك. اهـ<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

(١) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ليحيى المعلمي، ص ٣٣٣، نقلاً عن كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١٠/٤٦٠٤).

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ اللَّهَ عَمَّ بَنِيهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَسْخَرَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ بِجَمِيعِ مَعَانِي السَّخْرِيَّةِ، فَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَسْخَرَ مِنْ مُؤْمِنٍ لَا لِفَقْرِهِ وَلَا لِدُنْبِ رُكْبِهِ وَلَا لِغَيْرِ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>؛ وَقَالَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾: «أُولَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ نَهَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ، وَالتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ: هُوَ دَعَاءُ الْمَرْءِ صَاحِبَهُ بِمَا يَكْرَهُهُ مِنْ اسْمٍ أَوْ صِفَةٍ، وَعَمَّ اللَّهُ بَنِيهِ ذَلِكَ وَلَمْ يَخْصِصْ بِهِ بَعْضَ الْأَلْقَابِ دُونَ بَعْضٍ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يَنْبِزَ أَخَاهُ بِاسْمٍ يَكْرَهُهُ أَوْ صِفَةٍ يَكْرَهُهَا»<sup>(٢)</sup>.

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صِفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا - قَالَ غَيْرَ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةَ - فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ: وَحَكِيَّتُ لِي إِنْ سَأَلْتِ فَقَالَ: «مَا أَحَبُّ أَنْي حَكِيَّتُ إِنْ سَأَلْتِ، وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا»<sup>(٣)</sup>.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَعْرُورِ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَبِذَةِ وَعَلِيَهُ حَلَةٌ وَعَلَى غَلَامِهِ حَلَةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمَّهُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمَّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ،

(١) تفسير الطبري (١١/٣٩٠).

(٢) تفسير الطبري (١١/٢٩٣).

(٣) ص ٥٢٩، برقم ٤٨٧٥، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣/٩٢٣) برقم ٤٠٨٠.

فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»<sup>(١)</sup>؛ والسخرية بالناس من سمات الكفار والمنافقين، وقد نُهينا عن التشبه بهم، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾<sup>(٧١)</sup> [التوبة].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذه أيضًا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبتهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى المتصدقون لا يسلمون منهم؛ إن جاء أحدهم بمال كثير قالوا: مُرَاءٍ، وإن جاء بقليل قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

والسخرية تمت القلب وتورثه الغفلة، حتى إذا كان يوم القيامة ندم الساجر وتحسّر على فعله، قال تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾<sup>(٥٦)</sup> [الزمر].

والسخرية من الناس عاقبتها وخيمة في الدنيا والآخرة، في الدنيا: قد يُبتلى الساجر بمثل ما سخر به، وفي الآخرة: عذاب الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾<sup>(٢٩)</sup> وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ<sup>(٣٠)</sup> وَإِذَا أَنْقَلِبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلِبُوا فِيكِهِينَ<sup>(٣١)</sup> [المطففين].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا

(١) ص ٢٩، برقم ٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٢٤٧).

أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مِينَنَا ﴿٥٨﴾ ﴿[الأحزاب].

والساخر بعيد عن ربه قريب من الشيطان، قال تعالى عن الكفار: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْرَبْنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون].

قال القرطبي: «يستفاد من هذا: التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين، والاحتقار لهم والإضرار عليهم، والاشتغال بهم فيما لا يعني، وأن ذلك مبعد من الله ﷻ» (١).

ومما تقدّم، يتبيّن لنا: أن السخرية بالناس ذنب عظيم، منافٍ للدين والمروءة والأدب.

ومن صور هذا الاستهزاء في وقتنا المعاصر:

السخرية بالعلماء والمشايخ، والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وغيرهم من أهل الصلاح والخير، ولمزهم بالألقاب السيئة، وتأليف القصص المكذوبة التي تسمّى النكت عليهم؛ وقد نص بعض أهل العلم: على أن الساخر من العلماء أو الأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر، إذا كان يسخر منهم لدينهم لا لذاتهم، فإن هذا من الكفر المخرج من دائرة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا فَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة].

(١) تفسير القرطبي (٩٥/١٥).

ومنها: السخرية بالعمال المقيمين في هذه البلاد، أو الفقراء وضعفة الناس، واحتقارهم: لأن هذا من الجنسية أو البلد الفلاني؛ روى البخاري في صحيحه من حديث سهل رضي الله عنه قال: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يُشفع، وإن قال أن يُسمع، قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قالوا: حري إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يُشفع، وإن قال أن لا يُسمع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»<sup>(١)</sup>؛ وما يدري هذا الساخر: لعل الذي سخر منه خير وأتقى لله منه! قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَتَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال محمود الغزنوي:

فلا تَحْقِرَنَّ خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عِلَّهُ      وَلِيَّ إِلَهٍ الْعَالَمِينَ وَمَا تَدْرِي  
فدو القَدْرِ عِنْدَ اللَّهِ خَافٍ عَنِ الْوَرَى      كَمَا خَفِيَتْ عَنْ عِلْمِهِمْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ

ومنها السخرية بالجيران والأصدقاء والأقارب، وقد يكون الحامل على هذه السخرية والاحتقار: هو الحسد، فقد يبرز بعض الناس عند أقاربه أو أصدقائه: بتجارة أو علم أو دراسة، فيسخرون منه، ويلمزونه في المجالس، ليسقطوه من أعين الناس؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ

(١) ص ١٠٠٩، برقم ٥٠٩١.

عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ! إِخْوَانًا؛ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية عشرة

تأملات في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٤٥] أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٤٥] المتقون: هم الذين فعلوا الطاعات واجتنبوا المعاصي والذنوب، وجنات: أي بساتين جامعة للأشجار، وسميت جنة لأنها تجن من فيها: أي تستره لكثرة أشجارها وأغصانها.

والعيون هي الأنهار الأربعة: ماء، وخمر، ولبن، وعسل، وهذه الأنهار تجري من تحت القصور والأشجار، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ أي بسلامة من كل داء وآفة، وآمنين: أي من كل خوف وفزع، ولا تخشوا من إخراج، ولا انقطاع شيء من النعيم الذي أنتم فيه أو نقصانه، كالموت، والنوم، والمرض، والحزن، والهم، وسائر المكدرات، كما قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ﴿٣٤﴾ [ق]؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْكُمْ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [الأعراف]»<sup>(١)</sup>؛ والأمن مطلب لجميع الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك قال تعالى عن أهل الجنة: آمنين، حتى تكتمل السعادة والفرحة.

قال أمية بن الصلت:

وَحَلَّ الْمُتَّقُونَ بِدَارٍ صِدْقٍ      وَعَيْشٍ نَاعِمٍ تَحْتَ الظَّلَالِ  
لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَمَا تَمَنُّوا      مِنَ الْأَفْرَاحِ فِيهَا وَالْكَمَالِ

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مَُّنْقَلِبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الحجر]، الغل: هو الحقد والعداوة، فبيّن تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه نزع ما في صدور أهل الجنة من الغل في حال كونهم إخوانًا، وبيّن هذا المعنى وزاد أنهم تجري من تحتهم

(١) ص ١١٤٠ برقم ٢٨٣٧.

الأنهار في نعيم الجنة، وذلك في قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣) [الأعراف].

قال ابن كثير: وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ» (١).

ولما دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعدما فرغ من أصحاب الجمل، فرحب به وأدناه وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مَُّنْقَلِبِينَ﴾ (٤٧) [الحجر]، والحكمة في نزع الغل: حتى تكتمل السعادة والفرحة، فإن الغل يفسد القلوب ويضيق به الصدر، ولذلك شرح الله صدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأرسل الله له في صغره ملكين، ونزعا ما في صدره من الغل والحقد وغسلا قلبه؛ قوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَُّنْقَلِبِينَ﴾ (٤٧) السرور: جمع سرير مثل جديد وجدد، وقيل: هو من السرور فكأنه مكان رفيع ممهد للسرور، قال ابن عباس: على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر. السرير ما

(١) صحيح البخاري ص ١٢٥٢، برقم ٦٥٣٥.

بين صنعاء إلى الجابية وهي قرية بالشام، وما بين عدن إلى أيلة وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام، وقد وصف الله هذه السرر بأنها منسوجة بقضبان الذهب وهي: (الموضونة)، فقال: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۝١٤ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۝١٥ مُتَّكِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ ۝١٦﴾ [الواقعة].

وقيل الموضونة: المصفوفة، كقوله تعالى: ﴿مُتَّكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾ [الطور].

وأيضاً هذه السرر مرفوعة، قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣﴾ [الغاشية]، وقال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ [الواقعة]، وقال سبحانه: ﴿مُتَّكِينَ عَلَى رَقَرٍ رَقْرَفٍ حُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝٧٦﴾ [الرحمن].

قوله تعالى: ﴿مُنْقَلِبِينَ﴾: أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، وذلك دليل على تزاورهم واجتماعهم وحسن أدبهم فيما بينهم، في كون كل منهم مقابلاً للآخر لا مستدبراً له، متكئين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر]: بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة لا يمسهم فيها نصب وهو التعب والإعياء، و﴿نَصَبٌ﴾: نكرة في سياق النفي فتعم كل نصب، فدللت الآية على سلامة أهل الجنة من جميع أنواع التعب والمشقة، وأكد هذا المعنى سبحانه، فقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝٢٥﴾

[فاطر]؛ لأن اللغوب هو التعب والإعياء، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ» (١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (٤٨): بين تعالى أن أهل الجنة لا يخرجون منها، فهم دائمون في نعيمها أبداً بلا انقطاع، وأوضح سبحانه هذا المعنى في مواضع أخرى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٠٧) خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) [الكهف]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (٥٤) [ص]، إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) [الحجر]، هذه الآية موازية لقوله صلى الله عليه وسلم، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ؛ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ» (٢).

فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء والرغبة والرغبة، ويكون الخوف في الصحة أغلب عليه منه في المرض، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه أحدث له ذلك الرجاء

(١) ص ٧٢٦ برقم ٣٨٢٠، وصحيح مسلم ص ٩٨٨ برقم ٢٤٣٢.

(٢) ص ١١٠٢، برقم ٢٧٥٥.

والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه أحدث له الخوف والرغبة والإقلاع عنها؛ فالقنوط من رحمة الله يأس، والرجاء مع التقصير إهمال، وخير الأمور أوسطها<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) انظر: تفسير ابن سعدي (ص ٤٠٧).

الكلمة الثالثة عشرة

الغرور

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الصفات الذميمة التي نهى الله ورسوله عنها: الغرور، قال الراغب: الغرور هو كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وغير ذلك<sup>(١)</sup>، وقال الكفوي: كل من غر شيئاً فهو غرور بالفتح والغرور بالضم الباطل<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وقد حذر سبحانه من الغرور فقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر]، أي: لا يغرنكم الشيطان فيقول لكم: إن الله يتجاوز عنكم ويغفر لكم لفضلكم أو رئاستكم وغناكم أو سعة رحمته لكم، فتسرعوا في المعاصي، وأخبر سبحانه أن الغرور من عمل الشيطان، فقال: ﴿وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلْبِ عَلَيْهِمْ بَخِيلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء].

(١) المفردات للراغب ص ٣٥٩.

(٢) الكليات ص ٦٦٣.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فوعده ما يصل إلى قلب الإنسان نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا لذتك، وستعلو على أقرانك، وتظفر بأعدائك، والدنيا دول: ستكون لك كما كانت لغيرك، ويطول أمله، ويعده بالحسنى على شركه ومعاصيه، ويمنيه الأمانى الكاذبة على اختلاف وجوهها؛ والفرق بين وعده وتمنيته: أنه يعد الباطل ويمني المحال، والنفس المهينة التي لا قدر لها تغتذي بوعده وتمنيته، كما قال القائل:

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى      وَإِلَّا فَفَقَدَ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا<sup>(١)</sup>

قال حسان بن ثابت:

دَلَّاهُمْ<sup>(٢)</sup> بَغْرورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ      إِنْ الْخَبِيثَ لِمَنْ وَالَاهِ غَرَّارُ  
وَقَالَ إِنِّي لَكُمْ جَارٌ فَأُورِدُهُمْ      شَرَّ الْمَوَارِدِ فِيهِ الْخِزْيُ وَالْعَارُ

والغرور على أقسام:

**القسم الأول:** «غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا بشهواتها وملذاتها، قال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لُعبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، وهم الذين قالوا: النقد خير من النسيئة، فالدنيا نقد والآخرة نسيئة، فإذن: الدنيا خير منها ولا بد من إتيانها؛ وقالوا: اليقين خير من الشك، ولذات الدنيا يقين ولذات

(١) إغائة اللهفان (١/١٠٧).

(٢) قال القرطبي: يقال أدلى دلوه: أرسلها، ودلاها: أخرجها، وقيل دلاهم: دللهم من الدالة وهي الجرأة، أي جرأهم. الجامع لأحكام القرآن (٧/١١٦).



روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»<sup>(١)</sup>، وروى البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>؛ قال عبد الله بن المبارك: «لأن أردّ درهماً واحداً من شبهة، أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف».

وقد أخبر سبحانه أن الغرور من شأن الظالمين والكفار، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنَّهُمْ لَطَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [فاطر].

فمن الناس من إذا أعطي مالا أو منصباً أو جاهاً، ظن أن هذا دليل على إكرام الله له ورضاه عنه، وأن هذا المنصب أو المال : إنما حصل عليه باجتهاده وتعبه ؛ وهذا يشبه قارون عندما قال عن ماله : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص : ٧٨] ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ [١٥] وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴾ [١٦] كلاً [الفجر] ، أي : ليس الأمر كذلك ؛ وآخرون إذا أعطي أحدهم نصيباً من العلم الشرعي أو الدعوة أو العبادة : اغتر بذلك ، وأعجب بعمله ، وترفعت نفسه عن الآخرين ، بل إن بعضهم يرى أن إخوانه ينبغي أن يخدموه ويوقروه ، تقديراً لعلمه أو

(١) قطعة من حديث في صحيح مسلم ص ٣٩١ ، برقم ١٠١٥ .

(٢) ص ٥٩٦ ، برقم ٣١١٨ .

لنشاطه في الدعوة، أو لعبادته: وهذا هو الغرور.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبان قال: أتيت عثمان بن عفان رضي الله عنه بطهور وهو جالس على المقاعد فتوضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ وهو في هذا المجلس، فأحسن الوضوء ثم قال: «مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ غُفْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَغْتَرُوا»<sup>(١)</sup>.

قال الزهري: «من استطاع ألا يغتر فلا يغتر؛ ولما حضرت عبدالعزيز ابن مروان الوفاة وكان والياً على مصر قال: اتئوني بكفني الذي أكفن فيه أنظر إليه، فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال: مالي كثير وما أخلف من الدنيا إلا هذا، ثم ولى ظهره وبكى وقال: أف لك من دار! إن كان كثير لقليل! وإن كان قليل لكثير! وإن كنا منك لفي غرور»<sup>(٢)</sup>.

وبالجملة فالناس على صنفين:

الأول: غرور أهل الدنيا بدنياهم حيث تلهيهم أموالها ومناصبها وزينتها وزخارفها، حتى يدركهم الموت وهم غافلون، قال تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ ۱ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ ۲ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ۳ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ۴ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۚ ۵ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۚ ۶

(١) ص ١٢٣٥ برقم ٦٤٣٣، وصحيح مسلم ص ١٢١ برقم ٢٣٢.

(٢) الدر المنثور (٤/١٩٣).

ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾  
[التكاثر].

الثاني: غرور أهل العبادة والطاعة، وسببه إعجابهم بأعمالهم، فالواجب على العبد: أن يحمد الله على توفيقه، وأن يخلص له وأن يصدق معه، وأن يعلم أن المنة لله وحده، قال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



## الكلمة الرابعة عشرة

## قسوة القلب

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم العقوبات التي يتلى بها العبد: قسوة القلب، قال ابن منظور: القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه<sup>(١)</sup>.

وقال القرطبي: القسوة الصلابة والشدة واليأس وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

قال ابن كثير: «يقول تعالى في هذه الآية: أما أن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقاد له، وتسمع له وتطيعه»<sup>(٣)</sup>، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة

(١) لسان العرب (١٥/١٨١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٠٤).

(٣) تفسير ابن كثير (١٣/٤٢١).

من نزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية<sup>(١)</sup>. روى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، إلا أربع سنين»<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان الله قد حذر الصحابة، وهم خير القرون وأهل قيام الليل وصيام النهار والجهاد في سبيل الله، والوحي ينزل عليهم ليلاً ونهاراً، فكيف بنا نحن في هذا الزمن الذي تعلق فيه الكثير منا بالدنيا وانتشرت الفتن، وأصبح الواحد منا يعيش غربة الدين؟!!

لقد نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدّلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلّدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك: قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد<sup>(٣)</sup>.

وذكر أهل التفسير: أن سبب توبة الفضيل بن عياض - وكان من قطاع الطريق - أنه عشق جارية فواعدته ليلاً، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾؛ فرجع القهقهري وهو يقول: بلى والله قد آن! فأواه

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٤٢١).

(٢) ص ١٢١١، برقم ٣٠٢٧.

(٣) تفسير ابن كثير (١٣/٤٢٣).

الليل إلى خربة<sup>(١)</sup> وفيها جماعة من السابلة<sup>(٢)</sup>، وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلاً يقطع الطريق، فقال الفضيل: أوَاه! أراني بالليل أسعى في معاصي الله، قوم من المسلمين يخافونني: اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام<sup>(٣)</sup>.

وقد توعدَّ الله أصحاب القلوب القاسية بالعذاب الأليم، وبين أن قسوة القلب سبب للضلال وانغلاق القلب، فلا يخشع ولا يعي ولا يفهم، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وهذه الآية كقوله ﷺ: ﴿أَوْمَن كَانَ مِيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال الشاعر:

إذا قسا القلب لم تنفعه موعظة كالأرض إن سبخت لم ينفع المطر  
قال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم.

وقد ذم الله في كتابه قسوة القلب، وأخبر أنها مانع عن قبول الحق والعمل به، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا

(١) خربة: موضع الخراب.

(٢) السابلة: المارون على الطرقات المترددون في حوائجهم.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥٦/٢٠).

يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبَسُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة].

قال ابن عباس رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ -: «أي من الحجارة لألين من قلوبكم، عمّا تدعون إليه من الحق فلا تستجيون» (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَنْضَرَعُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ [الأنعام]؛ أي الفقر والضيقة في العيش، والضراء: وهي الأمراض والأسقام والآلام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْضَرَعُونَ﴾: أي لعلهم يتضرعون إليه ويخشونه ويدعونه.

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [الأنعام]؛ أي فهلاً إذا ابتليناهم بذلك: تضرعوا إلينا، وتمسكنوا لدينا؟! ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي ما رقت ولا خشعت، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي من الشرك والمعاندة والمعاصي.

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من أرق الناس قلباً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن عطاء بن يسار سأله أن يخبره عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٥٧).

في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأُميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب<sup>(١)</sup> في الأسواق؛ ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صمًا، وقلوبًا غُلْفًا<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله - ابن مسعود رضي الله عنه -: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «اقرأ عليّ؟» قلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم»؛ فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «حسبك الآن»، فالتفت إليه: فإذا عيناه تذرطان<sup>(٣)</sup>.

ومن أسباب لين القلب: الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

ومنها إطعام المسكين ومسح رأس اليتيم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنْ أَرَدْتَ تَلِينَ قَلْبِكَ

(١) وهو رفع الصوت بالخصام.

(٢) ص ٩٥٠ برقم ٤٨٣٨.

(٣) ص ١٠٠١، برقم ٥٠٥٠، وصحيح مسلم ص ٣١٣، برقم ٨٠٠.

فَأَطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»<sup>(١)</sup>.

وكذلك زيارة المقابر والمرضى، والزهد في الدنيا وتذكر الموت والآخرة، روى مسلم في صحيحه وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ»<sup>(٣)</sup> يعني الموت، وفي رواية «فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضَيْقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ»<sup>(٤)</sup>.

قال الشاعر:

دواءُ قلبِكَ خمسٌ عندَ قسوتِهِ      فإذأبَ عليها تُفزُ بالخيرِ والظفرِ  
خلاءُ بطنٍ وقرآنٌ تدبُّرُهُ      كذا تَضْرُعُ باكٍ ساعةَ السَّحرِ  
ثمَّ التهجُّدُ جُنْحَ الليلِ أوسطُهُ      وأن تُجالِسَ أهلَ الخيرِ والخبرِ  
والحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٢/٢٦٣) وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٢/٥٣٣) برقم ٨٥٤.

(٢) ص ٣٧٧، برقم ٩٧٦، وابن ماجه ص ١٧١، برقم ١٥٦٩ - واللفظ له -.

(٣) ص ٣٨١، برقم ٢٣٠٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ص ٥٣٤ برقم ٢٩٨٢.

الكلمة الخامسة عشرة

العُجب

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فإن من عظائم الأمور وكبائر الذنوب التي تهلك صاحبها، وتفسد عليه أعماله: تلك الخصلة الذميمة: العُجب<sup>(١)</sup>؛ قال الراغب الأصفهاني: العجب ظن الإنسان في نفسه استحقاق منزلة هو غير مستحق لها، قال بعضهم: هو استعظام النعمة والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم عليك.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ ودخل جنته، وهو ظالمٌ لنفسه، قال ما أظن أن تبید هذه أبداً ﴿٣٥﴾﴾ [الكهف].

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٣٠٦.

فلما أعجب بما عنده نسي أن هذا فضل الله عليه، وأن الذي أعطاه قادر على أن يأخذه فيعود فقيرًا كما كان، فكانت عاقبته ما ذكره الله: ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يَقْلَبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٤٢﴾ [الكهف].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مَرَجَلٌ جَمَّتَهُ<sup>(١)</sup>، إِذْ حَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ<sup>(٢)</sup> إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>.

وروى البزار من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ، لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ: الْعُجْبُ»<sup>(٤)</sup>.

وروى البزار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»<sup>(٥)</sup>.

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «الهلاك في شيئين: العجب والقنوط»<sup>(٦)</sup>.

قال ابن قدامة رحمته الله: واعلم أن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة وهذا مع

(١) هي مجتمع الشعر إذا تدلى من الرأس إلى المنكبين.

(٢) المراد أنه ينزل في الأرض مضطربًا متدافعًا.

(٣) ص ١١٣٢، برقم ٥٧٨٩، وصحيح مسلم ص ٨٦٦، برقم ٢٠٨٨.

(٤) كشف الأستار (٤/٢٤٤) برقم ٣٦٣٣، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (٣/٥٤٥ - ٥٤٦): رواه البزار بإسناد جيد.

(٥) (١/٥٩) برقم ٨٠، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٠٢.

(٦) مختصر منهاج القاصدين: ص ٢٩٨، ٢٩٩.

الخَلْق؛ فأما مع الخالق: فإن العُجب بالطاعات نتيجة استعظامها، فكأنه يَمُنُّ على الله تعالى بفعالها وينسى نعمته عليه بتوفيقه لها، ويعمى عن آفاتها المفسدة لها؛ وإنما يتفقد آفات الأعمال من خاف رَدَّها دون من رضيها وأعجب بها، والعُجب إنما يكون بوصف كمال من علم أو عمل؛ فإن انضاف إلى ذلك أن يرى حقاً له عند الله إِدلالاً، فالعُجب يحصل باستعظام ما عُجب به، والإدلال يوجب توقع الجزاء، مثل أن يتوقع إجابة دعائه وينكر رَدَّه<sup>(١)</sup>. اهـ.

وَعِلَّةُ العُجب: الجهل المحض، وعلاجه: المعرفة المضادة لذلك الجهل، أي معرفة بأن ذلك الذي أثار إعجابه نعمة من الله عليه من غير حق سبق له، ومن غير وسيلة يُدلي بها، ومن ثم ينبغي أن يكون إعجابه بجلود الله وكرمه وفضله؛ وإذا تم علم الإنسان لم ير لنفسه عملاً ولم يُعجب به، لأن الله هو الذي وفقه إليه، وإذا قيس بالنعم لم يف بمعشار عُشرها، هذا إذا سلم من شائبة وسلم من غفلة، فأما والغفلات تحيط به، فينبغي أن يُغلب الحذر من رده، ويخاف العقاب على التقصير فيه: هذا في علاج العُجب إجمالاً؛ أما علاج حالاته تفصيلاً: فإن ذلك يختلف باختلاف ما يحدث به العُجب، فإن كان ناشئاً عن حالة البدن وما يتمتع به صاحبه من الجمال والقوة ونحوهما، فعلاجه التفكير في أقدار باطنه، وفي أول أمره وآخره، وفي الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة، كيف تمرغت في التراب وأنتنت في القبور حتى استقدرتها الطباع؟! وإن كان العُجب بكثرة الأموال والأولاد والخدم والأقارب

(١) مختصر منهاج القاصدين: ص ٢٩٨، ٢٩٩.

والأنصار، فعلاجه أن يعلم ضعفه وضعفهم، وأنَّ للمال آفات كثيرة وأنه غادٍ ورائح ولا أصل له.

ومر بالحسن البصري شاب عليه بزة له حسنة، فدعاه فقال له: «ابن آدم مُعجب بشبابه، محب لشمائله، كأن القبر قد وارى بدنك، وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك داوِ قلبك فإن مراد الله من العباد صلاح قلوبهم»؛ وقال مسروق: «كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يُعجب بعلمه»<sup>(١)</sup>.

قيل للحسن البصري: من شر الناس؟ قال: من يرى أنه أفضلهم، وقال بعضهم: الكاذب في نهاية البعد من الفضل والمرائي أسوأ حالاً منه لأنه يكذب بفعله وقوله، والمعجب أسوأ حالاً منهما فإنهما يريان نقص أنفسهما ويريدان إخفاءه، والمعجب عمي عن مساوئ نفسه ورآها محاسن وسُر بها، وقد قال إبليس: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لا أطلبه بغيرها: إذا عجب بنفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه<sup>(٢)</sup>.

والخلاصة: «أن العجب آفة كبيرة، ومرض خطير من أمراض القلوب، وإن لم يتداركه صاحبه فإنه يهلكه، ويكون سبباً في بطلان عمله وسقوطه من عين ربه».

والحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) بتصرف واختصار من كتاب نضرة النعيم (١١/٥٣٥٧ - ٥٣٥٨).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

الكلمة السادسة عشرة

شرح اسم الله الفتاح

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

ومن الأسماء الحسنی التي وردت في كتابه العظيم: الفتاح، ولفتح معنيان:

الأول: يرجع إلى معنى الحكم الذي يفتح بين عباده، ويحكم بينهم بشرعه: بإثابة الطائعين، وعقوبة العاصين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٢٦)</sup> [سبأ]؛ وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾<sup>(٨٩)</sup> [الأعراف]، قال ابن كثير: «أي افصل بيننا وبين قومنا، وانصرنا عليهم. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾: أي خير الحاكمين، فإنك العادل الذي لا يجور أبداً»<sup>(٢)</sup>.

(١) ص ٥٢٦، برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ص ١٠٧٦، برقم ٢٦٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٣٥٠).

فالآية الأولى فتحة بين العباد يوم القيامة، وهذا في الدنيا بأن ينصر الحق وأهله، ويذل الباطل وأهله، ويوقع بهم العقوبات.

الثاني: فتحة لعباده جميع أبواب الخيرات والبركات، قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢] الآية. يفتح لعباده منافع الدنيا والدين، ويفتح لمن اختصهم بلطفه وعنايته أقفال القلوب، ويدرُّ عليها من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية ما يصلح أحوالها وتستقيم به على الصراط المستقيم، ويفتح لعباده أبواب الرزق وطرق الأسباب؛ ويهيئ للمتقين من الأرزاق وأسبابها ما لا يحتسبون، ويعطي المتوكلين فوق ما يطلبون ويؤمنون، ويسرُّ لهم الأمور العسيرة، ويفتح لهم الأبواب المغلقة<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك الفتح: ما يفتح الله ﷻ على نبيه يوم القيامة من أنواع المحامد، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشَفَّعَ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها فتحة سبحانه لعباده باب التوبة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ

(١) فتح الرحيم الملك العلام للشيخ عبدالرحمن السعدي ص ٤٢ .

(٢) ص ١١٠، برقم ١٩٤، وصحيح البخاري ص ١٢٥٦، برقم ٦٥٦٥ .

اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»<sup>(١)</sup>.

ومنها فتحه سبحانه أبواب السماء لنزول البركات وإجابة الدعوات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١١)</sup> [الأعراف].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللَّهُ عز وجل إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سَوْؤُهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها ما يفتح الله على العبد المؤمن قبل موته بعمل صالح، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي عنبه الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَسَلَهُ» قِيلَ: وَمَا عَسَلَهُ<sup>(٣)</sup>؟ قَالَ: «يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»<sup>(٤)</sup>.

ومن فوائد الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: أن الفتح والنصر لا يكون إلا من الله؛ فهو الذي يفتح على

(١) ص ١١٠٤، برقم ٢٧٥٩.

(٢) (١٩١/٦) برقم ٣٦٧٣، وقال محققوه: حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

(٣) قال الزمخشري في الفائق (٢/٤٢٩): هو من غسل الطعام يعسله، إذا جعل فيه العسل كأنه شبه ما رزقه الله تعالى من العمل الصالح الذي طاب به ذكره بين قومه بالعسل الذي يُجعل في الطعام فيحلو به ويطيب.

(٤) (٣٢٣/٢٩)، برقم ١٧٧٨٤، قال محققوه: صحيح لغيره.

عباده، فينصر من يشاء ويخذل من يشاء، وقد نسب الله الفتح لنفسه: لينبّه عباده على طلب النصر والفتح منه لا من غيره، وأن يعملوا بطاعته ليفتح لهم وينصرهم على أعدائهم، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح].

وقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ۝٥٢﴾ [المائدة: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۝١٣﴾ [الصف: ١٣].

روى البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال يوم خيبر: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: ما يفتح الله سبحانه على عباده بأنواع الخيرات استدراباً لهم: إذا تركوا ما أمروا ووقعوا فيما نُهوا عنه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۝٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعْصِيَةِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۝٤٤﴾ [الأنعام]<sup>(٢)</sup>.

(١) ص ٩٨٠، برقم ٢٤٠٦، وصحيح البخاري ص ٥٦٥، برقم ٢٩٤٢.

(٢) (٥٤٧/٢٨) برقم ١٧٣١١، وقال محققوه: حديث حسن.

ثالثاً: ما يفتحه الله على من يشاء من عباده: من الحكمة والعلم والفقہ في الدين، بحسب التقوى والإخلاص والصدق، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر].

رابعاً: ما ينبغي للمؤمن أن يسأل ربه أن يفتح عليه أبواب رحمته. روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ؛ وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْصِنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»<sup>(١)</sup>.

خامساً: إن الله بيده مفاتيح خزائن السماوات والأرض، قال سبحانه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى]، فما يفتحه من الخير للناس لا يملك أحد أن يغلقه عنهم، وما يغلقه فلا يملك أحد أن يفتحه عليهم، كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر].

فلو فتح الله المطر على الناس، فمن ذا الذي يحبسه عنهم؟! حتى لو أدى المطر إلى إغراقهم: مثل ما حدث لقوم نوح، فقد وصلت المياه إلى رؤوس الجبال؛ ولو حبس عنهم المطر سنين عديدة، ما

(١) ص ٩٣، برقم ٧٧٣، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٢٩) برقم ٦٢٧.

استطاعوا أن يفتحوا ما أغلقه الله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧].

والخلاصة: إن الفتح اسم عظيم من أسماء الله تعالى، ومعناه: الحكم الذي يفتح بين عباده ويحكم بينهم بشرعه، ويفتح لعباده أبواب الخيرات والبركات؛ وينبغي للمؤمن أن يسأل ربه بهذا الاسم العظيم، فيقول: يا فتاح افتح علي بالعلم، يا فتاح افتح لي أبواب رحمتك، يا فتاح افتح لي أبواب رزقك.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



## الكلمة السابعة عشرة

### خطورة الكذب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الصفات المذمومة التي حرمها الله ورسوله، وتوعد صاحبها بالعذاب الأليم في الآخرة: الكذب، قال تعالى:

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جُرْمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ [النحل].

وأخبر سبحانه أن الكذب من صفات الكفار والمنافقين، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ [يونس].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»<sup>(١)</sup>.

(١) ص ٣٠، برقم ٣٣ وصحيح مسلم ص ٥٦، برقم ٥٩.

وبين النبي ﷺ أن الكذب يقود صاحبه إلى النار. روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»<sup>(١)</sup>.

والكذاب يُعَذَّبُ في قبره قبل يوم القيامة. روى البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي عنه: أن النبي ﷺ قال في حديث الرؤيا الطويل: «فَأْتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيِي وَجْهَهُ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ» قال: «ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الْأَوَّلُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ الْمَرَّةَ الْأُولَى» فسأل عنه النبي ﷺ فقيل له: «إِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ»<sup>(٢)</sup>.

ورتب النبي ﷺ الثواب العظيم لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا. روى أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ

(١) ص ١١٧٧، برقم ٦٠٩٤ وصحيح مسلم ص ١٠٤٨، برقم ٢٦٠٧.

(٢) ص ١٣٤٦ - ١٣٤٨، برقم ٧٠٤٧.

كَانَ مُحِقًّا، وَبَيَّتَ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا،  
وَبَيَّتَ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أحمد بن حنبل: الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل<sup>(٢)</sup>،  
وقال أيضاً: يطبع المسلم على الخصال كلها إلا الخيانة والكذب<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الكذب متضمن لفساد نظام العالم، ولا  
يمكن قيام العالم عليه لا في معاشهم ولا في معادهم، بل هو متضمن  
لفساد المعاش والمعاد ومفاسد الكذب اللازمة له معلومة عند خاصة  
الناس وعامتهم، كيف وهو منشأ كل شر، وفساد الأعضاء لسان  
كذوب، وكم أزيلت بالكذب من دول وممالك، وخربت به من بلاد،  
واستلبت به من نعم، وتقطعت به من معاش، وفسدت به مصالح،  
وغرست به عداوات، وقطعت به مودات، وافتقر به غني، وذلل به  
عزيز، وهتكت به مصونة، ورميت به محصنة، وخلت به دور وقصور،  
وعمرت به قبور، وأزيل به أنس، واستجلبت به وحشة، وأفسد به بين  
الابن وأبيه، وغاض بين الأخ وأخيه، وأحال الصديق عدواً مبيناً ورد  
الغني العزيز مسكيناً. وهل ملئت الجحيم إلا بأهل الكذب الكاذبين  
على الله وعلى رسوله وعلى دينه، وعلى أوليائه، المكذبين بالحق  
حمية وعصبية جاهلية<sup>(٤)</sup>.

(١) ص ٥٢٣، برقم ٤٨٠٠، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن أبي داود  
(٩١١/٣) برقم ٤٠١٥.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢٣/١).

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (١٩٥/٢).

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة (٧٣/٢).

قال الشاعر:

الكَذِبُ عارٌ وخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ      والحَقُّ ما مَسَّهُ مِنْ باطِلٍ زَهَقًا

وقال آخر:

وَدَعَ الكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا      إِنَّ الكَذُوبَ لَبِئْسَ خِلاًّا يُصَحَبُ

وكان النبي ﷺ يكره الكذب ويشدد إنكاره على فاعله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: مَا كَانَ خُلُقُ أَبِغَضٍ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الكَذِبِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الكَذِبَةَ، فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً<sup>(١)</sup>.

وذكر العلماء رَحِمَهُمُ اللهُ: أن أعظم الكذب: ما كان كذبا على الله أو على رسوله ﷺ؛ قال الذهبي رَحِمَهُمُ اللهُ: ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله، في تحليل حرام أو تحريم حلال: كفر محض<sup>(٢)</sup>.

قال الذهبي: «إن الكذب في الحالتين السابقتين كبيرة: أي الكذب على الله أو على رسوله، وأن الكذب في غير ذلك أيضا من الكبائر في أغلب أقواله»<sup>(٣)</sup>.

والصدق منجاة للعبد في الدنيا والآخرة؛ ففي الصحيحين في

(١) (١٠١/٤٢) برقم ٢٥١٨٣ وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) انظر: الكبائر (الكبيرة التاسعة) للذهبي.

(٣) انظر: الكبائر (الكبيرة الرابعة والعشرون) للذهبي.

قصة الإفك عند قبول توبة كعب بن مالك بشره النبي ﷺ بذلك، قال: يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، قال: فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به، والله! ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ، إلى يومي هذا، وإنني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي<sup>(١)</sup>، وأنزل الله قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة].

وقد استثنى العلماء رحمهم الله: الكذب إذا كان لإصلاح بين متخاصمين، والكذب في الحرب، والكذب إذا كان لدفع الظلم؛ فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله وأخفى ماله وسئل إنسان عنه، وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالم أخذها فإنه يكذب لإخفائها، والأحوط أن يُوري ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب؛ وقد استدل العلماء على جواز الكذب في هذا الحال: بما رواه البخاري ومسلم من حديث أم كلثوم رضي الله عنها: أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا». زاد مسلم: قال ابن شهاب رضي الله عنه: «ولم أسمع يُرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته،

(١) ص ١١١١ برقم ٢٧٦٩، وصحيح البخاري ص ٦٨١ برقم ٣٥٥٦.

وحديث المرأة زوجها»<sup>(١)</sup>.

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن النكت وهي قصص مكذوبة يقصد بها إضحاك الآخرين داخلة في الكذب المنهي عنه.

روى الترمذي في سننه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٥١٣ برقم ٢٦٩٢، وصحيح مسلم ص ١٠٤٧ برقم ٢٦٠٥ - والزيادة له -.

(٢) ص ٣٨٢ برقم ٢٣١٤، وقال هذا حديث حسن.

الكلمة الثامنة عشرة

عصمة النبي ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن سنة الله في خلقه أن الرسل تبلى ثم تكون لها العاقبة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام].

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن هرقل ملك الروم، سأل أبا سفيان عن النبي ﷺ: هل قاتلتموه؟ فقال: إن الحرب بيننا وبينه سجال، فقال هرقل: وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة<sup>(١)</sup>.

ولقد لقي النبي ﷺ من أعدائه كثير الأذى وعظيم الشدة، منذ أن جهر بدعوته المباركة امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر]، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ النَّاسُ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد كان النبي ﷺ يحرس من قبل بعض أصحابه قبل نزول

(١) ص ٢٣، رقم ٧، وصحيح مسلم ص ٧٣٦، رقم ١٧٧٣، واللفظ له.

الآية الكريمة، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ لَيْلَةً، فَقَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ نَامَ، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيظَهُ (١)(٢).

وروى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، قَالَتْ: فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقَبَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْصِرُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ» (٣).

قال ابن كثير: ومن عصمة الله لرسوله ﷺ حفظه له من أهل مكة وصناديدها، وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغضة، ونصب المحاربة له ليلاً ونهاراً، بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة؛ فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيساً مطاعاً كبيراً في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر

(١) الصوت الذي يخرج من النائم.

(٢) ص ٥٥٥، برقم ٢٨٨٥، وصحيح مسلم ص ٩٨١-٩٨٢، برقم ٢٤١٠. واللفظ له.

(٣) ص ٤٨٥، برقم ٣٠٤٦، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٤٦)

برقم ٢٤٤٠.

هابوه واحترموه؛ فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذى سيرا، ثم قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة، فلما صار إليها حموه من الأحمر والأسود؛ فكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء، كاده الله ورد كيده عليه، كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سمه اليهود في ذراع تلك الشاة بخبير، أعلمه الله به وحماه منه<sup>(١)</sup>. اهـ.

ومن الأمثلة على حفظ الله لرسوله ﷺ: ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعَفَّرُ محمد وجهه بين أظهركم؟<sup>(٢)</sup>، قال فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطآن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليظاً على رقبته، قال: فما فجعهم منه إلا وهو ينكص على عقبه<sup>(٣)</sup>، ويتقي يديه، قال فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخدقاً من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لأختطفته الملائكة عضواً عضواً»<sup>(٤)</sup>.

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي بكر الصديق رضي عنه في قصة الهجرة النبوية، قال: فارتحلنا بعدما مالت الشمس، واتبعنا

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢٩١).

(٢) أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب.

(٣) أي رجع يمشي إلى ورائه.

(٤) ص ١١٢٥، برقم ٢٧٩٧؛ وصحيح البخاري: ص ٩٨٤، برقم ٤٩٥٨، مختصراً.

سراقة بن مالك، فقلت: أتينا يا رسول الله، فقال: «لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»، فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه إلى بطنها - أرى - في جلدٍ من الأرض - شك زهير - فقال: إني أراكما قد دعوتما عليّ، فادعوا لي، فالله لكما أن أردّ عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ فنجا، فجعل لا يلقي أحداً إلا قال: قد كفيتكم ما هنا، فلا يلقي أحداً إلا رده، قال: ووفى لنا<sup>(١)</sup>.

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً، فلما واجهنا العدو تقدمت فاعلوا ثنيةً، فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم، فتوارى عني فما دريت ما صنع؟! ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلّعوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وصحابة النبي ﷺ، فولّى صحابة النبي ﷺ وأرجع منهزمًا وعليّ بُردتان مُتَزِرًا بإحدهما مُرتديًا بالأخرى، فاستطلق إزاري فجمعتهما جميعًا، ومررتُ على رسول الله ﷺ منهزمًا وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فِرْعَانَ» فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»؛ فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولّوا مدبرين، فهزمهم الله ﷻ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين<sup>(٢)</sup>.

(١) ص ٦٩١، برقم ٣٦١٥؛ وصحيح مسلم: ص ١٢٠٦، برقم ٢٠٠٩ مختصرًا، وفي كتاب الزهد مطولاً.

(٢) ص ٧٣٩، برقم ١٧٧٧.

ومنها ما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادٍ كثير العِصاه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة، فعلق سيفه بعُصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن رجلاً أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله قال، فشام<sup>(١)</sup> السيف، فها هو ذا جالس» ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>.

فهذه الأمثلة وغيرها تفيد كما سبق حفظه سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك تصديقاً لوعده سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، حتى يبلغ هذه الدعوة إلى مشارق الأرض ومغاربها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [١] [الصف]، فصلوات الله وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) فشام أي سقط.

(٢) صحيح مسلم ص ٩٣٧ برقم ٨٤٣، وصحيح البخاري ص ٥٥٩ برقم ٢٩١٠.



الكلمة التاسعة عشرة

البشارة وفضائلها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فحديثنا لهذا اليوم عن البشارة، قال بعضهم: البشارة كل خير صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب<sup>(١)</sup>.

قال الرازي: والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة]. اهـ<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة: فيها بشائر عظيمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الذِّينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] [٦٣] لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ

(١) التعريفات للجرجاني ص ٤٥، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/١٦٣).

(٢) مختار الصحاح ص ٦٠.

جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة].

روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه:  
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها - أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ -:  
«إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»<sup>(١)</sup>.

والكفار والمنافقون مبشرون بعذاب الله، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة].

والمسلم إذا مر بقبر الكافر بشره بالنار؛ روى ابن ماجه في سننه من حديث سالم عن أبيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأعرابي: «حَيْثُمَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ»، قَالَ فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدُ، وَقَالَ: لَقَدْ كَلَّفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَبًا: مَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ إِلَّا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ<sup>(٢)</sup>.

(١) ص ١٢٤٧ برقم ٦٥٠٧، وصحيح مسلم ص ١٠٧٧ برقم ٢٦٨٤.

(٢) ص ١٧٢ برقم ١٥٧٣، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (١/٥٥) برقم ١٨.

قال الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «وفي هذا الحديث فائدة هامة أغفلتها عامة كتب الفقه ألا وهي مشروعية تبشير الكافر بالنار إذا مرَّ بقبره، ولا يخفى ما في هذا التشريع من إيقاظ المؤمن وتذكيره بخطورة جرم هذا الكافر، حيث ارتكب ذنباً عظيماً تهون ذنوب الدنيا كلها تجاهه ولو اجتمعت، وهو الكفر بالله ﷻ والإشراك به.

وإن الجهل بهذه الفائدة مما أدى ببعض المسلمين إلى الوقوع في خلاف ما أراد الشارع الحكيم منها فإننا نعلم أن كثيراً من المسلمين يأتون بلاد الكفار لقضاء بعض المصالح الخاصة أو العامة، فلا يكتفون بذلك حتى يقصدوا زيارة بعض قبور من يسمونهم بعظماء الرجال من الكفار! ويضعون على قبورهم الأزهار والأكاليل ويقفون أمامها خاشعين محزونين، مما يشعر برضاهم عنهم، وعدم مقتهم إياهم»<sup>(١)</sup>.

وقد بشر الله المؤمنين الخائفين بالمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس].

وبشر الله المؤمنين الصابرين بالصلوات والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة].

(١) السلسلة الصحيحة (١/٥٧).

وأمر النبي ﷺ بعض أصحابه أن يبشر الناس بالخير؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه: أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن فقال: «يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشِّرًا وَلَا تُفِّرًا» (١).

والأعمال الصالحة التي يعملها المؤمن، ويحمده الناس عليها: بشرى من الله له؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرايت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» (٢).

والمؤمن الذي يمشي إلى المساجد في ظلمات الليل: مبشّر بالنور التام يوم القيامة.

روى أبو داود في سننه من حديث بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيَّ رضي عنه: عن النبي ﷺ قال: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ: بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

وبشّر النبي ﷺ من مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً: بأن مصيره إلى الجنة؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي ذر رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «ذَٰكَ جِبْرِيلُ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ، فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٤).

(١) ص ٥٨١، برقم ٣٠٣٨، وصحيح مسلم ص ٧٢١، برقم ١٧٣٣.

(٢) ص ١٠٥٩، برقم ٢٦٤٢.

(٣) ص ٨٤، برقم ٥٦١، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١/ ٥٤٥) برقم ٢٨٢٣.

(٤) ص ١٢٣٧، برقم ٦٤٤٣، وصحيح مسلم ص ٦٤، برقم ٩٤.

وبشّر النبي ﷺ أمته بأنهم أكثر أهل الجنة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، فَذَلِكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج ٢]»، فاشتد ذلك عليهم، فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: «أَبْشُرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ»؛ ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قَالَ: فَحَمَدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنْ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ»<sup>(١)</sup>.

والرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى للمؤمن؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَىٰ مِنَ اللَّهِ، وَرُّؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُّؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ومن فوائد البشارة:

أولاً: استحباب التبشير بالخير؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة ٢٣٣]، وفي الصحيحين في قصة توبة كعب بن

(١) ص ١٢٥١، برقم ٦٥٣٠، وصحيح مسلم ص ١١٨، برقم ٢٢٢٢.

(٢) ص ١٣٤١، برقم ٧٠١٧، وصحيح مسلم ص ٩٣٠، برقم ٢٢٦٣ واللفظ له.

مالك رضي الله عنه : قال له النبي صلى الله عليه وسلم : «أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ» (١).

ثانياً: فضل الأعمال المبشِّر بها مثل الصبر، والخوف من الله، والمشي إلى المساجد في ظلمات الليل، وغيرها مما سبق ذكره.

ثالثاً: البشارة تجلب الطمأنينة، وسكون النفس، وترفع الروح المعنوية، وتجلب السعادة والسرور.

رابعاً: تعود البشارة بالنعف العاجل للمبشِّر، كما في حديث كعب بن مالك: عندما بشَّره الرجل الذي صعد الجبل، وصاح بأعلى صوته: أبشِر يا كعب بن مالك، قال كعب: فنزعت له ثوبي، فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما (٢).

خامساً: فضل المبشِّرِين الذين يبشِّرون الناس بالخير، ولذلك جاء في الحديث السابق: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه: «بَشِّرْ، وَلَا تُنْفِرْ» (٣).

سادساً: حب المبشِّر لمن يبشِّره، واستئناسه به؛ روى البخاري ومسلم - في قصة نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، في أول نزوله في غار حراء -: فرجع إلى خديجة يرفف فؤاده، فقال: «يَا خَدِيجَةَ، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»؛ فقالت: كلا، أبشِر! فوالله لا يخزيك الله أبداً،

(١) ص ٨٣٤ - ٨٣٧، برقم ٤٤١٨، وصحيح مسلم ص ١١٠٩ - ١١١١، برقم ٢٧٦٩.

(٢) ص ٨٣٤ - ٨٣٧ برقم ٤٤١٨، وصحيح مسلم ص ١١٠٩ برقم ٢٧٦٩.

(٣) ص ٥٨١ برقم ٣٠٣٨، وصحيح مسلم ص ٧٢١ برقم ١٧٣٣.

إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ . الحديث<sup>(١)</sup> .  
فسر النبي ﷺ بكلامها، واطمأن قلبه؛ وكان ﷺ يحبها ويكثر من  
ذكرها، حتى بعد وفاتها؛ وقد بشرها بيت في الجنة من قصب<sup>(٢)</sup> : لا  
صخب<sup>(٣)</sup> فيه، ولا نصب<sup>(٤)</sup>(٥) .  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين .



---

(١) ص ٢١ برقم ٣، وصحيح مسلم ص ٨٨ برقم ١٦٠ - واللفظ له - .  
(٢) قصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف .  
(٣) الصخب: هو الصوت المختلط المرتفع .  
(٤) نصب: المشقة والتعب .  
(٥) ص ٧٢٦ برقم ٣٨٢٠، وصحيح مسلم ص ٩٨٨ برقم ٢٤٣٢ .



الكلمة العشرون

تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم: لتدبره والعمل به، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) [محمد].

وعملاً بهذه الآية الكريمة: فلنستمع إلى آية من كتاب الله، ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (٣١) نزلنا من غفور رحيم (٢٢) [فصلت].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ قال ابن كثير: أي أخلصوا العمل لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع لهم<sup>(١)</sup>. قال الزهري: تلا عمر هذه الآية على المنبر، ثم قال: استقاموا

(١) تفسير ابن كثير (١٢/٢٣٤).

والله لله بطاعته، ولم يروغوا وروغان الثعالب<sup>(١)</sup>.

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله الثقيفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ»<sup>(٢)</sup>.

ولا يكون العبد على طريق الاستقامة: حتى تكون إراداته وأعماله وأقواله، وفق ما شرعه الله، وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢] فقال: ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ ولم يقل: كما أردت؛ فالمهتدي حقيقة: هو من كان سويًا في نفسه، ويسير على الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك].

قوله تعالى: ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: يعني عند الموت، قائلين: ﴿أَلَا تَخَافُونَ﴾: أي مما تُقدمون عليه من أمر الآخرة، فإن للآخرة أهوالاً عظيمة تبدأ من القبر: فهو أول منازل الآخرة، فهناك القبر وظلمته وضمته ووحشته، والنفخ في الصور، وعرصات يوم القيامة، والصراط، والميزان، كل هذه الأهوال يهونها الله على أهل الاستقامة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: أي على ما خلفتموه من أمر الدنيا: من ولد وأهل ومال ودين، فإننا نخلفكم فيه.

(١) تفسير ابن كثير (١٢/ ٢٣٥).

(٢) ص ٤٩، برقم ٣٨.

قوله تعالى: ﴿وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠)  
 [فصلت]: فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: أَخْرِجِي أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَأَنَّ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، أَخْرِجِي حَمِيدَةً، وَأَبشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غُضْبَانَ» (١).

وروى ابن أبي حاتم بسنده إلى ثابت: أنه قرأ سورة حم السجدة، حتى بلغ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، فوقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره يتلقاه ملكاه اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تخف ولا تحزن؛ فيؤمن بالله خوفاً ويقر عينه، فما من عظمة يخشى الناس منها يوم القيامة، إلا وهي للمؤمن قرّة عين: لما هداه الله، ولما كان يعمل له في الدنيا (٢).

قال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال له: إن ربك يقرئك السلام، وقال محمد بن كعب: يقول له ملك الموت: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرأ عليك السلام، ثم تلا: ﴿الَّذِينَ نُؤْتِفُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ

(١) (١٤/٣٧٨)، برقم ٨٧٦٩؛ وصححه محققو المسند، وقالوا: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره (١٢/٢٣٦ - ٢٣٧) إلى ابن أبي حاتم، وقال محققوه: إسناده حسن.

تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ [النحل]؛ وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث، قال ابن كثير: وهذا القول يجمع الأقوال كلها، وهو حسن جداً وهو الواقع<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١]، أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم أي قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمْ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَنُتِلَقَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [الأنبياء].

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت] أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيهِ النفوس وتقر به العيون، قال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ [الزخرف].

(١) تفسير ابن كثير (١٢/٢٣٧).

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣١) [فصلت]، أي: مهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم كما اخترتم.

قوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (٣٢) [فصلت]؛ أي ضيافة وعطاء وإنعامًا من غفور لذنوبكم، رحيم بكم، رؤوف حيث غفر وستر، ورحم ولطف؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»<sup>(١)</sup>، فَاقْرَؤُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة].

ومن فوائد الآيات الكريمات:

- ١- أن الإيمان والاستقامة سببان لدخول الجنة.
- ٢- أن الملائكة تبشر المؤمن عند الاحتضار، وفي قبره، ويوم القيامة، وعلى أبواب الجنة، قال تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) [الرعد].

٣- إن العامل ينبغي أن يبشر بما يستحق من الثواب، فإن ذلك أبلغ في نشاطه، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٢٢) [البقرة].

٤- إن المؤمنين إنما يدخلون الجنة بفضل الله ورحمته لا

(١) ص ٦٢٣ برقم ٣٢٤٤، وصحيح مسلم ص ١١٣٦ برقم ٢٨٢٤.

بأعمالهم؛ روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَدُّوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»<sup>(١)</sup>.

٥- إن المؤمنين إذا دخلوا الجنة أُعطوا ما يريدون: مما تشتهيهِ نفوسهم وتلد به أعينهم، بل وزيادة على ذلك، قال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٣٤، برقم ٢٨١٨، وصحيح البخاري ص ١٢٤١، برقم ٦٤٦٧.

الكلمة الحادية والعشرون

رؤية الله تعالى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أعظم نعيم لأهل الجنة: رؤية الله تعالى، وهي الغاية التي شمر لها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون؛ قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾: «تنظر إلى ربها وعلى» (١).

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق]، قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما: «المزيد: هو النظر إلى الله وعلى» (٢)، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦]، والحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ»، قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا

(١) زاد المسير (٨/ ٤٢٢).  
(٢) المصدر السابق (٨/ ٢١).

أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(١)</sup>.

وزاد: ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم؛ روى ذلك ابن جرير عن جماعة منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس رضي الله عنهم<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين]، احتج بها بعض السلف على الرؤية لأهل الجنة.

قال الشافعي: في هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ.

قال ابن كثير: وهذا الذي قاله الشافعي رحمته الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية كما دلَّ عليه منطوق قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [٢٢] إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٢٣] [القيامة]، وكما دلَّت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: وعذاب الحجاب من رب العالمين المتضمن لسخطه وغضبه عليهم هو أعظم عليهم من عذاب النار، ودل مفهوم الآية على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، ويبتهجون

(١) ص ٩٩، برقم ١٨١.

(٢) جامع البيان (٥/٤١٩٨ - ٤٢٠١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٨٧/١٤).

بخطابه ويفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال في شرح الطحاوية: وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة: رواها أصحاب الصحاح والمسانيد، وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها يقطع بأن الرسول ﷺ قالها؛ بل في هذه الأحاديث - مع إثبات الرؤية - أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي الخلق لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمع من قرب، وأنه يتجلى لعباده، وأنه يضحك، إلى غير ذلك من الصفات التي ثبتت بالكتاب والسنة<sup>(٢)</sup>. اهـ.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ»<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ: أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ: أُنِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ: إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِ عَلَى

(١) تفسير ابن سعدي ص ٨٧٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٩ - ٢١٠، بتصرف.

(٣) ص ١٢٥٧ برقم ٦٥٧٣، وصحيح مسلم ص ٩٩ برقم ٢٩٩.

وَجْهَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد في حديث صهيب المتقدم: ما يدل على أن المراد برداء الكبرياء في حديث أبي موسى: الحجاب، وأنه سبحانه يكشفه لأهل الجنة إكراماً لهم فيرونه سبحانه.

من الأسباب الموجبة لرؤية الله تعالى:

أولاً: الإيمان بالله وتوحيده، قال تعالى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والإحسان أعلى مراتب الإيمان.

ثانياً: المحافظة على صلاة الفجر وصلاة العصر؛ روى البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» يعني العصر والفجر؛ ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: الابتعاد عن المعاصي والذنوب، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا

(١) ص ٩٥٩ برقم ٤٨٧٨، وصحيح مسلم ص ١٧٨ برقم ١٨٠.

(٢) ص ١٢٨ برقم ٥٧٣، وصحيح مسلم ص ٢٤٩ برقم ٦٣٣ واللفظ له.

وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ  
سَلَعْتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: الدعاء قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي  
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ  
يُرْشَدُونَ﴾<sup>(١٨٦)</sup> [البقرة].

روى النسائي في سننه من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه: أن  
النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَيَّ  
الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا  
لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ  
فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى؛ وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا  
لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ،  
وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ،  
وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا  
بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٦٨، ٦٩، برقم ١٠٦.

(٢) ص ١٥٤ برقم ١٣٠٥، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في «صحيح الجامع الصغير»  
برقم ١٣٠١.



## الكلمة الثانية والعشرون

### سترة المصلي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وبعد :

فإن الصلاة هي عماد الدين ، والركن الثاني من أركانه ، وهي أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة ؛ لذلك وجب على المسلم : أن يحرص على أدائها ، كما أمره النبي ﷺ وبين صفتها لأُمَّته .

روى البخاري في صحيحه من حديث مالك بن الحويرث رضي عنه : أن النبي ﷺ قال : «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» (١) .

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط رضي عنه : أن النبي ﷺ قال : «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الصَّلَاةُ ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ» (٢) .

وهناك أخطاء يقع فيها بعض المصلين : أحببت التذكير بها أداء لحق الله تعالى ، وقيامًا بواجب النصيحة ؛ فمن الأخطاء :

(١) ص ١٣٧ ، برقم ٦٣١ .

(٢) (٢/٢٤٠) ، برقم ١٨٥٩ ، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في الصحيحة برقم ١٣٥٨ .

عدم الاهتمام بالسترة، التي وردت النصوص الشرعية الكثيرة بالأمر بها؛ فروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَدَعُ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلْيَذَرُهُ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنْ أَبِي فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى سُتْرَةٍ فَلْيَدْنُ مِنْهَا، مَا لَا يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ومن فوائد هذه السترة:

أولاً: أنها سبب شرعي لعدم بطلان الصلاة بمرور المرأة البالغة، والحمارة، والكلب الأسود؛ كما صح بذلك الحديث.

ثانياً: منع المرور بين يدي المصلي وإفساد خشوعه.

ثالثاً: أن السترة تمنع الشيطان من المرور بين يدي المصلي، كما جاء في الحديث: «لَا يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ».

رابعاً: أن السترة تمنع المصلي من إطلاق نظره فيما أمامه: مما يذهب عليه خشوعه، وغير ذلك من الحكم الأخرى؛ وقد كان السلف الصالح يحرسون على السترة في صلاتهم، وكانوا ينكرون على من يصلي لغير سترة.

(١) ص ٢٠٦، برقم ٥٠٥.

(٢) (٩/٢٦) برقم ١٦٠٩٠، وقال محققوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

روى البخاري في صحيحه: أن عمر رضي الله عنه رأى رجلاً يصلي بين أسطوانتين، فأدناه إلى سارية فقال: صل إليها<sup>(١)</sup>؛ قال ابن حجر: أراد عمر بذلك أن تكون صلاته إلى سترة<sup>(٢)</sup> اهـ.

فما فعله عمر يدل على أن السترة أمر مؤكد جداً؛ قال ابن مسعود: أربع من الجفاء - ذكر منها-: أن يصلي الرجل إلى غير سترة، أو يسمع المنادي لا يجيبه.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: لقد رأيت كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتدرون السواري عند المغرب<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: أنها الركعتان اللتان قبل المغرب<sup>(٤)</sup>.

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على السترة في المسجد - مع ضيق الوقت -؛ روى ابن أبي شيبه من حديث نافع قال: كان ابن عمر إذا لم يجد سبيلاً إلى سارية من سواري المسجد، قال لي: ولني ظهرك<sup>(٥)</sup>؛ وروى ابن أبي شيبه من حديث سلمة بن الأكوع: أنه كان ينصب أحجاراً في البرية، فإذا أراد أن يصلي صلى إليها<sup>(٦)</sup>؛ وهذا يدل على أنه لا فرق في السترة بين العمران والصحاري، كما يظهر من الأحاديث السابقة وفعل الصحابة رضي الله عنهم.

(١) ص ١١٦.

(٢) فتح الباري (١/٥٧٧).

(٣) ص ١١٦ برقم (٥٠٣)، وصحيح مسلم ص ٣٢٥ برقم ٨٣٧.

(٤) صحيح مسلم ص ٣٢٥ برقم ٨٣٧.

(٥) (٢/١٤١) برقم ٢٨٩٢.

(٦) (٢/١٣٨) برقم ٢٨٧٧.

قال العلامة السفاريني: «واعلم أنه يستحب صلاة المصلي إلى سترة اتفاقاً، ولو لم يخش ماراً»<sup>(١)</sup>.

أما مقدار السترة المجزئة التي تستر المصلي، وتدفع عنه ضرر المار: فهي طول مؤخرة الرجل؛ روى مسلم في صحيحه من حديث طلحة رضي الله عنه قال: كنا نصلي والدواب تمر بين أيدينا، فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مِثْلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ، ثُمَّ لَا يَضُرُّهُ مَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سترة المصلي، فقال: «مِثْلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ»<sup>(٣)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ: الْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ»<sup>(٤)</sup>.

والرجل مقداره ذراع كما صرح بذلك بعض السلف: مثل عطاء وقتادة والثوري، وهذا قول مالك والشافعي وأحمد.

قال ابن قدامة: والظاهر أن هذا على سبيل التقريب لا التحديد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قدرها بآخرة الرجل، وآخرة الرجل تختلف في الطول

(١) شرح ثلاثيات المسند (٢/٧٨٦).

(٢) ص ٢٠٤ برقم ٤٩٩.

(٣) ص ٢٠٤ برقم ٥٠٠.

(٤) ص ٢٠٧ برقم ٥١٠.

والقصر، فتارة تكون ذراعاً، وتارة أقل منه؛ فما قارب الذراع أجزاء الاستتار به، والله أعلم؛ فأما قدرها في الغلظ والدقة فلا حد له نعلمه، فإنه يجوز أن تكون دقيقة كالسهم والحربة، وغلظة كالحائط، فإن النبي ﷺ كان يستتر بالعنزة، وهي ما بين الرمح والعصا و به زج؛ قال أبو سعيد: كان يستتر بالسهم والحجر في الصلاة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الربيع بن سبرة عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «سُتْرَةُ الرَّجُلِ فِي الصَّلَاةِ السَّهْمُ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ بِسَهْمٍ»<sup>(١)</sup>(٢).

تنبيهات:

أولاً: ما يفعله بعض الناس من اتخاذ الخط سترة في الصحراء لا يصلح، والحديث الوارد في ذلك ضعفه جمع من أهل العلم: كابن الصلاح والعراقي وغيرهم.

ثانياً: أن المأموم لا تجب عليه سترة، والسترة في صلاة الجماعة من مسؤولية الإمام، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أقبلتُ راكباً على حمار أتان، وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلي بمني إلى غير جدار، فمررت بين يدي بعض الصف، وأرسلت الأتان ترتع، فدخلت في الصف، فلم ينكر ذلك أحد»<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: تحريم المرور بين يدي المصلي: لقول النبي ﷺ في

(١) (٥٩/٢٤) برقم ١٥٣٤٢، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) المغني (٣/٨٢-٨٣)، بتصرف.

(٣) ص ٤٠ برقم ٧٦، وصحيح مسلم ص ٢٠٦ برقم ٥٠٤.

الحديث المخرَج في الصحيحين - من حديث أبي جهيم -: «لَوْ يَعْلَمُ  
الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ؟! لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ، خَيْرًا لَهُ مِنْ  
أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ» (١).

### الخلاصة:

أن السترة سنة مؤكدة وقال بعض أهل العلم بوجوبها وهو قول  
قوي، ولذلك ينبغي للمسلم أن يحرص عليها وسواء كان ذلك في  
المسجد، أو البيت، أو الصحراء: ما دام يصلي منفردًا أو إمامًا، وعليه  
أن يمنع من مر بين يديه، ويجزئه من السترة مقدار مؤخرة الرحل (٢).  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٧ برقم ٥١٠، وصحيح مسلم ص ٢٠٧ برقم ٥٠٧.

(٢) انظر: كتاب «القول المبين في أخطاء المصلين»، للشيخ مشهور حسن سلمان  
(ص ٧٧-٨٨).

## الكلمة الثالثة والعشرون

### سيرة مصعب بن عمير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها: صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

هذا الصحابي كان من السابقين إلى الإسلام ممن شهد بدرًا وأُحدًا، وكان حامل اللواء فيها، وممن هاجر الهجرتين: الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة؛ أسلم على يديه العشرات، وكان أول سفير في الإسلام، ويقال: إنه أول من صلى الجمعة في المدينة.

إنه الشهيد البطل: مصعب بن عمير بن هشام البدري القرشي العبدري، قال ابن سعد في طبقاته: لما بلغ مصعب بن عمير أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم، دخل عليه فأسلم وصدق به، وخرج فكنم إسلامه خوفًا من أمه وقومه؛ وكان يأتي إلى رسول الله ﷺ سرًا، وقد أسلم في السنوات الثلاث الأولى من الدعوة قبل أن يصدع النبي ﷺ بالدعوة، لكن الواشين من المشركين - لما علموا بإسلامه -، سارعوا إلى الوشاية به عند أمه وقومه؛ قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (٨٩)

[النساء]. فغضبوا عليه وحبسوه وأوثقوه، فلم يزل محبوباً حتى فرَّ بدينه وهاجر إلى الحبشة<sup>(١)</sup>.

كان مصعب بن عمير فتى مكة المدلل، وكانت أمه من أغنى أهل مكة: تكسوه أحسن الثياب، وأجمل اللباس، وكان أعطر أهل مكة؛ فلما أسلم انخلع من ذلك كله، وأصابه من التعذيب والبلاء ما غير لونه، وأنهك جسمه؛ روى البخاري في صحيحه من حديث خباب بن الأرت رضي عنه قال: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بَرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِأَثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ؛ وَاللَّهِ لَيُتَمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِئُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعِجِلُونَ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن اسحاق: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصعب بن عمير مع نفر الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى يفقه أهلها ويقرئهم القرآن، فكان منزله على أسعد بن زرارة وكان إنما يسمى بالمدينة: المقرئ؛ يقال: إنه أول من جمع الجمعة بالمدينة وأسلم على يده أسيد بن حضير وسعد ابن معاذ، وهما سيدا قومهما وكفى بذلك فخراً وأثراً في الإسلام<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) الطبقات (٣/ ١١٦).

(٢) ص ٦٩٠ برقم ٣٦١٢.

(٣) نقلاً عن «أسد الغابة»، لابن الأثير (٤/ ١٣٤).

وروى البخاري في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه قال: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرَتَانِ النَّاسَ، فَقَدِمَ بِلَالٌ وَسَعْدٌ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقْلَنَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ فِي سُورَةٍ مِنَ الْمُفَصَّلِ (١).

ولما وقعت معركة أحد في العام الثالث من الهجرة النبوية، شارك فيها مصعب بن عمير مشاركة الأبطال، وأبلي فيها بلاء المؤمنين الصابرين، وحمله المصطفى ﷺ راية المسلمين، وثبت مصعب بن عمير مع القلة المؤمنة التي أحاطت بالنبي ﷺ ودافعت المشركين عنه لما تخلخلت صفوف المسلمين، وأصبحت الجولة للمشركين، وبقي اللواء في يد مصعب بن عمير يمسكه بقوة وثبات ويدافع عن النبي ﷺ؛ وتدافع المشركون نحو اللواء، وأقبل ابن قمية - عليه من الله ما يستحق - فشدَّ على مصعب بن عمير، فضرب يده اليمنى فقطعها، ومصعب يردد قول الحق سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران]. ثم أخذ اللواء بيده اليسرى حتى لا يقع، فضرب ابن قمية يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه إلى صدره، ووقع مصعب بن عمير شهيداً

مُضَرَّجًا بَدْمَاءَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي وائل قال: عُدْنَا خَبَابًا فَقَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ: قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمْرَةً؛ فَكُنَّا إِذَا غَطَيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنْ إِذْخِرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدُبُهَا<sup>(١)</sup>.

فارق مصعب بن عمير الدنيا شهيداً لم يخلف وراءه شيئاً من متاع الدنيا، ترك المال والجاه والنعيم، وآثر ما عند الله، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل]؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي قتادة وأبي الدهماء أن النبي ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ ﷻ، إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

رضي الله عن مصعب، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته: مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ص ٧٤٠ برقم ٣٨٩٧.

(٢) (١٧٠/٣٨) برقم ٢٣٠٧٤، وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «السُّلْسَلَةُ الضَّعِيفَةُ» (١٩/١): وسنده صحيح على شرط مسلم؛ وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

## الكلمة الرابعة والعشرون

### السحر والمس والعين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، يُبتلى فيها المؤمن بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والشهوات والشبهات؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء]. أي نختبركم بالمصائب تارة وبالنعمة تارة أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يقنط ومن يصبر، ومن هذه الابتلاءات التي يصاب بها الناس: السحر والعين والمس وهي ثابتة بالشرع والحس، وقد كثر المتشكون منها في هذه الأزمان، وهذه الأمراض لها أسباب أذكر بعضاً منها:

١- ابتلاء من الله وهذا قد يحصل لبعض الصالحين والصالحات، وقد وقع ذلك للنبي ﷺ وهو سيد البشر، كما روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: لَيْدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى جَاءَهُ الْمَلِكُ وَأَخْبَرَاهُ

بموضع السحر، فَأَمَرَ بِهِ فَدُفِنَ (١).

والسحر الذي أصابه ﷺ كان مرضاً من الأمراض عارضاً شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء فقد أُغْمِيَ عَلَيْهِ ﷺ في مرضه ووقع حين انفكت قدمه، وجُحِشَ شِقْهُ وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس فليس يبدع أن يُبتلى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر كما ابتلي بالذي رماه فشجه، وابتلي بالذي ألقى على ظهره السلى وهو ساجد، وغير ذلك فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم عند الله (٢).

٢- المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى]. وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾ [النساء]. قال بعض السلف: إني لأعصي الله فأرى ذلك في نفسي ودابتي.

٣- الغفلة عن ذكر الله: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف]. روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عز وجل عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا

(١) ص ١١٢٩ برقم ٥٧٦٦، وصحيح مسلم ص ٩٠١ برقم ٢١٨٩.

(٢) بدائع الفوائد (٢/٧٤٢).

دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعِشَاءَ»<sup>(١)</sup>.

٤- الحسد، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾<sup>(٥٤)</sup> [النساء]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابُرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»<sup>(٢)</sup>.

والعائن والحاسد يشتركان في شيء، ويفترقان في شيء فيشتركان في أن كل واحد منهما تكيف نفسه وتتوجه نحو من يريد أذاه، فالعائن تكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته، والحاسد يحصل له ذلك عند غيبه المحسود وحضوره أيضاً، ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو زرع أو مال، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه وربما أصابت عينه نفسه، فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق، مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في المعين.

وقد قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١]: إنه الإصابة بالعين، فأرادوا أن يُصيبوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه قوم من العائنين وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حجته، وكان طائفة منهم تمر بهم الناقة والبقرة السمينة فيعينها ثم يقول لخدمته: خذ المِكتَلِ والدرهم وائتنا

(١) ص ٨٣٧ برقم ٢٠١٨.

(٢) ص ١٠٣٥ برقم ٢٥٦٤.

بشيء من لحمها ، فما تبرح حتى تقع فتنحَرَ<sup>(١)</sup>.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :  
«العينُ حقٌّ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أسماء بنت عميس  
أنها قالت: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين ، أفنسترقى لهم؟  
قال: «نعم، فلو كان شيءٌ يسبقُ القضاء، لسبقتهُ العينُ»<sup>(٣)</sup>.

وروى ابن عدي في الكامل من حديث جابر أن النبي ﷺ قال :  
«إنَّ العينَ لتُدخِلُ الرَّجُلَ القَبْرَ، وتُدخِلُ الجَمَلَ القِدرَ»<sup>(٤)</sup>.

وأرشد النبي ﷺ المؤمن إذا رأى شيئاً أن يبرك أي يقول:  
اللهم بارك عليه. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن  
حنيف رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «عَلَامٌ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ هَلَّا إِذَا  
رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكَتَ؟»<sup>(٥)</sup>.

ومن أسباب الحفظ والوقاية من السحر أو العين أو غيرها:

أولاً: التوكل على الله فهو أعظم ما تدفع به الآفات وأنفع ما  
تحصل به المطالب، فمن توكل على الله كفاه أموره كلها، قال تعالى:

(١) بدائع الفوائد (٢/٧٥١-٧٥٢).

(٢) ص ١١٢٥ برقم ٥٧٤٠، وصحيح مسلم ص ٩٠٠ برقم ٢١٨٧.

(٣) (٤٣٨/٦) وسنن الترمذي ص ٣٤٢ برقم ٢٠٥٩، وقال الترمذي: هذا حديث حسن

صحيح.

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال (٦/٤٠٨)، وحسنه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمته في

صحيح الجامع الصغير (٢/٧٦١) برقم ٤١٤٤.

(٥) (٣٥٦/٢٥) برقم ١٥٩٨٠، وقال محققوه: حديث صحيح.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٢) [الطلاق].

ثانياً: امثال أوامر الله واجتناب نواهيه، فمن حفظ الله في أوامره ونواهيه حفظه الله في دينه ودنياه وأهله وماله، قال تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ (٦٤) [يوسف]. روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ» (١).

ثالثاً: كثرة ذكر الله عند دخول المنزل وعند الخروج وفي الصباح والمساء؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرٍ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» (٢).

رابعاً: تعويد الصبيان؛ فقد روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُعَوِّدُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّدُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ» (٣).

خامساً: أن يتصبح المؤمن بسبع تمرات عجوة، وهو نوع من تمر المدينة؛ روى البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

(١) ص ٤٠٩ برقم ٢٥١٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ص ٦٢٩ برقم ٣٢٩٣، وصحيح مسلم ص ١٠٨٠ برقم ٢٦٩١.

(٣) ص ٦٤٦ برقم ٣٣٧١.

أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَصَبَّحَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: يرجى أن يعم ذلك جميع أنواع التمر، فإن المعنى موجود فيه<sup>(٢)</sup>.

سادساً: المحافظة على صلاة الفجر جماعة مع المسلمين في المساجد، روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>، ومن كان في ذمة الله لم يكن للشيطان عليه سبيل.

سابعاً: قراءة سورة البقرة في البيت، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»<sup>(٤)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة الباهلي أن النبي ﷺ قال: «اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ»<sup>(٥)</sup>، قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة.

ثامناً: المحافظة على قراءة المعوذتين في الصباح والمساء، وقد أوصى النبي ﷺ عقبه بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بهما وقال له: «تَعَوَّذْ بِهِمَا

(١) ص ١١٣٠ برقم ٥٧٦٩، وصحيح مسلم ص ٨٤٧ برقم ٢٠٧٤.

(٢) نقلاً عن كتاب السحر والمس والعين للشيخ فهد القاضي، ص ٩.

(٣) ص ٣٥٨ برقم ٦٥٧.

(٤) جزء من حديث ص ٣٠٦ برقم ٧٨٠.

(٥) جزء من حديث ص ٣١٤ برقم ٨٠٤.

فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا»<sup>(١)</sup>، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس<sup>(٢)</sup>.

تاسعاً: الإكثار من التعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، في الليل والنهار، وعند نزول أي منزل في البنيان أو الصحراء أو الجو أو البحر، روى مسلم في صحيحه من حديث خولة السلمية أن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَزَلَ مِنْزَلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ فِيهِ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

عاشراً: قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في أول الليل، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي مسعود أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»<sup>(٤)</sup>.

الحادي عشر: قراءة آية الكرسي عند النوم، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَهَا إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ»<sup>(٥)</sup>.

الثاني عشر: إمساك الصبيان ساعة الغروب، روى البخاري

(١) سنن أبي داود ص ١٧٦ برقم ١٤٦٣، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن أبي داود (٢٧٥/١) برقم ١٢٩٩.

(٢) بدائع الفوائد (٤٢٦/٢) نقلاً عن كتاب بائع دينه للدكتور/ عبد المحسن القاسم.

(٣) ص ١٠٨٦ برقم ٢٧٠٨.

(٤) ص ٩٩٥ برقم ٥٠٠٩، وصحيح مسلم ص ٣١٥ برقم ٨٠٧.

(٥) جزء من حديث ص ٤٣٣ - ٤٣٤ برقم ٢٣١١.

ومسلم من حديث جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا»<sup>(١)</sup>.

الثالث عشر: تطهير البيت من الصلبان والتمثيل وصور ذوات الأرواح والكلاب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث علي رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «تَمَائِيلٌ»<sup>(٣)</sup>. وتطهيره من آلات اللهو والمعازف فإن الغناء مزار الشيطان.

قال ابن القيم رحمته الله: ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها أي الفاتحة آخذ شربة من ماء زمزم وأقرأها عليها مرارًا ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع<sup>(٤)</sup>. اهـ.

ومن السور التي يُرقى بها: الفاتحة والمعوذتان وسورة الكرسي، ومن الأدعية الماثورة قوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»<sup>(٥)</sup>.

(١) ص ٦٣ برقم ٢٣٠٤، وصحيح مسلم ص ٨٣٥ برقم ٢٠١٢.

(٢) ص ٦٢٠ برقم ٣٢٢٧، وصحيح مسلم ص ٨٧٢ برقم ٢١٠٦ واللفظ له.

(٣) صحيح مسلم ص ٨٧٣ برقم ٢١٠٦.

(٤) الطب النبوي ص ٣٠١.

(٥) صحيح البخاري ص ١١٢٥ برقم ٥٧٤٣، وصحيح مسلم ص ٩٠٢ برقم ٢١٩١.

ومنها قوله ﷺ للمريض: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم ص ٩٠٥ برقم ٢٢٠٢.  
(٢) انظر رسالة لطيفة لأخينا الشيخ / فهد القاضي «السحر والمس والعين»، ورسالة د. عبد المحسن القاسم بعنوان «بائع دينه».



الكلمة الخامسة والعشرون

الأمن من مكر الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة عند الله: الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧]. أي: عذابنا ونكالنا ليلاً وهم نائمون، ﴿ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨]. أي: في نهارهم وهم في شغلهم وغفلتهم، ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩]. أي: بأسه ونقمة وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم؛ وذلك أن هؤلاء القوم المكذبين للرسول كقوم نوح وعاد وشمود أغدق الله عليهم النعم والخيرات مع عصيانهم لله، فاستبعدوا أن يكون مكرًا واستدراجًا من الله أو أن يأتيهم العذاب في أي لحظة؛ قال قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قوماً إلا عند سلوتهم وغرتهم ونقمتهم، فلا تغتروا بالله<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في تعليقه على قوله

(١) فتح المجيد ص ٤١٥.

تعالى -: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾: هذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمناً على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفاً وجلاً أن يُتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعياً بقوله: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وأن يعمل ويسعى في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد ولو بلغت به الحال ما بلغت فليس على يقين من السلامة<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ دليل على أن لله مكرًا والمكر هو التوصل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر، ومنه جاء في الحديث: «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ»<sup>(٢)</sup>؛ فإن قيل: كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره أنه مذموم؟! قيل: إن المكر في محله محمود يدل على قوة الماكر، وأنه غالب على خصمه ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق، فلا يجوز أن نقول: إن الله ماكر، وإنما نذكر هذه الصفة في مقام تكون فيه مدحًا مثل قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنفال]. ومثل قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف]. ولا تنفى عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق، بل إنها في المقام التي تكون مدحًا يوصف بها، وفي المقام التي لا تكون مدحًا لا يوصف بها، وكذلك لا يسمى الله بها فلا يقال: إن

(١) تفسير ابن سعدي ص ٢٧٦.

(٢) صحيح البخاري ص ٥٧٩ برقم ٣٠٣٠، وصحيح مسلم ص ٧٢٣ برقم ١٧٣٩.

من أسماء الله الماكر<sup>(١)</sup>. اهـ.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعْصِيَةِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»<sup>(٢)</sup>؛ ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾<sup>(٤٤)</sup> [الأنعام]. وقال إسماعيل بن رافع: الأمن من مكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة؛ وقد فسر بعض السلف المكر بأن الله يستدرجهم بالنعم إذا عصوه: من صحة الأبدان ورغد العيش وغيرها، ويملي لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾<sup>(١٠٢)</sup> [هود].

أما القنوط من رحمة الله: فهو استبعاد العبد الفرج واليأس منه وأن الله يغفر له ويرحمه، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم، قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾<sup>(٥٦)</sup> [الحجر]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٥٣)</sup> [الزمر].

(١) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (٢/٢٤٨).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٨/٥٤٧) برقم ١١٣٧١، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) فتح المجيد ص ٤١٦.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه فتح المجيد: قوله: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٥٦)، مع قوله ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١١): دليل على أنه لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفاً راجياً يخاف ذنوبه ويعمل بطاعة الله ويرجو رحمته، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (٥٧) [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (١) [الزمر]. قال الحسن البصري: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق خائف وجل، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن (٢).

وقال تعالى حاكياً عن خليته إبراهيم عليه السلام - لما بشرته الملائكة بابنه إسحاق -: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا بُشِّرُونَ﴾ (٥٤) [الحجر]. لأن العادة أن الرجل إذا كبر سنه وسن زوجته، استبعد أن يولد له منها، والله على كل شيء قدير؛ فقالت الملائكة: ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الذي لا ريب فيه، فإن الله إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِطِينَ﴾: أي من الآيسين، وقال تعالى حاكياً عنه: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٥٦) [الحجر]. فإنه يعلم من قدرته وحكمته: ما هو أبلغ من ذلك وأعظم.

روى عبد الرزاق في مصنفه من حديث ابن مسعود موقوفاً عليه:

(١) فتح المجيد ص ٤١٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٣٥٥).

أنه سئل عن أكبر الكبائر؟ فقال: الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله<sup>(١)</sup>.

والشرك بالله أعظم الذنوب عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء]. واليأس من روح الله أي: قطع الرجاء والأمل من الله فيما يخافه ويرجوه، فإذا كان في كربة أو شدة يستبعد زوالها، وذلك إساءة ظن بالله، وجهل به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته. قال تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف].

روى الترمذي في سننه من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال: «كَيْفَ تَحْدُكُ؟» قال: واللّه يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الحديث الجمع بين الخوف والرجاء، فإذا خاف فلا يقنط ولا ييأس بل يرجو رحمة الله، وكان السلف يستحبون أن يقوي في الصحة الخوف وفي المرض الرجاء. قال أبو سليمان الداراني: وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء فسد القلب<sup>(٣)</sup>. روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت

(١) (١٠/٤٥٩ - ٤٦٠).

(٢) ص ١٧٧ برقم ٩٨٣، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٢٨٩) برقم ٧٨٥.

(٣) فتح المجيد ص ٤١٧ - ٤١٩.

النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ وَعِبَادِهِ»<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث عائشة زوج النبي ﷺ قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصَّديقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٥٣ برقم ٢٨٧٧.  
 (٢) ص ٥٠٤ برقم ٣١٧٥، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الترمذي (٣/٧٩-٨٠) برقم ٣٤٠١.

الكلمة السادسة والعشرون

شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى الترمذي في سننه من حديث المقدم بن معدي كرب رضي عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صُلْبُهُ؛ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ: فَتُلْتُ لِبَطْنِهِ، وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب: هذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها، وقد روي أن ابن ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام، ولتعطلت دكاكين الصيادلة<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وذلك لأن أصل كل داء التخمة، وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء؛ قال الغزالي: ذكر هذا الحديث لبعض الفلاسفة، فقال: ما سمعت كلاماً في قلة الأكل

(١) ص ٣٩٠ برقم ٢٣٨٠، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الحافظ في الفتح (٥٢٨/٩).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٥٠٣.

أحكم من هذا<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث الشريف اشتمل على فوائد كثيرة:

أولاً: أن في تقليل الطعام منافع كثيرة للجسم، فمن ذلك: رقة القلب، وقوة الفهم، وانكسار النفس، وضعف الهوى والغضب، وكثرة الأكل توجب ضد ذلك.

قال المروزي: جعل أبو عبد الله - يعني الإمام أحمد بن حنبل - يعظم الجوع والفقر، فقلت له: يؤجر الرجل في ترك الشهوات؟ فقال: وكيف لا يؤجر وابن عمر يقول: ما شبعت منذ أربعة أشهر؛ قلت لأبي عبد الله: يجد الرجل من قلبه رقة وهو يشبع؟ قال: ما أرى؛ قال الشافعي: الشبع يثقل البدن ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: أن كثرة الأكل تسبب أمراضاً للبدن، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الأمراض نوعان: أمراض مادية تكون عن زيادة مادة، أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية وهي أكثر الأمراض، وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناول الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة؛ فإذا ملأ آدمي بطنه من هذه الأغذية واعتاد ذلك: أورثته أمراضاً متنوعة، منها بطيء الزوال أو

(١) جامع العلوم والحكم ص ٥٠٣؛ وفتح الباري (٩/٥٢٨).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٥٠٤-٥٠٦.

سريعه، فإذا توسط في الغذاء، وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته: كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير.

قال ابن الرومي:

فإن الداء أكثر ما تراه      يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعي :

ثلاث هن مهلكة الأنام      وداعية الصحيح إلى السقام  
دوام مدامة ودوام وطء      وإدخال الطعام على الطعام

ثالثاً: أن النبي ﷺ ذكر أن اللقيمات تكفي لحاجة الجسم فلا تسقط قوته ولا تضعف معها، فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر للماء، والثالث للنفس وهذا أنفع ما للبدن وللقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض له الكرب والتعب، بمنزلة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب، وكسل الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ هذا جيداً في رمضان، فإن من يكثّر من تناول الطعام في فطوره، فإن صلاة العشاء والتراويح تصبح ثقيلة عليه.

رابعاً: الحث على التقليل من الأكل؛ ففي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «المؤمن يأكل في معي واحد،

(١) انظر: الطب النبوي ص ١٠٥.

وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»<sup>(١)</sup>، والمراد أن المؤمن يأكل بأدب الشرع فيأكل في معى واحد، والكافر يأكل بمقتضى الشهوة والشَّره والنهم فيأكل في سبعة أمعاء؛ وندب ﷺ مع التقلل من الأكل والاكتفاء ببعض الطعام إلى الإيثار بالباقي منه، روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ»<sup>(٢)</sup>.

خامساً: أن النبي ﷺ كما حثَّ على التقليل من الطعام فإنه كان يفعل ذلك هو وأصحابه وهذا في الغالب، وإن كان ذلك لعدم وجود الطعام فإن الله لا يختار لرسوله إلا أكمل الأحوال وأفضلها؛ روى الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>.

سادساً: أن هذا الحديث فيه الحث على الاقتصاد وعدم الإسراف، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾<sup>(٣١)</sup> [الأعراف].

سابعاً: أن هذا الحديث فيه تعويد على الصبر والتحمل والانتصار على النفس الشهوانية، ولذلك يسمى رمضان شهر الصبر. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ص ٨٥٤ برقم ٢٠٦٢، وصحيح البخاري ص ١٠٦٧ برقم ٥٣٩٣.

(٢) ص ٨٥٣ برقم ٢٠٥٩، وصحيح البخاري ص ١٠٦٧ برقم ٥٣٩٢ واللفظ لمسلم.

(٣) ص ٤٠٤ برقم (٢٤٧٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

الكلمة السابعة والعشرون

النصيحة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فمن شعائر الإسلام العظيمة، ومن مقامات الدين العالية الرفيعة: النصيحة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرَجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّصِيحِينَ﴾ [القصص].  
روى مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

قال النووي: هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام، وأما ما قاله جماعات من العلماء: إنه أحد أرباع الإسلام- أي أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام-، فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: قوله: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» يحتمل أن يحمل على المبالغة، أي: معظم الدين النصيحة، كما قيل: «الحجُّ عَرَفَةُ»؛

(١) ص ٥٤ برقم ٥٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١/٣٧).

ويحتمل أن يحمل على ظاهره، لأن كل عمل لم يرد به عامله إلا خلاص، فليس من الدين.

قوله: النصيحة لله: هي وصفه بما هو له أهل، والخضوع له ظاهرًا وباطنًا، والرغبة في محابه: بفعل طاعته، والرغبة من مساخطه: بترك معصيته، والجهد في رد العاصين إليه.

والنصيحة لكتاب الله: تعلمه، وتعليمه، وإقامة حروفه في التلاوة، وتحريرها في الكتابة وتفهم معانيه، وحفظ حدوده، والعمل بما فيه، وذب تحريف المبطلين عنه.

والنصيحة لرسوله: تعظيمه ونصره حيًا وميتًا، وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها، والافتداء به في أقواله وأفعاله ومحبه ومحبته اتباعه.

والنصيحة لأئمة المسلمين: إعاتهم على ما حملوا القيام به، وتنبههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم؛ ومن أعظم نصيحتهم: وقفهم عن الظلم والتي هي أحسن، ومن جملة أئمة المسلمين: أئمة الاجتهاد؛ وتقع النصيحة لهم ببث علومهم وتعليمهم ما ينفعهم، وكشف وجوه الأذى عنهم، وأنه يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه<sup>(١)</sup>.

والنصيحة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: النصيحة للمسلمين عمومًا وفيها أحاديث كثيرة؛ روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت

(١) فتح الباري (١/١٣٨).

النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»<sup>(٢)</sup>.

القسم الثاني: النصيحة لولاة الأمر. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَرَضِيَ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ رَضِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنْصَحُوا لِوَلَاةِ الْأَمْرِ» الحديث<sup>(٣)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جبير بن مطعم رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْنَهُنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ»<sup>(٤)</sup>.

وأما نصح الولاة لرعاياهم؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معقل بن يسار رضي عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرَعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحْطُهَا بِنُصْحِهِ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) ص ٣٥ برقم ٥٧، وصحيح مسلم ص ٥٤ برقم ٥٦.

(٢) ص ٨٩٣ برقم ٢١٦٢.

(٣) (٧٩-٧٨/١٤) برقم ٨٣٣٤؛ وأصله في صحيح مسلم دون قوله: «وأن تنصحو لولاة

الأمر» ص ٧١٢ برقم ١٧١٥. وقال محققوه: إسناده على شرط مسلم.

(٤) (٣٠١/٢٧) برقم ١٦٧٣٨، وقال محققوه: حديث صحيح لغيره.

(٥) ص ١٣٦٤ برقم ٧١٥٠، وصحيح مسلم ص ٨١ برقم ١٤٢.

وقد ذكر الله في كتابه عن الرسل السابقين: أنهم كانوا ينصحون لأقوامهم، فذكر الله عن نبي الله نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿أَبْلِغْكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ (٦٢) [الأعراف].

وقال تعالى عن نبي الله هود: ﴿أَبْلِغْكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٦٨) [الأعراف].

ونبينا محمد بن عبد الله إمام الناصحين: بلغ الرسالة ونصح الأمة؛ فقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج - وذكر صفة حجه - وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ (١).

وقد عذر الله من تخلف عن الجهاد لعذر إذا كان ناصحاً لله ورسوله، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩١) [التوبة].

وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظه سرّاً، حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبّخه، والنصيحة سرّاً تشمل ولادة الأمر، والعلماء، وعامة الناس.

قال الشافعي رحمته الله:

تَعَمَدَنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ

(١) جزء من حديث ص ٤٨٣ - ٤٨٥ .

فإنَّ النَّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ      من التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ  
وإنَّ خَالَفتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي      فلا تَجَزَعُ إذا لم تُعْطَ طَاعَهُ  
ومن فوائد النصيحة:

أولاً: أنها من أعظم أسباب الثبات على الدين: لأن الذي ينصح يريد أن يطبق ما نصح به، ولا يخالف فعله قوله، قال تعالى عن نبي الله شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (٨٨) [هود].

ثانياً: دليل حب الآخرين وبغض الشر لهم، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (١).

ثالثاً: صلاح المجتمع، إذ تشاع فيه الفضيلة وتستر فيه الرذيلة.

رابعاً: القضاء على كثير من المنكرات، فكم من منكر زال بسبب نصيحة صادقة.

خامساً: تنفيذ أمر الله ورسوله الذي هو غاية سعادة العبد وفلاحه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الأحزاب].

سادساً: أنها من أعظم أسباب الهداية، فكم من كافر أسلم بسبب نصيحة! وكم من عاص مرتكب لكبائر الذنوب تاب واستقام

(١) ص ٢٦ برقم ١٣ وصحيح مسلم ص ٥٠ برقم ٤٥.

حاله بسبب نصيحة! روى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»<sup>(١)</sup>.

سابعًا: براءة الذمة، فقد تكون الذمة مشغولة، فإذا نصح العبد فقد أدى ما عليه، قال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ﴾ [الشورى].  
وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت].

وذكر ابن حزم أمرين يتعلقان بالنصيحة:

الأول: النصيحة مرتبتان: الأولى: فرض وديانة، والثانية تنبيه وتذكير؛ فواجب على المرء ترداد النصح رضي المنصوح أو سخط، تأذى الناصح بذلك أو لم يتأذى.

الثاني: لا تنصح على شرط القبول منك، فإن تعديت هذه فأنت ظالم لا ناصح<sup>(٢)</sup>؛ فقد جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيظُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٩٨٠ برقم ٢٤٠٦.

(٢) الأخلاق والسير ص ٥١-٥٢.

(٣) ص ١١٧ برقم ٢٢٠.

الكلمة الثامنة والعشرون

الميزان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمان بالميزان، والمقصود به: الميزان الذي يُوزن به أعمال العباد من خير أو شر، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١٠٢] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»<sup>(١)</sup>.

قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها،

(١) ص ١٤٤٤ برقم ٧٥٦٣، وصحيح مسلم ص ١٠٨١ برقم ٢٦٩٤.

والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا<sup>(١)</sup>، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ [لَهُ]: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَلَيْكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ<sup>(٢)</sup>، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بَطَاقَةٌ<sup>(٣)</sup>، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتَوْضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ<sup>(٤)</sup>، وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»<sup>(٥)</sup>.

وقال أصحاب الأهواء: «الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام».

والجواب عن هذا أن يقال: إن الله تعالى يجعل هذه الأعمال أجسامًا، وليس هذا بغريب على قدرة الله عز وجل، وله نظير وهو الموت

(١) هو الكتاب الكبير.

(٢) فببببب الرجل: البهت: الانقطاع والحيرة.

(٣) البطاقة: رقعة صغيرة.

(٤) فطاشت السجلات: أي خفت.

(٥) (٥٧١ / ١١) برقم ٦٩٩٤، وقال محققوه: إسناده قوي.

فإنه يجعل على صورة كبش ويذبح بين الجنة والنار، مع أن الموت معنى وليس بجسم؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ (زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: «فِي وَقْفٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ) فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤَمَّرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٣٩] [مريم]، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>.

قد يقول قائل: ما فائدة الميزان؟! والله عز وجل يعلم أعمال العباد من خير أو شر.

قال ابن أبي العز الحنفي: ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله صلى الله عليه وسلم لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه؟!<sup>(٢)</sup>

قال القرطبي: إن الحوض قبل الميزان، والصراط بعد الميزان<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) ص ١١٤٤ برقم ٢٨٤٩، وصحيح البخاري ص ٩١٤ برقم ٤٧٣٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٥.

(٣) المصدر السابق.

هكذا ترتيب مشاهد يوم القيامة، ومن آثار الإيمان بميزان الأعمال:

أولاً: الاجتهاد في الطاعات والمسارة إلى الخيرات، فإن من زادت حسناته على سيئاته أفلح ونجح، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿٩﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾ [القارعة].

ثانياً: أن هناك أعمالاً صالحة ثقيلة في ميزان رب العالمين، كما تقدم في الحديث: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»<sup>(١)</sup>. وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ»، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ»<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: قال بعض أهل العلم: إن العامل يوزن مع عمله، روى

(١) سبق تخريجه.

(٢) ص ١١٩ برقم ٢٢٣.

(٣) ص ٢٥٨ برقم ١٣٢٥، وصحيح مسلم ص ٣٦٧ برقم ٩٤٦.

البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف] (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي عنه: أنه كان يجتني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفوه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «م تضحكون؟» قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده، لهما أنقل في الميزان من أحد» (٢).

رابعاً: المحافظة على الحسنات مما يبطلها أو ينقصها؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع؛ فقال: «إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فويت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحه عليه، ثم طرح في النار» (٣).

وروى ابن ماجه في سننه من حديث ثوبان رضي عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال

(١) ص ٩١٣ برقم ٤٧٢٩.

(٢) (٩٩/٧) برقم ٣٩٩١، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) ص ١٠٤٠ برقم ٢٥٨١.

جِبَالٍ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلَّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؛ قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»<sup>(١)</sup>.

خامسًا: بيان عدله ﷻ، وأنه يضع الموازين العادلة التي يبين فيها مثاقيل الذر التي توزن بها الحسنات والسيئات، كما في الآية ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [٤٧] [الأنبياء]؛ ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾: التي هي أصغر الأشياء وأحقرها، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٨] [الزلزلة].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٤٥٨ برقم ٤٢٤٥، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (٣٣/٢) برقم ٥٠٥.

الكلمة التاسعة والعشرون

مخالفات في لباس المرأة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي الرجل قيّم على المرأة، وهو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجّت<sup>(١)</sup>، قال ابن عباس ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: يعني: أمراء، عليها أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته: أن تكون محسنة لأهله، حافظة لماله<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم].

وللأسف أن البعض من الرجال تساهل مع زوجته وبناته ومن تحت يده وسلّم لهن القوامه، وترك لهن الحبل على الغارب، ولذلك نرى الكثير من ألبسة النساء التي تحتوي على مخالفات شرعية كثيرة،

(١) تفسير ابن كثير (٢٠/٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢١/٤).

وهي على قسمين:

**القسم الأول:** ما تلبسه المرأة عند النساء، وعند محارمها من الرجال، وفيه عدة محاذير:

**أولاً:** الملابس الشفافة وهذا كثيراً ما يشاهد في حفلات الزواج والمناسبات العامة، بل وصل شرها إلى داخل البيوت، فصارت المرأة تلبسه عند النساء ومحارمها من الرجال.

**ثانياً:** الملابس الضيقة التي تبين جسم المرأة وتفاصيل خلقها.

**ثالثاً:** الملابس المفتوحة، أو الشبه عارية، أو القصيرة التي لا تستر بعض أعضائها.

**رابعاً:** البنطال والذي كثر لبسه في هذه الأيام بين النساء وخاصة داخل البيوت، وبعضهن تلبسه إذا خرجت وتضع العباءة فوق الكتف، مع أنه لباس الرجل.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ»<sup>(١)</sup>.

وقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة برقم (٢١٣٠٢) وجاء فيها: نظراً لكثرة الاستفتاءات الواردة إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حول حدود نظر المرأة إلى المرأة وما يلزمها من

(١) ص ٤٤٧ برقم ٤٠٩٨، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (٩٠٧/٢) برقم ٥٠٩٥.

اللباس، فإن اللجنة تبين لعموم نساء المسلمين: أنه يجب على المرأة أن تتخلق بتخلق الحياء الذي جعله النبي ﷺ من الإيمان وشعبة من شعبه، وقد دل ظاهر القرآن على أن المرأة لا تبدي للمرأة إلا ما تبديه لمحارمها مما جرت العادة بكشفه في البيت وحال المهنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

وإذا كان هذا هو نص القرآن وهو ما دلَّت عليه السنة، فإنه هو الذي جرى عليه عمل نساء الرسول ﷺ ونساء الصحابة ومن اتبعهنَّ بإحسان من نساء الأمة إلى عصرنا هذا؛ وما جرت العادة بكشفه للمذكورين في الآية الكريمة: هو ما يظهر من المرأة غالباً في البيت وحال المهنة، ويشق عليها التحرز منه: كانكشاف الرأس واليدين والعنق؛ وأما التوسع في التكشف: فعلاوة على أنه لم يدل على جوازه دليل من كتاب أو سنة، هو أيضاً طريق لفتنة المرأة والافتتان بها من بنات جنسها، وهذا موجود بينهن؛ وفيه أيضاً قدوة سيئة لغيرهن من النساء، كما أن في ذلك تشبهاً بالكافرات والبغايا الماجنات في لباسهن؛ فقد روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن

النبي ﷺ قال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup> وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ رأى عليه ثوبين مُعْصَفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَّاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٍ عَارِيَّاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»<sup>(٣)</sup>.

ومعنى «كاسيات عاريات»: وهي أن تكتسي المرأة ما لا يسترها، فهي كاسية وهي في الحقيقة عارية، مثل من تلبس الثوب الرقيق الذي يشف بشرتها، أو الثوب الضيق الذي يبدي تقاطيع جسمها، أو الثوب القصير الذي لا يستر بعض أعضائها؛ فالواجب على المسلمة الحرص على التستر والاحتشام، والتزام الهدي الذي عليه أمهات المؤمنين ونساء الصحابة، والحذر من الوقوع فيما حرمه الله ورسوله من الألبسة التي فيها تشبه بالكافرات والعاهرات؛ كما يجب على كل مسلم أن يتقي الله فيمن تحت ولايته من النساء، فلا يتركهن يلبسن ما حرمه الله ورسوله من الألبسة الخالعة والفاتنة، وليعلم أنه راع ومسؤول عن رعيته يوم القيامة<sup>(٤)</sup> اهـ .

(١) ص ٤٤١ برقم ٤٠٣١، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/٩٨).

(٢) ص ٨٦٢ برقم ٢٠٧٧.

(٣) ص ٨٨١ برقم ٢١٢٨.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (١٧/٢٩٠ - ٢٩٤) باختصار.

سُئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فَقِيلَ لَهُ: يَوجَدُ ظَاهِرَةٌ عِنْدَ بَعْضِ النِّسَاءِ وَهِيَ لِبَسِّ الْمَلَابِسِ الْقَصِيرَةِ وَالضَّيْقَةِ الَّتِي تَبْدِي الْمَفَاتِنَ وَبِدُونِ أَكْمَامٍ وَمَبْدِيَةٍ لِلصَّدْرِ وَالظَّهْرِ وَتَكُونُ شَبَهَ عَارِيَةٍ تَمَامًا، وَعِنْدَمَا نَقُومُ بِنِصْحِهِنَّ يَقْلُنَ: إِنَّهِنَّ لَا يَلْبَسْنَ هَذِهِ الْمَلَابِسَ إِلَّا عِنْدَ النِّسَاءِ وَإِنْ عَوْرَةَ الْمَرْأَةِ مَعَ الْمَرْأَةِ مِنَ السَّرَةِ إِلَى الرِّكْبَةِ، فَمَا حُكْمُ ذَلِكَ؟ وَمَا حُكْمُ لِبَسِّ هَذِهِ الْمَلَابِسِ عِنْدَ الْمُحَارِمِ؟

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: الْجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا...»<sup>(١)</sup> الْحَدِيثُ. وَفَسَّرَ أَهْلَ الْعِلْمِ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ بِأَنَّهُنَّ اللَّاتِي يَلْبَسْنَ أَلْبَسَةَ ضَيْقَةً أَوْ أَلْبَسَةَ خَفِيفَةً لَا تَسْتُرُ مَا تَحْتَهَا أَوْ أَلْبَسَةَ قَصِيرَةً، وَقَدْ ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ أَنَّ لِبَاسَ النِّسَاءِ فِي بَيْوتِهِنَّ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مَا بَيْنَ كَعْبِ الْقَدَمِ وَكَفِّ الْيَدِ كُلِّ هَذَا مُسْتَوْرٌ وَهِنَّ فِي الْبَيْوتِ، أَمَا إِذَا خَرَجْنَ إِلَى السُّوقِ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ نِسَاءَ الصَّحَابَةِ كُنَّ يَلْبَسْنَ ثِيَابًا ضَافِيَاتٍ يَسْحَبْنَ عَلَى الْأَرْضِ، وَرَخِصَ لِهِنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرُخِيْنَ إِلَى ذِرَاعٍ<sup>(٢)</sup> وَلَا يَزِدْنَ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَا اشْتَبَهَ عَلَى بَعْضِ النِّسَاءِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «لَا تَنْظُرِ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ وَلَا الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ»<sup>(٣)</sup>. وَأَنَّ عَوْرَةَ الْمَرْأَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْأَةِ مَا بَيْنَ السَّرَةِ وَالرِّكْبَةِ مِنْ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَقْصِيرِ الْمَرْأَةِ لِبَاسِهَا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقُلْ: لِبَسِّ الْمَرْأَةِ مَا بَيْنَ السَّرَةِ وَالرِّكْبَةِ حَتَّى

(١) صحيح مسلم ص ٨٨١ برقم ٢١٢٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد (١٥٨/٩) برقم ٥١٧٣، وقال محققوه: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) صحيح مسلم ص ١٥٣ برقم ٣٣٨ .

يكون في ذلك حجة ولكنه قال: «لَا تَنْظُرِ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ»،  
 فنهى الناظرة لأن اللابسة عليها لباس ضافي لكن أحياناً تكشف  
 عورتها لقضاء الحاجة أو غيره من الأسباب فنهى النبي ﷺ أن تنظر  
 المرأة إلى عورة المرأة، وهل يعقل الآن أن امرأة تخرج إلى النساء  
 ليس عليها من اللباس إلا ما يستر ما بين السرة والركبة؟ هذا لا يقوله  
 أحد، ولم يكن هذا إلا عند نساء الكفار، فهذا الذي فهمه بعض النساء  
 من هذا الحديث لا صحة له، والحديث معناه ظاهر.

فعلى النساء أن يتقين الله، وأن يتحلين بالحياء الذي هو من خلق  
 المرأة والذي هو من الإيمان كما قال النبي ﷺ: «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ  
 الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>، وكما تكون المرأة مضرب المثل فيقال: «أحيا من العذراء  
 في خدرها» ولم نعلم ولا عن نساء الجاهلية أنهن كن يسترن ما بين  
 السرة والركبة فقط، لا عند النساء ولا عند الرجال، فهل يردن هؤلاء  
 النساء أن تكون نساء المسلمين أشنع صورة من نساء الجاهلية؟!  
 وأما محارمهن في النظر فكنظر المرأة إلى المرأة بمعنى أنه  
 يجوز للمرأة أن تكشف عند محرمها ما تكشفه عند النساء، تكشف  
 الرأس والرقبة والقدم والكف والذراع والساق وما أشبه ذلك لكن لا  
 تجعل اللباس قصيراً<sup>(٢)</sup>.

القسم الثاني: ما تلبسه المرأة في السوق والأماكن العامة:

١- لبس ما يسمى بالكاب أو العباءة المزركشة.

(١) صحيح البخاري ص ٢٥-٢٦ برقم ٩، وصحيح مسلم ص ٤٨ برقم ٣٥.

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (١٢/٢٧٤-٢٧٧).

٢- وضع العباءة على الكتف.

٣- لبس ما يسمى بالبرقع أو اللثام وتُخرج شيئاً من أنفها أو خدها أو شيئاً من محاسن الوجه، وقد سُئلت اللجنة الدائمة برقم (٢١٣٥٢) عن العباءة المفصلة على الجسم، وتكون ضيقة، وتتكون من طبقتين خفيفتين من قماش الكريب، ولها كُمٌ واسع وبها فصوص وتطريز، وهي توضع على الكتف؟ فأجابت اللجنة بأن العباءة الشرعية للمرأة وهي الجلباب وهي مما تحقق فيها قصد الشارع من كمال الستر والبعد عن الفتنة، ولا بد أن تتوفر فيها المواصفات التالية:

١- أن تكون سميكة لا تُظهر ما تحتها، ولا يكون لها خاصية الالتصاق.

٢- أن تكون ساترة لجميع الجسم، واسعة لا تبدي تقاطيعه وتفصيله.

٣- أن تكون مفتوحة من الأمام فقط، وتكون فتحة الأكمام ضيقة.

٤- ألا يكون فيها زينة تلفت إليها الأنظار، وعليه فلا بد من أن تخلو من الرسوم والزخارف، والكتابات والعلامات.

٥- ألا تكون مشابهة للباس الكافرات أو الرجال.

٦- أن توضع العباءة على هامة الرأس ابتداء.

وبناء على ما تقدم: فإن العباءة المذكورة ليست عباءة شرعية، فلا يجوز لبسها لعدم توافر الشروط فيها، ولا يجوز بيعها واستيرادها،

لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان<sup>(١)</sup> اهـ.

أما البرقع أو النقاب فقد سئل بعض أهل العلم المعاصرين عنه «فقال: البرقع أو النقاب الأصل فيها الجواز لقول النبي ﷺ: «لَا تَتَّقِبُ الْمُحْرِمَةَ»، لكن لا يجوز للمحرمة توسعة النقاب بحيث يظهر بعض الوجه كالأنف والحاجبين وبعض الخدين، فإنها قد تفتن بذلك الناظرين؛ وينبغي أن تلبس فوق البرقع خمارًا خفيًا: لا يمنع النظر، يستر محاسن الوجه التي تظهر مع النقاب».

الخلاصة: أنه ينبغي للمسلم أن يتقي الله فيمن تحت ولايته، فلا يتركهن يلبسن ما حرم الله ورسوله من الألبسة المحرمة، وأن يأخذ على أيديهن فإنه مسؤول عنهن يوم القيامة، قال ﷺ: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(٢)</sup> رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفتوى بتاريخ ٩/٣/١٤٢١هـ: نقلًا عن كتاب «العباءة لك أو عليك؟»، لأخينا الشيخ محمد الهبدان ص ٢٤-٢٦.

(٢) ص ١٧٩ برقم ٨٩٣، وصحيح مسلم ص ٧٦٣ برقم ١٨٢٩.

الكلمة الثلاثون

الإيمان بالكرام الكاتبين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد ذكر الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ أَنْ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ: الإِيمَانَ بِالْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنُوبِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَنْفَخُ الْمُنْفِقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَتَعاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿١١﴾﴾. قال ابن كثير: أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب

(١) ص ١٢٤ برقم ٥٥٥، وصحيح مسلم ص ٢٤٩ برقم ٦٣٢.

ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فائتان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحداً من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان<sup>(١)</sup>.

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجَنِّ»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وَأَيَّايَ، إِلَّا أَنْ اللَّهُ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ» غير أن في حديث سفيان: « وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجَنِّ، وَ قَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ »<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلف في معنى «أَسْلَمَ»؟ ف قيل: المعنى استسلم وانقاد وذل، وقيل: المعنى أسلم من الإسلام، قال النووي: وهذا هو الظاهر، قال القاضي: واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه اهـ<sup>(٣)</sup> فإن الجن فيهن المؤمن والكافر، والشياطين هم كفارهم، فمن آمن منهم لم يُسَمَّ شيطاناً. والذي ثبت بالنصوص: أن الملائكة تكتب القول والفعل والنية لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(١٢)</sup> [الانفطار]. قال تعالى: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١١٥-١١٤).

(٢) ص ١١٣٢ برقم ٢٨١٤.

(٣) شرح صحيح مسلم (٦/ ١٥٨).

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ [الجاثية]. وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [الزخرف].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمَلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمَلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ! ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً (وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ)، فَقَالَ: ارْزُقُوهُ. فَإِنْ عَمَلَهَا فَارْتَبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَارْتَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايِ»<sup>(١)</sup>.

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ صَاحِبَ الشَّمَالِ لَيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهَا وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً»<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر:

وَأذْكَرُ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ يُخْصِي مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ  
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكَانِ حِينَ نَسِيْتَهُ بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ

من آثار الإيمان بالملائكة الكرام الكاتبين:

أولاً: مراقبة الله في السر والعلن، وأن يحاسب المرء نفسه

(١) صحيح مسلم ص ٧٧ برقم ١٢٩، وقد خرج البخاري الشطر الأول منه ص ٣١ برقم ٤٢.  
(٢) (١/٨-٢١٨-٢١٧) برقم ٧٧٦٥، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٢٢/١) برقم ٢٠٩٧.

على كل فعل أو قول: صغيرًا كان أو كبيرًا؛ قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [١٨] ﴿ق﴾. وقال تعالى: ﴿كِرَامًا كَانِينَ﴾ [١١] ﴿يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [١٢] ﴿الانفطار﴾.

ثانيًا: الحياء من هؤلاء الملائكة الكاتبين: أن يروا المؤمن على معصية الله، ولذلك قال النبي ﷺ - في فضل عثمان رضي الله عنه -: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟!» (١).

ثالثًا: الاجتهاد في الأعمال الصالحة، فإن الملائكة يرفعون إلى الله أعمال بني آدم، قال تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [١٠] ﴿فاطر﴾. روى البخاري في صحيحه من حديث رِفاعَةَ بنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ رضي الله عنه قال: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» قَالَ: رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ؛ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «مَنْ الْمُتَكَلِّمُ؟» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بَضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَتَدَرُّونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ؟!» (٢).

رابعًا: حب هؤلاء الملائكة المكلفين بأعمال العباد، قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [٢٦] ﴿لَا يَسْقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [٢٧] ﴿الأنبياء﴾. وقال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٦] ﴿التحریم﴾.

(١) صحيح مسلم ص ٩٧٧ برقم ٢٤٠١.

(٢) ص ٧٩٨ برقم ٧٩٩.

خامسًا: عدم إيذاء هؤلاء الملائكة. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ (وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ)، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٢٢٤ برقم ٥٦٤ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ١٧٤ برقم ٨٥٥.



الكلمة الحادية والثلاثون

رضوان الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أعظم نعيم أهل الجنة أن الله يرضى عنهم فلا يسخط عليهم أبداً، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة].

قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضوان الله عليهم أكبر مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضاه عنهم؛ فرضا الله رب السماوات أكبر من نعيم الجنات، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِيْتِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن

النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟! فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

من أسباب رضا الله عن العبد في الدنيا والآخرة:

أولاً: الإيمان بالله والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة].

ثانياً: بذل النفس لله تعالى ولرسوله، والذَّب عن دينه، والجهاد في سبيله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

ثالثاً: البراءة من الشرك والمشركين وإظهار عداوتهم، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

(١) ص ١٢٥٤ برقم ٦٥٤٩، وصحيح مسلم ص ١١٣٧ برقم ٢٨٢٩.

المُفْلِحُونَ ﴿٢٣﴾ [المجادلة]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - عن الذين اتصفوا بالصفات السابقة في الآية -: لهم أكبر النعيم وأفضله وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات ووافر المثوبات وجزيل الهبات ورفيع الدرجات، بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولا هم غاية، ولا فوقه نهاية<sup>(١)</sup>.

رابعًا: الكلمة الطيبة: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بلال بن الحارث رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ عز وجل، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ عز وجل لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

خامسًا: الإحسان والصدقة، قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ، وَأَقْرَعٌ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا» الحديث، وفي آخره: قال الملك للأعمى: «أَمْسِكْ مَالِكَ، فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ، فَقَدْ

(١) تفسير ابن سعدي ص ٨١١.

(٢) (١٨٠ / ٢٥) برقم ١٥٨٥٢، وقال محققوه: إسناده صحيح لغيره.

رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»<sup>(١)</sup>.

سادساً: حمد الله وشكره على النعم؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا»<sup>(٢)</sup>.

سابعاً: رضا الوالدين ، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رَضِيَ الرَّبُّ فِي رَضَى الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»<sup>(٣)</sup>.

ثامناً: الرضا بقضاء الله وقدره ، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»<sup>(٤)</sup>.

تاسعاً: استعمال السواك ، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن السواك: «مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرَضَاةٌ لِلرَّبِّ»<sup>(٥)</sup>.

(١) ص ٦٦٧ برقم ٣٤٦٤، وصحيح مسلم ص ١١٨٩ برقم ٢٩٦٤.

(٢) ص ١٠٩٤ برقم ٢٧٣٤.

(٣) ص ٣٢١ برقم ١٨٩٩، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٤٥) برقم ٥١٥.

(٤) ص ٣٩٣ برقم ٢٣٩٦، قال الترمذي: حديث حسن غريب ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٢٢٠) برقم ١٢٢٠.

(٥) ص ٣٦٧ باب السواك الرطب واليابس للصائم.

ولو تتبعنا النصوص الشرعية من الكتاب والسنة لوجدنا الكثير فيها.

وينبغي للعبد أن يسعى إلى رضا الله، ولو كان ذلك بسخط الناس؛ روى الإمام الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أُلْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ أُلْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٩٥ برقم ٢٤١٤، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٩٢/٥) برقم ٢٣١١.



الكلمة الثانية والثلاثون

تفسير سورة القارعة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر: سورة القارعة؛ قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴾ .

قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾: المراد التي تفزع القلوب وتقرعها وذلك عند النفخ في الصور، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ٨٧﴾ [النمل]. فهي تفزع القلوب بعد قرع الأسماع، وهذه القارعة قارعة عظيمة لا نظير لها قبل ذلك، وهي من أسماء يوم القيامة؛ كما تسمى الغاشية، والحاقة، والطامة الكبرى، والصاخة، وغيرها.

قوله تعالى: ﴿مَا الْقَارِعَةُ ٢﴾: استفهام بمعنى التعظيم

والتفخيم، يعني: ما هي القارعة التي ينوه عنها؟!

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٣): هذا زيادة في التفخيم والتعظيم والتهويل، يعني: أي شيء أعلمك عن هذه القارعة؟ أي ما أعظمها! وما أشدها! ثم بين متى تكون؟

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ (٤): أي: أنها تكون في ذلك الوقت يوم يكون الناس كالفراش المبعوث حين يخرجون من قبورهم، قال العلماء: يكونون كالفراش المبعوث، والفراش هي الحشرات الصغيرة التي تتزاحم عند وجود النار في الليل، وهي ضعيفة وتكاد تمشي بدون هدى وتتراكم، وربما لطيشها تقع في النار وهي لا تدري؛ فهم يشبهون الفرّاش في ضعفه وحيرته وتراكمه وسيره إلى غير هدى؛ ﴿الْمَبْثُوثِ﴾ يعني: المنتشر، فهو كقوله تعالى: ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر]. يعني: لو تصوّرت هذا المشهد يخرج الناس من قبورهم على هذا الوجه، لتصوّرت أمراً عظيماً لا نظير له. هؤلاء العالم من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة: كلهم يخرجون خروج رجل واحد في آن واحد من هذه القبور المبعثرة في مشارق الأرض ومغاربها، ومن غير القبور كالذي ألقى في لجة البحر، أو أكلته الحيتان، أو في فلولات الأرض وأكلته السباع أو احترق جسده، أو ما أشبه ذلك: كلهم سيخرجون مرة واحدة إلى أرض الحشر.

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (٥)، فهذه الجبال العظيمة الراسية تكون كالعهن أي الصوف، وقيل: القطن

المنفوش أي المبعثر سواء نفشته بيدك أو بالمنداف، فإنه يكون خفيفاً يتطاير مع أدنى ریح، كما قال تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ۖ ﴾ [الواقعة] ﴿٦﴾. وكما قال تعالى: ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ ﴾ [طه] ﴿١٠٥﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴾ ﴿٦﴾ فهو في عيشة رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾.

﴿ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴾: فهو الذي رجحت حسناته على سيئاته ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ ﴿٧﴾ أي حياة طيبة ليس فيها نكد ولا صخب، بل هي كاملة من جميع الوجوه، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۗ ﴾ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ ۗ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ ﴾ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَٰلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ ۗ ﴿٨﴾ [البينة].

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴾ ﴿٨﴾: وهو الذي رجحت سيئاته على حسناته، أو الذي ليست له حسنات أصلاً كالكافر، لأنه يجازى على حسناته في الدنيا، فإذا أفضى إلى الآخرة، لم يكن له عند الله نصيب؛ روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الآخِرَةِ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا

أَفْضَىٰ إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾: أي أن مآله إلى نار جهنم والهاوية من أسماء النار، وقيل: المراد بالأُم هنا أم الدماغ، والمعنى أنه يلقي في النار على أم رأسه؛ ولا مانع من اجتماع الأمرين، فيقال: يرمى في النار على أم رأسه، وليس له مأوى ولا مقصد إلا النار.

قوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾، هذا من باب التفضيم والتعظيم لهذه الهاوية: يسأل ما هي؟ ثم يجيب: إنها نار حامية في غاية ما يكون من الحرارة، وقد قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنهَا فَضِّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُفُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»<sup>(٢)</sup>؛ وإذا تأملت نار الدنيا كلها سواء نار الحطب أو الورق أو الفرن أو أشد من ذلك، فإن نار جهنم مفضلة عليها بتسعة وستين جزءًا، نسأل الله السلامة والعافية.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أنه ينبغي للمؤمن أن يقي نفسه من عذاب الله، وهذه الوقاية تكون بفعل الخير ولو بأقل القليل؛ روى مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ

(١) ص ١١٢٩ برقم ٢٨٠٨.

(٢) ص ٦٢٦-٦٢٥ برقم ٣٢٦٥، وصحيح مسلم ص ١١٤١ برقم ٢٨٤٣.

إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أن السورة الكريمة سكتت عن تساوت حسناته وسيئاته، ولكن بين الله تعالى في سورة الأعراف أنهم لا يدخلون النار، وإنما يحبسون في مكان يقال له: الأعراف؛ وذكر الله تعالى في سورة الأعراف ما يجري بينهم وبين المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤٧)</sup> [الأعراف].

ثالثاً: عظم ما أعد الله لأعدائه من العذاب والنكال، ففي هذه السورة أخبر عن شدة حرارتها، وفي آية أخرى عن هولها وشدة عذابها، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى﴾<sup>(١٥)</sup> نَزَاعَةً لِلشَّوَى<sup>(١٦)</sup> تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى<sup>(١٧)</sup> وَجَمَعَ فَأَوْعَى<sup>(١٨)</sup> [المعارج].

وأخبر في آية أخرى أن حطب النار التي توقد بها جثث بني آدم هي حجارة من الكبريت الأسود، فقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>(٦)</sup> [التحريم]. وقال سبحانه ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾<sup>(٣٠)</sup> [ق].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن

(١) ص ٣٩٢ برقم ١٠١٦.

النبي ﷺ قال: « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا » (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٤١ برقم ٢٨٤٢.  
(٢) انظر: تفسير الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٣٠٠-٣٠٤.

الكلمة الثالثة والثلاثون

خطر الرفض

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

وإن من أعظم المنكرات خطراً، وأفسدها للإيمان، وأضرها على الدين: فتنة الشيعة الروافض التي قام أبناؤها يدعون إليها في كل مكان، ويظهرون للناس أن باطلهم هذا هو الإسلام بعينه، بل وصل الأمر ببعض المغفلين إلى الدعوة إلى التقريب بين السنة والشيعة، وأن الخلاف بيننا وبينهم في أمور فرعية، مع أن الخلاف كبير يشمل أمهات العقائد؛ فإن الروافض عندهم من الشركيات

(١) ص ٥١ برقم ٤٩.

والكفریات ما يُخْرِجُ من دائرة الإسلام، وللأسف إن كثيراً من عوام السنة لا علم له بهذه الكفریات، لأن علماء الشيعة لا ينشرون كتبهم الأساسية التي عليها اعتماد مذهبهم بين عامة الناس<sup>(١)</sup>.

وأودُّ أن أبين بعضاً من معتقداتهم الباطلة إجمالاً، من خلال كتبهم ومراجعهم التي تُعتمَد عندهم:

أولاً: عقيدتهم في الأئمة الاثني عشر: ذكر الكليني في كتابه «أصول الكافي» - وهذا عندهم من أوثق الكتب، مثل «صحيح البخاري» عند أهل السنة - : أن الأئمة إذا شأؤوا أن يعلموا علموا، وأنهم يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم<sup>(٢)</sup>؛ بل وصل الأمر إلى ادعاء الألوهية لهم، قال هاشم البحراني في كتابه «ينابيع المعاجز وأصول الدلائل» - وهو يتحدث عن الأئمة الاثني عشر - : «إن عندهم علم ما في السماء، وعلم ما في الأرض، وعلم ما كان، وعلم ما يكون، وما يحدث بالليل والنهار، وساعة وساعة، وعندهم علم النبيين وزيادة»<sup>(٣)</sup>.

وقال شيخهم المعاصر - عبد الحسين الأميني النجفي - في كتابه «الغدير»: «إن الأئمة أولاد الله ومن صلب علي»<sup>(٤)</sup>، وسمعت أحد مشايخهم في شريط مسجَّل وهو يقول: «إن المهدي المنتظر دخل

(١) بطلان عقائد الشيعة وبيان زيغ معتنقيها ومفترياتهم على الإسلام من مراجعهم الأساسية للعلامة محمد التونسي ص ٥-٦ .

(٢) (١/٢٥٨-٢٦٠).

(٣) الباب الخامس ص ٣٥-٤٢.

(٤) (١/٢١٤-٢١٦).

السرداب وهو صغير عمره خمس سنوات، وهو يعرف ماذا يحدث في ذرات الكون؟!».

ثانياً: عقيدتهم في القرآن الكريم: الرافضة يقولون: إن القرآن الذي عندنا ليس هو الذي أنزل على محمد ﷺ، بل قد غُيِّرَ وبُدِّلَ وزيد فيه ونقص منه، وجمهور مشايخهم يعتقدون التحريف في القرآن، كما ذكر ذلك النوري الطبرسي في كتابه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»<sup>(١)</sup>.

وذكر الكليني في كتابه «أصول الكافي»: أن القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية، معنى هذا أن القرآن الذي تدعيه الرافضة أكثر من القرآن الموجود بين أيدينا<sup>(٢)</sup>، لأن الذي بين أيدينا يزيد عن ستة آلاف قليلاً، وهو الذي تعهد الله بحفظه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الحجر].

وما يعترفون به من القرآن يفسرونه بأهوائهم؛ فقد ذكر الصافي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾<sup>(١١٦)</sup> يعني: أنه لا يغفر لمن يكفر بولاية علي عليه السلام، وأما قوله: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾<sup>(٣)</sup> يعني: لمن والى علياً<sup>(٣)</sup>.

ومن أمثلة تأويلهم للآيات بأهوائهم: ما جاء في قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

(١) ت ١٣٢٠ هـ.

(٢) (٢/٢٤٢-١٣٤).

(٣) (١/١٥٦-٣٦١).

الْخَسِرِينَ ﴿٦٥﴾ [الزمر]. قال: «لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي عليه السلام، ليجبطن عملك ولتكونن من الخاسرين»<sup>(١)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّنُوتِ﴾<sup>(٥١)</sup>، قالوا: «أبو بكر وعمر»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: عقيدتهم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وزوجاته؛ تقوم عقيدة الرفض على سب وشتم وتكفير الصحابة رضوان الله عليهم، فهم يعتقدون كفر جميع الصحابة باستثناء ثلاثة منهم، ذكر ذلك الكليني في كتابه «الكافي» المعتمد عندهم، فقال: الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة! فقلت: من الثلاثة؟ قال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي<sup>(٣)</sup>؛ وفي كتاب «مفتاح الجنان» لعباس القمي: دعاء شيوخ الشيعة المشهور على أبي بكر وعمر وابنتيهما عائشة وحفصة - رضي الله عنهن -، والذي هو من أذكار الصباح والمساء عندهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، والعن صنم قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها وابنتيهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك... إلخ<sup>(٤)</sup>. ويسمونهما عليهما السلام بفرعون، وهامان<sup>(٥)</sup>، وبالوثنيين<sup>(٦)</sup>، وباللات والعزى<sup>(٧)</sup>؛ وصرح شيوخ الشيعة بأن مهديهم

(١) تفسير الصافي (١/١٥٦ - ٣٦١)، وتفسير نور الثقلين (١/١٥١ - ٤٨٨).

(٢) فروع الكافي الذي بهامش مرآة العقول (٤/٤١٦).

(٣) رجال الكشي ص ٦، الكافي كتاب الروضة (١٢/٣١٢ - ٣٢٢) مع شرح جامع للمازندراني.

(٤) ص ١١٤.

(٥) قرة العيون للكاشاني ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٦) تفسير العياشي (٢/١١٦)، بحار الأنوار ص ٢٧ - ٥٨.

(٧) إكمال الدين لابن بابويه القمي ص ٢٤٦، مقدمة البرهان لأبي الحسن العاملي ص ٢٩٤.

المنتظر يحيى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم يصلبهما على جذع نخلة، ويقتلهما كل يوم ألف قتلة<sup>(١)</sup>؛ وسمعت أحد مشايخهم في شريط مسجل وهو يقول: أبو بكر، عمر، عثمان، أصحاب العقبة الأولى، أصحاب العقبة الثانية، التسعة من العشرة كلهم في النار.

قال عبد الله بن محمد الأندلسي :

إن الروافض شرٌّ من وطئ الحصى  
قدحوا النبي وخونوا أصحابه  
حبوا قرابته وسبوا صحبه  
من كل إنس ناطق أو جان  
ورمواهم بالظلم والعدوان  
جدلان عند الله منتقضان

وقال آخر:

ودع عنك داعي الرفض والبدع التي  
وسر خلف أصحاب الرسول فإنهم  
وعج عن طريق الرفض فهو مؤسس  
هما خطتان إما هدى وسعادة  
فأي فريقنا أحق بأمنه  
أمن سب أصحاب الرسول وخا  
أم المقتدي بالوحي يسلك منهج الصحا  
يقودك داعيها إلى النار والعار  
نجوم هدى في ضوئها يهتدي الساري  
على الكفر تأسيساً على جرف هار  
وإما شقاء مع ضلالة كفار  
وأهدى سبيلاً عندما يحكم الباري  
لف الكتاب ولم يعبأ بثابت الأخبار  
بة مع حب القرابة الأطهار

رابعاً: عقيدتهم في أهل السنة: تقوم عقيدة الرافضة في استباحة أموال ودماء أهل السنة، جاء في كتاب «الأنوار النعمانية»: أنهم كفار أنجاس بإجماع شيوخ الشيعة الإمامية، وأنهم شر من

(١) إيقاظ من الهجعة بتفسير البرهان على الرجعة للحر العاملي ص ٢٨٧.

اليهود والنصارى<sup>(١)</sup>.

وفي الكتاب أيضًا: أن النَّاصِبِي حلال الدم ويقصدون به السُّنِّي، ويرشدون إلى قتل أهل السنَّة: إما بتغريقهم في ماء، أو هدم الحائط عليهم، أو غير ذلك من الطرق السَّرِيَّة حتى لا يشهد عليهم بذلك، ويرون أن أموالهم وأعراضهم حلال<sup>(٢)</sup>.

وأخيرًا: هل شيوخ الشيعة يجتمعون معنا نحن أهل السنة على رب واحد، ونبي واحد، وإمام واحد؟

أجاب إمامهم نعمة الله الجزائري في كتابه «الأنوار النعمانية» بقوله: «إنا لم نجتمع معهم على إله<sup>(٣)</sup>، ولا على نبي، ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمدًا نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي؛ بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا<sup>(٤)(٥)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الأنوار النعمانية للجزائري (٢/٢٠٦-٢٠٧).

(٢) رجال الكشي ص ٥٢٩، تهذيب الأحكام (١/٣٨٤)، وسائل الشيعة (٦/٣٤٠).

(٣) أي مع أهل السنة.

(٤) (٢/٢٧٨-٢٧٩).

(٥) الإحالات التي في الكلمة: نقلًا عن كتاب أخينا الشيخ عبد الرحمن بن سعد الشثري حفظه الله.

الكلمة الرابعة والثلاثون

شرح اسم الله تعالى اللطيف

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب العظيم: اللطيف، قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام]. وقال يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك]. قال الخطابي: اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم من مصالحهم من حيث لا يحتسبون، كقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ [الشورى].

وقال الشوكاني في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾: «إن الله لطيف لا تخفى عليه خافية، بل يصل علمه إلى كل خفي»<sup>(١)</sup>.

وجمع الشيخ عبد الرحمن بن سعدي بين التعريفين فقال:

(١) فتح القدير (٤/٢٣٩).

«اللطيف الذي لطف علمه وخبره حتى أدرك السرائر والضمائر،  
الخبيا [والخفايا] [والغيوب]، وهو الذي ﴿يَعْلَمُ الْسِّرَّ وَآخَفَى﴾.

ومن معاني اللطيف: أنه الذي يلطف بعبده وولييه، فيسوق إليه  
البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر من حيث لا  
يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تكون من [العبد]  
على بال، حتى إنه يذيقه المكاره، ليتوصل بها إلى المحاب الجليلة  
والمقامات النبيلة»<sup>(١)</sup>.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إن الله ﷻ لا يفوته من العلم شيء، وإن دقَّ وصغر أو  
خفي، وكان في مكان سحيق، قال تعالى:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا  
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا  
فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿يَبْنِيْ اِيَّهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي  
صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يٰٓاْتِ بِهَا اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ ﴿١٦﴾﴾  
[لقمان].

فالله لا يخفى عليه شيء، ولا الخردلة: وهي الحبة الصغيرة  
التي لا وزن لها، فإنها - ولو كانت في صخرة في باطن الأرض أو في  
السموات -، فإن الله يأتي بها وهو اللطيف الخبير.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٣٨.

فهذا علمه سبحانه في الجمادات وحركاتها وسكناتها، أما علمه سبحانه في الطيور والحيوانات وسائر الخلائق، فإن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [۳۸] [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [۶] [هود].

فإذا كان هذا علمه بالجمادات والطيور والحيوانات، فكيف بالمكلفين من الجن والإنس الذين لم يخلقوا إلا للعبادة؟ قال تعالى عنهم: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [۱۹] [غافر]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [۶۱] [يونس].

وقال تعالى لنبيه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [۲۱۷] [الذی یرینک حین تقوم] ﴿ ۲۱۸ ﴾ وَتَقَلِّبْكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿ ۲۱۹ ﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ۲۲۰ ﴾ [الشعراء].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث جبريل: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(۱)</sup>.

ثانياً: أن العبد إذا علم أن ربه متصف بدقة العلم وإحاطته بكل

(۱) ص ۳۳ برقم ۵۰، و صحيح مسلم ص ۳۷ برقم ۹.

صغيرة وكبيرة، حاسب نفسه على أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، والله تعالى يجازي العباد على أعمالهم؛ فالمحسن لا يضيع من إحسانه مثقال ذرة، ولا المسيء يضيع من سيئاته مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة].

وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ إِنَّ هَذَا الَّكْتُوبَ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩) [الكهف]. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (١١٢) [طه]. وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) [الأنبياء].

ثالثاً: إن الله تعالى من لطفه بعباده يضاعف أجور المؤمنين، ويعفو ويتجاوز عن ذنوب من شاء من عباده، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (١٦٠) [الأنعام].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ

أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ [هود]» (١).

رابعًا: إن الله لطيف بعباده يريد لهم الخير واليسر، ويقيض لهم أسباب الصلاح والبر؛ ومن لطفه بعباده: أنه يسوق إليهم أرزاقهم، وما يحتاجونه في معاشهم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ ﴿١٩﴾ [الشورى].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

ومن لطفه سبحانه بخلقه: خلق الجنين في بطن أمه في ظلمات ثلاث: ظلمة الرحم، وظلمة البطن، وظلمة المشيمة؛ وهو في بطن أمه يتقلب في هذه الأطوار: نطفة ثم علقة ثم مضغة، ثم تكسى العظام لحمًا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿١٤﴾ [المؤمنون].

ومن لطفه بخلقه: لطفه بأنبيائه المرسلين؛ فمن ذلك: لطفه بيوسف عليه السلام، حين أخرجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، وجمع بينه وبين أبويه، بعد أن نزع الشيطان بينه وبين إخوته.

ومن ذلك: لطفه بنبيه موسى عليه السلام، حين أرسله إلى فرعون، وألقته أمه في البحر، ووصل إلى قصر فرعون، وقذف الله في قلب زوجة فرعون الرحمة لهذا الطفل، وطلبت من فرعون استبقاءه؛ فنجاه من القتل، ثم منع من الرضاعة، ليرجع إلى أمه فيحصل على حنانها،

(١) ص ٤٦٠ برقم ٢٤٤١، وصحيح مسلم ص ١١٠٨ برقم ٢٧٦٨.

قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [١٣] [القصص]. ثم تربى في قصر فرعون، وتحت سمعه وبصره.

ومن لطفه بعبده: أن قيّض له كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها، مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه أو على معصيته، صرفها عنه، وقدّر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بحسب اقتضاء حكمته ولطفه ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

ومن لطفه بعباده المؤمنين: أنه أمرهم بالعبادات الاجتماعية التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض<sup>(١)(٢)</sup>.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧٢٣.  
(٢) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (١/٢٥٩ - ٢٦٥).

الكلمة الخامسة والثلاثون

إن من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: أي من كان يقصد بعمل الآخرة عرض الدنيا وزينتها من مال، وولد، ومنصب، وغيرها، كما قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي نعته من الدنيا ما أراد إذا شئنا استدراجاً ومعاملة له بما قصد، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء].

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: أي لا ينقصون.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾: بيان لعاقبتهم حيث ذكر أنهم يعطون في الدنيا ما أرادوا وما طلبوا، وأما في الآخرة فإنهم يحرمون من الثواب لأنهم لم يريدوا الآخرة، وهي إنما تحصل لمن أرادها كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

قوله تعالى: ﴿وَحَبِطْ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦)  
 أي: في الآخرة حبط ما صنعوه في الدنيا؛ ﴿وَبِطُلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
 أي: أعمالهم في الدنيا باطلة، لأنهم لا يريدون وجه الله.

قال قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: من كانت الدنيا همه وطلبه ونيته، جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يُعطى بها جزاء؛ وأما المؤمن فيُجازى بحسناته في الدنيا، ويُثاب عليها في الآخرة (١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ، لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ، لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص ٦٣٢.

جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>، ولما بلغ هذا الحديث معاوية بكى بكاءً شديداً، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾<sup>(١٥)</sup> أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٦)</sup> [هود] <sup>(٢)</sup>.

فهؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، فإن قال قائل: ما الفرق بين إرادة الإنسان بعمله الدنيا والرياء؟ فالجواب: أنهما يجتمعان في العمل لغير وجه الله وفي أنهما شرك خفي، ويفترقان أن الرياء يراد به الجاه والشهرة، وأما طلب الدنيا فيراد به الطمع والعرض العاجل، كمن يجاهد من أجل المال فقط؛ والذي يعمل من أجل الطمع والعرض العاجل، أعقل من الذي يعمل للرياء، لأن الذي يعمل للرياء لا يحصل له شيء، وأما الذي يعمل من أجل الدنيا، فقد يحصل له طمع في الدنيا ومنفعة.

ولما سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب «عن قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾<sup>(١٥)</sup>»، ذكر أنها تشمل أنواعاً:

النوع الأول: المشرك والكافر الذي يعمل أعمالاً صالحة في هذه الدنيا: من إطعام الطعام، وإكرام الجار، وبر الوالدين، والصدقات

(١) صحيح مسلم ص ٧٩١ برقم (١٩٠٥).

(٢) صحيح ابن حبان (١٣٨/٢) برقم ٤٠٨.

والتبرعات، ووجوه الإحسان، ولا يؤجر عليها في الآخرة، لأنها لم تُبْنَ على التوحيد، فهو داخل في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥)؛ فالكافر إذا عمل حسنات فإنه قد يجازى بها في الدنيا، وأما في الآخرة فليس له جزاء عليها عند الله، لأنها لم تُبْنَ على التوحيد والإخلاص لله ﷻ.

**النوع الثاني:** المؤمن الذي يعمل أعمالاً من أعمال الآخرة، لكنه لا يريد بها وجه الله، وإنما يريد بها طمع الدنيا: كالذي يحج ويعتمر عن غيره، يريد أخذ العوض والمال؛ وكالذي يتعلم ويطلب العلم الشرعي، من أجل أن يحصل على وظيفة، فهذا عمله باطل في الدنيا، وحابط في الآخرة: وهو شرك أصغر.

**النوع الثالث:** مؤمن عمل العمل الصالح مخلصاً لله ﷻ، لا يريد به مالاً أو متاعاً من متاع الدنيا ولا وظيفة، لكن يريد أن يجازيه الله به، بأن يشفيه الله من المرض، ويدفع عنه العين ويدفع عنه الأعداء؛ فإذا كان هذا قصده، فهذا قصد سييء، ويكون عمله هذا داخلاً في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥). والمفروض في المسلم: أن يرجو ثواب الآخرة، يرجو أعلى مما في الدنيا، وتكون همته عالية، وإذا أراد الآخرة أعانه الله على أمور الدنيا، ويسرّها له ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) ويزدقه من حيث لا يحتسب ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٣) [الطلاق].

**النوع الرابع:** وهو أكبر من الذي قبله، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية: أنها نزلت فيه؛ وهو أن يعمل أعمالاً صالحة، ونيته رياء

الناس! لا طلب ثواب الآخرة.

ثم قال: بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس، والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالباً ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا، مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع، فهو لما غلب عليه منهما؛ وقد قال بعضهم: القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخالص وأهل النار الخالص، ويسكت عن صاحب الشائبين: وهو هذا وأمثاله<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - وهو يتحدث عن النوع الثاني الذي سبق ذكره -: وهو الذي يعمل أعمالاً صالحة لا يريد إلا الدنيا: كالذي يتعلم من أجل الوظيفة، أو يعتمر لغيره من أجل المال فقط؛ وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها: فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا القصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب؛ وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإن المؤمن - وإن كان ضعيف الإيمان - لا بد أن يريد الله والدار الآخرة؛ وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان، فهذا - وإن كان مؤمناً -: فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصاً تاماً، لكنه

(١) كتاب الاستنباط/ للشيخ محمد عبد الوهاب ص ١٢٠ - ١٢٣، نقلاً عن كتاب فتح المعيد شرح كتاب التوحيد/ للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ص ٤٣٧ - ٤٤١ بتصرف.

يأخذ على عمله جُعلًا معلومًا يستعين على العمل والدين: كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يرتب على جهاده غنيمة أو رزقًا، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد، والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها؛ فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده: لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له مُعينًا على قيام الدين، ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية - كالزكوات وأموال الفيء وغيرها - جزءًا كبيرًا: لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) القول السديد ص ١٨٧ - ١٨٩.

الكلمة السادسة والثلاثون

كفارات الذنوب رقم (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فقد ذكر شارح الطحاوية: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم، بنحو عشرة أسباب، عُرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة:

أولاً: التوبة الصادقة ، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠﴾ [الفرقان]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر]. وهذا لمن تاب؛ ولهذا قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾، وقال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ٥٤﴾.

ثانياً: الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٢﴾ [الأنفال].

روى الإمام أبو داود في سننه من حديث زيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ

إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الزَّحْفِ»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: الحسنات ، فإن الحسنات عشرة أمثالها، والسيئة بمثلها، فالويل لمن غلبت آحاده عشراته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكْرِينَ﴾<sup>(١١٤)</sup> [هود]. روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: المصائب ، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾<sup>(١١٣)</sup> ، بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَارِبُوا وَسَدُّوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوْ الشُّوْكَةَ يُشَاكُهَا»<sup>(٣)</sup>.

خامساً: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١٠)</sup> [الحشر]. وقال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾<sup>(٢٨)</sup> [نوح].

سادساً: ما يهدى الميت بعد الموت من ثواب صدقة، أو حج،

(١) ص ١٨٠ برقم ١٥١٧، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٣/١) برقم ١٣٤٣.

(٢) ص ٣٣٢ برقم ١٩٨٧، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) ص ١٠٣٩ برقم ٢٥٧٤.

أو نحو ذلك؛ روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أُمَّيْ افْتَلَيْتَ نَفْسَهَا وَلَمْ تُوصِ، وَأَظْنُّهَا لَوْ تَكَلَّمْتَ تَصَدَّقْتَ، أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتَ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح البخاري أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رضي الله عنه - أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ - تُوفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَاتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أُمَّيْ تُوفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتَ بِهٍ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا<sup>(٢)</sup>.

سابعًا: عذاب القبر.

ثامنًا: أهوال يوم القيامة وشدائده.

تاسعًا: ما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمٌ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ، مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»<sup>(٣)</sup>.

عاشرًا: شفاعة الشافعين؛ كشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، والنيين، وشفاعة

الملائكة، وشفاعة المؤمنين.

(١) ص ٣٨٨ برقم ١٠٠٤، وصحيح البخاري ص ٢٧٠ برقم ١٣٨٨.

(٢) ص ٥٣٢ برقم ٢٧٦٢.

(٣) ص ١٢٥٢ برقم ٦٥٣٥.

الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء].

قال شارح الطحاوية: فإن كان ممن لم يشأ الله أن يغفر له لعظم جرمه، فلا بد من دخوله إلى الكير أي: (النار)، ليخلص طيب إيمانه من خبث معاصيه؛ فلا يبقى في النار من في قلبه أدنى، أدنى، أدنى، أدنى، أثقال ذرة من إيمان، بل من قال: لا إله إلا الله، كما تقدم من حديث أنس رضي عنه في الصحيحين.

وإذا كان الأمر كذلك، امتنع القطع لأحد معين من الأمة، غير من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة. ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم - أي من مكر الله -، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم - أي من رحمة الله - (١). ا هـ.

وعلى ذلك ، فقول بعض الناس: فلان لا يغفر الله له، أو فلان من أفجر الناس: هو من أهل النار، أو فلان طيب، ورجل صالح: هو من أهل الجنة؛ كل هذه الألفاظ لا تجوز، لمخالفتها للنصوص الشرعية، ولعقيدة أهل السنة والجماعة.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ

(١) (٢/٤٤٨ - ٤٥٦).

يَرَى الْآخِرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ؛ فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّني وَرَبِّي، أَبْعَثْ عَلَيَّ رَقِيبًا؛ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَيَّ مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخِرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ: أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ<sup>(١)(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٥٣٢ برقم ٤٩٠١، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود (٩٢٦/٣) برقم ٤٠٩٧ .  
(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٧ - ٣٧١ .



الكلمة السابعة والثلاثون

حكم الأسهم المختلطة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «إن مما أخاف عليكم بعدي، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» فقال رجل: أو يأتي الخير بالشر؟ يا رسول الله! قال: فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ف قيل له: ما شأنك تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكلمك؟ قال: ورأينا أنه ينزل عليه! فافاق يمسح عنه الرخصاء<sup>(١)</sup>، وقال: «أين هذا السائل؟» - وكأنه حمده - فقال: «إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما يثبت الربيع يقتل أو يلم<sup>(٢)</sup>، إلا آكلة الخضر<sup>(٣)</sup>، فإنها أكلت، حتى إذا امتلأت حاصرتها<sup>(٤)</sup>، استقبلت عين الشمس، فثلثت<sup>(٥)</sup>، وبالت،

(١) أي العرق الكثير.

(٢) إذا قاربه ودنا منه.

(٣) ضروب من النبات وليس من أحرار البقول التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول.

(٤) وهما جانبا البطن.

(٥) إذا ألقى البعير رجيعة سهلاً رقيقاً.

ثُمَّ رَتَعَتْ؛ وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلُوٌّ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ:  
لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ الْمَسْكِينِ، وَالْيَتِيمِ، وَابْنَ السَّبِيلِ (أَوْ كَمَا قَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)؛ وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا  
يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب: فهذا مثل من يأخذ من الدنيا بِشَرِّهِ  
وجوع نفس من حيث لا حَتَّ له، لا بقليل يقنع ولا بكثير يشبع، ولا  
يحلل ولا يحرم، بل الحلال عنده: ما حل بيده وقدر عليه، والحرام  
عنده: ما منع منه وعجز عنه، فهذا هو المتخوض في مال الله ورسوله  
فيما شاءت نفسه، وليس له إلا النار يوم القيامة؛ وفي هذا تنبيه على  
أن من تخوَّض من الدنيا في الأموال المحرَّمة أكلها: كمال الربا، ومال  
الأيتام، والمال المغصوب، والسرقة، والغش في البيوع، وغير ذلك،  
فكل هذه الأموال وما أشبهها: يتوسع بها أهلها في الدنيا، ويتلذذون  
بها، ويتوصلون بها إلى لذات الدنيا وشهواتها؛ ثم ينقلب ذلك بعد  
موتهم، فتصير جمرًا من جمر جهنم في بطونهم، فما تفي لذتها  
بتبعثها، قال الشاعر:

تَفْنَى اللَّذَاذُ مَمَّنْ نَالَ لَذَّتْهَا      مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ  
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ مِنْ مَغْبِتِّهَا      لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

فلهذا شبه النبي ﷺ من يأخذ الدنيا بغير حقها ويضعها في غير  
حقها: بالبهايم الراحية من خضراء الربيع حتى تنتفخ بطونها من أكله،

(١) صحيح مسلم ص ٤٠٣ برقم ١٠٥٢، وصحيح البخاري ص ١٢٣٤ برقم ٦٤٢٧.

فإما أن يقتلها وإما أن يقارب قتلها، فكذلك من أخذ الدنيا من غير حقها ووضعها في غير وجهها، فقد يقتله ذلك فيموت به قلبه ودينه، ومن مات على ذلك من غير توبة منه وإصلاح حاله، فيستحق النار بعمله<sup>(١)</sup>. اهـ.

ومما يلاحظ في هذه الأيام: انكباب كثير من الناس على المساهمات المشبوهة والمحرمة، وهذا مصداق قول النبي ﷺ في الحديث - الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ: أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟!»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»<sup>(٣)</sup>؛ وهذه الشركات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الشركات ذات الأعمال المباحة، وليس من أنشطتها الاستثمار المحرّم، بل تعمل بالصناعة والتجارة: سواء تجارة العقار أو الزراعة أو النقل، ولا تتعامل بمحرّم؛ فلا تقترض ولا تُقرض بالربا، ولا تُودع أرباحها في بنوك تُعطي لها فوائد ربوية، ولا تستثمر أرباحها في محرّم، فهذه الأصل فيها الجواز.

ثانياً: الشركات ذات الأعمال المحرّمة: كالبنوك الربوية، أو

(١) لطائف المعارف ص ٥٣١ .

(٢) ص ٣٩٣ برقم ٢٠٨٣ .

(٣) ص ٣٨٥ برقم ٢٣٣٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

صناعة الخمور، أو آلات الطرب، أو التجارة بالخنزير، بحيث يكون أصل إنشائها محرّمًا، فهذا النوع لا يتنازع مسلم في حرمة؛ جاء في قرار المجمع الفقهي الإسلامي: بأنه لا خلاف في حرمة الإسهام في شركات، غرضها الأساسي محرّم: كالتعامل بالربا، أو إنتاج محرّمات، أو متاجرة بها<sup>(١)</sup>.

الثالث: الشركات ذات الأعمال المشروعة، وأنشئت من أجل الاستثمار في الأشياء المباحة: كصناعة الحديد والورق والزيت، والنقل وتجارة الأراضي وغيرها، إلا أنها تتعامل بالحرام أحيانًا: كالإيداع في البنوك وأخذ الفائدة منها، أو أن تجعل من ضمن رأس مالها الاقتراض بالربا أو الإقراض، فتضم هذه الأرباح إلى أرباح مساهميها، وهذه الشركات هي التي اشتهرت بين الناس بالأسهم المختلطة، أي اختلط فيها الحلال والحرام، وفيها خلاف بين أهل العلم، فمنهم من يقول بالجواز وفق ضوابط معينة، ومنهم من يقول بالتحريم: وهو قول غالب العلماء.

فقد سئلت اللجنة الدائمة عن أسهم الشركات المختلطة، والتي أساس عملها الصناعة أو الخدمات أو التجارة أو غيرها، ولكنها تقع في مخالفات شرعية: كأن تضع فوائض أموالها في البنوك، أو تقترض من البنوك، أو غير ذلك من المخالفات؛ فأجابت اللجنة بالتحريم: لعموم الأدلة من الكتاب والسنة بتحريم الربا، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ

(١) في دورته الرابعة المنعقدة بمكة المكرمة، والتي بدأت في ٢٠/٨/١٤١٥ هـ.

الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴿٢٧٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة]. وغير ذلك من الأدلة<sup>(١)</sup>.

وعلى المسلم أن يتورع وأن يبتعد عن الشبهات؛ روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ: كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه أن عبداً يقال له مدعم، كان مع النبي صلى الله عليه وسلم، واستشهد في غزوة خيبر، أصابه سهم طائش، فقال الصحابة: هنيئاً له الشهادة! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا»<sup>(٤)</sup>.

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١٣/٤٠٨) رقم (٨٧١٥).

(٢) ص ٣٨٨ برقم ٢٠٥١، وصحيح مسلم ص ٦٥١ برقم ١٥٩٩ - واللفظ له -.

(٣) قطعة من حديث ص ١٢١ برقم ٦١٤، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (١/١٨٩) برقم ٥٠١.

(٤) قطعة من حديث ص ١٢٧٩ برقم ٦٧٠٧.

وهذه الشملة عباءة قيمتها دراهم معدودة، ومع ذلك لم يسلم صاحبها من عقوبة أكل المال الحرام<sup>(١)</sup>.

اللَّهُم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عن سواك.  
وسبحانك اللَّهُم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك  
وأتوب إليك.



(١) انظر: الأسهم المختلطة / للشيخ صالح التميمي حفظه الله.

الكلمة الثامنة والثلاثون

الرفقة الصالحة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فإن الإنسان جُبِلَ على حب مخالطة الآخرين، وأن يتخذ له جليساً يعينه على مصالحه في دنياه وأخراه، والناس متفاوتون في دينهم وأخلاقهم؛ فمنهم الخير الفاضل الذي يُنتفع بصحبته وصداقته، ومنهم السيء الذي يتضرر بصداقته ومعاشرته.

ومصاحبة الصالحين خير وبركة في الدنيا والآخرة، قال تعالى:  
﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف].

ومصاحبة جلساء السوء حسرة وندامة يوم القيامة، قال تعالى:  
﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [٢٧]  
يُنَوِّلتُنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ [٢٨] لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي  
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:  
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ: كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً؛ وَنَافِخُ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا

أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ»: أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته فلينظر أي: يتأمل ويتدبر من يخالل، فمن رضي دينه وخلقه خالاه ومن لا تجنبه فإن الطباع سراقه<sup>(٣)</sup>.

قال الشاعر:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي  
والإنسان مجبول على التأثر بصاحبه وجليسه، والأرواح جنود مجندة؛ روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»<sup>(٤)</sup>.

وتألفها هو ما خلقها الله عليه من السعادة أو الشقاوة في المبتدأ، وكانت الأرواح قسمين متقابلين، فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خلقت عليه، فيميل الأخيار إلى الأخيار،

(١) ص ١٠٩١ برقم ٥٥٣٤، وصحيح مسلم ص ١٠٥٥ برقم ٢٦٢٨.  
(٢) ص ٣٩٠ برقم ٢٣٧٨، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٦٣٣) برقم ٩٢٧.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣/١٢٣).

(٤) ص ٦٣٦ برقم ٣٣٣٦ تعليقا، وصحيح مسلم ص ١٠٥٧ برقم ٢٦٣٨ عن أبي هريرة.

والأشرار إلى الأشرار<sup>(١)</sup>.

ومن ثمرات مجالسة الصالحين:

أولاً: الإعانة على الطاعات والبعد عن المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

ثانياً: المسارعة إلى الخيرات والتنافس في الطاعات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ۝٦٦﴾ [المطففين].

ثالثاً: بركة المجالسة، فإن من جالسهم تشمله بركة مجالستهم، ويعمه الخير الحاصل لهم، وإن لم يكن عمله بالغاً مبلغهم، كما دل على ذلك: ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ»

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣/١٢٤).

وفي آخر الحديث: «فَيَقُولُ اللَّهُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْتَقِي بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»<sup>(١)</sup>.

يقول عمر: «لولا ثلاث، ما أحببت العيش في هذه الحياة الدنيا: ظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات من الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطيب الكلام، كما ينتقى أطيب التمر».

وكم من شخص اهتدى، وأصبح من المحافظين على الصلاة، وترك مجالسة السوء، وتوجّه إلى الدعوة؟! كل ذلك: بفضل الله، ثم الرفقة الصالحة.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»<sup>(٢)</sup>.

قال الخطابي: إنما جاء هذا في طعام الدعوة دون طعام الحاجة، وذلك أن الله سبحانه قال: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُدِّهِمْ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾<sup>(٨)</sup> [الإنسان] ومعلوم أن أسراءهم كانوا كفاراً غير مؤمنين ولا أتقياء، وإنما حذر عليه السلام من صحبة من ليس بتقي، وزجر عن مخالطته ومؤاكلته، فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب<sup>(٣)</sup>.

ومن الآثار المترتبة على مجالسة أهل السوء، وهي كثيرة:

(١) ص ١٢٣٠ برقم ٦٤٠٨، وصحيح مسلم ص ١٢٣٠ برقم ٢٦٨٩.

(٢) ص ٣٩٢-٣٩٣، برقم ٢٣٩٥.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٢٣/١٣).

أولاً : أنه يصرف صاحبه وجليسه من الطاعة إلى المعصية،  
 ويزين له عمل السوء؛ روى البخاري ومسلم من حديث سعيد  
 ابن المسيب عن أبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ،  
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَمَّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا  
 عِنْدَ اللَّهِ»؛ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أترغب  
 عن مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ  
 لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ  
 الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا  
 وَاللَّهِ لَا أَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنَّهُ عَنكَ»؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ  
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا  
 تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ [التوبة]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي  
 أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
 يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ [القصص] (١).

ثانياً: أن غالب مجالس أهل الفسق لا يذكر الله تعالى فيها، بل  
 يعصى جلَّ وعلا، فتكون حسرة وندامة على أصحابها يوم القيامة .  
 روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي ﷺ قال:  
 «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا

(١) صحيح البخاري (٣/٦٢، ٦٣) برقم (٣٨٨٤)، وصحيح مسلم (١/٥٤) برقم (٢٤)  
 - واللفظ له -

كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةً<sup>(١)</sup>؛ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ<sup>(٢)</sup>.

قال الشافعي :

إِذَا لَمْ أَجِدْ خِلًا تَقِيًّا فَوَحْدَتِي      أَلذُّ وَأَشْهَى مِنْ غَوِيٍّ أَعَاشِرُهُ  
وَأَجْلِسْ وَوَحْدِي لِلْعِبَادَةِ آمِنًا      أَقْرُّ لِعَيْنِي مِنْ جَلِيسٍ أَحَاذِرُهُ

ثالثاً: أن الجليس السوء يدعو جليسه إلى مماثلته في الوقوع في المحرّمات، ويخفّف وقع المعصية في قلبه، ويهوّن عليه التقصير في الطاعة، قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ودّت الزانية لو زنى النساء كلهن».

وجليس السوء ينصرف عن صاحبه عند أدنى خلاف أو فوات مصلحة، بل وتحصل البغضاء بعد ذلك، قال عبدالله بن المعتز: إخوان السوء ينصرفون عند النكبة، ويقبلون مع النعمة.

لذا أنصح إخواني بإلحاق أبنائهم بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، فهي رفقة صالحة، وعندهم برامج مفيدة: يقضي فيها الشاب وقته، وتبعده عن جلساء السوء. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أي حسرة وندامة.

(٢) ص ٥٣٥ برقم ٣٣٨٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الكلمة التاسعة والثلاثون

نعمة العقل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أفضل نعم الله على عباده: نعمة العقل، فلولا العقل لما عرف الإنسان دين الإسلام، والنبوة، والخير والشر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. فالله تعالى فضّل بني آدم على غيرهم من الجمادات، والحيوانات، والنباتات بهذا العقل.

قال تعالى - مادحاً عباده أصحاب العقول السليمة -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. قال ابن كثير: أي العقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ١٠٦]. [يوسف: ١٠٦].

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٩٥).

وقد ذم الله تعالى أصحاب العقول الغافلة عن دينه، فقال: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف].

فإذا فقد الإنسان العقل السليم الذي يقوده إلى الخير ويبعده عن الشر، فقد أصبح كالبهيمة التي تأكل وتشرب ولا تعقل شيئاً، بل إنها خير منه: كما في الآية الكريمة السابقة، روى الحاكم في المستدرک من حديث سهل بن سعد رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»<sup>(١)</sup> أي: دنيئها و خسيسها .

قال ابن حبان: وإن محبة المرء المكارم من الأخلاق وكرهته سفسافها هو نفس العقل، فالعقل به يكون الحظ، ويؤنس الغربة، وينفي الفاقة، ولا مال أفضل منه، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله، وهو من أفضل مواهب الله لعباده، وهو دواء القلوب، ومطيئة المجتهدين، وبذر حراثة الآخرة، وتاج المؤمن في الدنيا، وعدته في وقوع النوائب؛ ومن عُدَمَ الْعَقْلَ لم يزد السُلْطَانُ عَزًّا، ولا المال يرفعه قدرًا، ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه<sup>(٢)</sup>. ا هـ.

(١) (١/٦٤)، وصححه الألباني رحمته الله في «صحيح الجامع الصغير» (١/٣٨٤) برقم ١٨٨٩.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء/ ص ١٦-١٩، باختصار.

قال الشاعر:

وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ      فليس من الخيرات شيء يُقاربه  
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ      فقد كملت أخلاقه وما ربه

وقال الشاعر:

لَيْسَ الْجَمَالَ بِأَثْوَابٍ تُزِينُنَا      إِنَّ الْجَمَالَ جَمَالُ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ

قد يقول قائل: ما هو العقل؟ ومن هو العاقل؟

العقل: اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب والعلم باجتنب الخطأ، فإذا كان المرء في أول درجاته يسمى أديباً ثم أريباً، ثم لبيباً ثم عاقلاً<sup>(١)</sup>؛ قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾<sup>(١٥)</sup> أي: تنهى عقله، وكمل فهمه وحلمه، ويقال: إنه لا يتغير غالباً عما يكون عليه ابن الأربعين<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حزم: وحد العقل: ينطوي فيه فعل الطاعات والفضائل واجتناب المعاصي والرذائل، وقد نصَّ الله تعالى في كتابه أن من عصاه لا يعقل، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(١٠)</sup> فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ<sup>(١١)</sup> [الملك]. وحد الحمق: استعمال المعاصي والرذائل، وهو ضد العقل، ولا واسطة بين الحمق والعقل إلا السخف<sup>(٣)</sup> ا هـ.

(١) روضة العقلاء / لابن حبان ص ١٦.

(٢) تفسير ابن كثير (١٥ / ١٣).

(٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص ٦٥ - ٦٦ بتصرف.

قيل لابن المبارك: ما خير ما أعطي الرجل؟ قال: غريزة عقل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدب حسن؛ قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخ صالح يستشير، قيل: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل<sup>(١)</sup>.

والناس يحبون الرجل الذي جمع بين الصلاح ورجحان العقل، ونبينا محمد بن عبد الله أرجح الناس عقلاً، ففي الجاهلية لم يسجد لصنم قط، مع كثرتها وتعلق الناس بها: لعلمه أن هذه الأصنام جمادات لا تضر ولا تنفع؛ وكانت قريش تُودع أموالها عنده، ويستشيرونه في أمورهم: لرجحان عقله وسداد رأيه، وكان يعتزل الناس، ويتعبد في غار حراء يسأل ربه الهداية. وفي صحيح البخاري: أن أبا بكر قال لزيد بن ثابت: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن<sup>(٢)</sup>.

وحكي أن جماعة من النصارى تحدثوا فيما بينهم، فقال قائل منهم: ما أقل عقول المسلمين، يزعمون أن نبيهم كان راعياً للغنم، فكيف يصلح راعي الغنم للنبوة؟! فقال له آخر من بينهم: أما هم فوالله أعقل منا، فإن الله بحكمته يسترعي النبي الحيوان البهيم فإذا أحسن رعايته والقيام عليه نقله منه إلى رعاية الحيوان الناطق، حكمة

(١) روضة العقلاء/ ص ١٧.

(٢) قطعة من حديث ص ٩٩٢ برقم ٤٩٨٦.

من الله وتدرجاً لعبده، ولكن نحن جننا إلى مولود خرج من امرأة يأكل ويشرب ويبول ويبكي فقلنا: هذا إلهنا الذي خلق السماوات والأرض فامسك القوم عنه<sup>(١)</sup>.

هناك بعض التنبيهات:

أولاً: إن محل العقل القلب وهو صريح قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. قال الشيخ محمد الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: ومن الخطأ قول الفلاسفة: إن محل العقل الدماغ، وقد تبعهم في ذلك قليل من المسلمين، وعامة علماء المسلمين أن محل العقل القلب، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]. فعابهم الله بأنهم لا يفقهون، والفقهاء - الذي هو الفهم - لا يكون إلا بالعقل، فدل ذلك على أن محل العقل القلب، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ: أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(٢)</sup>. فإذا آمن القلب، آمنت الجوارح: بفعل المأمورات وترك المنهيات، لأن القلب أمير البدن؛ وذلك يدل دلالة واضحة: على أن القلب ما كان كذلك، إلا لأنه محل العقل الذي به

(١) جامع الآداب لابن القيم (٢١٨/١) من كلام ابن القيم تحقيق اليسري السيد محمد.

(٢) ص ٣٤ برقم ٥٢، وصحيح مسلم ص ٦٥١ برقم ١٥٩٩.

الإدراك والفهم<sup>(١)</sup>.

ثانياً: ليس كل من ادّعى العقل يعتبر عاقلاً، فقد يدّعيه من هو سفيه أو أحمق، فالعقل - كما تقدّم - من ترفّع عن السفاهات والمعاصي وخوازم المروءة كلها، وسما بنفسه إلى الطاعات ومكارم الأخلاق.

قال ابن حبان - بعد ما ذكر أقوال العلماء في تعريف المروءة - :  
والمروءة عندي خصلتان: اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال، واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال، واستعمالهما هو العقل نفسه، وقد ورد في الأثر: إن مروءة المرء عقله<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: قد يكون الإنسان ذكياً، ولكنه ليس بعقل؛ فالذكاء: هو سرعة البديهة والفهم، والعقل: ما حجز الإنسان عن فعل ما لا ينبغي.

رابعاً: العقل نوعان؛ قال الشيخ ابن عثيمين: العقل هو مناط التكليف، وهو إدراك الأشياء وفهمها، وهو الذي تكلم عليه الفقهاء في العبادات والمعاملات وغيرها، وعقل الرشد: وهو أن يحسن الإنسان التصرف، وسمّى إحسان التصرف عقلاً؛ لأن الإنسان عقل تصرفه بما ينفعه<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣] وقال تعالى: ﴿آتَمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

(١) الرحلة إلى أفريقيا / ص ٢٥ - ٢٩ باختصار.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / ص ٢٣٢.

(٣) تفسير سورة البقرة (١/١٥٨) للشيخ ابن عثيمين.

وَتَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ [البقرة]. أفلا يكون لكم عقول تدركون بها خطاكم وضلالكم؟!

خامساً: قد يُعطى الإنسان القوة والذكاء والعقل، ولكن لا يوفق للهداية، وأمثلة هذا كثيرة، فأصحاب المخترعات العظيمة: كالكهرباء، والطائرات، والقنابل النووية، وغيرها كثير منهم من غير المسلمين: كاليهود والنصارى والملاحدة، بل ذكر الله عن قوم عاد: أنهم كانوا أصحاب قوة وذكاء، بنوا حضارة من أحسن الحضارات، قال تعالى عنها: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر]. لكنهم لما جحدوا بآيات الله، ما نفعتهم عقولهم ولا قوتهم، بل صارت وبالاً عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة الأربعون

تفسير سورة الضحى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال سبحانه: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].  
ومن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا، وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر: سورة الضحى.

روى البخاري ومسلم من حديث جندب رضي الله عنه قال: اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلةً أو ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إنني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثة، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣﴾ [الليل].

وجاء في بعض الروايات: أنها أم جميل زوجة أبي لهب.

قوله تعالى ﴿وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾: هذا قسم منه تعالى بزمن الضحى وما جعل فيه من الضياء والنور، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ أي: سكن فأظلم وادلهم وهذا دليل على قدرة خالق هذا، وهذا كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢﴾ [الليل]. وقال: ﴿فَالِقُ

الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز  
العليم ﴿١٦﴾ [الأنعام].

قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أي: ما تركك، ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: وما أبغضك، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ أي: وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهدهم الناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحاً كما هو معلوم من سيرته، ولما خيّر ﷺ في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين لقاء ربه ﷻ، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الفانية.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مويهبة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةِ، وَخَيْرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي ﷻ وَالْجَنَّةِ»، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا وَالْخُلْدِ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةِ! قَالَ: «لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ، لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ» ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبَدِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَبَضَهُ اللَّهُ ﷻ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ (١).

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ أي: في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيما أعدّه له من الكرامة، ومن جملته: نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه مسك أذفر.

(١) (٣٧٦/٢٥) برقم ١٥٩٩٧؛ وقال محققوه: إسناده ضعيف، لكن الحديث صحيح في استغفاره لأهل البقيع واختياره لقاء ربه.

روى ابن جرير في تفسيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: عُرِضَ على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزاً كنزاً، فسُرَّ بذلك، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (٥)؛ فأعطاه في الجنة ألف قصر، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم (١). قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف (٢)؛ ثم قال تعالى - يعدد نعمته على عبده ورسوله محمد ﷺ -: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ (٦)؛ وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد ﷺ، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب، وله من العمر ست سنين. ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه، بعد أن بعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره هذا، وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدره وحسن تدبيره، إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل؛ فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه، وكل هذا من حفظ الله له، وكلاءته وعنايته به (٣).

(١) (١٢/٦٢٤) برقم ٣٧٥١٣.

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/٣٨٣).

(٣) تفسير ابن كثير (١٤/٣٨٤).

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ (٧)، كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢) [الشورى].

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ (٨)، أي: كنت فقيرًا ذا عيال فأغناك الله عن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر - صلوات الله وسلامه عليه -.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلوات الله عليه قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»<sup>(١)</sup>؛ وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلوات الله عليه قال: «لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنِ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، إِنَّمَا الْغِنَىٰ عَنِ النَّفْسِ»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩)، أي: كما كنت يتيمًا فأواك الله، فلا تقهر اليتيم: أي لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسن إليه وتلطف به.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (١٠)، أي: كما كنت ضالًّا فهداك الله، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١١)، أي: كما كنت عائلًا فقيرًا فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلوات الله عليه

(١) ص ٤٠٤ برقم ١٠٥٤.

(٢) ص ١٢٣٨ برقم ٦٤٤٦، وصحيح مسلم ص ٤٠٣ برقم ١٠٥١.

قال: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ، مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»<sup>(١)</sup>؛ وروى أبو داود في سننه من حديث جابر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أُبْلِيَ بِلَاءٍ فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) ص ٥٢٤ برقم ٤٨١١، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٣) برقم ٤٠٢٦.  
(٢) ص ٥٢٤ برقم ٤٨١٤، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣/٩١٤) برقم ٤٠٢٩.



## الكلمة الحادية والأربعون

### فضل الصحابة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة: حب أصحاب رسول الله ﷺ، قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: «ونحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب واحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»<sup>(١)</sup>.

فأهل السنة والجماعة يحبون أصحاب النبي ﷺ، ويفضلونهم على جميع الخلق بعد الأنبياء، لأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ، ومحبة رسول الله ﷺ من محبة الله؛ وهم يثنون على الصحابة، ويطربون عنهم، ويستغفرون لهم، وذلك للأمر التالي:

أولاً: أنهم خير القرون في جميع الأمم؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦٨٩).

النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: هم الوساطة بين رسول الله ﷺ وبين أمته، فمنهم تَلَقَّتِ الأُمَّةُ عنه الشريعة.

ثالثاً: ما كان على أيديهم من الفتوحات الواسعة العظيمة.

رابعاً: أنهم نشروا الفضائل بين هذه الأمة: من الصدق والنصح والأخلاق والآداب، التي لا توجد عند غيرهم<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى مُثْنِيًا عَلَيْهِمْ: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُحَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١٠٠)</sup> [التوبة].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكَعًا سُجَّدًا﴾<sup>(٢٩)</sup> [الحجرات]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾<sup>(١٨)</sup> [الفتح].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»<sup>(٣)</sup>.

قالت عائشة رضي الله عنها - عندما قيل لها: إن ناسًا ينالون من أصحاب

(١) ص ٥٠٢ برقم ٢٦٥٢، وصحيح مسلم ص ١٠٢٣ برقم ٢٥٣٣.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (٢/٢٤٨-٢٤٩).

(٣) ص ٧٠١ برقم ٣٦٧٣، وصحيح مسلم ص ١٠١٧ برقم ٢٥٤١.

رسول الله ﷺ، حتى أبا بكر وعمر - فقالت: وما تعجبون من هذا؟! انقطع عنهم العمل، فأحبَّ الله أن لا ينقطع عنهم الأجر.

وروى الإمام أحمد في فضائل الصحابة عن ابن عمر أنه قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمْ يُقَامْ أَحَدِهِمْ سَاعَةً، خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً» (١)(٢).

قال عبد الله بن مسعود رضي عنه: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته؛ ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه (٣).

وقال أيضاً مخاطباً أصحابه: أنتم أكثر صلاة وأكثر صياماً وأكثر جهاداً من أصحاب محمد ﷺ وهم كانوا خيراً منكم، قالوا: فيم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة (٤).

وقال الحسن البصري رحمته الله: إن أصحاب محمد ﷺ كانوا أكياساً

(١) هو الإمام عبيد الله بن محمد الحنبلي: أبو عبد الله ابن بطة، صاحب كتاب الإبانة الكبرى.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة رقم (٢٠)، (١/٦٠ - ٦١) وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/٨٤) برقم ٣٦٠٠، والبعثي في شرح السنة (١/٢١٤) برقم (١٠٥). وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٤) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١٥/١٤٥) برقم ١٠١٥٢، وقال محققه: إسناده صحيح.

عملوا صالحاً، وأكلوا طيباً، وقدموا فضلاً لم ينافسوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يجزعوا من ذلها، أخذوا صفوها، وتركوا كدرها، والله ما تعاضمت في أنفسهم حسنة عملوها، ولا تصاغرت في أنفسهم سيئة أمرهم الشيطان بها<sup>(١)</sup>.

قوله: ولا نفرط في حب واحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، وحبهم دين وإيمان وإحسان.

يقصد بذلك الرد على الروافض والنواصب: فإن الرافضة يكفرون أصحاب رسول الله ﷺ، ويعتقدون أنهم كفروا إلا ثلاثة منهم، بل يعتقدون أنه لا ولاء إلا لبراء: أي لا يتولّى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر؛ وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، والرافضة يغفلون في علي ويرفعونه فوق منزلته، أما النواصب: فإنهم يسبون علياً، ويبغضون آل بيت رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

قال ابن أبي العز الحنفي: «فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد النبيين؟! بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى؛ وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا:

(١) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (١٥/١٤٤) برقم ١٠١٤٩، وقال محققه: إسناده لا بأس به.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٢.

أصحاب عيسى؛ وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبواهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة»<sup>(١)</sup>.

قوله: وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في الأنصار: «لا يُحِبُّهُمُ إِلَّا الْمُؤْمِنُ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ؛ مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

قال أبو زرعة الرازي: إذا رأيت الرجل يتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق؛ وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن: أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا: ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة<sup>(٣)</sup>.

وقال يحيى بن معين في - تليد بن سليمان المحاربي الكوفي - : «كذاب، كان يشتم عثمان، وكل من شتم عثمان، أو طلحة، أو أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ: دَجَّالٌ، لا يُكْتَبُ عنه، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(٤)</sup>.

ولله درُّ القائل:

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٣٢.

(٢) ص ٧٢٠ برقم ٣٧٨٣، وصحيح مسلم ص ٥٩ - ٦٠ برقم ٧٥.

(٣) الكفاية في علم الرواية ص ٤٩، وانظر: الإصابة لابن حجر (١/١١).

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٧/١٣٨)، وانظر: تهذيب التهذيب (١/٥٠٩).

لا تَرْكَنَنَّ إِلَى الرُّوَافِضِ إِنَّهُمْ  
 لَعَنُوا كَمَا بَغَضُوا صَحَابَةَ أَحْمَدِ  
 حُبُّ الصَّحَابَةِ وَالقَرَابَةُ سُنَّةٌ  
 اخَذَ عِقَابَ اللَّهِ وَارْجُ ثَوَابُهُ  
 شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَ مَا بُرِّهَانِ  
 وودادهم فرض على الإنسان  
 أَلْقَى بِهَا رَبِّي إِذَا أَحْيَانِي  
 حَتَّى تَكُونَ كَمَنْ لَهُ قَلْبَانِ  
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



## الكلمة الثانية والأربعون

### خطر الاختلاط

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن البلايا العظيمة التي ابتليت بها الأمة في هذه الأيام: الاختلاط بين الرجال والنساء على أشكال وصور متعددة، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بجلب المصالح ودفع المفاسد.

ولا شك أن الاختلاط باب شر ومفتاح فتن على الأمة، وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة بمنعه.

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب].

قال ابن كثير: أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية: الصلاة في المسجد بشرطه<sup>(١)</sup>؛ كما قال رسول الله ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَلِيُخْرِجَنَّ وَهْنٌ تَفَلَاتٍ»<sup>(٢)</sup> (٣).

(١) تفسير ابن كثير (١١/١٥٠).

(٢) أي غير متزيّنات.

(٣) مسند الإمام أحمد (٨/٢٨١) برقم ٤٦٥٥، وقال محققوه: إسناده صحيح.

وفي رواية: «وَبَيُّوْهُنَّ خَيْرٌ لَّهُنَّ»<sup>(١)</sup>؛ وقال مجاهد: كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَخْرُجُ تَمْشِي بَيْنَ يَدَيِ الرَّجَالِ، فَذَلِكَ تَبْرُجُ الْجَاهِلِيَّةِ<sup>(٢)</sup>.

روى البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمَوَ؟ قَالَ: «الْحَمُوُ الْمَوْتُ»<sup>(٣)</sup>؛ والحمو: هو قريب الزوج، شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بالموت: لخطورته وتساهل الناس فيه.

وإذا كان الرجال ممنوعين من الدخول على النساء، وممنوعين من الخلوة بهن بطريق الأولى، كما ثبت بأحاديث أخر، صار سؤالهن متاعاً لا يكون إلا من وراء حجاب، ومن دخل عليهن فقد خرق الحجاب<sup>(٤)</sup>.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: وكان النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا يختلطن بالرجال لا في المساجد ولا في الأسواق الاختلاط الذي ينهى عنه المصلحون اليوم، ويرشد القرآن والسنة وعلماء الأمة إلى التحذير منه حذراً من فتنته، بل كان النساء في مسجده صلى الله عليه وسلم يصلين خلف الرجال في صفوف متأخرة عن الرجال، وكان يقول: «خَيْرُ صُفُوفِ الرَّجَالِ أَوْلَاهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوْلَاهَا»<sup>(٥)</sup>، حذراً من افتتان آخر صفوف الرجال

(١) مسند الإمام أحمد (٩/ ٣٤٠) برقم ٥٤٧١، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (١١/ ١٥١).

(٣) ص ١٠٣٥ برقم ٥٢٣٢، وصحيح مسلم ص ٨٩٦ برقم ٢١٧٢.

(٤) حراسة الفضيلة/ للشيخ بكر أبو زيد رحمته الله، ص ٦٣.

(٥) ص ١٨٦ برقم ٤٤٠.

بأول صفوف النساء، وكان الرجال في عهده عليه الصلاة والسلام يؤمرون بالترث في الانصراف، حتى يمضي النساء ويخرجن من المسجد، لئلا يختلط بهن الرجال في أبواب المسجد، مع ما هم عليه جميعاً رجالاً ونساء من الإيمان والتقوى، فكيف بحال من بعدهم؟! وكان النبي ﷺ ينهاهن أن يمشين في وسط الطريق، ويؤمرن بلزوم حافات الطريق: حذرًا من الاحتكاك بالرجال، والفتنة بمماسة بعضهم بعضًا عند السير في الطريق<sup>(١)</sup> اهـ.

بل إن النبي ﷺ كان يخصص للنساء بابًا يخرجن منه<sup>(٢)</sup>؛ قال ابن القيم رحمه الله - ما خلاصته - : «ومن ذلك أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء: في الأسواق والفرج ومجامع الرجال، فالإمام مسؤول عن ذلك، والفتنة به عظيمة.

روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضْرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»<sup>(٣)</sup>، وفي حديث آخر: «عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ»<sup>(٤)</sup>. ويجب عليه أن يمنع النساء من الخروج متزيئات متجملات، ومنعهن من الثياب التي يكنّ بها كاسيات عاريات، كالثياب الواسعة الرقاق، ومنعهن من حديث

(١) الموسوعة البازية في المسائل النسائية (٢/١٠٥٥).

(٢) سنن أبي داود ص ٧٤ برقم ٤٦٢، من حديث ابن عمر، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود (١/٩٢) برقم ٤٣٩.

(٣) ص ١٠١٠ برقم ٥٠٩٦، وصحيح مسلم ص ١٠٩٥ برقم ٢٧٤٠.

(٤) سنن أبي داود برقم (٥٢٧٢)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع الصغير» برقم (٩٢٩).

الرجال في الطرقات، ومنع الرجال من ذلك. وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها، ولا سيَّما إذا خرجت متجمَّلة، بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهنَّ على الإثم والمعصية، واللَّه سائل ولي الأمر عن ذلك، وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه النساء من المشي في طريق الرجال، والاختلاط بهن في الطريق، فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك.

ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال: أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء: سبب لكثرة الفواحش والزنا<sup>(١)</sup>.

وبناء على ما تقدم؛ فإن ما حصل من اختلاط بين الرجال والنساء، سواء كان في اجتماع أو ندوة أو حفل أو تصوير بين الرجال والنساء، أو غير ذلك من صور الاختلاط، ونشره في وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية: أمر محرّم لا يجوز، بل يجب إنكاره؛ فإنه بوابة شر، ومفتاح فتن وتعرض لعقوبة الله تعالى وسخطه، وإذا نزلت العقوبة عمت الجميع، نسأل الله اللطف والعافية في الدنيا والآخرة.

ويجب على العلماء وطلبة العلم والدعاة: أن يبينوا للناس أمور دينهم، ولا يتركوهم حتى لا يلتبس الحق بالباطل، والمعروف بالمنكر. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ

(١) الطرق الحكمية ص ٢٨٠ - ٢٨١.

لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ. ﴿١٨٧﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ ﴿١٥٩﴾ [البقرة]. وكتمان العلم إخفاؤه عندما يجب بيانه: إما جواباً لسؤال، أو لمقتضى الحال.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

ولذلك أوصي بالآتي:

أولاً: على من ولاه الله أمر المسلمين: أن يمنع الاختلاط بشتى صورته وأشكاله، حماية للأعراض، وقطعاً لدابر الشر، ونصرة للعفة والفضيلة.

ثانياً: على كل من ولاه الله أمر امرأة من الآباء والأزواج: أن يتقوا الله فيما ولوا من أمر النساء، وأن يعملوا الأسباب لحفظهن من التبرج والاختلاط، وليعلموا أن فساد النساء سببه تساهل الرجال.

ثالثاً: ننصح هؤلاء الكتاب الصحفيين الذين يمجدون الاختلاط والسفور ويستهنئون بالحجاب الشرعي: أن يتقوا الله ويحذروا من سخطه وعقابه، وألا يكونوا باب سوء على أهليهم وأمتهم، ومن

(١) ص ٥١ برقم ٤٩.

استمر في غيه وضلاله فعلى من ولاه الله أمر المسلمين أن يُحيله إلى المحاكم الشرعية، ليلقى جزاءه الرادع وفق شرع الله المطهر.

رابعاً: على كل مسلم الحذر من إشاعة الفاحشة ونشرها، وليعلم أن محبتها - كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي الْفَتَاوَى - لا تكون بالقول والفعل فقط، بل تكون بذلك وبالتحدث بها، وبالقلب والميل إليها، وبالسكوت عنها، فإن هذه المحبة تمكّن من انتشارها وتمكّن من الدفع في وجه من ينكرها من المؤمنين، فليتق الله امرؤ مسلم من محبة إشاعة الفاحشة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

قال الحافظ ابن رجب: «وقد روي عن الإمام أحمد أنه قيل له: إن عبدالوهاب الورّاق ينكر كذا وكذا، فقال: لا نزال بخير ما دام فينا من ينكر؛ ومن هذا الباب: قول عمر - لمن قال له: اتق الله يا امير المؤمنين - فقال: لا خير فيكم إن لم تقولوها لنا، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم»<sup>(١)(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الحكم الجديدة بالإذاعة ص ٤٣.

(٢) انظر: رسالة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ «حراسة الفضيلة» ص ١٤٩ - ١٥١.

## الكلمة الثالثة والأربعون

### قصة نبي الله يونس عليه السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد قص الله علينا في كتابه العزيز، قصص الأنبياء والمرسلين لناخذ منها الدروس والعبر، ولتثبيت فؤاد النبي ﷺ، وتقوية إيمان المؤمنين، وموعظة وذكرى للمؤمنين، وغير ذلك من الدروس والحكم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف]. وقال أيضاً: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود]. ومن هؤلاء الرسل: نبي الله يونس عليه السلام، وقد ذكر الله قصته في عدد من الآيات، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَرْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَمَتْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٧] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء]. [٨٨]

وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْاَلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴿ فَنبَذْنَهُ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأُنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصفات].

ذكر أهل التفسير أن الله بعث يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله ﷻ فكذبوه، وأصروا على كفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم فركب سفينة في البحر، فلجّت واضطربت وماجت بهم، وثقلت بما فيها وكادوا يغرقون؛ فتشاوروا فيما بينهم على أن يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة القوه من السفينة ليتخففوا منه، فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس فلم يسمحوا به، فلما عادوها ثانية ف وقعت عليه أيضًا، فشمّر ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه فأبوا عليه ذلك، ثم أعادوا القرعة الثالثة ف وقعت عليه أيضًا لما يريده الله به من الأمر العظيم، وبعث الله ﷻ حوتًا عظيمًا من البحر فالتقمه، وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحمًا ولا يهشم له عظمًا فليس له برزق، فأخذه فطاف به البحر، ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه فتحركت، فإذا هو حي فخر لله ساجدًا وقال: يا رب اتخذت لك مسجدًا، لم يعبدك أحد في مثله، فأمر الله الحوت فقذفه في أرض خالية من كل أحد ومن الأشجار والظلال، وهو مريض بسبب حبسه في بطن الحوت، حتى صار مثل الفرخ الممعوط

من البيضة؛ وأنبت الله عليه شجرة تظله بظلالها الظليل وهي باردة، ثم لطف به فأرسله إلى مئة ألف من الناس أو يزيدون، فدعاهم إلى الله فأمنوا، فصاروا في موازين أعماله، فمنعهم الله بأن صرف عنهم العذاب بعدما انعقدت أسبابه.

من الدروس والعبر المستفادة من هذه القصة العظيمة:

أولاً: أن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً، قال تعالى: ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضَّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

قال المفسرون: الظلمات ثلاث: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح]. قال الشاعر:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ذِرْعًا      وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ  
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتِهَا      فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

ثانياً: أن تقوى الله نجاة للعبد في الدنيا والآخرة ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصفات]. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ (٧٢) ﴿  
[مريم].

ثالثاً: استجابة الله لدعاء المؤمن؛ فإن يونس لما دعا ربه والتجأ إليه، كشف الله عنه هذه الغمة، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُفَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٨) [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ (٦٢) [النمل].

روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمَّا يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: لطف الله تعالى بعبده؛ فإن يونس - لما قذفه الحوت على الشاطئ وهو مريض - أنبت الله له شجرة اليقطين، قال بعضهم: هي القرع ورقها في غاية النعومة وكثير وظليل، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره نيئاً ومطبوخاً وبقشره وبزره أيضاً.

خامساً: قدرة الله تعالى المطلقة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢) [يس]. وهو سبحانه الذي أمر الحوت أن لا يأكل له لحماً، ولا يهشم له عظماً.

سادساً: أن المؤمن قد يعاقب على ذنبه في الدنيا، قال تعالى:

(١) ص ٥٥٢ برقم ٣٥٠٥، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٣/١٦٨) برقم ٢٧٨٥.

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [١٢٣] [النساء]. وقال أيضًا: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ  
مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [٣٠] [الشورى].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.





## الكلمة الرابعة والأربعون

### سيرة طلحة بن عبيد الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها: صحابي من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ عدا غزوة بدر، فقد غاب عنها لعارض ما، فضرب له النبي ﷺ أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه؛ وكان من السابقين إلى الإسلام، فهو أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة، وأبلى في معركة أحد بلاءً عظيمًا، حتى إن النبي ﷺ قال: «أَوْجَبَ» - يعني وجبت له الجنة -، وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد يقول: هذا اليوم كله لفلان - يعني طلحة -؛ ولما قدم النبي ﷺ المدينة، آخى بينه وبين أبي أيوب الأنصاري، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض.

إنه فارس الإسلام: طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، ويكنى أبا محمد، ويعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض، لكرمه وجوده؛ وصفه ابنه موسى فقال: كان أبي أبيض يضرب إلى الحمرة،

مربوعاً إلى القصر هو أقرب، رحب الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم القدمين وقد لقي في بداية إسلامه أذى شديداً، فقد أخذه نوفل ابن خويلد هو وأبو بكر الصديق فشدهما في جبل واحد، ولم يمنعهما بنو تميم، وكان يعذبهما تعذيباً شديداً، فلم يجيباه إلى ما أراد من الرجوع عن الإسلام إلى الكفر.

وكانت لهذا الصحابي مواقف بطولية رائعة تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين، فمن أعظم تلك المواقف: ما بذله يوم أحد من دفاع عن النبي ﷺ، فقد تكاثر المشركون على النبي ﷺ، فكان يحميه بجسده عن النبال والسيوف أن تصيبه، حتى إنه جرح يوم أحد أربعاً وعشرون جراحةً، ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح، وثلت أصابعه.

روى البخاري في صحيحه من حديث قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة بن عبيد الله شلاء<sup>(١)</sup>، وقى بها النبي ﷺ<sup>(٢)</sup> وكان النبي ﷺ قد كسرت رباعيته<sup>(٣)</sup>، وجرحت شفته، وسال الدم على وجهه، فجعل طلحة يكر على المشركين حتى يدفعهم عن النبي ﷺ، ثم ينقلب إلى النبي ﷺ ليرقى به إلى الجبل.

روى الترمذي في سننه من حديث الزبير رضي الله عنه قال: «كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ دِرْعَانٌ، فَنَهَضَ إِلَى صَخْرَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ (من الثقل والإعياء)، فَأَقْعَدَ تَحْتَهُ طَلْحَةَ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى

(١) ص ٧١١ برقم ٣٧٢٤.

(٢) شلاء أي مشلولة.

(٣) الرباعية: هي السنة التي بين الناب والثنية.

الصَّخْرَةَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَوْجَبَ طَلْحَةَ» أَي وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ<sup>(١)</sup>. وروى البخاري ومسلم من حديث أبي عثمان قال: «لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ - عَنْ حَدِيثِهِمَا -»<sup>(٢)</sup>.

ومن فضائله العظيمة: ما رواه الترمذي في سننه من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث موسى بن طلحة قال: دخلتُ على معاوية فقال: ألا أبشرك؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ»<sup>(٤)</sup>.

قال شراح الحديث: أي بذل نفسه في سبيل الله، حتى لم يبق بينه وبين الهلاك شيء، فهو كمن قتل وإن كان حيًّا.

وقد اشتهر رضي الله عنه بالكرم والإنفاق والبذل، لذلك: سمي طلحة الخير، وطلحة الفياض.

يقول قبيصة بن جابر رضي الله عنه: صحبت طلحة فما رأيت أعطى لجزيل مال منه من غير مسألة، وذكر الحافظ في الإصابة: «أن قتله

(١) ص ٥٨٣ برقم ٣٧٣٨، قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) ص ٧١١ برقم ٣٧٢٢.

(٣) ص ٥٨٤ برقم ٣٧٣٩، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٢١٦/٣) برقم ٢٩٤٠.

(٤) ص ٥٨٤ برقم ٣٧٤٠، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٢١٦/٣) برقم ٢٩٤٢.

كان على يد مروان بن الحكم في معركة الجمل»، روى يعقوب بن سفيان في كتابه «المعرفة والتاريخ» عن قيس بن أبي حازم: أن مروان ابن الحكم رأى طلحة، وقال: هذا ممن أعان على قتل عثمان، فرماه بسهم فأثبته في ركبته، فجعل الدم ينزف منه حتى مات<sup>(١)</sup>. قال الذهبي: نشهد الله على بغض قتلة الصحابة أمثال طلحة والزبير وعلي، ونبراً إلى الله من فعلهم، ونكل أمرهم إلى الله<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ودخل عمران بن طلحة بعد معركة الجمل على علي بن أبي طالب فرحّب به وأدناه، وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك والزبير بن العوام ممن قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾<sup>(٤٧)</sup> [الحجر].

وكان قتله سنة ست وثلاثين من الهجرة في جمادى الآخرة، وله أربع وستون سنة.

رضي الله عن طلحة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.



(١) الإصابة (٣/٢٩٢)، وقال ابن حجر: إسناده صحيح.  
(٢) تاريخ الإسلام ص ٦٥٤، عهد الخلفاء الراشدين بتصرف.

الكلمة الخامسة والأربعون

الخوف من الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الخوف من الله من أفضل مقامات الدين وأجملها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَلَّهْ عَيْنًا وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ [الطور]. وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ [الرحمن]. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ [النازعات]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» ذكر منهم: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمته الله: الخوف على

أقسام:

(١) أي خائفين.

(٢) ص ٢٧٧ برقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم ص ٣٩٧ برقم ١٠٣١.

الأول: خوف السر وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره، قال تعالى عن قوم هود إنهم قالوا: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبَكَ بَعْضُ إِلَهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [هود]. وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر].

وهذا الواقع من عبادة القبور ونحوها من الأوثان، يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها، وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس، فهذا محرّم؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران]. وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قامَ خَطِيبًا فَكَانَ فِيهَا قَالَ: «أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ: أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ» قَالَ: فَبَكَى أَبُو سَعِيدٍ، وَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ رَأَيْنَا أَشْيَاءَ فَهَبْنَا<sup>(١)</sup>.

الثالث: الخوف الطبيعي: وهو الخوف من عدو أو سبُع أو غير ذلك، وهذا لا يذم؛ قال تعالى عن نبيه موسى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [١١] [القصص]. ومعنى قوله: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يخوفكم أوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]. وهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين

(١) ص ٤٣١ برقم ٤٠٠٧، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (٣٦٨/٢) برقم ٣٢٣٧.

أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله تعالى، فلا يخافون إلا إياه، وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده، ورضيه منهم؛ فإذا أخلصوا له الخوف وجميع العبادة، أعطاهم ما يرجون، وأمّنهم من مخاوف الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٦) [الزمر].

قال العلامة ابن القيم: ومن كيد عدو الله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائهم، لئلا يجاهدوهم ولا يأمرؤهم بمعروف، ولا ينهؤهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافه.

قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: يعظمهم في صدوركم، فكلما قوي إيمان العبد، زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٧٦) [النساء]. وكلما ضعف إيمانه، قوي خوفه منهم. فدلّت هذه الآية على أن إخلاص الخوف: من شروط كمال الإيمان<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الخوف ما حجزك عن محارم الله<sup>(٢)</sup>؛ قال ابن رجب الحنبلي: القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات،

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٣٩٦-٣٩٧.

(٢) مدارج السالكين (١/٥٥١).

والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً<sup>(١)</sup>.

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾<sup>(٦٠)</sup>؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو علي الروذباري: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت؛ وقال الفضيل بن عياض: الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحاً، فإذا نزل الموت فإن الرجاء أفضل<sup>(٣)</sup>.

ويشهد لذلك: ما رواه الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا

(١) التخويف من النار/ لابن رجب، ص ٢١.

(٢) ص ٥٠٤ برقم ٣١٧٥، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٧٩/٣) برقم ٢٥٣٧.

(٣) التخويف من النار/ لابن رجب، ص ١٦.

الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَأَمْنَهُ مِمَّا يَخَافُ»<sup>(١)</sup>.

وقال عمر: لو نادى منادٍ من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلاً واحداً، لخفت أن أكون أنا هو.

وخرج عمر يوماً إلى السوق ومعه الجارود، فإذا امرأة عجوز فسلم عليها عمر فردت عليه، وقالت: هيه يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام حتى سمعت عمر ثم قليل فسمعت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشى الفوت، فبكى عمر، فقال الجارود: لقد أجتزأت على أمير المؤمنين وأبكيته، فأشار إليه عمر أن دعها، فلما فرغ قال: أما تعرف هذه؟ قال: لا. قال: هذه خولة ابنة حكيم التي سمع الله قولها، فعمر أخرى أن يسمع كلامها - أشار إلى قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(١)</sup> -.

وقال عمر رضي الله عنه لما طعن: لو أن لي طلاع الأرض ذهباً، لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه<sup>(٢)</sup>؛ وقال عمر بن عبد العزيز: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء.

وبكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني غداً

(١) ص ١٧٧ برقم ٩٨٣، وحسنه الألباني رضي الله عنه في صحيح الترمذي (٢٨٩/١) برقم ٧٨٥.

(٢) صحيح البخاري ص ٧٠٥ رقم ٣٦٩٢.

في النار ولا يبالي؛ وقال يحيى بن معاذ الرازي: على قدر حبك لله  
يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق؛ وقال الإمام  
أحمد بن حنبل: الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب، فلا  
أشتهيه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة السادسة والأربعون

دروس وعبر من قوله تعالى:

﴿ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ (١٩٦)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢١) [ص].

وعملاً بالآية الكريمة: لنستمع إلى آية من كتاب الله، ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ (١٩٦) مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٨) [آل عمران].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب والملذات، وأنواع العز والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله متاع قليل ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلاً، ويُعَذَّبُونَ عليه طويلاً، وهذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه، أما المتقون لربهم المؤمنون

به: فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فلو قُدِّرَ أنهم في دار الدنيا قد حصل لهم كل بؤس وشقاء، لكان هذا - بالنسبة إلى النعيم المقيم والعيش السليم - : نزرًا يسيرًا ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾: الذين برت أقوالهم وأفعالهم فأثابهم البر الرحيم من بره أجرًا عظيمًا وعطاءً جسيمًا وفوزًا دائمًا. اهـ<sup>(١)</sup>.

#### ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: ألاَّ يَغْتَرَّ المؤمن بحال هؤلاء الكفار وما هم فيه من النعمة والغبطة والسرور، فهو متاع زائل يعقبه عذاب أبدي سرمدي، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيهٍ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [٦١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [٦٦] مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [٧٠]. [يونس].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُؤْتَى بِأَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ! يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ!

(١) تفسير ابن سعدي ص ١٤٤.

هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ! يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» (١).

ثانياً: أن كثرة النعم والخيرات التي يعطيها الله لعبده، ليست دليلاً على محبته، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَنَبِينٍ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ؛ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام] (٢).

ثالثاً: أن إمهال الله لهؤلاء الكفار وتتابع النعم والخيرات لهم، إنما هو زيادة لهم في عذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطَمِّئِلُهُمْ خَيْرٌ لِنَفْسِهِمْ إِنََّّمَا نُطَمِّئِلُهُمْ لِيزدادوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة].

رابعاً: أن ما يعطيه الله للكفار من نعم الدنيا، إنما ذلك لهوان الدنيا عنده وحقارتها، وابتلاء لهم وفتنة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أذْهَبْتُمْ طِبَابِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف].

(١) ص ١١٢٩ برقم ٢٨٠٧.

(٢) (٥٤٧/٢٨) برقم ١٧٣١١، وقال محققوه: حديث حسن.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين أن عمر رضي الله عنه صعد إلى مشربة النبي صلى الله عليه وسلم لما ألى صلى الله عليه وسلم من نسائه، فرآه متكئاً على رملٍ حصيرٍ قد أثر بجنبه، فابتدرت عيناه بالبكاء وقال: يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه؟! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس، وقال: «أَفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» وفي رواية: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ؟!»<sup>(٢)</sup>.

خامساً: الترغيب في الآخرة والزهد في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ حَيْرٌ وَابْقَىٰ﴾ [طه]. وقال تعالى: ﴿وَرُحْرُقًا وَإِنْ كُُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف].

سادساً: بيان حقارة الدنيا وهوانها على الله؛ روى الترمذي في سننه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) ص ١١٢٩ برقم ٢٨٠٨.

(٢) جزء من حديث ص ٩٦٨ برقم ٤٩١٣، وصحيح مسلم ص ٥٩٥ برقم ١٤٧٩.

(٣) ص ٣٨٣ برقم ٢٣٢٠، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٩) برقم ١٨٨٩.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بالسوق والناس عن جانبه، فمر بجدي أسك - أي صغير الأذن - فقال: «أَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بَدْرُهُمْ؟» فقالوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قالوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ اللَّهُ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث مُسْتَوْرِدِ أَخِي بَنِي فَهْرٍ رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِضْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ؟!»<sup>(٢)</sup>.

قال أبو العتاهية وهو يصف الدنيا :

إِذَا أَبَقَتِ الدُّنْيَا عَلَى المَرءِ دِينَهُ      فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرٍ  
إِذَا كُنْتَ بِالدُّنْيَا بَصِيرًا فَإِنَّمَا      بِلَاغِكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ المُسَافِرِ  
وَإِنَّ امْرَأً يَبْتَاعُ دُنْيَا بَدِينِهِ      لَمُنْقَلِبٍ مِنْهَا بِصَفْقَةٍ خَاسِرٍ  
أَلَمْ تَرَهَا تُرْقِيهِ حَتَّى إِذَا سَمَا      فَرَتَ حَلْقَهُ مِنْهَا بِمُدِيَةٍ<sup>(٣)</sup> جَازِرٍ  
وَلَا تَعْدِلُ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ      لَدَى اللَّهِ أَوْ مِعْشَارَ زَغْبَةٍ<sup>(٤)</sup> طَائِرٍ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ص ١١٨٧ برقم ٢٩٥٦.

(٢) ص ١١٤٦ برقم ٢٨٥٨.

(٣) المُدِيَّة: السكين.

(٤) زغبة طائر: الزغب صغار الريش، الواحدة زغبة، المعجم الوسيط ص ٣٩٤.



الكلمة السابعة والأربعون

أمراض القلوب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فإنه ينبغي للمؤمن أن يعتني بسلامة قلبه وصحته من الأمراض، فإن القلوب تمرض كما تمرض الأبدان، وهذا القلب هو محل نظر الله ﷻ لعبده، والجوارح تبع لصلاح القلب وفساده.

قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۗ ﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ۗ ﴾ [النور]. وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (١).

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ: أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (٢).

(١) ص ١٠٣٥ برقم ٢٥٦٤.

(٢) ص ٦٥١ برقم ١٥٩٩، وصحيح البخاري ص ٣٤ برقم ٥٢.

فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقائه للشبهات بحسب صلاح قلبه، فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والشبهات بحسب اتباع هوى القلب؛ ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده وهم مع هذا جنود طائعون له، منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره يتابعونه في كل شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحاً كانت هذه الجنود صالححة، وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المثابة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]. وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «أَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا»<sup>(١)</sup>. فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها، وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وما يحبه الله، وخشية الله وخشية ما يباعد منه<sup>(٢)</sup>.

والقلوب تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قلب سليم، وقلب ميت، وقلب

مريض.

(١) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد (٣٣٨/٢٨) برقم ١٧١١٤، وقال محققوه: حديث حسن بطرقه.

(٢) جامع العلوم والحكم / لابن رجب، ص ٩٤ - ٩٥.

فالقلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «هو الذي سلم من الشرك والغل، والحقد والحسد، والشح والكبر، وحب الدنيا والرياسة، وسلم من كل شهوة تعارض أمره، ومن كل شبهة تعارض خبره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله» (١).

القلب الثاني: القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه ولا يعبد به وأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، وهذا هو قلب الكافر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

القلب الثالث: قلب له حياة وبه علة، فله مادتان تمدده: هذه مرة وتمده هذه مرة أخرى، وهو لما غلبه عليه: وهو قلب المنافق وصاحب الهوى، قال تعالى عن الأصناف التالية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا

(١) بدائع التفسير (٣/٣٢٧).

بِهِ فَتُخِبَتْ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ [الحج].

ومن علامات مرض القلوب: إيثار الدنيا على الآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>.

ومنها: القلق والخوف، قال تعالى: ﴿سَكُنْتُمْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ ﴿١٥١﴾ [آل عمران].

ومنها: هوان القبائح عليه والرغبة في المعاصي، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الجاثية].

ومنها: الشعور بقسوة القلب. قال بعض السلف: ما ضرب الله عبداً بعقوبة، أعظم من قسوة القلب، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ

قَسْوَةٌ ﴿٧٤﴾ [البقرة]. وعلاج هذه الأمراض - أعني أمراض القلوب -:  
 التوبة الصادقة والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، ففيهما الشفاء  
 والنور؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا  
 دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ  
 تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنفال]. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ  
 مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ [يونس].

وهذه القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، فينبغي للمؤمن أن يسأل  
 ربه أن يثبتته على الإيمان والطاعة.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أم سلمة رضي الله عنها:  
 تحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يكثر في دعائه أن يقول: «اللَّهُمَّ مُقَلِّبِ  
 الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قالت: قلت يا رسول الله، أو إن  
 القلوب لتتقلب؟! قال: «نَعَمْ، مَا مِنْ خَلْقٍ لِلَّهِ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَشَرٍ إِلَّا  
 أَنَّ قَلْبَهُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقَامَهُ، وَإِنْ  
 شَاءَ اللَّهُ أَرَاغَهُ، فَسَأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَنَسْأَلُهُ  
 أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٢٠١/٤٤) برقم ٢٦٥٧٦، وقال محققوه: بعضه صحيح بشواهده.



الكلمة الثامنة والأربعون

العشرة الزوجية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأمور التي اهتم بها الإسلام: أمر الأسرة داخل البيت وخارجه، ونظراً لأن أساس الأسرة الزوج والزوجة، فقد شرع لهما شرائع وحد لهما حدوداً وأوجب عليهما أموراً متى ما قام بها الزوجان صلحت الأسرة وسعدت، ومن ثم صلح المجتمع كله، وأشير هنا إلى بعض المعالم التي يهتدي بها الزوجان لإقامة الحياة الزوجية وإصلاحها.

فمن ذلك أن الله ﷻ خلق المرأة من الرجل ليناسبها فيسكن إليها وتتم بذلك النعمة ويحصل بذلك السرور، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنثَىٰ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١].

قال ابن كثير: «وخلق منها زوجها وهي حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٣٣).

«اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ»<sup>(١)</sup> ... الحديث.

ومن ذلك أن الله ﷻ جعل المرأة سكناً للرجل، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]؛ فكما أن الإنسان يتخذ المسكن ليستتر به ويتقي به الحر والبرد وغير ذلك، فإن الزوجة تكون سكناً لزوجها ليطمئن إليها ويجد في قربها الأُنس والراحة.

ومن ذلك أن الزوجين ستر لبعضهما ووقاية وجمال، وقد عبر عن ذلك ربنا ﷻ بهذا التعبير البليغ الجميل فقال: ﴿هُنَّ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لِهِنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومن ذلك إكرام المرأة وعدم إهانتها أو تحقيرها، وقد أمر الله ﷻ أن يسكنها حيث يسكن وأن يطعمها مما يطعم ويكسوها إذا اكتسى، قال الله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجُوْكُمْ﴾ [الطلاق: ٦]، وقال النبي ﷺ عندما سأله معاوية بن حيدة ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ - أَوْ: اِكْتَسَبْتَ - وَلَا تُضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك المودة والرحمة بينهما، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً

(١) ص ٦٣٥ برقم ٣٣٣١، صحيح مسلم ص ٥٨٦ برقم ١٤٦٨.

(٢) سنن أبي داود ص ٢٤٣ برقم ٢١٤٢، قال أبو داود: ولا تقبح: أن تقول قبحك الله، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٢/٢) برقم ١٨٧٥.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ [الروم].

قال أبو الأسود الدؤلي :

حُذِي الْعَفْوُ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضِبُ  
فَأِنِّي وَجَدْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ

ومن المعالم التي يُهتدى بها في إصلاح الحياة الزوجية أن ما بينهما من حقوق وما يلزمهما من واجبات كل ذلك مبني على ما تعارف عليه الناس من كرائم الأخلاق وجميل الصفات حسب ما جرى به العرف في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وقال النبي ﷺ لهند بنت عتبة: «حُذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدُكَ بِالْمَعْرُوفِ»<sup>(١)</sup>، وقد نص تعالى على أن للمرأة حقوقاً لزوجها وأن لها مثل الذي عليها مع اختصاص الرجل بالدرجة دونها، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقد بين تعالى هذه الدرجة في آية أخرى فقال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، ومع أن هذه الحقوق والواجبات مبنية على ما جرت به عادات الناس الكريمة كما سبق بيانه فإن النصوص الشرعية قد نصت على أمور يجب التنبه لها وعدم الغفلة عنها، فمن ذلك:

أولاً: أن على الزوجة طاعة زوجها في غير معصية الله، قال

(١) صحيح البخاري ص ١٠٦٢ برقم ٥٣٦٤، وصحيح مسلم ص ٧١٢ برقم ١٧١٤ .

تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِن أَطَعْنَكُمْ فَلَا بُغْوَا عَلَيْنَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]، وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضَبَانَ عَلَيْهِمَا، لَعْنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن أبي أوفى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كُنْتُ امْرَأًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَلَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا كُلَّهُ حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا عَلَيْهَا كُلَّهُ، حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ لَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ»<sup>(٣)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده أن عبدالرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ»<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: التحبب والتودد إليه ، وتفقد حاجاته وخدمته في بيته

(١) ص ٦٢١ برقم ٣٢٣٧، وصحيح مسلم ص ٥٧٠ برقم ١٤٣٦.

(٢) صحيح مسلم ص ٥٧٠ برقم ١٤٣٦.

(٣) (١٤٥/٣٢) برقم ١٩٤٠٣، وقال محققوه: حديث جيد.

(٤) (١٩٩/٣) برقم ١٦٦١، وقال محققوه: حسن لغيره.

وتربية أولاده، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»<sup>(١)</sup>.

وقد وصفت المرأة الصالحة في حديث آخر رواه النسائي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»<sup>(٣)</sup>.

قال النووي رحمته الله: وسببه أن الزوج له حق الاستمتاع بها في كل الأيام، وحقه فيه واجب على الفور، فلا يفوته بتطوع، ولا بواجب على التراخي<sup>(٤)</sup>.

وقد ضربت أم المؤمنين عائشة رضي عنها أروع الأمثلة في ذلك عندما كانت تتأخر بقضاء الصيام من شهر رمضان حتى يأتي شهر شعبان، وقد عللت ذلك بقولها: أنشغل من رسول الله ﷺ أو برسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١) ص ٥٨٥ برقم ١٤٦٧.

(٢) ص ٣٤٢ برقم ٣٢٣١، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في مشكاة المصابيح (٩٧٦/٢) برقم ٣٢٧٢.

(٣) ص ١٠٢٩ برقم ٥١٩٥، وصحيح مسلم ص ٣٩٥-٣٩٦ برقم ١٠٢٦.

(٤) شرح صحيح مسلم (١١٥/٣).

(٥) صحيح البخاري ص ٣٧٠ برقم ١٩٥٠، وصحيح مسلم ص ٤٤٢ برقم ١١٤٦.

ثالثاً : حفظها نفسها والابتعاد عن كل ما يدخل الشكوك عليه، روى الترمذي في سننه من حديث عمرو بن الأحوص رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع: «فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ نِسَائِكُمْ: فَلَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً : عدم الخروج إلا بإذنه حتى لو كان ذلك إلى المسجد، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ نِسَاؤُكُمْ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَذِّنُوا لَهُنَّ»<sup>(٢)</sup>.

نقل ابن حجر عن النووي قوله: استدل به على أن المرأة لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه لتوجه الأمر إلى الأزواج بالإذن، وتعقبه ابن دقيق العيد بأنه إن أخذ من المفهوم فهو مفهوم لقب وهو ضعيف لكن يتقوى بأن يقال: إن منع الرجال نساءهم أمر مقرر، وإنما علق الحكم بالمساجد لبيان محل الجواز فيبقى ما عداه على المنع، وفيه إشارة إلى أن الإذن المذكور لغير الوجوب لأنه لو كان واجباً لانتفى صفة الاستئذان لأن ذلك إنما يتحقق إذا كان المستأذن مخيراً في الإجابة أو الرد<sup>(٣)</sup> اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله عند شرحه حديث: «اسْتَوْصُوا

(١) ص ٢٠٧ برقم ١١٦٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) ص ١٧٥ برقم ٨٦٥، وصحيح مسلم ص ١٨٧ - ١٨٨ برقم ٤٤٢.

(٣) فتح الباري (٢/ ٣٤٧ - ٣٤٨).

بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ»<sup>(١)</sup>. فالمرأة عند زوجها تشبه الرقيق والأسير، فليس لها أن تخرج من منزله إلا بإذنه سواء أمرها أبوها أو أمها أو غير أبويها باتفاق الأئمة<sup>(٢)</sup>.

كما أن على الزوج مع ما سبق ذكره التنبه لهذه الأمور التالية:

١- إيفائها مهرها الذي استحله به فرجها، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤].

٢- الإنفاق عليها بطيب قلب وسخاء نفس، قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]، وقال النبي ﷺ لسعد رضي الله عنه: «وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى اللَّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»<sup>(٣)</sup>.

٣- ترك مضاررتها وعدم إهانتها بقول أو فعل، قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

٤- إكرامها والثناء عليها فيما تقوم به من خدمة وتربية وغيرها، والتجاوز عن هفواتها، قال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»<sup>(٤)</sup>.

(١) جزء من حديث في سنن الترمذي ص ٢٠٧ برقم ١١٦٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، ومعنى قوله: (عوان عندكم) يعني: أسرى في أيديكم.

(٢) الفتاوى (٢٦٣/٣٢).

(٣) صحيح البخاري ص ١١٣ برقم ٥٦٦٨؛ وصحيح مسلم ص ٦٦٧ - ٦٦٨ برقم ١٦٢٨ واللفظ له.

(٤) سنن الترمذي ص ٦٠١ برقم ٣٨٩٥، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في آداب الزفاف ص ٢٦٩.

قال الشاعر يمدح امرأة :

وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ  
فَمَا التَّائِيثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّذْكَيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: «لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»<sup>(١)</sup>.

٥- إعاتها على دينها وحثها على الخير وتعليمها ما ينفعها، فعلى سبيل المثال لا يدخل عليها شيء من آلات الطرب والأجهزة الإعلامية التي تبث الفساد وتنشر الرذيلة، وتهدم الأخلاق الفاضلة، وأن يتعاهدها بالحجاب، ويأمرها بأداء الصلاة في أوقاتها وسائر العبادات الأخرى ويعلمها الأخلاق الكريمة والآداب الإسلامية وغيرها من الأمور الشرعية، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أدبهم وعلموهم الخير، والحقوق والواجبات بين الزوجين كثيرة جداً، منها الواجب ومنها المستحب وما بين ذلك إلا أنه مما ينبغي التنبيه عليه في ختام هذه الكلمة أن على الزوجين أن يلتزم كل واحد منهما بالقيام

(١) ص ٥٨٦ برقم ١٤٦٩ .

بما فرض الله عليه من الواجبات والحقوق تجاه الآخر، فلا تطلب الزوجة مثلاً أن تُساوي الرجل في جميع حقوقه، ولا يستغل الرجل ما فضله الله تعالى به عليها من السيادة والرياسة فيظلمها ويضربها بدون حق، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(١)</sup> [البقرة: ٢٢٨].

قال شريح القاضي :

رَأَيْتُ رِجَالًا يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ فَشَلَّتْ يَمِينِي حِينَ أَضْرَبُ زَيْنَبَ  
أَضْرِبُهَا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أَتَتْ بِهِ فَمَا الْعَدْلُ مِنِّي ضَرْبٌ مِنْ لَيْسَ مُذْنَبًا  
وَزَيْنَبُ شَمْسٌ وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُنَّ كَوْكَبًا

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: آداب الزفاف للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ ص ٢٦٩ .



الكلمة التاسعة والأربعون

أضرار المخدرات والمسكرات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،  
قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة].

في هذه الآية الكريمة يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة ويخبر أنها من عمل الشيطان وأنها رجس والخمر كل ما خامر العقل أي غطاه بسكره.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء، فنزلت هذه الآية التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩] قال: فدعي عمر فقرأت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى: «أَنْ لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكَرَانٌ»، فدعي عمر فقرأت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرأت عليه، فلما بلغ

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ (١) قال: فقال عمر: انتهينا، انتهينا (١).

ولا شك أن الجميع يعرف أن الخمر وجميع المخدرات والمسكرات حرام ولكني انطلق في الكلام عن هذا الموضوع لحديث وجدته عن النبي ﷺ يقول فيه فيما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَّ (٢) وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ» (٣).

فقوله: يستحلون تشير إلى أنه سيأتي أقوام لا يباليون بما حرم الله عليهم بل يتخذونه حلالاً كحل الطيبات. ومما جاء في الوعيد الشديد لمن شرب الخمر ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ - وَجَيْشَانَ مِنَ الْيَمَنِ - فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الذُّرَّةِ يُقَالُ لَهُ: الْمَزْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُسْكِرٌ هُوَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَاةُ أَهْلِ النَّارِ» (٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ

(١) (١/٤٤٣) برقم ٣٧٨ وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) أي الزنا.

(٣) ص ١١٠١ برقم ٥٥٩٠.

(٤) ص ٨٣١ برقم ٢٠٠٣.

يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»<sup>(١)</sup>،  
وروى النسائي في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
«ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالذَّيْوُثُ  
الَّذِي يُقَرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبْثُ»<sup>(٢)</sup>.

وشارب الخمر ملعون على لسان النبي صلى الله عليه وسلم روى أبو داود في  
سننه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ: وَشَارِبَهَا  
وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ  
إِلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

والخمر أم الخبائث، ومفتاح كل شر وفساد، ويلحق بالخمر  
جميع أنواع المخدرات من الحشيش والكوكاين، والأفيون،  
والهروين، وكذلك الحبوب التي دمرت كثيراً من شباب المسلمين  
اليوم يدسها الأعداء لإضعاف قوة المسلمين، وإبعادهم عن دينهم،  
مع أن هذه الحبوب حتى عند المجتمعات الكافرة ممنوعة ومتعاطيها  
إن استمر عليها فلا بد أن يصيبه الجنون وهذا مشاهد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إن الحشيشة حرام يحد  
متناولها كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر من جهة  
أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة وغير  
ذلك من الفساد، وقال في موضع آخر: هذه الحشيشة الملعونة هي

(١) ص ٥٤ برقم ٥٧ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ٤٦٧ برقم ٢٤٧٥.

(٢) (٢٦٥/١٠) برقم ٦١١٣ وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) ص ٤٠٦ برقم ٣٦٧٤.

وآكلوها ومستحلوها موجبة لسخط الله وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين، المعرضة صاحبها لعقوبة الله، تشمل على ضرر في دين المرء وعقله وخلقه وطبعه تفسد الأمزجة حتى جعلت خلقاً كثيراً مجانين، وتورث مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك، ما لا تورث الخمر ففيها من المفاسد ما ليس في الخمر فهي بالتحريم أولى، وقد أجمع المسلمون على أن المسكر منها حرام، ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قُتل مرتداً لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين وأن القليل منها حرام أيضاً بالنصوص الدالة على تحريم الخمر وتحريم كل مسكر»<sup>(١)</sup> ١ هـ .

قال الشاعر:

قُلْ لِمَنْ يَأْكُلُ الْحَشِيشَةَ جَهْلًا      عِشْتَ فِي أَكْلِهَا بِأَقْبَحِ عَيْشَةٍ  
قِيَمَةُ الْمَرْءِ جَوْهَرٌ فَلِمَاذَا      يَا أَخَا الْجَهْلِ بَعْتَهُ بِحَشِيشَةٍ

وقال قيس بن عاصم المنقري:

رَأَيْتُ الْخَمْرَ صَالِحَةً وَفِيهَا      خِصَالٌ تُفْسِدُ الرَّجُلَ الْحَلِيمًا  
فَلَا وَاللَّهِ أَشْرَبُهَا صَاحِحًا      وَلَا أَسْقِي بِهَا أَبَدًا سَقِيمًا  
وَلَا أُعْطِي بِهَا ثَمَنًا حَيَاتِي      وَلَا أَدْعُو لَهَا أَبَدًا نَدِيمًا  
فَإِنَّ الْخَمْرَ تَفْضُحُ شَارِبِيهَا      وَتَجْنِيهِمْ بِهَا الْأَمْرَ الْعَظِيمًا

أما الأضرار والمآسي والقصص المحزنة التي حدثت بسبب المخدرات والمسكرات فهي معروفة لدى الجميع، بل إن النبي ﷺ

(١) الفتاوى (٢١٣/٣٤) بتصرف.

حرم التداوي بالخمير وما شابهها من المخدرات والمسكرات لأن الله تعالى لم يجعل شفاءنا فيما حرم علينا. روى مسلم في صحيحه من حديث طارق بن سويد: سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْخَمْرِ؟ فَهَأُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا، فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ»<sup>(١)</sup>.

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً وهو يحتضر، فجعل يلقن الشهادتين، فيأبى ويقول: هو كافر بها، قال: فسالت عنه فإذا هو مدمن خمر.

وأختم بالتذكير بعظم الأمانة والمسؤولية الملقاة على الآباء والمسؤولين فإن هذه الفتنة قد كثرت وانتشرت حتى في بلاد المسلمين واضطرت الحكومات والدول أن تنشئ لها المصحات والمستشفيات.

وقد تبين أن من أعظم أسباب الوقوع فيها إهمال أولياء الأمور من الآباء والأمهات مراقبة الأولاد وضعف التربية وترك المجال لهم لمصاحبة رفقاء السوء، ودعاة الرذيلة، فليحذر من ذلك وليؤخذ بأسباب النجاة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة الخمسون

دروس وعبر من قصة استشهاد الخليفة عمر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وهو يقول: لئن سلمني الله، لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب، قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أُصيب، وكان إذا مر بين الصفيين قال: استووا حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني، أو أكلني الكلب. حين طعنه فطار العليج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرئساً، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر من

قتلني، فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال: إن شئت فعلتُ، أي: إن شئت قتلنا قال: كذبت بعدما تكلموا بلسانكم، وصلّوا قبلتكم، وحجّوا حجّكم.

فاحتُمِل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأُتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أُتي بلبن فشربه، فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس، فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببُشرى الله لك، من صُحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردّوا عليّ الغلام، قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنّه أبقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر، انظر ما عليّ من الدين، فحسبوه فوجدوه ستّة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفي له مال آل عمر فأدّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش، ولا تعدّهم إلى غيرهم، فأدّ عني هذا المال. انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين، فإنّي لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها

قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسِي، ولأُوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلّم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فادخلوني، وإن ردّتي ردّوني إلى مقابر المسلمين<sup>(١)</sup>.

أولاً: رحمته ﷺ بالأمة وشفقته عليها القريب منهم والبعيد وها هو ﷺ يريد أن يرتب أموراً يستغني بها الضعفاء كالنساء اللاتي لا يستطعن إيصال حوائجهن إليه، ويكفون بها عن الاحتياج إلى غيره. ثانياً: حرص عمر أن يكون قاتله على غير الإسلام، وهذا من رحمته خوفاً أن يقتله مسلم فيهلك، فلما كان قاتله غير مسلم فرح بذلك وحمد الله.

روى البخاري في صحيحه أن عمر كان يقول: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك»<sup>(٢)</sup>. وجاء في رواية أخرى أن كعب الأحبار قال: يا أمير المؤمنين إني أراك تقتل في التوراة شهيداً في جزيرة العرب فقال له: «يا كعب وأنى لي الشهادة في جزيرة العرب»<sup>(٣)</sup>.

(١) ص ٧٠٧ برقم ٣٧٠٠.

(٢) ص ٣٥٩ برقم ١٨٩٠.

(٣) ذكره ابن الجوزي في مناقب عمر ص ٢١٢.

ثالثاً: فضل عمر وكرامته على الله حيث استجاب الله دعاءه ورزقه الشهادة في المدينة مع أنه لا يخطر على البال أن يكون شهيداً لأنها دار الإسلام وليست بدار حرب.

رابعاً: شدة ورعه وخوفه من الله فمع ثناء الناس عليه وعلمه بما قدم في الإسلام إلا أنه لم يغتر بذلك وتمنى أن ذلك كفافاً لا له ولا عليه بل إنه قال: لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه<sup>(١)</sup>.

خامساً: حرصه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمع أنه في سكرات الموت إلا أن ذلك لم يثنه عن النصيحة فإنه لما دخل عليه الشاب المسبل إزاره وأثنى عليه قال له: يا ابن أخي ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك.

سادساً: زهد عمر وعزوفه عن الدنيا، فمع أنه أمير المؤمنين إلا أنه فارق الحياة وهو مثقل بالدين يوصي بقضائه.

سابعاً: تواضع عمر فعندما أرسل ابنه عبد الله إلى عائشة لم يقل: أمير المؤمنين وإنما قال: يقرأ عليك عمر السلام.

ثامناً: اهتمامه بالصلاة وإتقانها فمع أنه في سكرات الموت إلا أنه قدم عبد الرحمن بن عوف ل يتم الصلاة بالمسلمين.

تاسعاً: اهتمامه بتسوية الصفوف في الصلاة، وهذه سنة ينبغي على أئمة المساجد أن يحرصوا عليها.

(١) صحيح البخاري: ص ٧٠٥ برقم ٣٦٩٢.

عاشراً: حرصه على تطبيق السنة في إطالة القراءة في صلاة الفجر فقد كان ﷺ يقرأ في الفجر بطوال المفصل.

الحادي عشر: حرصه على قضاء دينه ووصيته بذلك فإن النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الدروس المنقولة

من

الكلمات واللقاءات

فؤادك يومئذ

(١٠٠) درسي للترعة والخطباء وأئمة المساجد للقراءة على المصلين

إعداد

و. أمين بن عبد الله الشقاوي

مجتمع الخصال



## الكلمة الواحدة والخمسون

### القتل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فإن من أعظم الذنوب عند الله وأشدّها جرماً في الدنيا والآخرة بعد الشرك بالله القتل.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ﴾ [الفرقان]. وقد جعل سبحانه جزاء قتل النفس المؤمنة عمداً الخلود في النار وغضب الجبار، ولعنته، وإعداد العذاب العظيم له، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۖ﴾ [النساء]. روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ»، أو قال: «وَشَهَادَةُ الزُّورِ»<sup>(١)</sup>.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حال المؤمن بخير ما لم يصب دماً حراماً،

(١) ص ١٣١٠ برقم ٦٨٧١، ومسلم ص ٦٣ برقم ٨٨ بدون قوله: «أكبر الكبائر».

فروى البخاري من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا»<sup>(١)</sup>. والدماء هي أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة؛ روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»<sup>(٢)</sup>. وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ: - وَذَكَرَ مِنْهَا -: وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»<sup>(٣)</sup>. وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»<sup>(٤)</sup>.

والمعاهد من له عهد مع المسلمين سواء أكان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان مسلم.

قال ابن القيم: هذه عقوبة قاتل عدو الله إذا كان معاهداً في عهد وأمان فكيف بعقوبة قاتل عبده المؤمن، وإذا كانت امرأة قد دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً وعطشاً فرأها النبي ﷺ في النار والهرة تخذشها في وجهها وصدرها، فكيف عقوبة من حبس مؤمناً حتى مات بغير جرم؟! وفي سنن النسائي من حديث عبد الله

(١) ص ١٣٠٩ برقم ٦٨٦٢.

(٢) ص ١٣٠٩ برقم ٦٨٦٤ وصحيح مسلم ص ٦٩٥ برقم ١٦٧٨.

(٣) ص ١٣٠٨ برقم ٦٨٥٧ وصحيح مسلم ص ٦٣ برقم ٨٩.

(٤) ص ١٣١٨ برقم ٦٩١٤.

ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» (١)(٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامَ بغيرِ حِلِّهِ» (٣).

وقد كثرت حوادث القتل في وقتنا المعاصر وللأسف، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من ذلك غاية التحذير؛ فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» فقلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ» (٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (٥).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن القتل من علامات الساعة؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَفَهَا كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ (٦).

(١) ص ٤٢١ برقم ٣٩٨٧، صححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/٨٣٩) برقم ٣٧٢٢.

(٢) الجواب الكافي ص ١٠٤.

(٣) ص ١٣٠٩ برقم ٦٨٦٣.

(٤) ص ٣٠ برقم ٣٢، وصحيح مسلم ص ١١٥٧ برقم ٢٨٨٨.

(٥) قطعة من حديث ص ٣٣١ برقم ١٧٣٩، وصحيح مسلم ص ٦٩٥ برقم ١٦٧٩.

(٦) ص ٨٣ برقم ٨٥، وصحيح مسلم ص ١٠٧١ برقم ٢٦٧٢.

ولعل من أسباب القتل الذي كثر كما تقدم :

المشاجرة والخصام التي تحدث بين الطرفين، وتؤدي في النهاية إلى القتل، والشيطان يوجب ذلك، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (٥٣) [الإسراء].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» (١).

وروى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» (٢).  
ومنها الرغبة في الحصول على المال بأي طريقة كانت، فكم من حوادث قتل واختطاف واقتحام لبيوت المسلمين كل ذلك من أجل المال.

روى الترمذي في سننه من حديث عياض بن حمار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ» (٣).

ومنها استعمال الخمر والمخدرات فكم من أعراض قد انتهكت، وكم من دماء قد سفكت، وكم من أرحام قد قطعت بسببها،

(١) ص ١١٣١ برقم ٢٨١٢.

(٢) ص ٥٧ برقم ٦٤، وصحيح مسلم ص ٥٧ برقم ٦٤.

(٣) ص ٣٨٥ برقم ٢٣٣٦.

وصدق الله إذ يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المائدة].

ومنها قلة الخوف من الله، فإن تقوى الله تبعث على فعل الطاعات وترك المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة، فكيف بالقتل؟! وهو من أعظم الذنوب عند الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام]. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ» وذكر منها: «وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»<sup>(١)</sup>.

ومنها اعتناق الأفكار الضالة التي تسوغ له الإقدام على قتل أخيه المسلم واستحلال دمه، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴿٨﴾﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

والأسباب كثيرة لمن أراد التبع والتقصي في ذلك.

وليعلم المؤمن أن القتل من أعظم الظلم عند الله، ولن يفلت القاتل من عقوبة الله تعالى إما في الدنيا وإما في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء]. قال ابن كثير: أي إن الولي منصور على القاتل شرعاً، وغالباً قدرأ<sup>(٢)</sup>. اهـ.

(١) ص ١٣٠٨ برقم ٦٨٧٥، وصحيح مسلم ص ٦٣ برقم ٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير (٨/٩).

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيئُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْحَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ؛ هَذَا قَتَلَنِي حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٤٨٢ برقم ٣٠٢٩، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٤٠/٣) برقم ٢٤٢٥.

الكلمة الثانية والخمسون

شرح اسم الله الرزاق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الإمامان البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم: الرزاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾<sup>(٥٨)</sup> [الذاريات]. وقال تعالى: ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزَّاقِينَ﴾<sup>(١١٤)</sup> [المائدة].

قال الخطابي: الرزاق هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته، فلم يختص بذلك مؤمناً دون كافر، ولا ولياً دون عدو يسوقه إلى الضعيف الذي لا حيل له ولا مكتسب فيه كما يسوق إلى الجلد القوي ذي المرة السوي، قال سبحانه: ﴿وَكَايُنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦.

(٢) شأن الدعاء ص ٥٤.

عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴿٦﴾ [هود: ٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ورزقه لعباده نوعان:

الأول: رزق عام شمل البر والفاجر والأولين والآخرين وهو رزق الأبدان.

ثانياً: رزق خاص: وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم منه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته<sup>(١)</sup>.

وهذا أعظم رزق يمن الله به على العبد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ...» الحديث<sup>(٢)</sup>.

فإذا رزق الله العبد العلم النافع والإيمان الصحيح والرزق الحلال والقناعة بما أعطاه الله منه فقد تمت أموره واستقامت أحواله الدينية والبدنية، وهذا النوع من الرزق هو الذي مدحته النصوص النبوية<sup>(٣)</sup>. اهـ.

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٣٠٢/٥).

(٢) البخاري في الأدب المفرد ص ٢٧٥، وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الأدب المفرد

٢٠٩: صحيح موقوف في حكم المرفوع.

(٣) المجموعة الكاملة للشيخ السعدي (٣٨٨/٣).

ولذلك روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»<sup>(١)</sup>.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: أن المتفرد بالرزق هو الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك: ٢١].

أي أمن هذا الذي يطعمكم ويسقيكم ويأتي بأقواتكم إن أمسك ربكم رزقه الذي يرزقكم.

وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: أنه ينبغي للعبد أن يعلق رجاءه بالله وحده وأن الله إذا قدر له سبباً من أسباب الرزق أن يحمدّه على ذلك ويسأله أن يبارك له فيه، فإذا انقطع أو تعذر ذلك السبب فلا يتشوش قلبه فإن هذا السبب لا يتوقف رزق العبد عليه بل يفتح له سبباً غيره وأحسن منه

(١) ص ٤٠٤ برقم ١٠٥٤.

(٢) ص ١٢١٨ برقم ٦٣٣٠، وصحيح مسلم ص ٢٣٦ برقم ٥٩٣.

وأنفع، وربما فتح له عدة أسباب، فعليه في أحواله كلها أن يجعل فضل ربه، والطمع في بره نصب عينيه وقبلة قلبه ويكثر من الدعاء المقرون بالرجاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٧) [آل عمران] (١).

وعليه أن يفرغ خاطره لله بما أمر به ولا يشغله بما ضمن له فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان، فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً (٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا تأمل العاقل اللبيب حال الناس في هذا الزمان تراهم يهتمون بما ضمنه الله لهم ولا يهتمون بما أمرهم به، ويفرحون بالدنيا ويحزنون على فوات حظهم منها ولا يحزنون على فوات الجنة وما فيها ولا يفرحون بالإيمان فرحهم بالدرهم والدينار» (٣). اهـ.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي  
وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقِي فَلَيْسَ يَفُوتُنِي  
وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي  
وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْغَوَامِقِ  
وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ

وقال آخر:

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ١٥١.

(٢) فوائد الفوائد ص ٨٢.

(٣) الفوائد ص ٢٢٨.

فَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُنَالُ بِفِطْنَةٍ وَفَضْلٍ وَعَقْلٍ نِلْتُ أَعْلَى المَرَاتِبِ  
وَلَكِنَّمَا الأَرْزَاقُ حِطٌّ وَقِسْمَةٌ بِفَضْلِ مَلِيكَ لَا بِحِيلَةٍ طَالِبِ

ثالثاً: أن الله سبحانه متحكم في أرزاق عبادة فيجعل من يشاء غنياً كثير الرزق، ويقتصر على آخرين وله في ذلك حكم بالغة، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ [النحل: ٧١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٠]. قال ابن كثير: «أي: خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر، وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجاً والفقر عقوبة عياداً بالله من هذا وهذا»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وإن من العباد من لا يصلح حاله إلا بالغنى فإن أصابه الفقر فسد حاله ومنهم العكس.

رابعاً: كثرة الرزق في الدنيا لا تدل على محبة الله تعالى ولكن الكفار بجهلهم ظنوا ذلك، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥]. فظن هؤلاء الكفار أن كثرة الأموال والأولاد دليل على محبة الله لهم فرد الله ذلك بقوله: ﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٦].

خامساً: أن أسباب الرزق إنما تنال بطاعة الله، فبعض الناس يتعامل بالربا أو يأكل أموال الناس بالباطل، أو الغش أو التحايل

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٩).

أو يتعامل بطرق محرمة أو مشبوهة، قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]. روى أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»<sup>(١)</sup>.

سادساً: أن من أعظم أسباب الرزق التوكل على الله روى الترمذي في سننه عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن رجب: «فقد دل هذا الحديث على أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، فكذلك يتعبون أنفسهم في الأسباب ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد ولا يأتيهم إلا ما قدر لهم فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق الله إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب كما يسوق إلى الطير أرزاقها»<sup>(٣)</sup> بمجرد الغدو والرواح وهو نوع

(١) حليه الأولياء (١٠/٢٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (٤٢٠/١) برقم ٢٠٨٥.

(٢) سنن الترمذي ص ٣٨٦ برقم ٢٣٤٣، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١١١١/٢) برقم ٦٥١٦.

(٣) جامع العلوم والحكم (٥٠٢/٢).

من الطلب ولكنه سعي يسير<sup>(١)</sup>. اهـ.  
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) انظر: الأسماء الحسنى والصفات العلى، لأخينا الشيخ عبد الهادي بن حسن وهبي،  
ص ٥٢ - ٦٠.



الكلمة الثالثة والخمسون

ما ينتفع به الميت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثْرَهُمْ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس]. قال سعيد بن جبير: «ما سنوا من سنة فعمل بها قوم من بعد موتهم فإن كانت خيراً فلهم مثل أجورهم لا ينقص من أجر من عمل به شيئاً»<sup>(١)</sup>. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

فتبين من الآية الكريمة والحديث الشريف أن الميت ينتفع من عمل غيره بأمور.

أولاً: دعاء المسلم له لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٤٨).

(٢) ص ٦٧٠ برقم ١٦٣١.

روى مسلم في صحيحه من حديث صفوان بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكَ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ»<sup>(١)</sup>.

وهذا يشمل دعاء المسلم لأخيه الغائب حياً أو ميتاً.

ثانياً: قضاء ولي الميت الصوم عنه وفيه أحاديث:

منها ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي عنهما: «أَنَّ امْرَأَةً رَكِبَتِ الْبَحْرَ فَتَذَرَتْ إِنْ نَجَّاهَا اللَّهُ أَنْ تَصُومَ شَهْرًا فَتَنَجَّاهَا اللَّهُ فَلَمْ تَصُمْ حَتَّى مَاتَتْ فَجَاءَتْ ابْنَتُهَا أَوْ أُخْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَصُومَ عَنْهَا»<sup>(٣)</sup>.

فهذه الأحاديث صريحة الدلالة في مشروعية صيام الولي عن الميت صوم النذر وقد اتفق العلماء على ذلك واختلفوا فيما سواه.

ثالثاً: قضاء الدين عنه من أي شخص ولياً كان أو غيره.

روى الحاكم في المستدرک من حديث جابر بن عبد الله قال: مات رجل فغسلناه وكفناه وحنطناه، ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث

(١) ص ١٠٩٤ برقم ٢٧٣٣.

(٢) ص ٣٧٠ برقم ١٩٥٢، وصحيح مسلم ص ٤٤٢ برقم ١١٤٧.

(٣) ص ٣٧٢ برقم ٣٣٠٨، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٣٥) برقم ٢٨٢٩.

توضع الجنائز عند مقام جبريل ثم أذن رسول الله ﷺ بالصلاة عليه فجاء معنا خطي ثم قال: «لَعَلَّ عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ دَيْنًا» قالوا: نعم ديناران، فتخلف وقال: «صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ»، فقال له رجل منا يقال له: أبو قتادة: يا رسول الله هما عليّ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «هُمَا عَلَيْكَ وَفِي مَالِكَ وَالْمَيْتُ مِنْهُمَا بَرِيءٌ» فقال: نعم، فصلى عليه فجعل رسول الله ﷺ إذا لقي أبو قتادة يقول: «مَا صَنَعْتَ الدِّينَارَانِ؟» حتى كان آخر ذلك قال: قد قضيتهما يا رسول الله، فقال: «الآنَ حِينَ بَرَدَتْ عَلَيْهِ جِلْدُهُ»<sup>(١)</sup> أي بسبب رفع العذاب عنه بعد وفاته.

فأفاد هذا الحديث أن الميت ينتفع بقضاء الدين عنه ولو كان من غير ولده، وأن القضاء يرفع العذاب عنه فهي من جملة المخصصات لعموم قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم] (٣٩).

رابعاً: ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة فإن لوالديه مثل أجره دون أن ينقص من أجره شيء، لأن الولد من سعيهما وكسبهما والله ﷻ يقول: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم].

روى أحمد في مسنده من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) مستدرک الحاكم (٢/٣٧٠) برقم ٢٣٩٣، ومسنَد الإمام أحمد (٤٠٦/٢٢). وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) أحكام الجنائز للألباني ص ٢٨.

(٣) (٣٤/٤٠) برقم ٢٤٠٣٢ وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

قال الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ: ويؤيد ما دلت عليه الآية والحديث أحاديث خاصة وردت في انتفاع الميت بعمل ولده الصالح: كالصدقة والصيام والعتق والحج ونحوه<sup>(١)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ أُمَّي افْتَلَتَتْ نَفْسَهَا وَأَطْنُهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقَتْ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: فلي أجرٌ أن أتصدق عنها؟ قال: «نعم»<sup>(٣)</sup>.

خامساً: ما خلفه من بعده من آثار صالحة وصدقات جارية لقوله تعالى: ﴿وَنَكَتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]. ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ...»<sup>(٤)</sup>.

ولقوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشْرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) أحكام الجنائز ص ٢١٧.

(٢) ص ٢٧٠ برقم ١٣٨٨، وصحيح مسلم ص ٣٨٨ برقم ١٠٠٤.

(٣) صحيح مسلم ص ٦٦٩ برقم ١٤٠٠.

(٤) صحيح مسلم ص ٦٧٠ برقم ١٦٣١.

(٥) ص ٤١ برقم ٢٤٢، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ (٦/٢٨)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/١٢٨): إسناده صحيح.

روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ»<sup>(١)(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٩٣ برقم ١٠١٧.

(٢) انظر أحكام الجنائز للألباني رَحِمَهُ اللهُ ص ٢١٣ - ٢٢٦.



الكلمة الرابعة والخمسون

قضاء الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى الحاكم في المستدرک من حديث جابر رضي عنه قال: مات رجل فغسلناه وكفناه وحنظناه ووضعناه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث توضع الجنائز عند مقام جبريل ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه فجاء معنا خطي ثم قال: «لَعَلَّ عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ دَيْنًا» قالوا: نعم ديناران، فتخلف فقال له رجل منا يقال له أبو قتادة: يا رسول الله هما عليّ، فجعل رسول الله يقول: «هُمَا عَلَيَّ وَفِي مَالِكَ وَالْمَيْتُ مِنْهُمَا بَرِيءٌ» فقال: نعم فصلى عليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقي أبا قتادة يقول: «مَا صَنَعْتَ الدِّينَارَانِ؟» حتى كان آخر ذلك قال: قد قضيتهما يا رسول الله، قال: «الآنَ حِينَ بَرَّدْتَ عَلَيْهِ جِلْدَهُ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث وغيره من الأحاديث تدل على عظم شأن الدين وأنه لا يتساهل فيه وأنه خطير جداً فمع أن الدين كما في الحديث السابق لا يتجاوز درهمين إلا أن الميت لحقه كرب وشدة في قبره حتى قضي دينه.

(١) مستدرک الحاكم (٢/٣٧٠) برقم ٢٣٩٣، ومسند الإمام أحمد (٢٢/٤٠٦). وقال محققوه: إسناده حسن.

وكان النبي ﷺ يمتنع عن الصلاة على الميت المدين في بداية الإسلام لعظم شأن الدين، فلما فتح الله عليه الفتوح وكثرت الأموال صلى على من مات مديوناً وقضى عنه دينه.

والمؤمن نفسه معلقه بدينه حتى يُقضى عنه. روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»<sup>(١)</sup>.

قال الشوكاني: فيه الحث للورثة على قضاء دين الميت والإخبار لهم بأن نفسه معلقة بدينه حتى يُقضى عنه وهذا مقيد بمن له مال يقضى منه دينه، وأما من لا مال له ومات عازماً على القضاء فقد ورد في الأحاديث ما يدل على أن الله يقضي عنه<sup>(٢)</sup>.

والمؤمن قد يحبس عن الجنة بدينه: روى أبو داود في سننه من حديث سمرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ». فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ: «هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ». فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ: «هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ». فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ ﷺ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي فِي الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ أَمَا إِنِّي لَمْ أَنْوِّهْ بِكُمْ إِلَّا خَيْرًا إِنَّ صَاحِبَكُمْ مَأْسُورٌ بِدَيْنِهِ». فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَدَّى عَنْهُ حَتَّى مَا بَقِيَ أَحَدٌ يَطْلُبُهُ بِشَيْءٍ<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: «إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي

(١) ص ١٩١ برقم ١٠٧٨، ١٠٧٩، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير برقم ٦٧٧٩.

(٢) نيل الأوطار (٥٣/٢).

(٣) ص ٣٧٥ برقم ٣٣٤١، وصححه الألباني رحمته الله في أحكام الجنائز ص ٢٦.

مَاتَ فِيكُمْ قَدْ اخْتَبَسَ عَنِ الْجَنَّةِ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ الَّذِي عَلَيْهِ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَافْدُوهُ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَأَسْلِمُوهُ إِلَىٰ عَذَابِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

والشَّهيد تكفر عنه ذنوبه كلها إلا الدين. روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمد بن عبد الله بن جحش: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لِي إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ»، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «إِلَّا الدِّينَ سَارَنِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْفًا»<sup>(٣)</sup>، لأن دين الآدمي لا بد من إيفائه إما في الدنيا وإما في الآخرة، وحقوق العباد لا تسقط إلا بتنازلهم.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: والدِّينُ خطيرٌ جداً وهو هم بالليل وذل بالنهار فالإنسان مهما أمكنه يجب أن يتحرز من الدين وأن لا يسرف في الإنفاق، لأن كثيراً من الناس تجده فقيراً ثم يريد أن ينفق نفقة الأغنياء فيقترض من هذا ويقترض من هذا، ولو لم يكن لك إلا وجبة واحدة بالليل والنهار فلا تقترض واصبر وقل: اللَّهُمَّ اغْنِنِي، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٢٨]<sup>(٤)</sup>.

(١) مستدرک الحاکم (٣٢٣/٢) برقم ٢٢٦١، وقال الحاکم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. قلت: ويشهد له ما قبله.  
 (٢) ص ٧٨٥ برقم ١٨٨٦ .  
 (٣) (٢٨/٤٩١ - ٤٩٢) برقم ١٧٢٥٣. وقال محققوه: حديث صحيح لغيره.  
 (٤) شرح رياض الصالحين (٣٦٦/٥).

ومن الأمثلة على التساهل بالدين أن بعض الناس يقترض عشرات الآلاف من الريالات وليته لأمر ضروري إما للتجارة أو للتعامل بالأسهم، ثم يخسر هذا المسكين، وقد يدخل السجن من أجل هذا وتتراكم هذه الديون الضخمة على رقبته، فيعيش مهموماً حزيناً طول عمره ودمته مشغولة بهذا الدين، وما حوادث الأسهم الماضية عنا ببعيد فقد حصل فيها من المآسي ما يندى له الجبين ويفطر منه القلب، كل ذلك بسبب ضعف الدين، وقلة المبالاة، لأن الدين لا تكفره حتى الشهادة في سبيل الله.

وينبغي للدائن عند إقراضه للآخرين أن يراعي الأمور التالية:

١- أن يُقرض من طيب ماله لا من رديئه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٢- أن يحتسب الأجر بهذا الدين وألا يمن به فإن المن سبب لإحباط أجره، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [المائدة: ٢٦٤]، فإن أجر الدين كالصدقة، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ السَّلْفَ يَجْرِي مَجْرَى شَطْرِ الصَّدَقَةِ»<sup>(١)</sup>.

٣- أن يُنظر المدين ويخفف عنه الدين إذا رأى منه العسر والرغبة في السداد، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

(١) (٢٦/٧) برقم ٣٩١١، وقال محققوه: إسناده حسن .

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفَتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ»<sup>(١)</sup>.

٤- أن يقيد هذا الدين بالكتابة ويشهد عليه حتى لا يحصل الخلاف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْمُؤُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أما المدين فإن عليه أن يراعي الأمور التالية:

١- أن ينوي السداد عند أخذه الدين.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا، أَتْلَفَهُ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

٢- أن يسارع في قضاء الدين ويحذر المماطلة وأن يحسن القضاء، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَطَّلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي رافع: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَسَلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ<sup>(٤)</sup> فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِيهَا

(١) ص ٣٩٢ برقم ٢٠٧٨، وصحيح مسلم ص ٦٣٩ برقم ١٥٦٢.

(٢) ص ٤٤٧ برقم ٢٣٨٧.

(٣) ص ٤٢٧ برقم ٢٢٨٨، وصحيح مسلم ص ٦٣٩ برقم ١٥٦٤.

(٤) البكر هو الفتى من الإبل.

إِلَّا خِيَارًا رَبَاعِيًّا فَقَالَ: «أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر، وهو يتوعد دائنه بالمماطلة وعدم السداد:

أَمَاطِلُكَ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى تَمَلَّنِي وَتَرَضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ

٣- أن يتعوذ بالله من الدين، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلَبَةِ الرَّجَالِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه: «أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي قَالَ: أَلَا أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمْنِيَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ صِيرَ<sup>(٣)</sup> دِينًا أَدَاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟! قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»<sup>(٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٦٥٣ برقم ٢٢٨٨، وصحيح مسلم ص ٦٣٩ برقم ١٥٦٤.

(٢) ص ٥٥٦ برقم ٢٨٩٣.

(٣) معجم البلدان (٥/ ٢١٤). قال ياقوت الحموي: صير بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره راء، جبل بأجاء في ديار طيء فيه كهوف شبه البيوت، والصير جبل على الساحل بين سيراف وعمان.

(٤) ص ٥٥٩ - ٥٦٠ برقم ٣٥٦٣ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (١/ ٥١٢) برقم ٢٦٢٥.

الكلمة الخامسة والخمسون

الإعراض عن الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف: ٥٧].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: لا أظلم أي لا أحد أكثر ظلماً لنفسه ممن ذكر أي: وعظ بآيات ربه وهي هذا القرآن العظيم فاعرض عنها أي: تولى وصد عنها ونسي ما قدمت يداه من المعاصي والكفر؛ فالإعراض عن التذكرة بآيات الله من أعظم الظلم، وله نتائج سيئة، وعواقب وخيمة.

فمن ذلك الأكنة على القلوب حتى لا تفقهه الحق وعدم الاهتداء أبداً كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧].

ومنها انتقام الله ﷻ من المعرض عن التذكرة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

ومنها كون المعرض كالحمار كما قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ

﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴿المدثر﴾. أي: كأنهم الحمر الوحشية التي تفر من أسد يريد صيدها.

ومنها الأنداز عن الصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت].

ومنها المعيشة الضنك والعمى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

ومنها إدخاله العذاب الشديد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّيَ سَسَلْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن].

ومنها تقييض القرناء من الشياطين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعُشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف].

إلى غير من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة الناشئة للإعراض عن التذكير بآيات الله<sup>(١)</sup>. ا هـ.

وهذا الإعراض الذي ذمه الله هو إعراض الكفار والمنافقين عن سماع القرآن والسنة.

وذكر أهل العلم أن من نواقص الإسلام العشرة التي تخرج العبد من دائرة الإسلام: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة]. والمراد بالإعراض هو الإعراض عن تعلم

(١) أضواء البيان (٤/ ١٨١ - ١٨٣)، بتصرف.

أصل الدين الذي يكون به المرء مسلماً.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وأما الكفر فخمسة أنواع فذكرها ثم قال: وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة<sup>(١)</sup>. اهـ.

وأما الأقسام الأخرى التي سأذكرها فإنها لا تصل إلى درجة الكفر ولكنه يخشى على صاحبها العقوبة والمشابهة للكفار والمنافقين في الإعراض عن سماع الذكر.

القسم الأول: إعراض بعض الناس عن سماع الكلمات أو المحاضرات أو الخطب أو غيرها بزعم أنه لا تقوم عليه الحجة إذا لم يسمع، وهذا وقع في أمر أعظم من الذي فر منه، وهذا جهل مركب فالإعراض أخطر من الاستماع والتساهل في العمل، روى البخاري ومسلم من حديث أبي واقد الحارث بن عوف أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه: إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اِثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَلَّمَا، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلَقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَذْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) مدارج السالكين (١/٣٦٦ - ٣٦٧).

(٢) ص ٣٨ برقم ٦٤، وصحيح مسلم ص ٨٩٧ برقم ٢١٧٦.

القسم الثاني: الإعراض عن الذكر بسبب الاستغناء بما عنده، وفي الحقيقة أن هذا المسكين ليس عنده شيء من العلم وهذا من الغرور، وعلماء السلف رحمهم الله مع ما تلقوا من العلم الغزير إلا أن الواحد منهم كان إلى آخر لحظة من حياته يتمنى أن يسمع حديثاً يلقي الله تعالى وقد علمه وعمل به.

القسم الثالث: الإعراض لعدم معرفة أهمية ما يُلقى إليه مع أن العلم الشرعي هو غذاء القلوب، قال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حاجة الناس إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب: روى مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر قال: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ الْعَقِيقِ<sup>(١)</sup> فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ<sup>(٢)</sup> فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةٍ رَحِمٍ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كُلُّنَا نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «فَلَا تُنْزِلُوا أَحَدَكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ، أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِثْلِ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»<sup>(٣)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ

(١) بطحان والعقيق: واديان قرب المدينة.

(٢) ناقة كوما: أي عظمة السنام، وهي من أفضل أموال العرب.

(٣) ص ٣١٤ برقم ٨٠٣.

لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ  
الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ  
وَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يَرِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ  
أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٤٦/٣٦) برقم ٢١٧١٤، وقال محققوه: حسن لغيره.



الكلمة السادسة والخمسون

شرح حديث أسرعوا بالجنابة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

فحث النبي ﷺ في هذا الحديث على الإسراع بالجنابة في تجهيزها وتشيعها ودفنها وذلك أن الميت إما أن يكون صالحاً، وإما أن يكون سوى ذلك، فإن كان صالحاً فإن حبسه حيلولة بينه وبين ما أعد الله له من النعيم في قبره لأنه ينتقل من هذه الدنيا إلى دار خير منها وأفضل لأنه حين احتضاره ومنازعته للموت يبشر فيقال لروحه: «أَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ»، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة]. وإما إن كانت الجنابة غير صالحة فإنه ينبغي الإسراع بها كذلك لأنها شر يضعه المسلمون عن رقابهم وهي كذلك تبشر عند الاحتضار بغضب الله وسخطه فيعجل

(١) ص ٢٥٦ برقم ١٣١٥، وصحيح مسلم ص ٣٦٦ برقم ٩٤٤.

بها إلى العذاب، وفي الحديث: «أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ»<sup>(١)(٢)</sup>.

ومن فوائد الحديث:

أولاً: الإسراع بالجنائز وألا تؤخر وما يفعله بعض الناس من نقل الجنائز إلى أماكن بعيدة، أو تأخير الدفن لأيام، هذا كله خلاف السنة وجناية على الميت؛ أما إذا كان التأخير يسيراً لاجتماع الناس للصلاة عليه أو غير ذلك من المصالح فلا بأس.

ثانياً: إن الرجل الصالح ينتقل إلى دار أفضل من داره وأهل خير من أهله: روى البخاري ومسلم من حديث أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنه كان يحدث: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالِدَوَابُّ»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وُضِعَتِ الْجِنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟! يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ،

(١) شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين (٥٤٧/٤).

(٢) (٣٧٧/١٤ - ٣٧٨) برقم ٨٧٦٩. وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) ص ١٢٤٨ برقم ٦٥١٢، وصحيح مسلم ص ٣٦٨ برقم ٩٥٠.

وَلَوْ سَمِعَ الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: إن العبد الفاجر ينتقل من شهوات الدنيا ولذاتها إلى العذاب والجحيم فيضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه، ويُفتح له بابٌ إلى النار كما ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة ولذلك يقول: يا ويلها أين يذهبون بها.

رابعاً: إن من رحمة الله بالعباد إخفاء العذاب عن الميت ولو سمعه الإنسان لصعق وما يهنأ بطعام ولا شراب ولا نكاح. ولذلك النبي ﷺ قال فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٢٥٦ برقم ١٣١٦.

(٢) ص ١١٥٠ برقم ٢٨٦٧.



## الكلمة السابعة والخمسون

### المفهوم الخاطئ للدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الدين الإسلامي دين عام وشامل يشمل جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها من أمور الدنيا وأمر الآخرة وهذا المفهوم لا يأخذ به ولا يمثل له إلا المؤمنون الذين خاطبهم الله تعالى بذلك بقوله: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك»<sup>(١)</sup>. اهـ. ولهذا فإن أهل الكتابين اليهود والنصارى لما أخذوا بكتابهم ودينهم وشرعهم في بعض الجوانب ولم يأخذوا بذلك في جميع نواحي الحياة لم يكونوا مؤمنين وسماهم الله كفاراً وحكم عليهم بذلك فقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢٧٣).

الْقِيَمَةَ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ [البقرة].

ولنضرب أمثلة ثلاثة توضح لنا المفهوم الصحيح للدين الإسلامي والأخذ به ومن يستحق أن ينتسب ويؤجر عليه ومن لا يستحق .

المثال الأول: كفار قريش الذين بُعث فيهم النبي ﷺ وأمر بقتالهم وخاطبهم بقوله: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ...»<sup>(١)</sup> كانوا يراهنون على أن ما عندهم من الدين هو الحق ويكفي لقربهم من ربهم فقد كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأن الله هو الخالق الرزاق قال تعالى ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وكانوا يستغفرون، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُوا لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وكانوا يصلون، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]. روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: الحُمس هم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قالت: كان الناس يفيضون من عرفات وكان الحُمس<sup>(٢)</sup> يفيضون من مزدلفة ويقولون: لا نفيض إلا من الحرم، فلما نزلت ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ

(١) قطعة من حديث في مسند الإمام أحمد (١١/ ٦١٠-٦١١) برقم ٧٠٣٦، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) نعت قريش وكنانه وجذيلة ومن تابعهم في الجاهلية.

النَّاسُ ﴿البقرة: ١٩٩﴾، رجعوا<sup>(١)</sup> إلى عرفات.

وكانوا يقيمون الحج للناس يفعلون كل ذلك لله بل إن الورع بلغ بهم أن يطوفوا بالبيت عراة ويقولون: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها حتى إن تلبيتهم كانت لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ثم يزيدون إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

روى البخاري ومسلم من حديث عروة قال: كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحُمس، (والحُمس قریش وما ولدت)، وكانت الحُمس يحتسبون على الناس، يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها، وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها، فمن لم يعطه الحُمس طاف بالبيت عرياناً<sup>(٢)</sup>، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «أن النبي ﷺ أمر أن لا يطوف بالبيت عريان»<sup>(٣)</sup>. حتى دعائهم كانوا يخلصون لله أحياناً فيه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْم إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. فهل نفعهم ذلك؟ أو عصم دمائهم وأموالهم، كلا. لأنهم إن أخلصوا لله أحياناً، أشركوا به أحياناً، وإن أطاعوا أحياناً عصوه أخرى، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. قال عمر رضي الله عنه: يوشك أن تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية؛ فإذا كان الإنسان يجهل أمور الجاهلية

(١) ص ٤٨٦ برقم ١٢١٩، وصحيح البخاري ص ٨٥٥ برقم ٤٥٢٠.

(٢) ص ٣٢٠ رقم ١٦٦٥، وصحيح مسلم ص ٤٨٦ برقم ١٢١٩.

(٣) ص ٥٣٣ برقم ١٣٤٧.

فإنه حري أن يقع فيها لأن الشيطان ما نسيها ولا نام عنها بل يدعو إليها، قال الشاعر:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ وَلَكِنْ لِتَوْقِيهِ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ مِنَ الحَيْرِ يَقَعُ فِيهِ

وقال آخر:

الضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضُّدِّ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ

المثال الثاني: إبليس لعنه الله فقد كان يقر بثلاث كلها من أصول عقيدة أهل الإسلام: الإقرار بالرب، والإيمان بالبعث، ودعاء الله من غير واسطة وذلك بقوله سبحانه عنه: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤]. فهل نفعه ذلك.

الجواب معلوم لأن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله. ليس الإسلام هوى متبعاً، أو رأياً ضعيفاً بل هو طريق مستقيم لا اعوجاج فيه فالدين الذي يقبله الله والإيمان الذي ينفع صاحبه، هو الذي لا يخالطه شرك ولا يناقضه كفر وأن يستمر عليه صاحبه حتى يلقي الله، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [هود: ١١٢]. ولم يقل: كما أردت ثم أمر بالوقوف عند حدوده ورسومه. فقال: ﴿ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢].

المثال الثالث: طائفة من الناس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يصلون ويصومون ويزكون ويحجون مع المسلمين ويجاهدون معهم، ومع كل هذا فقد حكم الله عليهم بالخلود في نار

جهنم بل في أسفل السافلين، فمن هؤلاء الذين هم أشد عذاباً من الكفار؟! بل الكفار المخلدون في النار أحسن حالاً منهم.

إنهم المنافقون الذين أظهروا صورة الإسلام والإيمان وأبطنوا حقيقة الكفر، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبِنُغُونَ عَلَيْهِمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

فمما تقدم يتبين لنا الأمور التالية:

أولاً: إن الدين الحق الذي لا يقبل الله تعالى من العباد غيره هو دين الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ثانياً: إن الشرك لا تنفع معه طاعة ولا يقبل الله من صاحبه صرفاً ولا عدلاً ولا فرضاً ولا نفلاً بل هو محبط لجميع الأعمال الصالحة كبيرها وصغيرها هذا حكم الله في كتابه وعلى لسان رسوله، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ

عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ [الفرقان]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر].

ثالثاً: إن صورة الإيمان الظاهرة لا تكفي لنجاة العبد من عذاب ربه بل لا بد من صلاح القلوب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]. روى البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: إن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

خامساً: إن الملة الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام هي ملة نبينا وملتنا وقدوته وقدوتنا وهي مبنية على أصليين: إخلاص العبادة لله تعالى، والبراءة من الشرك وأهله.

سادساً: إن موالاتة المؤمنين ونصرتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم، أصل من أصول الملة الحنيفية.

سابعاً: إن من أخذ بعض هذا الدين وترك بعضه كان كاليهود والنصارى الذين قال الله فيهم: ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بَعْضُ الْكِنَانِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

(١) ص ٣٤ رقم ٥٢، وصحيح مسلم ص ٦٥١ برقم ١٥٩٩.

ومن هذا يتبين أن من يأخذون الدين بالتشهي فيأخذون منه ما  
يوافق أهواءهم ويدعون ما يخالفها ليسوا مؤمنين وهم كالمنافيين  
الذين تقدم ذكرهم، ولهم في هذا العصر أسماء متنوعة كالعلمانيين  
والاشتراكيين والبعثيين والقوميين وغيرهم.  
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة الثامنة والخمسون

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٣٦]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد]. وعملاً بهذه الآية الكريمة نستمتع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب]. قال ابن كثير: «هذه الآية عامة في جميع الأمور وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ها هنا ولا رأي ولا قول كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].»

ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب]، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ

عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿النور: ٦٣﴾<sup>(١)</sup>. روى الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه من حديث أبي برزة الأسلمي: أَنَّ جُلَيْبًا كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ يَمُرُّ بِهِنَّ وَيَلَاعِبُهُنَّ فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ جُلَيْبٌ، فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ لَا فَعَلَنَّ وَلَا فَعَلَنَّ، قَالَ: وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيْمٌ لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ هَلْ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ»، فَقَالَ: نَعِمَ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَنَعَمَ عَيْنِي. فَقَالَ: «إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي» قَالَ فَلَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِجُلَيْبٍ» قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشَاوِرُ أُمَّهَا. فَأَتَى أُمَّهَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ابْنَتَكَ. فَقَالَتْ: نَعِمَ وَنِعْمَةٌ عَيْنِي. فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ، إِنَّمَا يَخْطُبُهَا لِجُلَيْبٍ، فَقَالَتْ: أَجُلَيْبُ ابْنَةُ؟ أَجُلَيْبُ ابْنَةُ؟ أَجُلَيْبُ ابْنَةُ؟ أَجُلَيْبُ ابْنَةُ؟ لَا لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا تُزَوِّجْهُ. فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمَّهَا، قَالَتِ الْجَارِيَةُ: مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ؟ فَأَخْبَرَتْهَا أُمَّهَا. فَقَالَتْ: أَتُرَدُّونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ، اذْفَعُونِي، فَإِنَّهُ لَمْ يُضِيعْنِي. فَاذْفَعُونِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: شَأْنُكَ بِهَا. فَزَوِّجْهَا جُلَيْبًا.

قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ لَهُ، قَالَ: فَلَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَفَقْدُ فَلَانًا، وَنَفَقْدُ فَلَانًا. قَالَ: «انظُرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «لَكِنِّي أَفَقِدُ جُلَيْبًا» قَالَ: «فَاظْلُبُوهُ فِي الْقَتْلِ». قَالَ: فَظَلَبُوهُ، فَوَجَدُوهُ إِلَى

(١) تفسير ابن كثير (١١/ ١٧٠).

جَنِبَ سَبْعَةَ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنِبَ سَبْعَةَ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةَ وَقَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَاعِدَيْهِ، وَحَفِرَ لَهُ، مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدًا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ. وَلَمْ يُذَكَّرْ أَنَّهُ غَسَلَهُ.

قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا. وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا، قَالَ: هَلْ تَعْلَمُ مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا». قَالَ: فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا<sup>(١)</sup>.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أنه يجب على المؤمن الانقياد التام لأمر الله ورسوله والمبادرة إلى ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

ثانياً: أن الصحابة رضي الله عنهم ضربوا المثل في الاستجابة السريعة والامتثال لأمر الله ورسوله، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك قال: «ما كانت لنا خمر غير فضيخكم<sup>(٢)</sup> هذا الذي تسمونه الفضيخ، إني لقائم أسقيها أبا طلحة وأبا أيوب ورجالاً من أصحاب

(١) مسند الإمام أحمد (٢٩/٣٣) برقم ١٩٧٨٤، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأصله في صحيح مسلم ص ١٠٠١ برقم ٢٤٧٢.

(٢) هو بسر وتمر.

رسول الله ﷺ في بيتنا إذا جاء رجل فقال: هل بلغكم الخبر؟ قلنا: لا. قال: فإن الخمر قد حرمت. فقال: يا أنس، أرق هذه القلال قال: فما راجعوها ولا سألوها عنها بعد خبر الرجل<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ<sup>(٢)</sup> لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. جاء في تفسير الآية الكريمة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أنها قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا قال: «مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا»، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: أن معصية الله ورسوله سبب لضلال العبد في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

رابعاً: أن المؤمن والمؤمنة إذا جاءهما الأمر من الله ورسوله فليس لهما الخيار بالفعل أو تركه بل عليهما أن يعلما أن الرسول أولى بهما من أنفسهما، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

(١) ص ٨٧٨ برقم ٤٦١٧، وصحيح مسلم ص ٨٢٢ برقم ١٩٨٠ واللفظ له.

(٢) القرحة: الجراح.

(٣) ص ٧٧٤ برقم ٤٠٧٧.

خامساً: في الآية الكريمة دليل بل نص على أن الكفاءة لا تعتبر في الأحساب وإنما تعتبر في الأديان وذلك أن الموالي من الصحابة تزوجوا من أشرف قريش، فقد تزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وتزوج المقداد بن الأسود ضباعة بنت الزبير، وتزوج بلال بن رباح أخت عبدالرحمن بن عوف.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة التاسعة والخمسون

اليقين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فإن منازل الإيمان كثيرة، منها منزلة عظيمة هي من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد بها تفاضل العارفون، وتنافس المتنافسون، وإليها شمر العاملون بل قال بعض أهل العلم عن هذه المنزلة: إنها الإيمان كله إنها منزلة اليقين. قال الكفوي: اليقين هو أن تعلم الشيء ولا تتخيل خلافه<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ [التكاثر]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقعة]. روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرِحٍ وَلَا مَشْعُوفٍ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ

(١) الكليات ص ٦٧.

النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ فَرِجًا مَشْعُوفًا فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُهُ فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» (١).

#### واليقين على ثلاث درجات:

الأول: علم اليقين وهو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام بالحق، فالذي ظهر من الحق هو أوامره ونواهيه وشرعه ودينه الذي أظهره على السنة رسله، وقبول ما غاب للحق وهو الإيمان بالغيب كالجنة والنار والصراط والحساب وما قبل ذلك مثل تشقق السماء وانتشار الكواكب وما قبل ذلك من أمور البرزخ، أما الوقوف على ما قام بالحق أي من أسمائه وصفاته وأفعاله وهو علم التوحيد.

الثاني: عين اليقين وهو ما استغنى به صاحبه عن طلب الدليل لأن الدليل إنما يطلب للعلم بالمدلول فإذا كان المدلول

(١) ص ٤٦٠ رقم ٤٢٦٨، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ (٢/٤٢٢) برقم (٣٤٤٣).

مشاهداً له فلا حاجة حينئذ للاستدلال، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا  
عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧].

الثالث: حق اليقين وهي منزلة الرسل عليهم الصلاة والسلام فقد  
رأى نبينا محمد ﷺ بعينه الجنة والنار وكلم الله موسى بلا واسطة  
أما بالنسبة لنا فإن حق اليقين يتأخر إلى وقت اللقاء.

ومما يوضح ذلك أن يخبرك شخص أن عنده عسلاً وأنت  
لا تشك في صدقه فهذا علم اليقين، فإذا أراك إياه فازددت يقيناً  
فهذا عين اليقين، فإذا ذقت منه فهذا حق اليقين، فعلمنا الآن  
بالجنة والنار علم اليقين، فإذا أزلفت الجنة للمتقين وشاهدها  
الخلائق وبرزت الجحيم للغاوين وعابنها الخلائق فذلك عين  
اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فذلك حينئذ  
حق اليقين<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ  
وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ  
مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]. قال ابن  
القيم رحمه الله: إذا تزوج الصبر باليقين ولد بينهما حصول الإمامة  
في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا  
وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. وقد خص ﷺ أهل اليقين  
بالانتفاع بالآيات والبراهين فقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].  
[الذاريات]. وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٧-٢٩٩) بتصرف.

فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾  
أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ [البقرة: ٤ - ٥].

وأخبر عن أهل النار بأنهم لم يكونوا من أصحاب اليقين فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية]. فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره<sup>(١)</sup>.

وتأمل حال ذلك الصحابي الذي أخذ تمراته، وقعد يأكلها على حاجة وجوع وفاقة إليها، فلما عاين سوق الشهادة قامت، ألقى قوته من يده، وقال: «إنها لحياة طويلة إن بقيت حتى آكل هذه التمرات»، وألقاها من يده وقاتل حتى قتل، وكذلك أحوال الصحابة رضي الله عنهم<sup>(٢)</sup>.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن اليقين سبب لدخول الجنة روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَامَ بِلَالٌ يُنَادِي فَلَمَّا سَكَتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ مِثْلَ هَذَا يَقِينًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

واليقين سبب لنجاة الأمة وصلاحها في الدنيا والآخرة، روى البيهقي في شعب الإيمان من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صَلَحَ أَمْرُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ،

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٣ - ٢٩٩) بتصرف.

(٢) هو عمير بن الحمام رضي الله عنه يوم أحد.

(٣) (٢٧٢/١٤) برقم ٨٦٢٤ وقال محققوه: حديث صحيح.



تُكذَّبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتِنَا الِّيقِينَ ﴿٤٧﴾ ﴿المدثر﴾.

ومنها أنه يُطلق ويراد به الظن وأن الظن قد يعبر عنه باليقين.

وقد ذكر المحققون ضوابط لتحديد المراد بالظن:

أحدها: أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو يقين وحيث وُجد مذموماً متوعداً عليه بالعذاب فهو الشك (وهذا من جهة المعنى).

الثاني: أن كل ظن يتصل به أن (المخففة من الثقيلة) فهو شك وكل ظن يتصل به أن المشددة فهو يقين<sup>(١)</sup>.

قال ابن مسعود: اليقين الإيمان كله<sup>(٢)</sup>.

وقال عامر بن عبد القيس: لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً<sup>(٣)</sup>.

والخلاصة: أن اليقين منزلة عظيمة من منازل الإيمان يزيد المسلم به من ربه قرباً وحباً ورضى، وهو لب الدين ومقصوده الأعظم، ويزيد العبد خضوعاً واستكانة لمولاه ويكسب صاحبه العزة والرفعة، ويباعده عن مواطن الذلة والضعفة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الكليات (٥٨٨) ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٨/٣٧١٧ - ٣٧١٨).

(٢) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب الإيمان ص ٢٥.

(٣) مدارج السالكين (٢/٢٩٦).



## التحذير من الكسل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فمن الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله صفة الكسل، قال الراغب: الكسل التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه ولذلك صار مذموماً<sup>(١)</sup>. اهـ، كالتثاقل عن الصلاة أو الجهاد أو الصيام أو غيرها من الطاعات.

والكسل من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٤]. وقال تعالى محذراً عباده المؤمنين من الكسل والركون إلى الدنيا: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [التوبة: ٣٨]. وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الكسل، روى

(١) المفردات ص ٤٣١.

مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: المقصود أن النبي ﷺ استعاذ من الهم والحزن وهما قرينان، ومن العجز والكسل وهما قرينان، فإن تخلف كمال العبد وصلاحه عنه، إما أن يكون لعدم قدرته عليه فهو عجز، أو يكون قادراً عليه لكن لا يريد فهو كسل، وينشأ عن هاتين الصفتين فوات كل خير وحصول كل شر، ومن ذلك الشر تعطيله عن النفع ببدنه وهو الجبن وعن النفع بماله وهو البخل، ثم ينشأ له بذلك غلبتان غلبة بحق، وهي غلبة الدين، وغلبة بباطل وهي غلبة الرجال، وكل هذه المفاسد ثمرة العجز والكسل<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقال في موضع آخر: أصل المعاصي كلها العجز، فإن العبد يعجز عن أسباب أعمال الطاعات، وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي وتحول بينه وبينها فيقع في المعاصي. فجمع هذا الحديث الشريف في استعاذته ﷺ أصول الشر وفروعه ومباده وغاياته وموارده ومصادره<sup>(٣)</sup>.

قال الشاعر:

وَاحْسَرَتَاهُ تَقْضَى الْعُمُرُ وَأَنْصَرَمَتْ سَاعَاتُهُ بَيْنَ ذُلِّ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ

(١) ص ١٠٨٥ برقم ٢٧٠٦.

(٢) زاد المعاد (٢/٣٦٢ - ٣٦٤).

(٣) زاد المعاد (٢/٣٥٨).

والقومُ قد أخذوا دَرَبَ النَّجَاةِ وَقَدْ سَارُوا إِلَى الْمَطْلَبِ الْأَعْلَى عَلَى مَهَلٍ  
وقد حث النبي ﷺ أمته على العمل والمصارعة إلى الخيرات  
والبعد عن العجز والتكاسل، روى مسلم في صحيحه من حديث  
أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ  
الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرَضَ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ  
وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا  
وَلَكِنِ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: والمراد بالقوة عزيمة النفس والقريحة في أمور  
الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد  
وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق  
في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم، والأذكار وسائر  
العبادات وأنشط طلباً لها ومحافظه عليها ونحو ذلك. وقوله: «احرص  
على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز» معناه: احرص على طاعة الله  
تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى ولا تعجز ولا  
تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة<sup>(٢)</sup> اهـ.

قال الراغب الأصفهاني: وتأمل حال مريم عليها السلام وقد  
جعل لها من الرطب الجنى ما كفاها مؤونة الطلب، وفيه أعظم معجزة  
فإنه لم يخلها من أن يأمرها بهزها، فقال تعالى: ﴿وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجُدْعِ

(١) ص ١٠٦٩ رقم ٢٦٦٤ .  
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٢١٥).

النَّخْلَةَ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ [مريم] (١).

قال يزيد بن المهلب: ما يسرني أن كُفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعود العجز (٢).

### والكسل على قسمين:

الأول: كسل العقل بعدم أعماله في التفكير والتدبر والنظر إلى آلاء الله ونعمه العظيمة، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩١]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [الأنعام: ١١]. ومن كسل العقل عدم أعماله بما يصلحه من شؤون الدنيا كالزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من الحرف وما تأخرت الأمم إلا بكسل أصحاب العقول فيها وقلة اكتراثهم بالقوة الإبداعية المفكرة التي أودعها الله فيهم.

الثاني: كسل البدن: بما يشتمل عليه من الجوارح وينتج عن هذا الكسل تقصير بعض الأفراد في العبادات كأداء الصلوات في بيوت الله والدعوة إلى الله وطلب العلم الشرعي وغير ذلك من الطاعات (٣). روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله قال: ذكر عند النبي ﷺ: رجل نام ليلة حتى أصبح قال: «ذَلِكَ

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٣٨٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٣٨٢ - ٣٨٤ بتصرف. واختصار، نقلاً عن كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١١/٥٤٣٨ - ٥٤٣٩).

رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانَ فِي أُذُنَيْهِ»، أو قال: «فِي أُذُنَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

وكذلك تأخر الأمم في مجال التقدم العلمي في الصناعة والتجارة وغيرها من الحرف التي تستغني بها عن الأمم الأخرى.

من أسباب طرد الكسل:

أولاً: الاستعانة بالله عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه المعين جلا وعلا كما ورد بذلك الحديث السابق: «اسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ».

ثانياً: الاستعاذة منه كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوذ بالله منه.

ثالثاً: الوضوء والذكر والصلاة فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنِ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنِ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: أن يتذكر العبد أن الله تعالى حث على الجد والمسارة إلى الخيرات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى عن نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [٨٤] وقال سبحانه لنبيه يحيى: ﴿يٰٓيَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم].

(١) ص ٦٢٧ برقم ٣٢٧٠، وصحيح مسلم ص ٣٠٦٠ برقم ٧٧٤.

(٢) ص ٢٢٥ برقم ١١٤٢، وصحيح مسلم ص ٣٠٦ برقم ٧٧٦.

[١٢]، أي: التوراة بجد واجتهاد.

خامساً: أن يعلم العبد أن الكسل صفة ذميمة من صفات  
المنافقين ذمها الله ورسوله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الواحدة والستون

معجزاته عليه الصلاة والسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد، فإن الله أجرى على يد أنبيائه ورسوله من المعجزات والدلائل القاطعات ما يدل على صدق دعواهم أنهم رسل الله ولكي تقوم الحجة فلا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥].

والمعجزة على قسمين:

الأول: ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كتحدي اليهود أن يتمنوا الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة].

الثاني: ضرب خارج عن قدرتهم لا يقدر على الإتيان بمثله كانشقاق القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله تعالى، فيكون ذلك على يد النبي ﷺ من فعل الله تعالى وتحدي من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيزاً له.

ومعجزات الرسول ﷺ التي ظهرت على يديه تشمل النوعين:

فهو ﷺ أكثر الرسل معجزات وأبهرهم آية، فله من المعجزات ما لا يعد ولا يحصى وقد ألفت في معجزاته المؤلفات الكثيرة.

وقد أعطى الله ﷺ كل نبي من الأنبياء ﷺ معجزة خاصة لم يعطها بعينها لنبي غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، فلما كان الغالب على زمان موسى ﷺ السحر وتعظيم السحرة بعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل ساحر، قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۗ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ۗ ﴾ [الأعراف: ١٠٨]. وقال تعالى: ﴿ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۗ ﴾ [طه: ٦٦]. فلما استيقن السحرة أن هذا من عند الله انقادوا وأسلموا.

وأما عيسى ﷺ فقد بعثه الله في زمن الأطباء فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، قال تعالى: ﴿ وَأُتِرْتُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحِيَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وكذلك نبينا محمد ﷺ بعث في زمن الفصحاء والبلغاء فاتاهم بكتاب من عند الله فاتهم أكثرهم أنه اختلقه وافتراه من عنده فتحداهم ودعاهم أن يعارضوا ويأتوا بمثله وليستعينوا بمن شاءوا من ذلك فعجزوا، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ۗ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثم تحداهم على أن يأتوا بعشر سور ثم بسورة واحدة ثم أخبر أنهم لا يستطيعون ذلك لا في الحال ولا في المآل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

ومن معجزاته العظيمة: الإسراء والمعراج فقد أُسري به إلى المسجد الأقصى على دابة يقال لها: البراق وهو أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل وصلى ركعتين في المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السماء والتقى بالأنبياء آدم وموسى وعيسى وهارون وغيرهم، حتى وصل إلى سدرة المنتهى وسمع صريف الأقلام وكلمه ربه وفرضت عليه الصلوات الخمس ثم هبط إلى المسجد الأقصى وهبط الأنبياء معه<sup>(١)</sup>. قال ابن كثير: «والذي يظهر أنه صلى بهم صلاة الصبح وهنا ظهر شرفه وفضله على جميع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ثم أخبر قريش بالخبر فكذبوه وقالوا: إن كنت صادقاً فصف لنا بيت المقدس وكانوا يذهبون إليه ويعرفونه»<sup>(٢)</sup>، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَائِي فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي

(١) تفسير ابن كثير بتصرف (٨/ ٤٣١).

(٢) تفسير ابن كثير بتصرف (٨/ ٤٣١).

أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام: انشقاق القمر، روى البخاري ومسلم من حديث أنس: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما<sup>(٢)</sup>.

قال الخطابي: فكان هذا الانشقاق آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر<sup>(٣)</sup> اهـ.

وقد ذكر الله هذه المعجزة على أن انشقاق القمر وقع في زمن النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات وأن الأحاديث قد وردت بذلك متواترة.

ومن معجزاته كذلك: تكثير الماء ونبعه من بين أصابعه ولحمه ودمه.

قال القرطبي: قضية نبع الماء من بين أصابعه تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة تفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي، ولم يُسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا ﷺ حيث نبع الماء ما بين عظمه

(١) ص ٩٦ برقم ١٧٢.

(٢) ص ٧٣٤ برقم ٣٨٦٨، وصحيح مسلم ص ١١٢٧ برقم ٢٨٠٢.

(٣) فتح الباري (٧/ ١٨٥).

وعصبه ولحمه ودمه<sup>(١)</sup>. ومن هذه المواطن ما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة<sup>(٢)</sup>. فتوضأ فجهش<sup>(٣)</sup> الناس نحوه فقال: «مَا لَكُمْ؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة<sup>(٤)</sup>.

ومن معجزاته ﷺ في أنواع الجمادات: حين الجذع شوقاً إلى رسول الله ﷺ وشفقاً من فراقه، وقد ورد ذلك كما قال الحافظ ابن كثير؛ من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة الشأن وفرسان هذا الميدان<sup>(٥)</sup>.

فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جابر أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً؟ قال «إِنْ شِئْتُمْ» فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دُفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه، تئن أنين الصبي الذي يسكن، قال: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَيَّ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ

(١) فتح الباري (٦/٥٨٥).

(٢) إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

(٣) أن يفزع الإنسان إلى الإنسان.

(٤) ص ٦٨٤ برقم ٣٥٧٦، وصحيح مسلم ص ٧٧٦ برقم ١٨٥٦ مختصراً.

(٥) البداية والنهاية (٨/٦٧٩).

مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى عن جابر قال: كان المسجد مستقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار<sup>(٢)</sup>، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فَسَكَنَتْ<sup>(٣)</sup>. وفي رواية من حديث ابن عباس: «وَلَوْ لَمْ أَحْتَضِنُهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

قال الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطي محمداً ﷺ ف قيل له: أُعْطِيَ عَيْسَى إْحْيَاءَ الْمَوْتَى، فقال: أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ حَيْنَ الْجَذَعِ حَتَّى سَمِعَ صَوْتَهُ فَهَذَا أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ<sup>(٥)</sup> اهـ. وذلك لأن هذا إحياء ما ليس من نوعه الحياة مع ما فيه من الاشتياق والبكاء عليه، بخلاف ما أُعْطِيَ لعيسى، قال ابن حجر: في الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان<sup>(٦)</sup>، وكان الحسن البصري إذا حدث بهذا الحديث يقول: «يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقاءه، وأنتم أحق أن تشتاقوا إليه»<sup>(٧)</sup>.

(١) ص ٦٨٦ برقم ٣٥٨٤ .

(٢) العشار: جمع عشاء وهي الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها؛ جامع الأصول (٣٣٣/١١).

(٣) ص ٦٨٦ برقم ٣٥٨٥ .

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٠٧/٤) برقم ٢٢٣٦، قال ابن كثير: هذا الإسناد على شرط مسلم؛ البداية والنهاية (٦٨١/٨).

(٥) فتح الباري (٦٠٣/٦).

(٦) فتح الباري (٦٠٣/٦).

(٧) فتح الباري (٦٠٢/٦ - ٦٠٣).

ومن معجزاته: انقياد الشجر بين يديه في مرات عدة:

فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خُصِبَ بالدماء، ضربته بعض أهل مكة، قال: فقال له: «وما لك؟» قال: فقال له: «فعل بي هؤلاء وفعلوا»، قال: فقال له جبريل عليه السلام: «أتحب أن أريك آية؟ قال: نعم، قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي، فقال: ادع بيتك الشجرة، فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، فقال: مُرّها فلتُرْجِعْ، فأمرها فرجعت إلى مكانها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حَسْبِي» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (١٦٥/١٩) برقم ١٢١١٢، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.  
 (٢) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١/٥٢٠-٥٥٤).



الكلمة الثانية والستون

فضل الأعمال الصالحة في رمضان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

فإن من فضل الله ورحمته بعباده: أن يسر لهم مواسم خير يستكثرون فيها من الطاعات والقربات، تضاعف فيها الأجور، وتكفر فيها السيئات، وتقال فيها العثرات ويعتق الله فيها من شاء من عباده من النيران، ومن هذه المواسم شهر رمضان، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وينبغي للمؤمن أن يستقبل أيامه ولياليه بالأعمال الصالحة فما هي إلا ليال معدودة ثم تنقضي، قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ومن هذه الأعمال الصالحة قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال بعض أهل العلم: إن الله عقب بالفاء السببية التي تفيد التعليل ليبين أن سبب اختيار رمضان ليكون شهر الصوم هو إنزال

القرآن فيه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر]. ومن المعلوم أن ليلة القدر إنما تكون في رمضان وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس قال: كان النبي ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة<sup>(١)</sup>.

وكان الإمام مالك إذا أقبل رمضان توقف عن التأليف والدروس وقال: إنما هو إطعام طعام، وقراءة قرآن. كان بعض السلف يختم القرآن في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، وكان قتادة يختم في كل سبع دائماً، فعلى أقل تقدير أن يختم الصائم القرآن ولو مرة واحدة في رمضان.

ومنها: الصدقة وهي باب عظيم من أبواب الخير، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأني قال: «هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكُعْبَةِ»، قال: فجئت فجلست فلم أتقار أن فمت فقلت: فذاك أبي وأمي من هم؟ قال: «هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله «وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ»<sup>(٢)</sup>.

(١) ص ٢٢ برقم ٦.

(٢) ص ١٢٦٨ برقم ٦٦٣٨، وصحيح مسلم ص ٣٨٤ برقم ٩٩٠ واللفظ له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه ﷺ وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ﷺ يأمر بالصدقة ويحث عليها ويدعو إليها بحاله وقوله، ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيراً عجبياً في شرح الصدر<sup>(١)</sup>. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَا يُسْرُنِي أَنْ عِنْدِي مِثْلُ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِذَيْنِ»<sup>(٢)</sup>.

وللصدقة في رمضان فضيلة ومزية على غيره ويدخل في ذلك إطعام الطعام، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾<sup>(٨)</sup> إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا<sup>(٩)</sup> [الإنسان]. روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»<sup>(٣)</sup>.

ومنها إفطار الصائم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث زيد بن خالد الجهني أن النبي ﷺ قال: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كُتِبَ لَهُ مِثْلُ

(١) زاد المعاد (٢/٢٣-٢٢) بتصرف.

(٢) ص ١٢٣٧ برقم ٦٤٤٤، وصحيح مسلم ص ٣٨٤ برقم ٩٩١.

(٣) صحيح ابن حبان ص ١٣٩ برقم (٥٠٩).

أَجْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ»<sup>(١)</sup>.

ومنها قيام الليل، قال تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾<sup>(١٦)</sup> فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلْإِثْمِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الطبراني في المعجم الأوسط من حديث سهل بن سعد قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبُّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٤)</sup>. وقيام رمضان شامل للصلاة من أول الليل وآخره وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان فينبغي الحرص عليها والاعتناء

(١) (٢٦١/٢٨) برقم ١٧٠٣٣. وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) ص ٥٥٨ برقم (٣٥٤٩)، قال أبو عيسى الترمذي: وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٨/٣) برقم (٣٨٠١).

(٣) (٣٠٦/٤) برقم: ٤٢٧٨، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/٤٨٥): إسناده حسن.

(٤) ص ٣٨٠ برقم ٢٠٠٩، وصحيح مسلم ص ٢٩٩ برقم ٧٥٩.

بها واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليال معدودة ينتهزها المؤمن العاقل قبل فواتها، وعلى المسلم أن يحرص على القيام مع الإمام حتى ينصرف»<sup>(١)</sup>.

روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر الغفاري أن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»<sup>(٢)</sup>.  
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مجالس شهر رمضان ص ١٨.  
(٢) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه ص ١٥١ برقم ٨٠٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.



الكلمة الثالثة والستون

شرح اسم الله الكافي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ وَتَرٌ يُحِبُّ الْوَتَرَ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup>.

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في كتابه: الكافي ومعناه الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه رزقاً ومعاشاً وقوتاً، الكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه»<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة]. وقال

(١) ص ١٢٣١ برقم ٦٤١٠، وصحيح مسلم ص ١٠٧٥ برقم ٢٦٧٧.

(٢) صحيح البخاري ص ١٤٠٩ برقم ٧٣٩٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/ ٣٠٤ - ٣٠٥).

تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْتَكَ الْمُسْتَهِزِينَ﴾ [٩٥] [الحجر].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ الْحَسِيبُ كِفَايَةً وَحِمَايَةً وَالْحَسْبُ كَافِي الْعَبْدِ كُلِّ أَوْانٍ<sup>(١)</sup> والتوكل على الله سبب كفاية الله لعبده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]. أي كافية كل أموره الدينية والدينية، والتوكل هو اعتماد القلب على الله في حصول المطلوب ودفع المكروه مع الثقة به وفعل الأسباب المأذون فيها شرعاً<sup>(٢)</sup>، قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكل عمل جزاء من جنسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه<sup>(٣)</sup>، فلو توكل العبد على ربه حق التوكل بأن اعتمد بقلبه على ربه اعتماداً قوياً كاملاً في تحصيل مصالحه ودفع مضاره وقويت نفسه وحسن باطنه بربه حصلت له الكفاية، وأتم الله له أحواله وسدده في أقواله وأفعاله وكفاه همه وجلا غمه<sup>(٤)</sup>، فهناك لا تسأل عن كل أمر تيسر وصعب يتسهل وخطوب تهون وكروب تزول وأحوال وحوائج تقضى وبركات تنزل ونقم تدفع وشرور ترفع<sup>(٥)</sup>.

(١) النونية (٢/٢٣٣).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٢٢٨).

(٣) بدائع الفوائد (٢/٧٦٦-٧٦٧).

(٤) فتح الرحيم الملك العلام (ص ٥٣ - ٥٤).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٢٠.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظیم:

أولاً: إذا علم العبد أن الله هو الكافي عباده رزقاً ومعاشاً وحفظاً وكلاءة ونصراً وعزاً اكتفى بمعونته عمن سواه وإذا كان كذلك وجب ألا يكون الرجاء إلا فيه والرغبة إلا إليه: روى النسائي من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «وَمَنْ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللَّهُ ﷻ»<sup>(١)</sup> «فمن وقع في شدة وضيق فليطلب من الله الكفاية فإن الله يكفيه، وفي صحيح مسلم في قصة الغلام المؤمن لما أبى أن يرجع عن دينه دفعه الملك إلى نفر من أصحابه أي (جماعة من الناس) وقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا جبل معروف عندهم شاهق رفيع وقال لهم: إذا بلغوا ذروته فاطرحوه يعني على الأرض، ليقع من رأس الجبل فيموت، بعد أن تعرضوا عليه أن يرجع عن دينه فإن رجع وإلا فاطرحوه.

فلما بلغوا قمة الجبل فطلبوا منه أن يرجع عن دينه أبى، لأن الإيمان قد وقر في قلبه ولا يمكن أن يتحول أو يتزحزح، فلما هموا أن يطرحوه قال: اللهم اكفنيهم بما شئت - دعوة مضطر مؤمن - أي: بالذي تشاء ولم يعين، فرجف الله بهم الجبل فسقطوا وهلكوا، وجاء الغلام إلى الملك فقال: ما الذي جاء بك أين أصحابك؟ فقال: قد كفانيهم الله، ثم دفعه إلى جماعة آخرين وأمرهم أن يركبوا البحر في قُرُقُور (سفينة). فإذا بلغوا لجة البحر عرضوا

(١) جزء من حديث ص ٢٧٩ برقم ٢٥٩٥، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ النَّسَائِيِّ (٢/٢٢٧).

عليه أن يرجع عن دينه فإن لم يفعل رموه في البحر، فلما توسطوا من البحر عرضوا عليه أن يرجع عن دينه - وهو الإيمان بالله - فقال: لا! فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت: فانقلبت السفينة وغرقوا وأنجاه الله» (١)(٢).

ثانياً: من كان عليه دين فليتضرع إلى الله تعالى ليكفيه هم الدين روى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه: «أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي قَالَ أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمْنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ صِيرَ دَيْنًا أَدَاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ» (٣).

ثالثاً: أنه يشرع للعبد أن يسأل الله الكافي أن يكفيه شر الأعداء قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة]. فيقول: يا كافي اكفني شر فلان الذي ظلمه أو أذاه. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف من رجل أو من قوم قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ» (٤). وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس قال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في

(١) شرح رياض الصالحين (١/٢١٩ - ٢٢٠).

(٢) انظر قصة الغلام في صحيح مسلم ص ١٢٠٢ برقم ٣٠٠٥.

(٣) ص ٥٥٩ - ٥٦٠ برقم ٣٥٦٣، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٤٦٤).

(٤) (٣٢/٤٩٣) برقم ١٩٧١٩ وقال محققوه: حديث حسن.

النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران] (١).

رابعاً: إن الله تعالى كفى المؤمنين شر أعدائهم في مواطن كثيرة فعلى سبيل المثال في غزوة بدر مع قلة عددهم ونقص عدتهم وضعفهم نصرهم الله وكفاهم الأعداء، قال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ [آل عمران].

وكذلك في غزوة الخندق أو الأحزاب كفاهم الله شر الأحزاب التي جمعت عليهم، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب].

الخلاصة: أن الكافي اسم من أسماء الله تعالى وهو بمعنى الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه رزقاً ومعاشاً وقوتاً الكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه. ويشرع للمسلم أن يسأل ربه بهذا الاسم أن يكفيه شر من ظلمه وأذاه (٢).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٨٦٥ برقم ٤٥٦٣.

(٢) انظر كتاب أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي الأسماء الحسنى والصفات العلى ص ٢١٧ - ٢٢١.



الكلمة الرابعة والستون

خطورة المجاهرة بالمعصية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

فإن الذنوب والمعاصي عاقبتها وخيمة في الدنيا والآخرة قال تعالى مبيناً أضرارها على العباد: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وأعظم هذه الذنوب المجاهرة بها ومعناها أن يرتكب الشخص الإثم علانية أو يرتكبه سراً فيستره الله ﷻ ولكنه يخبر به بعد ذلك مستهيناً بستر الله له، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]. جاء في تفسيرها: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا من ظلم فلا يكره له الجهر به<sup>(١)</sup>.

روى البخاري ومسلم من حديث سالم بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ

(١) تفسير القرطبي (١٩٩/٧).

مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ يَا فُلَانُ: عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: والمجاهر هو الذي أظهر معصيته وكشف ما ستر الله عليه فيحدث بها، أما المجاهرون في الحديث الشريف فيحتمل أن يكون بمعنى من جهر بالمعصية وأظهرها ويحتمل أن يكون المراد الذين يجاهر بعضهم بعضاً بالتحدث بالمعاصي وبقية الحديث تؤكد المعنى الأول<sup>(٢)</sup>.

ومما سبق يتضح أن المجاهرة على أنواع ثلاثة.

١- المجاهرة بمعنى إظهار المعصية وذلك كما يفعل المُجَّان والمستهترون بحدود الله، والذي يفعل المعصية جهاراً يرتكب محذورين.

الأول: إظهار المعصية.

الثاني: تلبسه بفعل المُجَّان أي: (أهل المُجُون) وهو مذموم شرعاً وعرفاً.

٢- المجاهرة بمعنى إظهار ما ستر الله على العبد من فعله المعصية كأن يحدث بها تفاخراً أو استهتاراً بستر الله تعالى وهؤلاء هم الذين لا يتمتعون بمعافاة الله ﷻ كحال الشباب الذين يسافرون

(١) ص ١١٧٣ برقم ٦٠٦٩، وصحيح مسلم ص ١١٩٧-١١٩٨ برقم ٢٩٩٠.

(٢) فتح الباري (١٠/٤٨٧) بتصرف.

إلى خارج البلاد، ويرتكب الواحد منهم الفواحش وشرب الخمر ثم يخبر بهذا أصدقاء السوء تفاخراً واستهتاراً بستر الله له.

٣- المجاهرة بمعنى أن يجاهر بعض الفساق بعضاً بالتحدث بالمعاصي<sup>(١)</sup>. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: إن المظهر للمنكر يجب الانكار عليه علانية ولا تبقى له غيبة ويجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك وينبغي لأهل الخير أن يهجره ميتاً إذا كان فيه ردع لأمثاله فيتركون تشييع جنازته<sup>(٢)</sup>.

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «إن من جاهر بفسقه أو بدعته جاز ذكره بما جاهر به دون ما لم يجاهر به»<sup>(٣)</sup>، وقال ابن حجر: من قصد إظهار المعصية والمجاهرة أغضب ربه فلم يستره ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس من الله عليه بستره إياه<sup>(٤)</sup> اهـ. قال ابن بطال: في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحى المؤمنين وفيه ضرب من العناد لهم وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف<sup>(٥)</sup>.

وأخبر النبي ﷺ أن المجاهرة بالمعاصي لها عقوبات في الدنيا قبل الآخرة. روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر قال: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةَ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا

(١) فتح الباري (١٠/٤٨٧).

(٢) غذاء الألباب (١/٢٦١-٢٦٠).

(٣) فتح الباري (١٠/٤٨٧).

(٤) فتح الباري (١٠/٤٨٨).

(٥) فتح الباري (١٠/٤٨٧).

بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ  
الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ  
الْمُؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا  
الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ  
وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي  
أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَحَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا  
جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ» (١) الحديث.

روى الترمذي في سننه من حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْحٌ وَقَذْفٌ» فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله! متى ذلك؟ قال: «إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ، وَالْمَعَارِيفُ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ» (٢).

ومن الأمثلة على الجهر بالمعاصي في وقتنا المعاصر، انتشار  
الصحون الفضائية أو ما يسمى بالدش على السطوح في بيوت كثير  
من الناس.

ومنها انتشار البنوك الربوية في كثير من بلاد المسلمين بل  
والإعلان عبر الصحف ووسائل الإعلام الأخرى أن القروض منها أو  
المساهمة فيها ميسر وسهل.

(١) ص ٤٣٢ برقم ٤٠١٩، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ (١٣٢١/٢) برقم (٧٩٧٨).

(٢) ص ٣٦٧ برقم ٢٢١٢، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ (٧٨٦/٢) برقم ٤٢٧٣.

ومنها تبرج النساء بشكل سافر في الأسواق والأماكن العامة.  
ومنها بيع الحرمات كالمجلات الهابطة، والدخان، وأشرطة الفيديو، والأقراص التي تحتوي على أفلام هابطة، ومحلات بيع أشرطة الغناء.

ومنها انتشار النوادي التي تعرض فيها السينما والألعاب الرياضية المختلطة، والمسرحيات، ومحلات عرض الإنترنت.  
ومنها خروج المغنيات والممثلات سافرات على شاشات القنوات الفضائية ليهيجن الغرائز ويفتن الناس.

لذا ينبغي الإنكار على هؤلاء المجاهرين وإخبارهم بعظيم جرمهم، وأنهم يعرضون أنفسهم لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]. فإذا كان مجرد الحب صاحبه مهدد بالعذاب فكيف بمن يجهر وينشر ويساعد على هذه الفواحش والمنكرات؟! ولذلك ينبغي على المسلم إذا ابتلي بالمعصية أن يستتر بستر الله وأن يبادر بالتوبة النصوح.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة الخامسة والستون

استقبال العام الجديد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

ففي هذه الأيام نودع عاماً مضى من أعمارنا، ونستقبل عاماً جديداً. فليت شعري ماذا أودعنا في العام الماضي، وبماذا نستقبل عامنا الجديد؟! قال الحافظ ابن كثير:

تَمُرُّ بِنَا الْأَيَّامُ تَتَرَى وَإِنَّمَا نُسَاقُ إِلَى الْأَجَالِ وَالْعَيْنُ تَنْظُرُ  
فَلَا عَائِدٌ ذَاكَ الشَّبَابُ الَّذِي مَضَى وَلَا زَائِلٌ هَذَا الشَّيْبُ الْمُكَدَّرُ

وعلى المؤمن أن يحاسب نفسه ويتداركها فإن كان مستقيماً على طاعة الله فليحمد الله وليسأل ربه الثبات. روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»<sup>(١)</sup>. وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي

(١) ص ١٠٦٥ برقم ٢٦٥٤.

عَلَى دِينِكَ»<sup>(١)</sup>.

ومن كان منا مقصراً في طاعة الله فليتدارك نفسه قبل فوات الأوان وليبادر إلى التوبة والإقلاع عن المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيؤوا للعرض الأكبر على الله».

وعمر الإنسان الذي لا يتجاوز عشرات معدودة من السنين سيسأل المرء عن كل جزئية من جزئياته، بل إن هذا من أصول الأسئلة التي توجه له يوم القيامة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟»<sup>(٢)</sup>.

فيسأل عن عمره على وجه العموم وعن شبابه على وجه الخصوص، لأن الشباب هو محور القوة والنشاط وعليه الاعتماد في العمل أكثر من غيره من مراحل العمر.

وهذا الزمن من أفضل نعم الله على عباده، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَتَانِ

(١) (١٩/١٦٠)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم كما تقدم.

(٢) ص ٣٩٦ برقم ٢٤١٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاعُ»<sup>(١)</sup>.

والغبين أن يشتري الإنسان السلعة بأضعاف الثمن فمن صح بدنه وتفرغ من الأشغال العالقة به ولم يسع لإصلاح آخرته يقال عنه: إنه رجل مغبون.

وفي الحديث إشارة إلى أن الزمن نعمة كبرى لا يستفيد منها إلا الموفقون الأفاضل وأن المستفيد قليل والكثير مفرط ومغبون.

روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ» ذكر منها: «فَرَاعَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ»<sup>(٢)</sup>.

قال محمد الطليطلي:

خُذْ مِنْ شَبَابِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ      وبادِرِ التَّوْبَ قَبْلَ الْفُوتِ وَالنَّدَمِ  
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَجْزِيٌّ وَمُرْتَهَنٌ      وَرَاقِبِ اللَّهَ وَاحْذَرِ زَلَّةَ الْقَدَمِ

قال ابن القيم رحمته الله: «إن الواردات سريعة الزوال تمر أسرع من السحاب وينقضي الوقت بما فيه فلا يعود عليك منه إلا أثره وحكمه فاختر لنفسك ما يعود عليك من وقتك فإنه عائد عليك لا محالة، ولهذا يقال للسعداء: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة]، ويقال للأشقياء: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي

(١) ص ١٢٣٢ برقم ٦٤١٢.

(٢) (٤٣٥/٥) برقم ٧٩١٦، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٤) برقم

الْأَرْضِ بَعِيرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ [غافر]»<sup>(١)</sup>.

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «صحبت الصوفية، فما انتفعت منهم إلا بكلمتين سمعتهم يقولون: الوقت سيف، فإن قطعته وإلا قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل»<sup>(٢)</sup>.

ومن تأمل أحوال السلف ومن سار على نهجهم وجدهم أحرص الناس على كسب الوقت وملئه بالخير، قال عبد الله بن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسُه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: يا ابن آدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يومك فقد ذهب بعضك، وقال: أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم على دراهمكم ودنانيركم.

وقد ذكر الله موقفين للمرء يندم فيهما على إضاعة الوقت.

الأول: عند ساعة الاحتضار حين يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة يتمنى لو منح مهلة من الزمن وأُخِر إلى أجل قريب، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

(١) مدارج السالكين (٣/٥٠) نقلاً عن كتاب جامع الآداب لابن القيم من كلام ابن القيم، تحقيق/ يسري السيد محمد (١/٣٨٤).

(٢) مدارج السالكين (٣/٩٧).

الثاني: في الآخرة حيث تُوفَى كل نفس ما عملت ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٥ - ٥٦]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>. وفي الصحيحين في قصة الكبش الذي يذبح بين الجنة والنار ويقال: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثم قرأ النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]، وأشار بيده إلى الدنيا<sup>(٢)</sup>.

فعلى العاقل أن يغتنم أيام حياته فما يدرية لعله لم يبق له منها إلا يسير.

قال القاضي ابن أبي عصرون:

أَوْ مَلُ أَنْ أَحْيَا وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ تَمُرُّ بِي الْمَوْتَى تَهْزُنُ نَعُوشُهَا  
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنْ لِي بَقَايَا لِيَالٍ فِي الزَّمَانِ أَعِيشُهَا

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما مضى من الدنيا أحلام وما بقي منها

(١) تفسير ابن كثير (١٢/١٤٥).

(٢) ص ٩١٤ برقم ٤٧٣٠، وصحيح مسلم ص ١١٤٤ برقم ٢٨٤٩.

أمني والوقت ضائع بينهما»<sup>(١)</sup>، روى البخاري في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه أنه قال: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الفوائد ص ٤٨ .

(٢) ص ١٢٣٣ برقم ٦٤١٦ .

الكلمة السادسة والستون

الإيمان بالبعث بعد الموت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالبعث بعد الموت، قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه، ورد على منكرية في غالب سور القرآن.

قال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧]. وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ يَأَنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٦ - ٧]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفْنًا آءِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥١] (١).

ففي الآية الكريمة الأخيرة يقول تعالى مخبراً عن الكفار المستبعبدين المعاد القائلين على وجه الإنكار: إذا كنا عظاماً

(١) العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦.

ورفاتاً أي تراباً إنا لمبعوثون خلقاً جديداً، ثم أمر الله رسوله أن يجيبهم فيقول: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (٥٠) إذ هما أشد امتناعاً من العظام والرفات ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني السماء والأرض والجبال ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ أي: من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً؟ ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أي: الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً مذكوراً كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]. ثم صرتم بشراً تنتشرون فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أي حال، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] (١).

روى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالمَوْتِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالقَدْرِ» (٢).

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (٨٠) ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾

(١) تفسير ابن كثير (٩/٢٥ - ٢٧).

(٢) ص ٣٥٧ برقم ٢١٤٥، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٢٧) برقم ١٧٤٤.

الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس].

قال بعضهم: لو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيحاز ووضع الأدلة وصحة البرهان ما قدر<sup>(١)</sup>.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء: إن الأجسام تتقلب من حال إلى حال فتسحيل تراباً ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ثم صار عظماً ولحماً ثم أنشأه خلقاً سويّاً كذلك الإعادة يُعيدُه اللهُ بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب وهو عظم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العصعص<sup>(٢)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرْكَبُ»<sup>(٣)</sup>.

قد يقول قائل: ربما يُؤكل الإنسان من قبل السباع أو الحيتان في البحر أو يحترق تماماً فلا يبقى من جسده شيء فما الجواب عن ذلك؟ فيقال: إن الأمر هين على الله يقول: كن فيكون

(١) العقيدة الطحاوية ص ٤٦٠.

(٢) العقيدة الطحاوية ص ٤٦٣.

(٣) صحيح مسلم ص ١١٨٦ برقم ٢٩٥٥ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ٩٧٦ برقم ٤٩٣٥.

وقدرة الله فوق ما نتصوره والله على كل شيء قدير، روى البخاري في صحيحه من حديث حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا يَسَسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا كَثِيرًا، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي، وَخَلَصَتْ إِلَيَّ عَظْمِي فَامْتَحِشْتُمْ فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انظُرُوا يَوْمًا رَاحًا فَادْرُوهُ فِي الْيَمِّ فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

قال عبد الله الأندلسي:

والبعثُ بعد الموتِ وَعَدُّ صادقٌ بإعادة الأرواحِ في الأبدانِ

وقال أبو تمام:

فِيَا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي وَمَبْعَثِي أَكُونُ رُفَاتًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

فإذا آمن المؤمن وصدق بالبعث بعد الموت وهو ركن من أركان الإيمان الستة وأن الله على كل شيء قدير، كما قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨].  
حاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة واستعد للقاء الله، قال تعالى: ﴿ فَوَرَيْكَ لِنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٣ ﴾ [الحجر]. وقال تعالى: ﴿ وَقَفُّهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ ٢٤ ﴾ [الصفات].

روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزة الأسلمي أن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمْرِهِ

(١) ص ٦٦٥ رقم ٣٤٥٢.

فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟  
 وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟<sup>(١)</sup>. قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن  
 تُحاسبوا وزنوها قبل أن تُوزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر على الله».

قال الشاعر:

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تَرَكْنَا      لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلَّ حَيٍّ  
 وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا      وَنُسْأَلُ بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ  
 والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٩٦ برقم ٢٤١٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.



الكلمة السابعة والستون

تفسير سورة المسد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى تأمل وتدبر سورة المسد، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال: «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش، قالوا: ما لك؟ قال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد] (١).

وفي رواية أن أبا لهب قال: «تباً لك سائر اليوم» (٢).

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ الأول: دعاء

(١) ص ٩٣٨ برقم ٤٨٠١، وصحيح مسلم ص ١١٤ برقم ٢٠٨.

(٢) صحيح البخاري ص ٢٧١ برقم ١٣٩٤.

عليه، والثانية: خبر عنه وأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول ﷺ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتبة وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له والازدراء به والتنقص له ولدينه.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ربيعة بن عباد الديلي وكان جاهلياً أسلم: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا» وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا، وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا» إِلَّا أَنْ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ (١).

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾، التاب هو الخسار كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۝﴾ [غافر: ٣٧]. أي: خسار وبدأ بيديه قبل ذاته لأن اليدين هما آلتا العمل والحركة والأخذ والعطاء وما أشبه ذلك.

قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ أي: ماله وما كسب لن يغني عنه شيئاً من عذاب الله والآية تشمل الأولاد وتشمل المال المكتسب الذي ليس في يده الآن وتشمل ما كسبه من شرف وجاه،

(١) (٤٠٤/٢٥ - ٤٠٥) برقم ١٦٠٢٣، وقال محققوه: صحيح لغيره.

وكل ما كسبه مما يزيد شرفاً وعزاً فإنه لا يغني عنه شيئاً كما قال تعالى:  
﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحاقة]. وكما قال تعالى:  
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [آل عمران].

قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾ أي: ذات شرر ولهب وإحراق شديد والمعنى أن الله توعد به بأنه سيصلى ناراً ذات لهب عن قريب لأن متاع الدنيا والبقاء فيها مهما طال فإن الآخرة قريبة حتى الناس في البرزخ وإن مرت عليهم السنون الطوال فكأنها ساعة، قال تعالى: ﴿ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحقاف]. وشيء مقدر بساعة من نهار فإنه قريب.

قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ ﴾ يعني كذلك امرأته معه وهي أم جميل أروى بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان من أشرف قريش لكن لم يغن عنها شرفها لكونها شاركت زوجها في العداة والإثم والبقاء على الكفر، وحمالة الحطب ذكروا أنها تحمل الحطب الذي فيه الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ من أجل أذى الرسول ﷺ، وقال بعض المفسرين: كما كانت عوناً على زوجها في كفره فإنها تحمل الحطب فتلقيه على زوجها في نار جهنم فتكون عوناً عليه في العذاب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾ الجيد هو العنق

(١) تفسير ابن كثير (٤٩٧/١٤).

والحبل معروف، والمسد هو الليف يعني أنها متقلدة حبلاً من الليف تخرج به إلى الصحراء لتربط به الحطب الذي تأتي به لتضعه في طريق النبي ﷺ<sup>(١)</sup>. قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد فأعقبتها الله بها حبلاً في جيدها من مسد النار<sup>(٢)</sup>.

روى البزار في مسنده من حديث ابن عباس قال: لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحيت لا تؤذيك بشيء فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ سَيُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا» فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك، فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية، ما نطق بالشعر ولا يتفوه به، فقالت: إنك لمصدق؟! فلما ولت قال أبو بكر ﷺ: ما رأتك؟ قال ﷺ: «لَا مَا زَالَ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي حَتَّى وَلَّتْ»<sup>(٣)</sup>.

قال العلماء: في هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾<sup>(٣)</sup> وأمراته، ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾<sup>(٤)</sup> في جيدها حبلٌ من مسدٍ<sup>(٥)</sup>. فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان ولم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا

(١) تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٣٥١.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٩٧/١٤).

(٣) (٦٨/١) برقم ١٥، وقال البزار: هذا الحديث حسن الإسناد، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧٣٨/٨).

ظاهراً ولا باطناً لا سراً ولا علناً فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة<sup>(١)</sup>. أما أبو لهب فقد مات شرميتة وانتقم الله لنبية منه.

قال ابن إسحاق: بعد غزوة بدر بعدة ليال أُصيب بمرض العدسة<sup>(٢)</sup>. فمات وخاف أولاده أن يقتربوا منه ليدفنوه فيصابوا بالمرض فتركوه ثلاثاً حتى أنتن فقال رجل من قريش: ويحكم ألا تستحيان ادفنوا أباكم فقالوا: نخشى من هذه القرحة فقال: أنا أُعينكم فأخرجوه إلى الصحراء فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء من بعيد ما يدنون منه ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رموه بالحجارة<sup>(٣)</sup>، وإلى جهنم وبئس المصير<sup>(٤)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن كثير (٤٩٩/١٤).

(٢) بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد تقتل صاحبها غالباً وهي من البثور المعدية شبيهها بعض المعاصرين بمرض الجدري.

(٣) عيون الأثر لابن سيد الناس (٤١٠/١).

(٤) انظر تفسير جزء عم للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ ص ٣٤٩ - ٣٥٢.



الكلمة الثامنة والستون

سيرة أبي عبيدة بن الجراح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وبطل من أبطالها صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ فشهد بدرًا وأحدًا والخندق وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، وكان من السابقين إلى الإسلام، فقد هاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة، وقد أبلى في معركة أحد بلاءً عظيمًا، فقد نزع الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجه رسول الله ﷺ بأسنانه حتى انتزعت ثنيتاه، وهو أمين هذه الأمة، وهو أحد الرجلين اللذين عينهما أبو بكر للخلافة يوم السقيفة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، فقد بشره النبي ﷺ بالجنة وهو على قيد الحياة.

إنه فارس الإسلام أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري المكي وصفه أهل السير بأنه كان رجلاً طويلاً نحيفاً معروق الوجه، خفيف اللحية، أثرم الثنيتين، وقد اشتهر بحسن خلقه وتواضعه وحلمه.

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على فضله ومكانته منها، ما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيْتُهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام قال فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

وكان أول مشهد شهده أبو عبيدة بن الجراح مع رسول الله ﷺ معركة بدر وقاتل في هذه المعركة قتالاً شديداً.

وقال عمر يوماً لجلسائه: تمنوا فتمنوا فقال عمر: ولكني أتمنى بيتاً ممتلئاً رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح<sup>(٣)</sup>.

ولما طعن عمر وأشرف على الموت قيل له: أوص يا أمير المؤمنين قال: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته<sup>(٤)</sup>.

ومن مواقف العظيمة التي تدل على شجاعته ونصرته لهذا الدين ما حصل منه من دفاع عن النبي ﷺ في معركة أحد فقد كان من نفر القلة الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في هذه المعركة، ولما دخلت حلقات المغفر في وجه رسول الله ﷺ نزعها بأسنانه فسقطت ثنيتاه فما رُئيَ هتم قط أحسن من هتم أبي عبيدة.

(١) ص ٧١٤ برقم ٣٧٤٤، وصحيح مسلم ص ٩٨٥ برقم ٢٤١٩.

(٢) ص ٩٨٥ برقم ٢٤١٨.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠٢/١).

(٤) مسند الإمام أحمد (٢٦٣/١) برقم (١٠٨)، وقال محققوه: حسن لغيره.

وقد عينه عمر بن الخطاب أخيراً على الجند في الشام.

وذكر ابن المبارك في الزهد أن عمر قدم الشام، فتلقيه الأمراء والعظماء فقال: أين أخي أبو عبيدة؟ قالوا: يأتيك الآن قال: فجاء علي ناقة مخطومة بحبل، فسلم عليه، ثم قال للناس: انصرفوا عنا ثم قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك علي، قال: فدخل فلم ير شيئاً قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبدأً<sup>(١)</sup> وصحفة<sup>(٢)</sup> وشنأ<sup>(٣)</sup> وأنت أمير، أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة فأخذ منها كسيرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قد قلت: إنك ستعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين يكفيك ما يبلغك المقييل، قال عمر: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة<sup>(٤)</sup>.

قال الذهبي: هذا والله هو الزهد الخالص، لا زهد من كان فقيراً معدماً<sup>(٥)</sup>.

ولما حصل طاعون عمواس بالشام مات منه الآلاف من المسلمين، وكان أبو عبيدة معه ستة وثلاثون ألف فلم يبق معه إلا ستة آلاف رجل، روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن

(١) اللبدهي: الخرق.

(٢) الصحفة: هي إناء مبسوط مثل القصعة.

(٣) الشن: هي قرية خرقة وهي التي تستخدم في السقاي.

(٤) أبو داود في الزهد ص ١٢٦ برقم ١٢٣، والبيهقي في شعب الإيمان (١٥/١٤٠ -

١٤١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٠١)، وقال محقق كتاب الزهد لأبي داود:

أخرجها عبد الرزاق في مصنفه (١١/٣١١) بإسناد صحيح.

(٥) سير أعلام النبلاء (١/١٧).

النبي ﷺ قال: «الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup>.

روى الحاكم من طريق طارق بن شهاب أن عمر كتب إلى أبي عبيدة لما انتشر الطاعون: إنه قد عرضت لي حاجة، ولا غنى بي عنك فيها، فعجل إلي فلما قرأ الكتاب، قال: عرفت حاجة المؤمنين أنه يريد أن يستبقي من ليس بباقي، فكتب: إني قد عرفت حاجتك، فحللني من عزيمة، فإني في جند من أجناد المسلمين، لا أرغب بنفسي عنهم، فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقبل له: مات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكان قد<sup>(٢)</sup>. وقد حصلت لأبي عبيدة كرامة له ولجيشه، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر أنه قال: بعث النبي ﷺ بعثاً قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاث مئة وأنا فيهم فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع ذلك كله، فكان مزودي تمر، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني فلم يكن يصيبنا إلا ثمرة ثمرة، فقلت: وما تغني ثمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدناها حين فني، قال: ثم انتهينا إلى البحر، فإذا حوت مثل الطَّرب، فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلعه فنُصبا ثم أمر براحلة فرحلت، ثم مرت تحتها فلم تصبهما<sup>(٣)</sup>.

وكانت وفاته سنة ثمانى عشرة من الهجرة وله ثمان وخمسون

(١) ص ٥٤٦ برقم (٢٨٣٠)، وصحيح مسلم ص ٧٩٤ برقم ١٩١٦.

(٢) (٢٩٤/٣) برقم ٥١٤٦، قال الذهبي: هو على شرط البخاري ومسلم.

(٣) ص ٤٧٠ برقم ٢٤٨٣، صحيح مسلم ص ٨٠٢ برقم ١٩٣٥.

سنة. رضي الله عن أبي عبدة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير  
الجزاء وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء  
والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة التاسعة والستون

شرح اسم الله الغني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
 روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في كتاب الله تعالى: «الغني». قال بعضهم ذكر «الغني» في كتاب الله في ثماني عشرة آية. قال تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨]. وقال تعالى: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم]. والغني في كلام العرب الذي ليس بمحتاج إلى غيره، قال الخطابي: هو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لملكة فليست به حاجة إليهم وهم إليه فقراء محتاجون كما وصف نفسه (٢) فقال: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر].

(١) ص ١٤٠٩ برقم ٧٣٩٢، وصحيح مسلم ص ١٠٧٦ برقم ٢٦٧٧.

(٢) شأن الدعاء ص ٩٢ - ٩٣.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إن الله تعالى شأنه هو الغني بذاته الذي له الغنى التام من جميع الوجوه لكماله وكمال صفاته فيده خزائن السماوات والأرض وخزائن الدنيا والآخرة فالرب غني لذاته والعبء فقير لذاته محتاج إلى ربه لا غنى له عنه طرفة عين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْفَقْرُ لِي وَصَفُ ذَاتٍ لِأَزْمٍ أَبَدًا كَمَا أَنَّ الْغِنَى أَبَدًا وَصَفٌ لَهُ ذَاتِي<sup>(١)</sup>

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بسر بن جحاش أن النبي ﷺ بَصَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: ابْنُ آدَمَ، أَنِّي تُعْجِزُنِي، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ<sup>(٢)</sup>، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي<sup>(٣)</sup>، قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ<sup>(٤)</sup>».

فأكمل الخلق أكملهم عبودية وأعظمهم شهوداً لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين ولهذا كان من دعائه ﷺ: «أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ<sup>(٥)</sup>».

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٧.

(٢) الوئيد صوت شدة الوطاء على الأرض، أي مشيت متكبراً وتركت النظر في أصلك وفي أمر خالقك.

(٣) التراقي عظام بين ثغرة النحر والعاتق.

(٤) (٣٨٥/٢٩) برقم ١٧٨٤٢، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٥) جزء من حديث أخرجه أبو داود ص ٥٤٩ برقم ٥٠٩٠، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الجامع الصغير برقم ٣٣٨٨.

وكان يدعو ﷺ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» (١).

يعلم عليه الصلاة والسلام أن قلبه بيد الرحمن لا يملك منه شيئاً وأن الله يصرفه كيف يشاء.

ثانياً: أن الله تعالى الغني له ملك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾ (٦٤) [الحج].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا عِبَادِي: إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوَنِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً» (٢) فجميع الخلق مفتقرون إلى الله الغني الواسع في طلب مصالحهم ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم والعباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) [فاطر].

فالله ﷻ هو الغني الذي يطعم ويسقي ويحيي ويميت ويغني ويفقر، قال تعالى عن إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٧٥) أَنْتُمْ

(١) مسند الإمام أحمد (١٩/١٦٠)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم وأصله

في صحيح مسلم.

(٢) ص ١٠٣٩ برقم ٢٥٧٧.

وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ  
يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ [الشعراء].

وبالجملة: فإن جميع المخلوقات مفتقرة إليه تعالى في وجودها،  
فلا وجود لها إلا به، فهي مفتقرة إليه في قيامها، فلا قوام لها إلا به،  
فلا حركة ولا سكون إلا بإذنه، فهو الحي القيوم القائم بنفسه فلا  
يحتاج إلى شيء، القيم لغيره فلا قوام لشيء إلا به، فالخالق له مطلق  
الغنى وكماله، وللمخلوق مطلق الفقر إلى الله وكماله، قال الشاعر:

وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَعَالَى شَأْنُهُ  
وَكُلَّ شَيْءٍ رَزَقَهُ عَلَيْهِ وَكُلُّنَا مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>

ثالثاً: أن الله تعالى غني عن عباده لا يريد منهم طعاماً ولا شراباً  
لم يخلقهم ليستكثر بهم من قلة، أو يستقوي بهم من ضعف، أو  
ليستأنس بهم من وحشة بل هم المحتاجون إليه في طعامهم وشرابهم  
وسائر شؤونهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا  
أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات].

رابعاً: أن يتعفف المؤمن عن أموال الناس وحاجاتهم وأن  
يسأل الغني الكريم من فضله، قال تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾  
[النساء: ٣٢].

روى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله  
كان يقول: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ

(١) معارج القبول (١/١٦٨).

عَمَّنْ سِوَاكَ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَسْتَغْفِرُ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعِنْ يُغْنِهِ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»<sup>(٣)</sup>، فمن اجتهد واستعان بالله وألح عليه في السؤال لم يخيبه الله فإنه أمر بالدعاء ووعده عليه الإجابة في جميع الأدعية<sup>(٤)</sup>.

خامساً: أن الله تعالى لكمال غناه واستغنائه عن خلقه قادر على أن يذهب الناس ويأت بخلق جديد وهذا ليس بعزيز على الله، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾<sup>(١٣)</sup> [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ ءِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾<sup>(٢٨)</sup> [محمد].

سادساً: أن الله جل وعلا قرن غناه بالحمد، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(١٥)</sup> [فاطر]، لأنه ليس كل غني نافعاً بغناه

(١) ص ٥٥٩ برقم ٣٥٦٣ وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) ص ٢٨٧ برقم ١٤٦٩، صحيح مسلم ص ٤٠٤ برقم ١٠٥٣.

(٣) ص ١٠٩٠ برقم ٢٧٢١.

(٤) المجموعة الكاملة للشيخ السعدي (١/٤٩٦).

إلا إذا كان الغني جواداً منعماً، وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم، واستحق عليهم الحمد، وليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمده<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/٢١٥).

(٢) انظر الأسماء الحسنى والصفات العلى للشيخ عبدالهادي وهبي ص ٦٢ - ٨٠.



### المسارعة إلى الخيرات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنه ينبغي للمؤمن أن يسارع في الخيرات فالعمر قصير والأجل قريب، وابن آدم لا يدري متى يأتيه الموت وأعني بالمسارعة إلى الخيرات أي المبادرة إلى الطاعات والسبق إليها والاستعجال في أدائها وعدم تأخيرها، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى عن نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه]. وقال تعالى عن نبي الله زكريا: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء]. وكان عليه السلام يحث أمته على المسارعة إلى الأعمال الصالحة فإن المؤمن لا يدري ما يعرض له من مرض، أو فتنة، أو أجل. روى مسلم في صحيحه

من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ: يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا، أَوْ يُؤْمِسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>.

وروى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال لرجل من أصحابه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «التَّوَدُّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ»<sup>(٣)</sup>. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم فيتسابقون إلى الأعمال الصالحة ويتنافسون في أعمال الآخرة كما أرشد إلى ذلك ربنا ﷻ فقال: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين].

روى أبو داود في سننه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَّصِدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَا لَّا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ، إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَآتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ

(١) ص ٧٢ برقم ١١٨.

(٢) (٣٤١/٤) برقم ٧٨٤٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (١/٢٤٤) برقم ١٠٧٧.

(٣) ص ٥٢٤ برقم (٤٨١٠)، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (١/٥٧٨) برقم ٣٠٠٩.

اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قُلْتُ: لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا<sup>(١)</sup>.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن للقلوب شهوة وإدباراً  
فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها، قال  
الإمام أحمد بن حنبل: كل شيء من الخير يبادر به.

وقال الشاعر:

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ فَاعْتَنِمَهَا      فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سَكُونُ  
وَلَا تَغْفَلْ عَنِ الْإِحْسَانِ فِيهَا      فَمَا تَدْرِي السَّكُونُ مَتَى يَكُونُ  
وَإِنْ دَرَّتْ<sup>(٢)</sup> نِيَّاقُكَ فَاحْتَلِبِهَا      فَمَا تَدْرِي الْفَصِيلُ<sup>(٣)</sup> لِمَنْ يَكُونُ

ومن فوائد المسارعة إلى الخيرات:

أولاً: الفوز بجنات النعيم، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ<sup>(١٠)</sup>﴾  
أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ<sup>(١١)</sup>﴾ [الواقعة]. والسابقون هم المبادرون إلى فعل  
الخيرات في الدنيا، وهم في الآخرة سبقوا إلى الجنات فإن سبق  
هناك على قدر سبق في الدنيا، والجزاء من حسن العمل، قال تعالى:  
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ<sup>(٦٠)</sup>﴾ [الرحمن]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ  
أَوْثَرْنَا الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ  
وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ<sup>(٣٢)</sup>﴾  
[فاطر].

(١) ص ١٩٧ برقم ١٦٧٨، وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (٣١٥/١)  
برقم ١٤٧٢.  
(٢) در الضرع: امتلاً لبناً.  
(٣) الفصيل: ولد الناقة، المعجم الوسيط (٢٧٩ - ٦٩١).

قال ابن كثير: «ومنهم سابق بالخيرات هو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات، وبعض المباحات»، وقال ابن عباس: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعه محمد عليه الصلاة والسلام»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: المسارعة بقضاء الفرائض والواجبات فيه إبراء للذمة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ فَإِنَّهُ قَدْ تَضَلَّ الضَّالَّةَ وَيَمْرُضُ الْمَرِيضُ وَتَكُونُ الْحَاجَّةُ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: المبادرة بالأعمال الصالحة في أول أوقاتها أفضل من تأخيرها إلا لمن استثناه الدليل. ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا»<sup>(٤)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال:

(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٢٢ - ٣٢٣).

(٢) (٣/٣٢٢) برقم ١٨٣٣، وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) ص ١٢١ برقم ٥٢٧، وصحيح مسلم ص ٦٢ برقم ٨٥.

(٤) ص ١٣٤ برقم ٦١٥، وصحيح مسلم ص ١٨٦ برقم ٤٣٧.

«لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ» (١).

رابعاً: أن المبادرة إلى الأعمال الصالحة فيها استجابة لأمر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: فأنطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ». قال: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: جَنَّةُ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخَّ بَخْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخَّ بَخْ؟!» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِلَّا رَجَاءٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْتَ أَنَا حَيِّتُ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ: إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ (٢).

وأختتم هذه الكلمة بما ذكره الله في كتابه عن فضل أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا قبل الفتح على الذين أسلموا بعد قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي

(١) ص ١٨٦ برقم ٤٣٨.

(٢) ص ٧٨٩ برقم (١٩٠١).

مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ  
وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴿١٠﴾ [الحديد].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الواحدة والسبعون

شرح حديث احفظ الله يحفظك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحِذُهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم والحكم شرحاً عظيماً، ومما جاء في كلامه رحمته الله:

«هذا الحديث تضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش، فوأسفاً من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه».

قوله: «أحفظ الله»: يعني احفظ حدوده وحقوقه وأوامره

(١) ص ٤٠٩ برقم ٢٥١٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ونواهيه وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه. فقال: ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [ق: ٣٢]. وفسر الحفيظ ها هنا بالحافظ لأوامر الله وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها، ومن أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله الصلاة وكذلك الطهارة فإنها مفتاح الصلاة، وحفظ الإيمان وحفظ الرأس ويدخل فيه السمع والبصر واللسان وحفظ البطن ويدخل فيه عدم إدخال الحرام إليه من المأكول والمشرب.

قوله: «يَحْفَظُكَ»: يعني أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله فإن الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠].

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

الأول: حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]. قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله فإذا جاء القدر خلوا عنه.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هُوَ لِأَيِّ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي  
وَأَمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ  
شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُعْتَالَ مِنْ تَحْتِي»<sup>(١)</sup>.

كان بعض العلماء قد جاوز المئة عام وهو متمتع بقوته وعقله  
فوثب يوماً وثبة شديدة فعُوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها  
عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، وقد يحفظ الله  
العبد بصلاحه بعد موته في ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا  
صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، فإنهما حفظا بصلاح أبيهما.

النوع الثاني: من الحفظ وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في  
دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة ومن الشهوات  
المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان. وفي  
الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَوَى  
أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ»، ثم قال  
في آخر الحديث: «وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي،  
وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَأَحْفَظْهَا بِمَا  
تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ» وفي رواية: «أَمَامَكَ». معناه:  
أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في كل أحواله

(١) ص ٥٤٧، برقم ٥٠٧٤، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود  
(٢٤٨/٣).

(٢) ص ١٢١٦، برقم ٦٣٢٠، وصحيح مسلم ص ١٠٨٨ برقم ٢٧١٤.

حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. قال قتادة: «من يتق الله يكن معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا مضل له».

قوله: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»: هذا منتزع من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥]. فإن السؤال لله هو دعاؤه والرغبة إليه والدعاء هو العبادة<sup>(١)</sup>.

فتضمن هذا الكلام أن يسأل الله ﷻ ولا يسأل غيره وأن يستعان بالله دون غيره، فأما السؤال فقد أمر الله بمسألته، قال تعالى: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٢ - ٣]. وفي النهي عن سؤال المخلوقين أحاديث كثيرة صحيحة، وقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً منهم أبو بكر الصديق وأبو ذر وثوبان وكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه.

قوله: «وَاعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ

(١) حديث في سنن أبي داود ص ١٧٧ برقم ١٤٧٩، وانظر صحيح الجامع الصغير برقم ٣٤٠٧.

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ [الحديد: ٢٢]. وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»<sup>(٢)</sup>.

قال عبيد الله بن عتبة:

واصْبِرْ عَلَى الْقَدْرِ الْمَحْتُومِ وَارْضَ بِهِ      وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ  
فَمَا صَفَا لِمَرِيٍّ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ      إِلَّا سَيَتَّبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ

ومدار جميع هذه الوصايا على هذا الأصل وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه وراجع إليه فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر ونفع وضر وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع المعطي المانع فأوجب ذلك العبد توحيد ربه وَعَلَى وإفراده بالطاعة وحفظ حدوده، فمن علم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غير الله أوجب ذلك أفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعاً وأنه يتقي

(١) ص ١٠٦٥ برقم ٢٦٥٣.

(٢) ص ٣٥٧ برقم ٢١٤٤ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٢٦).

سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعاً وإفراده بالاستعانة والسؤال له وإخلاص الدعاء له في حال الشدة وحال الرخاء، بخلاف ما كان عليه المشركون من إخلاص الدعاء له عند الشدائد ونسيانه في الرخاء ودعاء من يرجون نفعه من دونه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والسبعون

تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:  
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. وعملاً  
بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آيات من كتاب الله ونتدبر ما فيها من  
العظات والعبر.

قال تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ (١٣)  
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ  
كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا  
رَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيُطَوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ  
حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْشُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ  
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا  
كَانَ لَكُمُ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا (٢٢) [الإنسان: ١٣ - ٢٢].

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾  
الاتكاء هو التمكّن من الجلوس في حال الرفاهية والطمأنينة،

والأرائك هي السرر التي عليها اللباس، ولا يرون فيها شمساً أي ليس يضرهم حر ولا زمهرير أي برد شديد بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل بحيث تلتذ به الأجساد ولا تتألم من حر ولا برد فهو مزاج واحد دائم سرمدي ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَتِ النَّارُ: رَبِّ! أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لِي أَنْتَفَسَ. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ، نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ بَرْدٍ أَوْ زَمْهَرِيرٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرٍّ أَوْ حَرُورٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾: قريبة إليهم أغصانها ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ أي متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما في قوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]. وكما في قوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]. قال مجاهد: إن قام ارتفعت معه بقدر وإن قعد تذللت له.

قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ أي: يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم.

قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾: قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: بياض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج.

(١) ص ٢٤٥ برقم ٦١٧ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ١٢٢ برقم ٥٣٧.

فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا﴾ أي على قدر ريبهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي معدة لذلك وهو قول جمع من المفسرين وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾، أي: ويسقون الأبرار فيها في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي: خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً كما قال قتادة وغير واحد.

قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلاً﴾، قال قتادة: اسم للعين التي يشربون بها المقربون صرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة، وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها، وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلق، واختار هو أنها تعم ذلك كله، قال ابن كثير: وهو كما قال<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَوْهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْشُورًا﴾، أي: يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان صغار من ولدان الجنة مخلدون أي على حالة واحدة لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن

(١) تفسير ابن كثير (٢١٣/١٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢١٤/١٤) وتفسير القرطبي (٤٧٧/٢١).

تلك السن. ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنُورًا﴾، أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لَوْلَا مَنُورًا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ولا في النظر أحسن من الؤلؤ المنثور على المكان الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾، أي: إذا رأيت يا محمد هناك في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الخبرة والسرور رأيت نعيمًا وملاكًا كثيرًا أي مملكة لله هناك عظيمة وسلطانًا باهرًا، قال سفيان الثوري: بلغنا أن الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم، دليله، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ؟ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مُلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيْتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ! قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: أَوْلِيكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»<sup>(١)</sup>.  
 قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾، أي: لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس ﴿وَحُلُوتًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ الذكور والإناث، هذه صفة الأبرار، أما المقربون فإنهم كما قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣].

قوله تعالى: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الخلائق الرديئة كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [السجدة: ١٧]. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحداها فتجري عليهم بنصرة النعيم فلا تتغير أبقارهم، ولا تتشعث أشعارهم أبداً ثم يشربون من الأخرى فتخرج ما في بطونهم من الأذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طَبَّتْ فَأَدْخَلُوهَا خَلِيدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال النخعي وأبو قلابة: إذا شربوه بعد أكلهم طهرهم وصار ما أكلوه وما شربوه رشح مسك وضمرت بطونهم<sup>(٢)</sup>.

(١) ص ١٠٥ برقم ١٨٩.

(٢) تفسير القرطبي (٢١/ ٤٨٤ - ٤٨٥).

قال الشاعر:

وَجَنَّاتٌ عَدْنٌ زُخْرِفَتْ ثُمَّ أُرْلِفَتْ      لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَامًا تَبَتَّلُ  
بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي      وَقُرَّةٌ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرَحَّلُ  
مَلَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَسِنْدَسٌ      وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَعْتَرِيهِ التَّحَلُّلُ  
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ حِسَانٌ كَوَاعِبُ      عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَشْكَلُ  
يُطَافُ عَلَيْهِم بِالَّذِي يَشْتَهَوْنَهُ      إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بَاخِرَ بَدَّلُوا

وقال آخر:

فَاعْمَلْ لِدَارٍ غَدًا رِضْوَانٌ خَازِنُهَا      الْجَارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمَنُ بَانِيهَا  
قُصُورُهَا ذَهَبٌ وَالْمِسْكُ طِينَتُهَا      وَالزَّعْفَرَانُ حَشِيشٌ نَابِتٌ فِيهَا

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾. أي يقال لهم ذلك تكريمًا لهم وإحسانًا إليهم كما قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]. وكما قال تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾، أي: جزاكم الله على القليل بالكثير كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

والحمد لله رب العالمين صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والسبعون

الوفاء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأخلاق الجميلة والصفات الحميدة التي حث عليها الشرع ورغب فيها: الوفاء، قال الراغب: الوفاء بالعهد إتمامه وعدم نقض حفظه<sup>(١)</sup>، وللوفاء أنواع عديدة باعتبار الموفى به فهي قد تكون وفاء بالعهد وقد تكون وفاء بالعقد أو الميثاق، وقد تكون وفاء بالوعد. فالوفاء بالعهد كما ذكر الراغب إتمامه وعدم نقض حفظه، قال ابن عباس: العهود ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله<sup>(٢)</sup>. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وأما الوفاء بالعقد فالمراد به إما العهد وبذلك يتطابق مع التعريف الأول وقيل: العقود هي أوكد العهود، وقيل: هي عهود الإيمان والقرآن وقيل: هي ما يتعاقد به الناس فيما بينهم<sup>(٣)</sup>، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. أما الوفاء بالوعد

(١) المفردات ص ٥٢٨.

(٢) عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر (٤/٦٢ - ٦٣).

(٣) مختصر تفسير البغوي (١/٢١٠).

فالمراد به أن يصبر الإنسان على أداء ما يعد به الغير ويبدله من تلقاء نفسه ويرهنه به لسانه حتى وإن أضربه ذلك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت أنه «أمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة قال: وهذه صفة نبي»<sup>(١)</sup>.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أحق الشروط بالوفاء شروط النكاح. روى البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحَلَّتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ»<sup>(٢)</sup>.

وأداء الدين من الوفاء، روى البخاري في صحيحه من حديث وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه أخبره أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود، فاستنظره جابر فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له إليه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبى، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر: «جُدَّ لَهُ فَأَوْفِ لَهُ الَّذِي لَهُ»، فجده بعد ما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>.

وأداء حقوق الله تعالى من الوفاء بالعهد. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ

(١) ص ٥١٠ برقم ٢٦٨١ وصحيح مسلم ص ٧٣٦ - ٧٣٧ برقم ١٧٧٣.

(٢) ص ٥٢٠ برقم ٢٧٢١ وصحيح مسلم ص ٥٥٨ برقم ١٤١٨.

(٣) ص ٤٤٩ برقم ٢٣٩٦.

إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمَّي نَذَرْتُ أَنْ تَحُجَّ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا لِلَّهِ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ»<sup>(١)</sup>.

والوفاء بالعهد من صفات المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرِي فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]. قال ابن كثير: فصدق الوعد من الصفات الحميدة، كما أن خلفه من الصفات الذميمة، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ - ٣]. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت هذه صفات المنافقين، كان التلبس بصددها من صفات المؤمنين ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد وكذلك كان رسول الله ﷺ صادق الوعد أيضاً لا يعد أحداً شيئاً إلا وفى له به.

وقد أثنى على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب فقال: «حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي»<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>. اهـ.

روى البخاري ومسلم من حديث جابر رضي عنه قال: لما مات

(١) ص ٣٥٣ برقم ١٨٥٢.

(٢) ص ٣٠ برقم ٣٣، وصحيح مسلم ص ٥٦ برقم ٥٩.

(٣) ص ٥٩٥ برقم ٣١١٠، وصحيح مسلم ص ٩٩٤ برقم ٢٤٤٩.

(٤) تفسير ابن كثير (٩/ ٢٥٨ - ٢٥٩).

النبي ﷺ، جاء أبا بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمي، فقال أبو بكر: من كان له على النبي ﷺ دين، أو كانت له قبله عدة، فليأتنا. قال جابر: فقلت وعدني رسول الله ﷺ أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا، قال جابر: فعد في يدي خمسمئة ثم خمسمئة ثم خمسمئة<sup>(١)</sup>.

وبين النبي ﷺ أن الوفاء بالوعد جزاؤه الجنة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «أَضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُؤْتِمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر:

فَإِنْ تُجْمَعِ الْآفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا      وَشَرُّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ  
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا      وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلٌ

ومما تقدم يتبين لنا فضل الوفاء وأنه من أوجب الواجبات. وإن من مظاهر عدم الوفاء التي انتشرت في بني آدم وهي كثيرة:

عدم الوفاء بعهد الله وميثاقه، فإن الله قد أخذ على بني آدم وذريته أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(١) ص ٥١٠ برقم ٢٦٨٣، وصحيح مسلم ص ٩٤٧ برقم ٢٣١٤.

(٢) (٣٧/٤١٧) برقم ٢٢٧٥٧، وقال محققوه: حسن لغيره.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسَبُهُ قَالَ -: وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ فَأَبَيْتَ إِلَّا الشَّرْكَ»<sup>(١)</sup>.

ومنها عدم الوفاء مع الوالدين فإنهما السبب بعد الله في وجود الإنسان، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. ونسمع قصصاً عجيبة للتنكر لجميل الوالدين يندى لها الجبين، ويتفطر منها القلب.

ومنها عدم الوفاء بين الزوجين، فالمرأة ينبغي أن تكون وفية لزوجها، وكذلك الزوج يكون وفيًا لزوجته فإن النبي ﷺ مدح أم المؤمنين خديجة وكان وفيًا لها؛ فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله ﷻ بها خيراً منها، قال: «مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنْتُ بِبِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) ص ١٢٥٥ برقم ٦٥٥٧، وصحيح مسلم ص ١١٢٨ برقم ٢٨٠٥.

(٢) (٣٥٦/٤١) برقم ٢٤٨٦٤ وقال محققوه: حديث صحيح.

ومن وفائه أنه كان يذبح الشاة ويقطع اللحم ويوزعه على أصدقاء خديجة وعندما دخلت أخت خديجة هاله رحب بها وأكرمها<sup>(١)</sup>، وقال: «حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup>.

وإن مما أشاع التفكك الأسري في مجتمعات المسلمين وأثار المشكلات بين الأزواج هو الإخلال بهذه الخلة.

ومنها عدم الوفاء بين الأصدقاء، فإن بعض الناس يكون له صديق إما في تجاره أو دراسة أو في عمل أو غير ذلك، فإذا ارتفع في دنياه إما بحصوله على منصب عال أو أصبح من أصحاب الأموال الطائلة أو غير ذلك، ترفع عن أصدقائه ولم يظهر لهم الود السابق وكأنه لا يعرفهم قبل ذلك وهذا ليس من الوفاء بل من التنكر للجميل، وليس من شيم الرجال ولا من أخلاقهم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري ص ٧٢٥ رقم ٣٨١٦، وصحيح مسلم ص ٩٨٨ برقم ٢٤٣٥.  
(٢) مستدرک الحاکم (١/ ١٦٥) رقم ٤١ وقال الحاکم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقال محقق المستدرک: وهو حديث حسن بشواهد إن شاء الله.

الكلمة الرابعة والسبعون

سيرة جعفر بن أبي طالب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وبطل من أبطالها صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر هذا الصحابي كان من السابقين إلى الإسلام، وممن هاجر الهجرتين الأولى للحبشة والثانية للمدينة، وكان أحد قادة المسلمين في معركة مؤتة الشهيرة، وله قرابة من النبي ﷺ فهو ابن عم النبي ﷺ، قال عنه النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي»<sup>(١)</sup>، قال الذهبي: وقد سر النبي ﷺ بقدومه من الحبشة، والله حزن كثيراً عند استشهاده<sup>(٢)</sup>.

إنه الشهيد البطل علم المجاهدين جعفر بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو عبد الله ويلقب بأبي المساكين شقيق علي بن أبي طالب وأكبر منه بعشر سنين، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة موقوفاً عليه أنه قال: ما احتذى النعال، ولا

(١) ص ٥١٥ برقم ٢٦٩٩.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٦).

انتعل، ولا ركب المطايا، ولا ركب الكور<sup>(١)</sup> بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>، يعني في الجود والكرم.

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف بطولية تدل على شجاعته العظيمة ونصرته لهذا الدين، فمن تلك المواقف العظيمة أنه بعد رجوعه من هجرته من الحبشة التي دامت عشر سنين بعيداً عن أهله ووطنه، كان النبي ﷺ لتوّه قد انتهى من فتح خيبر وفرح بقدومه كثيراً، لكن هذه الفرحة لم تستمر طويلاً فالأعمال كثيرة، والوقت قصير، فقد أرسله النبي ﷺ مع جيش المسلمين المتجه إلى الشام لقتال الروم، وكان عددهم ثلاثة آلاف مقاتل وأمر عليهم زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة وبدأت المعركة، ونظراً لعدم التكافؤ بين جيش المسلمين وعدوهم، فقد أظهر المسلمون بطولات وتضحيات عظيمة، ففي بداية المعركة وبعد قتال شديد قتل زيد بن حارثة فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب فعقر جواده، وكان فارساً من فرسان العرب، قال ابن اسحاق: هو أول من عقر في الإسلام<sup>(٣)</sup> فجعل ينشد هذه الأبيات.

يا حَبِّذا الجِنَّةُ واقتراؤها      طَيِّبَةٌ وباردٌ شرابُها  
والرُّومُ رومٌ قد دنا عذابُها      عَلَيَّ إذ لاقيتها ضرابُها

وكان يمسك الراية بيده اليمنى فقطعوا يده اليمنى، فأمسك الراية

(١) والكور الرحل الذي في الناقة.

(٢) ص ٥٨٦ رقم ٣٧٦٤ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) السيرة النبوية (٣/ ٣٣٢).

بيده اليسرى فقطعوا يده اليسرى، فضم الراية إلى صدره فتكاثروا عليه فقتلوه<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية. قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟!»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن راحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن راحة فأصيب، وعيناه تذر فان حتى أخذ سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين، من طعنة

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٣٣).

(٢) ص ٧٨٥ برقم ١٨٨٧.

(٣) ص ٧١٦ برقم ٣٧٥٧.

ورمية<sup>(١)</sup>. وفي رواية: ليس منها شيء في دبره<sup>(٢)</sup>.

وصدق الله إذ يقول: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

روى الحاكم في المستدرک والترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَرَّ بِي جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ مُخَضَّبُ الْجَنَاحَيْنِ بِالدَّمِّ، أبيضُ الفؤادِ»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَطِيرُ مَعَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ لَهُ جَنَاحَانِ»<sup>(٤)</sup>.

فقد عوضه الله عن يديه المقطوعتين في المعركة بأن جعله يطير في الجنة مع الملائكة، وهذه منقبة عظيمة له رضي الله عنه وأرضاه. وفي صحيح البخاري أن ابن عمر كان إذا سلم على عبد الله بن جعفر يقول: السلام عليك يا ابن الجناحين<sup>(٥)</sup>.

قال أبو عبد الله: الجناحان: «كل ناحيتين».

ومن مناقبه العظيمة: ما رواه البخاري في صحيحه من حديث

(١) ص ٨٠٦ برقم ٤٢٦١.

(٢) ص ٨٠٦ برقم ٤٢٦٠.

(٣) مستدرک الحاكم (٤/٢٢٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرح مسلم ولم يخرجاه وحسنه الحافظ في الفتح (٧/٧٦).

(٤) مستدرک الحاكم (٤/٢١٨) برقم ٤٩٨٨، وسنن الترمذي ص ٥٨٦ برقم ٣٧٦٣ وصححه الألباني رحمته الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/٢٢٦) برقم ١٢٢٦.

(٥) ص ٧١٠ برقم ٣٧٠٩.

وبعد استشهاد جعفر ورجوع الجيش إلى المدينة دخل النبي ﷺ على أسماء بنت عميس زوجة جعفر ودعا بأبناء جعفر فشمهم وقبلهم وذرفت عيناه من الدموع حزناً على أخيه جعفر فقالت أسماء: يا رسول الله هل بلغك عن جعفر شيء؟ قال: «نعم، قُتِلَ» فقامت تبكي فقال: «لَا تَبْكُوا عَلَيَّ أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ».

ثم قال: «ادْعُوا لِي ابْنِي أَخِي» قال عبد الله بن جعفر: فجيء بنا كأننا أفرخ، فقال: «ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ» فجيء بالحلاق، فحلق رؤوسنا، ثم قال: أما محمد، فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله، فشبيه خلقي وخلقي، ثم أخذ بيدي، فأشالها<sup>(٢)</sup>. فقال: «اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ» قالها ثلاث مرار، قال: فجاءت أُمْنَا، فذَكَرَتْ لَهُ يُتَمَنَّا وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ<sup>(٣)</sup>، فقال: «الْعَيْلَةُ<sup>(٤)</sup> تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيَّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!»<sup>(٥)</sup>.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعي جعفر حين قتل، قال النبي ﷺ: «اصْنَعُوا لِأَلِ جَعْفَرَ

(١) ص ٥١٥ برقم ٢٦٩٩.

(٢) أي: رفعها.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (٤٢٤/٣): إن كانت بالحاء فهو من أفرحه إذا غمه وأزال عنه الفرح وأفرحه الدين إذا أثقله، وإن كانت بالجيم فهو من المفرج الذي لا عشيرة له فكأنها أرادت أن أباهم توفي ولا عشيرة له.

(٤) العيلة: الفقر والفاقة والحاجة.

(٥) (٣/ ٢٨٠) برقم ١٧٥٠ وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم من قوله: لا تبكوا على أخي.

طَعَامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ أَوْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ»<sup>(١)</sup>.

ومن أخلاقه العظيمة: الكرم والبذل والسخاء ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أنه قال: كنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقري الرجل الآية هي معي، كي ينقلب بي فيطمعني، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّةَ<sup>(٢)</sup> التي ليس فيها شيء فنشقها فنلحق ما فيها<sup>(٣)</sup>.

وكان قتله رضي الله عنه سنة ثمان من الهجرة، وهو في ريعان شبابه، قال بعض المؤرخين: قتل وعمره بضع وثلاثون سنة، رضي الله عن جعفر وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣/ ٢٨٠) برقم ١٧٥١ وقال محققوه: إسناده حسن.  
 (٢) العكَّة: وعاء من الجلد مستدير يوضع فيه السمن والعتسل.  
 (٣) ص ٧١٠ برقم ٣٧٠٨.

الكلمة الخامسة والسبعون

خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ ۗ وَمَا يَعْلَمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۗ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَنْعَلِمُونَ مَا يُضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فقد أخبر سبحانه بكذب الشياطين فيما تلتته على ملك سليمان ونفى عنه ما نسبوه إليه من السحر بنفي الكفر عنه مما يدل على كون السحر كفراً، وأكد كفر الشياطين وذكر صورة من ذلك وهي تعليم الناس السحر، ومما يؤكد كفر متعلم السحر: قوله تعالى عن الملكين اللذين يعلمان الناس السحر ابتلاءً لمن جاء متعلماً: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: لا تكفر بتعلم السحر، ثم أخبر سبحانه أن تعلم السحر ضرر لا نفع فيه فقال: ﴿وَيَنْعَلِمُونَ مَا يُضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وما لا نفع فيه وضرره محقق لا يجوز تعلمه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ أي: لقد علم اليهود فيما عهد إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة، قال ابن عباس: ليس له نصيب، وقال الحسن: ليس له دين فدللت الآية على تحريم السحر وعلى كفر الساحر وعلى ضرر السحر على الخلق، قال سبحانه: ﴿وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ اتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]. ففي هذه الآية الكريمة نفى الفلاح نفيًا عن الساحر عاماً في أي مكان وهذا دليل على كفره.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله ما هي: قال: «الشرك بالله، والسحر» ثم ذكر البقية الأخرى<sup>(١)</sup>. وهذا يدل على عظم جريمة السحر لأنه قرنه بالشرك وعده من السبع الموبقات التي نهى عنها لكونها تهلك فاعلها في الدنيا، لما يترتب عليها من الأضرار الحسية والمعنوية وتهلكه في الآخرة بما يناله بسببها من العذاب الأليم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ»<sup>(٢)</sup>. وروى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»<sup>(٣)</sup>، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت أناس

(١) ص ٥٣٣ رقم ٢٧٦٦، وصحيح مسلم ص ٦٣ برقم ٨٩.

(٢) (١٥ / ٣٣١) برقم ٩٥٣٦ وقال محققوه: حديث حسن.

(٣) ص ٩١٧ برقم ٢٢٣٠.

رسول الله ﷺ عن الكهان فقال: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ» قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ، يَخْطِفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقْرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ كَذِبَةٍ»<sup>(١)</sup>.

ففي هذه الأحاديث النهي عن إتيان العرافين والكهنة والسحرة وأمثالهم وسؤالهم وتصديقهم والوعيد على ذلك، وفيها دليل على كفر الكاهن والساحر لأنهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر ولأنهما لا يتوصلان إلى مقصدهما إلا بخدمة الجن وعبادتهم من دون الله وذلك كفر بالله وشرك به سبحانه.

والساحر لا يتمكن من سحره إلا بالخروج من هذا الدين إما بالذبح للجن أو الاستغاثة بهم أو إهانة كلام الله أو غير ذلك من الموبقات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «يكتبون كلام الله بالنجاسة وقد يقلبون حروف كلام الله، إما حروف الفاتحة، وإما حروف ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(١)</sup>، وإما غيرهما، إما بدم وإما غيره، وإما بغير نجاسة، أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك»<sup>(٢)</sup>.

«ولهذا كلما كان الساحر أكفر وأخبث وأشد معاداة لله ولرسوله

(١) ص ١١٩٦ برقم ٦٢١٣، وصحيح مسلم ص ٩١٦ - ٩١٧ برقم ٢٢٢٨.

(٢) الفتاوى (١٩/٣٥).

ولعباده المؤمنين كان سحره أقوى وأنفذ، ولهذا كان سحر عبادة الأصنام أقوى من سحر أهل الكتاب، وسحر اليهود أقوى من سحر المنتسبين إلى الإسلام وهم الذين سحرُوا رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

والنصوص السابقة من الكتاب والسنة تدل على كفر الساحر كما تقدم مما يدل على أنه يُستتاب فإن تاب وإلا قتل، وذهب بعض العلماء إلى قتله بدون استتابة، روى الترمذي في سننه من حديث جناب رسول الله ﷺ موقوفاً عليه أنه قال: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ»<sup>(٢)</sup> وورد عن طائفة من صحابة رسول الله ﷺ قتل الساحر والأمر بذلك ولم يوجد بينهم خلاف في ذلك.

والسحر داء يؤثر فيمرض الأبدان، ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه وشرع للمرء الذي أُصيب به ويسعى في علاجه الأخذ بالأسباب المباحة المؤدية إلى الشفاء لأن الله تعالى جعل لكل داء دواء. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»<sup>(٣)</sup>. ويعالج السحر بالقرآن والأدعية المشروعة والأدوية المباحة.

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد رُوي عنه فيه عن النبي ﷺ أي في علاج السحر نوعان: أحدهما وهو أبلغها استخراجها وإبطاله كما صح عنه أنه سأل ربه سبحانه في ذلك فدل عليه. والنوع الثاني: الاستفراغ

(١) بدائع الفوائد (٢/٧٥٨).

(٢) ص ٢٥٧ برقم ١٤٦٠.

(٣) ص ١١١٦ برقم ٥٦٧٨.

في المحل الذي يصل إليه أذى السحر»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: من أنفع الأدوية وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثير الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر، والدعاء، والقراءة، فالقلب إذا كان ممتلئاً من الله معموراً بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له، قال: وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية، والدعوات والتعوذات النبوية، لأن الأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها<sup>(٢)</sup>. اهـ.

قال ابن حجر: وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظيم مقامه وصدق توجهه، وملازمة ورده و لكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذي ذكره - يعني ابن القيم - محمول على الغالب، وأن ما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك والله أعلم<sup>(٣)</sup>. وأما علاج السحر بالسحر فهذا حرام لعموم النصوص الواردة في تحريم السحر لأنه من عمل الشيطان، ولا يجوز علاجه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين، واستعمال ما يقولون لأنهم كذبة فجرة يدعون علم الغيب ويلبسون على الناس.

(١) زاد المعاد (٤/١١٤).

(٢) الطب النبوي ص ٢٥٢ بتصرف.

(٣) فتح الباري (١٠/٢٣٥) يشير إلى الأحاديث الصحيحة التي تثبت أنه سُحر عليه الصلاة والسلام.

روى الإمام أبو داود، من حديث جابر أن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>، والنشرة هي حل السحر عن المسحور والمراد بالنشرة الواردة في الحديث النشرة التي يتعاطاها أهل الجاهلية وهي سؤال الساحر لحل السحر بسحر مثله.

فإذا علم ما تقدم ذكره تبين أن ما يفعله بعض الناس من الاتصال ببعض القنوات الفضائية للسحرة وسؤالهم عما يحدث له من مشاكل، أو هموم، أو قضايا اجتماعية، أمر محرم بل هو في غاية الخطورة ويقدم بالعقيدة وكيف يقدم مسلم على ذلك، وهو يعلم الآيات والأحاديث الواردة في ذم السحرة والنهي عن إتيانهم وتصديقهم، ومن فعل ذلك فإنه يخشى على إيمانه وتوحيده.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم (٣٨٦٨)، وقال الحافظ في الفتح (١٠/٢٣٣): إسناده حسن.

الكلمة السادسة والسبعون

تفسير سورة الهمزة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن سور القرآن العظيم الذي تتكرر على أسماعنا وتحتاج منا إلى وقفة تأمل وتدبر سورة الهمزة، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ ويل كلمة تدل على ثبوت وعيد لمن اتصف بهذه الصفات، قال أهل العلم: الهمز بالفعل كأن يلوي وجهه أو يشير بيده ونحو ذلك لعيب شخص أو تنقصه، واللمز باللسان وهو من الغيبة المحرمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَزٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ۝٢﴾ هذه أيضاً من

أوصافه القبيحة جماع مناع. أي يجمع المال ويمنع العطاء فهو بخيل لا يعطي شيئاً. قال بعض المفسرين: أي إن الذي يحمله على الحط من أقدار الناس هو جمعه المال وتعيده أي عده مرة بعد أخرى شغفاً به وتلذذاً بإحصائه لأنه لا يرى عزاً ولا شرفاً ولا مجداً في سواه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَانُوا بِهَا كَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٥٥].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [٣] أي: أيظن أن ماله الذي جمعه وأحصاه وبخل بإنفاقه مخلده في الدنيا فمزيل عنه الموت كلا، قال تعالى لنبيه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [٣٤] [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [٤]، ﴿كَلَّا﴾ أي: فليرتدع عن هذا الحساب فإن الأمر ليس كما يظن بل لا بد أن يفارق هذه الحياة إلى حياة أخرى يعاقب فيها على ما كسب من سيئ الأعمال، و﴿لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ أي: ليلقى وليقذفن يوم القيامة في النار التي من شأنها أن تكسر كل ما يُلقى فيها وتحطمه

(١) ص ٥٥٥ برقم ٢٨٨٧.

والنبذ تفيد التحقير والتصغير.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ﴾. استفهام عنها لتحويل أمرها كأنها ليست من الأمور التي تدركها العقول ثم فسرها بقوله سبحانه: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ﴾ أي هي النار التي لا تنسب إلا إليه سبحانه لأنه هو منشئها في عالم لا يعلمه سواه، قال أبو السعود: وفي إضافتها إليه سبحانه ووصفها بالإيقاد أي المشتعلة من تهويل أمرها ما لا مزيد عليه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، قال ابن جرير: أي التي يطلع ألمها ووهجها على القلوب<sup>(٢)</sup>، وقال الزمخشري: يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألماً منه بأدنى أذى يمسه، فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه؟! ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة<sup>(٣)</sup>. قال بعض المفسرين: وخص الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه أي أنهم في حال من يموت وهم لا يموتون<sup>(٤)</sup> كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى]. وقال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ

(١) تفسير أبي السعود (١٩٩/٩).

(٢) تفسير الطبري (٦٨٩/١٢).

(٣) الكشاف (٢٢٣/٤).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٢٢٩/٩ - ٢٣٠).

مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ [إبراهيم].  
 وقال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا  
 كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ [فاطر].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾، أي: مغلقة مطبقة لا مخلص  
 لهم منها.

قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾، قال الزمخشري: «المعنى أنه يؤكد  
 يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد فتؤصد عليهم الأبواب وتمدد  
 على العمدة استيثاقاً في استيثاق»<sup>(١)</sup> وصدق الله إذ يقول: ﴿نَبِيٌّ  
 عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ  
 مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ [الحجر].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: تأمل الآن لو أن إنساناً كان في  
 حجرة أو في سيارة اتقدت النيران فيها وليس له مهرب الأبواب  
 مغلقة ماذا يكون؟ سيصبح في حجرة عظيمة لا تماثلها حجرة  
 وهكذا في النار ﴿عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾، أي: إن النار  
 مؤصدة وعليها أعمدة ممددة أي ممدودة على جميع النواحي  
 والزوايا حتى لا يتمكن أحد من فتحها أو الخروج منها.

وينبغي للمؤمن أن يحذر من هذه الصفات الذميمة، عيب الناس

(١) الكشاف (٤/٢٢٣).

بالقول أو الفعل، والحرص على المال، وجمعه كأن الإنسان خلق للمال ليخلد له، وأن من كانت هذه صفاته فإن جزاءه هذه النار<sup>(١)</sup>.  
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر تفسير الشيخ ابن عثيمين لجزء عم ص ٣١٨ - ٣٢٢.



الكلمة السابعة والسبعون

شرح اسم الله الشهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة: الشهيد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٦].

قال الزجاج: الشهيد الحاضر<sup>(٢)</sup>، وقال الزجاجي: الشهيد في اللغة بمعنى الشاهد كما أن العليم بمعنى العالم والشاهد خلاف الغائب كقول العرب: فلان كان شاهداً لهذا الأمر أي لم يغيب عنه<sup>(٣)</sup>.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ص ١٠٧٦ برقم ٢٦٧٧.  
 (٢) تفسير الأسماء للزجاج ص ٥٣.  
 (٣) اشتقاق الأسماء للزجاجي ص ١٣٢ نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٤٣٩) بتصرف.

أولاً: أن الله ﷻ هو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء وإن دق وصغر، فهو سبحانه شهيد على العباد وأفعالهم ليس بغائب عنهم، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصِنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ [الأعراف]. فينبغي لكل عامل أراد عملاً صغراً العمل أو كبراً أن يقف وقفة عند دخوله فيه فيعلم أن الله شهيد عليه فيحاسب نفسه فإن كان دخوله فيه لله مضي فيه، وإلا رد نفسه عن الدخول فيه وتركه<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس].

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةٌ عُرَاةٌ غُرُلًا» ثم قال: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ [الأنبياء]. ثم قال: «أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ، أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤَخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصِيحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ »

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٤٤٣): نقلاً عن كتاب الحجّة في بيان المحجّة للأصبهاني.

[المائدة] فيقال: إنَّ هُوَ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ» (١).

ثانياً: أن الله ﷻ أعظم شيء شهادة كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتُكُمْ لَنْ تُشْهِدُونَ أَنْتَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]. قال ابن جرير: يقول الله تعالى ذكره لنيبه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون بنبوتك من قومك: أي شيء أعظم شهادة وأكبر؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة هو الله الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في شهادة غيره من خلقه من السهو والخطأ والغلط والكذب (٢).

ثالثاً: شهد الله ﷻ لنفسه بأنه واحد أحد، فرد صمد لا شريك له ولا وزير ولا ند ولا نظير، وشهدت ملائكته وأولو العلم بذلك كما في قوله جل شأنه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران]. فتضمنت الآية أعظم شهادة من أعظم شهيد.

رابعاً: أن الله تعالى هو الشهيد على أفعال العباد وأقوالهم ويتجلى ذلك يوم القيامة عند محاسبتهم وتقرير أحوالهم. روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قال: قلنا: الله ورسوله

(١) ص ٨٨٠ برقم ٤٦٢٥، وصحيح مسلم ص ١١٤٧ برقم ٢٨٦٠.

(٢) تفسير ابن جرير (١٦١/٥).

أعلم، قال: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ»، يقول: «يَا رَبِّ! أَلَمْ تُجْرِنِي مِنْ الظُّلْمِ؟» قال: «يَقُولُ: بَلَى»، قال: «فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي»، قال: «فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا»، قال: «فَيُخْتَمُّ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انطِقِي»، قال: «فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ»، قال: «ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ» قال: «فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُ»<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس].

خامساً: أن من أعظم ثمرات الإيمان بهذا الاسم أن يستحضر العبد شهود الله له عند كل عمل يعمله أو كلاماً يقوله أو نية يعقدها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة]<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١١٩١ برقم ٢٩٦٩ .

(٢) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (١/٤٣٩ - ٤٥١).

الكلمة الثامنة والسبعون

أحداث الدانمارك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فإن عداوة الكفار للمسلمين أزلية، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَةً﴾ [التوبة: ١٠]. وقال سبحانه: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وفي هذه الأيام تطاول هؤلاء النصارى بدعم من اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة على نبينا وحبينا محمد بن عبد الله ﷺ، ونشرت الصحف الدنماركية الصور والمقالات السيئة التي تتضمن السخرية والاستهزاء بهذا النبي الكريم كل هذا بحجة الديمقراطية والحرية.

ولا شك أن الاستهزاء بالنبي ﷺ استهزاء بالإسلام وبالرب تعالى الذي أرسله إلينا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ونحن نتساءل لماذا لا تكون الحرية في مهاجمة اليهود أو غيرهم ممن يخشونهم ويخافون منهم؟ وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأمام هذا الحدث العظيم الذي حل بالأمة نقف هذه الوقفات:

أولاً: التأكيد على عقيدة الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين وإظهار عداوتهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۗ ﴾ [المائدة: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ۗ ﴾ [الممتحنة: ٤].

ثانياً: استغلال هذا الحدث ودعوة الناس إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاستجابة لأوامرهما والانتها عما نهى الله ورسوله عنه فإن ذلك من أعظم أسباب نصرته، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ۗ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»<sup>(١)</sup>

ثالثاً: يجب على جميع المسلمين حكومات وشعوباً الدفاع عنه عليه الصلاة والسلام والذب عن عرضه وأن يستخدموا

(١) مستدرک الحاكم (١/ ٢٨٤) برقم ٣٢٤، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في مشكاة المصابيح (١/ ٦٦).

جميع الوسائل والإمكانات في ذلك، قال تعالى: ﴿قَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة].

رابعاً: على تجار المسلمين أن يستبدلوا البضائع التي تأتينا من الدانمارك والنرويج التي تتبعها في هذا الأمر ببضائع من دول أخرى حتى لا يستغل أعداء الإسلام هذه الأموال في حملتهم الشرسة ضد النبي ﷺ: «وَمَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْراً مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

خامساً: على المسلمين أن يكثروا من الدعاء أن الله ينصر دينه ويذل أعدائه وينتقم لرسوله ممن آذوه وسبوه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. وروى أبو داود في سننه من حديث النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»<sup>(٢)</sup>.

سادساً: أبشروا وأمّلوا فإن النصر قريب بإذن الله، وسنة الله في خلقه أن من آذى رسوله، أو سبه، ولم يجاز في الدنيا بيد المسلمين فإن الله سبحانه ينتقم لنيبه منه ويكفيه إياه، والحوادث التي تشير إلى

(١) مسند الإمام أحمد (٣٦٣/٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٦/١٠): رواه أحمد بأسانيد ورجالها رجال الصحيح، وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ (١٩/١): وسنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) ص ١٧٧ رقم ١٤٧٩، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ بِرَقْمِ ٣٤٠٧.

هذا في السيرة النبوية وبعهد النبوة كثيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٩٥) [الحجر]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «إنا كفيناك المستهزئين بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله أن لا يضره المستهزؤون وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من العقوبة»<sup>(١)</sup>. وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٢) [الكوثر]. فكل من شناه أو أبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره، وقيل: إنها نزلت في العاص بن وائل، أو عقبة بن أبي معيط، أو في كعب ابن الأشرف، وجميعهم أخذوا أخذ عزيز مقتدر وقتلوا شر قتلة»<sup>(٢)</sup>.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي عنه قال: كان رجل نصرانياً فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانياً، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم، نبشوا عن صاحبنا فألقوه فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله معلقاً: وهذا أمر خارج عن

(١) تفسير ابن سعدي ص ٤١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٨٢/١٤ - ٤٨٣.

(٣) ص ٦٩١ برقم ٣٦١٧، وصحيح مسلم ص ١١٢٠ برقم ٢٧٨١.

العادة يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً، إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد، إذ كان عامة المرتدين يموتون لا يصيبهم مثل هذا، وأن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه ومظهر لدينه ولكذب الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حدثناه أعداداً من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نياس منه، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقية في عرضه فعجلنا فتحة وتيسر ولم يكذ يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، وتكون ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لتبشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه، وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين<sup>(١)</sup> اهـ.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ١١٦-١١٧ .





## سيرة عثمان بن عفان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،  
فهذه مقتطفات من سيره علم من أعلام هذه الأمة، وخليفة من خلفائها الأماجد، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، ولد هذا الصحابي قبل عام الفيل بست سنين على الصحيح وأسلم على يد أبي بكر الصديق، وكان من السابقين إلى الإسلام، وزوجه النبي ﷺ ابنته رقية، فلما ماتت زوجته أختها أم كلثوم، وكان يلقب بذي النورين قال العلماء: ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره، قال فيه النبي ﷺ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»<sup>(١)</sup>.

وقال فيه أيضاً: «بَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ»<sup>(٢)</sup> وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض. إنه الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان أبو العاص القرشي الأموي وصفه أهل السير بأنه كان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الوجه، أبيض اللون، مشرباً بالحمرة، كثير اللحية بعيد

(١) صحيح مسلم ص ٩٧٧ برقم ٢٤٠١.

(٢) صحيح البخاري ص ٧٠٥ برقم ٣٦٩٣، وصحيح مسلم ص ٩٧٨ برقم ٢٤٠٣.

ما بين المنكبين، أحسن الناس ثغراً.

وقد كانت لهذا الصحابي مواقف عظيمة تدل على فضله ونصرتة لهذا الدين فمن ذلك أنه هاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة، وجهز جيش العسرة، وحفر بئر رومة وتصدق بها على المسلمين، كما قام بتوسعة المسجد النبوي، وفي عهد جمع القرآن الكريم، وتوسعت فتوحات المسلمين، ووصلت إلى مشارق الأرض ومغاربها. روى الترمذي من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان رضي عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار قال الحسن بن واقع: وكان في موضع آخر من كتابي في كُمه حين جهز جيش العسرة فينثرها في حجره، قال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» مرتين<sup>(١)</sup>.

قال الزهري: جهز عثمان بن عفان جيش المسلمين في غزوة تبوك بتسعمائة وأربعين بعيراً وستين فرساً.

وروى الترمذي في سننه من حديث ثمامة بن حزن القشيري قال: شهدت الدار، حين أشرف عليهم عثمان، فقال: ائتوني بصاحبكم اللذين ألباكم عليّ.

قال: فجيء بهما فكأنهما جملان، أو كأنهما حماران، قال: فأشرف عليهم عثمان، فقال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن

(١) ص ٥٧٩ برقم (٣٧٠١) وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٨).

رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يُستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلْ دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ»، فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها، حتى أشرب من ماء البحر قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلَانٍ فَيَزِيدُهَا فِي الْمَسْجِدِ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ» فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين، قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أنني جهزت جيش العسرة من مالي؟

قالوا: اللهم نعم.

ثم قال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر، وعمر، وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارتة بالحضيض، قال: فركضه برجله، فقال: «اسْكُنْ ثَبِيرُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ؟».

قالوا: اللهم نعم، قال: الله أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة: أنني شهيد ثلاثاً<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت، فرأى قوماً جلوساً، فقال: من

(١) ص ٥٧٩ برقم ٣٧٠٣ قال الترمذي: هذا حديث حسن.

هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدا، قال: نعم، قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ»، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ» فضرب بها على يده، فقال: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»، فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك<sup>(١)</sup>. وفي صحيح البخاري من حديث قتادة أن أنساً رضي الله عنه حدثهم قال: صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، وقال: «اسْكُنْ أَحَدًا - أَظُنُّهُ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ - فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت لهذا الصحابي من الخصال الحميدة، والشمائل العظيمة الشيء الكثير فقد كان شديد الحياء. روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة قال: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً

(١) ص ٧٠٦ برقم ٣٦٩٩.

(٢) ص ٧٠٦ برقم ٣٦٩٧.

عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه (قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد) فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك! فقال: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟!»<sup>(١)</sup>.

وقد اشتهر ﷺ بالكرم والإنفاق في سبيل الله وقد تقدم ذكر شيء من ذلك.

أما عبادته فقد كان صواماً قواماً، قال ابن عمر في قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر]: ذاك عثمان، قال حسان بن ثابت رضي عنه:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا  
ومن أقواله العظيمة التي تدل على ورعه وتقواه أنه كان يقول: ما زنيت ولا سرقت لا في جاهلية ولا في إسلام.

وقد قُتل رضي عنه سنة خمس وثلاثين من الهجرة محصوراً في داره في الفتنة المشهورة وقد جاوز الثمانين من عمره.

وقد ضحى بنفسه وقتل شهيداً مظلوماً، وكان باستطاعته أن يستعين بالصحابة للدفاع عنه، ولكنه لم يرغب أن تراق قطرة دم من

(١) ص ٩٧٧ برقم ٢٤٠١.

أجله، وقد أخبره النبي ﷺ بقتله ظلماً في حياته، وكانت هذه علامة من علامات النبوة، فروى الترمذي في سننه من حديث ابن عمر قال: ذكر النبي ﷺ فتنة، فقال: «يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُومًا» لِعُثْمَانَ<sup>(١)</sup>، وروى الترمذي في سننه من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «يَا عُثْمَانُ إِنَّهُ لَعَلَّ اللَّهَ يُقَمِّصُكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ لَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

رضي الله عن عثمان وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٥٨٠ برقم ٣٧٠٨، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢١٠/٣) برقم ٢٩٢٥.  
 (٢) ص ٥٧٩ برقم ٣٧٠٥، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢١٠/٣) برقم ٢٩٢٣.



تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد، فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به فقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ﴿٢٤﴾ [محمد]، وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ﴿٩٥﴾ [الحجر]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: أي بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله أن لا يضره المستهزون وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة (١). اهـ.

قال تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿١٣٧﴾ [البقرة]. والأمثلة على ذلك من السنة كثيرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي؟ أَيُّكُمْ

(١) تفسير ابن سعدي ص ٩٥.

يُقَوْمُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ، فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْتِهَا<sup>(١)</sup> وَدَمِهَا وَسَلَاهَا<sup>(٢)</sup>، فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يَمْهَلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ، وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ<sup>(٣)</sup>، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَاَنْطَلَقَ مُنْطَلِقًا إِلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ جُوَيْرِيَّةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبُؤُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ»، ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ ابْنَ الْوَلِيدِ»، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَخَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلْبِ لَعْنَةً»<sup>(٤)(٥)</sup>.

وفي رواية: فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة<sup>(٦)</sup>، وكان من أشد الكفار عداوة لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما يقال له: عقبة بن أبي معيط، والآخر يقال له: النضر بن الحارث.

(١) هو بقايا الطعام في الكرش.

(٢) السلا: هو الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه ويسمى المشيمة.

(٣) جاء في رواية أخرى: أنه عقبة بن أبي معيط.

(٤) ص ١١٩ برقم ٥٢٠، وصحيح مسلم ص ٧٤٦ برقم ١٧٩٤.

(٥) قلب بدر: بئر مهجور والمسافة الآن بين بدر والمدينة ١٥٣ كيلو متر «غزوة بدر الكبرى» للأستاذ محمد باشميل.

(٦) صحيح البخاري ص ٦٩ برقم ٢٤٠.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله لعنهما الله وقد فعل<sup>(١)</sup>.  
وأذكر بعضاً من مواقف هذين الرجلين، التي تدل على حقدهما وبغضهما للنبي ﷺ وللإسلام وأهله.

روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم»<sup>(٢)</sup>.  
وتقدم أن عقبة بن أبي معيط هو الذي وضع سلا الجزور على رسول الله ﷺ وهو ساجد.

أما النضر بن الحارث فقد قال عنه ابن إسحاق: كان من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً، فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم، من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إليّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار<sup>(٣)</sup>، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟ قال

(١) البداية والنهاية (٥/١٨٩).

(٢) ص ٧٠٢ برقم ٣٦٧٨.

(٣) هما حكيمان من حكماء الفرس.

ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني: سأنزل مثل ما أنزل الله، قال ابن اسحاق: وكان ابن عباس يقول فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن قول الله ﷻ: ﴿إِذَا تَلَّيْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن<sup>(١)</sup>.

وكان هذا الرجل حامل لواء المشركين في غزوة بدر، وقد أسر هذان الرجلان عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث في غزوة بدر وجيء بهما مع الأسرى وفي مكان يقال له: الأثيل<sup>(٢)</sup>، أمر النبي ﷺ بضرب عنق النضر بن الحارث فقتله علي بن أبي طالب ضرباً بالسيف، وأرغم الله أنف هذا الكافر وأذله، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وأما عقبة بن أبي معيط فقد أمر النبي ﷺ بضرب عنقه في مكان يقال له: عرق الظبية<sup>(٣)</sup>.

وكان الذي أسره من المسلمين عبد الله بن سلمة، فقال عقبة حين أمر النبي ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ يستعطف النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «النَّارُ»، وكان الذي قتله عاصم بن ثابت<sup>(٤)</sup>.

(١) السيرة النبوية (١/٣٢٦).

(٢) الأثيل: موضع بين بدر والصفراء وفاء الوفا (٢/٢٤٢). قال الواقدي: الأثيل واد طوله ثلاثة أميال، بينه وبين بدر ميلان، مغازي الواقدي (١/١١٣).

(٣) مكان دون الروحاء بميلين، وفاء الوفا (٤/١٠٠٩/١٢٥٩).

(٤) السيرة النبوية (٢/٢٣٦) وأخرجه ابن جرير (٢/٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٣٢٣). وأخرجه أبو داود ص ٣٠٣ حديث رقم ٢٦٨٦، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود برقم ٢٣٣٦.

وفي رواية الواقدي: أنه لما أقبل إليه عاصم بن ثابت ليقتله قال: يا معشر قريش، علام أقتل من بين من هاهنا؟ قال: لعداوتك لله ولرسوله، فأمر به فضربت عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «بئس الرجل كنت والله ما علمتُ كافرًا بالله وبرسوله وبكتابه مؤذياً لنبئه، فأحمد الله الذي هو قتلك، وأقر عيني منك»<sup>(١)</sup>.

والأمثلة كثيرة فيمن عاداه وأذاه عليه الصلاة والسلام وكيف كانت نهايته في الدنيا قبل الآخرة؟! قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) مغازي الواقدي (١/ ١١٤).



الكلمة الحادية والثمانون

تأملات في قوله تعالى:

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ رقم (٢)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر]. وقد تقدم الكلام على هذه الآية في كلمة سابقة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فدعا على ستة نفر من قريش، فيهم: أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدر قد غيرتهم الشمس وكان يوماً حاراً<sup>(١)</sup>. ولناخذ قصة مقتل اثنين من هؤلاء الكفرة الذين كانا يستهزئان به صلى الله عليه وسلم ودعا عليهما وهما: أبو جهل رأس الكفر وفرعون هذه الأمة، وأمية بن خلف الذي عذب بلالاً رضي عنه، وكيف انتقم الله لنبيه منهما؟

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث

(١) ص ٧٤٦ برقم ١٧٩٤، وصحيح البخاري ص ١١٩ برقم ٥٢٠.

عبد الرحمن بن عوف قال: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةً أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعِ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتِكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَأَبْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضْرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟» قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلْبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ»، وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ يوم بدر: «مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟» فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ، قَالَ: أَنْتَ أَبُو جَهْلٍ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ؟ أَوْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ؟<sup>(٢)</sup>.

(١) ص ٦٠١ برقم ٣١٤١، وصحيح مسلم ص ٧٢٧ برقم ١٧٥٢.

(٢) ص ٧٥٣ برقم ٣٩٦٢، وصحيح مسلم ص ٧٢٧ برقم ١٧٥٢.

وقال أيضاً لابن مسعود: فلو غير أكار<sup>(١)</sup> قتلني<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى للبخاري: وهل أعمد<sup>(٣)</sup> من رجل قتلتموه<sup>(٤)</sup>؟

وقال أيضاً لابن مسعود: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويحي الغنم، وسأل قائلاً: لمن الدائرة اليوم؟ قال ابن مسعود: لله ولرسوله.

أما أمية بن خلف فقد روى البخاري في صحيحه قصة قتله من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: كَاتَبْتُ أُمِّيَّةَ بِنِ خَلْفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَّتِي بِمَكَّةَ وَأَحْفَظُهُ فِي صَاغِيَّتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ قَالَ: لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ كَاتِبِنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَاتَبْتُهُ عَبْدَ عَمْرٍو فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأَحْرَزَةَ<sup>(٥)</sup> حِينَ نَامَ النَّاسُ فَأَبْصَرَهُ بِلَالٌ فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أُمِّيَّةُ بِنِ خَلْفٍ لَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا أُمِّيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا خَلَفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتَّبِعُونَا،

(١) الأكار الزراع وعني بذلك أن الأنصار أصحاب زرع فأشار إلى تنقيص من قتله منهم بذلك.

(٢) ص ٧٦٢ برقم ٤٠٢٠.

(٣) أعمد يريد أكبر من رجل قتلتموه على سبيل التحقير منه لفعلهم به. قال الحافظ أبو ذر الخشني: وعميد القوم سيدهم شرح السنة النبوية ص ١٦٠.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٧).

(٥) أحرزت الشيء إذا حفظته وضممته إليك.

وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ: ابْرُكْ فَبَرَكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ، فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الْأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ<sup>(١)</sup>.

وفي رواية لابن إسحاق وهي تتمه لهذه القصة: قال أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على ترك الإسلام فيخرجه إلى رمضان<sup>(٢)</sup> مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد فيقول بلال: أحد أحد قال: فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا، قال: قلت: أي بلال أبأسيري؟ قال: لا نجوت إن نجا قال: قلت: أسمع يا ابن السوداء؟ قال: لا نجوت إن نجا قال: ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا قال: فأحاطوا بنا، حتى جعلونا في مثل المسكة<sup>(٣)</sup> أي جعلونا في حلقة كالسوار وأنا أذب عنه قال: فأخلف رجل السيف فضرب

(١) ص ٤٣ برقم ٢٣٠١.

(٢) الرمضاء: الرمل الحار من الشمس.

(٣) المسكة: السواد من الذيل، الذيل جلدة السلحفاة البرية.

رجل ابنه فوق وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط قال:  
فقلت: انج بنفسك ولا نجاء بك، فوالله ما أغني عنك شيئاً قال:  
فهبر وهما<sup>(١)</sup> بأسيا فهم حتى فرغوا منهما قال: فكان عبد الرحمن  
يقول: يرحم الله بلالاً ذهب أدراعي وفجعتني بأسيري<sup>(٢)</sup>.  
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) فهبر وهما: معناه: قطعوا اللحم يقال: هبرت اللحم إذا قطعتة قطعاً كبيراً.  
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٣).



الكلمة الثانية والثمانون

شرح اسم الله البصير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى الإمامان البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>، قال بعضهم: ورد ذكر البصير في كتاب الله تعالى اثنتين وأربعين مرة، قال تعالى: ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وقال تعالى: ﴿مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩]. قال ابن كثير: والله بصير بالعباد: أي هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة وهو الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون وما ذاك إلا لحكمته ورحمته<sup>(٢)</sup>.

وإن سألت عن بصره فهو البصير جل جلاله الذي قد كمل في بصره أحاط بصره بجميع المُبصرات في أقطار الأرض والسموات حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ١٠٧٦ برقم ٢٦٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٧).

وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من دون ذلك ويرى خيانات الأعين وتقلبات الأجفان وحركات الجنان ويرى ما تحت الأراضي السبع كما يرى ما فوق السماوات السبع<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَهُوَ الْبَصِيرُ يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ      السُّودَاءِ تَحْتَ الصَّخْرِ وَالصَّوَانِ  
وَيَرَى مَجَارِي الْقَوْتِ فِي أَعْضَائِهَا      وَيَرَى عُرُوقَ بِيَاضِهَا بِعَيَانِ  
وَيَرَى خِيَانَاتِ الْعَيُونِ بِلِحْظِهَا      وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الْأَجْفَانِ<sup>(٢)</sup>

وقال المؤيد في الدين:

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبَعُوضِ جَنَاحَهَا      فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْأَلِيلِ  
وَيَرَى نِيَاطَ<sup>(٣)</sup> عُرُوقِهَا فِي نَحْرِهَا      وَالْمُخَّ مِنْ تِلْكَ الْعِظَامِ النُّحْلِ  
أَمْنُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ تَمْحُوبِهَا      مَا كَانَ مِنِّي فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إثبات صفة البصر لله لأنه وصف نفسه بذلك وهو أعلم بنفسه، وصفة البصر من صفات الكمال كصفة السمع فالمتصف بهما أكمل ممن لا يتصف بذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

(١) موارد الأمان ص ٢٧.

(٢) النونية (٢/٢١٥) لابن القيم بشرح ابن عيسى.

(٣) قال في اللسان: النياط: الفؤاد، والنياط عرق علق به القلب من الوتين (٧/٤١٨).

وقال تعالى موبخاً للكفار ومسفهاً عقولهم لعبادتهم الأصنام التي هي من الحجارة الجامدة: ﴿ اَللّٰهُمَّ اَرْجُلُ يَمْشُوْنَ بِهَا اَمْرٌ لَّهُمْ اَيْدٍ يَبْطِشُوْنَ بِهَا اَمْرٌ لَّهُمْ اَعْيُنٌ يُّبْصِرُوْنَ بِهَا اَمْرٌ لَّهُمْ ءَاذَانٌ يَّسْمَعُوْنَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٩٥]. أي أنتم أكمل من هذه الأصنام لأنكم تسمعون وتبصرون فكيف تعبدونها وأنتم أفضل منها؟!!

ثانياً: أن الله تبارك وتعالى بصير بأحوال عباده خبير بصير بمن يستحق الهداية منهم، ممن لا يستحقها بصير بمن يصلح حاله بالغنى والمال وبمن يفسد حاله بذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْاَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ اِنَّهٗ بِعِبَادِهِ لَخَبِيْرٌ بَصِيْرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧]. وهو بصير بالعباد شهيد عليهم الصالح منهم والفاسق قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللّٰهُ يَمَّا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴾ [التغابن: ٢]. بصير خبير بأعمالهم وذنوبهم، قال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيْرًا بَصِيْرًا ﴾ [الإسراء: ١٧]. وسيجزئهم عليها أتم الجزاء<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: إذا علمنا أن الله بصير حملنا ذلك على حفظ الجوارح وخطرات القلوب عن كل ما لا يرضي الله، وحملنا أيضاً على خشيته في السرو العلانية في الغيب والشهادة لأنه يرانا على كل حال، فكيف نعصيه مع علمنا باطلاعه علينا؟! قال تعالى: ﴿ الَّذِي يَرَبُّكَ حِيْنَ تَقُوْمُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِيْنَ ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩]. ومن علم أنه

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٣٧).

يراه أحسن عمله وعبادته. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(١)</sup>.

قال النووي رحمته الله: هذا من جوامع الكلم التي أوتيتها صلى الله عليه وسلم لأننا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمات، واجتماعه بظاهره وباطنه وعلى الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به<sup>(٢)</sup>.  
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آل وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٦ برقم ٨.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٥٧-١٥٨).

الكلمة الثالثة والثمانون

شرح حديث

الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

فقد روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة رهطٍ ممن كان قبلكم، حتى آووا المبيت إلى غارٍ فدخلوه، فأنحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا يُنحِكُكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجلٌ منهم: اللهم كان لي أبوانِ شيخانِ كبيرانِ، وكنت لا أغبقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلبِ شيءٍ يوماً فلم أرحُ عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غبوقهما فوجدتُهما نائمين، وكرِهتُ أن أغبقَ قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثتُ والقدحُ على يدي أنتظرُ استيقاظهما حتى برقَ الفجرُ، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءً وجهك: ففرجْ عنا ما نحنُ فيه من هذه الصخرة، فأنفرتُ شيئاً لا يستطيعون الخروجَ»، قال النبي ﷺ: «وقال الآخر: اللهم كانت لي بنتٌ عمٌّ، كانت أحبَّ الناسِ إليّ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أَلَمْتُ بها سنةً من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينارٍ على أن تخلي بيني

وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَنْفُضَ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَاَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطِيتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّلَاثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَأَقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث فوائد وعبر كثيرة.

أولاً: فضيلة بر الوالدين وأنه من الأعمال الصالحة التي تُفْرَجُ بها الكربات، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَوَقْتِهَا» قال: ثم أي؟ قال: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قال: ثم أي؟ قال: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) ٤٢٣ - ٤٢٤ برقم ٢٢٧٢، وصحيح مسلم ص ١٠٩٦ رقم ٢٧٤٣.

(٢) ص ١٢١ برقم ٥٢٧، وصحيح مسلم ٦٢ برقم ٨٥.

ثانياً: فضيلة العفة عن الزنا وأن الإنسان إذا عف عن الزنا مع قدرته عليه فإن ذلك من أفضل الأعمال، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: في الحديث دليل على فضل الأمانة وإصلاح العمل للغير فإن هذا الرجل كان بإمكانه لما جاءه الأجير أن يعطيه أجره ويبقي هذا المال له ولكن لأمانته وإخلاصه لأخيه ونصحه له أعطاه كل ما أثمر أجره له، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

رابعاً: أن من أعظم الأسباب التي تدفع بها المكاره الدعاء فإن الله سمع دعاء هؤلاء واستجاب لهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

خامساً: أن الإخلاص من أسباب تفريج الكربات لأن كل واحد منهم يقول: اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه.

سادساً: مشروعية التوسل إلى الله بالعمل الصالح فإن كل واحد منهم توسل إلى الله بعمله الصالح أن الله يزيل عنهم ما بهم من الضر والشدة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) ص ٢٧٧ برقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم ص ٣٩٧ برقم ١٠٣١.



الكلمة الرابعة والثمانون

قصة قارون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد قص الله علينا قصص الأمم الماضية لناخذ منها الدروس والعبر، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ قُرُونَكَ مِنَ قَوْمِ مُوسَىٰ بَغِيٍّ عَلَيْهِمْ وَعَائِنَهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتُنَوَّأُ بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (٧٦) وَأَتَّبِعْ فِي مَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلقَهَا إِلَّا الْأَصْكَبُونَ ﴾ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآتُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ

عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنًا وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ ﴿٨٣﴾ [القصص].

يخبر تعالى عن حال قارون وما فعل وما فعل به وأنه كان من بني إسرائيل الذين فضّلوا على العالمين ولكنه بغى على قومه وطغى بما أُوتيه من الأموال العظيمة المطغية، وأعطاه الله من كنوز الأموال شيئاً كثيراً ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة والعصبة من العشرة إلى التسعة إلى السبعة ونحو ذلك أي حتى إن مفاتيح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها أي هذه المفاتيح فما ظنك بالخزائن؟ وقال له قومه: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة وتفتخر بها، فإن الله لا يحب الفرحين بها، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فلا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعاً، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك وأحسن إلى عباد الله ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالتكبر والعمل بمعاصي الله ورد قارون على قومه قائلاً: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب «وخرج ذات يوم على قومه بأحسن هيئة» جمعت زينة الدنيا وبهجتها وغضارتها ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴿الَّذِينَ عَرَفُوا حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ وَنظَرُوا إِلَىٰ بَاطِنِ الدُّنْيَا﴾ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ ﴿العاجل من لذة العبادة ومحبهه والإنابة والإقبال عليه والآجل من الجنة وما فيها خير مما تمنيتم ورجبتم فيه ولا يوفق لذلك إلا الصابرون.

فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر وازينت الدنيا عنده

بغته العذاب فحسف الله به وبداره الأرض، فما كان له من جماعة أو عصابة أو جنود ينصرونه فما نصر ولا انتصر، ثم عرف الذين تمنوا مكانه بالأمس من الذين يريدون الحياة الدنيا أن الله يضيق الرزق على من يشاء ويبسطه لمن يشاء، وعلموا أن بسطه لقارون ليس دليلاً على محبته وأن الله مَنْ عَلَيْهِمْ فلم يعاقبهم على قولهم وإلا أصبح حالهم الهلاك كقارون لعنه الله.

ولما ذكر الله تعالى حال قارون وما صارت إليه عاقبة أمره رغب في الدار الآخرة، وأخبر أنها دار الذين لا يريدون علواً أي رفعة وتكبراً على عباد الله ولا فساداً وهذا شامل لجميع المعاصي، وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة الحميدة كما قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥] (١).

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: إن المال يكون وبالاً وحسرة على صاحبه إذا لم يستخدمه في طاعة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

ثانياً: إن كثرة المال ليست دليلاً على محبة الله ورضاه عن العبد،

(١) تفسير ابن سعدي ص ٥٩٤ - ٥٩٥.

قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ - ٥٦]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: « إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ » ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: (١)].

ثالثاً: أن المعاصي قد تعجل عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة فقارون عاجله الله بالعذاب بالخسف فجعله عبرة للآخرين، قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

رابعاً: إن الله تعالى ييسط الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء لحكمة بالغة منه، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

خامساً: إن هذا المال عرض زائل ومتاع مفارق، قال تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرِنُهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

(١) مسند الإمام أحمد (٥٤٧/٢٨) برقم ١٧٣١١ وقال محققوه: حديث حسن.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ١٢٤٨ برقم ٦٥١٤، وصحيح مسلم ص ١١٨٨ برقم ٢٩٦٠.



## الكلمة الخامسة والثمانون

### نزول المطر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من فضل الله ورحمته بعباده: نزول هذه الأمطار المباركة، قال تعالى: ﴿ وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [ق: ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ثم تأمل الحكمة البالغة في إنزاله بقدر الحاجة حتى إذا أخذت الأرض حاجتها منه - وكان تتابعه عليها بعد ذلك يضرها - أقلع عنها وأعقبه بالصحو فهما - أعني الصحو والتغيم - يعتقان على العالم لما فيه صلاحه، ولو دام أحدهما كان فيه فساد، فلو توالى الأمطار لأهلك ما على الأرض، ولو زادت على الحاجة أفسدت الحبوب والثمار، وعفنت الزروع والخضروات وأرخت الأبدان وخرت الهواء، فحدثت ضروب من الأمراض، وفسد أكثر المآكل وتقطعت المسالك والسبل، ولو دام الصحو لجفت الأبدان وغيض الماء، وانقطع معين العيون والآبار والأنهار والأودية وعظم الضرر، واحتدم الهواء، فبيس ما على الأرض، وجفت الأبدان،

وغلب اليُبْسُ، وأحدث ذلك ضرورياً من الأمراض عسرة الزوال، فاقتضت حكمة اللطيف الخبير أن عاقب بين الصحو والمطر على هذا العالم، فاعتدل الأمر، وصح الهواء، ودفح كل واحد منهما عادية الآخر، واستقام أمر العالم وصلاح»<sup>(١)</sup>.

ومن الأذكار التي تقال عند نزول المطر ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث زيد بن خالد الجهني قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطْرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»<sup>(٣)</sup>. وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي عنه قَالَ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَطْرٌ قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَوْبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطْرِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى»<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

وميكائيل موكل بنزول المطر ففي الحديث الذي رواه

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٩٩).

(٢) ص ١٧٢ برقم ٨٤٦، وصحيح مسلم ص ٥٩ برقم ٧١.

(٣) ص ٢٠٥ برقم ١٠٣٢.

(٤) ص ٣٤٧ برقم ٨٩٨.

(٥) معناه أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بها.

الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن، عرفنا أنك نبي واتبعناك؛ وفي آخر الحديث قالوا: إنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك؟ قال: «جبريل عليه السلام» قالوا: جبريل! ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾<sup>(١)</sup>.

ويشعر للمسلم أن يكثر من الدعاء عند نزول المطر، لما رواه الشافعي في الأم من حديث مكحول مرسلًا أن النبي ﷺ قال: «اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث»<sup>(٢)</sup>.

ويشعر للمسلم الذكر عند سماع الرعد لما رواه مالك في الموطأ من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير موقوفاً عليه: أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ثم يقول: إن هذا لوعيد لأهل الأرض شديد<sup>(٣)</sup>.

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الرعد ملك من ملائكة الله، موكل بالسحاب معه مخاريق من

(١) (٢٨٤ - ٢٨٥) برقم ٢٤٨٣ وقال محققوه: إسناده حسن دون قصة الرعد.

(٢) (٢٥٣/١) وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٤٥٣/٣) برقم ١٤٦٩.

(٣) ص ٦٥٥ برقم ٣٠٥٥ وقال محققوه: صحيح مقطوع أو موقوف.

نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>، وقد يسقي هذا الملك بأمر الله بلاداً دون بلاد، أو قرية دون أخرى، وقد يؤمر بأن يسقي زرع رجل واحد دون سواه، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاحِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَبَعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ لِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلْثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلْثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلْثَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وإذا نزل المطر وكان غزيراً وخيف منه الضرر فإنه يشرع للمسلم أن يدعو الله بتخفيفه. روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابِ كَانَ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمًا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَأَنْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثَنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْنِنَّا،

(١) ص ٤٩٦ برقم ٣١١٧، وصححه الألباني رحمته الله في سنن الترمذي (٦٤/٣) برقم ٢٤٩٢.

(٢) ص ١١٩٦ برقم ٢٩٨٤.

اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَزَعَةً<sup>(١)</sup>، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ<sup>(٢)</sup> مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ الثُّرْسِ<sup>(٣)</sup>، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا<sup>(٤)</sup>. ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ - يَعْنِي الْيَوْمَ الثَّانِي - وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ<sup>(٥)</sup> وَالظَّرَابِ<sup>(٦)</sup> وَبُطُونِ الْأُودِيَةِ وَمَنَايِبِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ<sup>(٧)</sup>.

قال النووي: وفي هذا الحديث الإخبار عن معجزة الرسول ﷺ وعظيم كرامته على ربه ﷻ بإنزال المطر سبعة أيام متواصلة بسؤاله من غير تقدم سحاب ولا قزع ولا سبب آخر ظاهر ولا باطن<sup>(٨)(٩)</sup>.  
والحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) القطعة من السحاب.

(٢) جبل بقرب المدينة.

(٣) وهو ما يبقى له السيف.

(٤) أي أسبوعاً.

(٥) وهي دون الجبل وأعلى من الراية.

(٦) وهي الجبل المنبسط ليس بالعالي.

(٧) ص ٢٠٢ برقم ١٠١٤، وصحيح مسلم ص ٣٤٦ برقم ٨٩٧.

(٨) شرح صحيح مسلم (١٩٢/٢).

(٩) انظر: عالم الملائكة الأبرار للدكتور عمر الأشقر ص ٨٠-٨١.



الكلمة السادسة والثمانون

تواضع السلف وخوفهم من ربهم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قالت عائشة: أ هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمته الله في تعليقه على الآيات المتقدمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي: وجلون مشفقة قلوبهم كل ذلك من خشية ربهم خوفاً أن يضع عليهم عدله فلا يُبقي

(١) ص ٥٠٤ برقم ٣١٧٥، وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٧٩ - ٨٠) برقم ٢٥٣٧.

لهم حسنة وسوء ظن بأنفسهم أن لا يكونوا قد قاموا بحق الله وخوفاً على إيمانهم من الزوال، ومعرفة منهم بربهم وما يستحقه من الإجلال والإكرام، وخوفهم وإشفاقهم يوجب لهم الكف عما يوجب الأمر المخوف من الذنوب والتقصير في الواجبات<sup>(١)</sup>.

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة يخشون أن تحبط أعمالهم وألا تقبل منهم لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قال أبو الدرداء: لئن أعلم أن الله تقبل مني ركعتين أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله يقول: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري قال: قال عبد الله بن عمر: هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال: فقلت: لا، قال: قال أبي لأبيك: يا أبا موسى هل يسرك إسلامنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا كله معه برد لنا وأن كل عمل عملناه بعد نجونا منه كفافاً رأساً برأس؟ فقال أبي: لا والله قد جاهدنا مع رسول الله ﷺ وصلينا وصمنا وعملنا خيراً كثيراً وأسلم على أيدينا بشر كثير وإنما لندرجو ذلك، فقال أبي: لكني أنا والذي نفس عمر بيده لو ددت أن ذلك برد لنا وأن كل شيء عملناه بعد نجونا منه كفافاً رأساً برأس فقلت: إن أباك والله خير من أبي<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: والقائل هو أبو بردة وخاطب بذلك ابن عمر فأراد

(١) تفسير ابن سعدي ص ٥٢٦ .

(٢) ص ٧٤٥ برقم ٣٩١٥ .

أن عمر خير من أبي موسى، فعمر أفضل من أبي موسى لأن مقام الخوف أفضل من مقام الرجاء، فالعلم محيط بالآدمي لا يخلو عن تقصير ما في كل ما يريد من الخير وإنما قال ذلك عمر هضماً لنفسه وإلا فمقامه في الفضائل والكمالات أشهر من أن تذكر<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والمراد أن المؤمن يخفي أحواله عن الخلق جهده كخشوعه وذلّه وانكساره لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها، ورؤيتهم لها، فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع الله، وكم قد اقتطع في هذه المفازة من سالك؟ والمعصوم من عصمه الله فلا شيء أنفع للصادق من التحقق بالمسكنة والفاقة والذل؟ وأنه لا شيء، وأنه ممن لم يصح له بعد الإسلام حتى يدعي الشرف فيه ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ من ذلك أمراً لم أشاهده من غيره وكان يقول كثيراً: ما لي شيء ولا مني شيء ولا في شيء وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المُكَدِّي وابنُ المُكَدِّي      وهَكَذَا كانَ أبِي وجَدِّي  
وكان إذا أُثني عليه في وجهه يقول: إني إلى الآن أُجدد إسلامي في كل وقت وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً<sup>(٢)</sup>.

ومن الناس إذا نصحته في أمر ما قال: نحن أحسن من غيرنا بكثير غيرنا لا يصلي، ويفعل الموبقات، ونحن نصلي ونصوم ونؤدي

(١) فتح الباري (٧/٢٥٥).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٩١).

فرائض الإسلام فيقول هذا معجباً بعمله، ومثل هذا يذكر بقول الله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انظروا إلي من أسفل منكم ولا تنظروا إلي من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»<sup>(١)</sup>.

قال ابن بطال: هذا الحديث جامع لمعاني الخير لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها إلا وجد من هو فوقه ممن طلبت نفسه اللحاق به استقصر حاله فيكون أبداً في زيادة تقربه من ربه، ولا يكون على حال خسيصة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أحسن حالاً منه، فإذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله وصلت إليه دون كثير ممن فضل عليه بذلك من غير أمر أوجبه فيلزم نفسه الشكر فيعظم اغتباطه بذلك في معاده<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان المثل الأعلى في التواضع، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك إبراهيم عليه السلام»<sup>(٣)</sup>. وعمر رضي الله عنه كما في الأثر السابق الخليفة الثاني، ومن العشرة المبشرين بالجنة، يقول عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ

(١) ص ١٢٤٤ برقم ٦٤٩٠، وصحيح مسلم ص ١١٨٩ برقم ٢٩٦٣ واللفظ له.

(٢) فتح الباري (١١/٣٢٣).

(٣) ص ٩٦٣ برقم ٢٣٦٩.

عُمَرُ»<sup>(١)</sup>، ومع ذلك يقول: وددت أن أعمالي كفافاً لا لي ولا علي<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح البخاري من حديث محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث العلاء بن المسيب عن أبيه قال: «لقيت البراء بن عازب رضي الله عنه فقلت: طوبى لك صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده»<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن المبارك: إن الصالحين كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً وإن أنفسنا لا تواتينا إلا كرهاً<sup>(٥)</sup>. وهذا من تواضعه وإلا فهو العلامة الزاهد الورع؛ قال المروزي: سمعت أبا عبد الله الإمام أحمد بن حنبل ذكر أخلاق الورعين فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا أين نحن من هؤلاء؟ وقال صالح بن أحمد: كان أبي إذ دعا له رجل يقول: الأعمال بخواتيمها، وقال مرة: وددت أني نجوت من هذا الأمر كفافاً لا علي ولا لي، وقال المروزي: أدخلت إبراهيم الحصري على أبي

(١) سنن الترمذي ص ٥٧٧ برقم ٣٦٨٦ وقال: حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ

الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٠٤) برقم ٢٩٠٩.

(٢) صحيح البخاري ص ٧٠٧ برقم ٣٧٠٠.

(٣) ص ٧٠١ برقم ٣٦٧١.

(٤) ص ٧٩٢ برقم ٤١٧٠.

(٥) مختصر منهاج القاصدين ص ٤٧٣.

عبد الله وكان رجلاً صالحاً فقال: إن أمي رأت لك مناماً هو كذا وكذا وذكرت الجنة فقال: يا أخي إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا وخرج إلى سفك الدماء وقال: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره، وقال له المروزي يوماً: كيف أصبحت يا أحمد؟ قال: كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطالبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يراقب قبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة<sup>(١)</sup>.

وصدق الفرزدق عندما قال:

أُولَئِكَ أَبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ  
ولا شك أن ما تقدم من أقوال عن السلف فإنما مردها إلى أنهم كانوا يهضمون أنفسهم، ويتواضعون ويحتقر أحدهم نفسه ويمقتها في ذات الله وهذا هو حال المؤمن التقي حتى يلقي الله. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (١١/٢٢٦ - ٢٢٧).

الكلمة السابعة والثمانون

سيرة الزبير بن العوام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد.

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وبطل من أبطالها صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر ونقتدي به في جهاده وتضحيته لهذا الدين، هذا الصحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ شهد بدرًا وأحداً والخندق وغيرها من معارك المسلمين الفاصلة، وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة، يقول عنه المؤرخون: إنه يعد بألف فارس، أسلم هذا الصحابي وهو في ريعان شبابه لم يتجاوز السادسة عشر عاماً، قال النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ - ذكر منهم - شَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup> وهو أول من سل سيفه في الإسلام، وكان من السابقين إلى الإسلام أسلم على يد أبي بكر الصديق، وقد هاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة، آخى النبي ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود، وهو حوارى<sup>(٢)</sup>

(١) ص ٢٧٧ رقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم ص ٣٩٧ برقم ١٠٣١.

(٢) الحوارى هو خالصة الإنسان وصفيه المختص به.

رسول الله ﷺ، قال عنه عمر بن الخطاب: إنه ركن من أركان هذا الدين، وعند وفاته لم يبق موضع في جسده إلا وبه جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى منه ذلك إلى الفرج، بل إن صدره الذي يقابل به الأعداء أصبح كأمثال العيون من الضربات والطعنات وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة بشره النبي ﷺ بالجنة وهو على قيد الحياة. إنه فارس الإسلام الزبير ابن العوام بن خويلد القرشي الأسدي ويكنى أبا عبد الله، وله قرابة من النبي ﷺ من جهتين فأمه صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وأيضاً هو ابن أخي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ، وصفه أهل السير بأنه كان رجلاً طويلاً، فارح الطول إذا ركب الفرس تخط رجلاه بالأرض، خفيف اللحية والعارضين، يميل إلى السمرة، وهذا الصحابي نموذج فريد للتضحية والبذل والنصرة لهذا الدين.

فمن مواقفه العظيمة ما رواه البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا ثم قال: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم: إن الزبير قال: لقد جمع لي رسول الله ﷺ يومئذ أبويه، فقال: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»<sup>(٢)</sup>.

ومن مواقفه العظيمة كذلك ما حدث في فتح مصر عندما استعصت على جيش المسلمين ودام الحصار سبعة أشهر فتقدم وقال:

(١) ص ٧٨١ برقم ٤١١٣، وصحيح مسلم ص ٩٨٤ برقم ٢٤١٥.

(٢) ص ٧١١ برقم ٣٧٢٠، وصحيح مسلم ص ٩٨٤ برقم ٢٤١٦.

أهب نفسي لله وللمسلمين فوضع سلماً وأسنده إلى جانب الحصن ثم صعد عليه وأمر بقية الجنود إذا سمعوا تكبيراته أن يجيئوه جميعاً، ثم رمى بنفسه في الحصن فلم يشعر الأعداء إلا والزبير داخل الحصن فبدأ يضرب بسيفه حتى وصل إلى الباب وفتحه وكبر المسلمون ودخلوا الحصن وكان الفتح الكبير.

وكان له موقف بطولي رائع في معركة اليرموك الشهيرة وكان عدد جيش الروم مائتي ألف مقاتل كما يذكر المؤرخون. روى البخاري في صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: «أَلَا تَشُدُّ فَتَشُدُّ مَعَكَ؟» فقال: إني إن شددت كذبتهم، فقالوا: لا تفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً، فأخذوا بلجامه، فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير، قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس، ووكل به رجلاً<sup>(١)</sup>.

ولما حدثت معركة الجمل قال لابنه عبد الله كما في سنن الترمذي من حديث هشام بن عروة: ما مني عضو إلا وقد جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى ذلك إلى فرجه<sup>(٢)</sup>. قال علي بن زيد: أخبرني

(١) ص ٧٥٥ برقم ٣٩٧٥.

(٢) ص ٥٨٤ برقم ٣٧٤٦ وقال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث حماد بن زيد، وصححه الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِيهِ فِي صحيح سنن الترمذي (٣/٢١٧) برقم ٢٩٤٥.

من رأى الزبير أن في صدره أمثال العيون من الطعن والرمي<sup>(١)</sup>.  
وكان يوم بدر معتجراً بعمامة صفراء فنزلت الملائكة عليهم  
عمائم صفر<sup>(٢)</sup>.

وهذه منقبة عظيمة له رضي عنه وأرضاه.

ومن مواقفه العظيمة التي تدل على شجاعته وقوته ما رواه  
البخاري في صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال: قال  
الزبير: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى  
منه إلا عيناه، وهو يكنى أبو ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش،  
فحملت عليه بالعنزة<sup>(٣)</sup> فطعته في عينه فمات، قال هشام: فأخبرت  
أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه، ثم تمطأت، فكان الجهد  
أن نزعته وقد انثنى طرفها، قال عروة: فسأله إياها رسول الله ﷺ  
فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه،  
فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر فأعطاه إياها فلما قبض عمر أخذها،  
ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي،  
فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قُتل<sup>(٤)</sup>.

ومن مواقفه أن الزبير ضرب يوم الخندق عثمان بن المغيرة

(١) سير أعلام النبلاء (١/٥٢).

(٢) الحاكم في المستدرک (٤/٤٣٨) برقم ٥٦٠٨ وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) العنزة: أطول من العصا وأقصر من الرمح في أسفلها زج كزج الرمح يتوكأ عليها الشيخ  
الكبير (القاموس ص ٦٣١).

(٤) ص ٧٥٩ برقم ٣٩٩٨.

بالسيف على مغفره<sup>(١)</sup>، فقطعه إلى القربوس<sup>(٢)</sup> فقالوا: ما أجود سيفك! فغضب الزبير يريد أن العمل ليد له لا للسيف<sup>(٣)</sup> وكان رضي الله عنه رجلاً غنياً كريماً ينفق ولا يبالي له من الممالك ألف مملوك كلهم يؤدي إليه الخراج، فكان لا يدخل بيته منها شيئاً يتصدق به كله.

في صحيح البخاري أنه قال لابنه عبد الله يوم الجمل: يا بني إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همي لديني. قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بُني إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه مولاي قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: الله، قال: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه<sup>(٤)</sup>.

وكان قتله بعد معركة الجمل. ذكر أهل السير أنه انسحب من المعركة في مكان يقال له: وادي السباع<sup>(٥)</sup>.

وأنشد يقول:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عِلْمِي نَافِعِي      أَنْ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبُ

فأدركه في الوادي رجل يقال له: عمرو بن جرموز وهو نائم في

(١) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، فتح الباري (٤/٦٠).

(٢) القربوس: مقدم السرج ومؤخره.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٥١).

(٤) جزء من حديث في صحيح البخاري ص ٥٩٨-٥٩٩ برقم ٣١٢٩.

(٥) موضع قريب من البصرة على بعد سبعة فراسخ منها.

القائلة فهجم عليه فقتله، وقيل: إنه قتله وهو يصلي غيلة<sup>(١)</sup>، ثم أخذ سيفه وذهب إلى علي لينال منزلة عنده فرفض علي أن يأذن له وقال: بشر قاتل ابن صفية بالنار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ حَوَارِيٌّ»<sup>(٢)</sup>، ولما رأى علي سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ.

قال ابن المديني: سمعت سفيان يقول: جاء ابن جرموز إلى مصعب بن الزبير يعني لما ولي إمرة العراق لأخيه الخليفة عبد الله بن الزبير، فقال: أقدني بالزبير، فكتب في ذلك يشاور ابن الزبير فجاءه الخبر: أنا أقتل ابن جرموز بالزبير؟ ولا بشسع نعله.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: أكل المعثر يديه ندماً على قتله واستغفر لا كقاتل طلحة، وقاتل عثمان، وقاتل علي<sup>(٣)</sup>. قالت زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو في رثائه:

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسِ بُهْمَةٍ<sup>(٤)</sup>      يَوْمَ اللَّقَاءِ<sup>(٥)</sup> وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ<sup>(٦)</sup>  
يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ      لَا طَائِشًا<sup>(٧)</sup> رَعِشَ<sup>(٨)</sup> الْبِنَانِ وَلَا الْيَدِ

(١) أي غدراً.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢/١٨١) برقم ٧٩٩ وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٦٤).

(٤) البهمة: بضم الموحدة وسكون الهاء الشجاع، وقيل: هو الفارس الذي لا يُدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه.

(٥) اللقاء: الحرب لأنه تتلاقى فيه الأبطال.

(٦) المعرد: اسم فاعل من عرد تعريداً بمهملات إذا فر وهرب.

(٧) طاش يطيش إذا خف عقله من دهشة وخوف.

(٨) رعش: بكسر العين المهملة وصف من رعش كفرح ومنع - رعشاً ورعشانا: أخذته الرعدة.

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله      فيما مضى مما تروح وتغتدي  
 كم غمرة<sup>(١)</sup> قد خاضها لم يثنه      عنها طرادك يا ابن فقع<sup>(٢)</sup> الفدغد<sup>(٣)</sup>  
 والله ربك إن قتلت لم مسلماً      حلت عليك عقوبة المتعمد

ولبعضهم:

إن الرزية من تضمّن قبره      وادي السباع لكلّ جنب مضرع  
 لما أتى خبر الزبير تواضعت      سور المدينة والجبال الخشع

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ  
 خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾<sup>(٤)</sup>  
 [النساء]. وكان قتله كما قال البخاري وغيره: في رجب سنة ست  
 وثلاثين من الهجرة وله أربع وستون سنة<sup>(٤)</sup>.

رضي الله عن الزبير، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير  
 الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء  
 والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) غمرة: بالفتح، الشدة.

(٢) الفقع: بفتح الفاء وكسرها وسكون القاف، نوع أبيض من رديء الكمأة.

(٣) الفدغد: الأرض المستوية وفقع الفدغد مثل للدليل.

(٤) سير أعلام النبلاء (١/٦٨).



الكلمة الثامنة والثمانون

شرح اسم الله السميع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،  
فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

ومن أسماء الله الحسنی التي وردت في كتابه: السميع، قال بعضهم: ورد ذكر اسم الله السميع خمساً وأربعين مرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. وقال تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وسمعه تعالى نوعان:

الأول: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة الخفية والجلية وإحاطته التامة بها.

الثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدین فيجيبهم ويشيهم ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ص ١٠٧٥ برقم ٢٦٧٧.

أي: مجيب الدعاء ومنه قول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: أجب الله حمد من حمده ودعاء من دعاه كما قال النبي ﷺ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»<sup>(١)</sup> وفي رواية: «يَسْمَعُ اللَّهُ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup> أي: يُجِيبُكُمْ، فالسمع هنا بمعنى الإجابة والقبول، وفي الحديث الذي رواه الترمذي في سننه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»<sup>(٣)</sup>.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إثبات صفة السمع له سبحانه كما وصف الله نفسه بذلك قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. وإن سألت عن سمعه فهو السميع الذي قد كمل في سمعه فاستوى في سمعه سر القول وجهره وسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشبهه عليه ولا يشغله منها سمع عن سمع ولا تُغَلِّطُه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحِين على الدوام، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات بل هي عنده كلها كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة<sup>(٤)</sup>. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

(١) ص ١٦٣ برقم ٧٩٦، وصحيح مسلم ص ١٧٥ برقم ٤٠٩.

(٢) صحيح مسلم ص ١٧٤ برقم ٤٠٤.

(٣) جزء من حديث رواه الترمذي في سننه ص ٥٤٩ برقم ٣٤٨٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) طريق الهجرتين ص ٧٦ نقلاً عن كتاب الأسماء الحسنى والصفات العلى للشيخ عبدالهادي وهبي ص ١٤٤.

وَضَجِيحُ أَصْوَاتِ الْعِبَادِ يَسْمَعُهُ      وَلَدَيْهِ لَا يَتَشَابَهُ الصَّوْتَانِ  
 قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان:  
 ٢٨]. وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾  
 [الرحمن: ٢٩].

ثانياً: أن سمع الله ليس كسمع أحد من خلقه فإن الخلق وإن  
 وُصفوا بالسمع والبصر كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ  
 نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢]. إلا أن سمعهم  
 وبصرهم ليس كخالقهم، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ  
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. روى الإمام أحمد في مسنده  
 والبخاري في صحيحه تعليقاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي  
 وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا  
 في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عليك: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي  
 تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ <sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى  
 الأشعري قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فكننا إذا علونا كبرنا فقال  
 النبي صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا  
 غَائِبًا وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا» <sup>(٢)</sup>.

(١) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ <sup>(١٣٤)</sup> ص ١٤٠٨، وأخرجه  
 الإمام أحمد في مسنده (٢٢٨/٤٠) برقم ٢٤١٩٥ وقال محققوه: إسناده صحيح على  
 شرط مسلم.

(٢) ص ١٢٢٦ برقم ٦٣٨٤، وصحيح مسلم ص ١٠٨٣ - ١٠٨٤ برقم ٢٧٠٤.

ثالثاً: أن الله قد أنكر على المشركين الذين ظنوا أن الله لا يسمع السر والنجوى. روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا، فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] الآية<sup>(١)</sup>. وكذا قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠].

رابعاً: إذا علم العبد أن ربه يسمع كل شيء لا تخفى عليه خافية فيسمع حركاته وسكناته حملة ذلك الاعتقاد على المراقبة لله سبحانه في جميع الأحوال وفي جميع الأمكنة والأزمنة، فيمسك عن كل قول لا يرضي ربه، ويحفظ لسانه فلا يتكلم إلا بخير، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٨].

خامساً: أن الله هو السميع الذي يسمع المناجاة ويوجب الدعاء عند الاضطرار ويكشف السوء ويقبل الطاعة، وقد دعا الأنبياء والصالحون بهذا الاسم ليقبل منهم طاعتهم ويستجيب لدعائهم فإبراهيم وإسماعيل قالوا: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنْكَ إِنَّا نَسْمَعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. ودعا زكريا أن يرزقه الله ذرية صالحة: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]. فاستجاب الله

(١) صحيح البخاري برقم ٤٨١٧، وصحيح مسلم برقم ٢٧٧٥.

دعائه ودعا يوسف عليه السلام أن يصرف عنه كيد السوء ﴿ فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف: ٣٤].

سادساً: أن العبد إذا دعا ربه فسمع دعائه سماع إجابة وأعطاه ما سأله وعلى حسب مراده ومطلبه أو أعطاه خيراً منه حصل له بذلك سرور يمحو من قلبه آثار ما كان يجده من وحشة البعد فإن للعطاء والإجابة سروراً وأنساً وحلاوة، وللسمع وحشة ومرارة، فإذا تكرر منه الدعاء، وتكرر من ربه سماع وإجابة لدعائه، محاه عنه آثار الوحشة، وأبدله بها أنساً وحلاوة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تهذيب المدارج ص ٩٠١.

(٢) انظر كتاب أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي الأسماء الحسنى والصفات العلى ص ١٤٤ - ١٤٦.





## تفسير سورة الزلزلة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧﴾.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله، قال له: «اقرأ ثلاثاً من ذات (الر)» فقال الرجل: كبرت سنِّي، واشتدَّ قلبي، وغلظَ لساني، قال: «فاقرأ من ذات (حم)» فقال مثل مقالته الأولى، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المُسَبَّحاتِ»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: ولكن أقرئني يا رسول الله سورةً جامعةً، فأقرأه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ ① حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْهَا قَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَدًا، ثُمَّ أَذْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ الرَّوَيْجِلُ،

أَفْلَحَ الرَّوَّيْحِلُ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾<sup>(١)</sup>، قال ابن عباس: أي: تحركت من أسفلها.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾<sup>(٢)</sup>، يعني: أَلْقَتْ ما فيها من الموتى، قاله غير واحد من السلف وهذا كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]. وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾<sup>(٣)</sup> وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ<sup>(٤)</sup> [الانشقاق]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَادَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأَسْطُوانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَحِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَحِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَحِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾<sup>(٣)</sup> أي استنكر أمرها بعد ما كانت ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أي تقلبت الحال وصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم أَلْقَتْ ما فيها من الأموات من الأولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>(٤)</sup> [إبراهيم].

(١) (١١/١٣٩) برقم ٦٥٧٥ وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) ص ٣٩١ رقم ١٠١٣.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها، قوله تعالى: ﴿يَأْنُ رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: قال ابن عباس: أوحى لها أي أوحى إليها، قال ابن كثير: والظاهر أن هذا مضمن لمعنى أذن لها، وقال ابن عباس: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: قال ربها: قولي، أي تكلمي بما حصل عليك من خير أو شر<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: أي يخرجون إلى موقف الحساب أشتاتاً: أي أنواعاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد، قال تعالى: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾: أي ليجازوا بما عملوا في الدنيا من خير أو شر، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْحَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ» ثم سئل في آخر الحديث عن الحُمُر قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾»<sup>(٢)</sup>.

والذرة هي أصغر النمل، فالنبي صلى الله عليه وسلم بين في هذا الحديث أن هذه السورة جامعة ومبينة للخير والشر فمن عمل خيراً أراد به وجه الله أثيب عليه، ومن عمل شراً عوقب عليه يوم القيامة، وفي

(١) تفسير ابن كثير (٤٢٨/١٤ - ٤٢٩).

(٢) ص ١٤٠١ برقم ٧٣٥٦، وصحيح مسلم برقم ٩٨٧.

الصحيحين من حديث عدي مرفوعاً: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»<sup>(١)</sup>. وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث صعصعة بن معاوية أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾<sup>(٧)</sup> وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ<sup>(٨)</sup> قال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها<sup>(٢)</sup>.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن الأرض تخبر يوم القيامة بما فعل الناس عليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا يَسْمَعُ صَوْتُ الْمُؤَذِّنِ حِنَّةً وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: أن الناس يوم القيامة يصدرون أشتاتاً، أي: جماعات متفرقين بحسب أعمالهم كل يتجه إلى مأواه؛ فأهل الجنة - جعلنا الله منهم - يتجهون إليها، وأهل النار والعياذ بالله يساقون إليها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾<sup>(٨٥)</sup> وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا<sup>(٨٦)</sup> [مريم].

ثالثاً: أن الله تعالى يُري العباد أعمالهم يوم القيامة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]. وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ

(١) ص ١٢٥٢ برقم ٦٥٤٠ وصحيح مسلم ص ٣٩٢ برقم ١٠١٦.

(٢) (٢٠/٣٤) برقم ٢٠٥٩٣ وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) ص ١٣٤ رقم الحديث ٦٠٩.

أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ  
غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» (١).

رابعاً: أن فيها الحث على الأعمال الصالحة ولو كانت قليلة  
والبعد عن المعاصي وإن كانت صغيرة، روى الإمام أحمد في مسنده  
من حديث عائشة رضي عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا عَائِشَةُ إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ  
الدُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا طَالِبًا» (٢) (٣).

وكذلك الخير لا يحقر المسلم منه شيئاً. روى مسلم في صحيحه  
من حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا،  
وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِهِ طَلِقَ» (٤).

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْفَيْصَمَةِ فَلَا نُظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا  
وَإِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ (٤٧)  
[الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً  
يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤٠) [النساء]. وكانت عائشة رضي عنها  
تصدق بعنبة وتقول كم فيها من مثقال ذرة (٥).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) جزء من حديث ص ١٠٣٩ برقم ٢٥٧٧.

(٢) (٤٧٨/٤٠) برقم ٢٤٤١٥ وقال محققوه: إسناده قوي.

(٣) قال السندي: قوله: فإن لها من الله طالباً، أي: فإن لها ملكاً يسألك يجيء من الله تعالى،  
كالمنكر والنكير في القبر مثلاً.

(٤) ص ١٠٥٤ برقم ٢٦٢٦.

(٥) تفسير ابن كثير (١٤/٤٣١).





## شرح حديث: اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

روى الإمام الترمذي في سننه من حديث ابن عمر قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ وَمَنْ يَتَّقِنِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مِصْيَبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مِصْيَبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا»<sup>(١)</sup>.

قوله: «اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْاصِيكَ» اقسِم: بمعنى قَدَّر، والخشية هي الخوف المقرون بالعلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، والإنسان كلما خشي الله ﷻ

(١) ص ٥٥١ برقم ٣٥٠٢، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٣/١٦٨) برقم ٢٧٨٣.

منعته خشيته من الله أن ينتهك محارم الله، ولهذا قال: «مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ».

قوله: «وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ»: يعني واقسم لنا من طاعتك ما تبلغنا به جنتك فإن الجنة طريقها طاعة الله ﷻ، فإذا وفق العبد بخشية الله واجتناب محارمه والقيام بطاعته نجا من النار ودخل الجنة بطاعته.

قوله: «وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا»، اليقين هو أعلى درجات الإيمان لأنه إيمان لا شك معه ولا تردد، تيقن ما غاب عنك كما تشاهد من حضر بين يديك، قال ابن مسعود: اليقين هو الإيمان كله؛ فإذا كان عند الإنسان يقين تام بما أخبر الله تعالى من أمور الغيب فيما يتعلق بالله ﷻ أو بأسمائه أو صفاته أو اليوم الآخر وغير ذلك وصار ما أخبر الله به من الغيب عنده بمنزلة الشاهد فهذا هو كمال اليقين، والدنيا فيها مصائب كثيرة، لكن هذه المصائب إذا كان عند الإنسان يقين تام أنه يكفر بها من سيئاته ويرفع بها من درجاته إذا صبر واحتسب الأجر من الله، هانت عليه المصائب وسهلت عليه المعن مهما عظمت سواء كانت في بدنه أو في أهله أو في ماله. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً فقال رسول الله ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النُّكْبَةِ يُنْكَبَهَا أَوْ الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا»<sup>(١)</sup>.

قوله: «مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا»: أي اجعلنا متمتعين وممتنعين بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أي بأن نستعملها في طاعتك.

قال ابن الملك: التمتع بالسمع والبصر إبقاؤهما صحيحين إلى الموت وإنما خص السمع والبصر بالتمتع من الحواس لأن الدلائل الموصلة إلى معرفة الله وتوحيده إنما تحصل من طريقها لأن البراهين إنما تكون مأخوذة من الآيات القرآنية وذلك بطريق السمع أو من الآيات الكونية في الآفاق والأنفس بطريق البصر، والإنسان إذا تمتع بهذه الحواس حصل على خير كثير وإذا افتقدها فاته خير كثير، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [٢٣] [الملك].

كان بعض العلماء قد جاوز المئة سنة وهو متمتع بقوته وعقله فوثب يوماً وثبة شديدة فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا»: واجعله أي المذكور من الأسماع والأبصار والقوة، (الوارث) أي الباقي بأن يبقى إلى الموت.

قوله: «وَاجْعَلْ ثَارَنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمْنَا». أي اجعلنا نستأثر وتكون لنا الأثرة على من ظلمنا بحيث تقتص لنا منه إما بأشياء تصيبه في الدنيا أو في الآخرة، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [١٤٨] [النساء]. وفي الصحيحين

(١) جامع العلوم والحكم ص ٢٢٥.

من حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «وَأَتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَأَنْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا»: من الأعداء وهم كثر من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين وغيرهم ومن أكبر أعدائنا وأشدهم ضرراً علينا الشيطان الذي حذرنا الله منه فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ﴾ [فاطر: ٦]. وقال تعالى عن الكفار: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١]. وقال تعالى عن المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

والله تعالى ناصرنا عليهم جميعاً، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَانِكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

قوله: «وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا»: المصائب تكون في مال الإنسان أو بدنه أو مسكنه أو أهله فيمرضون أو يموتون أو غير ذلك وأعظم مصيبة هي مصيبة الدين وهي على قسمين إما أن يبتلى بالمعاصي كأكل الحرام واعتقاد السوء أو يبتلى بما هو أعظم من ذلك كالشرك والكفر والنفاق وما أشبه فهذه مهلكة مثل الموت للبدن.

قوله: «وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا»: أي لا تجعل طلب المال والجاه أكبر قصدنا وهمنا، بل اجعل أكبر قصدنا مصروفاً

(١) جزء من حديث ص ٨٢١ برقم ٤٣٤٧، وصحيح مسلم ص ٤٢ برقم ١٩ واللفظ لمسلم.

في عمل الآخرة.

«وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا»: أي لا تجعلنا حيث لا نعلم ولا نتفكر إلا في أمور الدنيا بل اجعلنا متفكرين في أحوال الآخرة، والمبلغ: أي الغاية التي يبلغها الماشي والمحاسب فيقف عنده.

روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا»: أي لا تجعلنا مغلوبين للكفار والظلمة أو لا تجعل الظالمين علينا حاكمين، فإن الظالم لا يرحم الرعية<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٤٠٣ برقم ٢٤٦٥.

(٢) تحفة الأحوذى (٩/٤٤٢) برقم ٣٥٠٢.

(٣) انظر شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين رحمته الله (٤/٣٦١-٣٦٦).



الكلمة الواحدة والتسعون

تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِلطَّغِينِ مَثَابًا ۝٢٢ لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝٢٣ لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَاءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۝٢٩ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾.

يذكر الله في هذه الآيات الكريمات أحوال الأشقياء وما يحصل لهم من النكال والعذاب السرمدي في نار جهنم فيقول: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: أي: مرصدة ومعدة للطاغين، وجهنم اسم من أسماء النار التي لها أسماء كثيرة وسميت بهذا الاسم لأنها ذات جهمة وظلمة بسوادها ومقرها أعادنا الله منها.

وقد أعدها الله ﷻ من الآن فهي موجودة كما قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ

حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله رآها - أي النار - حين عُرِضت عليه في صلاة الكسوف، ورأى النار فيها امرأة تعذب في هرة ربطتها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لِلطَّغِينِ مَأْبَأٌ﴾: الطاغون جمع طاغ والطغيان تجاوز الحد كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]. والمراد بالطاغين الذين تجاوزوا حدود الله استكباراً على ربهم، ومأبأ: أي مرجعاً يرجعون إليه ومسكناً يصيرون إليه.

قوله تعالى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أي باقين فيها أحقاباً أي مدداً طويلة وقد وردت آيات كثيرة تدل على أنها مدد أبدية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب].

قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾: نفى الله تعالى عنهم البرد الذي تكون به برودة ظاهر الجسد، والشراب الذي تكون به برودة داخل الجسد فإنهم إذا عطشوا واستغاثوا يغاثون بماء كالمهل، قال تعالى:

(١) ص ١١٤٢ برقم ٢٨٤٤.

(٢) ص ٣٥٢ برقم ٩٠٤.

﴿ وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [٢٩] [الكهف]. وقال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥]. وقال تعالى: ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [١٩] يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ [الحج: ٢٠]. فمن كان حاله كذلك فإنهم لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً يطفى حرارة بطونهم، قال بعض السلف: عَجِبْتُ لِلنَّارِ كَيْفَ نَامَ هَارِبُهَا وَعَجِبْتُ لِلْجَنَّةِ كَيْفَ نَامَ طَالِبُهَا قوله تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾: الحميم هو الماء الحار الذي انتهى حره وحموه.

وغساقاً: هو شراب منتن الرائحة شديدة البرودة، قال جمع من المفسرين: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطيع من برده ولا يواجهه من نتنه فهم يذوقون العذاب من ناحيتين الحرارة، والثاني البرودة فإذا اجتمعت الحرارة والبرودة كان ذلك زيادة في مضاعفة العذاب عليهم، قال تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [٥٧] وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [٥٨] [ص]. أي ولهم أصناف وألوان من العذاب نسأل الله العافية.

قوله تعالى: ﴿ جَزَاءً وَفَاءً ﴾، يقول تعالى: هذا العقاب الذي عوقب به الكفار في الآخرة فعله بهم ربهم جزاء لهم على أفعالهم وأقوالهم السيئة التي كانوا يعملونها في الدنيا، ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [النجم: ٣١].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾: أي لا يؤملون أن

يحاسبوا بل كانوا ينكرون الحساب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾: كانوا يكذبون بحجج الله ودلائله التي أنزلها على رسله فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ [ص: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ ٩٠ ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحْتِهَا نَاجِيَةٌ﴾ ٩١ ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ ٩٢ ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ ٩٣ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفٍ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ٩٤ [الإسراء: ٩٤].

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾: يشمل ما يفعله الله ﷻ من الخلق والتدبير في الكون وما يعمله العباد من أقوال وأفعال ويشمل كل صغير وكبير، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ [الرحمن: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ إِنَّ هَذَا إِلَّا كِتَابٌ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ٤٩ [الكهف: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٤٧ [الأنبياء: ٤٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنه أن النبي صلى الله عليه قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾: هذا الأمر للإهانة والتوبيخ يقال لهم: ذوقوا عذاب النار فلن نخففه عنكم بل لا نزيدكم إلا عذاباً في قوته، قال تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

قال العلماء: إن هذه الآية أعظم آية في الترهيب.

قال عبد الله بن المبارك يصف هذه النار:

وَطَارَتِ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي مُنْشَرَّةً	فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تَطْلَعُ
فَكَيْفَ سَهْوِكَ وَالْأَنْبَاءِ وَقَعَةٌ	عَمَّا قَلِيلٍ وَلَا تَدْرِي بِمَا يَقَعُ
أَفِي الْجَنَانِ وَفَوْزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ	أَمْ الْجَحِيمِ فَمَا تُبْقِي وَلَا تَدْعُ
تَهْوِي بِسَاكِنِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ	إِذَا رَجَاوَا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا
طَالَ الْبُكَاءُ فَلَمْ يَنْفَعْ تَضْرَعُهُمْ	هِيهَاتَ لَا رِقَّةٌ تُغْنِي وَلَا جَزَعُ
لِيَنْفَعِ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمَهُ	قَدْ سَأَلَ قَوْمٌ بِهَا الرَّجْعَى فَمَا رَجَعُوا

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثانية والتسعون

تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حُدَّاقًا وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَاسِدَهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَن أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾ [النبا].

بعد أن ذكر تعالى حال الأشقياء ذكر حال المتقين السعداء ليكون المرء على بصيرة من أمره وبيّنة في دينه، فإن استقامة العبد في عبادته لربه لا تتم حتى يكون راجياً لرحمة ربه خائفاً من عذابه. قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: ينبغي أن يكون الإنسان في عبادته لربه بين الخوف والرجاء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ قال ابن عباس والضحاك متنزهاً، وقال مجاهد وقتادة: فازوا فنجوا من النار<sup>(١)</sup>. والمتقون

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٤).

هم الذين اتقوا عقاب الله وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وقد أخبر الله ﷻ عن هذا الفوز بأنه عظيم، فقال تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح].

وأخبر سبحانه أن هذا الفوز كبير فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج].

قوله تعالى: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾: حدائق جمع حديقة، أي: بساتين أشجارها عظيمة وكثيرة ومنوعة، وأعناباً: جمع عنب وهي من جملة الحدائق لكنه خصصها بالذكر لشرفها.

قوله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا﴾: جمع (١) كاعب وهي الناهد، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: كواعب أي: أن [تُدَيِّهَن نواهد] ليست متدلّية إلى أسفل لأنهن أبكار عُرب أتراب (٢).

و﴿أُنْرَابًا﴾ أي: في سن واحدة لا تختلف إحداهن عن الأخرى كما في نساء الدنيا.

كما في قوله تعالى «في سورة الواقعة»: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ (٣٥) ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (٣٦) عُرْبًا أُنْرَابًا [الواقعة].

قوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: أي: كأساً ممتلئة والمراد هنا الخمر.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ

(١) تفسير ابن عثيمين لجزء عم ص ٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٤).

مَنْ لَبِنَ لَمْ يَنْغَيِّرْ طَعْمَهُ، وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّرَابِ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴿١٥﴾ [محمد: ١٥].

وخمر الآخرة ليست كخمر الدنيا يصيب الإنسان الصداع والقيء منها، فقد نفى الله تعالى عنها ذلك، قال تعالى: ﴿لَا يَصُدُّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزِفُونَ﴾ (١٩) [الواقعة].

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ [النبا: ٣٥]: أي لا يسمعون لغواً أي كلاماً باطلاً لا خير فيه ولا كذاباً: أي ولا كذباً فلا يكذبون ولا يكذب بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا﴾ (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ [الواقعة]. وقال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (٤٧) [الحجر].

قوله تعالى: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾: أي أنهم يُجزون بهذا جزاء من الله ﷻ على أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمَلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: ٣١]. وحساباً: أي كافياً وافراً شاملاً، تقول العرب: أعطاني فأحسبني أي كفاني ومنه حسبي الله أي أن الله كافيني.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾. يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وكقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ

لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٣٨) ﴿أَيُّ لَا أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ لَا الْمَلَائِكَةُ وَلَا غَيْرَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَمِيزُ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٠٨) [طه]. وقد اختلف المفسرون بالمراد بالروح فقيل: إنهم بنو آدم، وقيل: جبريل كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٣) ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (١٩٤) [الشعراء]. وقيل: القرآن وقيل: ملك من الملائكة يقدر بجميع المخلوقات، وقيل غير ذلك ورجح جمع من المفسرين أنه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾: أي بالكلام وقال قولاً صواباً وذلك بالشفاعة إذا أذن الله لأحد أن يشفع شفع فيما أذن له فيه على حسب ما أذن له.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ» (١).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾. أي الكائن المتحقق لا محالة، فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً. قال القرطبي: أي مرجعاً بالعمل الصالح كأنه إذا عمل خيراً رده إلى الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وإذا عمل شراً عده منه ونظر إلى هذا المعنى في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ»

(١) ص ١٤١٧ رقم ٧٤٣٧، وصحيح مسلم ص ٩٩ رقم ١٨٢.

فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» تَأْدِباً مَعَ اللَّهِ (١)(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠]. أي تعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها قديمها وحديثها كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وكقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]. وجاء في وصف هذا العذاب بأنه قريب فكل ما هو آت فهو قريب، قال بعض المفسرين: إنه يشمل عذاب الآخرة والموت والقيامة لأن من مات فقد قامت قيامته فإن كان من أهل الجنة رأى مقعده من الجنة وإن كان من أهل النار رأى مقعده من النار (٣).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾: أي يود الكافر يومئذ أنه كان في الدنيا تراباً ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة. قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفارة الكرام البررة، وقيل: إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العادل الذي لا يجور حتى إنه ليقصص للشاة الجماء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها: كوني تراباً فتصير تراباً فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٤)، وذكر ابن جرير في تفسيره آثراً عن الصحابة

(١) تفسير القرطبي (٢٢/٣٣).

(٢) صحيح مسلم ص ٣٠٥ برقم ٧٧١.

(٣) تفسير القرطبي (٢٢/٣٣).

(٤) تفسير ابن كثير (١٤/٢٣٧).

منهم عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن الله تعالى يقتص بين هذه البهائم يوم القيامة ثم يقول لها بعد ذلك: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (١).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر تفسير ابن جرير (١٢/٤١٨-٤١٩).

الكلمة الثالثة والتسعون

وقفات مع الأزمة المالية العالمية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من الذنوب العظيمة والجرائم الشنيعة التي حرمها الله ورسوله ولعن فاعلها: الربا، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هم سَوَاءٌ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه حديث سمرة بن جندب رضي عنه في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وجاء فيه: «أتاني الليلة آتياً، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقتُ معهما، فأتينا على نهرٍ - حسب أنه كان يقول: - أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجلٌ سابحٌ يسبح، وإذا على شطِّ النهر رجلٌ قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع الحجارة، فيفغر له فاه، فيلقمه

(١) ص ٦٥١ برقم ١٥٩٨.

حَجْرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجْرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا: أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ أَكَلُ الرَّبَا»<sup>(١)</sup>.

ومن صور الربا المحرم، شراء الأسهم الربوية، أو إيداع الأموال في البنوك، وأخذ الزيادة الربوية التي يسمونها فوائد، أو الاقتراض من البنوك، ورد المبالغ إليها مع الزيادة الربوية، أو البطاقات الائتمانية التي تعطى للعميل لشراء الأغراض مقابل رسوم سنوية، وتسدد قيمتها خلال فترة محدودة فإن تأخر حاملها عن السداد تحسب عليه فائدة عن كل يوم تأخير أو غير ذلك من الصور.

وبناء على ما تقدم فإن ما حدث من الأزمة المالية العالمية وما نتج عنه من إفلاس شركات، وبنوك عالمية، في الدول الكافرة وأمام هذا الحدث العظيم فإننا نحتاج إلى وقفات:

**الوقفة الأولى:** أن ما حصل من انهيارات اقتصادية، وأزمات مالية في تلك الدول إنما هو بسبب الربا الذي حرمه الله ورسوله ولعن فاعله، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]. وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦].  
والمحقوق بمعنى الإزالة أي يزيل الربا والإزالة يحتمل أن تكون إزالة حسية أو إزالة معنوية فالإزالة الحسية أن يسلب الله على المرابين ما

(١) جزء من حديث ص ١٣٤٧ برقم ٧٠٤٧.

يتلف به أموالهم والمعنوية أن ينزع منه البركة فلا يستفاد منه<sup>(١)</sup>. روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ إِلَى قُلٍّ»<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللهُ. وبذلك يعلم كل من له أدنى بصيرة أن البنوك الربوية ضد الاقتصاد السليم، وضد المصالح العامة، ومن أعظم أسباب الانهيار والبطالة ومحق البركات وتسليط الأعداء وحلول العقوبات المتنوعة والعواقب الوخيمة، فنسأل الله أن يعافي المسلمين من ذلك وأن يمنحهم البصيرة والاستقامة على الحق<sup>(٣)</sup>.

الوقفه الثانية: أن ما أصاب هؤلاء الكفار إنما هو عقاب إلهي لما فعلوه من ظلم وجرائم ضد المسلمين كما حصل في أفغانستان، والعراق، وفلسطين والصومال، وغيرها من الدول، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾<sup>(٣٦)</sup> [الأنفال]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(٣١)</sup> [الرعد].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ».

(١) كأن يتلي هذا المرابي بمرض فيستهلك من العلاج ما كسبه من أموال الربا أو يسرق ماله أو يُصاب بحادث أو غير ذلك.  
(٢) (٣٣٩/٢) برقم ٢٣٠٩ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (٤/٣١٥).  
(٣) فتاوى ابن باز (١٩/٢٢١).

ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) [هود] (١).

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ (٤٨) [الحج].

وكم من المسلمين من يرفع يديه بالدعاء على هؤلاء الكفرة الظلمة؟! وفي الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» (٢).

قال الشاعر:

لا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مَقْتَدِرًا      فالظلمُ مَرْتَعَةٌ يُفْضِي إِلَى النِّدَمِ  
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبَهُ      يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ

الوقفه الثالثة: إن المعاصي والذنوب سبب لهلاك الأمم والشعوب، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٠) [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّن

(١) ص ١٠٤٠ برقم ٢٠٨٣، وصحيح البخاري ص ٨٩٧ برقم ٤٦٨٦.

(٢) قطعة من حديث (٤١٠/١٣) برقم ٨٠٤٣ وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخَذْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ [الأعراف].

روى الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إِذَا ظَهَرَ الرَّبَا وَالزَّنَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

الوقفه الرابعة: أن على الدول الإسلامية أن تأخذ الدروس والعبر مما حصل لهذه الدول الكافرة، وأن تمنع الربا بشتى صورته وأشكاله عن البنوك والمؤسسات ومحلات التجارة وغيرها، وأن تشجع على إقامة المصارف الإسلامية فهي الحل الشرعي لكثير من المشاكل الاقتصادية ولذلك الآن في الغرب ينادون بتطبيق الأنظمة الإسلامية في البنوك لعلها أن تنقذهم مما هم فيه. يقول أحد عقلائهم وهو رئيس تحرير مجلة في الغرب: «أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة المالية إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها ما حلت بنا الكوارث والأزمات وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري».

الوقفه الخامسة: أن الأيام دول، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفَعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»<sup>(٢)</sup> قال أبو البقاء الرندي:

(١) مستدرک الحاكم (٢/٣٣٩)، برقم ٢٣٠٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه،

وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح الجامع الصغير (١/١٧٨) برقم ٦٧٩.

(٢) ص ٥٥٣ برقم ٢٨٧٢.

لكل شيءٍ إذا ما تمَّ نُقصانُ      فلا يُغرُّ بطيب العيشِ إنسانُ  
هي الأمورُ كما شاهدتها دُولُ      من سرَّه زمنٌ ساءتُه أزمانُ

الوقفه السادسة: إن هؤلاء الكفار كانوا يتبجحون بقوة اقتصادهم وحرية التصرف لكل فرد منهم فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۗ مَتَعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۗ﴾ [آل عمران]. قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: هذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا وتنعمهم فيها وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب والملذات، وأنواع العز والغلية في بعض الأوقات فإن هذا كله متاع قليل ليس له ثبوت ولا بقاء بل يتمتعون به قليلاً ويعذبون عليه طويلاً وهذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه<sup>(١)</sup>. اهـ.

الوقفه السابعة: أن على المؤمن أن يكون على يقين تام وعقيدة راسخة أن الله يمحق الربا، وينصر دعوة المظلومين، وأن الله ينصر دينه ويذل الكفر وأهله كما أخبر بذلك، سواء رأينا ذلك في حياتنا أم لم نره فقد يتأخر لحكمة إلهية.

لأن البعض من الناس يشكك ويقول: عشرات السنين وهؤلاء الكفار يرابون ولم نر إلا مزيداً من القوة الاقتصادية، وعشرات السنين وهم يذبحون المسلمين بل ويتفننون في تعذيبهم ولم ينتقم الله منهم، فأين دعوات المظلومين؟! فالجواب عن ذلك في قوله تعالى:

(١) تفسير ابن سعدي ص ١٤٤.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]. وكما قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»<sup>(١)</sup> وكما قال النبي ﷺ لأصحابه عندما شكوا إليه ما يجدون من تعذيب المشركين: «وَلَكِنَّكُمْ قَوْمٌ تَسْتَعْجِلُونَ»<sup>(٢)</sup>.

ونحن نرى العقوبات بأعيننا وقد تتبعها البشائر إن شاء الله ويشفي الله صدور قوم مؤمنين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والحمد لله رب العالمين و صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ص ١٣٢٥ برقم ٦٩٤٣.



الكلمة الرابعة والتسعون

وقفات مع أحداث غزة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:  
فلا يزال إخواننا في غزة يخوضون معارك عنيفة مع اليهود عليهم لعائن الله المتتابة إلى يوم القيامة، وهم يسطرون ملحمة من أعظم الملاحم في التاريخ، أحفاد خالد وسعد وطلحة والزبير وصلاح الدين الأيوبي.

وقد رأينا وسمعنا وقرأنا عن المآسي والقصاص التي حدثت في غزة، ورأينا صور الجرحى والأشلاء الممزقة والإعاقات المستديمة، ورأينا البيوت وقد سويت بالأرض على أصحابها، والمساجد وقد هدمت على المصلين فيها، ورأينا الفساد والدمار والخراب الذي أحدثه اليهود في هذه المدينة، وصدق الله حيث قال: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة].

مناظر يندى لها الجبين، وتتفطر منها القلوب، وتدمع لها العيون، مصائب عظيمة لو نزلت على الجبال لدكتها من هولها وعظمتها، قال أبو البقاء الرندي:

فجائع الدهر أنواعٌ مُنَوَّعةٌ وللزمانِ مَسَرَّاتٌ وأحزانُ

وللحوادثِ سُلوَانٌ يُسهِّلُهَا وَمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلوَانٌ  
وقال أيضاً:

لِمَثَلٍ هَذَا يَدُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ إِنَّ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانٌ  
ومن الدروس والعبر المستفادة من هذا الحدث العظيم الذي  
حل بأمة الإسلام:

أولاً: أن حربنا مع اليهود حرب عقيدة ليست حرباً من أجل  
الوطن أو الحزب أو الحركة أو الأرض، أو غيرها، وإنما هي حرب  
بين الإسلام والكفر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَنْ  
دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ  
أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

ثانياً: أن ما نراه في هذه الأزمان من تكالب أمم الكفر من كل  
مكان واتحادهم ضد المسلمين، فبالأمس العراق وقبلها أفغانستان  
والشيشان والآن غزاة إنما هو مصداق قول النبي ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ  
أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فقال قائل: أو  
من قلة نحن يومئذ؟ قال: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ  
السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي  
قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حُبُّ  
الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»<sup>(١)</sup>.

(١) «سنن أبي داود» ص ٤٦٩ برقم ٤٢٩٧، صححه الألباني في سنن أبي داود (٣/ ٨١٠)  
برقم ٣٦١٠.

قال ابن رجب الحنبلي: «ومن أعظم ما حصل به الذل من مخالفة أمر الرسول ﷺ ترك ما كان عليه من جهاد أعداء الله، فمن سلك سبيل الرسول ﷺ في الجهاد عز، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذل»<sup>(١)</sup>.

روى أبو داود في سننه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ: سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَيَّ دِينِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عبيدة الهروي: وقد تبلى أمة الإسلام بتكالب الكفار واعتدائهم عليها، إما عقوبة لها على تقصيرها في طاعة ربها، أو ابتلاء واختباراً لها، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنصِرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

ثالثاً: يجب على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها حكومات وشعوباً أن يناصروا إخوانهم المسلمين في غزاة مادياً ومعنوياً، كلُّ بما يستطيع وأن يقفوا معهم في محنتهم، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ

(١) شرح حديث «يتبع الميت ثلاثة» لابن رجب الحنبلي.

(٢) ص ٣٨٦ برقم ٣٤٦٢، صححه الألباني في سنن أبي داود (٢/٦٦٣) برقم ٢٩٥٦.

قال: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»<sup>(١)</sup>، فكيف وهم مظلومون؟!  
ومن وسائل نصرتهم: الدعاء لهم بظهر الغيب أن الله يثبتهم  
ويربط على قلوبهم، ويسدد سهامهم، ويذل اليهود ومن ناصرهم.

قال الشاعر:

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم      قَتَلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ  
ماذا التقاطعُ في الإسلام بينكم      وَأَنْتُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ  
ألا نفوسُ أبياتٍ لها هممٌ      أما على الخير أنصارٌ وأعوانُ

رابعاً: على المسلمين الأخذ بأسباب القوة والإعداد لذلك  
امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ  
الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. روى  
مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم  
وهو على المنبر يقول: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ  
الْقُوَّةَ الرَّمِي، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ»<sup>(٣)</sup>.

ومن أعظم أسباب الخذلان: المعاصي والذنوب فإنها تخون  
العبد وهو أحوج ما يكون إلى نصر ربه، قال تعالى مبيناً سبب انهزام

(١) ص ٤٦١ برقم ٢٤٤٣ .

(٢) ص ٧٩٥ برقم ١٩١٧ .

(٣) جزء من حديث ص ٢٧٣ برقم ١٥٥٥، وصححه ابن القطان كما نقل ذلك ابن حجر في كتابه: إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة (٣٨٦/٧) برقم ٨٠٣١ .

بعض المسلمين في إحدى الغزوات: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۗ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ [آل عمران: ١٥٥].

خامساً: أن الدعاء من أعظم أسباب النصر، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾ [الأنفال: ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦]. وكان النبي ﷺ يدعو ربه ويستغيث به كلما نزل به كرب أو شدة كما في معركة بدر وغيرها.

وكان من دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِي السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>.

سادساً: أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة وهو من أفضل الأعمال وذروة سنام الدين لما يترتب عليه من إعلاء كلمة الله، ونصر دينه، وقمع الكافرين والمنافقين والظالمين الذين يصدون الناس عن سبيله، ويقفون في طريقه، ولما يترتب عليه من إخراج العباد من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحيد، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ

(١) صحيح مسلم ص ٧٢٣ برقم ١٧٤٢.

يَنْزُرُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث سهل بن حنيف عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ: بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»<sup>(٢)</sup>.

سابعاً: أن اليهود لن ينعموا بسلام وأمان، بل سيظلون في رعب وخوف إلى قيام الساعة مهما امتلكوا من الأسلحة النووية، وحماتهم دول الكفر، فالوعد الإلهي متحقق فيهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَنْ يُسُوْمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. قال ابن كثير: «ويقال: إن موسى ﷺ ضرب عليهم الخراج سبع سنين وقيل: ثلاث عشرة سنة، وكان أول من ضرب الخراج، ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشديانيين والكلدانيين، ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم، وأخذهم منهم الجزى والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ فكانوا تحت صغاره وذمته يؤدون الخراج والجزى. وقال جمع من المفسرين في الآية السابقة: يبعث الله عليهم هذا الحي من العرب فيقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية، ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك ذلة وصغاراً له، ثم يكون آخر أمرهم أنصار الدجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم ﷺ في آخر الزمان»<sup>(٣)</sup>.

(١) ص ٧٩٢ برقم ١٩١٠.

(٢) ص ٧٩٢ برقم ١٩٠٩.

(٣) تفسير ابن كثير (٦/٤٢٨ - ٤٢٩)، وتفسير ابن جرير (٦/١٠٢).

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولَ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ: هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرَقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»<sup>(١)</sup>، وهم الآن يزرعون الغرقد بشوارعهم بكثرة انتظاراً لمصيرهم المحتوم.

ثامناً: أنه لا بد من الابتلاء والتمحيص، قال تعالى: ﴿الْمَ (١) أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ (٣)﴾ [العنكبوت: ٣٠١]. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

روى البخاري في صحيحه من حديث خباب، قال: شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَنْتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاِكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) ص ١١٧١ برقم ٢٩٢٢ واللفظ له، وصحيح البخاري ص ٥٦١ - ٥٦٢ برقم ٢٩٢٦.

(٢) ص ٦٩٠ برقم ٣٦١٢.

وسأل رجل الشافعي رَحِمَهُ اللهُ فقال: «يا أبا عبد الله أيهما أفضل للرجل أن يُمكنَ فيشكر الله عَزَّوَجَلَّ، أو يُبتلى فيصبر؟ فقال الشافعي: لا يُمكن حتى يُبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم ومحمداً صلوات الله عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم الله، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

تاسعاً: أن اليهود قد أصابهم القتل والجراح والرعب والخوف رغم تفوقهم في القوة العسكرية وذلك مصداق قول الله تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ<sup>ط</sup> وَتَرْجُونَ مِن اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ<sup>ث</sup>﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿إِن يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ<sup>ج</sup>﴾ [آل عمران: ١٤٠]. قال ابن كثير: أي إن كنتم قد أصابتمكم جراح، وقُتل منكم طائفة، فقد أصاب أعداءكم قريب من هذا من قتل وجراح، وتلك الأيام نداولها بين الناس، أي نديل عليكم الأعداء تارة وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة<sup>(١)</sup>. اهـ.

ولا يستوي الفريقان، قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار، والله مولانا ولا مولى لهم.

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٠٨).

عاشراً: أنه على الرغم من ضعف الإمكانيات العسكرية لإخواننا في غزة مقابل ترسانة اليهود العسكرية الضخمة واستخدامهم لجميع الأسلحة الممنوعة في أنظمة الدول الكافرة كالقنابل الفسفورية والعنقودية وغيرها، ودعم الدول الكبرى لهم في حربهم ضد المسلمين، وبالرغم من الحصار والبرد والجوع الذي يعاني منه إخواننا هناك، إلا أنهم منصورون بإذن الله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





## الكلمة الخامسة والتسعون

### موقف الحساب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد، فإن من أعظم مواقف يوم القيامة التي يجب على المؤمن الإيمان بها والاستعداد لها: موقف الحساب، قال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾ [الفتحة: ٤]. أي: الجزاء والحساب، والمقصود بالحساب أن يُوقف العباد بين يدي رب العالمين ويعرفهم بأعمالهم وأقوالهم التي عملوها في الدنيا وما كانوا عليه من إيمان وكفر واستقامة وانحراف، ويُعطى العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين، وبشماثلهم إن كانوا غير ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ٩ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ١١ وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا ١٢﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

وروى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ»، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا

يَسِيرًا؟! فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ»<sup>(١)</sup>.

قال النووي في شرحه للحديث: «معنى نوقش الحساب: استقصي عليه، قال القاضي: وقوله: «عُذِّبَ» له معنيان، أحدهما أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ، والثاني أنه مفض إلى العذاب بالنار، ويؤيده قوله في الرواية الأخرى: «هَلَكَ» مكان «عُذِّبَ» هذا كلام القاضي وهذا الثاني هو الصحيح ومعناه: أن التقصير غالب في العباد، فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء»<sup>(٢)</sup>.

ونقل ابن حجر عن القرطبي في معنى قوله: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ»، قال: إن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوها عنها في الآخرة<sup>(٣)</sup>. اهـ.

والله تعالى يحاسب كل إنسان بمفرده، قال تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ

إِنَّمَا مَسْئُولُونَ﴾<sup>(٢٤)</sup> [الصفات: ٢٤]. روى مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا

(١) ص ١٢٥٢ برقم ٦٥٣٧، وصحيح مسلم ص ١١٥٣ برقم ٢٨٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٢٠٨ - ٢٠٩).

(٣) فتح الباري (١١/٤٠٢).

النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»<sup>(١)</sup>.

ومن المؤمنين من يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ رأى أمته ومعهم سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلا حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، وَهُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَكْتُوبُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ وَلا يَتَوَكَّلُونَ<sup>(٢)</sup>.

والحساب على مواقف منها:

عرض الأعمال على العباد، قال تعالى: ﴿يَبْنُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾<sup>(١٣)</sup> [القيامة: ١٣]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ حَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾<sup>(١٤)</sup> [آل عمران: ٣٠].

ومنها أن يُعطى العبد كتابه ويُقال له: حاسب نفسك، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾<sup>(١٣)</sup> اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً<sup>(١٤)</sup> [الإسراء: ١٤]. المقصود من الآية أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليلاً وكثيره، ويكتب عليه ليلاً ونهاراً، وصباحاً ومساءً، ثم يجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة إما بيمينه إن كان سعيداً، أو بشماله إن كان شقيماً، فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره، ثم يُقال له: اقرأ كتابك بنفسك لكي تعلم أنك لم تُظلم ولم يُكتب عليك إلا ما

(١) صحيح البخاري ص ٦٢٣ برقم ٣٢٤٧، وصحيح مسلم ص ١١٦ برقم ٢١٨.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٧٠٥، وصحيح مسلم برقم ٢٢٠.

عملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئاً مما كان منه، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي.

ومنها إحضار الشهود على العبد كالرسل والملائكة وأمة محمد ﷺ والأعضاء، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١) [النساء]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كُنِينًا﴾ (١١) يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

قال نابغة بني شيبان:

إِنَّ مَنْ يَرْكَبُ الْفَوَاحِشَ سِرًّا      حِينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غَيْرُ خَالٍ  
كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ      شَاهِدَاهُ وَرَبُّهُ ذُو الْجَلَالِ

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «يَلْقَى اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَا هُنَا إِذَا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبَعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَاخِذْهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعَذَّرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْحَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا

(١) ص ١١٩١ برقم ٢٩٦٨.

أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ [يس: ٦٥].

ومنها وزن الأعمال الحسنات والسيئات، فأما المؤمن فتوزن حسناته وسيئاته ليتبين مقدار ما عمله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨ - ٩].

وأما الكافر فتوزن أعماله لإقامة الحجة عليه وتوبيخه وتقريعه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «يراد بالحساب عرض أعمال الكفار عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات؛ فإن أُريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم محاسبون، وإن أُريد به المعنى الثاني فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر»<sup>(١)</sup>. اهـ، وقال في موضع آخر: والنار دركات فإذا كان بعض الكفار أشد عذاباً من بعض لكثرة سيئاته وقلة حسناته كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة<sup>(٢)</sup> اهـ.

قال ابن كثير: وأما الكفار فتوزن أعمالهم وإن لم تكن لهم حسنات تنفعهم يقابل بها كفرهم لإظهار شقائهم وفضيحتهم على رؤوس الخلائق<sup>(٣)</sup>. اهـ.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

(١) مجموع الفتاوى (٤/٣٠٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٣٠٥).

(٣) النهاية لابن كثير (٢/٣٥).

«إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨)

[هود]»<sup>(١)</sup>.

ومن آثار الإيمان بهذا الحدث الغيبي العظيم:

أولاً: أن المؤمن إذا علم أنه سيقف بين يدي الله ويحاسب حساباً دقيقاً استعداد للقاء الله وحاسب نفسه في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) ﴿الأنبياء: ١﴾. قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر على الله».

ثانياً: قدرة الله العظيمة فهو يحاسب الخلائق جميعاً الجن والإنس مليارات البشر كل يحاسبه بنفسه، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢) ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٣) ﴿النحل: ٩٢﴾.

ثالثاً: إن هذا الحساب دقيق، فيسأل العبد عن شركه وكفره، وعن الأنداد والشركاء الذين اتخذهم من دون الله أولياء، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَنَّى مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٩٢) ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ (٩٣) ﴿الشعراء: ٩٢ - ٩٣﴾. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ

(١) ص ٤٦٠ برقم ٢٤٤١، وصحيح مسلم ص ١١٠٨ برقم ٢٧٦٨.

الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ [القصص: ٦٥]. ويسأل عن صلاته، روى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن قرط أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»<sup>(١)</sup>.

ويُسال عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، كما صح بذلك الحديث عن النبي ﷺ ويُسال عن سمعه وبصره وفؤاده، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. ويُسال عن النعيم، ومن النعيم الشبع من الطعام والماء البارد والمركب الحسن وصحة الأبدان والزوجة والأولاد ورئاسة القوم، وغير ذلك من النعيم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لِنُسَلِّنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ أُصِحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ؟ وَأَرَوِّكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأُسَوِّدَكَ<sup>(٣)</sup>، وَأَزَوَّجَكَ، وَأُسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرَكَ تَرَأْسُ

(١) (٢/٢٤٠) برقم ١٨٥٩، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم ١٣٥٨.

(٢) (٤/١٥٤) برقم ٧٢٠٣، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢/٧٦) برقم ٥٣٩.

(٣) أي أجعلك سيذاً على غيرك.

وَتَرَبُّعٌ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ:  
فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»<sup>(١)</sup>.

ويُسأل عن العهود التي بينه وبين الناس، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا  
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء].

قال الشاعر:

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ      لِمَا خُلِقُوا لِمَا هَجَعُوا وَنَامُوا  
لَقَدْ خُلِقُوا لِأَمْرٍ لَوْ رَأَتْهُ      عُيُونٌ فُلُوبِهِمْ تَاهُوا وَهَامُوا  
مَمَاتٌ ثُمَّ قَبْرٌ ثُمَّ حَشْرٌ      وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامٌ  
لِيَوْمِ الْحَشْرِ قَدْ عَمِلَتْ رِجَالٌ      فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا

وأختم بهذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث  
أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا  
عِبَادِي: إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ  
خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه (٤/٢٢٧٩) برقم ٢٩٦٨.

(٢) ص ١٠٣٩ برقم ٢٥٧٧.

(٣) القيامة الكبرى للدكتور عمر الأشقر ص ١٩٣ - ٢٣١.

الكلمة السادسة والتسعون

شرح اسم من أسماء الله الحسنى: الوارث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>. ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب العزيز: «الوارث» قال الزجاج: الوارث كل باق بعد ذهاب فهو وارث<sup>(٢)</sup>، وقال الحليمي: الوارث معناه الباقي بعد ذهاب غيره<sup>(٣)</sup>. قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر]. وقال تعالى عن نبي الله زكريا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [٨٩]. [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبٍ مِمَّ بَطَرْتُمْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَغَتْ مَسْكِنُهُمْ لَمْ يَنْصُرُوا مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [٥٨].

(١) ص ٥٢٦ برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم ص ١٠٧٥ برقم ٢٦٧٧.

(٢) تفسير الأسماء ص ٦٥.

(٣) المنهاج (١/ ١٨٩)، نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (٢/ ٢٨٩).

[القصص]. قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: ونحن نرث الأرض ومن عليها بأن نميت جميعهم فلا يبقى حي سوانا إذا جاء ذلك الأجل<sup>(١)</sup>، وقال الزجاجي: الله ﷻ وارث الخلق أجمعين لأنه الباقي بعدهم وهم الفانون، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٤٠) [مریم]. ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم<sup>(٢)</sup>:

أولاً: الله جل شأنه هو الباقي بعد فناء خلقه، الحي الذي لا يموت، الدائم الذي لا ينقطع، وإليه مرجع كل شيء ومصيره فإذا مات جميع الخلائق وزال عنهم ملكهم، كان الله تعالى هو الباقي الحق المالك لكل المملوكات وحده، وهو القائل: ﴿لِمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾، فيجيب سبحانه نفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾ (١٦) [غافر]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢٦) ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧) [الرحمن]. وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

ثانياً: بين الله تعالى لعباده أنه هو الوارث لما أهلك من القرى الظالمة التي كانت تعيش في أمن ودعة ورغد العيش حتى أصابهم الأشر والبطر فلم يقوموا بحق النعمة ولم يشكروا ربهم الذي وهبهم، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَتْ مَسْكِنَهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥٨) [القصص].

(١) جامع البيان (٥٠٧/٧).

(٢) اشتقاق الأسماء ص ١٧٣ نقلاً عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢٨٨/٢).

فقوله تعالى: ﴿لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي إلا زماناً قليلاً إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم، وبقيت شاهدة على مصرع أهلها وفنائهم وعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ أي منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وأموالهم بل كان الله وحده الوارث لديارهم وأموالهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مریم].

قال أبو البقاء الرندي:

وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيْجَانُ؟	أَيْنَ الْمَلُوكُ ذُوو التِيْجَانِ مِنْ يَمِيْنِ
وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفَرَسِ سَاسَانُ؟	وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادُ فِي إِرْمِ؟
وَأَيْنَ عَادُ وَشَدَادُ وَقَحْطَانُ؟	وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبِ
حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا	أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
كَمَا حَكَى عَنِ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانُ	وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ

ثالثاً: حث الله عباده المؤمنين على النفقة في سبيله وذكرهم أنهم مستخلفون فيما عندهم من الأموال لا يملكونها حقيقة وإنما المال مال الله، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْتَى، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى،

أَوْ أُعْطِيَ فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: دعوة زكريا عليه السلام ربه أن يهبه ولداً يكون من بعده نبياً وقد بلغ من الكبر عتياً وامرأته عاقراً، وقد حكى الله ذلك في كتابه قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٨٩)</sup> فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾<sup>(٩٠)</sup> [الأنبياء]. أي: ارزقني وارثاً من آل يعقوب يرثني.

خامساً: أن الله تعالى هو الوارث فهو الذي يُورث الأرض من يشاء من عباده، قال تعالى عن نبي الله موسى وهو يخاطب قومه: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١٢٨)</sup> [الأعراف].

وقال تعالى عن فرعون وقومه لما عصوا الله وخالفوا أمره: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونٍ﴾<sup>(٢٥)</sup> وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾<sup>(٢٦)</sup> وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾<sup>(٢٧)</sup> كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾<sup>(٢٨)</sup> [الدخان]. وقال سبحانه عن بني إسرائيل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٥)</sup> [القصص].

سادساً: أن الله تعالى جعل الجنة ثواباً للمتقين وهو يورثهم إياها، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا

## الآثار المنقاة من الكتابات البلقية

٦٠٩

بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأعراف].  
وقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم].  
وقال تعالى عن المؤمنين بعدما ذكر بعضاً من صفاتهم: ﴿ أُزْوَاجٌ مُطَهَّرَاتٍ يُرْثْنَ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون] <sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/٢٨٧ - ٢٩١).



الكلمة السابعة والتسعون

تأملات في قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لا وأشهد أن محمداً عبده  
ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ  
لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذه أكبر نعم الله تعالى على  
هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره  
ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله  
تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا  
حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق  
وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا  
وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ٥١١]. أي: صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر  
والنواهي فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة، ولهذا قال تعالى:  
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾،  
أي: فارضوه أنتم لأنفسكم فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به

أفضل الرسل الكرام وأنزل به أشرف كتبه»<sup>(١)</sup>.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهو الإسلام أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضيَه فلا يسخطه أبداً، وقال ابن جريج وغير واحد: مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بواحد وثمانين يوماً.

روى البخاري ومسلم من حديث طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. قال عمر: «قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة»<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن جرير بسنده أن ابن عباس قرأ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فقال يهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً، فقال ابن عباس: فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين: يوم عيد ويوم الجمعة<sup>(٣)</sup>.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أن الدين قد كمل فلا يحتاج إلى زيادة أبداً فما يفعله

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢٤٦).

(٢) ص ٣٢ برقم ٤٥، وصحيح مسلم ص ١٢٠٧ برقم ٣٠١٧.

(٣) تفسير ابن جرير (٤/٤١٩).

أهل الضلالة من البدع إنما هو ابتداع في دين الله واتهام لهذا الدين بالنقص، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup> فما من خير إلا والنبي ﷺ دل أمته عليه وما من شر إلا حذر أمته منه، قال أبو ذر: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: أن الله أتم على المؤمنين نعمه الظاهرة والباطنة، ومن أعظم هذه النعم بعث النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١٦٤)</sup> [آل عمران].

ثالثاً: أن الله تعالى رضي للمؤمنين هذا الدين العظيم دين الإسلام بل إن الله لا يقبل من الناس غيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(١٦٥)</sup> [آل عمران].

فوجب على المؤمنين أن يرضوا بهذا الدين الذي رضي الله لهم، روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ

(١) ص ٥١٤ برقم ٢٦٩٧، وصحيح مسلم ص ٧١٤ رقم ١٧١٨.

(٢) تفسير ابن جرير (١٨٨/٥).

قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيَتْ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: أن أحكام هذا الدين وشرائعه قد كملت فلا تتغير ولا تبدل إلى يوم القيامة، فعلى سبيل المثال ذكر الله في كتابه اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار ونهانا عن موالاتهم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٥]. فلا يأتي أحد فيقول: إن الزمن قد تغير وأن اليهود والنصارى أصدقاء وبيننا وبينهم مصالح فلا بد من صداقتهم وأن هؤلاء ليسوا كأسلافهم من قبل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَثِيرٌ﴾ [الأنفال].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





## النفخ في الصور

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أهوال الآخرة العظيمة التي يجب على المؤمن الإيمان بها والاستعداد لها: النفخ في الصور، قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَهُمْ جَمَاعًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف].

روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما الصور؟ قال: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»<sup>(١)</sup>، والنفخ في الصور أمر غيبي يكون عند نهاية الحياة الدنيا وبدء الحياة الآخرة فينفخ الملك إسرافيل في القرن بأمر الله، فلا يبقى أحد من الخلق إلا مات إلا من استثناه الله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ما يحدث في آخر الزمان فقال: «ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا

(١) ص ٣٩٨ برقم ٢٤٣٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

بَارِدَةٌ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ» قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِيفَةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَحْيِبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقَهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا»، قَالَ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ» قَالَ: «فَيَضَعُ، وَيَضَعُقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ»، أَوْ قَالَ: «يُنزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الظُّلُّ»، أَوْ «الظِّلُّ» نُعْمَانُ الشَّاكُّ «فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤)»، الْحَدِيثُ.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»: قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: «أَبَيْتُ» قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: «أَبَيْتُ»، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: «أَبَيْتُ». قَالَ: «ثُمَّ يُنزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

(١) ص ١١٨٠ رقم ٢٩٤٠.

(٢) ص ٩٧٦ برقم ٤٩٣٥، وصحيح مسلم ص ١١٨٦ برقم ٢٩٥٥.

يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَتَوَلَّنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ [يس]. ففي هذه الآيات والأحاديث المتقدمة يخبر الله تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فالنفخة الأولى تحدث وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله كما هو مصرح به في الآية السابقة، ثم يقبض الله سبحانه أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء ويقول: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ﴾ ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾ الذي قهر كل شيء وحكم بالفناء على كل شيء. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [مريم]. ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل ويأمره أن ينفخ في الصور مرة أخرى وهي النفخة الثانية نفخة البعث، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ [الزمر]. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ ﴿٤٢﴾ [ق].

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئاً كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر فسمعه رجل من الأنصار فقام فطم وجهه، وقال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشر والنبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا؟

فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمة وعهداً، فما بال فلان لطم وجهي؟! فقال: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فذكره: فغضب النبي ﷺ حتى رئي في وجهه ثم قال: «لَا تُفْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيُصَعَّقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحْسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي؟!»<sup>(١)</sup>.

ومن آثار الإيمان بهذا الحدث الغيبي العظيم:

أولاً: إن المؤمن ينبغي له أن يكون على استعداد للقاء ربه وألا يكون في غفلة فإن أمامه أهوالاً وأموراً عظيمة فهناك الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والنفخ في الصور، والبعث بعد الموت، وعرصات يوم القيامة، والصراط، والميزان وغير ذلك من الأهوال، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنبياء].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقُرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَسْمَعُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفَخَ؟» فقال أصحاب محمد: كيف نقول؟ قال: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا»<sup>(٢)</sup>.

قال الشافعي:

(١) ص ٦٥٦ - ٦٥٧ برقم ٣٤١٤، وصحيح مسلم ص ٩٦٦ برقم ٢٣٧٣.

(٢) (١٤٥/٥) برقم ٣٠٠٨ وقال محققوه: حسن لغيره.

يومُ القيامةِ لا مالٌ ولا ولدٌ وضُمَّهُ القبرِ تُنْسِي لَيْلَةَ العُرسِ  
ثانياً: أنه عند نفخة الصعق يذهل الناس عن كل شيء، قال  
تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صِحَةً  
وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ  
يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يس]. قال ابن كثير: أي على ما يملكونه فالأمر أهم  
من ذلك ولا إلى أهلهم يرجعون، فلا رجعة إلى الدنيا<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: قدرة الله العظيمة على إماتة الخلق جميعاً بلحظة واحدة  
ثم إحيائهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾  
[الرحمن: ٥٠].

رابعاً: إن الله وصف حال الناس عند خروجهم من الأجداث  
بأنهم مسرعين إجابة لدعوة الداعي، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ  
سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المعارج]. وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ  
فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس]. والنسل هو الشيء  
السريع.

خامساً: العارفون بالله، المؤمنون بما سيكون من الأحوال  
العظيمة في الآخرة لا يغفلون عنها وهم منها مشفقون، قال تعالى:  
﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا  
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ [الشورى: ١٨]. روى الترمذي في سننه من  
حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحِحَّتُمْ

(١) تفسير ابن كثير (١١/٣٦٧).

قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

سادساً: أن أهوال الآخرة من الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والنفخ في الصور، وعرصات يوم القيامة، والصراط، والميزان، مع شدتها وعظمتها، إلا أن الله بمنه وكرمه ولطفه يهونها على المؤمن التقي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء]. قال بعض المفسرين: الفزع الأكبر النفخ في الصور، وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر]. وقال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَادَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ص ٣٨٢ برقم ٢٣١٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ سُنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٢/٢٦٨) برقم ١٨٨٢.

الكلمة التاسعة والتسعون

تأملات في قوله تعالى:

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]. قال ابن جرير: « ليست اليهوديا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضد النصرانية والنصرانية ضد اليهودية ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل فالزم هدى الله الذي لجميع الخلق إلى الألفة عليه سبيل»<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن جرير مختصراً (١/٥٦٥).

قوله: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ الَّذِي بَعَثَنِي بِهِ هُوَ الْهُدَى﴾، أي قل: يا محمد إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى يعني هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فيه تهديد ووعيد للأمة من أتباع طرائق اليهود والنصارى والتشبه بهم بعد أن علموا القرآن والسنة عياداً بالله من ذلك فإن الخطاب للرسول ﷺ والأمر لأُمَّته.

وذكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي تفسيره فوائد للآية الكريمة.

أولاً: بيان عناد اليهود والنصارى فإنهم لن يرضوا عن أحد مهما تألفهم وبالغ في ذلك حتى يتبع ملتهم.

ثانياً: الحذر من اليهود والنصارى فإن من تألفهم وقدم لهم تنازلات فإنهم سيطلبون المزيد ولن يرضوا عنه إلا باتباع ملتهم.

ثالثاً: أن الكفار من اليهود والنصارى يتمنون أن المسلمين يكونون مثلهم في الكفر، حسداً لهم، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٦].

قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

رابعاً: استدل كثير من الفقهاء بقوله: ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ حيث أفرد الملة على أن الكفر ملة واحدة كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]. فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار وكل منهم

يرث قريبه سواء كان من أهل دينه أم لا لأنهم كلهم ملة واحدة.  
 خامساً: أن ما عليه اليهود والنصارى ليس ديناً بل هو هوى  
 لقوله تعالى: ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ ولم يقل: ملتهم كما في أول الآية ففي  
 الأول: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ لأنهم يعتقدون  
 أنهم على ملة ودين ولكن بين الله تعالى أن هذا ليس بدين ولا ملة  
 بل هوى وليسوا على هدى، إذ لو كانوا على هدى لوجب على اليهود  
 أن يؤمنوا بالمسيح عيسى ابن مريم ولوجب عليهم جميعاً أن يؤمنوا  
 بمحمد ﷺ.

سادساً: أن العقوبات إنما تقع على العبد بعد أن يأتيه العلم وأما  
 الجاهل فلا عقوبة عليه لقوله تعالى: ﴿وَلِينَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ  
 مِنَ الْعِلْمِ﴾، وهذا الأصل يشهد له آيات متعددة منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا  
 لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ  
 عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].  
 سابعاً: إن من اتبع الهوى بعد العلم فهو أشد ضلالة لقوله تعالى:  
 ﴿وَلِينَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

ثامناً: الرد على أهل الكفر بهذه الكلمة ﴿هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾  
 والمعنى: إن كان معكم هدى الله فأنتم مهتدون وإلا فأنتم ضالون.  
 تاسعاً: أن البدع ضلالة لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِبْرَاهِيمُ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ  
 الْهُدَىٰ﴾، ولقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ  
 مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. فليس بعد الهدى إلا الضلال ولقول النبي ﷺ:

«كُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»<sup>(١)</sup>.

عاشراً: إن ما جاء إلى الرسول ﷺ سواء كان القرآن أو السنة فهو علم فالنبي ﷺ كان أمياً، لا يقرأ ولا يكتب كما قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. ولكن الله تعالى أنزل عليه هذا الكتاب حتى صار بذلك نبياً جاء بالعلم النافع والعمل الصالح. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٣].

الحادي عشر: أنه لا أحد يمنع ما أراد الله من خير أو شر لقوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. روى البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»<sup>(٢)</sup>.

أي: لا ينفع ذا الجد أي الحظ والغنى حظه وغناه من الله، فالله محيط بكل شيء وقادر على كل شيء، ولا ينفع العبد إلا عمله الصالح.

الثاني عشر: إن هذا التحذير في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ موجهاً إلى

(١) جزء من حديث في صحيح مسلم ص ٣٣٥ برقم ٨٦٧.

(٢) ص ١٧٢ برقم ٨٤٤، وصحيح مسلم ص ٢٣٦ برقم ٥٩٣.

رسول الله ﷺ فكيف بمن دونه؟! فإن هذا التحذير يشملهم وأولى، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَقَدِ كِدْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤ - ٧٥].

الثالث عشر: أن ما عليه اليهود والنصارى من دين باطل منسوخ بشريعة الإسلام لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَهُوَ الْهُدَى﴾ وهو الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>(١)</sup>. حتى عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد بل يحكم بشريعة الإسلام. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْحِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، وَحَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثم يقول أبو هريرة: «اقْرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ

(١) ص ٨٥ برقم ١٥٣.

مَوْتِهِ<sup>ط</sup> وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ [النساء] «(١)(٢)».

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) ص ٤١٤ برقم ٢٢٢٢، وصحيح مسلم ص ٨٦ برقم ١٥٥ واللفظ له.  
(٢) تفسير سورة البقرة للشيخ ابن عثيمين (٢/٢٩ - ٣٤).



## صفات اليهود

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

فأخبر جل وعلا أن اليهود من أشد الناس عداوة وحرباً على المسلمين كما أخبر أنهم يشعلون الفتن والحروب ضد المسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

واليهود لم يسلم من شرهم أحد بل إنهم تناولوا على رب العالمين سبحانه فقالوا: بأن لله الولد، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلْنَا لَهُمُ اللَّهُ أَنْفَ يُؤْفِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

ومنها قولهم: بأن الله فقير ونحن أغنياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِعَيْرِ حَقِّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وبهذه الأقوال الكفرية الشنيعة وغيرها من الأعمال كالكذب

على الله والصد عن سبيله استحقوا غضب الله ولعنته إلى يوم القيامة وجعل الله منهم القردة والخنازير عقوبة لهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُوءُهُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وقد اشتهر اليهود بصفات ذميمة ذكرها الله في كتابه عنهم وهذه الصفات متأصلة في جميع اليهود إلى يوم القيامة وعلى المسلم أن يكون على حذر منها.

فمنها: الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَّةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣]، والتاريخ يشهد بنقضهم العهود والمواثيق فقد نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ وحاولوا قتله أكثر من مرة، وفي آخرها وضعوا له السم في الشاة وقدموها هدية فمضغ منها مضغاً ثم مكث يعاني سنوات عديدة من هذا السم<sup>(١)</sup>. وما يحصل لإخواننا في فلسطين أكبر شاهد على نقض العهود، واليهود لا تنفع معهم العهود والمواثيق والاتفاقيات، وإنما يعرفون لغة الشدة والقوة، ولذلك لما نقضوا العهد مع النبي ﷺ حاصروهم عليه الصلاة والسلام ونزلوا على حكم سعد فأمر أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم الأموال، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري ص ١١٣١ برقم ٥٧٧٧.

(٢) صحيح البخاري ص ٧٢٣ برقم ٣٨، وصحيح مسلم ص ٧٣٤ برقم ١٧٦٨.

ومن صفاتهم الذميمة: أنهم قتلوا الأنبياء ﷺ فقد قتلوا يحيى  
وزكريا وغيرهما من الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: ﴿صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ  
الدِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُفْقَهُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَصُرِبَتْ  
عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ  
بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ [آل عمران: ١١٢]. روى الإمام  
أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
«أشدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا»<sup>(١)</sup>.

ومن صفاتهم الذميمة: عصيانهم لله واعتدائهم على الخلق  
وأنهم لا يتناهون عن المنكرات فيما بينهم، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا  
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ  
لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة].

ومنها: أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ  
يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمْ  
الرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٣﴾  
[المائدة]. ولذلك يحرص اليهود على السيطرة على البنوك والاقتصاد  
العالمي ليتحكموا في مصير الأمم والشعوب.

ومنها: كتمان العلم الذي أمرهم الله بتبليغه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ  
مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيْنَهُ، لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ  
وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧]. فأخبر جل

(١) (٤١٣/٦) برقم ٣٨٦٨ وقال محققو المسند: إسناده حسن.

وعلا أنهم يكتمون العلم اغتياظاً من إظهاره بعرض الدنيا الزائل.

ومنها: الحسد، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ومنها: الجبن الشديد من مقاتلة المسلمين في ساحات المعارك قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]. وقال تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١]. قال ابن كثير: وهكذا وقع فإنهم يوم خيبر أذلهم الله وأرغم آنافهم وكذلك من قبلهم يهود المدينة، بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة كلهم أذلهم الله<sup>(١)</sup>. اهـ وأكبر شاهد على ذلك من الواقع أنك تشاهد الطفل الفلسطيني ومعه الحجر يقابل الجندي اليهودي المدجج بالسلاح وهو يفر هارباً منه خوفاً على حياته.

ومن صفاتهم الذميمة: نشر الفساد في الأرض ينشرون المخدرات والمسكرات ويُشيعون الفواحش والرذائل في أوساط الشعوب فهم تجار الرذيلة وسماسة البغاء، وسيطرون على الإعلام بقنواته الفضائية المتعددة التي تنشر الأفلام الإباحية الخليعة، وتنشر كذلك الكفر والإلحاد وتشكك المسلمين في عقيدتهم ودينهم فهم يسعون إلى الإفساد في الأرض بكل وسيلة يملكونها، وصدق الله إذ يقول:

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٥٩).

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومنها: أنهم من أحرص الناس على الحياة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (١٥) وَلَنَجْذِثَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) [البقرة].

ومعنى الآيات:

أي: إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء لله من دون الناس وأنكم أبناء الله وأحباؤه وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة، فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافتراءهم وكتمانهم الحق من صفة الرسول ﷺ ونعته كما يعرفون أبناءهم، وسميت هذه المباهلة تمنياً لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، وكانت المباهلة بالموت لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء ما لهم بعد الموت وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم». عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه، وقال أيضاً: لو تمنى اليهود الموت لماتوا»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٩٧) بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٩٤)، وقال: هذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس.

ومنها: البخل، فهم قاتلهم الله اتهموا الله بالبخل، فعندما نزل قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]. قالوا: يا محمد افتقر ربك فسأل عباده القرض؟ فعاقبهم الله بنفس الصفة الذميمة التي اتهموه بها، قال تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]. لذلك اليهود من أشد الناس بخلاً وأقلهم إنفاقاً وبذلاً.

ومنها: صفة الذل، قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقِفُوا إِلَّا يُجْبَلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]. قال ابن جرير الطبري: «أُلْزِمَ الْيَهُودَ الْمَكْذِبُونَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ، وَبِأَيِّ مَكَانٍ كَانُوا مِنْ بَقَاعِهَا مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَشْرِكِينَ، إِلَّا يُجْبَلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ» أي: بعهد من الله وعهد من الناس لهم والمراد بالحبل: السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم من عهد وأمان، تقدم لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الإسلام»<sup>(١)</sup>.

وهم الآن تحت حماية النصارى الأمريكان وهم في ذلة وإن ملكوا الأسلحة النووية، والطائرات، والدبابات المتطورة، وتفوقوا على المسلمين في القوة العسكرية، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ١١].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن جرير (٣/ ٣٩٤).

## الفهرس الأول فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب<sup>(١)</sup>

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
			أ- (قسم العقيدة)
			توحيد العبادة
٣- خطورة السحر وتحريم		١- الأمن من مكر الله..... ١٦٥	
الذهاب إلى السحرة..... ٤٧٥		٢- الخوف من الله..... ٢٨٥	
التحذير من النفاق		٣- المفهوم الخاطيء للدين .... ٣٦٣	
والفرق الضالة		٤- اليقين..... ٣٧٧	
١- خطر الرافضة..... ٢١٣		٥- نزول المطر..... ٥٢٩	
٢- صفات اليهود..... ٦٢٧		٦- قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ	
توحيد الأسماء والصفات		عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ	
١- شرح اسم الله الخالق..... ٤٣		تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴿١٠٠﴾	
٢- شرح اسم الله الفتح..... ١٠٧		خطر الشرك	
٣- شرح اسم الله اللطيف..... ٢١٩		١- إن من الشرك إرادة الإنسان	
٤- شرح اسم الله الرزاق..... ٣٣٣		بعمله الدنيا..... ٢٢٥	
٥- شرح اسم الله الكافي..... ٤٠٣		٢- الإعراض عن الدين ..... ٣٥٣	
٦- شرح اسم الله الغني..... ٤٣٩			
٧- شرح اسم الله الشهيد..... ٤٨٧			

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٩١	الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١﴾ ..... «سورة المائدة»	٥١٥	٨- شرح اسم الله البصير.....
	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ..... ٦١١	٥٤٩	٩- شرح اسم الله السميع.....
	«سورة هود»	٦٠٥	١٠- شرح اسم الله الوارث.....
	١- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ..... ١٥		الإيمان باليوم الآخر
	«سورة الحجر»	١٣٩	١- رؤية الله تعالى.....
	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَعُيُونٍ﴾ ..... ٨٥	١٨١	٢- الميزان.....
	٢- وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ..... ٥٠٣	١٩٥	٣- الإيمان بالكرام الكاتبين.....
	٣- الوقفة الثانية مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ..... ٥٠٩	٢٠١	٤- رضوان الله.....
	«سورة الأحزاب»	٣٤١	٥- ما ينتفع به الميت.....
	١- فوائد من قوله تعالى:	٤٢١	٦- البعث بعد الموت.....
	﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ	٥٩٧	٧- موقف الحساب.....
	النَّصْرَى﴾ ..... ٦٢١	٦١٥	٨- النفخ في الصور.....
			ب- (قسم التفسير)
			سورة البقرة
			١- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى﴾ ..... ٦٢١
			«سورة آل عمران»
			١- دروس وعبر من قوله تعالى:

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٢٧	٧- المسد.....	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...﴾	٣٧١
	<b>ج- قسم الحديث</b>		
	١- شرح حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه»... ٤٩	<b>«سورة فصلت»</b>	
	٢- شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»... ١٧١	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا...﴾	١٣٣
	٣- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة»... ٣٥٩	<b>«سورة الدهر»</b>	
	٤- شرح حديث: «احفظ الله يحفظك»... ٤٥١	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ﴾	٤٥٧
	٥- شرح حديث: «الثلاثة الذين آواهم المبيت»... ٥١٩	<b>« جزء عم »</b>	
	٦- شرح حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك»... ٥٦١	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾	٥٦٧
	<b>« الفقه والصلاة »</b>	٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾	٥٧٣
	١- أخطاء في الصلاة رقم ٢..... ٣٧	٣- الضحى..... ٢٥٧	
	٢- سترة المصلي..... ١٤٥	٤- الزلزلة..... ٥٥٥	
	<b>« الصيام »</b>	٥- القارعة..... ٢٠٧	
	١- فضل الأعمال الصالحة في رمضان..... ٣٩٧	٦- الهمزة..... ٤٨١	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٩	رفعها.....		«الموت»
٢- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا		١- شرح حديث: «أسرعوا	
مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ		بالجنازة»..... ٣٥٩	
١٥	يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴿.....	٢- ما ينتفع به الميت..... ٣٤١	
٦١	٣- فتنة المال.....		المحرمات
٦٧	٤- فتنة النساء.....		«المال»
٧٩	٥- السخرية بالناس واحتقارهم.....	١- الأسهم المختلطة..... ٢٣٧	
٦- تأملات في قوله			صيانة الأعراض
تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَاقِبَ			«اللباس»
٨٥	فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿.....	١- مخالفات في لباس المرأة.... ١٨٧	
٩١	٧- الغرور.....		«محرمات عامة»
٧٣	٨- فتنة الدنيا.....	١- السحر والمس والعين..... ١٥٥	
٩٧	٩- قسوة القلب.....	٢- أضرار المخدرات	
١٠٣	١٠- العجب.....	والمسكرات..... ٣١٣	
١١- تأملات في قوله تعالى:		٣- القتل..... ٣٢٧	
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ		٤- خطورة السحر	
ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾..... ١٣٣		وتحريم الذهاب إلى	
١٢- الأمن من مكر الله..... ١٦٥		السحرة..... ٤٧٥	
١٣- شرح حديث حسب ابن			«المواعظ والرقائق»
آدم لقيمات..... ١٧١		١- العقوبات الإلهية وأسباب	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٦٩	٢- خطر الاختلاط.....	١٧٥	١٤- النصيحة.....
٣٠٣	٣- العشرة الزوجية.....	٢٣١	١٥- كفارات الذنوب رقم ٢.....
	«الأخلاق المحمودة»	٢٨٥	١٦- الخوف من الله.....
٥٣	١- علو الهمة.....	٢٩٧	١٧- أمراض القلوب.....
٤٦٣	٢- الوفاء.....	٣٤٧	١٨- قضاء الدين.....
	«الأخلاق المذمومة»	٣٥٣	١٩- الإعراض عن الدين.....
٢١	١- الذلة وأسبابها.....	٢٠	٢٠- فضل الأعمال الصالحة
	٢- النهي عن السخرية	٣٩٧	في رمضان.....
٧٩	بالناس واحتقارهم.....	٤٠٩	٢١- خطورة المجاهرة بالمعصية
٩١	٣- الغرور.....	٤١٥	٢٢- استقبال العام الجديد.....
١٠٣	٤- العجب.....	٤٤٥	٢٣- المسارعة إلى الخيرات.....
١١٣	٥- خطورة الكذب.....	٥٢٩	٢٤- نزول المطر.....
٣٨٣	٦- التحذير من الكسل.....		<b>الفضائل</b>
	«السير»		<b>«الصيام»</b>
١٥١	١- سيرة مصعب بن عمير.....		١- فضل الأعمال الصالحة في
٢٧٥	٢- قصة نبي الله يونس <small>عليه السلام</small> .....	٣٩٧	رمضان.....
٢٨١	٣- سيرة طلحة بن عبيد الله.....		<b>«فضائل عامة»</b>
	٤- دروس وعبر من استشهاد	٢٦٣	١- فضل الصحابة.....
٣١٩	الخليفة عمر.....		<b>«موضوعات تهم المرأة»</b>
٤٣٣	٥- سيرة أبي عبيدة بن الجراح...٤٣٣	١٨٧	١- مخالفات في لباس المرأة....

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٤٩	٣- نعمة العقل.....	٤٦٩	٦- سيرة جعفر بن أبي طالب...
٢٩٧	٤- أمراض القلوب.....	٤٩٧	٧- سيرة عثمان بن عفان....
	٥- أضرار المخدرات	٥٢٣	٨- قصة قارون.....
٣١٣	والمسكرات.....	٥٤١	٩- سيرة الزبير بن العوام.....
	« النبوات »		« قضايا اجتماعية »
١١٩	١- عصمة النبي ﷺ.....	١٥٥	١- السحر والمس والعين.....
٢٧٥	٢- قصة نبي الله يونس عليه السلام....	١٨٧	٢- مخالفات في لباس المرأة....
٣٨٩	٣- معجزاته عليه الصلاة والسلام	٢٤٣	٣- الرفقة الصالحة.....
	« أحداث معاصرة »	٢٦٩	٤- خطر الاختلاط.....
٥٨٧	١- وقفات مع أحداث غزة...	٣٠٣	٥- العشرة الزوجية.....
	٢- وقفات مع الأزمة المالية		٦- أضرار المخدرات
٥٧٩	العالمية.....	٣١٣	والمسكرات.....
٤٩١	٣- أحداث الدانمارك.....	٣٤٧	٧- قضاء الدين.....
٢٣٧	٤- حكم الأسهم المختلطة....	٣٦٣	٨- المفهوم الخاطيء للدين.....
		٣٨٣	٩- التحذير من الكسل.....
			١٠- خطورة السحر وتحريم
		٤٧٥	الذهاب إلى السحرة.....
			« توجيهات عامة »
		١٢٥	١- البشارة وفضائلها.....
		١٧٥	٢- النصيحة.....

## الفهرس الثاني فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

### الجزء الرابع

الموضوع	الصفحة
تقديم المشايخ	٥
المقدمة	١٣
١- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ..	١٥
٢- الذلة وأسبابها	٢١
٣- العقوبات الإلهية وأسباب رفعها	٢٩
٤- أخطاء في الصلاة رقم (٢)	٣٧
٥- شرح اسم الله الخالق المصور	٤٣
٦- شرح حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه»	٤٩
٧- علو الهمة	٥٣
٨- فتنة المال	٦١
٩- فتنة النساء	٦٧
١٠- فتنة الدنيا	٧٣
١١- السخرية بالناس واحتقارهم	٧٩
١٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	٨٥
١٣- الغرور	٩١

الموضوع	الصفحة
١٤- قسوة القلب	٩٧
١٥- العجب	١٠٣
١٦- شرح اسم الله الفتاح	١٠٧
١٧- خطورة الكذب	١١٣
١٨- عصمة النبي ﷺ	١١٩
١٩- البشارة وفضائلها	١٢٥
٢٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ..﴾	١٣٣
٢١- رؤية الله تعالى	١٣٩
٢٢- سترة المصلي	١٤٥
٢٣- سيرة مصعب بن عمير	١٥١
٢٤- السحر والمس والعين	١٥٥
٢٥- الأمن من مكر الله	١٦٥
٢٦- شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»	١٧١
٢٧- النصيحة	١٧٥
٢٨- الميزان	١٨١
٢٩- مخالفات في لباس المرأة	١٨٧
٣٠- الإيمان بالكرام الكاتبين	١٩٥
٣١- رضوان الله تعالى	٢٠١
٣٢- تفسير سورة القارعة	٢٠٧
٣٣- خطر الرافضة	٢١٣

الموضوع	الصفحة
٣٤- شرح اسم الله اللطيف .....	٢١٩
٣٥- إن من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا .....	٢٢٥
٣٦- كفارات الذنوب رقم (٢) .....	٢٣١
٣٧- حكم الأسهم المختلطة .....	٢٣٧
٣٨- الرفقة الصالحة .....	٢٤٣
٣٩- نعمة العقل .....	٢٤٩
٤٠- تفسير سورة الضحى .....	٢٥٧
٤١- فضل الصحابة .....	٢٦٣
٤٢- خطر الاختلاط .....	٢٦٩
٤٣- قصة نبي الله يونس <small>عليه السلام</small> .....	٢٧٥
٤٤- سيرة طلحة بن عبيد الله .....	٢٨١
٤٥- الخوف من الله .....	٢٨٥
٤٦- دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي	
الْبَلَدِ﴾ .....	٢٩١
٤٧- أمراض القلوب .....	٢٩٧
٤٨- العشرة الزوجية .....	٣٠٣
٤٩- أضرار المخدرات والمسكرات .....	٣١٣
٥٠- دروس وعبر من استشهاد الخليفة عمر .....	٣١٩



## الجزء الخامس

- ٣٢٧ ..... ٥١- القتل
- ٣٣٣ ..... ٥٢- شرح اسم الله الرزاق
- ٣٤١ ..... ٥٣- ما ينتفع به الميت
- ٣٤٧ ..... ٥٤- قضاء الدين
- ٣٥٣ ..... ٥٥- الإعراض عن الدين
- ٣٥٩ ..... ٥٦- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة»
- ٣٦٣ ..... ٥٧- المفهوم الخاطيء للدين
- ٣٧١ ..... ٥٨- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ...﴾
- ٣٧٧ ..... ٥٩- اليقين
- ٣٨٣ ..... ٦٠- التحذير من الكسل
- ٣٨٩ ..... ٦١- معجزاته عليه الصلاة والسلام
- ٣٩٧ ..... ٦٢- فضل الأعمال الصالحة في رمضان
- ٤٠٣ ..... ٦٣- شرح اسم الله الكافي
- ٤٠٩ ..... ٦٤- خطورة المجاهرة بالمعصية
- ٤١٥ ..... ٦٥- استقبال العام الجديد
- ٤٢١ ..... ٦٦- الإيمان بالبعث بعد الموت
- ٤٢٧ ..... ٦٧- تفسير سورة المسد
- ٤٣٣ ..... ٦٨- سيرة أبي عبيدة بن الجراح
- ٤٣٩ ..... ٦٩- شرح اسم الله الغني

الموضوع	الصفحة
٧٠- المسارعة إلى الخيرات	٤٤٥
٧١- شرح حديث: «احفظ الله يحفظك»	٤٥١
٧٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾	٤٥٧
٧٣- الوفاء	٤٦٣
٧٤- سيرة جعفر بن أبي طالب	٤٦٩
٧٥- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة	٤٧٥
٧٦- تفسير سورة الهمزة	٤٨١
٧٧- شرح اسم الله الشهيد	٤٨٧
٧٨- أحداث الدانمارك	٤٩١
٧٩- سيرة عثمان بن عفان	٤٩٧
٨٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	٥٠٣
٨١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ رقم (٢)	٥٠٩
٨٢- شرح اسم الله البصير	٥١٥
٨٣- شرح حديث: الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار	٥١٩
٨٤- قصة قارون	٥٢٣
٨٥- نزول المطر	٥٢٩
٨٦- تواضع السلف وخوفهم من ربهم	٥٣٥
٨٧- سيرة الزبير بن العوام	٥٤١
٨٨- شرح اسم الله السميع	٥٤٩
٨٩- تفسير سورة الزلزلة	٥٥٥

الموضوع	الصفحة
٩٠- شرح حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك»	٥٦١
٩١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾	٥٦٧
٩٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾	٥٧٣
٩٣- وقفات مع الأزمة المالية العالمية	٥٧٩
٩٤- وقفات مع أحداث غزّة	٥٨٧
٩٥- موقف الحساب	٥٩٧
٩٦- شرح اسم من أسماء الله الحسنى الوارث	٦٠٥
٩٧- تأملات في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	٦١١
٩٨- النفخ في الصور	٦١٥
٩٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾	٦٢١
١٠٠- صفات اليهود	٦٢٧
الفهرس حسب موضوعات الكتاب	٦٣٣
فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب	٦٣٩



الشمس والسنقاة

من

الكلمات الملقاة

ح) أمين بن عبد الله الشقاوي، ١٤٣٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشقاوي: أمين بن عبد الله

الدرر المتتقاة من الكلمات الملقةة - الجزء السادس والسابع .

/ أمين بن عبد الله الشقاوي - الرياض، ١٤٣٣ هـ

٨١٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك: ٤ - ١١١١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

(في مجلد واحد)

١ - الوعظ والإرشاد ٢ - الإسلام - مجموعات أ - العنوان

١٤٣٣/٩١٨٥

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٩١٨٥

ردمك: ٤ - ١١١١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

والإله أراد طباعته وتوزيعه فجاءنا بعد موافقة المؤلف المنظمة

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

جوال رقم: ٥٠٤٤٢٠٥٦٠

البرمجة المنقاة

من

الكلمات الملقاة

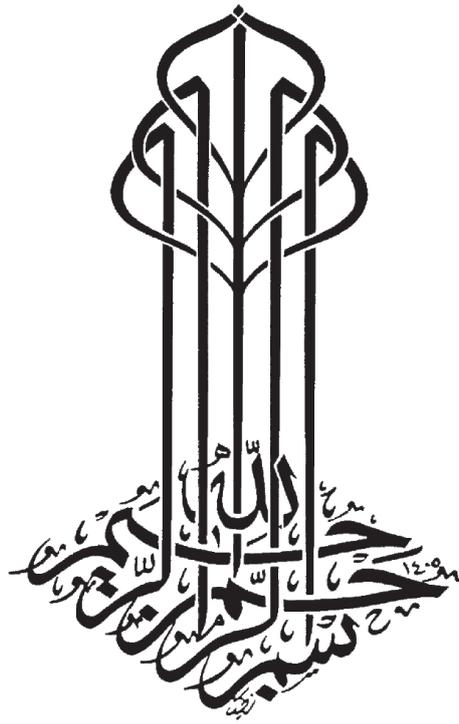
فروع يومية

(١١٠) درسا للترغاة والمطباء وأئمة المساجد للقراءة على الصلوات

إعداد

والشيخ محمد بن عبد الله الشقاوي

الجمهورية الجزائرية



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،  
وعلى آله وأصحابه والتابعين:

أما بعد: فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ «الدرر المنتقاة  
من الكلمات الملقاة: دروس يومية» إعداد الشيخ الدكتور أمين ابن  
عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف  
والدعوة والإرشاد.

والشيخ أمين معروف لديّ وهو من الدعاة المعروفين بالعلم  
والبصيرة، وقد سمعتُ عدداً من كلماته التي يلقيها في المساجد.

ولما تصفّحتُ الكتاب وجدته منوعاً يشمل موضوعات متعددة  
في العقيدة والتفسير والحديث والفقّه، وفي العلم، والوصايا،  
والأدعية والأذكار، وآداب الطعام، والمحرمات، وصيانة الأعراس  
واللباس، والمواعظ والرقائق والفضائل والأخلاق، وقضايا اجتماعية  
كقضية المرأة وغيرها وتوجيهات عامة وغيرها.

ولا شكّ أن هذه الموضوعات شاملة لقضايا متعددة من  
أمور الدين، الناس بحاجة إليها، فهذه الكلمات مفيدة لعامة  
الناس، وهي مفيدة للدعاة والخطباء وأئمة المساجد يقرؤونها  
على الناس دروساً يومية.

وإنني أوصي عموم المسلمين بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي أيضاً أئمة المساجد والخطباء والدعاة بالاستفادة من هذا الكتاب على شكل دروس يومية تقرأ على المصلين.

والمؤلف - وفقه الله - بذل جهده في اختيار الموضوعات المهمة، ودعمها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين وأهل العلم المعتبرين، ورجع إلى كتب التفسير وكتب الفقه وكتب الحديث وكتب التاريخ والسيرة، فجاء هذا الكتاب - بحمد الله - وافياً بالعرض نافعاً يجد فيه الباحث بغيته.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب وبكلمات الشيخ أمين التي يلقيها في المساجد، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه جواد كريم.

وصلى الله وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

**كتبه**

**عبد العزيز بن عبد الله الراجحي**

١٤٢٧/٤/١٢ هـ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكرم الأخ الدكتور أمين بن عبد الله الشقاوي - وفقه الله -:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد:

أشكركم على هديتكم كتاب (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة) وقد تصفحت سفركم الجميل وألفيته من الكتب النافعة في بابه ومناسباً في وقتنا هذا لما اشتمل عليه من موضوعات تهم العامة والخاصة، وتقرب كثيراً من المعاني إلى الأفهام وتصلح حال كثير من الناس بأسلوب لطيف وتأصيل شرعي مستمد من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وفقكم الله وجعلكم مباركين أينما كنتم.

ونفع بعلمكم ورزقنا وإياكم حسن القصد والعمل.

**كتبه**

**ناصر بن سليمان العمر**

**الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ**



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» الذي ألفه أخونا الشيخ أمين بن عبد الله الشقاوي عضو الدعوة بوزارة الشؤون الإسلامية - وفقه الله -، فوجدته كتاباً نافعاً مناسباً لعموم المسلمين، وبخاصة الدعاة والخطباء وأئمة المساجد، فقد ضمَّه مؤلفه عشرة ومئة درس في موضوعات متعددة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والقضايا الاجتماعية والأسرية، وما يخص المرأة، وبعض القضايا المعاصرة، كما حرص المؤلف على تجنب الأحاديث الموضوعية والضعيفة ما أمكن، فنسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

**كتبه**

**سعد بن عبد الله الحميد**

**٧ ربيع الأول ١٤٢٧هـ**



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فقد استمعت إلى بعض الكلمات والدروس التي كان يلقيها الشيخ: أمين بن عبد الله الشقاوي، وكانت هذه الدروس والكلمات مفيدة وقيّمة، فهي جامعة ومختصرة مع الاعتناء بالأدلة من الكتاب والسنة، والنقل عن أهل العلم.

وقد قام - وفقه الله - بجمع هذه الكلمات والدروس في كتاب أسماه: (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة)، وهي شاملة لكثير من قضايا الشريعة من: التوحيد، والعقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتفسير، والحديث، وغير ذلك من القضايا والمسائل. فبارك الله فيه ونفع به الإسلام والمسلمين.

### كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فهذا هو المجلد الثالث من كتاب الدرر المنتقاة يشتمل

على الجزأين السادس والسابع، حيث يحتوي كل جزء على خمسة وخمسين كلمة وهو كسابقه قد التزمت ألا أورد فيه من الأحاديث إلا ما صحح فليطمئن قراء كتابي الأفاضل إلى ذلك، مع أنني قد يسرت للقارئ الكريم الوصول إلى مصادر الكتب إذا أحب الرجوع إليها.

وقد ضبطت الأحاديث، وبعض الكلمات بالشكل ليتمكن القراء من القراءة الصحيحة، تلبية لطلبات قراء الكتاب.

وإنني أشكر المشايخ الذين ساعدوني في هذا الكتاب ومنهم: شيخنا حمد بن عبد الله الجمعة، والشيخ غالب المطيري.. وغيرهم ممن لم يرغب بذكر اسمه.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب جامعه وقارئه وناشره وسامعه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يقبله إنه جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

### المؤلف

الرياض ١٤٣٣/١١/١٨ هـ

الكلمة الأولى

الصلاة على النبي ﷺ - فضائلها، وفوائدها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى أرسل نبينا محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ونجاة لمن آمن به من الموحدين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، وشفيعاً في المحشر، أرسله الله على فترة من الرسل، فهدى به لأقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته وتوقيره ورعايته والقيام بحقوقه والصلاة عليه والتسليم، قال بعض العلماء: ومن خواصه ﷺ أنه ليس في القرآن ولا غيره صلاة من الله على غيره، فهي خصيصة اختصه الله بها دون سائر الأنبياء<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي العالية قال: «صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء»، وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

(١) انظر: خطبة السخاوي في كتابه القول البديع ص ٥ بتصرف، ومرشد المحتر إلى خصائص المختار لمحمد بن طولون ص ٣٩٧. نقلاً عن كتاب جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ ص ٥.

«يُصَلُّونَ: يُبِرُّ كُونَ» هكذا علقه البخاري عنهما<sup>(١)</sup>. قال ابن كثير: «المقصود من الآية: أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً»<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الصلاة على النبي ﷺ منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ»<sup>(٣)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»<sup>(٤)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي، فَقَالَ: «مَا شِئْتَ»، قُلْتُ: الرَّبْعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثَّلَاثِينَ،

(١) صحيح البخاري ص ٩٣٧ باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾.

(٢) تفسير ابن كثير (١١/٢١٠).

(٣) (٥٧/١٩) برقم ١١٩٩٨ وقال محققوه: حديث صحيح.

(٤) برقم ٢٠٤٢ وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٣٨٣) برقم ١٧٩٦.

قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: «إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: سُئِلَ شَيْخُنَا<sup>(٢)</sup> رَحِمَهُ اللهُ عَنْ تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: كَانَ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ دَعَاءٌ يَدْعُو بِهِ لِنَفْسِهِ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ هَلْ يَجْعَلُ لَهُ مِنْهُ رُبْعَهُ صَلَاةً عَلَيْهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَقَالَ لَهُ: النِّصْفُ، فَقَالَ: إِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، إِلَى أَنْ قَالَ: إِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، إِلَى أَنْ قَالَ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، أَي أَجْعَلُ دَعَائِي كُلَّهُ صَلَاةً عَلَيْكَ، قَالَ: إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ، لِأَنَّ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ هَمَّهُ الْبُغْيُ وَغُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ، هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ<sup>(٣)</sup> رَحِمَهُ اللهُ. اهـ.

ومن فوائد الصلاة على النبي ﷺ:

أولاً: امتثال أمر الله ﷻ.

ثانياً: موافقته ﷺ في الصلاة عليه، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف.

ثالثاً: أنها ترفع الدرجات وتكفر السيئات كما وردت بذلك الأحاديث السابقة.

رابعاً: أنه يرجى إجابة دعاء السائل إذا ختم بها، فيها يصعد الدعاء

(١) برقم ٢٤٥٧ وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام ص ٧٦.

إلى رب العالمين. روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ»<sup>(١)</sup>.

خامساً: أنها سبب لكفاية العبد ما أهمه، ففي حديث أبي السابق لما قال للنبي ﷺ: «أجعل لك صلاتي كلها»، قال له إذا تكفى همك، ويغفر ذنبك، ومن القصص في هذا الباب وهي كثيرة أن أحد الإخوان كان يعاني من مشكلات كثيرة مع زملائه، وفي بيته حمل هموماً وغموماً، فدل على الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ فلازم ذلك، فتبدلت حاله إلى أفراح ومسرات في وقت قليل.

سادساً: أن الصلاة عليه ﷺ من حقوقه على أمته مقابل الخير العظيم الذي حصل لهم بسببه.

وأما صيغ الصلاة عليه، فهي كثيرة، أكتفي باثنتين منها:

أولاً: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لَقِينِي كَعْبُ بْنُ عَجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: بَلَى فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى

(١) مسند الفردوس (٤٧٥٤) وحسنه الألباني رَضِيَ اللَّهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (٥/٥٧) برقم ٢٠٣٥، وورد موقوفاً عن علي وضعفه آخرون، وقال الألباني الموقوف أصح.

آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ» (١).

ثانياً: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ» (٢).

أما المواطن التي يُصلى فيها على النبي صلى الله عليه وسلم فهي كثيرة أذكر منها:

- ١- بعد التشهد في جميع الصلوات، وهو ركن بعد التشهد الأخير عند جمع من أهل العلم.
- ٢- في التشهد الأول وآخر القنوت.
- ٣- في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية.
- ٤- عند دخول المسجد، وعند الخروج منه.
- ٥- عند اجتماع القوم، وقبل تفرقهم للحديث: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ» (٣)، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ» (٤).

(١) برقم ٣٣٧٠ وصحيح مسلم برقم ٤٠٦.

(٢) برقم ٣٣٦٩ وصحيح مسلم برقم ٤٠٧.

(٣) ترة: يعني حسرة وندامة.

(٤) سنن الترمذي برقم ٣٣٨٠ وقال: حديث حسن صحيح.

- ٦- عند الهم والشدائد وطلب المغفرة في الدعاء.
  - ٧- عند استفتاح الخطب للدروس وغيرها مقروناً بالثناء على الله تعالى وعند ختمها.
  - ٨- في أول النهار وآخره مع أذكار الصباح والمساء.
  - ٩- بعد الأذان وذلك من وسائل الشفاعة.
  - ١٠- عند ذكره ﷺ، فقد جاء في الحديث: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»<sup>(١)</sup>.
- وغير ذلك من المواضع.
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن الترمذي برقم ٣٥٤٦ وقال: حديث حسن صحيح غريب.

الكلمة الثانية

تأملات في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]. وعملاً بالآية الكريمة لنستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [٢١] وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [٢٢] وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَاتَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ [٢٣] يَقُولُ يَلِيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي [٢٤] فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ [٢٥] وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ [٢٦] يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ [٢٧] أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً [٢٨] فَادْخُلِي فِي عِبَادِي [٢٩] وَادْخُلِي جَنَّتِي [٣٠] [الحجر: ٢١ - ٣٠].

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة، فيقول: ﴿كَلَّا﴾: أي: حقاً ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا﴾ أي: وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]. وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [٢٢] أي وقام الخلائق من قبورهم لربهم وجاء ربك يعني لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد ﷺ بعد ما يسألون أولي العزم

من الرسل واحداً بعد واحد، فكلهم يقول: لست بصاحب ذلك حتى تنتهي النبوة إلى محمد ﷺ فيقول: أنا لها، فيذهب فيشفع عند الله ثم يجيء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً<sup>(١)</sup>، فيأله من موقف عظيم كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمِّمْ وَنُزُلِ الْمَلَائِكَةِ تَنْزِيلًا ۖ ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۖ ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٥ - ٢٦].

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكَرُ الْإِنْسَانُ﴾ أي: عمله وما كان أسلفه في قديم الدهر وحديثه، ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾: أي: وكيف تنفعه الذكرى، يقول نادماً: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾: أي: يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصياً، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۖ ﴿٢٧﴾ يُؤْتَلَقُ لَيَّتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ۖ ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۖ ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ۖ ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: ٤٠].

أما إذا كان طائعاً فإنه يود لو ازداد من الطاعات، روى الإمام

(١) الحديث مخرج في الصحيحين أخرجه البخاري برقم ٣٣٤٠؛ ومسلم في صحيحه برقم ١٩٤.

(٢) برقم ٢٨٤٢.

أحمد في مسنده من حديث محمد بن أبي عميرة رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرِمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَحَقَرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوْ دَأَّ أَنَّهُ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزِدَّادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فِيَوْمٍذِي لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾ أي ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠]. ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ﴾ أي: ليس أحد أشد قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفر بربهم وعكس، هذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين فإنهم يُقَرَّنُونَ بسلاسل من نار ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [٤٩] سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرَانٍ وَتَعْنَى وَجُوهَهُمْ النَّارُ [٥٠] [الحجر: ٤٩ - ٥٠]. وقال تعالى: ﴿خَذُوهُ فَعُوهُ﴾ [٣٠] ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلْوَهُ [٣١] ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ [٣٢] إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ [٣٣] [الحاقة: ٣٠ - ٣٣].

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [٢٧] أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ ﴿أي: النفس الزكية والمطمئنة هي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق، فيقال لها: ارجعي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته، ﴿رَاضِيَةً﴾: أي: في نفسها مرضية، أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها، كما قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨].

(١) برقم ١٧٦٥٠ وقال محققوه: إسناده صحيح.

قوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾: أي في جملة عبادي ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا اخْرُجِي أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ». قَالَ: «فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ..» ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: «ثُمَّ يَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي الْقَبْرِ فَيُقَالُ لَهُ مِثْلَ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ»<sup>(١)</sup>.

وروى الطبراني في المعجم الكبير بسنده إلى سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقه، فدخل نعشه ثم لم ير خارجاً منه، فلما دُفن تليت هذه الآية على شفير القبر ما يُدرى من تلاها: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿رُجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٣٠) [الفجر: ٢٧ - ٣٠]<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣٧٨/١٤) برقم ٨٧٦٩ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.  
 (٢) (٢٣٦/١٠) برقم ١٠٥٨١ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٥/٩) ورجاله رجال الصحيح.

الكلمة الثالثة

من مشاهد القيامة  
(الحشر وأهواله)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن أعظم أهوال يوم القيامة التي يجب على المؤمن الإيمان بها والاستعداد لها موقف الحشر. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٤٩ - ٥٠]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحجر: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [هود: ١٠٣].

والله ﷻ يحشر الناس ويجمعهم ليوم القيامة سواء من كان منهم في قبره، أو أكلته السباع، أو احترق، أو غرق في البحار، أو مات بأي مية كانت، قال تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٨]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢].

والله ﷻ يحشر الخلائق جميعاً لا ينسى منهم أحداً، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ

نُغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ [الكهف: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٤].

وهذه النصوص تدل على حشر الخلائق جميعاً الجن والانس والبهائم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه كما دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُعْرَفُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ [التكوير: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ [الشورى: ٢٩]. وحرف إذا إنما يكون لما يأتي لا محالة<sup>(١)</sup>.

ويحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلاً أي غير مختونين كما ولدتهم أمهاتهم. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةَ غُرْلًا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ؟ قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ! الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ»<sup>(٢)</sup>.

وكل إنسان يُبعث على الحال التي مات عليها من التقوى والإيمان والكفر والعصيان، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢٤٨).

(٢) برقم ٦٥٢٧ وصحيح مسلم برقم ٢٨٥٩ واللفظ له.

النبي ﷺ قال: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث: «الَّذِي يَمُوتُ وَهُوَ مُحْرَمٌ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًّا»<sup>(٢)</sup>،  
و«الشَّهِيدُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَرْحُهُ يَتَعَبُ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيْحُ رِيْحُ  
المِسْكِ»<sup>(٣)</sup>.

### والحشر مواقف:

فمن ذلك أن الكفار يحشرون على وجوههم، قال تعالى:  
﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصَمًّا مَّا أَوْنَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا  
خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا﴾<sup>(٤٧)</sup> [الإسراء: ٩٧]. وروى البخاري ومسلم في  
صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، يُحْشَرُ  
الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرَّجْلَيْنِ  
فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُمَشِيَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!»<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك أن الناس يُحشرون على طرائق. روى الإمام أحمد  
في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:  
«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مُشَاةٌ، وَصِنْفٌ  
رُكْبَانٌ، وَصِنْفٌ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ  
يَمْشُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ؟ وَقَالَ عَفَّانٌ: يَمْشُونَ - قَالَ: «إِنَّ الَّذِي  
أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمَشِيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ

(١) برقم ٢٨٧٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم ١٨٥١ وصحيح مسلم برقم ١٢٠٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم ٥٥٣٣ وصحيح مسلم برقم ١٨٧٦.

(٤) برقم ٤٧٦٠ وصحيح مسلم برقم ٢٨٠٦.

يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ»<sup>(١)</sup>.

ومنها أن المتقين يُحشرون على أحسن مركب. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾<sup>(٨٥)</sup> وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا<sup>(٨٦)</sup> ﴿[مریم: ٨٥ - ٨٦]. أي عطاشاً، وقال جمع من المفسرين: إنهم يُحشرون - أي المتقين - على الإبل النجائب تكريماً لهم، ويُحشر الناس يوم القيامة على أرض غير هذه الأرض. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>(٤٨)</sup> ﴿[إبراهيم: ٤٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ»<sup>(٢)</sup>، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ<sup>(٣)</sup> قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»<sup>(٣)</sup>.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الوقت الذي تبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات هو وقت مرور الناس على الصراط. روى مسلم في صحيحه

(١) (٢٨٩/١٤) برقم ٨٦٤٧ وقال محققوه حسن لغيره، قوله: صنف مشاة، وصنف ركبان، قال السندي: هم أهل الإيمان عوامه وخواصهم. يتقون بوجوههم كل حدب، الحدب بفتح الحاء الغليظ المرتفع من الأرض، أي يجعلون وجوههم مكان الأيدي والأرجل في التوقي عن مؤذيات الطرق، وقد غلت أيديهم وأرجلهم، وذلك لما لم يجعلوها ساجدة لخالقها.

(٢) عفراء: قال الخطابي العفر بياض ليس بناصع، وقال ابن فارس: معنى عفراء خالصة البياض، والنقي: أي الدقيق النقي من الغش والنخالة، والمعلم: هو العلامة التي يهتدي بها إلى الطريق كالجبل والصخرة، فتح الباري (١١/٣٧٥).

(٣) برقم ٦٥٢١ وصحيح مسلم برقم ٢٧٩٠.

من حديث ثوبان رضي الله عنه أن حبراً من أحبار اليهود سأل الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْحِسْرِ»<sup>(١)</sup>.

ومن آثار الإيمان بهذا الحدث الغيبي العظيم:

أولاً: أن الله أخبر عباده بأهوال هذا اليوم - وهم في الدنيا - ليعلموا ما هم صائرون إليه، وليكونوا على بينة من أمرهم، وليستعدوا لذلك ويحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا، قال أحدهم:

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ غَايَةَ كُلِّ حَيٍّ  
وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

وصدق الله إذ يقول: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ ﴿٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠].

أما المجرمون فيقولون: ﴿يُوَيْلِنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

ثانياً: أن الناس يذهلون من هول المحشر عن كل شيء. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]. وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿١٧﴾ [المزمل: ١٧].

ثالثاً: قدرة الله العظيمة على جمعهم وحشرهم في صعيد واحد

ومحاسبتهم. قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾ [الشورى: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٥٠].

رابعاً: في يوم الحشر تظهر حقيقة الدنيا لأهلها وحقارتها. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ ﴿٤٥﴾ [يونس: ٤٥]. وقال عن المجرمين: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَّيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ ﴿١٠٣﴾ [طه: ١٠٢ - ١٠٣].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة

من أسماء الله الحسنى  
(الحليم)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف: ١٨٠]. روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup> ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة الحليم، قال بعضهم ذكر هذا الاسم في كتاب الله إحدى عشرة مرة، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾ (٢٣٥) [البقرة: ٢٣٥]. وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ

(١) برقم ٢٧٣٦ وصحيح مسلم برقم ٢٦٧٧.

وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير: حليم ذو أناة لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم<sup>(٢)</sup>، وقال الخطابي: هو ذو الصفح، والأناة الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص. ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم، إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة والمتأني الذي لا يعاجل بالعقوبة، قال الشاعر:

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا      حَتَّى يَذَلُّوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامٍ  
وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مَسْفَرَةً      لَا صَفْحَ ذُلٌّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامٍ<sup>(٣)</sup>

قال ابن كثير: «حَلِيمٌ غَفُورٌ» أن يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر ويُنظر ويؤجل ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر<sup>(٤)</sup>.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

أولاً: إثبات صفة الحلم لله عز وجل وهي الصفح عن العصاة من العباد وتأجيل عقوبتهم لعلهم يتوبوا ويرجعوا.

ثانياً: سؤال المؤمن ربه بهذه الصفة العظيمة الحلم فيقول: يا حليم اعف عني، واصفح واستر.

(١) صحيح البخاري برقم ٦٣٤٥ وصحيح مسلم برقم ٢٧٣٠ واللفظ له.

(٢) جامع البيان (١٣٥٨/٢).

(٣) شأن الدعاء ص ٦٣-٦٤.

(٤) تفسير ابن كثير (٣٣٨/١١).

ثالثاً: حلم الله سبحانه على عباده وتركه المعاجلة لهم بالعقوبة<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

مَا أَحْلَمَ اللَّهُ عَنِّي حَيْثُ أَمَهَلَنِي وَقَدْ تَمَادَيْتُ فِي ذَنْبِي وَيَسْتُرْنِي  
«وإن سألت عن حلمه، فهو الحليم الذي قد كمل في حلمه، فله  
الحلم الكامل الذي وسع السماوات والأرض. وسع حلمه أهل الكفر  
والفسوق والعصيان، حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة، بل يعافهم  
ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم، إنه هو التواب الرحيم. وهو يتحبب  
إليهم بالنعم مع كمال غناه، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها  
منهم، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم. قال جل جلاله:  
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَِا مِنْ دَابَّةٍ  
وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ  
بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥]»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان<sup>(٣)</sup>  
ولولا حلمه ومغفرته، لزلت السماوات والأرض من معاصي  
العباد. فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا  
وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

(١) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (١/٢٧٦).

(٢) الأسماء الحسنى والصفات العلى للشيخ عبد الهادي وهبي (ص ٢٢٢).

(٣) الكافية الشافية (ص ٢٠٩).

فتأمل ختم هذه الآية باسمين من أسمائه وهما (الحليم والغفور) كيف تجد تحت ذلك أنه لولا حلمه عن الجناة ومغفرته للعصاة، لما استقرت السماوات والأرض؟<sup>(١)</sup>.

وفي الآية إشعار بأن السماوات والأرض تهم وتستاذن بالزوال لعظم ما يأتي به العباد، فيمسكهما بحلمه ومغفرته<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: حلم الله عظيم يتجلى في صبره سبحانه على خلقه، والصبر داخل تحت الحلم فكل حليم صابر، وقد جاء في السنة وصف الله تعالى بالصبر.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًّا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وهو سبحانه أعظم العظماء، وملك الملوك، وأكرم الأكرمين وإحسانه فوق كل إحسان مع هذا الشتم له والتكذيب يرزق الشاتم المكذب ويُعَافِيهِ ويدفع عنه، ويدعوه إلى جنته ويقبل توبته إذا تاب إليه ويبدله بسيئاته حسنات، ويتلطف به في جميع أحواله، ويؤهله لإرسال رسله إليه ويأمرهم بأن يُلَيِّنُوا لَهُ الْقَوْلَ وَيَرْفُقُوا بِهِ، فَأَيُّ حِلْمٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؟!<sup>(٤)</sup>.

(١) الأسماء الحسنى والصفات العلى للشيخ عبد الهادي وهبي (ص ٢٢٢-٢٢٣).

(٢) عدة الصابرين (ص ٢٣٧).

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٠٩٩، وصحيح مسلم برقم ٢٨٠٤.

(٤) شفاء العليل (٢/٦٥٤).

وقد أخبر سبحانه عن تأخيره لعقاب من أذنب من عباده في الدنيا، وأنه لو كان يؤاخذهم بذنوبهم لما بقي على ظهر الأرض أحد، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم، وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك على ظهر الأرض من دابة، أي لأهلك جميع دواب الأرض تبعاً لإهلاك بني آدم، ولكن الرب يحلم، ويستتر وينظر، إلى أجل مسمى، ولا يعاجلهم بالعقوبة، إذ لو فعل ذلك بهم لما أبقى أحداً<sup>(١)</sup>.

وقد تحصل هذه العقوبة في الدنيا كما يحدث في بعض الدول الكافرة أو التي تماثلها في الفساد والانحلال من الفيضانات والأعاصير المدمرة والزلازل المهلكة، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ ﴾ [الرعد: ٣١].

خامساً: يجوز إطلاق صفة الحلم على الخلق، فقد وصف الله أنبياءه بذلك، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٥]. وقال تعالى حكاية عن قوم شعيب: ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٠).

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كَانِي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ، فَهُوَ يَمَسُحُ الدَّمَ عَن وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>(١)</sup>.

والحلم من الصفات العظيمة التي يريد الله من عباده أن يتحلوا بها. روى مسلم في صحيحه من حديث الأشج بن عبد القيس رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ»<sup>(٢)</sup>.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أكثر الناس حلماً. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ<sup>(٣)</sup>.

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والصفات التي يشترك فيها الخالق والمخلوق تكون في الخالق سبحانه على قدر عظمته وجلاله وفي المخلوق بحسبه والله سبحانه وتعالى يحب من اتصف بهذه الصفات فهو حليم يحب العلماء، وكريم يحب الكرماء، وصبور يحب الصابرين.

(١) برقم ٦٩٢٩؛ وصحيح مسلم برقم ١٧٩٢.

(٢) برقم ١٨.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣١٤٩؛ وصحيح مسلم برقم ١٠٥٧.

قال القرطبي: فمن الواجب على من عرف أن ربه حلیم على من عصاه، أن يحلم هو على من خالف أمره، فذاك به أولى حتى يكون حلیماً فينال من هذا الوصف بمقدار ما يكسر سورة غضبه ويرفع الانتقام عن من أساء إليه، بل يتعود الصفح حتى يعود الحلم له سجية، وكما تحب أن يحلم عنك مالكك، فاحلم أنت عمّن تملك لأنك متعبد بالحلم مثاب عليه<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(٤٠)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(٤٣)</sup>.

روى الخطيب في تاريخ بغداد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّرَ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٩٦ - ٩٧.

(٢) (١٢٧/٩) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٣٤٢.



الكلمة الخامسة

تأملات في قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ (١٧٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلِ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧٥) [آل عمران: ١٧٢-١٧٥].

قال أهل السير: بعدما انتهت معركة أحد وحصل ما حصل من الابتلاء والتمحيص وقتل سبعون من أصحاب النبي ﷺ وكسرت رباعيته، وشج رأسه، وسال الدم على وجهه، رجع المشركون من أحد، قال أبو سفيان: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتهم، بس ما صنعتهم ارجعوا، فسمع رسول الله ﷺ بذلك، فندب المسلمين فاندبوا حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة

ليريهم أن بهم قوة وجلداً على ما بهم من جراح وآلام طاعة لله ورسوله، فأنزل الله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] (١).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [١٧٢] قالت لعروة: يا ابن أخي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا، قال: من يذهب في أثرهم، فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير (٢).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [١٧٢] وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما سمعوا أن أبا سفيان قد جمع الجموع لقتالهم زادهم إيماناً وتصديقاً، وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، أي أن الله كافينا نعم المولى ونعم النصير.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

(١) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) برقم ٤٠٧٧ وصحيح مسلم برقم ٢٤١٨ مختصراً.

فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٧٤﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم، ورد عنهم بأس من أراد كيدهم، فرجعوا إلى بلدهم لم يمسسهم سوء ما أضمر لهم عدوهم.

قال المفسرون: أعطاهم الله من الجزاء أربعة معان: النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع رضوان الله، فرضي عنهم ورضوا عنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾: أي يخوف أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة، فلا تخافوهم إن كنتم مؤمنين، أي إذا سول لكم وأوهمكم، فتوكلوا عليّ والجرؤوا إليّ فإني كافيكم وناصركم عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ ﴿٣٦﴾ [الزمر: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿٧٦﴾ [النساء: ٧٦].

ومن فوائد الآيات الكريمات:

١- أن المؤمن إذا كان في كرب وشدة فتوكل على الله وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فإن الله يكفيه ما أهمه ويصرف عنه كيد عدوه، وهذا ما حدث لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه عندما أُلقي في النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فكانت عاقبة ذلك ما ذكره الله بقوله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا

وَسَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩]. قال أبو العالية: لو لم يقل سلاماً لكان بردها أشد عليه من حرها<sup>(١)</sup>، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لو لم يتبع بردها سلاماً لَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهَا<sup>(٢)</sup>.

وهذا يشبه ما حدث لإخواننا في غزة عندما حاصروهم اليهود برّاً وبحراً وجوّاً، وساعدتهم النصارى والمنافقون وضيقوا عليهم الخناق، فقالوا: لن نركع ولا نستسلم إلا لله، حسبنا الله ونعم الوكيل، فكانت العاقبة للمؤمنين، ورد الله كيد اليهود في نحورهم ورجعوا خائبين لم يحققوا شيئاً مما أرادوا.

٢- أن الله تعالى قذف في قلوب المشركين الرعب، حين سمعوا أن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه خرجوا لملاحقتهم، فانهزموا وعادوا خائبين.

والرعب من أقوى أسباب النصر، قال صلى الله عليه وآله: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»<sup>(٣)</sup>. وقد اختلف أهل العلم هل هو خاص بالرسول صلى الله عليه وآله أو يشمل ما يحصل لأعداء أتباعه إلى يوم القيامة، قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: وإذا كان الرعب يُلقى في قلوب الذين كفروا لإشراكهم، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١]. فإن الأمن يُلقى في قلوب الذين آمنوا لتوحيدهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ

(١) تفسير ابن جرير (٧/٥٧١٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخاري برقم ٣٣٥ وصحيح مسلم برقم ٥٢١.

أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

وكلما كان الإنسان أشد إيماناً وتوحيداً كان أشد أمناً واستقراراً، وهذا شيء مجرب لأن من كان أشد إيماناً وتوحيداً كان أقوى توكلاً. ومن أقوى أسباب الأمن ومصابرة الأعداء التوكل على الله، وبعض الناس يكون عنده قوة توكل على الله ويشفى بدون علاج بسبب قوة توكله، وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ حينما ذكر أن الدواء المحرم ليس ضرورياً حتى يُقال: إن الدواء بالمحرم جائز للضرورة، قال: هذا ليس للضرورة لأن المريض قد يُشفى بدواء آخر، وقد يشفى بالقراءة، قال: وقد يشفى بقوة التوكل على الله<sup>(١)</sup>. اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير القرآن العظيم للشيخ ابن عثيمين بتصرف (٢/٣٠٠-٣٠١).



الكلمة السادسة

صيام يوم عاشوراء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من فضل الله ورحمته بعباده أن يسر لهم مواسم خير يستكثرون فيها من الأعمال الصالحة، وخصها بمزيد من الفضل، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وعرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ»، فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ <sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها قالت: أُرْسِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ: مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِراً فَلَيْتَمَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِماً فَلْيَصُمْ، قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصُومُ صِبْيَانِنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَلِكَ حَتَّى

(١) برقم ٢٠٠٤ وصحيح مسلم برقم ١١٣٠ واللفظ لمسلم.

يَكُونُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صامه والمسلمون قبل أن يفرض رمضان، فلما افترض رمضان قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ عَاشُورَاءَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ» (٢).

فهذه الأحاديث الشريفة تدل على أن يوم عاشوراء كان معظماً عند أهل الجاهلية، وكذلك اليهود والنصارى كما جاء ذلك في الأحاديث الأخرى، وقد دل حديث ابن عمر السابق أن صيامه كان واجباً أول الإسلام، فلما فرض رمضان صار صومه مستحباً، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على صيامه تنفيذاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يصومون أبناءهم الصغار تعويداً لهم على أداء العبادات منذ الصغر. كما قال الشاعر:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِثْيَانِ فِينَا عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبْوَهُ

وقوله صلى الله عليه وسلم لليهود: «نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ»؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم والذين معه أولى الناس بالأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]. فرسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بموسى من اليهود، لأن اليهود كفروا به وكفروا ببعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (٣).

(١) برقم ١٩٦٠ وصحيح مسلم برقم ١١٣٦.

(٢) برقم ١٨٩٣ وصحيح مسلم برقم ١١٢٦.

(٣) رياض الصالحين بشرح الشيخ ابن عثيمين (٣٠٥/٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضيما قال: صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ»، قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١).

وقد استدل بهذا الحديث من ذهب إلى أن النبي ﷺ نقل صوم عاشوراء من العاشر إلى التاسع، وأن فضائل صيام عاشوراء صارت لتاسوعاء، كما استدل به جماهير العلماء على استحباب صوم التاسع مع العاشر لتحصل المخالفة لليهود والنصارى بذلك.

ومما ورد في فضل صيامه، ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: «يُكْفَرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضيما أنه سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: مَا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَامَ يَوْمًا يَطْلُبُ فَضْلَهُ عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ، وَلَا شَهْرًا إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ يَعْنِي رَمَضَانَ (٣).

وينبغي التنبه لأمرين:

الأول: أنه يُسن الإكثار من صيام شهر الله المحرم؛ لأن النبي ﷺ

(١) برقم ١١٣٤.

(٢) برقم ١١٦٢.

(٣) برقم ١١٣٢.

قال: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أن فضل عاشوراء يكون بصيامه للنصوص الواردة في ذلك، وأما ما ذكره بعضهم من فضل التوسعة على الأهل في يوم عاشوراء، واحتجوا على ذلك بحديث «مَنْ وَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَائِرَ السَّنَةِ». فهذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ.

سُئِلَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْهُ فَلَمْ يَرَهُ شَيْئاً، وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَرَوَوْا فِي حَدِيثٍ مَوْضُوعٍ مَكْذُوبٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَائِرَ السَّنَةِ». وَرَوَايَةٌ هَذَا كَلَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَذَبٌ.

ولم يسن رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون في يوم عاشوراء شيئاً من شعائر السرور والفرح أو الحزن والترح، فأهل البدع يوسعون النفقات على العيال ويطبخون الأطعمة الخارجة عن العادة ويتخذونه عيداً، والرافضة يتخذونه مأتماً يقيمون فيه الأحزان والأتراح، وكلا الطائفتين جانبت الصواب، وكذلك لا يُستحب تخصيصه بأي عبادة غير الصيام<sup>(٢)</sup>. اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١١٦٣.

(٢) الفتاوى (٢٥/٣٠٠-٣٠١) بتصرف.

الكلمة السابعة

مكائد الشيطان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

«فإن الله سبحانه وتعالى ابتلى الإنسان بعدو لا يفارقه طرفة عين، وصاحب لا ينام ولا يغفل عنه، يراه هو وقبيله من حيث لا يراه، يبذل جهده في معاداته في كل حال، ولا يدع أمراً يكيده به يقدر على إيصاله إليه إلا أوصله إليه، ذلكم الشيطان الذي أخبرنا الله بعداوته لنا، وأكثر في كتابه من ذكر خدعه ومكائده وخطواته التي يستدرج بها الناس للخروج عن الصراط المستقيم وكرر قصته مع أبينا آدم عليه السلام لتكون نصب أعيننا دائماً»<sup>(١)</sup>. قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ [فاطر: ٦]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَأْتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ [الأعراف: ١٧]. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال البغوي رحمته الله: «أي: لا تسلكوا الطُّرُقَ التي يدعوكم إليها

(١) الداء والدواء لابن القيم (١٤٨-١٤٩) بتصرف.

الشيطان، فإنه يُوردُكم مواردَ العطبِ»<sup>(١)</sup>.

ومن شره أنه يوسوس للعبد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ  
 ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④  
 الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤﴾ [الناس: ١ - ٥]. فذكر وسوسته  
 أولاً ثم ذكر محلها ثانياً وأنها في صدور الناس.

والوسوسة أظهر صفات الشيطان، وأشدّها شراً، وأقواها تأثيراً،  
 وهي أصل كل معصية وبلاء، روى أبو داود في سننه من حديث ابن  
 عباس رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَنَا  
 يَجِدُ فِي نَفْسِهِ يُعَرِّضُ بِالشَّيْءِ لِأَنَّهُ يَكُونُ حُمَمَةً<sup>(٢)</sup> أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ  
 يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ  
 كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَاسَةِ»<sup>(٣)</sup>.

ولهذا يعرض للناس في صلاتهم ليفسد عليهم عبادتهم، روى  
 البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا  
 يَسْمَعَ التَّأْدِينَ فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا نُوبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى  
 إِذَا قَضَى التَّوْبَةَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا  
 اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَذْكُرُ كَمْ صَلَّى؟ »<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح السنة للبعوي رحمته الله (٤٠٤/١٤).

(٢) حُمَمَةٌ: أي فحماً.

(٣) برقم ٥١١٢ وصححه الألباني في سنن أبي داود (٩٦٢/٣) برقم ٤٢٦٤.

(٤) برقم ٦٠٨ وصحيح مسلم برقم ٣٨٩.

ومن شره الإفساد بين المؤمنين بكل طريقة وحيلة، فقد نزع بين يوسف عليه السلام وإخوته، قال تعالى ذاكراً اعتراف نبي الله يوسف بما من الله عليه: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»<sup>(١)</sup>. قال النووي: وهذا الحديث من معجزات النبوة، ومعناه آيس أن يعبده أهل جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتنة ونحوها<sup>(٢)</sup>.

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكَتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُذْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ»<sup>(٣)</sup>.

والتحصن من الشيطان له طرق منها:

أولاً: الإخلاص: لما علم إبليس أنه لا سبيل على أهل الإخلاص استثناهم من شرطته التي اشترطها للغواية والإهلاك، فقال تعالى: ﴿قَالَ

(١) برقم ٢٨١٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥٦/٦٠).

(٣) برقم ٢٨١٣.

فِعْرَانِكَ لِأَعْوِيَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص: ٨٢-٨٣]. وقال تعالى في حق الصديق يوسف: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤]. فالإخلاص هو سبيل الخلاص من الشيطان، وأهل الإخلاص أعمالهم كلها لله وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله وبغضهم لله.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فالله تعالى يتلي عبده المؤمن ليطهره من الذنوب والمعائب، ومن رحمته بعبده المخلص أن يصرف عنه ما يغار عليه منه، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾»<sup>(١)</sup>. «فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا»<sup>(٢)</sup>، «فلما أخلص يوسف ﷺ لربه، صرف عنه دواعي السوء والفحشاء، فالإخلاص هو سبيل الخلاص»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: قراءة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، روى أبو داود في سننه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَهُمَا يُصَلِّيَانِ اللَّيْلَ.. وَجَاءَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: أَنَّ عُمَرَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ سَبَبِ رَفْعِ صَوْتِهِ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ: أَوْقِظُ الْوَسْطَانَ، وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ»<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: قراءة سورة البقرة: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ

(١) الاستقانة لابن تيمية ج ٢ ص ٥٩.

(٢) إغاثة اللفهان ج ٢ ص ١٤١.

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٧٥).

(٤) برقم ١٣٢٩ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٤٦-٢٤٧) برقم ١١٨٠.

يُنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: قراءة آية الكرسي عند النوم: روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قصة قبضه على الشيطان.. وفي آخر الحديث علمه أن يقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، فلما أخبر أبو هريرة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ»<sup>(٢)</sup>.

خامساً: قراءة المعوذتين: روى أبو داود في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بقراءة المعوذتين وقال له: «يَا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا، فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا»<sup>(٣)</sup>.

ومن المواضع التي ثبت في السنة أنها تُقرأ فيها: حين يصبح المؤمن، وحين يُمسي، وعند النوم، وأدبار الصلوات، والرقية بهما على المسحورين، والمرضى وغير ذلك.

سادساً: التهليل مائة مرة: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ

(١) برقم ٧٨٠.

(٢) برقم ٢٣١١.

(٣) برقم ١٤٦٣ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود (١/٢٧٥) برقم ١٢٩٩.

مِائَةٌ سَيِّئَةٌ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمِيسِيَ»<sup>(١)</sup>.

سابعاً: التسمية عند الخروج من البيت، وعند الجماع، وعند الدخول إلى الخلاء، وعند الطعام: روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَذْرَكْتُمُ الْعِشَاءَ»<sup>(٢)(٣)</sup>.

ثامناً: وهو من أهمها معرفة تفاصيل عداوته وطرق خداعه التي جاء بيانها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاستعانة في ذلك بكتب أهل العلم الشارحة لهذه الأمور، ومنها: كتاب ابن القيم إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، وكتاب ابن الجوزي المسمى تلبس ابليس.. وغيرها.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٣٢٩٣ وصحيح مسلم برقم ٢٦٩١.

(٢) برقم ٢٠١٨.

(٣) انظر كتاب أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي الحصن الحصين من الشيطان الرجيم.

الكلمة الثامنة

تأملات في قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آيتين من كتاب الله ونتدبر ما فيهما من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا فَضَّجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦-٥٧]. يخبر تعالى عما يعاقب به في نار جهنم من كفر بآياته وصد عن سبيله فيقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا ﴾؛ أي ندخلهم فيها دخولاً يحيط بجميع أجزائهم كما قال تعالى: ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَلْعَابِدِ فَانْقُورِ ﴾ [الزمر: ١٦].

قوله تعالى: ﴿ كَمَا فَضَّجَتْ جُلُودُهُمْ ﴾: أي احترقت احتراقاً تاماً

بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب. أي ليدوم لهم، قال بعضهم: الحكمة من ذلك أن الجلد موضع الإحساس بالألم فإذا احترق لم يعد هناك ألم فيبدل لهم جلوداً غيرها، قال بعض المفسرين: إنهم يبدلون في اليوم أو الساعة مرات عديدة حتى يذوقوا العذاب<sup>(١)</sup>، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ضُرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغَلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ»<sup>(٢)</sup>. وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَيْنَ مَنْكَبِي الْكَافِرِ فِي النَّارِ، مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ»<sup>(٣)</sup>، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ضُرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَعَرَضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَفَخْدُهُ مِثْلُ وَرْقَانَ»<sup>(٤)</sup>، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مِثْلُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبْدَةِ»<sup>(٥)</sup>.

قال النووي: «هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه، وكل هذا مقدورٌ لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به»<sup>(٦)</sup>.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: أي لا يمتنع عليه ما

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٢١-١٢٢).

(٢) برقم ٢٨٥١.

(٣) برقم ٢٨٥٢.

(٤) ورقان جبل عظيم من جبال تهامة بين مكة والمدينة، والربذة قرية من قرى المدينة بها مات الصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه.

(٥) (١٤/٨٧) برقم ٨٣٤٥ وقال محققوه إسناده حسن.

(٦) شرح صحيح مسلم (٦/١٨٦).

يريد، حكيماً فيما يقضيه، ثم لما ذكر تعالى حال الأشقياء ذكر حال السعداء، فقال:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾: أي الذين آمنوا بمحمد ﷺ، والقرآن، وجملة الكتب المرسلة، وبالقدر خيره وشره، وأطاعوا ربهم سندخلهم جنات، وهي البساتين الجامعة للأشجار تجري من تحتها الأنهار، أنهار الخمر واللبن والماء والعسل، ﴿ خَالِدِينَ ﴾: أي مقيمين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ [البروج: ١١].

وقوله: ﴿ لَهُمْ فِيهَا أزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾: قال جمع من المفسرين: المطهَّرة من طهرت من الحيض، والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق، وكل قدر وأذى مما يكون في نساء الدنيا<sup>(١)</sup>. وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا - يَعْنِي الْخِمَارَ - عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً، مِنْ

(١) تفسير ابن كثير (١/٦٣).

(٢) برقم ٢٧٩٦.

لُولُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولَهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ<sup>(١)</sup>،  
يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا<sup>(٢)</sup>.

وروى الدارمي في سننه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ وَالشَّهْوَةِ»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَنُدَّخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: وصف سبحانه في هذه الآية الكريمة ظل الجنة بأنه ظليل، ووصفه في آية أخرى بأنه دائم، قال تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾<sup>(٣٥)</sup> [الرعد: ٣٥]. ووصفه في آية أخرى بأنه ممدود. قال تعالى: ﴿وَزَلَّ مَمْدُودًا﴾<sup>(٣٠)</sup> [الواقعة: ٣٠]. وبيّن في مواضع أخرى أنها ظلال متعددة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾<sup>(٤١)</sup> [المرسلات: ٤١]. وبيّن في موضع آخر أنهم في تلك الظلال متكئون مع أزواجهم على الأرائك. قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِفُونَ﴾<sup>(٥٦)</sup> [يس: ٥٦]. والأرائك جمع أريكة وهي السرير في الحجلة، والحجلة بيت يزين للعروس بجميع أنواع الزينة.

وبيّن تعالى أن ظل أهل النار ليس كذلك. قال تعالى: ﴿أَنْظِلُّوْا

(١) أي زوجات.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٢٤٣؛ وصحيح مسلم برقم ٢٨٣٨ واللفظ له.

(٣) (٤٣١ / ٢) برقم ٢٨٢٥ وقال الألباني رحمته الله في المشكاة (٣ / ١٥٦٧): إسناده صحيح.

إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٣٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُعْنَى  
 مِنْ أَلْهَبٍ ﴿٣١﴾ ﴿المرسلات: ٢٩-٣١﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا  
 أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلِّ مِّنْ يَّحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾  
 [الواقعة: ٤١-٤٤].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي  
 هريرة رضي عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ  
 الرَّابِطُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ: ﴿وَضِلٌّ مَّمْدُودٍ  
 ﴿٣٠﴾﴾» (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٤٨٨١؛ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٧.





## الابتلاء بالمرض

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من حكمة الله تعالى أن يبتلي عبده المؤمن بأنواع البلاء، ومن هذا الابتلاء الذي يُبتلى به الممرض، قال تعالى:

﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا غُغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ ضَغْنًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤١-٤٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذه تذكرة لمن ابتلي في جسده، أو ماله، أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب، حتى فرج الله عنه»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقد يبتلى المؤمن بالمرض لتقصيره ببعض ما أمر الله به فيكون الممرض تكفيراً لسيئاته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

(١) البداية والنهاية (١/٥١٣).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث زهير قال: أخبرت أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] فكل سوء عملنا جزينا به؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَمْرُضُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟» (١) قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَهُوَ مَا تُجْزُونَ بِهِ» (٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذَى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» (٣).

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٤).

قال بعض السلف: لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس،

(١) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

(٢) (١/ ٢٣٠) برقم ٦٨ وقال محققوه حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) برقم ٥٦٤٢ وصحيح مسلم برقم ٢٥٧٣.

(٤) برقم ٢٣٩٦ وقال الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي (٢/ ٢٨٥) برقم ١٩٥٣ حديث

حسن صحيح.

وكان السلف يفرح أحدهم بالبلاء، كما يفرح أحدنا بالرخاء.

ومنها أن يكون المرض سبباً لرفع منزلة المريض في الآخرة، روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ يَتَّبِعُهُ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث جابر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُودُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ»<sup>(٢)</sup>.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين، والمغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ابتلي بالمرض رفعةً لدرجاته، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَجَلٌ، إِنِّي أُوَعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَجَلٌ»<sup>(٣)</sup>.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه أُغْمِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ،

(١) صحيح ابن حبان برقم ٢٨٩٧ والحاكم (١/٦٦٤) برقم ١٣١٤ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٥٩٩.

(٢) برقم ٢٤٠٢ وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/٢٨٧) برقم ١٩٦٠.

(٣) برقم ٥٦٦٧ وصحيح مسلم برقم ٢٥٧١ واللفظ له.

قالت عائشة رضي الله عنها كما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»<sup>(١)</sup>.

وقد يُجمَعُ للمريض الأمان، فيكون المرض تكفيراً لسيئاته، ورفعاً لدرجاته، وينبغي للمريض أن يتنبه لأمرين إذا تأملهما هانت عليه مصيبته وخفَّ همه وغمه:

١- أن هذه المصيبة لم تكن في دينه؛ لأن المصيبة في الدين يجني صاحبها الآثام والعقوبات.

٢- أن مصيبته أخفُّ وأهون من مصيبة غيره، فلو سأل أو نظر إلى من حوله من المرضى لرأى من هو أشد منه ألماً.

قال شريح: ما أصابني مصيبة إلا حمدت الله تعالى عليها لأربع:

١- أن الله رزقني الصبر عليها.

٢- أن الله رزقني الاسترجاع عندها.

٣- أن الله لم يجعلها أكبر منها.

٤- أن الله لم يجعلها في ديني.

روى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قالت: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلَ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) برقم ٥٦٤٦ وصحيح مسلم برقم ٢٥٧٠.

ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (١).

ومن الوصايا التي يُوصى بها المريض:

أولاً: إحسان الظن بالله تعالى: وأن من أحسن ظنه بالله رزقه الله الراحة النفسية، وطمأنينة القلب، روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ شَرًّا فَلَهُ» (٢).

ثانياً: الإكثار من ذكر الله ودعائه والإلحاح عليه في الدعاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

قال ابن حجر: إن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العقاقير الطبية، وأن تأثير ذلك وانفصال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجح بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد، والآخر من جهة المداوي وهو قوة توجهه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل (٣). اهـ.

(١) برقم ٩١٨.

(٢) صحيح ابن حبان برقم ٦٣٨ وأصله في الصحيحين.

(٣) فتح الباري (١٠/١١٥).

ثالثاً: أن على المريض ألا يتعلق بالأسباب كالمستشفيات والأطباء، والواجب أن يكون تعلق القلب بالذي أنزل الداء ولا يرفعه إلا هو، فإنه سبحانه هو الشافي لا شفاء إلا شفاؤه، ولا يرفع المرض إلا هو، سواء كان مرضاً بدنياً أو نفسياً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠]. وقال تعالى عن نبي الله أيوب عليه السلام: ﴿وَإِيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

رابعاً: الصبر والاحتساب، وعدم الجزع والسخط، فإنه على قدر إيمان المؤمن يكون ابتلاؤه، روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُتَلَّى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» (١).

خامساً: على المريض أن يرقى نفسه بالرقية الشرعية، كالفاتحة والمعوذتين وآية الكرسي، ومن الأدعية المأثورة قوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ

(١) برقم ٢٣٩٨ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

رَبِّ النَّاسِ، أَذْهَبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»<sup>(١)</sup>. ومنها قوله ﷺ للمريض: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَحْدُ وَأُحَادِرُ»<sup>(٢)</sup>.

سادساً: على المريض ألا ييأس من الشفاء، فالله على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٨٧)</sup> [يوسف: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٨٢)</sup> [يس: ٨٢]. وأيوب ﷺ مكث في البلاء ثماني عشرة سنة ثم كشف الله عنه وشفاه<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٥٧٤٣ وصحيح مسلم برقم ٢١٩١.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٢٠٢.

(٣) انظر كتاب لا بأس طهور إن شاء الله للشيخ عبد العزيز السدحان.



الكلمة العاشرة

الشفاعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فمن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالشفاعة. وتنقسم إلى قسمين:

- ١- شفاعة باطلة.
- ٢- شفاعة صحيحة.

الشفاعة الباطلة: هي ما يتعلق به المشركون في أصنامهم، حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [١٨] [يونس: ١٨]. وقال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [٣] [الزمر: ٣]. لكن هذه الشفاعة باطلة لا تنفع كما قال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [٤٨] [القيامة: ٤٨].

الشفاعة الصحيحة: وهي التي جمعت شروطاً ثلاثة:

الأول: رضا الله عن الشافع، الثاني: رضاه عن المشفوع له، لكن الشفاعة العظمى في الموقف، عامة لجميع الناس من رضي عنهم ومن لم يرض عنهم، الثالث: إذنه في الشفاعة، والإذن لا

يكون إلا بعد الرضا عن الشافع والمشفوع له. قال تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَبِرِضَىٰ ﴾ [النجم: ٢٦]. ولم يقل عن الشافع ولا المشفوع له ليكون أشمل. قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضَىٰ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩]. وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. والآية الأولى تضمنت الشروط الثلاثة، والثانية تضمنت شرطين، والثالثة تضمنت شرطاً واحداً.

### وللنبي ﷺ شفاعات كثيرة:

**الشفاعة الأولى:** شفاعته ﷺ لأهل الموقف حتى يُقضى بينهم بعد أن يعتذر عنها الأنبياء (آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم، عليهم الصلاة والسلام) حتى تنتهي إليه، وهذه الشفاعة العظمى لا تكون لأحد أبداً إلا للرسول ﷺ وهي أعظم الشفاعات لأن فيها إراحة الناس من هذا الموقف العظيم والكرب والغم.

**الشفاعة الثانية:** شفاعته ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها وذلك أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط ووقفوا على قنطرة، فيقتص لبعضهم من بعض، ولكنهم إذا أتوا الجنة لا يجدونها مفتوحة حتى يشفع النبي ﷺ لهم أن يدخلوها. روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُم مِّنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةٌ أَبِيكُمْ آدَمَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ». وفي آخر الحديث:

«فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُومُ فَيُؤَذِّنُ لَهُ» (١).

الشفاعة الثالثة: وهي خاصة به ﷺ وهي لعمه أبي طالب فيشفع له في تخفيف العذاب. فقد ورد في الصحيحين من حديث العباس بن عبد المطلب رضي عنه أنه قال للنبي ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَعْضُبُ لَكَ؟ قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (٢).

الشفاعة الرابعة: شفاعته ﷺ فيمن استحق النار أن لا يدخلها وهي له ولسائر النبيين، والصديقين والمؤمنين، قال بعض أهل العلم: وهذه تُستفاد من دعاء الرسول ﷺ للمؤمنين بالمغفرة والرحمة على جنائزهم، فإن من لازم ذلك أن لا يدخل النار كما قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ» (٤).

الشفاعة الخامسة: شفاعته ﷺ لأناس قد دخلوا النار أن يخرجوا منها وهي له ولسائر النبيين، والصديقين وغيرهم، والأحاديث في هذا كثيرة ومتواترة. روى الترمذي في سننه من حديث عوف بن مالك رضي عنه قال: قال ﷺ: «أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي،

(١) برقم ١٩٥.

(٢) الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣٨٨٣ وصحيح مسلم برقم ٢٠٩.

(٤) صحيح مسلم برقم ٩٢٠.

فَحَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخَلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، وَهِيَ لِمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»<sup>(١)(٢)</sup>.

وقد ذكر ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ في شرح العقيدة الطحاوية أنواعاً أخرى، فمن ذلك:

الشفاعة السادسة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

الشفاعة السابعة: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

الشفاعة الثامنة: الشفاعة في أقوام ليدخلوا الجنة بغير حساب، ولا عذاب وهم السبعون ألفاً.

ويُخرج الله أقواماً بغير شفاعة بل بفضلِهِ ورحمته، حتى لا يبقى في النار إلا أهلها الذين هم أصحاب النار. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ

(١) برقم ٢٤٤١ وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٩٥) برقم ١٩٨٦.

(٢) شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ (٢/١٦٨-١٧٩).

كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصْفِرُّ وَأُخْيَضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضُ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ؟ قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَوْلَاءِ عَتَقَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمَلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم ٤٥٨١ وصحيح مسلم برقم ١٨٣ واللفظ له.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي (١/٢٨٣-٢٩٤).



الكلمة الحادية عشرة

تأملات في قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ (١٩)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ فيقول هاؤم أقرءوا كِتَابَهُ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسَابِيَّةٌ (٢٠) فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْبِثُنِي لَمْ أُوتَ كِتَابَهُ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ (٢٦) يَلْبِثَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ (٢٩) خَذُوهُ فَعُوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ [الحاقة: ١٩-٣٧].

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ فيقول هاؤم أقرءوا كِتَابَهُ (١٩) يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه بيمينه وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه ﴿ أقرءوا كِتَابَهُ ﴾؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة راجحة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن النجوى، فقال:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [١٨] ﴿١﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ﴾ ﴿٢٠﴾ أي قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ [البقرة: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ﴿٢١﴾ أي مرضية، قد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ﴿٢٢﴾ أي رقيقة قصورها، حسان حورها، ناعمة دورها، دائم حبورها، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ»، أَرَاهُ قَالَ: «وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» ﴿٢﴾.

(١) برقم ٢٤٤١ وصحيح مسلم برقم ٢٧٦٨.

(٢) برقم ٢٧٩٠.

قوله تعالى: ﴿قُطُوفَهَا دَائِيَةٌ﴾ (٢٣) قال البراء بن عازب رضي عنه: أي قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (٢٤) أي يُقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً وإحساناً، وإلا فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» (١).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ﴾ (٢٥) هذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أُعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله، فحينئذ يندم غاية الندم، فيقول: يا ليتني لم أُوتِ كتابيه لأنه يُبشر بالنار.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي﴾ (٢٦) أي يا ليتني كنت نسياً منسياً كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٤٠) [النبأ: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ (٢٧) قال الضحاك: يعني مودة لا حياة بعدها، وقال قتادة: تمنى الموت ولم يكن في الدنيا شيء أكره إليه منه.

قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ (٢٨) أي لم يدفع عني مالي

(١) صحيح البخاري برقم ٦٤٦٧ وصحيح مسلم برقم ٢٨١٨.

عذاب الله وبأسه، بل خالص الأمر إليّ وحدي فلا معين لي ولا مجير.  
قال تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٣٩) أي ذهب واضمحَل فلم  
تنفع الجنود الكثيرة ولا العدد ولا الجاه العريض، بل ذهب  
كله أدراج الحياة، وفاتته بسببه المتاجر والأرباح، وحضر بدله  
الهموم والأحزان.

قوله تعالى: ﴿خَذُوهُ فَعُوقُهُ﴾ (٣٠) أي يأمر الله الزبانية أن تأخذه  
عنفاً من المحشر فتغله أي تضع الأغلال في عنقه ثم تورده إلى  
جهنم فتصليه إياها أي تغمره فيها، قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي  
أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾  
[غافر: ٧١-٧٢].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٣٢) قال  
كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد النار، وقال ابن عباس رضي الله عنهما:  
بذراع الملك، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فاسلكوه أي انظموه فيها بأن  
تدخل في دبره وتخرج من فمه ويعلق فيها، فلا يزال يُعذب هذا  
العذاب الفظيع، فبئس العذاب والعقاب.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما  
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى  
مِثْلِ جُمُجْمَةٍ<sup>(١)</sup> - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةٌ  
خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، لَبَلَّغَتِ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ

(١) المراد بالجمجمة: جمجمة الرأس.

رَأْسِ السُّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيْفًا، اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٣٣)</sup> ❖ أي كافرًا معاندًا لرسله رادًا ما جاؤوا به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾<sup>(٣٤)</sup> ❖ ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين، فلا يطعمهم من ماله ولا يحض غيره على إطعامهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾<sup>(٣٥)</sup> ❖ أي قريب أو صديق يشفع له لينجو من عذاب الله أو يفوز بثواب الله كما قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾<sup>(٣٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ﴾<sup>(٣٦)</sup> ❖ الغسلين: صديد أهل النار، وهو غاية في الحرارة، وبتن الرياح، وقبح الطعم ومرارته.

قوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾<sup>(٣٧)</sup> ❖ أي: الذين أخطؤوا الصراط المستقيم وسلكوا سبل الجحيم، فلذلك استحقوا العذاب الأليم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٤٤٤/١١) برقم ٦٨٥٦ وقال محققوه إسناده حسن، وأخرجه الحاكم من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ عن سعيد بن يزيد، وصححه ووافقه الذهبي.



الكلمة الثانية عشرة

الكبر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
فإن من الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله صفة الكبر، قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير»<sup>(١)</sup>، وقال بعضهم: «الكبر: هو استعظام الإنسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل والاستهانة بالناس واستصغارهم والترفع على من يجب التواضع له»<sup>(٢)</sup>.

والتعريفان يصبان في معنى واحد.

«قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾: أي تميله وتعرض به عن الناس تكبراً عليهم، والمرح: التبختر، وقال تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧]».

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٥).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ ص ٣٢.

أن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ» (١) وَغَمَطُ النَّاسِ (٢) «(٣)».

ففي هذا الحديث بيان أن الكبر على نوعين:

الأول: الاستكبار على الله وعلى دينه وعلى رسوله ﷺ، كاستكبار فرعون وأمثاله ممن استنكف أن يكون عبداً لله، قال تعالى: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٢٧) ﴿غافر: ٢٧﴾. فإن نبي الله موسى دعاه إلى الهدى فاستكبر، وقال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (٢٤) ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْرَةِ وَالْأُولَى﴾ (٢٥) ﴿النازعات: ٢٤-٢٥﴾. وجعله لمن بعده عبرة وآية، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُجِيقُ بِيَدِنَا لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقْنَا آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (٩٢) ﴿يونس: ٩٢﴾. وهذا المصير هو مصير كل جبار ومعاند قبل فرعون وبعده، يشتركون كلهم في ذلك المصير المخزي كما اشتركوا في التكبر على الله وعلى رسوله، قال تعالى: ﴿فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٤) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) ﴿الصفات: ٣٣-٣٥﴾.

والكبرياء من خصائص الجبار سبحانه كما جاء في الحديث

(١) بطر الحق: دفعه وورده على قائله.

(٢) غمط الناس: احتقارهم.

(٣) برقم ٩١.

المخرج في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الكبر من صفات أهل النار، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اِخْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللَّهُ عز وجل: لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤُهَا»<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف قال: التقي عبد الله بن عمر وعبد الله ابن عمرو بن العاص على المروزة، فتحدثنا، ثم مضى عبد الله ابن عمرو وبقي عبد الله بن عمرو يبكي، فقال له رجل: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن، قال هذا: يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ، أَكَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

والمتكبرون شر خلق الله، ويحشرون يوم القيامة وعلى وجوههم الذل والصغار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ

(١) برقم ٢٦٢٠ وسنن أبي داود برقم ٤٠٩٠ واللفظ له.

(٢) برقم ٧٤٤٩ وصحيح مسلم برقم ٢٨٤٦.

(٣) (٥٩٠/١١) برقم ٧٠١٥ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط البخاري.

كذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴿[الزمر: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَتَرْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِّنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِّن طَّرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ﴿٤٥﴾ [الشورى: ٤٥].

وروى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الدُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْحَبَالِ»<sup>(١)</sup>. وجاء في تفسيرها بأنها صديد أهل النار. ومن هذا النوع أن يبلغ الإنسان الحق من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا ينقاد له، بل يعرض عنه أنفةً واستكباراً، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣].

وفي مثل هذا نزل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

وفي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) برقم ٢٤٩٢ وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) برقم ٢٠٢١.

النوع الثاني: التكبر على الخلق وقد مر بيانه بأنه غمط الناس: أي احتقارهم وازدراؤهم، وهذا إنما ينشأ عند أهل النقص والدناءة، فيريدون تعويض ذلك بإظهار ما ليسوا بأهله، وحينئذ ينشأ الكبر عندهم، ولهذا جاء التوجيه النبوي الكريم بالأمر بالتواضع قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»<sup>(١)</sup>.

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «فالكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء، فضلاً عن عوام الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد قال ﷺ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، وإنما صار حجاباً دون الجنة، لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر يغلق تلك الأبواب كلها، لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، وفيه شيء من الكبر، فما من خُلِقَ ذميمة إلا وصاحب الكبر مضطر إليه ليحفظ كبره، وما من خُلِقَ محموداً إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزه، فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه، والأخلاق الذميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض، وشر أنواع الكبر ما يمنع من الاستفادة من العلم، وقبول الحق، والانقياد له»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الكبر يشمل تزكية النفس والإعجاب

(١) برقم ٢٨٦٥.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٣٤٥).

بها عند الآخرين، والتكبر بالنسب، والمال، والجاه، والقوة، والجمال. فصاحب النسب الشريف يتكبر على من ليس كذلك، وإن كان أرفع منه عملاً، والغني يتكبر بما له على الفقير، وصاحب المنصب يتكبر على من ليس كذلك، والمرأة الجميلة تتكبر على المرأة التي ليست كذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدْهِدُهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٣٩٥٥ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٥٤) برقم ٣١٠٠.

الكلمة الثالثة عشرة

الجنة والنار كأنها رأي العين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد خلق الله الجن والإنس ليعبدوه ويوحدوه ويطيعوه، ووعد من أطاعه بالجنة فضلاً منه، وتوعد من عصاه بالنار عدلاً منه.

والجنة والنار مخلوقتان، قال تعالى في الجنة: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقال في النار: ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

فالجنة ثواب أولياء الله المطيعين له ولرسوله، والنار عقاب أعداء الله العاصين له ولرسوله، ولا يظلم ربك أحداً، الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بمثلها أو يعفو الله عنها.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن شدة حر هذه النار فقال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»<sup>(٢)</sup> متفق عليه.

(١) برقم ٢٦٦٢.

(٢) برقم ٣٢٦٥ وصحيح مسلم برقم ٢٨٤٣.

وجهنم عظيمة مخيفة، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا»<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَاتَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]. وجهنم قعرها بعيد، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَذُرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا»<sup>(٢)</sup>.

والعصاة في النار على دركات، روى مسلم في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي عنه أن النبي ﷺ قال عن النار: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَىٰ كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَىٰ حُجْرَتِهِ»<sup>(٣)</sup>، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَىٰ تَرْقُوتِهِ»<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>. والحجزة مقعد الإزار.

روى البزار وأبو يعلى في مسنديهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِئَةٌ (أَلْفٍ) أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِ رَجُلٌ

(١) برقم ٢٨٤٢.

(٢) برقم ٢٨٤٤.

(٣) الحجزة: مقعد الإزار.

(٤) الترقوة: العظم الذي عند ثغرة النحر وللإنسان ترقوتان جانبي النحر.

(٥) برقم ٢٨٤٥.

مِنَ (أَهْلِ) النَّارِ فَتَنْفَسَ فَأَصَابَ نَفْسُهُ، لَأَحْتَرَقَ الْمَسْجِدُ وَمَنْ فِيهِ»<sup>(١)</sup>.  
و«أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ يَلْبَسُ نَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ».

روى مسلم في صحيحه من حديث العباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»<sup>(٢)</sup>. وطعام أهل النار الضريع، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ [الغاشية: ٦]. والضريع شجر ذو شوك عظيم قد بلغ غاية الحرارة والمرارة وقبح الرائحة، وكذلك الزُّقُوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ [٤٣] طَعَامُ الْأَيْمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦]. والزقوم: شجرة خبيثة المنظر، كريهة الرائحة، مرة الطعم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث مجاهد: أن الناس كانوا يطوفون وابن عباس جالس معه محجن، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢]، وَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزُّقُومِ قَطَرَتْ لَأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَيْشَهُمْ، فَكَيْفَ مَنْ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الزُّقُومُ؟!«<sup>(٣)</sup>.

وكذلك طعامهم الغسلين: وهو صديد أهل النار، والقيح، والدم، والعرق.

(١) (البيزار) البحر الزخار برقم ٩٦٢٣، وأبو يعلى برقم ٦٦٧٠ واللفظ له، وصححه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٢٥٠٩.

(٢) برقم ٣٨٨٣ وصحيح مسلم برقم ٢٠٩.

(٣) (٤/٤٦٧) برقم ٢٧٣٥، وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.

قال تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنًا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طُعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ۝٣٦ لَا يَأْكُلُهُمْ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۝٣٧ ﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٧].

وشراب أهل النار الحميم الذي بلغ غاية الحرارة إذا قُرب من وجوههم شواها حتى يتساقط اللحم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم: ﴿ وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩ ﴾ [الكهف: ٢٩].

والماء المهل كالزيت المحروق أسود غليظ منتن، قال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۝١٥ ﴾ [محمد: ١٥]. وكذلك الغساق، قال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ ﴾ [النبأ: ٢٤-٢٥]. والغساق: قال ابن الأثير: الغساق: بالتخفيف والتشديد، ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم، وقيل: ما يسيل من دموعهم، وقيل: هو الزمهرير<sup>(١)</sup>، فهو بارد لا يُستطاع من برده، ولا يُواجه من نتنه<sup>(٢)</sup>، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا، لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا»<sup>(٣)</sup> فجهنم لها ألوان من العذاب، قال تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۝٥٨ ﴾ [ص: ٥٧-٥٨].

وأما الجنة فإن نعيمها يفوق الوصف، ويقصر دونه الخيال ليس لنعيمها نظير فيما يعلمه أهل الدنيا، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما:

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/٣٦٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/٢٣٣).

(٣) (١٧/٢٣١) برقم ١١٢٣٠، وقال محققوه حديث حسن لغيره.

لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ، هِيَ وَاللَّهُ نُورٌ يَتَلَأَلُ  
وَرِيحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُطَرَّدٌ، وَفَاكِهَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ  
حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلُلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا، فِي دُورٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ  
بِهَيْئَةٍ. وَلَمَّا سُئِلَ ﷺ عَنْ صِفَةِ بِنَائِهَا، قَالَ: «لَبِنَةٌ ذَهَبٌ وَلَبِنَةٌ فِضَّةٌ،  
وَمِلَاطُهَا<sup>(١)</sup> الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا  
الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ لَا يَبُؤُسُ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ، وَلَا تَبْلَى  
ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].  
وما أخفاه الله عنا من نعيم الجنة عظيم لا تدركه العقول ولا تصل إلى  
كنهه الأفكار، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي  
هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ  
مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَأَقْرَؤُوا إِن  
شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»<sup>(٣)</sup>.

وأول من يدخل هذه الجنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، روى مسلم في  
صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آتِي  
بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتَحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ:  
مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) الملاط: المادة التي توضع بين اللبتين.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٣/٤١٠) برقم ٨٠٤٣ وقال محققوه حديث صحيح بطرقه  
وشواهد.

(٣) برقم ٣٢٤٤ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٤.

(٤) برقم ١٩٧.

وأول زمرة يدخلون الجنة جاء وصفهم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَنْفِلُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا<sup>(٢)</sup> مُرْدًا بِيضًا جَعَادًا مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ عَلَى خَلْقِ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله: «وفي هذا الطول والسن من الحكمة ما لا يخفى فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذات لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء»<sup>(٤)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سعد بن أبي

(١) برقم ٣٢٤٥ وصحيح مسلم برقم ٢٨٣٤.

(٢) جرداً مرداً: قال السندي: الأول جمع أجرد وهو من لا شعر على جسده، والثاني جمع أمرد وهو من لا شعر على ذقنه، والجعد في صفات الرجال يكون مدحاً وذماً، فالمدح معناه أن يكون شديد الأسر والخلق، أو يكون جعد الشعر وهو ضد السبيط لأن السبوطه أكثرها في شعور العجم، وأما الدم فهو القصير المتردد الخلق. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٢٥٦-٢٥٧).

(٣) (٣١٥/١٣) برقم ٧٩٣٣ وقال محققوه حديث حسن بطرقه وشواهد.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ١٠٤ بتصرف.

وقاص رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّ مَا يُقَالُ<sup>(١)</sup> ظُفِرَ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَأَ، لَتَزَخَّرَتْ<sup>(٢)</sup> لَهُ مَا بَيْنَ حَوَافِقِ<sup>(٣)</sup> السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَأَ أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ، كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ»<sup>(٤)</sup>.

ومكان هذه الجنة كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]. قال ابن عباس رضي عنهما: الجنة، وقيل: عليون في السماء السابعة تحت العرش، وذكر بعض السلف آثاراً تدل على أن الجنة فوق السماء السابعة كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»<sup>(٥)</sup>.

والجنة لا موت فيها، ولا همٌّ، ولا حزن، بل قال بعض أهل العلم: أهل الجنة لا ينامون لأن النوم أخو الموت، ولا يكون إلا من تعب، والجنة لا تعب فيها ولا نصب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الذرى ٢٤] الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ، لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥-٣٤].

(١) يُقَالُ: أَي يَحْمَلُ.

(٢) تَزَخَّرَتْ: تَزِينَتْ.

(٣) حَوَافِقُ: جَمْعُ حَافِقٍ وَهُوَ الْأَفْقُ.

(٤) (٥٧/٣) برقم ١٤٤٩ وقال محققوه حسن.

(٥) برقم ٧٤٢٣.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣)» (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش» (٢).

والجنة درجات بعضها فوق بعض وأهلها متفاضلون بحسب منازلهم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ (٧٥) [طه: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (٦١) [الإسراء: ٢١].

روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَحْيِي بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فَقَالَ

(١) برقم ٢٨٣٧.

(٢) الفتاوى (٤/٣١٢).

فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيْتُ رَبِّ فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ عَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ<sup>(١)</sup>، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

أما حورها فإن الله تعالى قال عنهن: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾<sup>(٢)</sup> كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ [الواقعة ٢٢-٢٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾<sup>(٣)</sup> ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَرْبَابًا ﴿٣٧﴾ [الواقعة ٣٥-٣٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿٢٥﴾ [البقرة: ٢٥]. قال جمع من المفسرين: مطهرة من الحيض والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، وغير ذلك من الأقدار والأذى<sup>(٥)</sup>. روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا - يعني الخمار - عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»<sup>(٦)</sup>.

أما رؤية المؤمنين لربهم في الجنة ورضاه عنهم، فإن ذلك من أفضل النعم التي يكرم الله بها أهل الجنة، روى مسلم في

(١) برقم ١٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٦٣).

(٣) برقم ٢٧٩٦.

صحيحه من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ نُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] (١).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبَّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ! فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّ وَآيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (٢).

وبعد ما عرف المؤمن ما أعد الله للكفرة والعصاة من العذاب والنكال، وما أعد له كذلك للمؤمنين المتقين من الكرامة والنعيم، فإنه يجب عليه أن يسعى لفكك نفسه من النار، قال صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (٣). والمسارعة بالطاعات والقربات لينال الدرجات العلى، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ

(١) برقم ١٨١.

(٢) برقم ٧٥١٨ وصحيح مسلم برقم ٢٨٥٩.

(٣) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم ١٠١٦.

مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا فَعَمَلُ الصَّالِحِينَ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٥].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة الرابعة عشرة

فوائد من قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٦٠] وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رُسُلُنَا وهم لا يفرون [٦١] ثم رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ ﴾ [الأنعام: ٦٠-٦٢].

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾: قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه يتوفى عباده المؤمنين في منامهم بالليل وهذا هو التوفي الأصغر، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥]. قال جمع من المفسرين: المراد وفاة النوم، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَا ضَرَفْتَ ﴾

الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٤٢﴾ [الزمر: ٤٢].  
فذكر في هذه الآية الوفايتين الكبرى والصغرى.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من النوم قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ أي: ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار، وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه بخلقه في ليلهم ونهارهم، وفي حال سكونهم وحال حركتهم كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

وكما قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: في النهار، و﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: أجل كل واحد من الناس، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: يوم القيامة، فيجازيكم على ذلك؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء،

(١) برقم ٧٣٩٥.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٣.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان كقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. وحفظة يحفظون عمله ويحصونه عليه كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١١-١٢]. وكقوله: ﴿إِذْ يَنْفَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧-١٨].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: احتضر وحن أجله ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة الموكلون بذلك، قال ابن عباس وغير واحد: لملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ أي: في حفظ روح المتوفى بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله ﷻ إن كان من الأبرار ففي عليين، وإن كان من الفجار ففي سجين، عياداً بالله من ذلك.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾، قيل: الملائكة، وقيل الخلائق كلهم يردون إلى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعدله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّا أَوْلَاؤِ الْبَرِّ وَالْأَخْرَجِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠]. ولهذا قال: ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ إِلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ نَحَضْرَهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحَ قَالُوا: اخْرُجِي أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ

اخرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اذْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ، قَالَ: فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءِ قَالُوا: اخْرُجِي أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ، وَآخِرَ مَنْ شَكَلَهُ أَزْوَاجٌ، فَلَا تَزَالُ تَخْرُجُ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهُ لَا يَفْتَحُ لِكَ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، فَتُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَيُقَالُ لَهُ مِثْلُ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءِ، فَيُقَالُ لَهُ مِثْلُ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ»<sup>(١)</sup>.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: أن الله تعالى هو المحيي المميت سبحانه، قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ. قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

(١) (١٤/٣٧٧-٣٧٨) برقم ٨٧٦٩ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وقال سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

ثانياً: أن المحتضر إما أن يبشر بالنعيم أو بالعذاب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ [فصلت: ٣٠]. قال بعض المفسرين: تبشرهم الملائكة ألا تخافوا مما تقدمون عليه في الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتموه من أهل ومال وولد، فنحن نخلفكم فيه.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَاهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠].

ثالثاً: الإيمان بالملائكة وهم على أصناف، منهم الموكلون بقبض الأرواح، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتُوقَفُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ [السجدة: ١١]. وما يظنه بعض الناس من أن ملك الموت اسمه (عزرائيل) فليس بصحيح ولم يثبت بالكتاب والسنة.

رابعاً: أن القهار على الحقيقة هو الله وحده هو الذي قهر وغلب عباده أجمعين، حتى إن أعتى الخلق يتضاءل ويتلاشى أمام قهر الله وجبروته، فهذا الموت الذي كتبه على عباده لا يستطيع الخلق رده أو دفعه عن أنفسهم ولو أوتوا من القوة

والجبروت ما أوتوا، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ<sup>ط</sup>﴾ [الجمعة: ٨]. وقال سبحانه للمنافقين: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الخامسة عشرة

قوة الإرادة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المحمودة التي حث عليها الشرع «قوة الإرادة» وهي تهيؤ القلب والعقل بشدة وعزم لإحداث الفعل أو تركه<sup>(١)</sup>.

وهي قوة العزيمة التي تحمل صاحبها على استسهال الصعاب واقتحام الشدائد لنيل الغرض المطلوب، قال الشاعر:

لَأَسْتَسْهَلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ

ولا تكون هذه الصفة إلا في الكُمَّل من الرجال أهل القوة والعزم،

قال الله تعالى لنبية محمد ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

﴿٣٥﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وأصحاب العزائم القوية يتحقق لهم ما يشبه

المستحيل من غيرهم، قال المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وَيَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَعَارُهَا وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

أما أصحاب الإرادات الضعيفة والعزائم الرخوة فإنه لا يكاد

(١) موسوعة نضرة النعيم (١/٣١٩٦).

يتحقق لهم مراد، فكلما هموا بأمر ورأوا ما دونه من الصعاب والشدائد ارتخت عزائمهم وضعفت إرادتهم، وحال إيثارهم للراحة والدعة دون تحقيقه، قال الشاعر:

وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ      أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ  
تَرُومُ الْعِزَّةَ تَنَامُ لَيْلًا      يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي

وقد أثنى الله تعالى في كتابه في غير ما موضع على أصحاب الإرادة القوية والعزيمة النافذة، فقال تعالى لنبيه ﷺ منبهاً له في الاقتداء بهم: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ﴿٤٥﴾ [ص: ٤٥]. وبها أمر ربنا تعالى نبي الله يحيى ﷺ فقال: ﴿يَبْحَثُ خُذَ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]. وَمِنْ قَبْلُ أَمَرَ نَبِيَهُ مُوسَى ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ التَّوْرَةَ فَقَالَ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ ﴿١٤٥﴾ [الأعراف: ١٤٥]. وفي العموم يقول تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ ﴿١٧١﴾ [الأعراف: ١٧١].

وقد أخبرنا جل وعلا في قصة أبينا آدم أنه أدخله الجنة وأذن له في التمتع بما فيها من النعيم إلا شجرة واحدة نهاه عن الأكل منها، فوسوس له إبليس وخادعه حتى أضعف إرادته، وحل من عزمته، فأكل منها، فكان جزاؤه أن أُخْرِجَ مِنْ دَارِ النِّعَمِ وَالْحَبُورِ وَالسَّرُورِ، وَأُهْبِطَ إِلَى دَارِ الْأَحْزَانِ وَالنَّكَدِ وَالْهَمُومِ وَالْغَمُومِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَبُّنَا ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ﴿١١٥﴾ [طه: ١١٥].

ولقد ضرب نبينا ﷺ أروع الأمثلة في قوة الإرادة ونفاذ العزيمة، فقد أتت قريش إلى أبي طالب عم النبي ﷺ فقالت: يا

أبا طالب؛ رأيت محمد يؤذينا في نادينا، وفي مسجدنا، فانهه عن أذانا، فقال: يا عقيل ائتني بمحمد، فذهبت فأتيته به، فقال: يا ابن أخي! إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم وفي مسجدهم، فانته عن ذلك، قال: فلحظ رسول الله ﷺ ببصره (وفي رواية: فعلق رسول الله ﷺ ببصره) إلى السماء، فقال: «مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَرُدَّ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً - يعني: الشمس -» قال: فقال أبو طالب: والله ما كذبنا ابن أخي قط، فارجعوا<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن النبي ﷺ قال في صلح الحديبية: «يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ، لَقَدْ أَكَلْتَهُمُ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ، فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ، دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَهُمْ وَافِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا<sup>(٢)</sup>، قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةً، فَمَاذَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَرَأُلُ أُجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ لَهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ لَهُ، أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

ومن مواقف أصحاب الإرادات القوية التي تُذكر وتُشكر، موقف

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥١/٧) برقم (٢٣٠) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٩٢.

(٢) أي ما دخلوا في الإسلام عند غلبتي على سائر العرب، بل اختاروا القتال على دخول الإسلام.

(٣) السالفة: صفحة العنق، والمراد أو أموت.

(٤) صحيح البخاري برقم ٢٧٣١-٢٧٣٢) ومسند الإمام أحمد (٢١٢/٣١) برقم ١٨٩١٠ وقال محققوه إسناده حسن واللفظ له.

الصديق رضي عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عندما ارتدت قبائل العرب ومنعوا الزكاة وأشرأب النفاق، قالت عائشة: فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها - أي: لكسرها بعد جبرها -، وقال كلمته المشهورة: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه <sup>(١)</sup>.

ومن المشهور أيضاً موقف الإمام الجليل أحمد بن حنبل رحمته الله في فتنة القول بخلق القرآن، وللعلماء والأخيار مواقف جليلة تطلب في مظانها من كتب التواريخ والتراجم.

#### تنبيهات:

**الأول:** الإرادة القوية؛ منها المحمود والمذموم، فالمذموم أن تكون في الإقدام على أمور لم يتحقق فيها رضا الله سبحانه وتعالى أو أغراض شرعية، والممدوح عكس ذلك وركناه الذي لا يقوم إلا بهما: التقوى والصبر، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

والتقوى لا بد أن تكون عن بصيرة، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]. فالأبصار البصيرة في الدين الناتجة عن العلم والتقوى، والأيدي هي القوة.

**الثاني:** على من آتاه الله قوة الإرادة أن يعلم أن ذلك فضل من الله،

(١) صحيح البخاري برقم ١٤٠٠ وصحيح مسلم برقم ٢٠.

الْمِنَّةُ لَهُ فِيهَا وَحْدَهُ، فَلِيُشْكِرَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ وَلِيَعْتَمِدَ عَلَيْهِ، بِهَذَا جَاءَ التَّوْجِيهُ الْكَرِيمَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩) [آل عمران: ١٥٩].

الثالث: الحذر من التردد وغالباً ما يكون سببه نقص البصيرة، فإذا تحقق من الأمر الذي يريده فليعزم ولا يتردد، قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا  
وفي غزوة أحد كان رأي النبي ﷺ البقاء في المدينة ومنازلة المشركين فيها، فلما أكثر عليه شباب الصحابة وعزم الخروج ولبس لامته للحرب، أُشير عليه بترك ذلك فأبى لما في التردد من فساد الأمور وضياع الرأي، فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيِّ إِذَا لَيْسَ لَأُمَّتِهِ»<sup>(١)</sup> أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) واللامعة: الدرع، وقيل السلاح.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٣/١٠٠) برقم ١٤٧٨٧ وقال محققوه صحيح لغيره وهذا إسناد على شرط مسلم.



الكلمة السادسة عشرة

فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ، ولدت قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة، وكانت من أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، حتى إذا بلغت عُرفت بالطاهرة لتركها ما كانت تفعله نساء الجاهلية، وكانت تاجرة ذات شرف ومال، وقد تزوجها النبي ﷺ وعمرها أربعون سنة، وسنه خمس وعشرون سنة، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت لفضلها ومكانتها عنده فإنها كانت نعم القرين، وقد ولدت له القاسم وبه كان يُكنى ثم زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله، وكان يُلقب بالطيب والطاهر، ومات بنوه كلهم في صغرهم، أما البنات فأدركن الإسلام فأسلمن، وهاجرن، إلا أن الوفاة أدركتهن في حياته سوى فاطمة، فقد ماتت بعده بأشهر، وهي أول من آمن به وصدقته قبل كل أحد، وثبتت جأشه، ومضت به إلى ابن عمها ورقة، وقد أمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

إنها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية الأسدية، وهي من أفضل نساء الأمة، قال الذهبي رحمته الله: «كانت عاقلة جليلة

دينة مصونة كريمة من أهل الجنة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُثني عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها، حتى إن عائشة كانت تقول: «ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة من كثرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها»<sup>(١)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني، وبشرها بيت في الجنة من قصب لا صحب فيه ولا نصب»<sup>(٢)</sup>. والقصب: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف، والصخب: اختلاط الأصوات، والنصب: التعب.

قال السهيلي: «وإنما بشرها ببيت في الجنة من قصب - يعني قصب اللؤلؤ - لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان، لا صخب فيه ولا نصب؛ لأنها لم ترفع صوتها على النبي صلى الله عليه وسلم ولم تتعبه يوماً من الدهر، فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن إسحاق: «تتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلاك أبي طالب وخديجة، وكانت خديجة وزيرة صدق، أبوها يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده الرابع قُصي بن كلاب، وأمها تجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده الثامن لؤي بن غالب، وكانت ذات مال، فعرضت على النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٠).

(٢) برقم ٣٨٢٠ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٢.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٣١٧).

أن يخرج في مالها إلى الشام، فخرج مع مولاها ميسرة، فلما قدم باعت خديجة ما جاء به فأضعف، فرغبت فيه، فعرضت نفسها عليه، فتزوجها وأصدقها عشرين بكرة»<sup>(١)(٢)</sup>.

ومن مواقفها العظيمة رضي الله عنها: ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بُدئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح،... ثم قال في آخر الحديث: فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فقالت: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِه خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِه وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فقالت له خديجة: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فقال له ورقة: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى، فقال له ورقة: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟»، قال: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ

(١) الفتى من الإبل، والأنثى يطلق عليها بكرة.

(٢) سيرة ابن هشام (١/٢٣٦)، (٢/٢٦) بتصرف.

رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةً أَنْ تُؤْفِيَّ وَفَتَرَ الْوَحْيِ<sup>(١)</sup>.

ومن مواقفها العظيمة أنها شاركت النبي صلى الله عليه وسلم في السراء والضراء، ودخلت معه في حصار الشعب الذين اشتد عليهم فيه الجوع والعطش حتى ذكر بعض أهل العلم أنهم أكلوا أوراق الشجر، وفي السنة التي خرجوا فيها من الشعب توفيت خديجة.

وكانت رضي الله عنها من أفضل نساء الأمة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: سمعت علياً بالكوفة وهو يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ »<sup>(٢)</sup>.

ومن حب النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة ووفائه لها، ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقَطُّعُهَا أَغْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية في الصحيح: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»<sup>(٤)</sup>.

(١) برقم ٣ وصحيح مسلم برقم ١٦٠.

(٢) برقم ٣٤٣٢ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٠.

(٣) برقم ٣٨١٨ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٤ بقطعة ليست هنا.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٤٣٥.

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف استئذان خديجة فارتاع، فقال: «اللهم هالة بنت خويلد»، فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدين<sup>(١)</sup>، هلك في الدهر، فأبدلك الله خيراً منها<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: «ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء»<sup>(٣)</sup>.

وكانت وفاتها بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين في شهر رمضان، وقيل: بثمان، وقيل: بسبع، فأقامت معه خمساً وعشرين سنة، ودُفنت بالحجون<sup>(٤)</sup>، ويذكر بالسير عام الحزن، لشدة حزن النبي صلى الله عليه وسلم على فراق زوجته الوفية خديجة، رضي الله عن أم المؤمنين خديجة، وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) حمراء الشدين: قال السندي: حمراء الشدق: أي سقطت أسنانها لكبر سنها حتى ظهرت الحمرة في شدقها، وهذا كناية عن كونها عجوزة نقلاً عن مسند الإمام أحمد (٣٥٨/٤١).

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٨٢١ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٧.

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٥٦/٤١) برقم ٢٤٨٦٤ وقال محققوه حديث صحيح.

(٤) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. معجم البلدان (١٢٣/٥).



الكلمة السابعة عشرة

تأملات في قوله تعالى:

﴿أَوْمَنَ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ (١٢٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال سبحانه: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩) [ص: ٢٩]. وعملاً بهذه الآية الكريمة لنستمع إلى آية من كتاب الله ونتدبر ما فيها من العظات والعبر، قال تعالى: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٢) [الأنعام: ١٢٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً أي في الضلالة هالكاً حائراً فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهداه ووفقه لاتباع رسوله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، أي: يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به، والنور هو القرآن وقيل الإسلام، وكلاهما صحيح».

قوله: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾: أي الجهالات، والأهواء، والضلالات المتفرقة ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾: أي: لا يهتدي إلى منقذ

ولا مخلص مما هو فيه، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ ذَلِكَ النُّورُ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَاهُ ضَلَّ»<sup>(١)</sup>. كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وكما قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾<sup>(١٩)</sup> وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ<sup>(٢٠)</sup> وَلَا الظُّلْمُ وَلَا الْحُرُورُ<sup>(٢١)</sup> وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ<sup>(٢٢)</sup>﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

قيل: المراد بهذا المثل: رجلان معنيان؛ عمر بن الخطاب، وهو الذي كان ميتاً فأحياه الله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وقيل: عمار بن ياسر، وأما الذي في الظلمات ليس بخارج منها أبو جهل عمرو بن هشام لعنه الله، والصحيح: أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ومن فوائد الآية الكريمة:

١- إن هذا النور الذي يحصل عليه المؤمن إنما هو نور الإيمان والطاعة، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾<sup>(٢٢)</sup> [الزمر: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾

(١) (٢٢٠/١١) برقم ٦٦٤٤ وقال محققوه إسناداه صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/١٥٩-١٦٠).

وَيَغْفِرَ لَكُمْ ﴿٢٨﴾ [الحديد: ٢٨].

٢- إن هذا النور يُحَرِّمُ منه المنافق والكافر لكفرهم وإجرامهم، قال تعالى: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ﴿٤٠﴾ [النور: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ ﴿١٣﴾ [الحديد: ١٣].

٣- إن هذا النور الذي يعطيه الله للمؤمن ليس خاصًا بالدنيا، بل هو في الدنيا، وفي قبره، ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عز وجل يُنَوِّرُهَا بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾ [الحديد: ١٢].

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذكر حال المؤمنين يوم القيامة قال: «فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى

(١) (١٤/١٥) برقم ٩٠٣٧ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.

نُورًا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ رَجُلًا يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيَفِيءُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ فَمَشَى، وَإِذَا طَفِيَ قَامَ، قَالَ: وَالرَّبُّ ﷻ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَمُرَّ فِي النَّارِ فَيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السِّيفِ دَخُضَ مَزَلَّةً، قَالَ: وَيَقُولُ: مُرُوا، فَيَمُرُونَ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجْلِ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي أُعْطِيَ نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ يَحْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدِيهِ وَرِجْلَيْهِ، تَخِرُّ رِجْلٌ، وَتَعْلُقُ رِجْلٌ، وَيُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ...» الحديث (١).

٤- أن القرآن نور، والسنة نور، والصلاة نور، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ، أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ

(١) جزء من حديث (٣٥٧/٩-٣٥٨) برقم ٩٧٦٣ ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣٦٥-٣٦٧/٤) بطوله وعزاه لإسحاق بن راهويه في مسنده وقال هذا إسناد صحيح متصل رجاله ثقات، وحسنه شيخنا د. سعد الحميد في مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک الحاكم (٣٥٤٣/٧-٣٥٤٩) برقم ١١٧٤.

عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعُ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا»<sup>(١)</sup>.

٥- إن الله تعالى هو نور السماوات والأرض وما فيها، ويهب نوره لمن يشاء، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]. فإذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده أشرقت بنوره الأرض، وليس إشراقها يومئذ بشمس ولا قمر، فإن الشمس تُكْوَرُ، والقمر يُخَسَفُ، ويذهب نورهما<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه الظلمات ضد الأنوار التي يتقلب فيها المؤمن، فإن نور الإيمان في قلبه، ومدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، ومشيته في الناس نور، وكلامه نور، ومصيره إلى نور، والكافر بالضد، ولما كان النور من أسمائه الحسنی وصفاته كان دينه نوراً، ورسوله نوراً، وكلامه نوراً، وداره نوراً يتلأأ، والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين ويجري على ألسنتهم، ويظهر على وجوههم، وكذلك لما كان الإيمان واسمه المؤمن لم يعطه إلا أحب خلقه إليه، وكذلك الإحسان صفته وهو يحب المحسنين وهو الذي جعل من يحبه من خلقه كذلك، وأعطاه من هذه الصفات ما شاء وأمسكها عنم يبغضه وجعله على أضدادها، فهذا عدله وذلك فضله والله ذو الفضل العظيم»<sup>(٣)</sup>.

(١) برقم ٢٢٣.

(٢) الوابل الصيب لابن القيم ص ١١٧.

(٣) شفاء العليل لابن القيم (١/١٠٥).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم:  
إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>.

٦- أن المؤمن كلما ازداد من الأعمال الصالحة والطاعات  
والقربات كان نوره أعظم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما  
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في صلاته بالليل  
فيقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي  
نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا  
وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية لمسلم:  
«وَأَعْطِنِي نُورًا»<sup>(٣)</sup>.

٧- أن النور صفة من صفات الله تعالى، روى مسلم في صحيحه  
من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حِجَابَةُ النُّورِ»<sup>(٤)</sup>.

«وهذا النور لا يمكن التعبير عنه إلا بمثل هذه العبارة النبوية  
المؤدية للمعنى العظيم، وأنه لا تُطَبَّقُ المخلوقات كلها الثبوت لنور  
وجهه لو تَبَدَّى لها، ولولا أن أهل دار القرار يعطيهم الرب حياة كاملة  
ويعينهم على ذلك لما تمكنوا من رؤية الرب العظيم، وجميع الأنوار  
في السماوات العلوية كلها من نوره، بل نور جنات النعيم - التي

(١) برقم ٦٣١٧ وصحيح مسلم برقم ٧٦٩.

(٢) برقم ٦٣١٦ وصحيح مسلم برقم ٧٦٣.

(٣) برقم ٧٦٣.

(٤) برقم ١٧٩.

## البروز المشقة من الكليات الملقاة

١٢٣

عرضها السماوات والأرض وسعتها لا يعلمه إلا الله - من نوره،  
فنور العرش، والكرسي، والجنات من نوره، فضلاً عن نور الشمس،  
والقمر، والكواكب»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) فتح الرحيم الملك العلام للشيخ عبد الرحمن السّعدي (ص ٦٦ - ٦٧).



الكلمة الثامنة عشرة

من أسماء الله الحسنى  
(الحفيظ والحافظ)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup> ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في الكتاب العزيز (الحفيظ والحافظ)، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١].

وأما الحافظ فقد ورد في قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال الخطابي: هو الحافظ يحفظ السماوات والأرض وما فيهما لتبقى مدة بقائها فلا تزول ولا تندثر، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

(١) برقم ٢٧٣٦؛ وصحيح مسلم برقم ٢٦٧٧.

مَارِدٍ ﴿٧﴾ [الصفات: ٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر: ٤١]. وهو سبحانه يحفظ عبده من المهالك ومن مصارع السوء كقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ﴿١١﴾ [الرعد: ١١]. أي بأمره، ويحفظ على الخلق أعمارهم ويحصي عليهم أقوالهم ويحفظ أوليائه فيعصمهم عن مُواقعة الذنوب ويحرسهم من مكائد الشيطان ليسلموا من فتنته وشره<sup>(١)</sup>.

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين العظيمين:

أولاً: أن الحافظ لهذه السماوات السبع والأرضين وما فيها هو الله وحده لا شريك له، وهو سبحانه يحفظ السماء أن تقع على الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الأنبياء: ٣٢]. وقال سبحانه: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ﴿٦٥﴾ [الحج: ٦٥].

ثانياً: أن الله سبحانه يحفظ أعمال عباده فلا يضيع منها شيئاً ويوافيهم بها يوم الحساب، وفي الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا»<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾ [سبأ: ٢٩]. وقد وكل بهذه الأعمال حفظة كراماً من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينًا

(١) شأن الدعاء ص ٦٧-٦٨.

(٢) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم ٢٥٧٧.

﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]. ولا يسقط من الصحف شيئاً ولو صغر، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَلَنَّا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ ﴿٤٩﴾ [الكهف: ٤٩].

ثالثاً: أن الله تعالى هو الذي يحفظ العبد من الشرور والآفات ويحفظه من عقابه وعذابه إن هو حفظ حدود الله واجتنب محارمه، قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنَدَتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤]. فبحفظهن لدين الله، ولحفظهن بالغيب حقوق أزواجهن من عرض، أو مال، أو ولد، أو غير ذلك حفظهن الله، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ» (١).

رابعاً: مدح الله سبحانه الذين يحفظون حقوقه وحدوده، فقال بعدما ذكر بعضاً من صفاتهم: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ [التوبة: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ﴾ ﴿٣٢﴾ مَن حَشَى الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ [ق: ٣٢-٣٣]. ومما يلزم المؤمن حفظه رأسه، وبطنه، وحفظ الرأس يدخل فيه حفظ السمع، والبصر، واللسان، من المحرمات، وحفظ البطن يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على مُحَرَّمٍ، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ ﴿٣٥﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وقد جمع الله ذلك كله في قوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

(١) برقم ٢٥١٦، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]. ويدخل في حفظ البطن حفظه من إدخال الحرام إليه من المأكولات والمشروبات. ومما يجب حفظه من المنهيات حفظ اللسان والفرج، قال تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ فَقْمِيهِ وَفَرْجِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

خامساً: أن من أعظم ما يجب على المسلم حفظه من حقوق الله (التوحيد) فإن من حفظ هذا الحق حفظه الله يوم القيامة وأمنه من عذابه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: «هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَكَلَّمُوا»<sup>(٢)</sup>.

وبالجملة فإن المؤمن مأمور بحفظ دينه أجمع، وكلما كان المؤمن لدينه أحفظ كان حفظ الله له أعظم، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا

(١) (٣٢/٣٣٠) برقم ١٩٥٥٩ وقال محققوا المسند صحيح لغيره.

(٢) برقم ٢٨٥٦؛ وصحيح مسلم برقم ٣٠.

بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴿٤٠﴾ [البقرة: ٤٠].

سادساً: أن المحفوظ هو ما حفظه الله ﷻ وشاء له أن يُحفظ،  
وأما من شاء الله أن يضيع أو يتغير فإنه ضائع لا محالة، وقد تكفل الله  
بحفظ كتابه العزيز من التغيير، والتبديل إلى يوم القيامة، قال تعالى:  
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر المنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (١/ ٣٣٩-٣٥٤).



الكلمة التاسعة عشرة

مقتطفات من سيرة عبد الله بن مسعود رضي عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، صحابي جليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر، هذا الصحابي كان من السابقين إلى الإسلام، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان صاحب نعليه وطهوره، وسواكه، ووساده<sup>(١)</sup>، وسره، وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالكثير، وبعد الهجرة آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن معاذ، وقال عن نفسه: لقد رأيتني سادس ستة، وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا، وقال أيضاً: والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لأتيته<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً: والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب

(١) أي فراشه.

(٢) صحيح البخاري برقم ٥٠٠٢ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٣.

النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم (١).

إنه الإمام الحبر فقيه الأمة عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي المكي المهاجري أبو عبد الرحمن، حليف بني زهرة، كان رضي الله عنه رجلاً نحيفاً قصيراً، شديد الأدمة (٢)، قال عنه الذهبي: كان معدوداً في أذكىاء العلماء، وقد روى عبد الله الكثير من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين فضله ومكانته العظيمة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: «قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ فَمَكَّثْنَا حِينًا وَمَا نَرَى ابْنَ مَسْعُودٍ وَأُمَّهُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ كَثْرَةِ دُخُولِهِمْ وَلُزُومِهِمْ لَهُ» (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن ابن يزيد رضي الله عنه قال: سَأَلْنَا حُذَيْفَةَ عَنْ رَجُلٍ قَرِيبِ السَّمْتِ وَالْهَدْيِ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى نَأْخُذَ عَنْهُ؟ فَقَالَ: مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ (٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الأحوص رضي الله عنه قال: «شَهِدْتُ أَبَا مُوسَى وَأَبَا مَسْعُودٍ حِينَ مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتُرَاهُ تَرَكَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ؟ فَقَالَ: إِنْ قُلْتَ ذَاكَ، إِنْ كَانَ لِيُؤْذَنُ

(١) صحيح البخاري برقم ٥٠٠٠ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٢.

(٢) أي السواد.

(٣) برقم ٣٧٦٣ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٠.

(٤) برقم ٣٧٦٢.

لَهُ إِذَا حُجِبْنَا وَيَشْهَدُ إِذَا غِبْنَا» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث علقمة قال: دَخَلْتُ الشَّامَ فَصَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيْسًا، فَرَأَيْتُ شَيْخًا مُقْبِلًا فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ: أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اسْتَجَابَ، قَالَ: مَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَفَلَمْ يَكُنْ فِيكُمْ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ، وَالْوَسَادِ، وَالْمِطْهَرَةِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ فِيكُمْ الَّذِي أُجِيرَ مِنَ الشَّيْطَانِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ فِيكُمْ صَاحِبُ السَّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، كَيْفَ قَرَأَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١)؟ فَقَرَأْتُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١)، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَالذَّكْرِ وَالْأُنْثَى، قَالَ: أَقْرَأْنِيهَا النَّبِيُّ ﷺ فَاهُ إِلَى فَيَّ، فَمَا زَالَ هُوَ لَاءَ حَتَّى كَادُوا يَرُدُّونِي (٢).

وكان رضي الله عنه من فقهاء الصحابة وقرائهم، روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ، - فَبَدَأَ بِهِ - وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ» (٣).

وقد حَصَلَ رضي الله عنه علماً كثيراً بملازمة النبي ﷺ، فروى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ، وَأَنْ تَسْتَمَعَ سِوَادِي حَتَّى أَنْهَاكَ» (٤).

(١) برقم ٢٤٦١.

(٢) برقم ٣٧٦١ وصحيح مسلم برقم ٨٢٤ مختصراً.

(٣) برقم ٣٧٦٠ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٤ واللفظ له.

(٤) برقم ٢١٦٩.

ومما يدل على علمه وأمانته ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كُنْتُ أُرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ هَلْ مِنْ لَبْنٍ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟» فَاتَّيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَنَزَلَ لَبْنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «اقْلِصْ»، فَقَلَصَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِنَّكَ غُلِيمٌ مُعَلَّمٌ»<sup>(١)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: كَيْفَ مُلِيَءَ عِلْمًا<sup>(٢)</sup>.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتعجبون من دقة ساقيه، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلته عند ربه، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»<sup>(٣)</sup>.

وكان مستجاب الدعوة، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله رضي الله عنه: أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ يَدْعُو، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو، فَقَالَ: «سَلْ تُعْطَهُ»، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا

(١) (٨٢/٦) برقم ٣٥٩٨ وقال محققوه إسناده حسن.

(٢) الكنيف: الوعاء، وقال هذا نظراً لصغر سنه مع أنه من أعلم الصحابة.

(٣) (٩٩/٧) برقم ٣٩٩١ وقال محققوه صحيح لغيره.

لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَعْلَى غُرْفِ الْجَنَّةِ، جَنَّةِ الْخُلْدِ<sup>(١)</sup>.  
ومن أقواله العظيمة: أنه كان يقول: «حَبَّذَا الْمَكْرُوهَانَ: الْمَوْتُ  
وَالْفَقْرُ، إِنْ كَانَ الْفَقْرُ إِنْ فِيهِ الصَّبْرُ، وَإِنْ كَانَ الْغِنَى إِنْ فِيهِ لَلْعَطْفُ؛ لِأَنَّ  
حَقَّ اللَّهِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاجِبٌ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها أنه كان يقول إذا قعد: «إنكم في ممر الليل والنهار، في  
أجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، من زرع خيراً  
يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل  
زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يُقدَّر  
له، فمن أعطي خيراً، فالله أعطاه، ومن وُقي شراً، فالله وقاه، الْمُتَّقُونَ  
سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة»<sup>(٣)</sup>.

وكان يقول: «من أراد الآخرة أضرب بالدنيا، ومن أراد الدنيا أضرب  
بالآخرة، يا قوم فأضروا بالفاني للباقي».

وكان يقول: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً، ليس في عمل  
آخرة ولا دنيا».

ولما مرض عبد الله عاده عثمان فقال: «مما تشتكي؟ قال: ذنوبي،  
قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال:  
الطبيب أمرضني، قال: ألا أمر لك بعطاء، قال: لا حاجة لي فيه»<sup>(٤)</sup>.

(١) (٣٤٦/٦) برقم ٣٧٩٧ وقال محققوه صحيح لغيره.

(٢) أبو نعيم في الحلية (١/١٣٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٤٩٦-٤٩٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (١/٤٩٨).

قال ابن حجر، وعند البخاري في تاريخه بسند صحيح من حديث ابن ظهير، قال: «جاء نعي عبد الله بن مسعود إلى أبي الدرداء، فقال: ما ترك بعده مثله»<sup>(١)</sup>. قال عبيد الله بن عبد الله: مات بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اثنين وثلاثين من الهجرة<sup>(٢)</sup>.

رضي الله عن عبد الله بن مسعود، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تاريخ البخاري الصغير (١/٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٤٩٩).

الكلمة العشرون

فوائد من قوله تعالى

﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فليضحكوا قليلاً وليبكون كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون ﴿٨٢﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى ذاماً للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وفرحوا بقعودهم بعد خروجه، وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم، وأنفسهم في سبيل الله، وقالوا: أي بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر، وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار، فلماذا قالوا: ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾، فقال تعالى: قل لهم نار جهنم التي تصيرون إليها لمخالفتكم أشد حراً مما فررتم منه من الحر، بل أشد حراً من النار في الدنيا لو كانوا يفقهون ويفهمون لنفروا مع الرسول ﷺ في سبيل الله في الحر ليتقوا به حر جهنم الذي هو أضعاف أضعاف هذا، ولكنهم كما قال الآخر: كالمستجير

من الرضاء بالنار»<sup>(١)</sup>.

ثم قال سبحانه: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾  
قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت الدنيا، وصاروا إلى الله عز وجل استأنفوا بكاء لا ينقطع أبداً»<sup>(٢)</sup>.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أن المنافقين في كل عصر وزمان ديدنهم تشييط المؤمنين عن الجهاد، وأداء الطاعات مهما كانت يسيرة، كما قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٧].  
وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

ثانياً: أن الله ذم المنافقين ليس بعودهم عن الجهاد فقط، ولكن بفرحهم أيضاً بهذا التخلف، فإن الفرح بالمعصية أعظم من المعصية.

ثالثاً: أن الله قدّم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في هذه الآية، وفي آيات أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]. قال العلماء: وذلك لأهمية المال في دعم الجهاد، ولا يمكن أن يقوم الجهاد بدون مال.

(١) تفسير ابن كثير (٧/٢٥٢).

(٢) المصدر السابق (٧/٢٥٥).

رابعاً: دلّت الآية الكريمة أن الفقيه هو الذي يتقي البلاء الأكبر بالأصغر، والمنافقون لما كانوا لا يفقهون عكسوا ذلك بفرارهم من حر الرمضاء إلى حر جهنم، وفي هذا المعنى يقول تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠].

فناز جهنم أشد وحرها أعظم من حر الدنيا، بل هي أضعاف نار الدنيا، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ، جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»، قالوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»<sup>(١)</sup>.

خامساً: أن من الكفار والعصاة من يرتكبون المعاصي والذنوب، وهم يضحكون، ويلعبون، ولكن هذا الضحك ينقلب يوم القيامة بكاء وحسرات، روى الحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن قيس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ، حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَّتْ، وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ الدَّمَ - يعني مكان الدمع -»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٣٢٦٥ وصحيح مسلم برقم ٢٨٤٣.

(٢) (٥/٨٣١) برقم ٨٨٢٧ وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ١٦٧٩.



الكلمة الحادية والعشرون

من أحكام السفر وآدابه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الإنسان بطبعه يحتاج إلى السفر في أرض الله لقضاء مصالحه الدينية والدنيوية، والسياحة في الأرض والتأمل في عجائب المخلوقات مما يزيد العبد إيماناً ويقيناً بربه، قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]. وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] (١).

قال الشافعي مادحاً للسفر وحاتماً عليه:

سافر تجد عوضاً عمّن تُفارقه      وأنصب فإن لزيد العيش في النصب  
إني رأيت وقوف الماء يفسده      إن سأل طاب وإن لم يجر لم يطب  
والشمس لو بقيت في الفلك دائمة      لملها الناس من عجم ومن عرب

وقد وردت السنة النبوية ببعض الآداب الشرعية التي ينبغي للمسافر أن يلتزم بها، فمن ذلك:

أولاً: الاستخارة الشرعية قبل السفر، فيستخير في موعد السفر ووجهته، روى البخاري في صحيحه والترمذي والنسائي

(١) المنهاج للحاج والمعتبر للشيخ سعود الشريم ص ١١-١٢.

في سننهما من حديث جابر رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا  
 الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُ:  
 «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولُ:  
 اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ  
 فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ  
 الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، ثُمَّ يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ، حَيْرٌ  
 لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي»، أَوْ قَالَ: «عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ،  
 فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ،  
 وَيَذْكُرُ الْأَمْرَ وَيُسَمِّيهِ، شَرٌّ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي»، أَوْ  
 قَالَ: «فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ  
 لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أن يحرص على دعاء السفر عند خروجه وعودته،  
 فقد روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ  
 اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ  
 قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا  
 لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنْ  
 الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ،  
 اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي  
 أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ، فِي  
 الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ، تَائِبُونَ،

(١) صحيح البخاري برقم ٦٣٨٢ وسنن الترمذي برقم ٤٨٠ والنسائي برقم ٣٢٥٣.

عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية لمسلم: «كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ - وَهُوَ الرَّجُوعُ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ أَوْ الزِّيَادَةِ إِلَى النَّقْصِ -، وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: أن يحرص أيضاً على الذكر عند الركوب فقد روى الترمذي في سننه من حديث علي بن ربيعة قال: شهدنا علياً أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: «بِاسْمِ اللَّهِ» ثلاثاً، فلما استوى على ظهرها قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» ثلاثاً، و«اللَّهُ أَكْبَرُ» ثلاثاً، «سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» ثم ضحك، قلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعت ثم ضحك، فقلت من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: «إِنَّ رَبَّكَ لَيَعَجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ»<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: كان النبي ﷺ إذا ودَّع أصحابه في السفر يقول لأحدهم: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»<sup>(٤)</sup>. والسنة أن يرد

(١) برقم ١٣٤٢.

(٢) برقم ١٣٤٣.

(٣) برقم ٣٤٤٦ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

(٤) سنن الترمذي برقم ٣٤٤٣ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١٥٥) برقم ٢٧٣٨.

عليه المسافر فيقول: «أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ»<sup>(١)</sup>.

خامساً: استحباب الخروج يوم الخميس، روى البخاري في صحيحه من حديث كعب بن مالك رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ»<sup>(٢)</sup>.

ويُستحب أن يكون أول النهار أو بالليل لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث صخر الغامدي رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»<sup>(٣)</sup>، ولما رواه أبو داود في سننه من حديث أنس رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالذُّلْجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ»<sup>(٤)</sup>.

سادساً: استحباب طلب الرفقة الصالحة وتأميرهم على أنفسهم واحداً يطيعونه، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُوا، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ»<sup>(٥)</sup>. وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الرَّكِبُ

(١) سنن ابن ماجه برقم ٢٨٢٥ وحسنه العراقي كما نقل ذلك الألباني رحمته الله في الكلم الطيب ص ٥٩.

(٢) برقم ٢٩٥٠.

(٣) (٤١٦/٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٧٨/١) برقم ١٣٠٠.

(٤) برقم ٢٥٧١ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٨٨/٢) برقم ٢٢٤١.

(٥) برقم ٢٩٩٨.

شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ»<sup>(١)</sup>.

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «ولعل الحديث أراد السفر في الصحاري والفلوات التي كلما يرى المسافر فيها أحداً من الناس، فلا يدخل فيه السفر اليوم في الطرق المعبدة الكثيرة المواصلات. والله أعلم»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

سابعاً: استحباب تكبير المسافر إذا صعد الثنانيا وشبهها وتسبيحه إذا هبط الأودية ونحوها، روى البخاري في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»<sup>(٤)</sup>.

ثامناً: كان النبي ﷺ ينهى المرأة أن تسافر لوحدها، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَةً، وَإِنِّي اكْتَتَبْتُ فِي غَزْوَةٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ:

(١) برقم ٢٦٠٧ والترمذي برقم ١٦٧٤ وقال حديث حسن.

(٢) السلسلة الصحيحة حديث رقم ٦٢.

(٣) برقم ٢٦٠٨ وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن أبي داود حسن صحيح (٢/٤٩٤) برقم ٢٢٧٢.

(٤) برقم ٢٩٩٤.

«انطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: من السنة أن يصلي المسافر التطوع على دابته، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي السَّفَرِ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ، يَوْمِيَّ إِيمَاءً، صَلَاةَ اللَّيْلِ إِلَّا الْفَرَائِضَ، وَيُوتِرُ عَلَى رَاحِلَتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

عاشراً: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحذر من السفر إلى بلاد الكفار، فروى الترمذي في سننه من حديث جرير رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَلِمَ؟ قَالَ: «لَا تَرَأَى نَارَهُمَا»<sup>(٣)</sup>.

وقد استثنى العلماء من ذلك: المجاهد في سبيل الله، أو السفر للدعوة إلى الله، أو لعلاج مرض، لا يتوفر إلا ببلادهم، أو السفر لدراسة لا يمكن الحصول عليها في بلاد المسلمين، أو للتجارة، وكل ذلك مشروط بأن يكون مظهراً لدينه عالماً بما أوجب الله عليه، قوي الإيمان بالله، قادراً على إقامة شعائره مع أمن الفتنة، وللضرورة أحكامها.

الحادي عشر: إذا ذهب المسافر إلى المتنزهات أو البراري عليه أن يلزم زوجته وبناته بالحجاب، وعليه أن يبتعد عن الأماكن المختلطة، أو التي تحتوي على مخالفات شرعية، وأن يحافظ على

(١) برقم ١٨٦٢ وصحيح مسلم ١٣٤١ واللفظ له.

(٢) برقم ١٠٠٠ وصحيح مسلم برقم ٧٠٠.

(٣) برقم ١٦٠٤ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١١٩/٢) برقم ١٣٠٧.

الصلاة في أوقاتها، ويأمر أهله بذلك، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦].

الثاني عشر: كان النبي ﷺ يَحُثُّ أُمَّتَهُ إِذَا نَزَلَ أَحَدُهُمْ مِنْزَلًا فِي سَفَرِهِ، أَوْ غَيْرِهِ أَنْ يَقُولَ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» (١).

الثالث عشر: كان النبي ﷺ يأمر المسافر إذا قضى حاجته أن يعجل بالرجوع إلى أهله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ» (٢).

الرابع عشر: كان النبي ﷺ ينهى أن يَطْرُقَ الرَّجُلَ أَهْلَهُ لَيْلًا إِذَا رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ، روى البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمْ الْغَيْبَةَ فَلَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا» (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا» (٤).

(١) صحيح مسلم برقم ٢٧٠٨.

(٢) برقم ١٨٠٤ وصحيح مسلم برقم ١٩٢٧.

(٣) برقم ٥٢٤٤.

(٤) برقم ٥٢٤٣.

وينبغي للمسافر أن يحرص على الدعاء، فإن دعوته مستجابة،  
 روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:  
 «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ،  
 وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١٥٣٦ وقال الترمذي حديث حسن.

الكلمة الثانية والعشرون

من أهوال يوم القيامة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن أعظم أهوال يوم القيامة اجتماع الناس في المحشر وانتظارهم فصل القضاء بينهم، وموقفهم فيه طويل، وشديد ومفزع، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يقومون حفاة عراة غرلاً<sup>(١)</sup> في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله ما تعجز القوى والحواس عنه<sup>(٣)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»<sup>(٤)</sup>. وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرْقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا،

(١) أي كما ولدتهم أمهاتهم غير مختونين.

(٢) ثبت ذلك في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) تفسير ابن كثير (٢٨١ / ١٤).

(٤) برقم ٦٥٣١ وصحيح مسلم برقم ٢٨٦٢.

وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

ويكون عرق الناس في ذلك اليوم على قدر أعمالهم. روى مسلم في صحيحه من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ»، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمْسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ، قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ<sup>(٢)</sup>.

قال ابن أبي جمرة: فأشدهم في العرق الكفار ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر: ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها، وذلك أن النار تحف بأرض الموقف، وتدنى الشمس من الرؤوس قدر ميل، فكيف تكون حرارة تلك الأرض، وماذا يرونها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعاً مع أن كل واحد لا يجد إلا قدر موضع قدمه، فكيف تكون حالة هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه، إن هذا مما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة، ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة أن ليس

(١) برقم ٦٥٣٢؛ وصحيح مسلم برقم ٢٨٦٣.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٨٦٣.

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٩٤-٣٩٥) بتصرف.

للعقل فيها مجال، ولا يُعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة، وإنما يُؤخذ بالقبول ويدخل تحت الإيمان بالغيب، ومن توقف في ذلك دل على خسارانه، وحرمانه، وفائدة الإخبار بذلك أن ينتبه السامع فيأخذ في الأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال، ويبادر إلى التوبة من التبعات، ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونه على أسباب السلامة، ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان، وإدخاله دار الكرامة بمنه وكرمه<sup>(١)</sup>.

وهذا الموقف مع شدته وكرب الناس فيه فهو أيضاً موقف طويل جداً مقداره خمسين ألف سنة.

قال ابن كثير: وفي حديث أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون، وقيل: يقومون ثلاث مئة سنة، وقيل: يقومون أربعين ألف سنة، ويُقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [٣٨] ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا [٣٩] [النبأ: ٣٨-٣٩].

روى الطبراني في المعجم الكبير من حديث عبد الله ابن مسعود رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُونَ فَضْلَ الْقَضَاءِ...» الحديث<sup>(٢)</sup>.

(١) فتح الباري (١١/ ٣٩٤-٣٩٥).

(٢) جزء من حديث (٣٥٧/٩) برقم ٩٧٦٣ وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ٣٦٥-٣٦٧) بطوله وعزاه لإسحاق بن راهويه في مسنده، وقال هذا إسناد صحيح متصل رجال ثقات، وقال ابن القيم في كتابه حادي الأرواح ص ٢١٥، هذا حديث كبير حسن، وصححه الشيخ الألباني في الترغيب والترهيب (٣/ ٤١٨) برقم ٣٥٩١.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

وساق ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال: يوم القيامة، قال ابن كثير: وهذا إسناده صحيح<sup>(٢)</sup>.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من ضيق هذا اليوم وكربته. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ربيعة الجرشي رضي الله عنه قال: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ وَبِمَ كَانَ يَسْتَفْتِحُ؟ قَالَتْ: كَانَ يُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَسْبِّحُ عَشْرًا، وَيَهْلُلُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي» عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الضَّيْقِ يَوْمَ الْحِسَابِ» عَشْرًا»<sup>(٣)</sup>.

ومن ثمرات الإيمان بهذا الموقف العظيم:

أولاً: أن المؤمن ينبغي أن يكون على استعداد للقاء ربه، وألاً يكون في غفلة، فإن أمامه أهوالاً وأموراً عظيمة، فهناك

(١) برقم ٩٨٧.

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/١٢٨).

(٣) (٤٢/٣٧-٣٨) برقم ٢٥١٠٢ وقال محققوه حديث حسن.

الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والنفخ في الصور، والبعث بعد الموت، وعرصات يوم القيامة، والميزان، والصراط والنار، قال تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (١) قال [الأنبياء: ١]. روى الترمذي في سننه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ» (١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدِ اتَّقَمَ الْقُرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْحِ»، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا» (٢).

ثانياً: أن الكفار وأصحاب المعاصي يُشَدَّدُ عليهم في ذلك اليوم. قال تعالى: ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٦]. وتقدم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه أن مانعي الزكاة يُعَدَّبُونَ، وأن هذه البهائم تَطَّوَّهُمْ بِأَخْفَافِهَا وَأَظْلَافِهَا وَتَنْطَحُّهُمْ بِقُرُونِهَا.

ثالثاً: ومن البشائر أن أهوال الآخرة مع شدتها وكرباتها من القبر وظلماته، والنفخ في الصور، وعرصات يوم القيامة، والصراط وغيرها، أن الله بِمَنِّهِ وَكِرْمِهِ يَخَفِّفُهَا عَلَى الْمُؤْمِنِ. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ

(١) برقم ٢٣١٢ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٨) برقم ١٨٨٢.  
(٢) برقم ٢٤٣١ وقال الترمذي هذا حديث حسن.

لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوتِيكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتُلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

قال بعض المفسرين: الفزع الأكبر: النفخ في الصور.

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، يُهَوَّنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ»<sup>(١)</sup>.

ومن البشائر أيضاً قول الله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، قال ابن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن: إنما هي ضحوة، فيقيل أولياء الله على الأسرة مع الحور العين، ويقيل أعداء الله مع الشياطين مقرنين، وكذا قال ابن مسعود رضي الله عنه في قراءة له: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾، وقال سعيد بن جبیر رضي الله عنه: يفرغ الله من الحساب نصف النهار، فيقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، ثم قرأ الآية: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: إنه في ذلك الموقف العظيم والناس في حر شديد، وبلاء عظيم لا يطاق، يُظِلُّ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ سَبْعَةً: «إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ،

(١) برقم ٧٢٨٩ وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٤١٧/٣) برقم ٣٥٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير (٢٩٨/١٠)، وتفسير القرطبي (٣٩٨/١٥).

وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَتْ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ»<sup>(١)</sup>.

خامساً: إنه ينبغي للمؤمن أن يكثر من الأعمال الصالحة ويخفيها عن الناس، كان عبد الله بن المبارك يأتي إلى ماء زمزم ويقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ»<sup>(٢)</sup> وأنا أشربه لعطش يوم القيامة، ثم شرب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٦٦٠ وصحيح مسلم برقم ١٠٣١.

(٢) سنن ابن ماجه برقم ٣٠٦٢ وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٤/٣٢٠) برقم ١١٢٣.



### تأملات في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ..... ﴾ الآيات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى انكفافاً عن المحارم، فإن خوف الله أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع، ويحضرُونَ قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب؛ ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير واشتياقاً إلى كرامة ربهم، أو وجلاً من العقوبات وازدجاراً من المعاصي، وكل هذا مما يزيد به الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي يعتمدون في قلوبهم على ربهم وحده لا شريك له في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم الدينية والدينيوية، ويثقون بأن الله سيفعل ذلك، والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد ولا تكمل إلا به.

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ أي من فرائض ونوافل بأعمالها الظاهرة، والباطنة، كحضور القلب فيها الذي هو روح الصلاة ولبها.

قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ النفقات الواجبة كالزكوات والكفارات، والنفقة على الزوجات، والأقارب، وما ملكت أيمانهم، والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير.

قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ أي الذين اتصفوا بتلك الصفات هم المؤمنون حقاً؛ لأنهم جمعوا بين الإسلام، والإيمان، بين الأعمال الظاهرة، والأعمال الباطنة، وبين العلم، والعمل.

قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أي: درجات عالية في الجنة بحسب أعمالهم، ومغفرة لذنوبهم، ورزق كريم وهو ما أعد الله لهم في دار كرامته مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: أن البكاء من خشية الله هو شعار المؤمنين المتقين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا

عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ [المائدة: ٨٣].

روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير البكاء من خشية الله، وكذلك الصالحون من قبل ومن بعد، وقد توعد الله أصحاب القلوب القاسية بأشد الوعيد، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ فيها التصريح بزيادة الإيمان، وقد صرح تعالى بذلك في مواضع أخرى، كقوله: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]. وقال تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]. وتدل هذه الآيات بدلالة الالتزام على أنه ينقص أيضاً؛ لأن كل ما يزيد ينقص، فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وجاء مصرحاً بنقصه كما في أحاديث الشفاعة في الصحيحين كقوله صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) برقم ١٦٣٩ وقال حديث ابن عباس حسن غريب وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٤١١٣.

(٢) صحيح البخاري رقم ٧٥١٠ وصحيح مسلم برقم ١٩٢.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فالإيمان ثلاثة: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، وقد جمعت هاتان الآيتان ذلك كله، فعمل القلب: مما تقدم من التوكل وزيادة الإيمان وغيره، وعمل اللسان: ذكر الله وتلاوة القرآن، وعمل الجوارح: قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾.

رابعاً: الآيات تدل على أن من لم يزد سماع القرآن إيماناً زاده بعداً، لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٥].

خامساً: التوكل من خصال الإيمان العظام لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [التوبة: ٢].

سادساً: لطف الله بعباده، حيث ذكرهم بأن ما ينفقونه إنما هو من رزقه الذي أعطاهم، فكيف يبخلون بعد هذا؟

سابعاً: قد يكون من الناس من يدعي الإيمان، ولكن المؤمنين حقاً هم الذين اجتمعت فيهم تلك الصفات لقوله تعالى بعد ما ذكر صفاتهم: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾.

ثامناً: منازل المؤمنين درجات بعضها فوق بعض، ومنازل الكافرين درجات بعضها تحت بعض، لقوله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥]. وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد

الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءُونَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: من فضل ثواب المؤمنين: قربهم من الله لقوله تعالى:  
﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

عاشراً: أن المؤمنين قبل دخول الجنة يطهرون من النقائص والذنوب، لقوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

الحادي عشر: رزق المؤمنين في الجنة لا تبعة فيه مع سعته، وحسنه، ودوامه، لقوله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) رقم ٣٢٥٦ وصحيح مسلم ٢٨٣١.



## فضائل الأعمال الصالحة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنه ينبغي للمؤمن أن يكثُر من الأعمال الصالحة، فإن العمر قصير والأجل قريب، وابن آدم لا يدري متى يُفاجئُهُ الأجل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّتِ﴾ [هود: ١١٤].

ومن فضائل الأعمال الصالحة:

الحياة الطيبة في الدنيا والفوز بالآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا

أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، فَاقْرَأُوا إِنِ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) «(١).

ومنها زهاب الخوف والحزن عنهم: ولو علم كثير من الناس ممن يعانون من الهم، والقلق، والاكتئاب، والمشكلات الأسرية، ما للأعمال الصالحة من انشراح الصدر، ونعيم القلب لاستغنوا عن المستشفيات والعيادات النفسية، ولصلح حالهم واستقام أمرهم.

ومنها محبة الله تعالى لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٦) ﴿[مريم: ٩٦]. أي محبة ومودة في قلوب عباده، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ» (٢).

ومنها الدرجات والمنازل العالية في الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٧٥) ﴿[طه: ٧٥]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءُونَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَرَاءُونَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأَفُقِ مِنْ

(١) برقم ٣٢٤٤ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٤.

(٢) برقم ٣٢٠٨ وصحيح مسلم برقم ٢٦٣٧.

الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضِلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»<sup>(١)</sup>.

ومنها رضوان الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ ۗ﴾ [البينة: ٧-٨]. وقال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۗ﴾ [التوبة: ٧٢].

ومنها سعة الرزق في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۗ﴾ [الحج: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۗ﴾ [الطلاق: ١١]. روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطِعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها تكفير السيئات، وإصلاح البال، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) برقم ٣٢٥٦ وصحيح مسلم برقم ٢٨٣١.

(٢) برقم ٢٨٠٨.

ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامِنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ [محمد: ٢]. أي يصلح شأنهم وحالهم مع أولادهم، وزوجاتهم، وفي أرزاقهم، وفي شئونهم كلها.

ومنها إعطائهم الأجر تاماً ومضاعفته، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿١٧٣﴾ [النساء: ١٧٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿١١٢﴾ [طه: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ﴿١١٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا» <sup>(١)</sup>.

ومنها الدخول في رحمة الله، والفوز بذلك، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٣٠﴾ [الجاثية: ٣٠].

ومنها الخروج من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ﴿١١﴾ [الطلاق: ١١].

ومنها الاستخلاف والتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ

(١) صحيح مسلم برقم ١٢٩ وقد خرج البخاري الجزء الأول منه برقم ٤٢.

اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا  
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ  
 بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥].

ومنها الأجر الكبير والحسن غير المنقطع، قال تعالى: ﴿إِنَّ  
 هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ  
 أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ [الإسراء: ٩]. وقال تعالى: ﴿قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا  
 مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا  
 ﴿٢﴾ [الكهف: ٢]. وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ  
 أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ [التين: ٦].

ومنها زيادة الله تعالى لهم من فضله، وهدايته لهم، قال  
 تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ  
 ﴿٤٥﴾ [الروم: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ ﴿٢٦﴾ [الشورى: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ  
 فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ [يونس: ٩]. أي يزيدهم هداية، وتوفيقاً وأجراً  
 في الدنيا والآخرة بما أعد لهم من الكرامة والنعيم<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: رسالة صغيرة لأخي د. صالح الصياح بعنوان المبشرات لمن يعمل الصالحات.



الكلمة الخامسة والعشرون

خطورة دور السينما

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فالحديث في هذا اليوم عن فتنة عظيمة، ومعصية كبيرة، يدعو إليها أصحاب الشهوات والملذات، ألا وهي افتتاح دور السينما، وسيكون الكلام فيها في العناصر التالية: المخالفات الشرعية، أقوال العلماء، شبهة والجواب عنها. فمن تلك المخالفات:

أولاً: ما يتعلق بالعقيدة، وهو أخطر ما يكون، فهي تعرض صور الكفار وحضارتهم، وأحوال معيشتهم بطريقة تدعو إلى الإعجاب والميل لهم مع أن حياتهم حياة البهائم، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢]. وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وبالمقابل ترهّد في أخلاق المسلمين، ولباسهم، وطرق معيشتهم، والاحتقار لعلماء الإسلام، وأبطال المسلمين، وتمثيلهم بالصور المنفرة، والمسلم مأمور بموالاتة المؤمنين ومعاداة الكافرين، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: تصوير الاختلاط على أنه أمر عادي لا حرمة فيه، والإكثار من قصص الحب، والغرام والعشق بين الجنسين، ودعوة المرأة إلى خلع حجابها والتمرد على دينها وأهلها، ومعاشرة الرجال الأجانب دون حياء أو خجل، وهذا يؤدي إلى نشر الفاحشة والرذيلة في مجتمعات المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٩)</sup> [النور: ١٩].

ثالثاً: الغناء: قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾<sup>(٦)</sup> [لقمان: ٦]. وأكثر المفسرين كابن عباس وابن مسعود فسروه بالغناء، وكان ابن مسعود يحلف بالله أن لهو الحديث هو الغناء<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَعَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾<sup>(٦٤)</sup> [الإسراء: ٦٤].

رابعاً: المعازف: وهي حرام بجميع أنواعها، وأشكالها. روى البخاري في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) (٤٨٨/٣٠) برقم ١٨٥٢٤ وقال محققوه حديث حسن بشواهده.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٦/١١).

«لِيَكُونَ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ»<sup>(١)</sup>.  
فإخبار النبي ﷺ أنهم يستحلونها معنى ذلك أنها في الأصل حرام.

خامساً: أن عرض السينما في مكان عام مع ما فيها من المنكرات والمخالفات الشرعية السابق ذكرها يعتبر مجاهرة بالمعصية، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ»<sup>(٢)</sup>.

سادساً: آثارها السيئة على مرتاديها، ومنها تعليمهم طرق المكر والخداع، والسرقة وحياسة المؤامرات والقتل، وقد ذكرت الإحصائيات العالمية أن كثيراً من حالات القتل، والاعتصاب والطلاق، والخيانات الزوجية كانت بسبب أفلام العنف والجنس، السينمائية والتلفزيونية.

أقوال العلماء فيها: قال الشيخ عبد الله بن حميد: «ومن أهم ما يجب المبادرة إلى رفعه وإزالته، أو دفعه وعدم إقراره هو وجود هذه السينما التي انتشرت في أكثر الأماكن، وما يُعرض فيها من صور خليعة، وأمراض أخلاقية فتاكة تقتل ما في الإنسان من رجولية، أو مروءة، أو ديانة، وإنها والله فح نضبه لنا أعداؤنا ليذهبوا ما فينا من حماسة أخلاقية امتاز المسلمون فيها على غيرهم، وقد أدركوا ما يريدون من كثير من أبناء المسلمين بسببها، فلا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(٣)</sup>.

(١) برقم ٥٥٩٠.

(٢) برقم ٦٠٦٩ وصحيح مسلم برقم ٢٩٩٠.

(٣) الرسالة الثالثة من الشيخ عبد الله بن حميد إلى الملك فيصل رحمهما الله، نُشرت في كتاب الدرر السنوية المجلد الخامس عشر.

وسُئلت اللجنة الدائمة: هل يجوز للمسلم أن ينيي سينما ويدير أعماله بيده؟

فأجابت: «لا يجوز لمسلم أن ينيي سينما، ولا أن يدير أعمال سينما له، أو لغيره لما فيها من اللهو المحرم؛ ولأن السينمات المعروفة عنها في العالم اليوم أنها تعرض صوراً خلية، ومناظر فتانة، تثير الغرائز الجنسية، وتدعو للمجون، وفساد الأخلاق، وكثيراً ما تجمع بين نساء، ورجال غير محارم لهن»<sup>(١)</sup>.

وجاء في خطاب الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ إِلَى وزير الإعلام: «وأما السينمات فلا يسمح لذويها بعرضها في أماكن عامة مطلقاً، وَمَنْ يُقْبَضُ عَلَيْهِ يُجَازَ بمصادرة الآلة، والأفلام، والسجن، والجلد»<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

العنصر الثالث: شبهة والجواب عنها.

قد يقول قائل: إن السينما التي تُعرض الآن ليس فيها إثارة جنسية ولا اختلاط واضح بين الرجال، والنساء، ومن الممكن أن تكون تحت ضوابط إسلامية.

فالجواب عن ذلك: أن أهل الشر يتدرجون شيئاً فشيئاً، قد يتنازلون عن بعض الأمور حتى يحصلون بعد ذلك على ما يريدون، وهذا دَيْدَنُهُمْ دائماً، شيئاً فشيئاً حتى تصبح السينما عندنا كبقية الدول

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/٢٧٧) برقم ٣٥٠١.

(٢) الدرر السنوية المجلد السادس عشر.

(٣) انظر: ما كتبه أخونا د. سليمان الجربوع في كتابه عندما يكون الترفيه مصيدة - السينما أنموذجاً فقد أجاد وأفاد.

الأخرى تُعرض بكل ما فيها من اختلاط بين الرجال، والنساء، وفسق، وإضاعة للصلوات، ومشاهد فاضحة.. وغير ذلك من الشرور والمفاسد مما ينكره كل مسلم عاقل يرجو الله والدار الآخرة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة السادسة والعشرون

فوائد من قوله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ  
وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... ﴾ الآية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يخبر تعالى إخباراً عاماً يعلم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، كقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [٢٦] وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٢٧] [الرحمن: ٢٦-٢٧]. فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، ويتفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخراً كما كان أولاً، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدة، وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم، وانتهت البرية، أقام الله القيامة، وجازى الخلائق بأعمالها، جليلها وحقيرها، كثيرها وقليلها،

كبيرها وصغيرها، فلا يظلم أحداً مثقال ذرة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١).

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أن الإنسان مهما طال عمره في هذه الحياة، فإن الموت نهاية كل حي ومصيره، قال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

قال الشاعر:

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ      يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولٍ  
وقال آخر:

الموتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ      فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْمَوْتِ مَا الدَّارُ

روى الطبراني في معجمه الأوسط من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جاء جبريل، فقال: يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ، فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» (٢).

ثانياً: إن الله لا يظلم الناس شيئاً، بل يُوفِّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٤-٢٨٥).

(٢) معجم الطبراني في الأوسط (٤/ ٣٠٦) برقم ٤٢٧٨ وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١/ ٤٨٥) برقم ٩١٨ إسناده حسن، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٨٣١.

﴿٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿١١٢﴾ [طه: ١١٢].

ثالثاً: أن الفوز الذي يحصل بالنجاة من النار، ودخول الجنة له من الأعمال سببٌ يُوصل إليه، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَتَاتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ، الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: دلت الآية الكريمة على حقارة الدنيا وأنها متاعٌ زائلٌ فانٍ، وما يؤثرها على الآخرة الباقية إلا مبخوس الحظ، ضعيف العقل، قال الله تعالى عن هؤلاء: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿٦٠﴾ [القصص: ٦٠].

روى مسلم في صحيحه من حديث مستورد أخي بني فهر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ (وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ) فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعُ»<sup>(٢)</sup>. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ قال: هي متاعٌ متروكةٌ أو شكت، والله الذي لا إله إلا هو، أن تَصْمَحِلَّ عن أهلها، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.

(١) جزء من حديث برقم ١٨٤٤.

(٢) برقم ٢٨٥٨.

خامساً: أن الفوز الحقيقي هو دخول الجنة، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [١٦]. وقال تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥].

سادساً: في الآية الكريمة إخباره تعالى - وهو حقٌ وصدقٌ - أن الموت حقٌ على كل نفس، فاليقين بذلك والإكثار من ذكره دأب الأكياس من المؤمنين؛ لأن ذلك يحملهم على الاستعداد له، وعدم الاغترار بالدنيا، والتخلص من الذنوب والسيئات، فروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ الْمَوْتِ»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أَوْلَيْكَ الْأَكْيَاسُ»<sup>(٢)</sup>.

سابعاً: في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

(١) برقم ٢٣٠٧ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٦) برقم ١٨٧٧.

(٢) برقم ٤٢٥٩ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٣٨٤.

تسلية للمؤمنين فيما يصيبهم في الدنيا، وما يصبرون عليه من فعل الخير، ومجاهدة النفس، والصبر على الأذى، والرضى بالقضاء، فإن الوفاء الأعظم إنما يكون يوم القيامة، وفيها أيضاً تحذير الكفار والظالمين والعاصين من عاقبة الإمهال، فإن الوفاء الأعظم إنما يكون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴾ [الحجر: ٣]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة السابعة والعشرون

البكاء من خشية الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن البكاء من خشية الله دليل على إيمان العبد وخوفه من الله، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۗ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۗ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]. وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۗ﴾ [مريم: ٥٨].

وقد أثنى الله على المؤمنين أصحاب القلوب الرقيقة، الذين لا يملكون أنفسهم من الدمع عند سماع آيات الرحمن، أو خوف فوات عمل صالح يُحبونه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۗ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ۗ﴾ [التوبة: ٩٢].

والبكاء من خشية الله سببٌ للاستئلال بعرش الرحمن، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ - ذَكَرَ مِنْهُمْ: - وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»<sup>(١)</sup>.

والبكاء من خشية الله من أحب الأعمال إلى الله، روى الترمذي في سننه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثْرَيْنِ، قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةٌ دَمٍ تُهْرَأُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثْرَانِ فَأَثْرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثْرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

والبكاء من خشية الله سببٌ للنجاة، روى الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ، وَابْكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ»<sup>(٣)</sup>.

والبكاء من خشية الله من أسباب التحريم على النار، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَلْجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ»<sup>(٤)</sup>. فقلوله: «لَا يَلْجُ»: أي

(١) برقم ١٤٢٣ وصحيح مسلم برقم ١٠٣١ وقال الحافظ في الفتح (١٤٤/٢) وعند سعيد بن منصور بإسناد حسن عن سلمان رضي الله عنه سبعة يظلهم الله في ظل عرشه.

(٢) برقم ١٦٦٩ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (١٣٣/٢) برقم ١٣٦٣.

(٣) برقم ٢٤٠٦ وقال الترمذي هذا حديث حسن.

(٤) برقم ١٦٣٣ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

لا يدخل، «حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ»: كناية عن استحالة ذلك.  
من أسباب البكاء من خشية الله:

١- ذكر الموت: روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَكْثَرُ مَا ذَكَرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ - يَعْنِي الْمَوْتَ -» (١).  
فإذا ذكر المؤمن الموت رقق قلبه، ودمعت عينه، وزهد في دنياه.

٢- قراءة القرآن بتدبر، والاستماع إليه بخشوع: روى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ» (٢). وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأَتِ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، رَفَعَتْ رَأْسِي، أَوْ عَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ (٣).

٣- زيارة القبور، وتذكر الآخرة: روى الحاكم في المستدرک من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ إِلَّا فَزُورُوهَا، فَإِنَّهُ يَرِقُّ الْقَلْبُ، وَتَدْمَعُ

(١) برقم ٢٣٠٧ قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) برقم ٩٠٤ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ١٧٠) برقم ٧٩٩.

(٣) برقم ٤٥٨٢ وصحيح مسلم برقم ٨٠٠ واللفظ له.

العين، وتُذَكَّرُ الآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن ماجه في سننه من حديث البراء رضي عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَيَّ شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا»<sup>(٢)</sup>. فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي حتى تبل دموعه الثرى وهو سيد الأولين والآخرين، المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بنا نحن المذنبين المقصرين؟ نسأل الله تعالى أن يعاملنا بعفوه ولطفه.

وروى الترمذي في سننه من حديث هانئ مولى عثمان رضي عنه قال: «كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكَى حَتَّى يُبَلَّ لِحَيْتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذَكِّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلَ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»، قَالَ: وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

٤- التباكي: وهو منزلة دون البكاء وهو مجاهدة النفس في البكاء، قال ابن القيم رحمته الله بعد ذكره أنواع البكاء: «وما كان منه مستدعى متكلفاً وهو التباكي، وهو نوعان: محمود ومذموم،

(١) (٧١١/١) برقم ١٤٣٣ وقال محقق المستدرک حديث حسن صحيح وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الجامع الصغير برقم ٤٥٨٤.

(٢) برقم ٤١٩٥ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٣٨٣.

(٣) برقم ٢٣٠٨ وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٧) برقم ١٨٧٨.

فالمحمود يُستجلبُ لرقّة القلب وخشية الله لا للرياء والسمعة، والمذموم: أن يجتلب لأجل الخلق، وقد قال عمر بن الخطاب للنبي ﷺ وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسارى بدر: «أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما»، ولم يُنكر عليه ﷺ<sup>(١)</sup> «(٢)».

ولعل من أعظم أسباب جفاف العين، وعدم البكاء من خشية الله قسوة القلب، وما ضربَ عبدٌ بعقوبةٍ أعظم من قسوة القلب، بل ما خُلقت النار إلا لإذابة القلوب القاسية، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

فعلى العبد أن يذيب هذه القسوة بذكر الله، وزيارة القبور، وتذكر الموت والآخرة وأهوالها<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح مسلم برقم ١٧٦٣.

(٢) زاد المعاد (١/١٧٨).

(٣) انظر رسالة أخينا الشيخ عبد الهادي وهي «البكاء من خشية الله»، فقد أجاد وأفاد.



## الأخوة الإسلامية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أقوى الروابط بين الناس الأخوة الإسلامية، فإنها تجمع بين المسلمين، وإن كانوا من أماكن متفرقة، وبلاد بعيدة، وجنسيات مختلفة، وقبائل شتى، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال النبي ﷺ: «أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»<sup>(١)</sup>.

والأخوة الإسلامية لها حقوق وواجبات، منها:

أولاً: أن يكون المسلم نصيراً، ومعيناً لأخيه المسلم، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢]. وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ التَّصَرُّ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

(١) مسند الإمام أحمد (٣٨/٤٧٤) برقم ٢٣٤٨٩ وقال محققوه إسناده صحيح.

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أن لا يظلم المسلم أخاه بأي نوع من أنواع الظلم وإن قلَّ،  
روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبة الوداع: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ»<sup>(٣)</sup> وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: من لوازم الأخوة الإسلامية أن يرحم بعضهم بعضاً ويحب بعضهم بعضاً، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك مثلاً في غاية البيان على أن الأخوة الإسلامية لا نظير لها في جميع العلاقات التي تربط الناس بعضهم ببعض.

ففي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطِفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ،

(١) برقم ٢٤٤٣.

(٢) برقم ٤٤٠٣ وصحيح مسلم برقم ٦٦ مختصراً.

(٣) أي يترك نصرته.

(٤) برقم ٢٥٦٤.

إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوٌّ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» (١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» (٢).

رابعاً: النصيحة: فينصح المسلم أخاه المسلم في أمر دينه ودنياه، ومن ذلك: تعليم الجاهل والمشورة عليه بالخير، والنصح له في ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أعظم أبوابه الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الشرك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جرير رضي عنه قال: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» (٣). وهذه النصيحة هي التواصي بالحق الذي جاء في سورة العصر إذ يقول تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١-٣].

خامساً: رد السلام عليه، وإجابة دعوته، وتشميته إذا عطس، وزيارته عند المرض، واتباع جنازته، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»، قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا

(١) برقم ٦٠١١ وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٦ واللفظ له.

(٢) برقم ٤٨١ وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٥ واللفظ له.

(٣) برقم ٥٧ وصحيح مسلم برقم ٥٦.

دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَاَنْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»<sup>(١)</sup>.

سادساً: أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء في الكتاب والسنة الحث على الأمور التي تقوي الروابط بين المسلمين، وتجلب المودة، وتزيل الأحقاد، وتذهب سخائم النفوس، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمْهُ إِيَّاهُ»<sup>(٤)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث صفوان بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) برقم ٢١٦٢.

(٢) برقم ١٣ وصحيح مسلم برقم ٤٥.

(٣) برقم ٥٤.

(٤) برقم ٢٣٩٢ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٥) برقم ٢٧٣٣.

وفي التنزيل المبارك: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].  
 وإخواننا في فلسطين، وأفغانستان، والعراق، والشيشان، وكشمير، وغيرها من بلاد المسلمين يعانون من القتل، والتشريد، والتعذيب، وسلب الممتلكات، فندعو الله أن يكشف ما بهم من ضر، وأن يرد كيد الأعداء في نحورهم.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رحمته الله: «المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء، والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فَلَاتَّبَاعِهِ مِنَ الْمَوَاسَاةِ بِحَسَبِ اتِّبَاعِهِمْ لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

والحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام، وملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبناها على أمرين:

أولهما: الإخلاص لله وثانيهما: الموالاتة، والمعاداة فيه،

(١) جزء من حديث صحيح البخاري برقم ٢٤٤٢ وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٠.

(٢) الفوائد (٢٤٦-٢٤٧).

فالمسلم أخو المسلم، وإن كان من أقصى الأرض، والكافر عدو، وإن كان من أمه وأبيه، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. ووصف الله نبيه محمداً ﷺ وأصحابه فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقد خالف هذا النهج القويم بعض المنتسبين للإسلام فأبعدوا المسلم وأقصوه، وقربوا الكافر وأدنوه، ومن ذلك ما يحدث في بعض الشركات والمؤسسات، فتكون المرتبة والراتب الأعظم للكافر، وإن كان المسلم أحسن أداءً، وأفضل عملاً، بل ربما جعل الكافر رئيساً للمسلم.. فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وقد بين تعالى أن هذا الفعل سبب لنشر الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة التاسعة والعشرون

فوائد من قوله تعالى

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾: أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال، والسعر، والسحب على النار على وجوههم مع التوبيخ والتفريع والتهديد»<sup>(١)</sup>. اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «التقوى هي فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه»<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿ جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ أي بساتين جامعة للأشجار، وسميت جنة لأنها تُجَنُّ من فيها أي تستره لكثرة أشجارها، وأغصانها، والأنهار التي تجري من تحتها أي من أسفلها وتحت القصور والأشجار على أربعة أصناف، ذكرها الله بقوله: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ

(١) تفسير ابن كثير (١٣/٣١٠).

(٢) الفتاوى (١٠/٦٦٧).

ءَاسِنٍ وَأَنْهَرٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّرْبِ بَيْنَ وَأَنْهَرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى<sup>ط</sup>  
وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ  
أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ [محمد: ١٥] (١).

قوله: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ﴾ أي في دار كرامة الله  
ورضوانه عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو  
مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون، روى مسلم في صحيحه  
من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ  
عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عز وجل، وَكِلْتَا يَدَيْهِ  
يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» (٢).

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: أن التقوى سبب للفوز بالجنة والنجاة من النار، قال تعالى:  
﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ  
الظَّالِمِينَ فِيهَا جَحِيمًا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١-٧٢]. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي  
نُورِتُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣].

ثانياً: أن كلمة جنات، جاءت بصيغة الجمع، وهذا يدل على أنها  
أكثر من جنة، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أم حارثة رضي الله عنها  
أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالت: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ،  
وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ

(١) من أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين ص ١٢٨.

(٢) برقم ١٨٢٧.

كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنِكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: أن في الجنة أنهاراً، ولكنها تختلف عما في الدنيا اختلافاً عظيماً لا يمكن أن يدركه الإنسان، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يشبه شيء في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء»<sup>(٢)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَافْرُؤُوا إِن شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: أن الله تعالى وصف حال المتقين بأنهم في مقعد صدق، قال القرطبي: «﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: أي مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، وهو الجنة كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾<sup>(٢٥)</sup> إِلَّا قِيلاً سَلَمًا سَلَمًا<sup>(٢٦)</sup>» [الواقعة: ٢٥-٢٦].

خامساً: إثبات قدرة الله تعالى على كل شيء، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ، قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢٥٩)</sup> [البقرة: ٢٥٩]. روى مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود في قصة الرجل الذي هو

(١) برقم ٢٨٠٩.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٢٢).

(٣) برقم ٣٢٤٤ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٤.

آخر من يدخل الجنة، وجاء فيه أن الله تعالى يقول له: «أَيْرُضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا..» وفي رواية البخاري: «وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا، قَالَ يَا رَبِّ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم ٦٥٧١ وصحيح مسلم برقم ١٨٦.



## قبول العمل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»<sup>(١)</sup>.

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة يخشون أن تحبط أعمالهم، وألا تقبل منهم لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قال عبد الله بن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من

(١) برقم ٣١٧٥ وصححه الألباني رحمته الله في صحيح الترمذي (٧٩/٣) برقم ٢٥٣٧.

أصحاب النبي ﷺ كلهم يخشى النفاق على نفسه ما منهم من أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل<sup>(١)</sup>، قال أبو الدرداء: لئن أستيقن أن الله تَقَبَّلَ مني صلاةً واحدةً أَحَبُّ إِلَيَّ من الدنيا وما فيها؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]»<sup>(٢)</sup>.

قال علي رضي الله عنه: «كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾». قال ابن عطية: «المراد بالتقوى: اتقاء الشرك بإجماع أهل السنة، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة». وأما المتقي للشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول، والختم بالرحمة علم ذلك بأخبار الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. قال الفضيل بن عياض: «﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أخلصه وأصوبه، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة»<sup>(٤)</sup>.

قال أهل العلم: إن العمل لا يُقبل إلا بشرطين:

الأول: أن يكون العمل موافقاً لما شرعه الله في كتابه، أو بينه رسول الله ﷺ، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ

(١) صحيح البخاري باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(٢) تفسير ابن كثير (١٦٦/٥) وقال محققوه ورواه ابن أبي حاتم وإسناده حسن.

(٣) تفسير القرطبي (٤١١/٧).

(٤) مدارج السالكين (٦٩/٢).

قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup>. أي مردود غير مقبول، وروى أبو داود والترمذي في سننهما من حديث العرباض ابن سارية رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: أن يكون العمل خالصاً لوجه الله، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(١١٠)</sup> [الكهف: ١١٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعند أهل السنة والجماعة يُتَقَبَّلُ العمل مِمَّن اتقى الله فيه، فَعَمِلَهُ خَالِصًا لِلَّهِ مُوَافِقًا لِأَمْرِ اللَّهِ، فَمَنْ اتَّقَاهُ فِي عَمَلٍ تَقَبَّلَهُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ عَاصِيًا فِي غَيْرِهِ، وَمَنْ لَمْ يَتَّقِهِ فِيهِ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ مُطِيعًا فِي غَيْرِهِ»<sup>(٤)</sup>، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فلو كانت الحسنة لا تُقبل من صاحب السيئة لم تمحها.

(١) برقم ٢٦٩٧ وصحيح مسلم برقم ١٧١٨ واللفظ له.

(٢) برقم ٤٦٠٧ والترمذي برقم ٢٦٧٦ وقال حديث حسن صحيح.

(٣) رقم ١ وصحيح مسلم برقم ١٩٠٧.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠/٣٢٢.

ولا ينبغي للمؤمن أن يحتقر العمل وإن كان قليلاً، فقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال: «لَا تُحَقِّرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>، فقد يُقبل هذا العمل ويكون سبباً لدخوله الجنة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَزَعَتْ مُوقَهَا، فَسَقَتْهُ فَعُفِّرَ لَهَا بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر: «ينبغي للمرء أن لا يزهّد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنه التي يرحمه الله بها، ولا السيئه التي يسخط عليه بها»<sup>(٤)</sup>.

وقد لا يُقبلُ العمل وإن كان كثيراً في نظر صاحبه، إما لِعُجْبٍ، أو رِيَاءٍ، أو غُرُورٍ، أو منةٍ صاحبت ذلك العمل، فكانت سبباً لِرَدِّهِ، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾<sup>(٢٦٤)</sup> [البقرة: ٢٦٤].

وأعظم موانع قبول العمل: الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) صحيح مسلم برقم ٢٦٢٦.

(٢) برقم ٣٤٦٧ وصحيح مسلم برقم ٢٢٤٥.

(٣) برقم ١٩١٤ وأخرجه البخاري برقم ٢٤٧٢ بنحوه.

(٤) فتح الباري (١١/٣٢١).

وَمَا تَوْأَمَهُمْ كَفَارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ﴿٩١﴾ [آل عمران: ٩١]. فمن تَعَبَّدَ لله بدين غير دين الإسلام فلن تقبل منه أعماله ولو كثرت، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومن أسباب قبول العمل: الدعاء، قال تعالى عن نبي الله إبراهيم: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ومنها الاستغفار، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وكان النبي ﷺ إذا فرغ من صلاته قال: «اسْتَغْفِرَ اللَّهُ» ثلاثاً، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»<sup>(١)</sup>.

ومن علامات قبول العمل أن يتبع الحسنة بحسنة مثلها، كما قال بعض السلف: «الحسنة تقول أختي أختي، والمعصية تقول أختي أختي». ومصدق هذا في قوله ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها استشعار المؤمن لتقصيره في عمله ومنة الله عليه، وتوفيقه لهذا العمل، وأنه لولاه لما حصل، قال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا

(١) صحيح مسلم برقم ٥٩١.

(٢) برقم ٦٠٩٤ وصحيح مسلم برقم ٢٦٠٧ واللفظ له.

قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾  
[الحجرات: ١٧].

ومنها أن يحسَّ العبد بلذة العبادة فتكون أنسه وراحته، كما قال ﷺ: «قُمْ يَا بَلَاءُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>. وقد ذكر الله ﷻ ذلك فقال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

قال بعض أهل العلم: خفة الطاعة من آثار محبة المطاع وإجلاله، فإن قرة عين المحب في طاعة المحبوب، ففي الحديث: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(٢)</sup>. لما فيها من المؤانسة، ولذة القرب وأنس المناجاة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سنن أبي داود برقم ٤٩٨٦ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٩٤١) برقم ٤١٧١.

(٢) سنن النسائي برقم ٣٩٣٩ وصححه الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي صحيح سنن النسائي برقم (٣/٨٢٧) برقم ٣٦٨٠.

الكلمة الحادية والثلاثون

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن برَّ الوالدين من أعظم الفرائض والواجبات، ولذلك قرَّنه الله بعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [٢٣] وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [٢٤] [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وأخبر النبي ﷺ أن برَّ الوالدين أفضل من الجهاد في سبيل الله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَوَقْتُهَا»، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن

(١) برقم ٥٢٧ وصحيح مسلم برقم ٨٥.

عمرو رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحْيِي وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية لأبي داود عنه قال: جِئْتُ أَبَايَ عَلِيَّ عَلَى الْهَجْرَةِ وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: «ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأُضْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتُهُمَا»<sup>(٢)</sup>.

قال جمهور العلماء: «يُحْرَمُ الْجِهَادُ إِذَا امْتَنَعَ الْأَبَوَانِ أَوْ أَحَدَهُمَا بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَا مُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ بَرَهُمَا فَرَضُ عَيْنٍ، وَالْجِهَادُ فَرَضُ كِفَايَةٍ، فَإِذَا تَعَيَّنَ الْجِهَادُ فَلَا إِذْنَ»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

والوالد أوسط أبواب الجنة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي الدرداء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ»<sup>(٤)</sup>.

وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخسارة من أدرك أبويه عند الكبر فلم يدخله الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ»، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»<sup>(٥)</sup>.

وقد ذكر الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أنبيائه أنهم كانوا بررة بوالديهم، قال

(١) برقم ٣٠٠٤ وصحيح مسلم برقم ٢٥٤٩.

(٢) برقم ٢٥٢٨ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/٤٨٠-٤٨١) برقم ٢٢٠٥.

(٣) فتح الباري (٦/١٤٠-١٤١).

(٤) برقم ١٩٠٠ وقال الترمذي هذا حديث صحيح.

(٥) برقم ٢٥٥١.

تعالى عن نبي الله يحيى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (١٤) ﴿مريم: ١٤﴾، وقال تعالى عن نبي الله عيسى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (٣٢) ﴿مريم: ٣٢﴾.

والأم لها أعظم الحقوق بعد حق الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ وبيّن العلة في ذلك حثاً للأولاد على الاعتناء بهذه الوصية، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي ضعفاً على ضعف، ومشقة على مشقة في الحمل، وعند الولادة، ثم حضنه في حجرها وإرضاعه قبل فطامه، فقال تعالى: ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (١٤) ﴿لقمان: ١٤﴾ (١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ» (٢).

وروى النسائي وابن ماجه في سننهما من حديث معاوية ابن جاهمة رضي الله عنه: «أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «وَيْحَكَ أَحْيِيَّةُ أُمُّكَ؟!»، قلت: نعم، قال: «ارْجِعْ فَبِرِّهَا..» وفي آخر الحديث قال: «وَيْحَكَ الزَّمِ رَجُلَهَا فَتَمَّ الْجَنَّةُ» (٣).

(١) خطب الشيخ ابن عثيمين (٢٩٤/٥).

(٢) برقم ٥٩٧١ وصحيح مسلم برقم ٢٥٤٨.

(٣) برقم ٣١٠٤ وسنن ابن ماجه برقم ٢٧٨١ واللفظ له وصححه الألباني رحمته الله في صحيح سنن النسائي (٦٥١/٢) برقم ٢٩٠٨.

ولقد أوصى الله تعالى بصحبة الوالدين بالمعروف، وإن كانا كافرين، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، وفي الصحيحين من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قَدِمْتُ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ»<sup>(١)</sup>.

ومهما قدم الولد من إحسان فلا يستطيع رد جميل الوالدين، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ورضا الله في رضا الوالدين، روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «رَضِيَ الرَّبُّ فِي رَضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»<sup>(٣)</sup>.

وعقوق الوالدين من أكبر الكبائر لما فيه من عدم الوفاء ونكران الجميل، ويكفي أن النبي ﷺ قرنه بالشرك، وهو أعظم الذنوب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُنبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ ثَلَاثًا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) برقم ٢٦٢٠ وصحيح مسلم برقم ١٠٠٣.

(٢) برقم ١٥١٠.

(٣) برقم ١٨٩٩ وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٤٤) برقم ٥١٦.

(٤) برقم ٢٦٥٤ وصحيح مسلم برقم ٨٧.

وعقوق الوالدين سبب لدخول العبد النار، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَبَعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ»<sup>(١)</sup>.

«وبر الوالدين يكون ببذل المعروف، والإحسان إليهما بالقول، والفعل، والمال، أما الإحسان إليهما بالقول: بأن يخاطبا باللين واللفظ مستصحباً كل لفظ يدل على اللين والتكريم، وأما الإحسان بالفعل، بأن تخدمهما ببدنك ما استطعت من قضاء الحوائج، والمساعدة على شؤونهما، وتيسير أمورهما، وطاعتهما في غير ما يضرك في دينك أو دنياك، ثم الإحسان بالمال بأن تبذل لهما من مالك كل ما يحتاجان إليه طيبة به نفسك، منسرحاً به صدرك، غير متبع له بمنة، بل تبذله وأنت ترى أن المنة لهما في قبوله والانتفاع به»<sup>(٢)</sup>.

ومن بر الوالدين بعد موتهما: الدعاء لهما، قال تعالى عن نبي الله نوح: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾<sup>(٢٨)</sup> [نوح: ٢٨] روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

ومنها الصدقة عنهما، روى البخاري ومسلم في صحيحهما

(١) (٣٧٣/٣١) برقم ١٩٠٢٧ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٢) خطب الشيخ ابن عثيمين (٢٩٦-٢٩٧).

(٣) برقم ١٦٣١.

من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أُمَّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، وَأَظْنُهَا لَوْ تَكَلَّمْتَ تَصَدَّقْتَ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»<sup>(١)</sup>.

ومنها صلة أصدقائهما، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ، وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَبْرَّ الْبَرِّ: صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١٣٨٨ وصحيح مسلم برقم ١٠٠٤.

(٢) برقم ٢٥٥٢.

الكلمة الثانية والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ... ﴾ الآية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

يقول تعالى أمراً رسوله أن يتوعد من آثر أهله، وقرابته، وعشيرته على الله ورسوله، وجهاد في سبيله: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ [٢٤] ثم قال: ﴿ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾: أي اكتسبتموها وحصلتموها، ﴿ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾: أي فسادها، ونقصها، وهذا يشمل جميع أنواع التجارات، والمكاسب، والأنعام، وغيرها، ﴿ وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا ﴾: أي تحبونها لطيبها وحسنها، أي إن كانت هذه الأشياء ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾، ﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾: أي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله، ولهذا قال: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي الخارجين عن

طاعته، المُقَدِّمِينَ عَلَى محبة الله شيئاً من المذكورات، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله»<sup>(١)</sup>.

روى البخاري في صحيحه من حديث زهرة بن معبد عن جده عبد الله بن هشام رضي عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «الآنَ يَا عُمَرُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس ابن مالك رضي عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(٣)</sup>.

ومن فوائد الآية الكريمة:

أولاً: أن محبة الله ورسوله دليل على كمال الإيمان، وحسن الإسلام، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ

(١) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي ص ٣٠٩ بتصرف.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٦٣٢.

(٣) برقم ١٥ وصحيح مسلم برقم ٤٤.

الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أن طاعة الله ورسوله مقدمة على الأهل، والمال، والولد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ثالثاً: أن ترك الجهاد في سبيل الله والخلود إلى الأرض سبب لغضب الله ووقوع الذل على المسلمين، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتُمُ إِلَى الْأَرْضِ ءَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

روى الإمام أبو داود في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: أن التكاسل عن الجهاد من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنُحِبِّدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ

(١) برقم ١٦ وصحيح مسلم برقم ٤٣.

(٢) برقم ٣٤٦٢ وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٢/١) برقم ١١.

بَأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ [آل عمران: ١٦٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»<sup>(١)</sup>.

خامساً: أن الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله سبب لنجاة العبد من عذاب الله، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَى تَجَرَّفِ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠-١١].

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن ابن جبر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمًا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ»<sup>(٢)</sup>.

سادساً: أن الجهاد من أفضل الأعمال؛ ولذلك قرنه الله بمحبة الله ورسوله كما في الآية السابقة: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ

(١) برقم ١٩١٠.

(٢) برقم ٢٨١١.

### الصَّائِمِ الْقَائِمِ»<sup>(١)</sup>.

سابعاً: أن فيها الترغيب في الجهاد والزهد في الدنيا، فإن الأهل والعشيرة والأموال والتجارات والمساكن، إنما هي متاع الدنيا الزائل، قال تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ [آل عمران: ١٤]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [١٦٩] فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٢٧٨٧ وصحيح مسلم ١٨٧٦ مختصراً آخره.



## تواضعه عليه الصلاة والسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأخلاق الجميلة والخصال الحميدة التي حث عليها الشرع ورغب فيها التواضع، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ﴾ [لقمان: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

والتواضع: هو خفض الجناح، ولين الجانب، ولا يكون فاعله محموداً إلا إذا فعله ابتغاء وجه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فلو تواضع ليرفعه الله سبحانه لم يكن متواضعاً، فإنه يكون مقصوده الرفعة، وذلك ينافي التواضع»<sup>(١)</sup>.  
 روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ» تنبيه على حسن القصد والإخلاص لله في تواضعه؛ لأن كثيراً من الناس قد

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٢٧٩).

(٢) برقم ٢٥٨٨.

يُظهر التواضع للأغنياء ليصيب من دنياهم، أو للرؤساء لينال بسببهم مطلوبه، وقد يُظهر التواضع رياء وسمعة، وكل هذه أغراض فاسدة، لا ينفع العبد إلا التواضع لله تقرباً إليه، وطلباً لثوابه وإحسانه إلى الخلق، فكمال الإحسان، وروحه الإخلاص لله»<sup>(١)</sup>(٢).

ونبينا محمد ﷺ إمام المتواضعين، روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فَلَانِ انْظُرِي أَيَّ السَّكِّكِ شِئْتِ؛ حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ»: فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، حَتَّى فَرَعَتْ مِنْ حَاجَتِهَا»<sup>(٣)</sup>.

وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»<sup>(٤)</sup>.

وروى البغوي في شرح السنة من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أَكَلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»<sup>(٥)</sup>.

وروى البغوي في شرح السنة من حديث عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِيَ جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ إِنَّ

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخبار (ص ٩٢).

(٢) الإخلاص طريق الخلاص لأخينا الشيخ عبد الهادي وهبي ص ٦٦-٦٧.

(٣) برقم ٢٣٢٦.

(٤) برقم ٦٠٧٢.

(٥) (٢٤٨/١٣) وحسنه الألباني في الصحيحة برقم ٥٤٤.

حُجْرَتُهُ<sup>(١)</sup> لَتَسَاوِي الكَعْبَةَ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا، فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعُ نَفْسَكَ، فَقُلْتُ: نَبِيًّا عَبْدًا...» الحديث<sup>(٢)</sup>.

ولما سُئِلت عائشة رضي الله عنها: «هَلْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، كَانَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيْطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وكان يقول: «اللَّهُمَّ أَحْنِيْ مَسْكِينًا، وَأَمْتِنِيْ مَسْكِينًا، وَأَحْشِرْنِيْ فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

ولما جاءه رجل فقال: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٥)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»<sup>(٦)</sup>. وهذا من تواضعه، وإلا فقد ابتلي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما لم يُبْتَلْ به أحد غيره.

(١) الحجزة: موضع شد الإزار، ثم قيل للإزار حجة للمجاورة، يقال: احتجز الرجل بالإزار إذا شده على وسطه. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/ ٣٤٤).

(٢) (٣٤٨/١٣) برقم ٣٦٨٣ وقال محققوه حديث صحيح.

(٣) شرح السنة للبخاري (١٣/ ٢٤٢) برقم ٣٦٧٥ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٤) سنن الترمذي ٢٣٥٢ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٧٥) برقم ١٩١٧.

(٥) صحيح مسلم برقم ٢٣٦٩.

(٦) برقم ٣٣٧٢ وصحيح مسلم برقم ١٥١.

وفي الصحيحين من حديث أبي بردة قال: «أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا، فَقَالَتْ: قُبِضَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَيْنِ»<sup>(١)</sup>.

والتواضع من صفات أنبياء الله، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْعَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»<sup>(٢)</sup>.

وحث النبي ﷺ أمته على التواضع وخفض الجناح، روى مسلم في صحيحه من حديث عياض المجاشعي رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»<sup>(٣)</sup>.

قال أبو بكر الصديق رضي عنه: «وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع»، وقالت عائشة رضي عنها: «تُغْفَلُونَ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ التَّوَاضِعَ».

ومن فوائد التواضع:

- ١- أنه طريق موصل إلى الجنة.
- ٢- إن الله يرفع قدر المتواضع في قلوب الناس، ويطيب ذكره في الأفواه، ويرفع درجته في الآخرة.

(١) برقم ٥٨١٨ وصحيح مسلم ٢٠٨٠.

(٢) برقم ٢٢٦٢.

(٣) برقم ٢٨٦٥.

- ٣- أن التواضع المحمود يكون للمؤمنين، أما أهل الدنيا والظلمة فإن التواضع لهم ذل.
- ٤- أن التواضع دليل على حسن الخلق وطيب المعشر.
- ٥- أن التواضع صفة الأنبياء والمرسلين<sup>(١)</sup>.
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٤/١٢٦٨).



### النسيان آفته، وفوائده

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا آلَ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥] قال المفسرون: إنه الترك، والمعنى: ترك ما أمر به، وقيل: من النسيان الذي يخالف الذكر.

روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الدِّينِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدَمَ ﷺ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ ذَارِيٌّ<sup>(١)</sup> إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ، فَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا يَزْهَرُ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، كَمْ عُمُرُهُ؟ قَالَ: سِتُّونَ عَامًا، قَالَ: رَبِّ زِدْ فِي عُمُرِهِ، قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ أَزِيدَهُ مِنْ عُمُرِكَ، وَكَانَ عُمُرُ آدَمَ أَلْفَ عَامٍ، فزَادَهُ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَكَتَبَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ بِذَلِكَ كِتَابًا، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، فَلَمَّا اخْتَضِرَ آدَمُ، وَأَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ لِتَقْبِضَهُ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ

(١) والذاري: من صفات الله ﷻ، وهو الذي ذرأ الخلق، أي خلقهم.

(٢) أي يضيء وجهه حسناً.

مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ عَامًا، فَقِيلَ: إِنَّكَ قَدْ وَهَبْتَهَا لِابْنِكَ دَاوُدَ، قَالَ: مَا فَعَلْتُ، وَأَبْرَزَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ»<sup>(١)</sup>، وفي رواية الترمذي: «وَنُسِّيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: «فَمِنْ يَوْمِئِذٍ أُمِرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ»<sup>(٣)</sup>.

قال بعض أهل اللغة: «النسيان ضد الذكر، والحفظ، وهو ترك الشيء على ذهول وغفلة»<sup>(٤)</sup>.

والنسيان أيضاً يُطلق على الترك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي لا تتركوا، وقال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ [طه: ١٢٦].

قال ابن كثير: «أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها، كذلك اليوم نعاملك معاملة من نسيك، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]. فالجزاء من جنس العمل»<sup>(٥)</sup>.

قال ابن جرير وغيره: «﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾، فكذلك اليوم ننسك، فترتك في النار»<sup>(٦)</sup>.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) مسند الإمام أحمد (٤/١٢٨) برقم ٢٢٧٠ وقال محققوه حسن لغيره.

(٢) برقم ٣٠٧٦ وقال حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح ابن حبان برقم ٦١٣٤.

(٤) مختار الصحاح للرازي ص ٦٥٨ والمعجم الوسيط ص ٩٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير (٩/٣٧٩).

(٦) تفسير ابن جرير الطبري (٧/٥٦٥٦).

قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأَسَوِّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي»<sup>(١)</sup>.

والنسيان صفة نقص، ولذلك نزه الله ﷺ عنها نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [٦٤] ﴿[مريم: ٦٤].

وقد رفع الله الحرج عن أمة محمد ﷺ فيما حصل لهم فيه نسيان، فعلمنا أن ندعو فنقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [٢٨٦] ﴿[البقرة: ٢٨٦] قال الله: «قَدْ فَعَلْتُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن ماجه في سننه من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ»<sup>(٤)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(١) برقم ٢٩٦٨.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٢٥.

(٣) برقم ٢٠٤٣ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٤٧/١) برقم ١٦٦٢.

(٤) صحيح البخاري برقم ٥٩٧ وصحيح مسلم ٦٨٤..

«مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا وَهُوَ صَائِمٌ فَلَيْتَمَّ صَوْمُهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ» (١).

وآفة العلم النسيان، قال عبد الله بن مسعود رضي عنه: «إن لكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان»، وقال الزهري: «آفة العلم النسيان وترك المذاكرة».

روى البخاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي عنه قال: «قَامَ فِيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَهُ» (٢).

وينبغي للمؤمن أن يكون على استعداد دائم للقاء ربه، وألا يكون في غفلة ونسيان، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [٢٤] ﴿الكهف: ٢٤﴾. والشيطان يُنسى المؤمن الخير والطاعة، قال نبي الله موسى فيما حكاه الله عنه: ﴿وَمَا أُنْسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [٦٣] ﴿الكهف: ٦٣﴾. وقال تعالى: ﴿أَسْتَحْذِرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَاُنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ﴾ [١٩] ﴿المجادلة: ١٩﴾. وقال تعالى: ﴿فَاُنْسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [٤٢] ﴿يوسف: ٤٢﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تُفْعَدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٦٨] ﴿الأنعام: ٦٨﴾.

### من الفوائد:

أولاً: رحمة الله بعباده عامة، وبأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة، حيث عُفي لها عن النسيان.

(١) صحيح البخاري برقم ٦٦٦٩ وصحيح مسلم ١١٥٥..

(٢) برقم ٣١٩٢.

ثانياً: من ترك شيئاً من الواجبات نسياناً، رُفِعَ عنه الإثم، وعليه أدائه إذا ذكر.

ثالثاً: النسيان من صفات النقص، والله تعالى مُنَزَّهٌ عنه.

رابعاً: النسيان سبب لضياع الحقوق، وذهاب العلم، من أجل ذلك أمر الله بكتابة الحقوق، والإشهاد عليها، وأمر الرسول ﷺ بكتابة العلم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ آجَلٍ مَّسْئُومٍ فَآكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

روى الحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ»، قُلْتُ: وَمَا تَقْيِيدُهُ؟ قَالَ: «كِتَابَتُهُ»<sup>(١)</sup>.

خامساً: من صفات المؤمن أنه يذكر ذنوبه، ويتوب منها، ويذكر الحقوق فيؤديها، ومن صفات الظالم أنه ينسى الذنوب، ويضيع الحقوق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

سادساً: الخوف على العلم أن يُنسى من صفات الأنبياء والصالحين، ولما خاف النبي ﷺ من نسيان القرآن طمأنه ربه

(١) (٣٠٣/١) برقم ٣٦٩ وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/٤١) برقم ٢٠٢٦.

فقال: ﴿سُنِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦]. وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾ [القيامة: ١٧].

سابعاً: نسيان القرآن ونحوه مذمة؛ ولذلك أرشد النبي ﷺ: «أَنْ لَا يَقُولَ الْمُؤْمِنُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: نُسِيتُ»<sup>(١)</sup>.

ثامناً: النسيان من وسائل الشيطان، ومن فضائل الرحمن، والفرق بينهما: أن الذي من الشيطان؛ نسيان الذكر والقرآن والخير، وما إلى ذلك من الحقوق، والذي يحبه الرحمن؛ نسيان الأحقاد وإساءة الأقارب، والأصدقاء، وسائر المؤمنين.

تاسعاً: إن النسيان يأتي بمعنى الترك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. وقال تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

قال ابن جرير وغيره: «تركوا الله أن يطيعوه، ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته»<sup>(٢)</sup>.

اللهم ذكرنا ما نسينا، وعلمنا ما جهلنا، وانفعنا بما علمتنا يا كريم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح البخاري برقم ٥٠٣٢ وصحيح مسلم برقم ٧٩٠.

(٢) تفسير ابن جرير (٥/٤٠٤٠).

الكلمة الخامسة والثلاثون

تأملات في قوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كَلَّا تُمِدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) ﴿ [الإسراء: ١٨-٢١].

«يبين تعالى حال الفريقين، ومصير الطائفتين، فأما الذين يريدون العاجلة وهي الدنيا، فإن الله تعالى يعطيهم فيها ما يشاء، ثم مصيرهم في الآخرة إلى جهنم ذليلين، خائبين؛ لأنهم لم يرجوا ثواب الله تعالى، ولم يخافوا عقابه، وأما الذين يريدون الآخرة، ويسعون لها سعيها، وذلك بالأعمال الصالحة وهم مع ذلك مؤمنين بالآخرة، وحسن ثواب الله لمن آمن به، وعمل صالحاً، فهو لاء يشكر الله سعيهم، فيعطيهم ما سألوا، ويؤمّنهم مما خافوا، ويدخلهم الجنة برحمته وفضله، ثم أخبر تعالى أنه فضل بعض العباد على بعض في

الدنيا بسعة الأرزاق، وقلتها، واليسر، والعسر، والعلم، والجهل، والعقل، والسفه، وغير ذلك من الأمور، ثم بين سبحانه أن الآخرة أكبر درجات، وأكبر تفضيلاً فلا نسبة لنعيم الدنيا ولذاتها إلى الآخرة بوجه من الوجوه، فكم بين من هو في الغرف العاليات واللذات المتنوعات، والسرور، والخيرات، ممن هو يتقلب في الجحيم، ويعذب العذاب الأليم، وقد حلَّ عليه سخط الرب العظيم، وكل من الدارين بين أهلها من التفاوت ما لا يمكن أحداً عدّه»<sup>(١)</sup>.

#### ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: أن من أراد الدنيا وسعى لها، وترك الآخرة فلم يعمل لها، فإنه قد يُعطى سُؤْلَهُ، فإذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له عند الله نصيب، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [١٥] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

روى الإمام الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ

(١) تفسير الشيخ السعدي ص ٤٣٠ بتصرف.

يَأْتِيهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ» (١).

ثانياً: أن التفاضل الحقيقي في الآخرة وليس في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]. وقال تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا فَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه: ٧٥].

روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «الجنة مائة درجة، كل درجة منها ما بين السماء والأرض، وإن أعلاها الفردوس، وإن أوسطها الفردوس، وإن العرش على الفردوس، منها تُفجر أنهار الجنة، فإذا ما سألتُم الله فسألوه الفردوس» (٢).

ورواه أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مئة عام»، وقال عفان: «كما بين السماء إلى الأرض» (٣).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدرّي الغابر من الأفق

(١) برقم ٢٤٦٥ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٠/٢) برقم ٢٠٠٥.

(٢) برقم ٤٣٣١ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٣٦/٢) برقم ٣٤٩٦ وفي الصحيحة برقم ٩٢٢.

(٣) (٣٦٩/٣٧) برقم ٢٢٦٩٥ وقال محققوه حديث صحيح.

مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضِلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
 تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،  
 رَجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: أن النار دركات، كما أن الجنة درجات، قال تعالى:  
 ﴿إِنَّ الْمُتَفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾<sup>(١٤٥)</sup>  
 [النساء: ١٤٥].

رابعاً: أن من أراد الآخرة وسعى لها سعيها، فإن الله يشبهه على  
 ذلك في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ  
 أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةًۭ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا  
 كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٧)</sup> [النحل: ٩٧].

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس أن النبي ﷺ قال:  
 «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي  
 الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا،  
 حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٣٢٥٦ وصحيح مسلم برقم ٢٨٣١.

(٢) برقم ٢٨٠٨.

الكلمة السادسة والثلاثون

عيادة المريض

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من الأعمال الصالحة التي أمر الشارع بها، ورتب على ذلك الثواب العظيم عيادة المريض، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب رضي عنه قال: أمرنا النبي ﷺ بِسَبْعِ: «أَمْرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى رضي عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَطْعَمُوا الْجَائِعَ، وَعَوَّدُوا الْمَرِيضَ، وَفَكُّوا الْعَانِي»<sup>(٢)</sup>،<sup>(٣)</sup>.

وعيادة المريض من حقوق المسلم على أخيه المسلم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا

(١) صحيح البخاري رقم ١٢٣٩ وصحيح مسلم برقم ٢٠٦٦.

(٢) العاني: يعني الأسير.

(٣) برقم ٥٣٧٣.

رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»<sup>(١)</sup>.

وبَيَّنَّ النبي ﷺ أن عيادة المسلم لأخيه المريض طريق إلى الجنة، روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «جَنَاهَا»<sup>(٢)</sup>. قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أَيُّ أَنَّهُ يَجْنِي مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ مَدَّةَ دَوَامِهِ جَالِسًا عِنْدَ هَذَا الْمَرِيضِ»<sup>(٣)</sup>.

وأخبر النبي ﷺ أن عيادة المسلم لأخيه المريض سبب لصلاة الملائكة عليه، روى الترمذي في سننه من حديث علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً، إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً، إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٤)</sup>. والغدوة ما بين الفجر وطلوع الشمس، والمراد أول النهار، والعشية من زوال الشمس إلى الغروب، والخريف أي بستان، وهو

(١) برقم ١٢٤٠ وصحيح مسلم برقم ٢١٦٢ واللفظ له.

(٢) برقم ٢٥٦٨.

(٣) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٧٠).

(٤) برقم ٩٦٩ قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقد روي عن علي هذا الحديث من غير وجه منهم من وقفه ولم يرفعه وصححه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٩٤٧ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ٢٨٦) برقم ٧٧٥.

في الأصل الثمر المخروف، أي: المجتنى.

قال القاضي عياض: وعيادة المريض من الطاعات المرغب فيها، العزيمة الأجر، وقد جاء فيها هذا الحديث وغيره، وقد يكون من فروض الكفاية لا سيما المريض من الغرباء، ومن لا قائم عليهم ولا كافل لهم، فلو تُرِكَت عيادتهم لهلكوا، وماتوا ضراً، وعطشاً وجوعاً، فعيادتهم تطلع على أحوالهم ويتذرع بها إلى معונتهم وإعانتهم، وهي كإغاثة الملهوف، وإنجاء الهالك، وتخليص الغريق، ومن حضرها لزمته، فمتى لم يُعَادُوا لم يعلم حالهم في ذلك<sup>(١)</sup>. اهـ.

ويستحب للعائد أن يدعو للمريض بالرحمة والمغفرة، والتطهير من الذنوب، والسلامة والعافية.

وللنبي ﷺ دعوات ينبغي على العائد أن يدعو بها لأنها صدرت من المعصوم ﷺ وقد أوتي مجامع الكلم<sup>(٢)</sup>.

فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُوذُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُوذُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ»<sup>(٣)</sup> إِنْ شَاءَ اللَّهُ<sup>(٤)</sup>.

ومن دعواته أيضاً: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٣٥).

(٢) كنوز رياض الصالحين (١١/٥٦١).

(٣) طهور: بفتح أوله أي مرضك مطهر لذنبك إن شاء الله.

(٤) برقم ٣٦١٦.

من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، أَوْ جُرْحٌ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَابَتَهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا: «بِاسْمِ اللَّهِ تَرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا»<sup>(١)</sup>.

ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَتَى الْمَرِيضَ يَدْعُو لَهُ قَالًا: «أَذْهَبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»<sup>(٢)</sup>.

ومنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَعَا لَهُ فِي مَرَضِهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا - ثَلَاثَ مَرَارٍ -»<sup>(٣)</sup>.

وعلم النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاص عندما شكاه إليه وجعاً، يجده في جسده منذ أسلم، فقال له: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ: سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»<sup>(٤)</sup>.

ومن الأدعية التي أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم عند عيادة المريض، ما روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

(١) برقم ٥٧٤٥ وصحيح مسلم برقم ٢١٩٤ واللفظ له.

(٢) برقم ٥٦٧٥ وصحيح مسلم برقم ٢١٩١.

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري برقم ٥٦٥٩ وصحيح مسلم برقم ١٦٢٨.

(٤) برقم ٢٢٠٢.

«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»<sup>(١)</sup>.

ومنها ما رواه أبو داود في سننه من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى صَلَاةٍ»<sup>(٢)</sup>.

ولعيادة المريض فوائد، فمن ذلك:

أولاً: الأجر العظيم من الله كما تقدّم ذلك في الأحاديث السابقة.

ثانياً: تنشيط قوى المريض بزيارة من يحبه.

ثالثاً: الدعاء له وتفقد أحواله التي لا تتحقق بغير العيادة.

رابعاً: تذكّر العائد نعمة الله عليه بالعافية التي حُرِمَ غيره منها.

خامساً: دعوته إلى الإسلام إذا كان من غير المسلمين، كما روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِيعَ أَبَا الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(١) برقم ٣١٠٦ وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٩٦٤ والألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٠٠/٢) برقم ٢٦٦٣.

(٢) برقم ٣١٠٧ وصححه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٩٦٣ والألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٠٠/٢) برقم ٢٦٦٤.

أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

سادساً: في بعض الأحيان يحصل وصف لبعض الأدوية التي يحتاجها المريض، فيكون في ذلك نفع وفائدة له.

سابعاً: إدخال السرور إلى قلب المريض بذكر بعض البشائر والأخبار السارة. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمد ابن خالد عن أبيه عن جده وكان لجدّه صحبة، أنه خرج زائراً لرجل من إخوانه فبلغه شكاته، قال: فدخل عليه، فقال: أتيتك زائراً، عائداً، ومبشراً، قال: كيف جمعت هذا كله؟ قال: خرجت وأنا أريد زيارتك، فبلغتني شكائك، فكانت عيادة، وأبشرك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ مَنَزَلَةٌ، لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ، ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنَزَلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

ثامناً: بث روح المودة، والمحبة والتألف بين المجتمع، وذلك بمواساة المريض، وأهله وإشعارهم بأن المجتمع معهم يواسيهم، ويشاركهم ما هم فيه من تعب ومحنة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ١٣٥٦.

(٢) (٢٩/٣٧) برقم ٢٢٣٣٨ وقال محققوه حسن لغيره.

## الرياء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أعظم الذنوب عند الله الشرك به سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [٤] الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ [٥] الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ [٦] وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ [٧] [الماعون: ٤-٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا الشرك بحر لا ساحل له، وقَلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير التقرب إلى الله تعالى فقد أشرك في إرادته، ونيته، والإخلاص: أن يخلص لله في أقواله، وأفعاله، ونيته، وإرادته، فإن هذه هي الملة الحنيفية، ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحدٍ غيرها، وهي حقيقة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [٨٥] [آل عمران: ٨٥]. وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء» (٣). اهـ.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جندب ابن عبد الله رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

والرياء من الرؤية، وهو أن يحب الإنسان أن يراه الناس وهو يعمل العمل الصالح من أجل أن يمدحوه، والفرق بينه وبين السمعة، أن الرياء فيما يُرى من الأعمال التي ظاهرها لله وباطنها لغيره كالصلاة والصدقة، أما السمعة فهي لما يسمع من الأقوال التي ظاهرها لله والقصد منها لغير الله، كالقراءة، والذكر، والوعظ، وغير ذلك من الأقوال، وقصد المتكلم أن يسمع الناس كلامه فيثنوا عليه ويقولوا: هو جيد في الكلام والمحاورة، حسن الصوت في القرآن، إذ كان يُحسن صوته بالقرآن لأجل ذلك، أو بليغ في خطبته إذا كان يُحسن خطبته لأجل ذلك.. وهكذا<sup>(٢)</sup>.

ومعنى راءى الله به، وسمّع، قال بعض أهل العلم: إن الله يفضحه يوم القيامة، كما في مسند الإمام أحمد من حديث أبي هند الداري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمِعَ، رَأَى اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمِعَ»<sup>(٣)</sup>.

والرياء يحصل إما من أجل مدح الناس وثنائهم، أو فراراً من ذمهم، كأن يُحسن صلاته حتى لا يُقال: مُسرِعٌ في صلاته، أو طمعاً مما

(١) برقم ٦٤٩٩ وصحيح مسلم برقم ٢٩٨٧.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان (٢/٩٠).

(٣) (٧/٣٧) برقم ٢٢٣٢٢ وقال محققوه صحيح لغيره.

في أيديهم، ويشهد لذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يُقاتل شجاعةً، ويُقاتل حميةً، ويُقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»<sup>(١)</sup>.

«فقوله: (شجاعةً): أي ليذكر ويشتهر بالشجاعة، ويُقاتل حمية: أي من أجل الأهل، والعشيرة، والصاحب، ويحتمل أن يفسر القتال للحمية بدفع المضرة، ويقاتل رياءً: أي ليرى مكانه، فمرجع الذي قبله إلى السمعة، ومرجع هذا إلى الرياء، وكلاهما مذموم»<sup>(٢)</sup>.

والرياء هو الشرك الخفي، روى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أيها الناس إياكم وشرك السرائر»، فقالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر»<sup>(٣)</sup>.

«وإنما سمي الرياء شركاً خفياً؛ لأن صاحبه يظهر عمله لله، وقد قصد به غيره أو شركه فيه، وزين صلاته لأجله، والنيات والمقاصد وأعمال القلوب لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى»<sup>(٤)</sup>.

(١) برقم ٢٨١٠ وصحيح مسلم برقم ١٩٠٤.

(٢) فتح الباري (٢٨/٦).

(٣) صحيح ابن خزيمة (٦٧/٢) برقم ٩٣٧ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٩/١) برقم ٣١.

(٤) الدين الخالص (٣٨٥/٢).

والرياء شرك أصغر، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ»، قالوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»<sup>(١)</sup>. يعني أنه يبطل أعمال المرئيين، وأنه يحيلهم على الذين رآوهم في الدنيا فيقال: انظروا هل يثبونكم، أي أولئك الذين تزينتم عندهم ورآيتموهم في الدنيا، هل تجدون عندهم ثواباً؟! قال الشاعر:

وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعْيَهُ إِذَا حُصِّلَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَصَائِلُ

والرياء سبب لدخول النار، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأْتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ؛ لِأَن يُقَالَ: جَرِيٌّ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأْتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ

(١) (٣٩/٣٩) برقم ٢٣٦٣٠ وقال محققوه حديث حسن.

أَمْرٍ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمْرٍ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب: «أول من تُسعر به النار من الموحدين العباد المرأون بأعمالهم، وأولهم العالم، والمجاهد، والمتصدق للرياء؛ لأن يسير الرياء شرك، ما نظر المرأئي إلى الخلق بعمله إلا لجعله بعظمة الخالق»<sup>(٢)</sup>.

وينبغي التنبه لأمرين:

الأول: أن سرور العبد عند ثناء الناس عليه وهو لا يقصد ذلك، لا يقدر في إخلاصه، ما دام بدأه بإخلاص، وخرج منه مخلصاً، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن رجب: «إذا عمل العمل لله خالصاً ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر

(١) صحيح مسلم برقم ١٩٠٥.

(٢) كلمة الإخلاص ص ٣٩.

(٣) برقم ٢٦٤٢.

بذلك لم يضره ذلك»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أن لا يترك المؤمن العمل من أجل الناس: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى، أو قيام ليل، أو غير ذلك، فإنه يصله حيث كان، ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعل سرّاً لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء، ومفسدات الإخلاص»<sup>(٢)</sup>.

#### الخلاصة:

أن الرياء مُحِبَطٌ للأعمال، وسبب لمقت الله، ولعنته، وطرده، وأنه من كبائر المهلكات، ومن الشرك الأصغر الذي لا يُغفر لصاحبه إذا مات عليه، بل يعذب بقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٤٨)</sup> [النساء: ٤٨]. فجدير بالمسلم أن يُشَمَّرَ عَنِ سَاعِدِ الْجِدِّ، وأن يجاهد نفسه بإزالتها، وإخلاص العمل لله في أقواله، وأفعاله، وإرادته، وأموره كلها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١٦٢)</sup> لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ<sup>(١٦٣)</sup> [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]<sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جامع العلوم والحكم (١/٨٣).

(٢) الفتاوى (٢/٢٦٣).

(٣) انظر كتاب أخينا الشيخ عبد الهادي وهبي: الإخلاص طريق الخلاص ص ٧٣-٩٠.

### تأملات في قوله تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
وَيُطِيعُونَ أُمَّةً وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١)  
وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ  
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٢) [التوبة: ٧١-٧٢].

قوله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ ﴾ . قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر  
السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: ذكورهم، وإناثهم بعضهم أولياء بعض في  
المحبة، والموالاتة، والانتماء والنصرة، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾، وهو  
اسم جامع لكل ما عرف حسنه من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة،  
والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ  
الْمُنْكَرِ ﴾، وهو كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة،

والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

قوله: ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي: لا يزالون ملازمين لطاعة الله، ورسوله على الدوام.

قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ أي: يدخلهم في رحمته ويشملهم بإحسانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي قوي قاهر مع قوته، فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به، الذي يُحمد على ما خلقه وأمر به، ثم ذكر ما أعد الله لهم من الثواب.

فقال: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ وهذه الجنة جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية لللبساتين الأنيقة التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى، ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴾ قد زخرت، وحسنت، وأعدت لعباد الله المتقين، قد طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلها، وجمعت من آلات المساكن العالية، ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفاً في غاية الصفاء والحسن يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فهذه المساكن الأنيقة التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح لأنها في جنات عدن، أي إقامة لا يظعنون عنها ولا يتحولون منها، ورضوان من الله يُحِلُّه على أهل الجنة أكبر مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، وهذا هو الفوز العظيم حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم

كل محذور - جعلنا الله معهم -»<sup>(١)</sup>.

ومن فوائد الآيتين الكريمتين:

أولاً: أن من صفات المؤمنين أنهم متناصرون، ومتعاضدون فيما بينهم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث النعمان بن بشير رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: عظم شأن الصلاة، والزكاة ومكانتهما العظيمة في الإسلام، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»<sup>(٤)</sup>.

رابعاً: أن طاعة الله ورسوله سبب لرحمة الله عز وجل، والفوز

(١) تفسير الشيخ السعدي ص ٣٤٣-٣٤٤ بتصرف.

(٢) برقم ٦٠١١ وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٦ واللفظ له.

(٣) برقم ٤٩.

(٤) برقم ٨ وصحيح مسلم برقم ١٦.

والفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

خامساً: أن هذه المساكن الطيبة في جنات عدن حسنة البناء، طيبة القرار، وهي درجات، ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكَبِيرِ عَلَيَّ وَجْهِي فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن ماجه في سننه وأصله في الصحيح من حديث معاذ بن جبل رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْجَنَّةُ مِائَةٌ دَرَجَةٍ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّ أَعْلَاهَا الْفِرْدَوْسُ، وَإِنَّ أَوْسَطَهَا الْفِرْدَوْسُ، وَإِنَّ الْعَرْشَ عَلَى الْفِرْدَوْسِ، مِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا مَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ»<sup>(٢)</sup>. ورواه أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت بلفظ: «الْجَنَّةُ مِائَةٌ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةٌ مِائَةٌ عَامٍ»<sup>(٣)</sup>.

سادساً: أن رضا الله عز وجل عنهم أكبر، وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ

(١) برقم ٧٤٤٤ وصحيح مسلم برقم ١٨٠.

(٢) برقم ٤٣٣١ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٣٦/٢) برقم ٣٤٩٦ وفي الصحيحة برقم ٩٢٢.

(٣) (٣٦٩/٣٧) برقم ٢٢٦٩٥ وقال محققوه حديث صحيح.

لَأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ: فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ! فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ وَآيُ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» (١).

سابعاً: أن دخول المؤمنين الجنة، وخلودهم فيها، ورضا الله ﷻ عنهم هو الفوز العظيم، لا ما يعده الناس فوزاً من حظوظ الدنيا، فإنه سرعان ما يزول، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

روى البخاري في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «لَمَّا طُعِنَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ، وَكَانَ خَالَهُ يَوْمَ بَيْرٍ مَعُونَةَ، قَالَ بِالْذَّمِّ هَكَذَا: فَضَحَّهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ» (٢)، وفي رواية في الصحيحين قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَيْرٍ مَعُونَةَ قُرْآنًا قَرَأْنَاهُ حَتَّى نُسَخَ بَعْدُ: أَنْ بَلَّغُوا قَوْمَنَا، أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا، فَرَضِيْنَا عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ» (٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٦٥٤٩ وصحيح مسلم برقم ٢٨٢٩.

(٢) برقم ٤٠٩٢.

(٣) صحيح البخاري برقم ٤٠٩١ وصحيح مسلم برقم ٦٧٧.



## التناقضات في حياة بعض الناس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن النصوص الشرعية تحث المسلم على الاستقامة، والثبات على المنهج الصحيح، وتحذره من التناقض سواء كان ذلك في أقواله، أو أفعاله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢]. قال بعض المفسرين: هذه امرأة خرقاء كانت بمكة، كلما غزلت شيئاً نقضته بعد إبرامه، وقال مجاهد وقتادة: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

وهذا التناقض ليس من صفات المؤمن التقي، قال تعالى عن نبي الله شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣]. وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

(١) تفسير ابن كثير (٨/٣٤٩).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة ابن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ»<sup>(١)</sup> فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُم عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟!»<sup>(٣)</sup>.

قال الشاعر:

لَا تَنَّهُ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ      عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ  
وَأَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا      فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ  
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى      بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

ومن صور هذا التناقض ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عز وجل

(١) أي أمعاؤه.

(٢) برقم ٣٢٦٧ وصحيح مسلم برقم ٢٩٨٩.

(٣) (٢٤٤/١٩) برقم ١٢٢١١ وقال محققوه حديث صحيح.

هَبَاءً مَنْشُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ: إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»<sup>(١)</sup>.

وهذه صورة من صور التناقض، يصلون آخر الليل ولكنهم ينقضون هذه الأعمال بانتهاك حرمت المسلمين.

ومن صورهِ كذلك النفاق، والمنافق ظاهرُ حالهِ الصَّالِحُ فهو يصلي، ويحج، ويجاهد، ويتصدق، ومع ذلك يبطن الكفر والحرب على الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

ومن صورهِ ما ذكره ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: «ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ، والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقه، وشرب الخمر، ومن النظر الحرام وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، ينزل في النار بالكلمة الواحدة أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم

(١) برقم ٤٢٤٥ قال البوصيري هذا إسناد صحيح رجاله ثقات وصححه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السلسلة الصحيحة (٣٣/٢) برقم ٥٠٥.

ترى من رجل متورع عن الفواحش، والظلم، ولسانه يقطع، ويدبح في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وأسباب التناقض كثيرة، أذكر من ذلك:

١- النفاق: فحتى لا ينكشف أمر المنافق ويفتضح يلجأ إلى النفاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

٢- الرياء: روى البخاري في صحيحه من حديث زيد ابن عبد الله بن عمر عن أبيه: قَالَ أَنَسُ لِابْنِ عُمَرَ: «إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا»<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ»، قَالُوا: وَمَا شِرْكَ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكَ السَّرَائِرِ»<sup>(٣)</sup>.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ الرَّيَاءُ شِرْكًَا خَفِيًّا؛ لِأَن صَاحِبَهُ يَظْهَرُ عَمَلَهُ لِلَّهِ، وَقَدْ

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ١٤٠.

(٢) برقم ٧١٧٨.

(٣) صحيح ابن خزيمة (٦٧/٢) برقم ٩٣٧ وحسنه الألباني رحمته الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٩/١) برقم ٣١.

قصد به غيره أو شركه فيه، وزين صلاته لأجله، والنيات والمقاصد وأعمال القلوب لا يعلمها إلا الله ﷻ (١).

٣- ضعف الإرادة: فإذا كان الإنسان إرادته ضعيفة فإنه يتناقض، فنجده يعمل العمل، ثم بعد مدة يتراجع عنه، فعلى سبيل المثال: إذا كان يشرب الدخان، ثم نُصِحَ، وعلم بحرمته فيتركه زمناً طويلاً، ثم تجده يضعف شيئاً فشيئاً، حتى يرجع إليه.

٤- الكبر: فتري أن بعض الناس يعمل أعمالاً كثيرة ولكن يأتي إلى عملٍ مُعَيَّن أمر به الشارع، فلا يفعله ويرى أن هذا يُنقص من قدره، فعلى سبيل المثال: إذا نصح في إعفاء اللحية، أو تقصير الثياب قال: هذا صعب وكيف يكون حالي أمام الناس؟ مع أن سيد الأولين والآخرين كانت لحيته إلى صدره، وإزاره إلى نصف ساقه.

٥- المجاملة للآخرين: تجد أن بعض الناس يجامل ولو على حساب الشرع، فقد يُطلب منه أمر فيه مخالفة للشرع فيتنازل حياءً، أو إرضاءً للآخرين، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢].

٦- حب الشهرة والظهور: نجد أن بعض الناس يسأل عن الحكم الشرعي في مسألة معينة، فيهون من الأمر خشية سقوطه من أعين الناس، فالجماهير لا تريد الفتاوى المتشددة، وإنما تريد الفتاوى المتساهلة. قال عبد الله بن المبارك: قال لي سفيان: «إياك والشهرة، فما أتيت أحداً

(١) الدين الخالص (٢/٣٨٥).

إلا وقد نهاني عن الشهرة»<sup>(١)</sup>.

أما العلاج لهذا التناقض فيتلخص بالآتي:

١- أن يعلم المرء أن التناقض ليس من صفات المؤمنين الصادقين، قال تعالى لنبيه: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾<sup>(١١٢)</sup> [هود: ١١٢]. ولم يقل: كما أردت، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾<sup>(٢٠٨)</sup> [البقرة: ٢٠٨]. قال ابن كثير: يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين به، المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك<sup>(٢)</sup>.

روى مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ»<sup>(٣)</sup>. والاستقامة: لزوم طاعة الله.

٢- الصدق والإخلاص لله في الأعمال كلها، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(١١٩)</sup> [التوبة: ١١٩]. وفي الحديث: «إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ»<sup>(٤)</sup>.

٣- مجاهدة النفس والصبر على المشاق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٣/٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٧٣/٢).

(٣) برقم ٣٨.

(٤) قطعة من حديث في سنن النسائي برقم ١٩٥٣ وصححه في صحيح سنن النسائي برقم ١٨٤٥.

جَهْدُوا فِينَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴿٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقال تعالى:  
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٤- أن يعلم المؤمن أن السعي إلى رضا الله سيؤدي إلى رضا الناس، روى الإمام الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنِ التَّمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَّمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) برقم ٢٤١٤ وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ٢٣١١.



الكلمة الأربعون

مجالس الصحابة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فحديثنا في هذا اليوم عن مجالس الصحابة، وكيف حالهم إذا التقى بعضهم ببعض، فقد كانوا يتذكرون الصيام، والقيام، وقراءة القرآن، وغيرها من الأعمال الصالحات.

ولننظر إلى أحوالنا وأحوالهم، فإذا التقى بعضنا ببعض فإن الحديث يكون عن أمور الدنيا، أما أولئك القوم فإن قلوبهم كانت متعلقة بالآخرة، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾ [العصر: ١-٣]. روى الطبراني في الأوسط من طريق عبيد الله بن حصن قال: كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا التَّقِيَا لَمْ يَتَفَرَّقَا إِلَّا عَلَى أَنْ يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخِرِ سُورَةَ الْعَصْرِ، ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخِرِ (١)،

(١) (٥/٢١٥) برقم ٥١٢٤، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/٢١٧) برقم ٨٦٣٩ وقال محققه سنده صحيح، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ برقم ٢٦٤٨.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَوَسِعَتْهُمْ<sup>(١)</sup>.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتمثلون لهذا التوجيه الرباني في هذه السورة الكريمة، فيذكر بعضهم بعضاً ويتواصون بالحق والشواهد في هذا كثيرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بردة قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلَافٍ<sup>(٢)</sup>، قَالَ: وَالْيَمَنُ مِخْلَافَانِ، ثُمَّ قَالَ: «يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِّرَا»، فَاَنْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ كَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَحَدَثَ بِهِ عَهْدًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى، فَجَاءَ يَسِيرٌ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ النَّاسُ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بَنَ قَيْسٍ أَيَّ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، قَالَ: لَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، قَالَ: إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ فَاَنْزِلْ، قَالَ: مَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فُقْتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا. وَفِي رِوَايَةٍ: قَائِمًا، وَقَاعِدًا، وَعَلَى رَاحِلَتِي<sup>(٣)</sup>. قَالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَا مُعَاذٌ؟ قَالَ: أَنَا أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي

(١) تفسير ابن كثير (٤٥١/١٤).

(٢) أي إقليم.

(٣) صحيح البخاري برقم ٤٣٤٥.

فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي (١).

فهذا الأثر يدل على هدي الصحابة حين يلقي بعضهم بعضاً فيتذكرون الإيمان والأعمال وينتفع بعضهم من بعض. روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه من حديث حَنْظَلَةَ الْأَسِيدِيِّ وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ، نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنَّا كَذَلِكَ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَانْطَلِقْنَا، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ؟»، قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا رَجَعْنَا عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالضَّيْعَةَ وَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الْحَالِ الَّذِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي مَجَالِسِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَعَلَى فُرُشِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ» (٢).

والشاهد في هذا الحديث مراقبة الصحابة لأنفسهم، وتفقدتهم لإيمانهم واستشارة بعضهم لبعض لاستصلاح النفوس، وتربيتها، ومداواة ما يجدونه من ضعف الإيمان، والتقصير في العمل ونحو ذلك. ومن الأمثلة كذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث

(١) برقم ٤٣٤٢ وصحيح مسلم برقم ١٧٣٣.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٧٥٠ وسنن الترمذي برقم ٢٥١٤ واللفظ له.

عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَخَى النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فزارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلْ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ، فَصَلِّ يَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، فَآتَى النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ» (١).

وإن للعالم الرباني من التأثير والنفع لطلابه ومريديه أثرًا بالغًا في تربية النفوس، وحثها على الخير، وإن مجلساً واحداً من هذه المجالس يبقى أثره ونفعه سنين، وقد ذكر ابن القيم حاله حينما أدخل السجن مع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله، فقال: ومع ما كان فيه من ضيق السجن إلا أنه كان من أشرح الناس صدرًا وأطيبهم عيشاً، وأنعمهم قلباً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا ضاقت بنا الأرض، واشتد بنا الكرب أتيناها فما هو إلا أن نسمع كلامه ونراه، حتى ينقلب ذلك قوة وثباتاً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فاتاهم من طيبها، وريحها ما استفرغ قواهم بطلبها والمسابقة إليها (٢). اهـ.

(١) برقم ١٩٦٨.

(٢) الوايل الصيب من الكلم الطيب ص ٨٢.

فالعاقل الكيس هو الذي يحسب أرباحه وخسائره في هذه المجالس، فما وجد نفعه حرص عليه، وما سوى ذلك أعرض عنه، روى الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ»<sup>(١)</sup>، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أي نقصاً.

(٢) برقم ٣٣٨٠ وقال هذا حديث حسن صحيح.



الكلمة الحادية والأربعون

تفسير أواخر سورة البقرة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفْتَاهُ»<sup>(١)</sup>. قيل: كفتاه أي دفعنا عنه الشر، والمكروه، وقيل: كفتاه من كل شيطان، فلا يقربه ليلته، وقيل: حسبها فضلاً وأجراً، ويحتمل من الجميع<sup>(٢)</sup>.

(١) برقم ٥٠٠٩ وصحيح مسلم برقم ٨٠٨.

(٢) فتح الباري (٥٦/٩).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُعْطِيَتْ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾<sup>(١٦)</sup> [النجم: ١٦]، قَالَ: فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثًا، أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحَمَاتُ<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

قال النووي: «أُرِيدَ بِالْمَغْفِرَةِ أَنَّهُ لَا يَخْلُدُ صَاحِبُهَا فِي النَّارِ لَا أَنَّهُ لَا يَعْذِبُ أَصْلًا، وَإِلَّا فَقَدْ جَاءَ عَذَابُ الْعِصَاةِ، أَوْ الْمَرَادُ أَنَّهُ يَغْفِرُ لِبَعْضِ الْأُمَّةِ الْكِبَائِرِ، وَهُوَ مَخْصُوصٌ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ»<sup>(٤)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ

(١) (٤٤٦/٣٥) برقم ٢١٥٦٤ وقال محققوه صحيح لغيره.

(٢) أي الكبائر.

(٣) برقم ١٧٣.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/٢) بتصرف.

مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلِّمْ، وَقَالَ: أَبَشِّرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ، فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ»<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على ﴿الرَّسُولُ﴾ ثم أخبر عن الجميع فقال: ﴿كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ لا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ»، فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء، والرسول، والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون، بَارُونَ راشدون، مهديون هادون إلى سبل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله، حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمتة على الحق ظاهرين»<sup>(٢)</sup>.

قوله: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه، وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه، ﴿عُفْرَانِكَ رَبَّنَا﴾، سؤال للمغفرة والرحمة، واللفظ، ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: أي: المرجع والمآب يوم الحساب.

قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ روى مسلم في صحيحه

(١) برقم ٨٠٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٥٢٥-٥٢٦).

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاتُّوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرَّكْبِ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ: كُفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْجِهَادَ، وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: «نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قَالَ: «نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قَالَ: «نَعَمْ» ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: «نَعَمْ» (١).

قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي لا يكلف أحداً فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه، وإحسانه إليهم.

وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي من خير و﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي من شر، وذلك في الأعمال التي تدخل تحت التكليف، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» (١).

قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي إن تركنا فرضاً على جهة النسيان، أو فعلنا حراماً كذلك، ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: أي الصواب، جهلاً منا بوجهه الشرعي، روى ابن ماجه في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ» (٢).

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: لا تكلفنا من الأعمال الشاقة، وإن أطقناها كما شرعته للأمم الماضية من قبلنا من الأغلال، والأصار التي كانت عليهم التي بعث نبيك محمداً ﷺ نبي الرحمة بوضعه في شرعه الذي أرسلته به من الدين الحنيف السهل السمح.

قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أي: من التكليف، والمصائب والبلاء، لا تبتلنا بما لا قبل لنا به.

قوله: ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ أي: فيما بيننا وبينك، مما تعلمه من تقصيرنا، وزللنا، ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ أي: فيما بيننا وبين عبادك، فلا

(١) برقم ٥٢٦٩ وصحيح مسلم برقم ١٢٧.

(٢) برقم ٢٠٤٣ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٤٧) برقم ١٦٦٢.

تظهرهم على مساوئنا وأعمالنا القبيحة، ﴿وَأَرْحَمَنَّا﴾ أي: فيما يستقبل، فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر.

قوله: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: أنت وَلِيُّنَا، وَنَاصِرُنَا، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ التَّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِكَ، ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: الذين جحدوا دينك، وأنكروا وحدانيتك، ورسالة نبيك، وعبدوا غيرك، وأشركوا معك من عبادك، فانصرنا عليهم، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٢١-٥٢٨).

الكلمة الثانية والأربعون

فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت سبع سنين، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، أخبر النبي ﷺ أنها من أحب نسائه إليه، بل من أحب الناس إليه، ولم يتزوج بكرة غيرها، أنزل الله في براءتها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، ولم ينزل عليه الوحي في فراش امرأة سواها، وكان لها شرف خدمة النبي ﷺ وتمريضه في أيام حياته الأخيرة، فما أن نزل به المرض حتى كان يسأل عن ليلتها، وتوفي ورأسه في حجرها وبين سحرها ونحرها، وقبض النبي ﷺ وهو راض عنها، ودُفن في بيتها.

إنها الصديقة بنت الصديق، الطاهرة العفيفة عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة القرشي التيمي وأمها أم رومان الكنانية، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث هشام عن أبيه قال: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمَّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ يَا أُمَّ سَلَمَةَ: وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا نُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا

إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ، أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أُمَّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا» (١).

قال الذهبي رحمه الله: هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً، وقيل: بعامين، ودخل بها في شوال سنة اثنين منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر، وهي بنت تسع سنين، ولا أعلم في أمة محمد ﷺ بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها، وهي زوجة نبينا في الدنيا والآخرة، فهل فوق ذلك مفخر (٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكَتُ فَتَمَرَّقَ شَعْرِي (٣) فَوَفَى (٤) جَمِيمَةً، فَأَتَيْتَنِي أُمِّي أُمَّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أَرْجُوْحَةٍ (٥) وَمَعِيَ صَوَاحِبٌ لِي، فَصَرَخْتُ بِي فَأَتَيْتُهَا، لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ

(١) برقم ٣٧٧٥ وصحيح مسلم برقم ٢٤٤١.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٣٥-١٤٠) بتصرف.

(٣) أي تقطع.

(٤) أي كثر والجميمة بالجيم مصغر الجمة بالضم، وهي مجتمع شعر الناصية، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين جممة، إذا كان إلى شحمة الأذنين وفرة.

(٥) أرجوحة: بضم أوله معروفة وهي التي تلعب بها الصبيان.

بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفْتَنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهَجُ<sup>(١)</sup> حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفْسِي، ثُمَّ أَخَذْتُ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلْتَنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ، وَالْبَرَكَهَ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ<sup>(٢)</sup>، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صُحِّي، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ<sup>(٣)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ أَمْرَاتُكَ، فَأُكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمُضِيهِ»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية الترمذي: «إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»<sup>(٥)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمرو ابن العاص رضي الله عنه وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة أنه سأل النبي ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنْ الرَّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا»<sup>(٦)</sup>.

قال الذهبي رحمته الله: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض،

(١) أنهج: أي أنفَسَ تنفساً عالياً.

(٢) على خير طائر: أي على خير حظ ونصيب، فتح الباري (٧/ ٢٢٤).

(٣) برقم ٣٨٩٤ ومسلم في صحيحه برقم ١٤٢٢.

(٤) برقم ٥١٢٥ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٨.

(٥) برقم ٣٨٨٠.

(٦) برقم ٣٦٦٢ وصحيح مسلم برقم ٢٣٨٤.

وما كان عليه السلام ليحب إلا طيباً، وقال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّةٌ»<sup>(١)</sup>. فَأَحَبُّ أَفْضَلِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِهِ، وَأَفْضَلُ امْرَأَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَمَنْ أَبْغَضَ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ حَرِي أَنْ يَكُونَ بَغِيضًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَحَبَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَائِشَةَ كَانَ أَمْرًا مُسْتَفِيزًا، أَلَا تَرَاهُمْ يَتَحَرُونَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَهَا تَقَرُّبًا إِلَى مَرْضَاتِهِ<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»<sup>(٣)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهَا»<sup>(٤)</sup>.

قال الذهبي: «وهذا من أعجب شيء أن تغار رضي الله عنها من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعائشة بمُديدة، ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا من ألطف الله بها وبالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لئلا يتكدر عيشهما، ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»

(١) صحيح البخاري برقم ٤٦٦ وصحيح مسلم برقم ٢٣٨٢.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤٢/٢).

(٣) برقم ٣٧٦٩ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣١.

(٤) برقم ٣٨١٧ وصحيح مسلم برقم ٢٤٣٥ مختصراً.

لها وميله إليها، فرضي الله عنها وأرضاها»<sup>(١)</sup>.

وقد أنزل الله براءتها بقرآن يتلى إلى يوم القيامة، قال ابن حجر الهيثمي رحمته الله - بعد ما ذكر حديث الإفك -: «عُلمَ من حديث الإفك المُشارُ إليه أن من نَسَبَ عائشة إلى الزنا كان كافراً، وقد صرح بذلك أئمتنا وغيرهم، لأن في ذلك تكذيباً للنصوص القرآنية، ومكذبها كافر بإجماع المسلمين، وبه يعلم القطع بكفر كثيرين من غلاة الروافض لأنهم ينسبون لها إلى ذلك، قَاتَلَهُمُ اللهُ أنى يؤفكون»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ محمد بن سليمان التميمي نقلاً عن بعض أهل البيت: وأما قذفها الآن فهو كفر، وارتداد، ولا يكفي فيه الجلد؛ لأنه تكذيب لسبع عشرة آية في كتاب الله - كما مر - فيقتل ردة، ومن يقذف الطاهرة الطيبة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين في الدنيا والآخرة كما صح ذلك عنه، فهو من ضرب عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين<sup>(٣)</sup>. اهـ.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب عائشة كثيراً ولا يحب إلا طيباً، قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]. وقد نالت رضيها الله شرف خدمته صلى الله عليه وسلم وتمريضه في آخر أيامه. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضيها الله قالت: «مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَيْتِي

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٦٥).

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي (١/١٩٣).

(٣) رسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد التميمي ص ٢٤-٢٥ نقلاً عن كتاب أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب.

وَيَوْمِي، بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، فَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكَ رَطْبٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ فِيهِ حَاجَةً، قَالَتْ: فَأَخَذْتُهُ فَمَضَعْتُهُ، وَنَفَضْتُهُ، وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَيْهِ، فَاسْتَنَّ كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُهُ مُسْتَنًّا قَطُّ، ثُمَّ ذَهَبَ يَرْفَعُهُ إِلَيَّ، فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذْتُ أَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِدُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو لَهُ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ هُوَ يَدْعُو بِهِ إِذَا مَرَضَ، فَلَمْ يَدْعُ بِهِ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»، يَعْنِي وَفَاضَتْ نَفْسُهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>.

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح عائشة:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ      وَتُصْبِحُ غَرَثِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ<sup>(٢)</sup>  
عَقِيلَةٌ<sup>(٣)</sup> حَيٌّ مِنْ لُؤْيِيِّ بْنِ غَالِبٍ      كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلٍ  
مُهَذَّبَةٌ<sup>(٤)</sup> قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خَيْمَهَا      وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلٍ  
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ      فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى أَنَامِلِي<sup>(٥)</sup>  
وَكَيفَ وَوُدِّي مَا حَيَّيْتُ وَنُصْرَتِي      لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنُ الْمَحَافِلِ<sup>(٦)</sup>

(١) (٤٠/٢٦١-٢٦٢) برقم ٢٤٢١٦ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط الشيخين.  
(٢) الحصان هنا: العفيفة، والرزان: اللازمة موضعها التي لا تتصرف كثيراً، ما تزن: أي ما تُتهم، وعرثي: أي جائعة، والغوافل: جمع غافلة. ومعنى هذا الكلام أنها كافة عن أعراض الناس.

(٣) العقيلة: الكريمة، والمساعي: جمع مسعاة، وهو ما يسعى فيه من طلب المجد والمكارم.

(٤) مهذبة: أي صافية مخلصمة، والخيم: الطبع والأصل.

(٥) الأنامل: أطراف الأصابع، وقد يعبر بها عن الأصابع كلها.

(٦) المحافل: جمع محفل وهو المكان الذي يجتمع فيه الناس.

وكانت رضيها عالمة بأنساب العرب، وأشعارها، فقيهة، يرجع إليها كبار الصحابة ويستفتونها، قال الزهري: لو جمع علم الناس كلهم وأمهات المؤمنين لكانت عائشة أوسعهم علماً، وكانت عالمة بالطب، قال هشام بن عروة: ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشة، فقلت: يا خالة: ممن تعلمت الطب، قالت: كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه.

وكانت من أكرم أهل زمانها، ولها في السخاء أخبار كثيرة، أرسل لها معاوية رضي الله عنه مئة ألف درهم فما غربت شمس ذلك اليوم وعندها منه شيء<sup>(١)</sup>.

وكانت شديدة التواضع، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن أبي مليكة: «أن ابن عباس استأذن على عائشة قبل موتها وهي مغلوبة قالت: أخشى أن يثنى عليّ، فقيل: ابن عباس ابن عم رسول الله ﷺ، ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك، قالت: بخير إن اتقيت، قال: فأنت بخير إن شاء الله زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلفه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليّ، ووددت أني كنت نسياً منسياً»<sup>(٢)</sup>.

وقد دفنت بالبقيع بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة وذلك في الليلة السابعة عشر من شهر رمضان بعد الوتر، فأمرت

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٥-١٨٧).

(٢) برقم ٤٧٥٣.

أن تُدفن من ليلتها، وقد أوصت عبد الله بن الزبير ابن أختها أسماء أن يدفنها مع صواحبها في البقيع، ونزل معها إلى القبر ولدا أختها أسماء، عبد الله وعروة ابنا الزبير، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد، وعبد الله ابن أخيها عبد الرحمن، وصلى عليها أبو هريرة وكان أميراً على المدينة لمروان بن الحكم، وكان عمرها آنذاك ثلاثة وستون عاماً وبضعة أشهر.

رضي الله عن أم المؤمنين عائشة، وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والأربعون

دروس وعبر من سيرة معاذ بن جبل رضي عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فهذه مقتطفات من سيرة عَلمٍ من أعلام هذه الأمة، وبطلٍ من أبطالها، وعالمٍ من علمائها، الصحابي الجليل معاذ بن جبل ابن عمرو الأنصاري الخزرجي المدني البصري أبو عبد الرحمن، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، كان من أفضل شباب الأنصار حلماً، وحياءً، وسخاءً، قال عبد الصمد بن سعيد: كان طويلاً، حسناً، جميلاً، قال المدائني: كان طويلاً حسن الشعر، عظيم العينين، أبيض، جعد ققط، وقد أسلم وعمره ثماني عشرة سنة، وشهد بدراً، وله عشرون أو إحدى وعشرون سنة<sup>(١)</sup>، روى معاذ أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ، وبعثه أميراً على اليمن، ومات في طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي

(١) سير أعلام النبلاء (١/٤٤٤-٤٤٥).

رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ أَطَاعُوكَ إِلَى ذَلِكَ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خُمْسَ صَلَوَاتٍ»<sup>(١)</sup>.

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل معاذ ومكانته العظيمة، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث راشد بن سعد وغيرهما قالوا: لَمَّا بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ سَرَغَ<sup>(٣)</sup> حَدَّثَ أَنَّ بِالشَّامِ وَبَاءً شَدِيدًا قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ شِدَّةَ الْوَبَاءِ فِي الشَّامِ، فَقُلْتُ: إِنْ أَدْرَكَنِي أَجَلِي وَقَدْ تُوِّفِيَ أَبُو عُبَيْدَةَ اسْتَخْلَفْتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي صلى الله عليه وسلم: لِمَ اسْتَخْلَفْتَهُ؟ قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّهُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْعُلَمَاءِ نَبْذَةً»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية الطبراني: «بِرْتَوَةِ»<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>.

وروى الحاكم في المستدرک من حديث مسروق قال: قرأت عند عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾

(١) برقم ١٤٥٨ وصحيح مسلم برقم ١٩.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٧٥٨ وصحيح مسلم برقم ٢٤٦٤ واللفظ له.

(٣) سرغ: بفتح أوله وسكون ثانيه، وهو أول الحجاز وآخر الشام، بين المغيثة وتبوك، من منازل حاج الشام، وانظر معجم البلدان للحموي (٥/٣٩).

(٤) قطعة من حديث (١/٢٦٣) برقم ١٠٨ وقال محققوه حسن لغيره.

(٥) رتوة: أي رمية بسهم، وقيل: مد البصر.

(٦) معجم الطبراني الكبير (٣٠/٢٠) برقم ٤١ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٠٩١.

[النحل: ١٢٠]، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا، قَالَ: فَاعَادُوا عَلَيْهِ، فَأَعَادَ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْأُمَّةُ؟ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَالْقَانِتُ: الَّذِي يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>(١)</sup>.

وعن سهل بن أبي حنمة قال: كَانَ الَّذِينَ يُفْتُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: عُمَرُ، وَعَثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ، وَزَيْدُ<sup>(٢)</sup>.

وكان رضي عنه من فقهاء الصحابة، روى الحاكم في المستدرک من حديث علي بن رباح، قال: خَطَبَ عُمَرُ النَّاسَ فَقَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَلْيَأْتِ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ<sup>(٣)</sup>.

وكان النبي ﷺ يحب معاذ كثيراً، فروى أبو داود في سننه من حديث معاذ رضي عنه أن النبي ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»<sup>(٤)</sup>.

ومرت الأيام، والسنون، ودنت ساعة الفراق بين الأحبة، وما أصعبها. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل رضي عنه قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله يمشي تحت راحلته، فلما فرغ

(١) (٣/١٠٤) برقم ٣٤١٨ وقال محققه إسناده جيد.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٤٥١-٤٥٢).

(٣) (٤/٣٠٨) برقم ٥٢٣٦؛ وقال الحافظ في الفتح (٧/١٢٦) صح عن عمر فذكره.

(٤) برقم ١٥٢٢ وقال النووي إسناده صحيح.

قال: «يَا مُعَاذُ، إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي»، فَبَكَى مُعَاذٌ جَشَعًا<sup>(١)</sup> لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ التَفَّتْ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تَبِكْ يَا مُعَاذُ، إِنَّ الْبُكَاءَ مِنَ الشَّيْطَانِ»<sup>(٣)</sup>.

ولما حضرت معاذ الوفاة قال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعَلَّمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحَبَّ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا لِكُرِّي الْأَنْهَارِ، وَلَا لِعَرْسِ الْأَشْجَارِ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَحَبُّ الْبَقَاءِ لِمُكَابَدَةِ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، وَلِظَمِّ الْهَوَاجِرِ فِي الْحَرِّ الشَّدِيدِ، وَلِمُزَاحَمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ عِنْدَ حِلْقِ الذِّكْرِ.

وقد توفي رضي الله عنه بمرض الطاعون في بلاد الشام، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مُنِيبِ الْأَحْدَبِ قَالَ: خَطَبَ مُعَاذٌ بِالشَّامِ، فَذَكَرَ الطَّاعُونَ فَقَالَ: إِنَّهَا رَحْمَةٌ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةٌ نَبِيِّكُمْ، وَقَبْضُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ. اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيَّ آلَ مُعَاذٍ نَصِيبَهُمْ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ. ثُمَّ نَزَلَ مِنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ، فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾<sup>(١٤٧)</sup>، فَقَالَ مُعَاذٌ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١٠٢)</sup> [الصفات: ١٠٢] <sup>(٤)</sup>.

(١) جشعاً: قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٧٤) الجشع: الفرع لفراق الإلف.

(٢) (٣٧٦/٣٦) برقم ٢٢٠٥٢ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٣) (٣٧٨/٣٦) برقم ٢٢٠٥٤ وقال محققوه إسناده صحيح.

(٤) (٤٠٤/٣٦) برقم ٢٢٠٨٥ وقال محققوه حسن.

ومن الدروس والعبر المستفادة من سيرة هذا البطل، وأكتفي

بأثنتين منها:

١- علو همته، وحرصه الشديد على تحصيل العلم، فما بين إسلامه ووفاته لا يتجاوز ست عشرة سنة، قال ابن حجر: عاش معاذ ثلاثاً وثلاثين سنة على الصحيح<sup>(١)</sup>، وقد بلغ فيها مبلغاً عظيماً حتى عدَّ من كبار المُفتين من الصحابة رضي الله عنهم، وهذا يدل على أن الأعمار لا تقاس بالسنين وإنما بالإنجازات، وقد أنجز معاذ في سنوات ما لم ينجزه غيره في عشرات السنين.

٢- شدته في الحق وفي تنفيذ أحكام الله على الكفرة، والمعاندين. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بُرْدَةَ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيَّ أَبِي مُوسَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، بِالْيَمَنِ، فَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ، قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: رَجُلٌ كَانَ يَهُودِيًّا، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ تَهَوَّدَ، وَنَحْنُ نُرِيدُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ مُنْذُ، قَالَ: أَحْسَبُهُ، شَهْرَيْنِ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى تَضْرِبُوا عُنُقَهُ. فَضْرِبَتْ عُنُقَهُ، فَقَالَ: قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ: أَنْ مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ فَأَقْتُلُوهُ أَوْ قَالَ: مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَأَقْتُلُوهُ<sup>(٢)</sup>.

رضي الله عن معاذ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) فتح الباري (٧/١٢٦).

(٢) (٣٦/٣٤٣-٣٣٤) برقم ٢٢٠١٥ وقال محققوه إسناده صحيح وأصله في الصحيحين.



## فضائل غزوة بدر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد كانت غزوة بدر المعركة الأولى الفاصلة في التاريخ الإسلامي، فيها فرق الله بين الحق والباطل، وخذل الكفر وأهله، وقُتل فيها صناديد قريش ومجرميها، وهي الحدث الذي غير مجرى التاريخ، وكانت البوابة الأولى لغزوات متتابعة أدت في النهاية للفتح الكبير - فتح مكة - واندحار الكفر ورفعة الإسلام وأهله، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

وقد وردت نصوص كثيرة تبين فضل غزوة بدر وأهل بدر من القرآن والسنة، فمن ذلك:

أولاً: تسمية الله لها بيوم الفرقان، قال تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٤١]. قال ابن كثير: ينبه تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل ببدر، ويُسمى الفرقان لأن الله أعلى فيه كلمة الإيمان على

كلمة الباطل وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه (١).

ثانياً: نصر الله تعالى لهم بالرعب، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (١٢) [الأنفال: ١٢]. والنصر بالرعب من خصائص نبينا محمد ﷺ كما في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي عنه أن النبي ﷺ قال: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» (٢).

ثالثاً: إمداد الله تعالى لهم بالملائكة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢٣) ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾ (١٢٤) ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (١٢٥) [آل عمران: ١٢٣-١٢٥].

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضيما قال: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةَ السَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمَ حَيْزُومٍ<sup>(٣)</sup>؛ فَنظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ حُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ،

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣١٣).

(٢) برقم ٢٣٥ وصحيح مسلم برقم ٥٢١.

(٣) في النهاية لغريب الحديث لابن الأثير حديث بدر أقدم حيزوم، جاء في التفسير أنه اسم فرس جبريل عليه السلام أراد أقدم يا حيزوم (١/٤٦٧).

فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسْرُوا سَبْعِينَ<sup>(١)</sup>.

رابعاً: فضل من شهد بدرًا من الصحابة، والملائكة على غيرهم، روى البخاري في صحيحه من حديث معاذ بن رفاعه ابن رافع عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر قال: جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟» قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ، - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ<sup>(٢)</sup>.

خامساً: أن من قُتل منهم نال الفردوس الأعلى، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه: أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ؟ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ! إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: «وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر، فإن هذا لم يكن في بحبحة<sup>(٤)</sup> القتال، ولا في حومة الوغى<sup>(٥)</sup>،

(١) برقم ١٧٦٣.

(٢) برقم ٣٩٩٢.

(٣) برقم ٢٨٠٩.

(٤) البجوحه من كل شيء وسطه، النهاية في غريب الحديث (٩٨/١).

(٥) حومة الوغى: أشد موضع في الحرب أو القتال، المعجم الوسيط (٢١٠/١).

بل كان من النظارة من بعيد، وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الحوض، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى الجنان، وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسأله إياها، فإذا كان هذا حال هذا، فما ظنك بمن كان واقفاً في نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعدداً»<sup>(١)</sup>. اهـ.

سادساً: أن أهلها مغفور لهم، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأصله في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup>. قال ابن حجر: «وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم»<sup>(٣)</sup>.

سابعاً: رجاء النبي صلى الله عليه وسلم لأهل بدر ألا يدخلوا النار، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: «أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَشْكُو حَاطِبًا، فَقَالَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ لِيَدْخُلَنَّ حَاطِبُ النَّارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ»<sup>(٤)</sup>.

ثامناً: إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه لولا أهل بدر لم يصلنا الإسلام، ولقضي عليه معهم، روى مسلم في صحيحه من حديث عمر ابن

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢٥٨/٥).

(٢) (٣/٣٢٢-٣٢٣) برقم ٧٩٤٠ قلت وإسناده حسن.

(٣) فتح الباري (٧/٣٠٥).

(٤) برقم ٢٤٩٥.

الخطاب رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: أن الله أحل الغنائم لهذه الأمة في هذه الغزوة، قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٩]. روى الطيالسي في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ تَعَجَّلَ النَّاسُ إِلَى الْغَنَائِمِ فَأَصَابُوهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْغَنِيمَةَ لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ سُوْدٍ»<sup>(٢)</sup> الرُّؤُوسِ غَيْرِكُمْ»، وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ<sup>(٣)</sup> إِذَا غَنِمُوا غَنِيمَةً جَمَعُوهَا، وَنَزَلَتْ نَارٌ فَأَكَلَتْهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ إلى آخر الآيتين<sup>(٤)</sup>.

عاشراً: إخباره تعالى عن نتيجة المعركة قبل بدئها، وذلك بالنصر للمؤمنين على الكافرين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ [٧] لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَطِلَ

(١) برقم ١٧٦٣ ورواه البخاري من حديث ابن عباس بنحوه برقم ٣٩٥٣.

(٢) سود الرؤوس: المراد بها بنو آدم لأن رؤوسهم سود.

(٣) أي الأنبياء السابقين.

(٤) (١٩/٢) وأخرجه الترمذي برقم ٣٠٨٥ وقال حديث حسن صحيح غريب.

وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ [الأنفال: ٧-٨].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ فَرَعَ مِنْ بَدْرِ: عَلَيْكَ الْعِيرَ لَيْسَ دُونَهَا شَيْءٌ». قَالَ: فَنَادَاهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَكَ، قَالَ: «وَلِمَ؟» قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ إِنَّمَا وَعَدَكَ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَقَدْ أَعْطَاكَ مَا وَعَدَكَ» (١)(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٤٦٦/٣) برقم ٢٠٢٢ والحديث من رواية سماك عن عكرمة، وفيها اضطراب ومع ذلك فقد قال الترمذي حديث رقم ٣٠٨٠ حديث حسن صحيح وجود إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/٢٨٨).

(٢) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٣٩-٤٩.

الكلمة الخامسة والأربعون

تأملات في قوله تعالى:

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ... ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد تقدّم الحديث عن فضل غزوة بدر، وأهلها الذين شاركوا فيها، وسيكون الكلام في هذه الكلمة عن الآيات التي تحدثت عن خروج النبي ﷺ ومن معه إلى هذه الغزوة المباركة.

قال تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ٥ ﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا نَبَّيْنَا كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ٦ ﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ عَيْرَ ذَاتِ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ٧ ﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَبُطِّلَ الْبَطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ٨ ﴾ [الأنفال: ٥-٨].

يقول الله تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ يا محمد إلى لقاء المشركين في بدر ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ الذي يحبه، وقدره وقضاه، وإن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج أنه يكون بينهم وبين

عدوهم قتال، فحين تبين لهم أن ذلك واقع جعل فريق من المؤمنين يجادلون النبي ﷺ في ذلك، ويكرهون لقاء عدوهم، ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾، والحال أن هذا لا ينبغي منهم خصوصاً بعد ما تبين لهم أن خروجهم بالحق ومما أمر الله به، ورضيه، فبهذه الحال ليس للجدل محل فيها؛ لأن الجدل محله وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر، فأما إذا وضح وبان فليس إلا الانقياد والإذعان، هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم، وكذلك الذين عاتبهم الله انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله وقَيَّضَ لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم.

وكان أصل خروجهم أنهم يتعرضون لِعَيْرٍ خرجت مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشام، قافلة كبيرة، فلما سمع برجوعها من الشام ندب النبي ﷺ الناس، فخرج معه ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً، معهم سبعون بعيراً يعتقبون عليها ويحملون عليها متاعهم، فسمعت بخبرهم قريش، فخرجوا لمنع عَيْرِهِمْ في عدد كثير، وعدة وافرة من السلاح، والخيول، والرجال، بلغ عددهم قريباً من الألف.

فوعدهم الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالعير، أو بالنفير أي الجيش، فأحبوا العير لِقَلَّةِ ذاتِ يدِ المسلمين؛ ولأنها غير ذات الشوكة، ولكن الله تعالى أَحَبَّ لهم وأراد أمراً أعلى مما أحبوا، أراد أن يظفروا بالنفير الذي خرج فيه كبراء المشركين وصناديدهم، ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ فينصر أهله، ﴿وَيَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾

أي يستأصل أهل الباطل، ويُري عباده من نصره للحق أمراً لم يكن يخطر ببالهم.

﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾ بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقه، ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ فلا يبالي الله بهم<sup>(١)</sup>.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله ابن كعب رضي الله عنه قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول: «لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ»<sup>(٢)</sup>.

ومن فوائد الآيات الكريمات:

أولاً: خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المدينة كان بالحق، وخروج المشركين من مكة كان بالباطل، ففي الأولين قال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥]. وفي الآخرين قال: ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]. فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.

ثانياً: مع علمه صلى الله عليه وسلم بأن خروجه كان بأمر ربه، إلا أنه كان يستشير أصحابه مراعاة منه صلى الله عليه وسلم - للطبيعة البشرية - فلينتبه دعاة الإسلام لهذا، وليقدموه للناس لينا سهلاً.

(١) تفسير الشيخ ابن سعدي ص ٣١٦.

(٢) برقم ٣٩٥١ وصحيح مسلم برقم ٢٧٦٩.

ثالثاً: في المؤمنين من هو كامل الإيمان يقدم الأوامر الشرعية ولا يبالي بما يخالفها، ومنهم من هو دون ذلك، له نظرة للأسباب المادية، وهذا الفريق لا ينبغي أن يُضرب بالأوامر الشرعية بل يؤخذ بالمجادلة الحسنة حتى ينقاد إلى الحق بطيب نفس، ورغبة، يؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنفال: ٥].

رابعاً: أن اللفظ قد يطلق، ويراد به بعض معانيه، فالذين كرهوا لقاء العدو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾﴾، لم يكن ذلك جنأً، ولا كراهية للموت، ولكنهم لم يكونوا يرون الدخول في معركة لم يستعدوا لها، ولم يحسبوا حسابها، وربما كانت النتائج أسوأ مما لو عادوا في هذه الحال، فلما تبين لهم الحق بعد المجادلة انساقوا إليه مسرعين.

خامساً: فضل أصحاب بدر، وكمال إيمانهم، حيث انقادوا للنبي ﷺ لخوض المعركة مع قريش مع أن ذلك بالحسابات المادية والخطط العسكرية هو الإقدام على الموت، قال تعالى وهو يصور ذلك أحسن وأبلغ تصوير: ﴿يُجِدُّونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [الأنفال: ٦].

سادساً: الوعد بالخير ممن طبيعته الوفاء من أخلاق القرآن لما في ذلك من راحة القلب واطمئنانه، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ ﴿٧﴾﴾ [الأنفال: ٧].

سابعاً: وعد الله أصحاب بدر إحدى الطائفتين، ولم يعين مع

علمه بما سيكون ليكشف خفايا النفس البشرية، وذلك من مقتضيات حكمته جل وعلا.

ثامناً: بذل جهد أكبر لتحصيل مقصود أعظم أولى من ضده، قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧].

تاسعاً: المقارنة بين المصالح والمفاسد، والموازنة بين الأمور مع بُعد النظر يتبين بها حقيقة الأشياء، وهذا ما جعل النبي ﷺ، وأصحابه يقررون اللقاء مع العدو ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾، وهي مصلحة، غير أن هذه المصلحة تتلاشى عند النظر إلى ما في اللقاء من المصالح، وإن كلف جهداً إذ إن إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإذلال الكفر؛ مصالح عظيمة لا يعدلها شيء، قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧] ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

عاشراً: يجب على المؤمنين أن يُقدِّموا ما يريد الله على ما يريدون، فإنهم متى فعلوا ذلك أعطاهم ما يتمنون، وبلغهم ما لم يكونوا يحتسبون، وهذا ما وقع لأهل بدر، لَمَّا قَدَّمُوا ما يريد الله على ما يريدون.

الحادي عشر: من الجرائم العظيمة أن يكره الإنسان ظهور الحق، أو سقوط الباطل، قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

■ ── ٢٩٤ ── □

الثاني عشر: عظمة الباري وقدرته، إذ إن ما يريده يقع منه بكلمة، قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾.

وهذه الكلمة هي ما ذكره الله بقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [يس: ٨٢] (١).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٣٣٨-٣٤٠.

الكلمة السادسة والأربعون

فوائد من قوله تعالى:

﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ... ﴾

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد كان الكلام في الكلمة السابقة عن الآيات التي تتحدث عن خروج النبي ﷺ وأصحابه إلى بدر، ولا زال الحديث موصولاً في ذلك، قال تعالى: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلِنَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ [الأنفال: ٤٢-٤٤].

من فوائد الآيات السابقة:

الفائدة الأولى: قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ

الْقُصُوصِ وَالرَّكْبِ اسْفَلَ مِنْكُمْ ﴿ العُدوة هي: طرف الوادي، والركب المراد به عير أبي سفيان، وهذا التصوير البليغ له من الفوائد:

أ- بيان الحال لمن بعد، ولم يستطع الوقوف على موقع المعركة، فهذا الوصف العجيب يجعله كأنه يرى ويُشاهد.

ب- قوله تعالى: ﴿الدُّنْيَا﴾ أي الأقرب إلى المدينة، و﴿الْقُصُوصِ﴾ أي الأبعد بالنسبة للمدينة، وبالتالي فهي الأقرب إلى مكة، والمعنى أن كل فريق يستطيع العودة إلى بلده، ليس بينه وبينها حائل يمنعه، ومع ذلك نفذت مشيئة الله بالتقاء الفريقين: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

الفائدة الثانية: قوله: ﴿وَالرَّكْبِ اسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، قال الرازي: « لا شك أن عسكر الرسول ﷺ في أول الأمر كانوا في غاية الخوف، والضعف؛ بسبب القلة، وعدم الأهبة، ونزلوا بعيدين عن الماء، وكانت الأرض التي نزلوا فيها أرضاً رملية تغوص فيها أرجلهم، وأما الكفار فكانوا في غاية القوة؛ بسبب الكثرة في العدد؛ وبسبب حصول الآلات، والأدوات؛ لأنهم كانوا قريبين من الماء؛ ولأن الأرض التي نزلوا فيها كانت صالحة للمشي، ولأن العير كانت خلف ظهورهم، وكانوا يتوقعون مجيء المدد من العير إليهم ساعة فساعة. ثم إنه تعالى قلب القصة، وعكس القضية، وجعل الغلبة للمسلمين، والدمار على الكافرين، فصار ذلك من أعظم المعجزات، وأقوى البيانات على صدق محمد ﷺ فيما أخبر عن ربه من وعد النصر والفتح والظفر.

الفائدة الثالثة: قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ إشارة إلى هذا المعنى، وهو أن الذين هلكوا إنما هلكوا بعد مشاهدة هذه المعجزة، والمؤمنون الذين بقوا في الحياة شاهدوا هذه المعجزة القاهرة، والمراد من البينة هذه المعجزة<sup>(١)</sup>.

الفائدة الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ يحتمل أن المراد بذلك الزمان، والمكان، ويحتمل أن المراد الزمان فقط، والثاني أرجح.

الفائدة الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ فيه من الفوائد أن الله تعالى قدر الأشياء قبل وقوعها، وهو صريح قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢٢]. وهذه إحدى مراتب القدر التي يجب الإيمان بها.

الفائدة السادسة: أن الأخذ بالأسباب المشروعة أمر مشروع، كل بحسبه، فإن الرب جل وعلا مع علمه بما سيقع، لم يمنعهم من أخذ الأسباب التي يرونها.

الفائدة السابعة: قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، أراد كأن يظهر بوقوع هذه المعركة على هذا النحو، أن محمداً وأصحابه على الحق، وأن عدوهم على الباطل؛ إقامة للحجة، وقطعاً للأعداء.

الفائدة الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيها:

(١) التفسير الكبير للرازي (١٥/١٦٨).

أ- إثبات اسمين لله تعالى من أسمائه الحسنى التي يُدعى بها.  
 ب- أن هذين الاسمين الكريمين تضمنا صفتين عظيمتين، الأولى:  
 السمع، الثانية: العلم.  
 الفائدة التاسعة: قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾  
 فيها من الفوائد:

أ- إن الرؤيا الصالحة من الله.  
 ب- رؤيا الأنبياء وحي من الله.  
 ج- إن رؤية النبي ﷺ لهم كانت في المنام لا في اليقظة<sup>(١)</sup>.  
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
 وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٣٤٧-٣٤٩.

## الكلمة السابعة والأربعون

### المعجزات والكرامات في غزوة بدر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فلقد كانت غزوة بدر من معارك الإسلام الفاصلة، وقد تجلّت فيها الكثير من المعجزات والكرامات العظيمة، فمن ذلك:

أولاً: سماع المشركين كلام النبي ﷺ وخطابه وهم أموات في القليب، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي طلحة رضي عنه: «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقَذَفُوا فِي طَوِيٍّ<sup>(١)</sup> مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ، خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرَصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ<sup>(٢)</sup>، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ: «أَيَسُرُّكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟»

(١) الأطواء: جمع طوي وهو البئر التي طويت وبُنيت بالحجارة، لتثبت ولا تنهار، فتح الباري (٧/٣٠٢).

(٢) أي طرف البئر، الفتح (٧/٣٠٢).

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا  
أَقُولُ مِنْهُمْ»، قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيحًا  
وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: تحديد مصارع القوم: روى مسلم في صحيحه من  
حديث أنس رضي الله عنه قال: كان عمر يحدثنا عن أهل بدر فقال:  
«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرِ بِالْأَمْسِ، يَقُولُ:  
«هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي  
بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَوْا وَالْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:  
فَجُعِلُوا فِي بَيْتٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى  
انْتَهَى إِلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: نزول المطر عليهم بالقدر الذي يحتاجونه من غير زيادة  
ولا نقصان: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه وهو  
يحدث عن ليلة بدر: «أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ، فَاَنْطَلَقْنَا  
تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ - أَي الترس - نَسْتِظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ،  
وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: «أنزل الله ﷻ في تلك الليلة مطراً واحداً،  
فكان على المشركين وابلاً شديداً منعهم من التقدم، وكان على

(١) برقم ٣٩٧٩ وصحيح مسلم برقم ٢٨٧٥.

(٢) برقم ٢٨٧٣.

(٣) (٢/٢٦٠) برقم ٩٤٨ وقال محققوه إسناده صحيح.

المسلمين طلاً طهرهم به وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض، وصلب الرمل، وثبت الأقدام، ومهد به المنزل»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ محمد رشيد رضا: «لولا هذا المطر لما أمكن المسلمين القتال؛ لأنهم كانوا رجالاً ليس فيهم إلا فارس واحد هو المقداد - كما تقدّم - وكانت الأرض دهاساً تسيخ فيها الأقدام أو لا تثبت عليها»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: استجابة الله لدعاء نبيه على من كان يؤذيه بمكة من كفار قريش حتى قتلوا مع إخوانهم الكفرة بيدر: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَجَمَعَ قُرَيْشٌ فِي مَجَالِسِهِمْ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي، أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جُزُورِ آلِ فُلَانٍ فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْتِهَا<sup>(٣)</sup> وَدَمِهَا وَسَلَاهَا<sup>(٤)</sup> فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يُمِهُلُهُ، حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَاثْبَعَتْ أَشْقَاهُمْ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَاثْبَعَتْ مُنْطَلِقًا إِلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ جُورِيَّةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْبُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) زاد المعاد (٣/١٧٥).

(٢) تفسير المنار (٩/٥٠٩-٥١٠).

(٣) الفرت: بقايا الطعام في الكرش، انظر المعجم الوسيط (٢/٦٧٨).

(٤) السلى: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه، وقيل هو في الماشية السلى، وفي الناس المشيمة. النهاية في غريب الحديث (٢/٣٩٦).

الصَّلَاةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِقُرَيْشٍ»، ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرَعى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُجِبُوا إِلَى الْقَلْبِ، قَلْبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَتْبَعُ أَصْحَابُ الْقَلْبِ لَعْنَةً»<sup>(١)</sup>.

خامساً: إعانة بعض المسلمين بالملائكة على أسر العدو: روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه وفيه: «فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسِيرًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ مَا أَسْرَنِي، لَقَدْ أَسْرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ<sup>(٢)</sup> مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ<sup>(٣)</sup> مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسْرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، فَقَدْ أَيْدَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَلِكٍ كَرِيمٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ: فَأَسْرَنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْعَبَّاسَ وَعَقِيلًا وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ»<sup>(٤)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هَذَا جِبْرِيلُ أَخَذَ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ

(١) برقم ٥٢٠ وصحيح مسلم برقم ١٧٩٤.

(٢) قال في النهاية (٢٨٤/١) الأجلح من الناس: الذي انحشر الشعر عن جانبي رأسه.

(٣) أبلق: وهو ما كان فيه سواد وبياض. المعجم الوسيط (٧٠/١).

(٤) (٢/٢٦٠-٢٦١) برقم ٩٤٨، وقال محققوه إسناده صحيح، وقال الشيخ أحمد شاكر في تخريجه للمسنَد (١٩٤/٢) إسناده صحيح.

الْحَرْبِ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «عَلَى ثَنَائِهِ النَّقْعُ»<sup>(٢)</sup> (٣).

سادساً: إنزال النعاس عليهم: قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١]. روى أبو يعلى في مسنده من حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال: «لَقَدْ سَقَطَ السَّيْفُ مِنِّي يَوْمَ بَدْرٍ لِّمَا غَشَيْنَا مِنَ النُّعَاسِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾» [الأنفال: ١١]<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: «يذكرهم الله تعالى بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم أماناً آمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم، وقلة عددهم... إلخ»<sup>(٥)</sup>.

سابعاً: أن الله تعالى أراهم العدو أقل مما هم عليه: لتقوى قلوبهم على حربهم، ويشجعهم على مواجهتهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّمِ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٤].

قال ابن جرير: «إذ يري الله نبيه في منامه المشركين قليلاً، وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم في أعينهم قليلاً، وهم كثير عددهم،

(١) برقم ٣٩٩٥.

(٢) الثنايا: إحدى الأسنان الأربع التي في مقدمة الفم، ثنتان من فوق، وثنان من تحت. المعجم الوسيط (١/١٠٢).

(٣) النقع: الغبار. النهاية في غريب الحديث (٥/١٠٩).

(٤) (٣/١٩) برقم ٤٢٨ وقال محققه حسين سليم أسد إسناده صحيح.

(٥) تفسير ابن كثير (٢/٢٩١).

ويقلل المؤمنين في أعينهم لتركوا الاستعداد لهم، فتهون على المؤمنين شوكتهم»<sup>(١)</sup>.

ثامناً: اختصاص أبي بكر وعلي بكرامة من الله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي رضي الله عنه قال: «قِيلَ لِعَلِيِّ وَالْأَبِيِّ بَكْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ: مَعَ أَحَدِكُمَا جَبْرِيْلُ، وَمَعَ الْآخَرِ مِيكَائِيْلُ، وَإِسْرَافِيْلُ مَلَكٌ عَظِيْمٌ يَشْهَدُ الْقِتَالَ، أَوْ قَالَ: يَشْهَدُ الصَّفَّ»<sup>(٢)(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير ابن جرير (٦/٢٥٩).

(٢) (٤١١/٢) برقم ١٢٥٧ وقال محققوه إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٥٧-٦٤.

## غزوة بدر

### مشاهد وأحداث من أرض المعركة (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

كان يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة يوم بدر الأغر، اليوم الذي دارت فيه رحى الحرب بين حزب الله وحزب الشيطان، فحين أصبح النبي ﷺ وطلع الفجر نادى في أصحابه: «الصَّلَاةُ عِبَادَ اللَّهِ»، فصلى بهم صلاة الصبح، ثم حَرَّضَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وصف أصحابه صفوفاً، وألقى إليهم التوجيهات التي يلقيها القائد عادة إلى الجيش قبل اللقاء، بعد ذلك انصرف ﷺ إلى مقر القيادة، وهو العريش الذي بُني له، والذي يعتبر بمثابة غرفة العمليات اليوم، ينتظر إقبال جيش العدو، تاركاً له فرصة التفكير في مصير هذا اللقاء أو البدء بالقتال والبغي والاعتداء، حيث علم ﷺ أن البادي بالظلم مغلوب، وأن الباغي مهزوم، وأن المظلوم مُعان ومنصور<sup>(١)</sup>.

وكان النبي ﷺ قبل ذلك أمر بالآبار التي حول بدر فدفنت، ثم

(١) قال أحد الصالحين لابنه يوصيه: لا تدعو أحداً للبراز، فإن الداعي باغ، والباغي مهزوم، وإذا دُعيت فأجب.

بنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه ومليء ماءً، وكانت بدر مقراً لاجتماع الناس، وبها سوق من أسواق الجاهلية، وتقع على مفترق طرق، حيث يتوارد لها العرب من كل ناحية، وتبعد عن المدينة في وقتنا المعاصر مائة وثلاثة وخمسين كيلو متر تقريباً.

### بداية المعركة:

خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً، سبىء الخلق، فقال: أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَشْرَبَنَّ مِنْ حَوْضِهِمْ، أَوْ لِأُهْدِمَنَّهٗ، أَوْ لِأَمُوتَنَّ دُونَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ؛ خَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمَّا التَّقِيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَاطَنَّ<sup>(١)</sup> قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ وَهُوَ دُونَ الْحَوْضِ، فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ تَشْخُبُ<sup>(٢)</sup> رِجْلُهُ دَمًا نَحْوَ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ حَبَا إِلَى الْحَوْضِ حَتَّى اقْتَحَمَ فِيهِ، يُرِيدُ - زعم - أَنْ يَبْرَّ يَمِينَهُ، وَأَتْبَعَهُ حَمْزَةُ فَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ<sup>(٣)</sup>.

ثم أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُمْ»، فَمَا شَرِبَ مِنْهُ رَجُلٌ يَوْمَئِذٍ إِلَّا قُتِلَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فَإِنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، فَكَانَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي يَمِينِهِ قَالَ: لَا وَالَّذِي نَجَّانِي مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ<sup>(٤)</sup>.

(١) فأطن قدمه: أي أطارها. شرح السيرة النبوية ص ١٥٧.

(٢) تشخب: معناه تسيل بصوت. المصدر السابق ص ١٥٧.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢١٤).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢١٢).

وكانت المبارزة أول شيء بدئ فيه من القتال يوم بدر، وجرت العادة أنه لا يخرج للمبارزة إلا الشجعان من الرجال، وهذا ما حصل في بدر. قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

روى البخاري في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. وروى البخاري بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال: «فينا نزلت هذه الآية: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾»<sup>(٢)</sup>. وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يُقسِمُ فيها: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعُتْبَةَ وصاحبيه، يوم برزوا في يوم بدر»<sup>(٣)</sup>. وروى البخاري بسنده إلى أبي إسحاق، سأل رجل البراء وأنا أسمع، قال: أشهد علي بدرأ؟ قال: بارز وظاهر<sup>(٤)(٥)</sup>.

وروى أبو داود من حديث علي رضي الله عنه قال: «تقدّم عتبة ابن ربيعة وتبعه ابنه وأخوه، فنادى: من يبارز؟ فانتدب له شباب من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما

(١) برقم ٤٧٤٤.

(٢) برقم ٣٩٦٧.

(٣) برقم ٤٧٤٣ وصحيح مسلم برقم ٣٠٣٣.

(٤) برقم ٣٩٧٠.

(٥) ظاهر يعني لبس درعاً على درع، فتح الباري (٧/١٩٨) وانظر: المعجم الوسيط (٥٧٨/٢).

أَرَدْنَا بَنِي عَمَّنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ»، فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَى عُتْبَةَ، وَأَقْبَلَتْ إِلَى شَيْبَةَ، وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ صَرْبَتَانِ، فَأَتَّخَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مَلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ، وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ» (١).

من مشاهد وأحداث المعركة:

مقتل أبي جهل لعنه الله: وأبو جهل عمرو بن هشام ما هو إلا حلقة من حلقات الظلم والطغيان ضد الحق، فمثله كثير. إن فرعون موسى انتهى بالغرق، وقوم هود، وصالح، ولوط هلكوا، وكل ظالم متكبر لا بد أن ينتهي تلك النهاية المؤلمة.

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وانتهى أبو جهل، ورمي بالقليب بعد تلك الكبرياء التي أرادها للباطل على الحق، ولكن التاريخ البشري يشهد أن الحق هو الذي يبقى، وقديماً قيل: «دَوْلَةُ الْبَاطِلِ سَاعَةٌ، وَدَوْلَةُ الْحَقِّ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ» (٢).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ

(١) برقم ٢٦٦٥ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥٠٧/٢) برقم ٢٣٢١.

(٢) انظر: مرويات غزوة بدر للعليمي ص ٢٢٢.

بَدْرٍ، فَظَنَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ، حَدِيثَةَ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعِ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمْمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَأَبْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضْرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْمَا قَتَلَهُ»، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «كِلَاكُمْمَا قَتَلَهُ»، سَلَبَهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ، وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرٍو ابْنَ الْجَمُوحِ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟» فَاَنْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضْرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ، قَالَ: أَأَنْتَ أَبُو جَهْلٍ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ، أَوْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ: وَقَالَ أَبُو مَجْلِزٍ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَوْ غَيْرَ أَكَارٍ قَتَلَنِي<sup>(٣)</sup>،

(١) برقم ٣١٤١ ومسلم برقم ١٧٥٢.

(٢) برقم ٤٠٢٠ وصحيح مسلم برقم ١٨٠٠.

(٣) برقم ٤٠٢٠، وأكار: زراع، قال الحافظ في الفتح (٧/٢٩٥): وعنى بذلك أن الأنصار أصحاب زرع، فأشار إلى تنقيص من قتله منهم بذلك.

وفي رواية أخرى للبخاري: وَهَلْ أَعْمَدُ<sup>(١)</sup> مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ<sup>(٢)</sup>.  
وقال أيضاً لابن مسعود: لَقَدْ ارْتَقَيْتَ مُرْتَقَى صَعْبًا يَا رُوَيْعِي الْغَنَمِ،  
وَسَأَلَ قَائِلًا: لِمَنِ الدَّائِرَةُ الْيَوْمَ؟ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ<sup>(٣)</sup>.

ومن المشاهد والأحداث: قتل رأس الكفر أمية بن خلف: قُتِلَ  
أمية بن خلف السيد المطاع على يد بلال الحبشي الذي طالما عذبه  
بمكة، تلك الأنات التي يطلقها بلال: أَحَدٌ، أَحَدٌ، لم تذهب سدى، إنها  
سياط في وجه الظلم الكالِح في كل زمان ومكان، ويثأر بلال، ولكن  
الثأر لم يكن لنفسه، وإنما هو للحق الذي يحمله بين جنبيه، وينتهي  
العدوان، ويرى أهله مصيرهم، والعاقبة للمتقين. رحم الله بلالاً، فقد  
أعطى القدوة مرتين:

الأولى: لتحمله العذاب والقهر في دين الله، فكان أقوى من  
الحديد، وأشد من الفولاذ.

الثانية: إذاقته لأعداء الله كأس المنيّة من يده، ليثبت للدنيا كلها،  
وللتاريخ البشري انتصار الحق والإيمان على الكفر والعدوان<sup>(٤)</sup>.

قال الشاعر:

هَنِيئًا زَادَكَ الرَّحْمَنُ خَيْرًا لَقَدْ أَدْرَكْتَ ثَأْرَكَ يَا بِلَالُ

(١) أعمد: يريد أكبر من رجل قتلتموه، على سبيل التحقير منه لفعالهم به، قال الحافظ أبو ذر  
الخشني: وعميد القوم سيدهم. شرح السيرة النبوية ص ١٦٠.

(٢) برقم ٣٩٦١.

(٣) سيرة ابن هشام (٢/٢٢٧).

(٤) مرويات غزوة بدر ص ٢٢٦.

ولقد أخبر النبي ﷺ أصحابه بقتل أمية بن خلف، فكان كما قال، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي عنه قال: «كَاتَبْتُ أُمِّيَّةَ بْنَ خَلْفِ كِتَابًا، بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَّتِي بِمَكَّةَ، وَأَحْفَظُهُ فِي صَاغِيَّتِهِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ، قَالَ: لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ، كَاتَبْنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَاتَبْتُهُ: عَبْدَ عَمْرٍو، فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأَحْرِزِهِ<sup>(١)</sup> حِينَ نَامَ النَّاسُ، فَأَبْصَرَهُ بِأَلٍّ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمِّيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا، خَلَفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتَّبِعُونَا، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا، فَلَمَّا أَذْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ: ابْرُكْ، فَبَرَكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ، فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الْأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ»<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) حرز: يقال أحرزت الشيء أحرزه إحرزاً إذا حفظته وضممته إليك، وصنته عن الأخذ. النهاية في غريب الحديث (١/٣٦٦).

(٢) برقم ٢٣٠١.

(٣) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٢٣٨-٢٤٦.



## الكلمة التاسعة والأربعون

### غزوة بدر

#### مشاهد وأحداث من أرض المعركة (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:  
تقدم في الكلمة السابقة الحديث عن مشاهد وأحداث من غزوة بدر المباركة، ولا زال الحديث موصولاً في ذلك.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه قال: «انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبّوا المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يُقدّم من أحدٍ منكم إلى شيءٍ حتى أكون أنا دونهُ»، فدنا المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»، قال: يقول عمير بن الحُمَام: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟! قال: «نعم»، قال: بنح بنح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يحملك على قولك بنح بنح»، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمراتٍ من قرنيه <sup>(١)</sup> فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما

(١) أي جعبته. النهاية في غريب الحديث (٤/٥٥).

كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ» (١).

### ومن المشاهد والأحداث:

ما روى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: «قَالَ الزُّبَيْرُ: لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرِ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَهُوَ مُدَجَّجٌ لَا يَرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُكْنَى أَبُو ذَاتِ الْكُرْشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنْزَةِ (٢) فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ. قَالَ هِشَامٌ: فَأَخْبِرْتُ أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ: لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِي عَلَيْهِ، ثُمَّ تَمَطَّأْتُ، فَكَانَ الْجَهْدُ أَنْ نَزَعْتُهَا، وَقَدْ انْتَنَى طَرْفَاهَا. قَالَ عُرْوَةُ: فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ سَأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ، فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ» (٣).

وروى البخاري في صحيحه من حديث عروة رضي الله عنه قال: «كَانَ فِي الزُّبَيْرِ ثَلَاثُ ضَرْبَاتٍ بِالسَّيْفِ، إِحْدَاهُنَّ فِي عَاتِقِهِ، قَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأَدْخُلُ أَصَابِعِي فِيهَا، قَالَ: ضُرِبَ ثِنْتَيْنِ يَوْمَ بَدْرِ، وَوَاحِدَةً يَوْمَ الْيَرْمُوكِ. قَالَ عُرْوَةُ: وَقَالَ لِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ حِينَ قُتِلَ

(١) برقم ١٩٠١.

(٢) العنزة: مثل نصف الرمح أو أكبر شيئاً، وفيها سنان مثل سنان الرمح. والعكازة قريب منها. النهاية في غريب الحديث (٤/٣٠٨).

(٣) برقم ٣٩٩٨.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: يَا عُرْوَةُ: هَلْ تَعْرِفُ سَيْفَ الزُّبَيْرِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فِيهِ؟ قُلْتُ: فِيهِ فَلَّةٌ<sup>(١)</sup> فَلَهَا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ: صَدَقْتَ، بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَائِبِ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ رَدَّهُ عَلَى عُرْوَةَ. قَالَ هِشَامٌ: فَأَقَمْنَاهُ بَيْنَنَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَأَخَذَهُ بَعْضُنَا، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ أَخَذْتُهُ<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ في الفتح: «قوله: صدقت بهن فلول من قراع الكتائب هذا شطر من بيت مشهور من قصيدة مشهورة للنابغة الذبياني، وأولها: كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وهو من المدح في معرض الذم، لأن الفل في السيف نقص حسي لكنه لما كان دليلاً على قوة ساعد صاحبه، كان من جملة كماله»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية أخرى عن عروة رضي الله عنه قال: «كَانَ سَيْفُ الزُّبَيْرِ ابْنِ الْعَوَّامِ مُحَلَّى بِفِضَّةٍ»<sup>(٥)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث عروة بن الزبير رضي الله عنه: «أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ: أَلَا تَشُدُّ فَنَشُدُّ مَعَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ، فَقَالُوا: لَا نَفْعَ لِي، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ، فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلًا،

(١) الفلة: الثملة في السيف وجمعها: فلول. النهاية في غريب الحديث (٣/٤٧٢).

(٢) أي قتال الجيوش ومحاربتها.

(٣) برقم ٣٩٧٣.

(٤) فتح الباري (٧/٣٠٠).

(٥) صحيح البخاري برقم ٣٩٧٣.

فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ، فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ، بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضَرَبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ. قَالَ عُرْوَةُ: كُنْتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرْبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ، قَالَ عُرْوَةُ: وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ، وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا<sup>(١)</sup>.

ومنها شجاعة حمزة رضي الله عنه: روى ابن إسحاق بسنده: «أَنَّ أُمَّيَةَ بْنَ خَلْفٍ سَأَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَقَالَ: مَنْ الرَّجُلُ مِنْكُمْ الْمَعْلَمُ بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ يَوْمَ بَدْرٍ؟ قُلْتُ: ذَلِكَ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَلِكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث وحشي قال: «إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طَعِيمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ يَوْمَ بَدْرٍ»<sup>(٣)</sup>.

لقد انتهت معركة بدر بنصر حاسم للمسلمين، فقد قتلوا سبعين من قادة قريش وساداتهم وأسروا سبعين، وحصلت في هذه المعركة المعجزات والكرامات العظيمة التي أيد الله بها المؤمنين، وجاء دور الغنائم، فلقد خلفت قريش الكثير منها، ومن هذه الغنائم أموال المهاجرين التي تركوها في مكة، وانتزعها المشركون منهم، وهذه الغنيمة التي حصلت للمسلمين هي فضل من الله يعطيه لأوليائه إذ مكنهم من رقاب أعدائهم قتلاً وأسراً، ومن أموالهم غنيمة طيبة للمؤمنين.

(١) برقم ٣٩٧٥.

(٢) السيرة النبوية (٢/٢٢٣) وسنده حسن وأخرجه البزار (٣/١) برقم ٢٢٧.

(٣) برقم ٤٠٧٢.

وكان انهزام القوم وتوليهم حين زالت الشمس عند الغروب من يوم الجمعة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت رضي عنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالْتَقَى النَّاسُ فَهَزَمَ اللَّهُ الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يُطَارِدُونَ وَيَقْتُلُونَ، وَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْمَغْنَمِ يَحُوزُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُصِيبُ الْعَدُوَّ مِنْهُ غَرَّةٌ، وَجَاءَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) (٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣٧/٤٢٢) برقم ٢٢٧٦٢ وقال محققوه حسن لغيره.  
 (٢) انظر: كتاب حدث غير مجرى التاريخ للمؤلف ص ٢٤٦-٢٥٣.



الكلمة الخمسون

اتباع الهوى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: فمن الخصال المذمومة التي تلقي بصاحبها في مهاوي الردى، وتعمي بصيرته، فيصبح لا يفرق بين حق ولا باطل، ولا خير وشر.. اتباع الهوى.

قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣]. قال ابن كثير: «أي: مهما استحسنت من شيء ورأه حسناً في هوى نفسه كان دينه ومذهبه<sup>(١)</sup> كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ [فاطر: ٨]».

وقال تعالى: ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه حال هؤلاء المتبعين لأهوائهم، وأن الحال يصل بهم إلى أن يكونوا كالأنعام بل أضل، قال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤].

(١) تفسير ابن كثير (٣٠٩/١٠).

وإن من اتباع الهوى ما يفعله بعض الناس من البحث عن الرُّخصِ المخالفة للشرع والفتاوى الشاذة، وزلات العلماء، ويلوون أعناق النصوص من أجل ذلك، وإذا كانت النصوص توافق أهواءهم رضوا وسَلَّمُوا ولم يجادلوا، وقد ذكر الله في كتابه هذا الصنف فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٧ ﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرَضُونَ ٤٨ ﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ٤٩ ﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أُرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٥٠ ﴾ [النور: ٤٧-٥٠].

لكن بعض الناس يرفع القوانين إلى السماء عندما تكون في مصلحته، فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما ينتقضها هدم القوانين والدساتير جميعاً فالقانون المرعي - عنده في الحقيقة - هو مقتضيات هذه المصلحة الخاصة فحسب<sup>(١)</sup>.

والهوى يُعْمِي وَيُصِمُّ صاحبه عن الحق، روى مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا<sup>(٢)</sup>، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا<sup>(٣)</sup> نُكِبَتْ<sup>(٤)</sup> فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِبَتْ

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ٢٣١.

(٢) ومعنى تعرض: أي كأنها تلصق، بعرض القلوب أي جانبها، كما يلصق الحصير بجانب النائم ويؤثر فيه بشدة لصقها به، قال: وقوله عوداً، عوداً: أي تعاد وتكرر عليه شيئاً بعد شيء.

(٣) أي حلت فيه محل الشراب.

(٤) أي نقطة نقطة.

فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أْبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تُضْرُهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرْبَادًا<sup>(١)</sup> كَالْكُوزِ مُجَحِّيًا<sup>(٢)</sup>، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ<sup>(٣)</sup>.

وقد نهى الله تبارك وتعالى نبيه عن اتباع الهوى، فقال سبحانه: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥]. وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من اتباع الهوى، فروى الترمذي في سننه من حديث قطبة بن مالك رضي عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ»<sup>(٤)</sup>.

وأخبر النبي ﷺ أن اتباع الهوى من المهلكات، روى البزار في مسنده من حديث ابن عباس رضي عنهما أن النبي ﷺ قال: «المُهْلَكَاتُ ثَلَاثٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»<sup>(٥)</sup>.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي عنه: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَنْخَوْفُ عَلَيْكُمْ: طُولُ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى، فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ»<sup>(٦)</sup>.

(١) المراد شدة البياض في سواد.

(٢) أي منكوساً مائلاً.

(٣) برقم ١٤٤.

(٤) برقم ٣٥٩١، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٨٤) برقم ٢٨٤٠.

(٥) مسند البزار (٨/ ٢٩٥) برقم ٣٣٦٦، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٠٢.

(٦) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٥٣٠) برقم ٨٨١.

وقد وردت أقوال كثيرة عن السلف تحذر من تتبع زلات العلماء، والأقوال الشاذة، قال سليمان التيمي: «لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله»<sup>(١)</sup>، وقال الإمام الأوزاعي: «من أخذ بنوادر العلماء (أي الأقوال النادرة) خرج من الإسلام»<sup>(٢)</sup>، وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «ثَلَاثٌ يَهْدِمْنَ الدِّينَ: زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ، وَأَيْمَةٌ مُضِلُّونَ»<sup>(٣)</sup>، وقال ابن حزم الأندلسي: «وطبقة أخرى وهم قوم بلغت بهم رقة الدين، وقلة التقوى إلى طلب ما وافق أهواءهم في قول كل قائل، فهم يأخذون ما كان رخصة من قول كل عالم مقلدين له غير طالبين ما أوجبه النص عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم»<sup>(٤)</sup> اهـ.

وروى البيهقي عن إسماعيل القاضي قال: «دخلت على المعتضد بالله فدفعت إليّ كتاباً فنظرت فيه فإذا قد جمع له من الرخص من زلل العلماء وما احتج به كل واحد منهم، فقلت: مصنف هذا زنديق، فقال: ألم تصح هذه الأحاديث؟ قلت: الأحاديث على ما رويت، ولكن من أباح المسكر - النبيذ - لم يباح المتعة، ومن أباح المتعة لم يباح المسكر، وما من عالم إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه، فأمر المعتضد بإحراق ذلك الكتاب»<sup>(٥)</sup> اهـ.

وقد شدد العلماء في الإنكار على من تتبع الرخص وشواذ

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٢/٩١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/١٢٥).

(٣) سنن الدارمي (١/٧١).

(٤) الأحكام في أصول الأحكام (٥/٦٥).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/٤٦٥).

الأقوال، حيث وصفوه مرة بأنه شر عباد الله كما ذكر ذلك عبد الرزاق عن معمر<sup>(١)</sup>، وتارة وصفوه بالفسق كما نص عليه ابن النجار، فقال: يحرم على العامي تتبع الرخص ويُفسق به<sup>(٢)</sup>، وقال الغزالي: ليس للعامي أن ينتقي من المذاهب في كل مسألة أطيبها عنده فيتوسع<sup>(٣)</sup>.

وبعض الناس إذا أراد أن يستفتي يسأل في كل مسألة من عُرفَ بالتساهل فيها، والإفتاء بغير ما عليه جماهير العلماء، فإذا دُلَّ على العلماء الذين يفتون بالكتاب والسنة؛ قال: إن هؤلاء لا يعرفون إلا لغة التحريم، كل شيء عندهم حرام، فهذا وأمثاله اتخذوا دينهم لعباً ولهواً والله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، ولم يقل كما أردت، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «أجمع العلماء على أن العامي لا يجوز له تتبع الرخص»<sup>(٤)</sup>.

قال محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»<sup>(٥)</sup>.

أما قول بعضهم: ضع بينك وبين النار مُطَوَّع، فهذا القول لا يكون صحيحاً إلا بسؤال أهل العلم المعروفين بالتقوى، وأن يكون القصد

(١) انظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (١/٢٠٩).

(٢) مختصر التحرير ص ٢٥٢.

(٣) المستصفي (٢/٤٦٩).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩١).

(٥) مقدمة صحيح مسلم ص ٢٤.

من السؤال معرفة الحق والعلم الذي يرضي الله تعالى<sup>(١)</sup>.  
ومن الأمثلة على تتبع زلات العلماء وترك ما قال به جمهور أهل العلم، ودلت عليه النصوص الصريحة: الذين يأخذون بقول من قال بإباحة الغناء، ويتركون من قال بتحريمه، كأبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد، وجماهير أهل العلم من المتقدمين، والمتأخرين.  
ومنهم: الذين يأخذون بقول من قال من المعاصرين بجواز حلق اللحية، ويتركون النصوص الصريحة التي وردت في الصحيحين وغيرها من الكتب الستة بالأمر بإعفائها، وهو قول جمهور أهل العلم من المتقدمين، والمتأخرين، بل لم يعرف حلق اللحية إلا في العصور المتأخرة.  
ومنهم: الذين يأخذون بقول من قال من المعاصرين بجواز إسبال الثياب من غير خيلاء، ويتركون النصوص الصريحة التي وردت في الصحيح وغيره بتحريم ما أسفل من الكعبين من الإزار.  
وما ذكرته غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ، وَقَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، أسأل الله تعالى أن يرزقنا التجرد للحق، وأن يبعدنا عن اتباع الهوى، وأن يجعلنا ممن يسارعون إلى تنفيذ أمر الله ورسوله راضين مسلمين.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) انظر رسالة الشيخ عبد اللطيف التويجري بعنوان: تتبع الرخص بين الشرع والواقع، فقد أجاد وأفاد.

## الكلمة الواحدة والخمسون

### الفقه في الدين وفضله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تحث المسلم على التفقه في الدين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٢٢) [التوبة: ١٢٢].

روى الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup>. قال بعض أهل العلم: مَنْ لَمْ يُفَقِّهْ فِي الدِّينِ، لَمْ يُرِدْ بِهِ اللَّهُ خَيْرًا.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ

(١) برقم ٧١ وصحيح مسلم برقم ١٠٣٧.

أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ  
فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ  
يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

قال العلامة صديق حسن خان رَحِمَهُ اللهُ: «والفقه في دين الله هو  
الفهم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وكان الفقيه في سلف هذه  
الأمّة من اتصف بفهمها»<sup>(٢)</sup>. اهـ. مختصراً.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:  
«خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا»<sup>(٣)</sup>.

ومن الفقه في الدين الوصول إلى الأجر العظيم بالعمل القليل،  
أو بمعنى آخر: معرفة الطرق للحصول على الأجر الجزيل، فمن  
ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث مَيْمُونَةَ  
بِنْتِ الْحَارِثِ أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ  
يَوْمَهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي  
أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي؟ قَالَ: «أَوْ فَعَلْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ  
أَعْطَيْتَهَا أَخْوَالَكَ كَانَ أَكْبَرَ لَأَجْرِكَ»<sup>(٤)</sup>.

ففي هذا الحديث بيّن النبي ﷺ لأم المؤمنين ميمونة أن العتق  
مع الفضل العظيم الذي ورد فيه إلا أن الأفضل منه أن تُعطي هذه الأمّة

(١) برقم ٧٩ وصحيح مسلم برقم ٢٢٨٢.

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذري ص ٤٠٢.

(٣) برقم ٣٣٥٣ وصحيح مسلم برقم ٢٣٧٨.

(٤) برقم ٢٥٩٢ وصحيح مسلم برقم ٩٩٩.

لأحوالها فتخدمهم، فإن ذلك فيه صلة رحم.

ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث يبين أن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها كانت تذكّر الله من صلاة الصبح إلى وقت الضحى وهو وقت طويل، فأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكلمات يسيرة لا تتجاوز دقائق معدودة قد حصل على أجر أعظم من أجرها في ذلك الوقت الطويل.

ومنها ما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء فتيّما صعيدا طيبا فصليا ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يعد: «أصبت السنة، وأجزأتك صلاتك»، وقال للذي توجّأ وأعاد: «لك الأجر مرتين»<sup>(٢)</sup>.

(١) برقم ٢٧٢٦.

(٢) برقم ٣٣٨ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٦٩) برقم ٣٢٧.

الشاهد أن الذي أعاد الوضوء والصلاة عمل عملاً أكثر من صاحبه الذي لم يُعِدْ واقتصر على صلاة واحدة، ومع ذلك كان أعظم أجراً بإصابته السنة.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ من مداخل الشيطان على المؤمن إشغاله بالمفضول على الفاضل، بمعنى أن هناك أعمالاً صالحة أجرها عظيم فيشغله بأعمال صالحة أخرى أقل أجراً من الأولى.

ومن الفقه في الدين معرفة الفاضل وتقديمه على المفضول، ومن ذلك ورود عملان صالحان في وقت واحد، فمن الفقه تقديم ما يفوت وقته أو حاله على ما لا يفوت، وذلك كمن سمع الأذان وهو يقرأ القرآن فمن الفقه في الدين تقديم متابعة الأذان على القراءة لأن الأذان يفوت وقته، وقراءة القرآن يمكن تداركها.

ومن ذلك تقديم ما نفعه مُتَعَدِّ إلى الغير على ما نفعه قاصر على صاحبه، كتعليم العلم وتفضيله على العبادة، وفي الحديث: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ»<sup>(٢)</sup>.

ومن الفقه في الدين تقديم ما هو أساس لغيره وغيره يُبنى عليه، كتقديم طلب العلم على نوافل الصلاة والصيام وغيرها.

(١) جزء من حديث في سنن الترمذي برقم ٢٦٨٥ وقال الترمذي حسن غريب صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٤٢١٣.

(٢) مستدرک الحاكم (١/٢٨٣) برقم ٣٢٠ وقال محققه الحديث عندي أنه حسن وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٢١٤.

ومن الفقه تقديم ما تنشط له النفس ويكون إقبالها على فعله أعظم،  
ومن ذلك إفطار يوم عرفة للحاج مع ما جاء في صيامه من الفضل.  
ومنه الاختيار المناسب للحال، قال تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا  
الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾  
[البقرة: ٢٧١].

قال العلماء: إن صدقة السر أفضل، فإذا كان في إظهارها مصلحة  
كاقتداء الغير ونحوه كان الإظهار أفضل، وقس على ذلك موقفاً.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،  
وعلى آله وصحبه أجمعين.





الكلمة الثانية والخمسون

خطر الطائفة النصيرية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أعداء المسلمين من الكفار يمكرون ويخططون الليل والنهار للقضاء على الإسلام وأهله، ومن خططهم الخبيثة زرع الفرق الضالة في بلاد المسلمين حتى يضعفوا شوكتهم ويسيطروا على ثرواتهم ويبعدوهم عن دينهم وأخلاقهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

ومن هذه الفرق الباطنية التي غرسها الاستعمار في بلاد المسلمين فرقة النصيرية وهي من أخطر الفرق الباطنية، وسأذكر بعضاً من معتقداتها وأهدافها ونشأتها وخطرها على الإسلام والمسلمين للعلم والحذر.

أما تعريف النصيرية: فهم اتباع محمد بن نصير النميري، وسميت بهذا الاسم نسبة إليه، وهم من غلاة الشيعة الذين ألَّهوا علي بن أبي طالب، وقد انبثقوا من الاثني عشرية الرافضة.

نشأتها: لما توفي الحسن العسكري الذي تدعى الرافضة أنه إمامها الحادي عشر، اجتمع الغلاة من الممتين إليه، وادَّعوا أن له ولداً اختفى في سرداب بمنزل أبيه (سامراء) وأنه الإمام بعد أبيه، وخرج مجموعة من

غلاة الشيعة كل يدّعي أنه هو الواسطة بين هذا الإمام الغائب في السرداب في زعمهم وبين الشيعة، ومن هؤلاء: محمد بن نصير الذي سمي أتباعه فيما بعد بالنصيرية نسبة إليه، ونشأت النصيرية من ذلك الوقت.

أسماءها: كانوا يدعون بالنميرية، ثم اتخذوا اسم النصيرية منذ عهد شيخهم الخصي وكانوا يسمون أنفسهم المؤمنين، وفي فترة الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام تسموا بالعلويين.

مواطنهم: يسكن النصيرية في جبال اللاذقية، وحماه، وحمص من سوريا، وفي لواء الإسكندرونة، وطرسوس، وأدنه أو أطنه (في تركيا حالياً) وفي كردستان وغيرها.

طوائفهم: ينقسم النصيرية إلى أربع طوائف:

١- الحيدرية: نسبة إلى حيدر لقب علي بن أبي طالب.  
٢- الشمالية: وهم يقولون إن علياً يسكن في الشمس، ويقال لهم: الشمسية.

٣- الكلازية أو القمرية: ويعتقدون أن علياً يقيم في القمر.

٤- الغيبية: يقولون إن الله تجلّى ثم اختفى، والزمان الحالي هو زمان الغيبية، ويقررون أن الغائب هو الله الذي هو علي:  
﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذَبًا﴾

[الكهف: ٥].

وليس بين هذه الطوائف اختلاف في أصول العقيدة الباطنية كتأليه علي والتناسخ والحلول، فالاختلاف بينهم في مَقَرِّه، بعضهم يجعل مَقَرِّه القمر، وبعضهم الشمس.

أشهر رجالها: مؤسس المذهب النصيري هو محمد بن نصير النميري، ثم تولى المذهب بعده محمد بن جندب، ثم الحسين ابن حمدان الخصيي الذي يعتبر الشيخ الأعظم عند النصيرية.

عقائدهم الأساسية: تتلخص عقائدهم الأساسية فيما يلي:

١- علي بن أبي طالب إله عندهم يسكن السحاب، والرعد صوته، والبرق ضحكته، وهم بهذا يعظمون السحاب، ومنهم من يعتقد أن علياً حال في القمر أو الشمس - كما مر -.

٢- تناسخ الأرواح عندهم عقيدة من عقائدهم، فالذين لا يعبدون علياً يولدون في زعمهم من جديد على شكل إبل وحمير، أما المؤمن وهو عندهم من يعبد علياً فيتحول سبع مرات ثم يأخذ مكانه بين النجوم، ومن ينحرف منهم يولد من جديد حتى يتطهر أو يكفر عن سيئاته.

٣- إنكار البعث، والنشور، والجنة، والنار، والقول بقدوم العالم كما يعتقد الدهرية الزنادقة.

عبادتهم وأركان الإسلام عندهم:

١- الشهادة هي أن تشير إلى صيغة (ع-م-س) وهي رمز لعلي، ومحمد وسلمان، وهي أشبه بعقيدة التثليث عند النصارى.

٢- الصلوات الخمس عبارة عن خمس أسماء وهي علي، وحسن، وحسين ومحمد، وفاطمة، وذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم يجزيهم عن الغسل من الجنابة، والوضوء وبقية شروط الصلاة، وواجباتها.

٣- الزكاة ويرمز لها بشخصية سلمان.

٤- الصوم وهو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً من رجالهم تمثلهم أيام رمضان، وثلاثين امرأة من نسائهم تمثلهم ليالي رمضان.

٥- الجهاد وهو صب اللعنات على الأعداء ويقولون: إن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب ويليه في رتبة الإبلسية أبو بكر ثم عثمان رضي الله عنه أجمعين.. إلى غير ذلك من المعتقدات الفاسدة.

**فضائح النصيرية:** النصيرية يبيحون شرب الخمر والزنا، ولهم ليلة يختلط فيها الرجال والنساء، ويحبون (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويترضون عنه لزعمهم بأنه قد خلص اللاهوت من الناسوت وَيُخَطُّونَ من يلعنه.

**تاريخ النصيرية:** حافل بالمؤامرات والمكائد للمسلمين، فقد كانوا مع الأعداء دائماً ضد المسلمين كما حصل في أيام التتار وغزو بلاد المسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]. وقد رأينا وسمعنا وقرأنا عبر وسائل الإعلام ما يحصل لإخواننا أهل السنة في بلاد الشام من قتل، وسجن، وتعذيب، وانتهاك للحرمان، وتمزيق المصاحف، وضرب المساجد على أيدي النظام النصيري الحاقد، وما مجازر المسلمين في سجن تدمر وحماة وغيرها من بلاد الشام والتي قُتل فيها الآلاف من المسلمين؛ أكبر شاهد على جرائمهم الخبيثة، وحقدهم على الإسلام والمسلمين.

وقد اتفق علماء الإسلام على كفر النصيرية، وأنه لا تجوز مناكتهم، ولا تحل ذبائحهم، ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هم أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والإفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاته أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر، ولا نهى، ولا ثواب، ولا عقاب، ولا جنة، ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ، ولا بملة من الملل السابقة، وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض، ولا يحل لأحد من المسلمين أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم، ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بأمر الله ورسوله، ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر الله به ورسوله، فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والتعاون على كشف شرهم، وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]»<sup>(٢)</sup>.

وقال في موضع آخر: «وهذه الطائفة الملعونة استولت على

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة تأليف الشيخ ناصر القفاري، والشيخ ناصر العقل ص ١٣٦-١٤٠.

(٢) الفتاوى (١٤٥/٣٥-١٦٠) بتصرف.

جانب كبير من بلاد الشام (وهم) معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب، وقد حقق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلماهم، ومن عامة الناس أيضاً في هذا الزمان، لأن أحوالهم كانت مستورة عن أكثر الناس وقت استيلاء الإفرنج المخدولين على البلاد الساحلية، فلما جاءت أيام الإسلام انكشف حالهم وظهر ضلالهم، والابتلاء بهم كثير جداً<sup>(١)</sup>. اهـ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الثالثة والخمسون

التحذير من الغفلة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فمن الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله: الغفلة، قال تعالى عن الكفار: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧]، وقال تعالى عن فرعون: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَفْلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَفْلُونَ ﴿٧﴾﴾ [يونس: ٧]، ﴿يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧-٨].

قال ابن فارس: «الغفلة غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً كما في قوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١]»<sup>(١)</sup>.

وقد نهى الله تبارك وتعالى نبيه عن الغفلة، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٨٦) بتصرف.

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد تكون الغفلة عن الله عقوبة من الله للعبد على معصيته، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [النحل: ١٠٨].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: «لَيْتَنِيَنَّ أَقْوَامٌ عَن وَدَعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ» (١).

قد يقول قائل: ما هي أسباب الغفلة حتى يجتنبها المؤمن؟

أقول: إن من هذه الأسباب:

أولاً: الانقطاع الكثير عن زيارة القبور، وتذكر الموت والدار الآخرة: قال تعالى: ﴿الْهَكْمُ التَّكَاثُرُ﴾ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ [التكاثر: ٢-١]. قال ابن كثير رحمته الله: «أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ مُّغْتَرِبٌ﴾ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥]» (٢).

(١) برقم ٨٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير (١٤/٤٤٢).

روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ - يَعْنِي الْمَوْتَ -»<sup>(١)</sup>. وروى مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»<sup>(٢)</sup>.

فينبغي للمؤمن أن يكون على استعدادٍ للقاء ربه وألا يكون في غفلةٍ فإن أمامه أهوالاً وأموراً عظيمةً فهناك الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والنفخ في الصور، والبعث بعد الموت، وعرصات يوم القيامة، والصراط، والميزان، وغير ذلك من الأهوال العظيمة، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾<sup>(٢٠)</sup> وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ<sup>(٢١)</sup> لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ<sup>(٢٢)</sup> ﴿ [ق: ٢٠-٢٢].

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر رضي عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ<sup>(٣)</sup> تَجَارُونَ<sup>(٤)</sup> إِلَى اللَّهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) برقم ٢٣٠٧ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٦٦) برقم ١٨٧٧.

(٢) برقم ٩٧٦ وابن ماجه برقم ١٥٦٩ واللفظ له.

(٣) الصعدات: قال ابن الأثير (٢٩/٣) هي الطرق وهي جمع صُعد، وصُعد جمع صعيد كطريق وطرق وطرقات، وقيل: هي جمع صُعدة كظلمة وهي فناء باب الدار وممر الناس بين يديه.

(٤) تجارون: قال في النهاية (١/٢٣٢) الجوار: رفع الصوت والاستغاثة، جأر يجأر.

(٥) (٤٠٥/٣٥) برقم ٢١٥١٦، وقال محققوه حسن لغيره وأصله في صحيح البخاري برقم ٦٦٣٧.

## قال الشاعر:

أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ      لِمَا خُلِقُوا لِمَا هَجَعُوا وَنَامُوا  
لَقَدْ خُلِقُوا لِأَمْرٍ لَوْ رَأَتْهُ      عُيُونَ قُلُوبِهِمْ تَاهُوا وَهَامُوا  
مَمَاتُ نَمِّ قَبْرِ نَمِّ حَشْرٍ      وَتَوْبِيخُ وَأَهْوَالِ عِظَامٍ  
لِيَوْمِ الْحَشْرِ قَدْ عَمِلَتْ رِجَالٌ      فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا

ثانياً: الانغماس في المباحات، والانشغال بالدنيا وشهواتها وملذاتها والسعي في التجارات وجني الأرباح، روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُنَّ»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: الانقطاع عن مجالس الذكر وعدم المحافظة على الأذكار الشرعية في الصباح والمساء وعند دخول المسجد والخروج منه وعند الدخول إلى المنزل والخروج منه وغير ذلك من المواضع، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾<sup>(٢٥)</sup> [الأعراف: ٢٠٥].

قال ابن القيم رحمته الله: «على قدر غفلة العبد عن الذكر يكون بعده عن الله»<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً: «إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليختر العبد أعجبها إليه وأولاها به،

(١) برقم ٢٢٥٦ وقال الترمذي حديث حسن (صحيح) غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من حديث الثوري وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٥٥) برقم ١٨٤٠.

(٢) الوايل الصيب ص ٩٥.

فهو مع أهله في الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث يسيرة رضي الله عنها وكانت من المهاجرات، قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيرِ، وَاعْقِدْنَ بِالأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ، وَلَا تَغْفَلْنَ فَتَنْسِينَ الرَّحْمَةَ»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: الانقطاع عن بيوت الله وهجر صلاة الجماعة وقراءة القرآن، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۗ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَجَازُّ وَلَا يُبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۗ ﴿٣٧﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۗ ﴿٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠]. روى ابن خزيمة في صحيحه، والحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَكُتَبْ مِنْ الغَافِلِينَ»<sup>(٣)</sup>. والمراد بهذا الحديث صلاة الليل وتعاهد القرآن حتى لا يكون من الغافلين.

الخلاصة: أن من أراد أن ينجو من الغفلة: فعليه تجنب الأسباب

(١) الوابل الصيب ص ٩٩.

(٢) (٣٥/٤٥) برقم ٢٧٠٨٩ وقال محققوه إسناده محتمل للتحسين.

(٣) صحيح ابن خزيمة (١٨١/٢) برقم ٤٨٣ والحاكم في المستدرک (٢٥٧/٢) برقم ٢٠٨٥ واللفظ له وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٥/٢) برقم ٦٤٢.

السابقة، والإكثار من ذكر الله حتى يكون من الذاكرين، ومن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الكلمة الرابعة والخمسون

محظورات الإحرام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن من أراد العمرة أو الحج فإن عليه أن يتجنب محظورات الإحرام، والمقصود بها الأشياء التي تحرم بالدخول في النسك، وهي:

أولاً: إزالة الشعر من الرأس بحلق أو غيره: وألحق به جمهور أهل العلم شعر بقية الجسد لأن كل ذلك أخذه من التَّرفُّه، ومن الأدلَّة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ، فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: 1٩٦]. وأما اللحية فإن حلقها حرام في حال الإحرام وغيره لما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللَّحَى»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: تقليم الأظافر: قال ابن المنذر في الإجماع، وأجمعوا على أن المَحْرَمَ ممنوعٌ من أخذِ أَظْفَارِهِ<sup>(٢)</sup>، وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هو وضع

(١) برقم ٥٨٩٣ وصحيح مسلم ٢٥٩ واللفظ له.

(٢) الإجماع ص ٥٧.

الإحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظافر ونحو ذلك»<sup>(١)</sup>، وألحقه جمهور العلماء بحلق الشعر بجامع الترفه.

ثالثاً: استعمال الطيب بعد الإحرام: فَيَمْنَعُ الْمُحْرِمُ مِنْ اسْتِعْمَالِ الطَّيِّبِ فِي بَدَنِهِ، أَوْ ثَوْبِهِ، لِحَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحِينَ فِيمَا يُمْنَعُ مِنْهُ الْمَحْرَمُ مِنَ اللِّبَاسِ وَفِيهِ: «وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ أَوْ وَرْسٌ»<sup>(٢)</sup>، وحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلَا تَمَسُّوهُ بِطِيبٍ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّبًا»<sup>(٣)</sup>.

فهذه الأحاديث تدل على أن المحرم لا يستعمل الطيب في حال إحرامه لأنه من الترفه، وله قبل الإحرام أن يستعمل الطيب في بدنه دون لباسه ولا يضره بقاء ذلك بعد إحرامه وهذا يدخل تحت قاعدة: «يجوز في الاستدامة ما لا يجوز في الابتداء»، ويدل لذلك حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أُطِيبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ وَلِحَلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ»<sup>(٤)</sup>. ولحديثها الآخر: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِصِ الطَّيِّبِ فِي مَفْرِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ»<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٤٨/١٠).

(٢) برقم ١٥٤٢ وصحيح مسلم برقم ١١٧٧.

(٣) برقم ١٨٥١ وصحيح مسلم برقم ١٢٠٦.

(٤) برقم ١٥٣٨ وصحيح مسلم برقم ١١٨٩.

(٥) برقم ٢٧١ وصحيح مسلم برقم ١١٩٠.

رابعاً: تغطية المحرم رأسه ووجهه بملاصق: للحديث السابق فيما يمنع المحرم من اللباس وفيه: «وَلَا يَلْبَسُ الْقُمْصَ وَلَا الْعَمَائِمَ»<sup>(١)</sup>، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الذي وقصته ناقته وهو محرم قال: «اغسلوه بماءٍ وسدرٍ، وكفّنوه في ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تحمّروا رأسه، فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً»<sup>(٢)</sup>.

وأما الاستظلال بغير ملاصق كالشمسية، وسقف السيارة، أو الخيمة، أو غير ذلك فلا حرج فيه، ففي صحيح مسلم أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما كانا مع النبي صلى الله عليه وسلم أثناء رمي جمرّة العقبة، أحدهما أخذ بخطام ناقته والآخر رافع ثوبه يسترّه من الحرّ حتى رمى جمرّة العقبة<sup>(٣)</sup>.

ولحديث جابر رضي الله عنه في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: أنه صلى الله عليه وسلم نزل في القبة التي ضربت له بنمرة حتى زاغت الشمس<sup>(٤)</sup>.

خامساً: لبس المخيط: فلا يجوز للذكّر أن يلبس مخيطاً على جملته، يعني على هيئته التي فصل وخيط عليها كالقميص، أو على بعضه كالفانلة والسراويل والخفين والجوربين لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ الْقَمِيصَ وَلَا الْعِمَامَةَ وَلَا الْبُرْنَسَ وَلَا السَّرَاوِيلَ»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري برقم ١٥٤٢ وصحيح مسلم برقم ١١١٧.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) برقم ١٢٩٨.

(٤) صحيح مسلم برقم ١٢١٨.

(٥) صحيح البخاري برقم ١٣٤ وصحيح مسلم برقم ١١٧٧.

إلا إذا لم يجد إزاراً جاز له لبس السراويل، وكذا من لم يجد نعلين جاز له لبس الخفين من غير قطع لحديث ابن عباس رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ لَمْ يَجِدْ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَيْنِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِزَاراً فَلْيَلْبَسِ السَّرَاوِيلَ»<sup>(١)</sup>.

ويحرم على المرأة المحرمة أن تلبس مخيطاً لوجهها كالبرقع، والنقاب، أو ليديها، كالفازين لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَتَّقِبِ الْمَرْأَةُ الْمُحْرِمَةَ وَلَا تَلْبَسِ الْقُقَازِينَ»<sup>(٢)</sup>، والقُفَازان هما ما يخاط أو ينسج من الصوف، أو القطن، أو غيرهما على قدر اليدين، ويباح لها من المخيط ما سوى ذلك كالقميص والسراويل والخفين والجوارب ونحو ذلك، وكذلك يباح لها سدل خمارها على وجهها إذا احتاجت إلى ذلك بلا عصابة، وإن مس الخمار وجهها فلا شيء عليها لحديث فاطمة بنت المنذر أنها قالت: «كُنَّا نُخَمِّرُ وَجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ، وَنَحْنُ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ»<sup>(٣)</sup>.

سادساً: قتل صيد البر: لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، وقوله: ﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ١]، وقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].

(١) برقم ٥٨٥٢ وصحيح مسلم برقم ١١٧٧.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٨٣٨.

(٣) موطأ مالك ص ٢١٣ حديث رقم ٩٧٣ وأخرجه الحاكم في المستدرک (١٠٤/٢) برقم ١٧١١ وصححه ووافقه الذهبي وقال محققه سنده صحيح.

وهذه الآيات تدل على أن المحرم من حين دخوله في الإحرام بالحج أو العمرة إلى تحلله يجب عليه الامتناع من قتل صيد البر، بل لا يجوز له المساعدة في قتله ولا دلالة غير المحرم عليه، لِحَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ فِي سَفَرٍ وَهُمْ مُحْرِمُونَ، وَهُوَ غَيْرُ مُحْرِمٍ، فَرَأَوْا حُمْرَ وَحْشٍ، فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَبُو قَتَادَةَ فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا، وَأَكَلُوا مِنْهَا، وَفِيهِ: ثُمَّ قُلْنَا: أْنَاكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ؟ فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمِنْكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَكُلُوا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا»<sup>(١)</sup>.

سابعاً: عقد النكاح أو الخطبة: فلا يتزوج المحرم ولا يزوج غيره بولاية ولا وكالة ولا يخطب النساء، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ»<sup>(٢)</sup>.

ثامناً: وطء يوجب الغسل: لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَّضَ فِيهِتِ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، والرفث: هو الجماع كما في قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فمن جامع قبل التحلل الأول متعمداً فسد نسكه.

تاسعاً: المباشرة فيما دون الفرج قبل التحلل الأول بتقبيل أو غيره: وفي هذه الحالة لا يفسد نسكه ولكن قد ارتكب مُحْرَمًا ويجب

(١) صحيح البخاري برقم ١٨٢٤ وصحيح مسلم برقم ١١٩٦.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٤٠٩.

عليه التوبة والاستغفار، وأوجب بعض أهل العلم الفدية عليه.  
ومن فعل إحدى المحظورات الخمس السابقة فإن حاله لا يخلو  
من ثلاث:

الأول: أن يفعل المحذور بلا عذر ولا حاجة، فهذا آثم وعليه  
الفدية.

الثاني: أن يفعل المحذور لحاجة إلى ذلك، فعليه الفدية  
ولا إثم عليه، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ  
فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ولما رواه البخاري  
ومسلم في صحيحيهما من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه: أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه صلى الله عليه وسلم وأنه يسقط على وجهه القمل، فقال: «أَيُّؤذِيكَ  
هَوَامُّكَ؟»، قال: نعم، فأمره أن يحلق وهو بالحديبية، ولم يتبين  
لهم أنهم يحلون بها، وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فأنزل الله  
الفدية، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطعم فرقا بين ستة أو يهدي شاة  
أو يصوم ثلاثة أيام<sup>(١)</sup>.

الثالثة: أن يفعل المحذور: إما جاهلاً أو ناسياً أو مكرهاً،  
فلا إثم عليه، ولا فدية لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ  
أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ  
اللَّهَ تَجَاوَزَ عَن أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>،

(١) برقم ١٨١٧ وصحيح مسلم برقم ١٢٠١.

(٢) سنن ابن ماجه برقم ٢٠٤٥ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/٣٤٨)،  
برقم ١٦٦٤.

لكن متى زال العذر فعلم بالمحذور، أو ذكره، أو زال إكراهه، أو استيقظ من نومه وجب عليه التخلي عن المحذور فوراً.

أما بقية المحظورات الأربعة الباقية فإنها تختلف بحسب كل حالة وهذه تراجع في كتب الفقه ففيها تفصيل ذلك<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



---

(١) التحقيق والإيضاح للشيخ ابن باز ص ٣٣-٣٩، صفة الحج للشيخ ابن عثيمين ص ٣٣-٣٧، تبصير الناسك بإحكام المناسك للشيخ عبد المحسن البدر ص ٤٩-٦٥، والعمرة والحج والزيارة للشيخ سعيد القحطاني ص ٨٠-٩١، وكيف يحج المسلم ويعتمر للشيخ عبد الله الطيار ص ٤٢-٤٥.



## الكلمة الخامسة والخمسون

### فضل العمرة وصفتها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فقد وردت أحاديث كثيرة تدل على فضل العمرة وأنها من مكفرات الذنوب، وأما وجوبها فقد اختلف أهل العلم في ذلك، ومن أدلة القائلين بالوجوب: ما رواه الإمام أحمد في مسنده وابن خزيمة في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن خزيمة: قوله في الحديث: «عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ» بيان أن العمرة واجبة كالحج، إذ ظاهر قوله «عَلَيْهِنَّ» أنه واجب إذ غير جائز أن يقال: «على المرء ما هو تطوع غير واجب»<sup>(٢)</sup>.

ومنها ما رواه ابن خزيمة في صحيحه من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في سؤال جبريل إياه عن الإسلام فقال: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،

(١) (١٩٨/٤٢) برقم ٢٥٣٢٢ وقال محققوه إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) (صحيح ابن خزيمة ٤/٣٥٩).

وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَحُجَّ وَتَعْتَمِرَ، وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَأَنْ تُتِمَّ الوُضُوءَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنَا مُسْلِمٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: صَدَقْتَ»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على فضل العمرة ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها ما رواه النسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ»<sup>(٣)</sup>.

وصفة العمرة أن يُحْرِمَ المعتمرُ من الميقات سواء كان ذلك عن طريق البحر، أو الجو، أو البر، ومن كان من دون هذه المواقيت أُحْرِمَ من موضعه كأهل جدة أو بحرة أو غيرها.

وإذا كان المعتمر عن طريق الجو وخشي من تجاوز الميقات أُحْرِمَ قبله بمدة كافية ليتيقن أنه أُحْرِمَ عند الميقات أو قبله، ويستحب له أن يغتسل كما يغتسل للجنابة ويتطيب بأطيب ما يجد في رأسه ولحيته، ويلبس إزاراً ورداءً أبيضين، والمرأة تلبس ما شاءت من الثياب غير ألا

(١) (٣٥٦/٤) برقم ٣٠٦٥ وسنن الدارقطني (٢/٢٨٣) برقم ٢٠٧ وقال هذا إسناد ثابت صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم ١٧٧٣ وصحيح مسلم برقم ١٣٤٩.

(٣) برقم ٢٦٣٠ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/٥٥٨) برقم ٢٤٦٧.

تبرج بزينة، ثم يصلي الفريضة إن كان وقت فريضة، ليحرم بعدها، فإن لم يكن وقت فريضة ووافق صلاة التطوع أحرم بعدها.

ثم إذا فرغ من الصلاة نوى الدخول في العمرة فيقول: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»<sup>(١)</sup>، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ عُمْرَةً...». يرفع الرجل صوته بذلك وتخفيه المرأة، فقد روى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَ أَصْحَابِي وَمَنْ مَعِيَ أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَحْلِ رَثٍّ وَقَطِيفَةٍ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ ذَرَاهِمَ أَوْ لَا تُسَاوِي، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حِجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا وَلَا سُمْعَةً»<sup>(٣)</sup>.

ويستمر على هذه التلبية حتى تكون شعاره حتى يبدأ الطواف بالبيت، ثم يمسك عن التلبية ليتفرغ للاشتغال بأذكار الطواف والسعي وغيرها، ومن تيسر له الاغتسال قبل دخول مكة فإنه يستحب له ذلك، لما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ أَدْنَى الْحِجْلِ أَمَسَكَ عَنِ التَّلْبِيَةِ، ثُمَّ يَبِيتُ بِذِي طُوًى، ثُمَّ يُصَلِّي بِهِ الصُّبْحِ وَيَغْتَسِلُ، وَيُحَدِّثُ

(١) صحيح البخاري برقم ١٥٤٩ وصحيح مسلم برقم ١١٨٤.

(٢) برقم ١٨١٤ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٤١/١) برقم ١٥٩٩.

(٣) برقم ٢٨٩٠ وأصله في صحيح البخاري برقم ١٥١٧، وفيه: «حج النبي ﷺ على رحل وكانت زاملته»، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٢٦١٧.

أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

وله أن يدخل مكة من أي طريق شاء لقوله ﷺ: «كُلُّ فِجَاجٍ مَكَّةَ طَرِيقٌ وَمَنْحَرٌ»<sup>(٢)</sup>، والنبي ﷺ دخلها من أعلاها لأن الداخل يأتي من قِبَلِ وَجْهِهَا، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَاءَ مَكَّةَ، دَخَلَهَا مِنْ أَعْلَاهَا، وَخَرَجَ مِنْ أَسْفَلِهَا»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إِذَا أَتَى مَكَّةَ جَازَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ، لَكِنِ الْأَفْضَلُ أَنْ يَأْتِيَ مِنْ وَجْهِ الْكَعْبَةِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهُ دَخَلَهَا مِنْ وَجْهِهَا مِنَ النَّاحِيَةِ الْعُلْيَا الَّتِي فِيهَا الْيَوْمَ بَابُ الْمَعْلَاةِ»<sup>(٤)</sup>.

ويستحب له إذا أراد الدخول للمسجد الحرام أن يقدم رجله اليمنى ويقول: «بِسْمِ اللَّهِ.. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ..»<sup>(٥)</sup>، «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»<sup>(٦)</sup>، ويقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»<sup>(٧)</sup>.

(١) برقم ١٥٧٣ وصحيح مسلم برقم ١٢٥٩ واللفظ للبخاري.

(٢) سنن ابن ماجه برقم ٣٠٤٨ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/١٨٠) برقم ٢٤٧٣.

(٣) برقم ١٥٧٧ وصحيح مسلم برقم ١٢٥٨.

(٤) الفتاوى (١١٩/٢٦).

(٥) ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم ٨٨ وحسنه الألباني في الكلم الطيب برقم ٦٣.

(٦) صحيح مسلم برقم ٧١٣.

(٧) سنن أبي داود برقم ٤٦٦ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٩٣) برقم

وهذا الدعاء يقال في جميع المساجد، ولم يثبت عن النبي ﷺ عند رؤية الكعبة دعاء خاص، فيدعو بما تيسر وإن دعا بدعاء أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، فَحِينًا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ (١)، فحسن لثبوته عنه.

ثم يبادر إلى الحجر الأسود ويُقبله إن استطاع وإلا فيستلمه بيده أو عصا، ويُقبل ما استلمه منه، فإن شق ذلك فإنه يستقبل الحجر ويشير إليه بيده ويقول: «الله أكبر» وثبت عن ابن عمر موقوفاً عليه أنه كان يسمي ويكبر (٢)، ويجعل الكعبة عن يساره أثناء الطواف، فإذا بلغ الركن اليماني استلمه من غير تقبيل، فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لَمْ أَرِ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَلِمُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَّا الرُّكْنَيْنِ الْيَمَانِيِّينِ» (٣)، فإن لم يتيسر فلا يزاحم عليه، ويسن له أن يستلمه بيمينه، فإن لم يستلمه فإنه يتركه ويمضي، ولا يشير إليه، ولا يكبر لعدم ورود ذلك عن النبي ﷺ.

ولا تُقبَّل جدران الكعبة وبقية أركانها ولا تستلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «واتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين - الصحابة وأهل البيت وغيرهم - أنه لا يتمسح به ولا يقبله، بل ليس في الدنيا

٤٤١ والكلم الطيب برقم ٦٥.

(١) سنن البيهقي (٧٢/٥) وحسنه الألباني في مناسك الحج والعمرة ص ٢٠.

(٢) سنن البيهقي (٧٩/٥) وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٢٤٧/٢) سنده صحيح.

(٣) صحيح البخاري ١٦٠٩ وصحيح مسلم برقم ١٢٦٧.

من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود، وقد ثبت في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجْرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ <sup>(١)</sup>. ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركني البيت اللذين يليان الحجر ولا جدران البيت، ولا مقام إبراهيم، ولا صخرة بيت المقدس، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين <sup>(٢)</sup>.

وقد حفظ عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول بين الركنين اليماني والأسود: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» <sup>(٣)</sup>.

ثم يبدأ بالطواف حول الكعبة يجعلها عن يساره، فيطوف من وراء الحجر سبعة أشواط من الحجر إلى الحجر شوط، يضطبع <sup>(٤)</sup> فيها كلها، ويرمل في الأشواط الثلاثة الأول منها، من الحجر إلى الحجر، ويمشي في سائرها <sup>(٥)</sup>، وليس للطواف ذكر خاص، فله أن يقرأ من القرآن أو الذكر ما شاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس فيه ذكر محدود عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بأمره ولا بقوله ولا بتعليمه، بل يدعو فيه بسائر الأدعية الشرعية» <sup>(٦)</sup>.

(١) برقم ١٦١٠ وصحيح مسلم برقم ١٢٧٠.

(٢) الفتاوى (٧٩/٢٧).

(٣) سنن أبي داود برقم ١٨٩٢ وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٤/١) برقم ١٦٦٦.

(٤) الاضطباع أن يدخل الرداء من تحت إبطه الأيمن، ويرد طرفه على يساره وييدي منكبه الأيمن، ويغطي الأيسر.

(٥) صحيح مسلم برقم ١٢١٨.

(٦) منسك شيخ الإسلام شرح الشيخ ابن جبرين (ص ٨٣ - ٨٤).

فإذا فرغ من طوافه انطلق إلى مقام إبراهيم وقرأ: ﴿وَأَخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وصلى خلف المقام ركعتين، ويسن له أن يقرأ في الركعتين بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ في الركعة الأولى، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) في الركعة الثانية<sup>(١)</sup>، فإذا فرغ من الصلاة ذهب إلى زمزم فشرب منها، وصب على رأسه، فقد قال صلى الله عليه وسلم عن زمزم: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، وَهِيَ طَعَامٌ طُعِمَ، وَشِفَاءٌ سُقِمَ»<sup>(٢)</sup>، ثم يرجع إلى الحجر الأسود فيكبر ويستلمه على التفصيل المتقدم، لما روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فجعل المقام بينه وبين البيت، وكان يقرأ في الركعتين: قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، ثم رجع إلى الركن فاستلمه<sup>(٣)</sup>.

ثم ينطلق ليسعى بين الصفا والمروة، فإذا دنا من الصفا قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. ويقول: نبدأ بما بدأ الله به، ثم يصعد على الصفا فيستقبل الكعبة فيوحده الله ويكبره، فيقول: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ (ثلاثاً) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ

(١) صحيح مسلم برقم ١٢١٨.

(٢) البيهقي في السنن الكبرى (١٤٧/٥) برقم ٩٩٣٩ وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٠٥٦.

(٣) برقم ١٢١٨.

وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ أَنْجَزَ وَعَدَّهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ (ثلاثاً)... ويدعو بين ذلك»<sup>(١)</sup>، ثم يمشي إلى العلم (الموضوع) عن اليمين واليسار وهو المعروف بالميل الأخضر، ثم يسعى منه سعياً شديداً إلى العلم الآخر الذي بعده، لما روى مسلم في صحيحه من حديث جابر الطويل وفيه: «ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا أَنْصَبَتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى»<sup>(٢)</sup>. وقال بعض أهل العلم: إن المرأة لا يشرع في حقها الإسراع. ثم يمشي حتى يأتي المروة فيرتقي عليها ويصنع فيها ما صنع على الصفا من استقبال القبلة والتكبير والتوحيد والدعاء فهذا شوط، ثم يعود حتى يرقى على الصفا يمشي موضع مشيه، ويسعى موضع سعيه وهذا شوط ثان، وهكذا حتى يتم له سبعة أشواط، تبدأ بالصفا وتختتم بالمروة، ويجوز أن يطوف بينهما ركباً لأن النبي ﷺ ابتداء السعي ماشياً، فلما كثر عليه الناس ركب.. ويستحب له الإكثار من الذكر والدعاء بما تيسر ولو دعا في السعي بقوله: «رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ»، فحسن لثبوته عن بعض الصحابة<sup>(٣)</sup>.

فإذا انتهى من الشوط السابع على المروة قص شعر رأسه، أو

(١) صحيح مسلم ١٢١٨.

(٢) برقم ١٢١٨.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦٣٢/٥) الأول ١٥٧٩٠ والثاني ١٥٧٩١، عن ابن مسعود وابن عمر قال الألباني في مناسك الحج والعمرة بإسنادين صحيحين ص ٢٨.

حلق إذا كان بين عمرته وحجه فترة كافية يطول الشعر خلالها، ولا بد في التقصير من تعميم جميع جوانب الرأس، وأما المرأة فإنها تقصر من كل ضفيرة قدر أنملة، والأنملة هي رأس الأصبع. وبذلك تنتهي العمرة، وحل للمحرم ما حرم عليه بالإحرام.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.





البرم والمنتقاة

من

الكلمات الملقاة

فروس يومئذ

(١١٠) درساً للترعة والمطباء وأئمة المساجد للقراءة على الصلوات

إعداد

والأمير بن محمد آل الشيخ السقاوي

مجتمع البنات



## الكلمة السادسة والخمسون

### شروط وجوب الحج

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:  
فإن الحج ركنٌ من أركان الإسلام، وفريضةٌ من فرائضه العظام، وفضائله كثيرة ويجب على كل مسلم في العمر مرة واحدة.

وقرّر أهل العلم أن الحج يجب بخمسة شروط:

الشرط الأول: الإسلام: فالكافر والمشرِك لا يصح حجهما ولا يُمكنُ من دخول المسجد الحرام، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أخبره أن أبا بكر الصديق بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس: ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»<sup>(١)</sup>.

الشرط الثاني: العقل: فالمجنون لا يؤمر بالحج والعمرة ولا يصحان منه لو أتى بهما لفقده عقله، روى أبو داود في سننه من

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٦٢٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٤٧).

حَدِيثِ عَلِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقَلَ»<sup>(١)</sup>.

الشرط الثالث: البلوغ: فلا يجب الحج على الصبي حتى يبلغ للحديث السابق، ولكن لو حج الصبي صح حجه ولا يجزئه عن حجة الإسلام، لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً رَفَعَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَلَكَ أَجْرٌ»<sup>(٢)</sup>، وَلِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَيُّمَا صَبِيٍّ حَجَّ ثُمَّ بَلَغَ فَعَلَيْهِ حِجَّةٌ أُخْرَى، وَأَيُّمَا عَبْدٍ حَجَّ ثُمَّ عُتِقَ فَعَلَيْهِ حِجَّةٌ أُخْرَى»<sup>(٣)</sup>.

قال الترمذي: «وقد أجمع أهل العلم أن الصبي إذا حج قبل أن يدرك فعلية الحج إذا أدرك لا تجزي عنه تلك الحجة عن حجة الإسلام، وكذلك المملوك إذا حج في رِقِّهِ ثُمَّ أُعْتِقَ فَعَلَيْهِ الْحَجُّ إِذَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَلَا يَجْزِي عَنْهُ مَا حَجَّ فِي حَالِ رِقِّهِ، وَهُوَ قَوْلُ سَفِيَّانَ، الثَّوْرِيِّ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ»<sup>(٤)</sup>.

الشرط الرابع: كمال الحرية: فلا يجب الحج على المملوك،

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٤٠٣)، وقال الألباني: صحيح كما في «الإرواء» (٤/٢) (برقم ٢٩٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٣٦).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣٤٩/٤)، والحاكم في «المستدرک» (١٤٤/٢) (برقم ١٨١٢). وقال الحافظ في «الفتح» (٧١/٤): إسناده صحيح.

(٤) «سنن الترمذي» (ص ١٦٩).

ولكنه لو حج فحجه صحيح، ولا يجزئه عن حجة الإسلام، لقوله ﷺ في حديث ابن عباس رضيهما السابق: «وَأَيَّمَا عَبْدٍ حَجَّ ثُمَّ عَتَقَ فَعَلَيْهِ حِجَّةٌ أُخْرَى» (١).

الشرط الخامس: الاستطاعة: فالحج إنما يجب على من استطاع إليه سبيلاً بنص القرآن والسنة، والمراد بالمستطيع القادر ببدنه وماله لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. فمن عجز عن الحج والعمرة لهرم أو مرض لا يُرجى بُرؤه، أو كان قادراً ببدنه وليس عنده مال يحج به أو يعتمر لم يجب عليه، ومن عجز ببدنه وعنده مال لزمه أن ينيب من يحج عنه ويعتمر.

والنيابة في الحج والعمرة مشروعة لحديث أبي رزين العُقَيْلِيِّ رضي الله عنه: أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ وَلَا الْعُمْرَةَ وَلَا الظُّعْنَ، قَالَ: حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ» (٢).

ولحديث الفضل بن عباس رضيهما قال: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَذْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحْجَّ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ» (٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٩٣٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٥١٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٣٤).

ومن مات وهو لم يحج وله مال، أُخْرِجَ مِنْ تَرَكَّتِهِ مَا يُحَجُّ بِهِ عَنْهُ، وَلِغَيْرِهِ أَنْ يَحَجَّ عَنْهُ لِحَدِيثِ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْنِ رضي الله عنه، وَفِيهِ: أَنَّ امْرَأَةً مَاتَتْ أُمُّهَا، فَسَأَلَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: «إِنَّهَا لَمْ تَحَجَّ قَطُّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: حُجِّي عَنْهَا»<sup>(١)</sup>.

وتزويد المرأة شرطاً سادساً: وهو وجود محرم أو زوج يرافقها إلى الحج، لما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ فِي جَيْشٍ كَذَا وَكَذَا، وَامْرَأَتِي تُرِيدُ الْحَجَّ؟ فَقَالَ: اخْرُجْ مَعَهَا»<sup>(٢)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح مسلم» (برقم ١١٤٩).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٦٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٤١). انظر: «تبصير الناسك بأحكام المناسك» للشيخ عبد المحسن البدر، و«العمرة والحج والزيارة» للشيخ سعيد بن علي القحطاني.

الكلمة السابعة والخمسون

صفة الحج وواجباته

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد وردت النصوص الدالة على فضل الحج وأنه من مكفرات الذنوب، ومنها قوله ﷺ: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»<sup>(١)</sup>، والحج المبرور هو الذي يجتمع فيه ثلاثة أمور: الأول: الإخلاص لله ﷻ، والثاني: أن يكون وفق السنة لقوله ﷺ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»<sup>(٢)</sup>، والثالث: سلامته مما يفسده أو ينقصه.

وصفته على سبيل الاختصار:

١- إذا كان يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، استحب للذين أحلوا بعد العمرة وهم المتمتعون أن يُحرموا بالحج ضحى من محالهم، وكذلك من أراد الحج من أهل مكة، أما القارن والمفرد الذين لم يحلوا من إحرامهم فهم باقون على إحرامهم الأول.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٧٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٤٩).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٢٩٧).

أما الحجاج الذين قدموا إلى مكة اليوم الثامن، فلا بد أن يُحرموا من الميقات، وهذا واجب من واجبات الحج، لقول النبي ﷺ: «هُنَّ لَهُنَّ وَلَمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ»<sup>(١)</sup>.

والمقصود بالإحرام: هو نية الدخول في النسك وهو ركن من أركان الحج، فمن ترك هذه النية لم ينعقد حجه، لقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»<sup>(٢)</sup>.

سواء كان الميقات عن طريق الجو، أو البحر، أو البر، ومن كان من دون هذه المواقيت أحرم من موضعه كأهل جدّة، أو بحرة، أو غيرها، وإذا كان الحاج عن طريق الجو وخشي من تجاوز الميقات أحرم قبله بمدة كافية ليتيقن أنه أحرم عند الميقات أو قبله، ويستحب له أن يغتسل كما يغتسل للجنابة ويتطيب بأطيب ما يجد في رأسه ولحيته، ويلبس إزارًا ورداءً أبيضين، والمرأة تلبس ما شاءت من الثياب غير ألا تتبرج بزينة، ثم يصلي الفريضة إن كان وقت فريضة ليحرم بعدها، فإن لم يكن وقت فريضة، ووافق صلاة التطوع أحرم بعدها، ثم إذا فرغ من الصلاة نوى الدخول في الحج.

٢- ثم يقول: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ حَجًّا» يرفع

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٥٢٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١١٨١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٩٠٧).

الرجل صوته بالتلبية وتخفيه المرأة، ويسن الإكثار من التلبية ولا يقطعها حتى يرمي جمرة العقبة يوم العيد.

٣- ثم يخرج إلى منى فيصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، يقصر الرباعية إلى ركعتين ولا يجمع، والمكوث في منى اليوم الثامن سنة.

٤- فإذا طلعت الشمس من اليوم التاسع سار إلى عرفة فينزل بنمرة إن تيسر له إلى الزوال وإلا نزل بعرفة، فإذا زالت الشمس صلى الظهر والعصر قصرًا وجمعًا، ثم تفرغ لذكر الله ودعائه يستقبل القبلة في ذلك ولو كان الجبل خلفه حتى تغرب الشمس، والوقوف بعرفة ركن من أركان الحج لأن الله قال: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾، فإن الإفاضة من عرفة إنما تكون بعد الوقوف وهو الركن الذي يفوت الحج بفواته لحديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه قال: «شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة، وأتاه ناس من أهل نجد، فقالوا: يا رسول الله كيف الحج؟ قال: الحج عرفة، فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع، فقد تم حجه»<sup>(١)</sup>. قال ابن المنذر: «وأجمعوا على أن الوقوف بعرفة فرض، لا حج لمن فاتته الوقوف بها»<sup>(٢)</sup>.

وذكر أهل العلم أن من فاتته الوقوف بعرفة يوم التاسع وليلة

(١) «سنن ابن ماجه» (برقم ٣٠١٥)، وإسناده على شرط البخاري ومسلم، إلا بكبير بن عطاء وهو ثقة.

(٢) «الإجماع لابن المنذر» (ص ٦٤).

العيد، فليس له حج وعليه أن يجعل نسكه عمرة ويقضي حجه.

أَمَّا الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ لِمَنْ وَقَفَ بِهَا نَهَارًا، فَهُوَ  
 وَاجِبٌ مِنْ وَاجِبَاتِ الْحَجِّ، لِحَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي صِفَةِ حَجَّتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 وَفِيهِ: «فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا  
 حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ»<sup>(١)</sup>، وَقَدْ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا  
 أُدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»<sup>(٢)</sup>.

٥- فإذا غربت الشمس سار إلى مزدلفة فصلى بها المغرب  
 ثلاثاً والعشاء ركعتين ويبيت بها، فإذا صلى الفجر اشتغل بذكر الله  
 ودعائه حتى يسفر جداً، والمبيت بمزدلفة واجب من واجبات الحج  
 لأن الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ﴿فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ  
 عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]. والمشعر الحرام مزدلفة، ولأنَّ  
 النَّبِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بات بها حتى أصبح ورخص للضعفة من النساء والصبيان  
 بالإفاضة إلى منى في آخر الليل، والترخيص منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهم يدل على  
 وجوب المبيت؛ لأنه لو لم يكن واجباً لم يحتج فيه إلى الترخيص.

٦- فإذا أسفر جداً سار إلى منى، فإذا وصل إليها بدأ برمي  
 جمرة العقبة وهي أقرب الجمرات إلى مكة، فيرميها بسبع حصيات  
 متعاقبات، كل حصاة فوق الحمصة قليلاً ويكبر مع كل حصاة  
 بخشوع وتعظيم لله تعالى.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٢١٨).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٢٩٧).

والرمي يوم النحر قبل الزوال أو بعده إلى الليل لحديث ابن عباس رضي الله عنهما: قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْأَلُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَنَى فَيَقُولُ: لَا حَرَجَ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أُذْبَحَ؟ قَالَ: أُذْبَحَ لَا حَرَجَ، فَقَالَ رَجُلٌ: رَمَيْتُ بَعْدَ مَا أُمْسَيْتُ؟ قَالَ: لَا حَرَجَ»<sup>(١)</sup>.

٧- فإذا فرغ من رميها نحر هديه، وهو شاة أو سُبُع بدنة، أو سُبُع بقرة، وهو واجب على المتمتع والقارن، لقوله تعالى: ﴿فَنَ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴿ [البقرة: ١٩٦]. وإذا عجز عن الهدي وجب عليه أن يصوم ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله.

ويستحب أن يأكل من الهدي ويهدي ويتصدق، لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]. ويمتد وقت الذبح على الصحيح إلى غروب شمس اليوم الثالث عشر من أيام التشريق، ويجوز له أن ينحر في أي مكان آخر من منى وكذلك في مكة، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنَى كُلُّهَا مَنْحَرٌ، وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ طَرِيقٌ وَمَنْحَرٌ، وَكُلُّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ، وَكُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ»<sup>(٢)</sup>.

٨- فإذا فرغ من نحر هديه حلق رأسه كله أو قصره، والحلق أفضل إلا المرأة فتقصر من رأسها بقدر أنملة، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا بالرحمة

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٣٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٠٦).

(٢) «سنن ابن ماجه» (برقم ٣٠٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٨٠/٢) (برقم ٢٤٧٣).

وَالْمَغْفِرَةَ لِلْمُحَلِّقِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلِلْمُقَصِّرِينَ مَرَّةً وَاحِدَةً<sup>(١)</sup>.

وبعد رمي جمرة العقبة والحلق أو التقصير، يباح للمحرم كل شيء حُرِّمَ عليه بالإحرام إلا النساء، ويُسمى هذا التحلل الأول، فإذا تحلل التحلل الأول استحَبَ له أن يتطَيَّبَ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ، وَلِحَلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ»<sup>(٢)</sup>.

٩- ثم ينزل إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة، وهو ركن من أركان الحج لقوله تعالى: ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. ولما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا حَاضَتْ صَفِيَّةُ قَالَتْ: «أَحَابِسْتُنَا هِيَ؟» قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا قَدْ أَفَاضَتْ وَطَافَتْ بِالْبَيْتِ ثُمَّ حَاضَتْ بَعْدَ الْإِفَاضَةِ؟ قَالَ: فَلَا إِذَا<sup>(٣)</sup>. وفي رواية مسلم: «لَا بَأْسَ أَنْفِرِي»<sup>(٤)</sup>.

فدل ذلك على أن هذا الطواف لا بد منه وأنه حابس لمن لم يأت به، قال ابن قدامة: «وهو ركن من أركان الحج لا يتم إلا به لا نعلم فيه خلافاً، ولأن الله ﻋَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾<sup>(٥)</sup> [الحج: ٢٩]. ولا يشرع الرمل والاضطباع في طواف الإفاضة فإنهما

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٢٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٠١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٥٣٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ١١٨٩).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٥٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٢١١).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ١٢١١).

(٥) «المغني» (٣١١/٥).

في طواف القدوم، ثم يسعى بعد ذلك سعي الحج إن كان متمتعاً لأن سعيه الأول لعمرته، وهذا سعي الحج وهو ركن من أركانه لقول النبي ﷺ: «اسْعُوا، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ»<sup>(١)</sup>.

أما القارن والمفرد فليس عليه إلا سعي واحد، فإن كان قد سعاه بعد طواف القدوم كفاه ذلك عن السعي بعد طواف الإفاضة وإلا سعى بعد طواف الإفاضة، وبعد الطواف والسعي يتحلل الحاج التحلل الثاني فيحل له كل ما أحلَّ الله له قبل الإحرام حتى النساء.

وخلاصة ما يفعل الحاج يوم العيد ما يلي: (رمي جمرة العقبة، نحر الهدى، الحلق أو التقصير، الطواف، السعي)، والسنة أن يرتبها هكذا وإن لم يتيسر له فقدم بعضها على بعض فلا حرج.

١٠- ثم بيت منى ليالي أيام التشريق الثلاث للمتأخرين وليلتين للمتعجلين، لقول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ولأن النبي ﷺ بات بها ليالي أيام التشريق الثلاث.

وهذا المبيت واجب من واجبات الحج إلا على السقاة والرعاة، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «أنه استأذن النبي ﷺ أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له»<sup>(٢)</sup>، ولحديث عاصم بن عدي رضي الله عنه: «أن

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٦٧/٤٥) (برقم ٢٧٣٦٨)، وصحح إسناده الحافظان المزي وابن عبد الهادي. انظر: «إرواء الغليل» (٢٧٠/٤) (برقم ١٠٧٢).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٦٣٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣١٥).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَخَّصَ لِلرُّعَاةِ فِي الْبَيْتُوتَةِ يَرْمُونَ يَوْمَ النَّحْرِ، وَالْيَوْمَيْنِ  
الَّذَيْنِ بَعْدَهُ يَجْمَعُونَهُمَا فِي أَحَدِهِمَا»<sup>(١)</sup>، فدلَّت هذه الرخصة على  
أن المبيت بمنى هذه الليالي واجب على غير السقاة والرعاة، ومثلهم  
من تدعو الحاجة إلى بقائهم في غير منى.

١١- ثم يرمي الحاج الجمرات الثلاث في هذين اليومين بعد  
الزَّوَالِ، وهذا الرمي واجب من واجبات الحج، ولا يجوز الرمي  
قبل الزوال لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرْمِ إِلَّا بَعْدَ الزَّوَالِ، ولو كان ذلك  
جائزاً لرمى قبل الزوال تيسيراً على أمته، ولهذا قال ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمَا كما صحیح البخاري: «كُنَّا نَتَحَيَّنُ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ رَمَيْنَا»<sup>(٢)</sup>،  
وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «لَا تُرْمَى الْجِمَارُ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ حَتَّى  
تُرْوَلَ الشَّمْسُ»<sup>(٣)</sup>.

ويبدأ برمي الجمرة الصغرى وهي أبعد الجمرات عن مكة  
فيرميها بسبع حصيات متعاقبات، ويكبر مع كل حصاة، ولا بد أن  
يقع الحصى في الحوض، فإن لم يقع في الحوض لم يجز، ثم يتقدم  
قليلاً عن الزحام ويستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو الله تعالى بما أحب  
من دعاء، ثم يرمي الجمرة الوسطى ويقف بعدها للدعاء كما فعل  
في الأولى سواء، ثم يرمي الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة التي

(١) «سنن النسائي» (برقم ٣٠٦٩)، وصححه الألباني في صحيح «سنن النسائي» (٢/٦٤٢)  
(برقم ٢٨٧٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٤٦).

(٣) «موطأ مالك» (برقم ١٢٧٩)، وقال محققه: صحيح موقوف.

رماها يوم العيد كما في الجمرتين قبلها ولا يقف بعدها للدعاء.

ثم يرمي الجمرات في اليوم الثاني من أيام التشريق بعد الزوال كما رماها في اليوم الأول تمامًا، ويفعل عند الأولى والثانية كما فعل في اليوم الأول من أيام التشريق، فإن شاء تأخر في منى لليوم الثالث عشر ورمى الجمار فيه بعد الزوال وهو أفضل؛ لأنه فعل النبي ﷺ، وفيه زيادة عمل صالح وإن شاء تعجل في يومين فخرج من منى في اليوم الثاني عشر قبل الغروب، ومن عجز عن الرمي كالكبير، والمريض، والصغير، والمرأة الحامل، ونحوهم جاز أن يوكل من يرمي عنه، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وينبغي أن يكثر من التكبير والذكر في تلك الأيام والليالي، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ولقول النبي ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشَرِبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(١)</sup>.

١٢- إذا أنهى الحاج جميع أفعال الحج السابقة وأراد الرجوع إلى بلده، فإنه لا يخرج من مكة حتى يطوف بالبيت طواف الوداع ويجعله آخر أموره قبل سفره وهو من واجبات الحج، لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طاف للوداع عند خروجه، وَلِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَمَرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ، إِلَّا أَنَّهُ خُفِّفَ عَنِ الْحَائِضِ»<sup>(٢)</sup>.

والترخيص للحائض في ترك طواف الوداع يدل على وجوبه،

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١١٤١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٥٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٢٨).

ومثل الحائض في ذلك النفساء، وَلِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَاضَتْ صَفِيَّةُ قَالَ: «أَحَابِسْتُنَا هِيَ؟ فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهَا أَفَاضَتْ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: اخْرُجُوا»<sup>(١)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) سبق تخريجه.

الكلمة الثامنة والخمسون

فضائل مكة وحرمتها<sup>(١)</sup>

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الخالق عَزَّوَجَلَّ لجميع المخلوقات فَضَّلَ بعضها على بعض واختار منها ما شاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦٨] [القصص: ٦٨]. ومن الأماكن الفاضلة التي فَضَّلَهَا اللهُ على غيرها مكة، البلد الأمين مهبط الوحي ومنبع الرسالة، وهي البلد الذي أقسم الله به فقال: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢)﴾ [البلد: ١-٢]. قال ابن كثير: هذا قسم من الله تعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالاً لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣)﴾ [التين: ٣]<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت نصوص كثيرة في فضلها وحرمتها فمن ذلك:

أن فيها بيت الله العتيق أول بيت وضع للناس، قَالَ تَعَالَى:

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: ليس في الدنيا شيءٌ حَرَمَ إلا هذان الحرمان: حرم مكة وحرم المدينة، أما ما يقال: حرم الأقصى والحرم الإبراهيمي، فلا صحّة ولا أصل له [الشرح الممتع] (٧/٢١٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٥٣).

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ عَامًا»<sup>(١)</sup>.

ومنها: أن الله جعلها حرماً آمناً لا يُسْفِك فيه دم، ولا تعضد به شجرة<sup>(٢)</sup>، ولا ينفر له صيد، ولا يختلى خلاه<sup>(٣)</sup>، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس إلا.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي شريح رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمَنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٣٦٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٥٢٠). قال ابن القيم: وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد به، فقال: معلوم أن سليمان بن داود هو الذي بنى المسجد الأقصى وبينه وبين إبراهيم أكثر من ألف عام، وهذا من جهل هذا القائل، فإن سليمان إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده، ولا تأسيسه، والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق - صلى الله عليهما وسلم - بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار. «زاد المعاد» (١/ ٥٠).

(٢) لا يعضد شجره: لا يقطع.

(٣) الخلا: النبات الرطب، واختلاؤه: قطعه.

سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»<sup>(١)</sup>.

ومن فضائلها: ما ورد في فضل الصلاة في المسجد الحرام، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ»<sup>(٢)</sup>.

وقد بحث أهل العلم هنا مضاعفة الصلاة هل هي في الحرم كله؟ وهل سائر الحسنات كذلك؟ فأما المسألة الأولى، ففي الحديث السابق وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ»<sup>(٣)</sup>. ونصوص القرآن والسنة التي ذُكِرَ فيها المسجد الحرام إنما عُنِيََ به الحرم كله، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]. وإنما أُسْرِيَ به من بيت أم هانئ رضي عنها. ومن أدلة السنة: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا كَانَ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ، كَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، دَخَلَ الْحَرَمَ وَصَلَّى فِيهِ<sup>(٤)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٥٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤٦/٢٣) (برقم ١٤٦٩٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) جزء من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٢٢٠/٣١) (برقم ١٨٩١٠)، وقال محققوه: إسناده حسن.

وأما المسألة الثانية: فقد وردت آثار عن السلف بالمضاعفة لجميع الأعمال الصالحة، ومن تأمل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ بُظْلَمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، أيقن أن تعظيم حرمة الحرم تدل على فضله، والمسألة طويلة البحث أشرت إليها إشارة.

ومنها: أن الله أخبر أنها أم القرى كما في قوله تعالى: ﴿لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]. فالقرى كلها تبع لها وفرع عليها.

ومنها: أنها قبلة لأهل الأرض كلهم فليس على وجه الأرض قبلة غيرها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٥٠].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة ابن زيد رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ، رَكَعَ فِي قُبُلِ الْبَيْتِ رَكَعَتَيْنِ، وَقَالَ: «هَذِهِ الْقِبْلَةُ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: الأمن لداخل الحرم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وهذا إما خبر بمعنى الأمر لاستحالة الخلف في خبره تعالى، وإما خبر عن شرعه ودينه الذي شرعه في حرمه، وإما إخبار عن الأمر المعهود المستمر في حرمه في الجاهلية والإسلام، كما قال تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنْخِطُفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٣٣١) مختصراً.

أَفِيَابِطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ [العنكبوت: ٦٧]. وَقَالَ تَعَالَى:  
﴿ وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُخَطِّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمَ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا  
يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [القصص: ٥٧] <sup>(١)</sup>.

ومنها: أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة  
دون سائر البقاع، لقوله ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي  
أيوب الأنصاري رضي عنه: «إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا  
تَسْتَدْبِرُوهَا بِيُولٍ وَلَا غَائِطٍ، وَلَكِنْ شَرُّوْا أَوْ غَرَّبُوا» <sup>(٢)</sup>.

ومنها: أن الله اختارها لمناسك الحج وجعل القصد إليها  
عبادة تُرْفَعُ بِهَا الدَّرَجَاتُ وتُمَحَى بِهَا السَّيِّئَاتُ، كما جاء في  
الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَجَّ  
لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» <sup>(٣)</sup>.

ومنها: أن مكة خير البلاد وأحبها إلى الله ورسوله ﷺ،  
فقد روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عدي رضي عنه:  
«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ  
إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ» <sup>(٤)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي عنهما قَالَ: قَالَ:

(١) زاد المعاد (٣/٤٤٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٤) واللفظ له.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٥٢١)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٥٠).

(٤) «سنن الترمذي» (برقم ٣٩٢٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَكَّةَ: «مَا أَطِيبَكَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ! وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: أن الله جعلها مسرى نبيه محمد ﷺ إلى السماء، قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١﴾ [الإسراء: ١].

ومنها: أن الرحال لا تُشَدُّ للسفر إلى غير المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أن الله ﷻ أضاف البيت الحرام في مكة إلى نفسه، فقال: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٧]. فاقتضت هذه الإضافة الخاصة من الإجلال والتعظيم والمحبة ما اقتضته، ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه لنفسه لكفى بهذه الإضافة فضلاً وشرفاً<sup>(٣)</sup>.

ومنها: أن الله تعالى عطف القلوب إلى بيته الحرام وجعله مثابة للناس، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٣٩٢٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١١٨٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩٧).

(٣) «زاد المعاد» (٥٣/١)، و«بدائع الفوائد» (٦/٢).

[١٢٥]. أي: يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار، ولا يقضون منه وطراً، بل كلما ازدادوا زيارة له، ازدادوا له اشتياقاً، قال الشاعر:

لَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يَنْظُرُهَا      حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا الطَّرْفُ مُشْتَاقًا  
وكم أنفق في حبه من الأموال والأرواح، ورضي المحب بمفارقة فلذ الأكباد والأهل، والأحباب والأوطان؟! مقدماً بين يديه أنواع المخاوف والمتالف والمعاطف والمشاق، وهو يستلذ ذلك كله ويستطيبه ويراه<sup>(١)</sup>. اهـ.

ومما يدل على فضلها ومكانتها: ما جاء في المعاقبة على الهم بالسيئة فيها وإن لم تُفعل، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكِيمِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

قال الشيخ عبد الرحمن السَّعْدِي: «فمجرد الإرادة للظلم والإلحاد موجب للعذاب وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم، وفي الآية الكريمة: وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها»<sup>(٢)</sup>.

وكان لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فسظاطان: أحدهما في الحل والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، وإذا أراد أن يصلي صلى في الحرم، وفي هذا تحذير شديد

(١) «زاد المعاد» (١/٥١-٥٢).

(٢) «تفسير الشيخ السعدي» مختصراً (ص ٦٧١).

لمن يرتكب المنكرات العظيمة والكبائر الموبقة في مكة كالربا،  
والزنا، واستعمال المخدرات ونشر القنوات الفضائية السيئة،  
والاستماع إلى الغناء.. وغير ذلك من المعاصي والمنكرات<sup>(١)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) انظر: «أحكام الحرم المكي» للشيخ سامي الصقير (ص ٢١-٢٤).

الكلمة التاسعة والخمسون

فضائل المدينة وحرمتها

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن مدينة الرسول ﷺ طيبة الطيبة، مَأْرَزُ الْإِيمَانِ، وَمُلْتَقَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمُتَنَزَّلُ جَبْرِيلَ الْأَمِينِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

هذه المدينة المباركة قد شرفها الله وفضلها وجعلها خير البقاع بعد مكة، وقد وردت النصوص الكثيرة في فضلها، وحرمتها، ومكانتها، إخبارًا ودعاءً، وترغيبًا وترهيبًا<sup>(١)</sup>.

فمنها: أن الله جعلها حرمًا، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا، مَا بَيْنَ مَأْزَمِيهَا<sup>(٢)</sup>، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «فضل المدينة وآداب الزيارة»، د. سليمان الغصن (ص ٩).

(٢) المأزم: المضيق في الجبال حيث يلتقي بعضها ببعض ويتسع ما وراءه، «النهاية لابن الأثير» (٢٨٨/٤). وقد يطلق على الجبل نفسه ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (٨٣/٤).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٤).

وحرَم المدينة هو ما بين الحرتين شرقاً وغرباً وما بين عير إلى ثور يمناً وشاماً، روى مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ»<sup>(١)</sup>. وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ»<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّاهَا طَيْبَةً وَطَابَةً، روى مسلم في صحيحه من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في حديث الجساسة قوله رضي الله عنه: «هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ يَعْنِي الْمَدِينَةَ»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية البخاري: «هَذِهِ طَابَةٌ»<sup>(٥)</sup>، قال ابن حجر رحمته الله: «والطاب والطيب لغتان بمعنى، واشتقاقها من الشيء الطيب وقيل: لطهارة تربتها، وقيل: لطيبها لساكنها، وقيل من طيب العيش بها، قال بعض أهل العلم: وفي طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية، لأن من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها»<sup>(٦)</sup>.

وقد حدثني من سكن المدينة سنوات أنه لم يجد الروائح

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٠).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٢).

(٣) لابتها: قال الأصمعي: اللابة الأرض ذات الحجارة السود، قال القاضي عياض: قال ابن حبيب: اللابتان الحرتان الشرقية والغربية. «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٤/٤٥٠).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٤٢).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٧٢).

(٦) «فتح الباري» (٤/٨٩).

الكريهة التي توجد عادة في غيرها، كما حدثني أيضًا أنه لا يوجد بها الإزعاج والصخب الذي يوجد في المدن التي يكثر بها السكان، وأنه جرى بحث هذه المسألة مع بعض أهل المدينة، فكان مما قيل في تعليل ذلك اجتهادًا: إنه ربما كان من خصوصيتها وعظيم بركة أرضها امتصاص الأصوات المزعجة ليعم السكون والهدوء والطمأنينة، ومما حدثني أيضًا أن أرضها وجبالها يبدو للناظر إليها حسنًا، وجمالًا، وبهاءً لا يُرى في غيرها.

ومنها: أن الإيمان يَأْرِزُ إليها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرِزُ<sup>(١)</sup> إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَثَّ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشَدَّتْهَا، ووعد على ذلك أعظم الثواب.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد مولى المهري: أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ لِيَالِي الْحَرَّةِ فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلَأْوَائِهَا، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لَا أَمْرُكَ بِذَلِكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا»<sup>(٣)</sup>.

(١) أي: ينضم إلى المدينة ويجمع بعضه إلى بعض فيها.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٧٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٧).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ! هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ! وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: «والحال أن الإقامة في المدينة خير لهم لأنها حرم الرسول ﷺ وجواره، ومهبط الوحي، ومنزل البركات، لو كانوا يعلمون ما في الإقامة بها من الفوائد الدينية بالعوائد الأخروية التي يُسْتَحَقَّرُ دونها ما يجدونه من الحظوظ الغائبة العاجلة بسبب الإقامة في غيرها»<sup>(٢)</sup>.

ومنها ما جاء عن النبي ﷺ أنه وصفها بأنها قَرْيَةٌ تَأْكُلُ الْقُرَى، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ: يَثْرُبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ»<sup>(٣)</sup>. والمراد بـ«تَأْكُلُ الْقُرَى» أي: ينصر الله الإسلام بأهل المدينة ويفتح على أيديهم القرى، فتجلب الغنائم إلى المدينة ويأكل أهلها، وأضاف الأكل إلى القرية والمراد: أهلها<sup>(٤)</sup>.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٨١).

(٢) «فتح الباري» (٤/٩٣).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٧١)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٨٢).

(٤) «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/٤٣٤)، و«شرح السنة للبغوي» (٧/٣٢٠)، و«جامع الأصول» (٩/٣٢٠).

ومنها: ما جاء عن النبي ﷺ من الدعاء لها بالبركة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدَّنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ الْمَدِينَةِ شَعْبٌ وَلَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكَانِ يَخْرُسَانِهَا حَتَّى تَقْدُمُوا إِلَيْهَا» (١).

ومن المشهور لدى الكثيرين الذين انتقلوا إلى مكة أو المدينة من مدن أخرى: أن ما يصرفونه لا يكاد يبلغ النصف مما كانوا يصرفونه في المدن التي انتقلوا منها، فهذا أمر معلوم.

ومن فضائلها: أنه لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَالُ» (٢).

ومنها: أن في المدينة مسجد الرسول ﷺ وهو من المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى» (٣). والصلاة فيه مضاعفة، روى البخاري ومسلم في

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٧٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٨٠)، و«صحيح مسلم» (رقم ١٣٧٩).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١١٨٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩٧).

صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة في مسجدي هذا، أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام»<sup>(١)</sup>.

ومنها: أن في المدينة مسجد قباء والصلاة فيه تعدل عمرة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن حنيف رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من خرج حتى يأتي هذا المسجد يعني مسجد قباء فيصلي فيه، كان كعدل عمرة»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: فضل الروضة الشريفة، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر: «وفي الحديث إشارة إلى الترغيب في سكنى المدينة. وقوله: «روضة من رياض الجنة»، أي: في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من العبادة فيها المؤدية إلى الجنة، أو أن المراد روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة»<sup>(٤)</sup>.

ومنها: أن فيها جبل أحد، روى البخاري ومسلم في

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١١٩٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣٥٨/٢٥) (برقم ١٥٩٨١)، وقال محققوه: صحيح بشواهده.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١١٩٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩١).

(٤) «شرح صحيح مسلم» (١٦١/٣)، و«فتح الباري» (١٠٠/٤).

صحيحهما من حديث أبي حميد رضي عنه قال: «أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه» (١).

ومنها: أن فيها وادي العقيق، روى البخاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أتاني الليلة أت من ربي، فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة» (٢).

ومنها: أن فيها العجوة (نوع من تمر المدينة) روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث سعد رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر» (٣).

ومنها: أن المدينة تنفي خبثها، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث جابر بن عبد الله رضي عنه: أن أعرابيا بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة، فأتى الأعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله أقلني بيعتي، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي، فأبى، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي فأبى، فخرج الأعرابي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٤٢٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٩١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٥٣٤).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥٤٤٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠٤٧).

إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طَيِّبَهَا»<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أن من أراد أهلها بسوء أهلكه الله، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية لمسلم: «وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذُوبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذُوبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ»<sup>(٤)</sup>.

قال القاضي عياض: «قوله: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذُوبَ الرَّصَاصِ»، هذه الزيادة ترفع إشكال الأحاديث التي لم تذكر فيها وأن هذا حكمه في الآخرة، ويحتمل أن يكون المراد من أرادها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بسوءٍ اضمحل أمره كما يضمحل الرصاص في النار، فيكون في اللفظ تقديم وتأخير، ويؤيده قوله في الحديث: «كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»، ويحتمل أن يكون المراد: لمن أرادها في الدنيا فلا يمهلها الله ولا يمكن سلطانه، ويذهب عن قرب، كما انقضى من شأن من حاربها أيام بني أمية مثل مسلم بن عقبة، وهلاكه منصرفه عنها، ثم هلاك يزيد بن

(١) ومعنى «وَيَنْصَعُ طَيِّبَهَا»: أي تخلصه، والمعنى: أنها إذا نفت الخبث تميز الطيب واستقر فيها. «الفتح» (٩٧/٤)، و«النهاية لابن الأثير» (٥/٦٥٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٧٢١)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٨٣).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٨٧٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٣٨٧) واللفظ له.

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ١٣٦٣).

معاوية على إثر ذلك، وغيرهم ممن صنع مثل صنيعهم.  
 ويحتمل أن يكون المراد: من كادها اغتيالاً وطلباً لغرتها في  
 غفلة، فلا يتم له أمر بخلاف من أتى ذلك جهاراً، كما استباحها  
 مسلم بن عقبة وغيره<sup>(١)</sup>. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث  
 السائب بن خلاد رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ  
 ظُلْمًا أَخَافَهُ اللَّهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا  
 يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.  
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٤/٤٥٣).  
 (٢) «مسند الإمام أحمد» (٩٢/٢٧) (برقم ١٦٥٥٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح.  
 (٣) انظر: «فضل المدينة وآداب سكانها وزيارتها» د. عبد المحسن البدر، «الأحاديث  
 الواردة في فضل المدينة» د. صالح الرفاعي، «فضل المدينة وآداب الزيارة» د. سليمان  
 الغصن.



الكلمة الستون

فوائد وحكم من سورة العاديات

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به، فقال **سُبْحَانَكَ**: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

وسورة العاديات من السور القصيرة التي تتكرر على أسماعنا كثيرًا ويحفظها أكثر المسلمين، ويتأكد فهم معناها وما تضمنته من الحكم العظيمة، قال تعالى: ﴿ وَالْعَدِيَّتِ ضَبْحًا ١ ﴾ **فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ٢** **فَالْمُغِيرَتِ ضَبْحًا ٣** **فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا ٤** **فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥** **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦** **وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧** **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨** **أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَاسُهُ فِي الْقُبُورِ ٩** **وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠** **إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١١** [العاديات: ١-١١].

قوله تعالى: ﴿ وَالْعَدِيَّتِ ضَبْحًا ١ ﴾ **الواو: واو القسم، والمقسم به هو العاديات، وهي الخيل المسرعات في سيرها، والضبح: صوت أجوافها عند جريها.**

قوله تعالى: ﴿ **فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ٢** ﴾ **أي: أنها تُوري النار إذا سارت ليلاً بانقذاح النار بوقع حوافرها على الحجارة لقوتها وصلابتها.**

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْمَغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣﴾ أي: الخيل تغير على العدو وقت الصباح.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤﴾ النقع: هو الغبار كثيره بحوافرها عند عدوها، قال الشاعر:

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥﴾ أي: أنها تعدو بالفرسان حتى تنتهي بهم ميدان المعركة ومجتمع الجيوش، قال الشاعر:

فَوَسَطْنَ جَمْعَهُمْ وَأَفْلَتَ حَاجِبٌ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ فِي الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ

﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ هذا هو جواب القسم، والكنود:

الكفور الجحود لنعم الله، قاله ابن عباس، وقال الحسن: هو الذي يذكر المصائب وينسى النعم<sup>(١)</sup>، قال الشاعر:

يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ فِي فِعْلِهِ وَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَيَّ مَنْ ظَلَمَ  
إِلَىٰ مَتَىٰ أَنْتَ وَحَتَّىٰ مَتَىٰ تَشْكُو الْمُصِيبَاتِ وَتَنْسَى النِّعَمَ

وحال الإنسان شاهد عليه بذلك وإن أنكره بلسانه، والخير هو المال ومحبة الإنسان له شديدة كقوله تَعَالَى: ﴿وَمُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر: ٢٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩﴾ قال

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٣٦/١٤).

الزمخشري: هذه الكلمة وهي ﴿بُعِثَ﴾، مأخوذة من أصلين: البعث والنثر، فالبعث خروجهم أحياء، والنثر: الانتشار كنثر الحب، فهي تدل على بعثهم منتشرين<sup>(١)</sup>، كقوله: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. وكقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: أي: ظهر وبان ما فيها من كمائن الخير والشر فصار السر علانية والباطن ظاهراً<sup>(٢)</sup>، قال الشاعر:

وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ سَعِيَهُ إِذَا حُصِّلَتْ عِنْدَ إِلَهِ الْحَصَائِلِ  
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي: يوم القيامة المتقدم ذكره في قوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾. والخبير: هو الله تعالى، وهو أخص من العليم لأنه في ذلك يقع الجزاء على ما اشتملت عليه القلوب من الأسرار والخفايا التي لا يعلمها إلا هو، وقد جمع الله بينهما في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأُكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحریم: ٣].

ومن فوائد السورة الكريمة وحكمها العظيمة:

أولاً: أقسم الله تعالى بالخيال العاديات، والله لا يقسم إلا

(١) «تتمة أضواء البيان» (٢٤٨/٩) [دار الكتب العلمية]، لعطية سالم. ولم أجده في تفسير الزمخشري.

(٢) «تفسير ابن سعدي» (ص ٨٩٢).

بعضهم من مخلوقاته التي تدل على عظمته، وفي ذكر الخيل وشدتها وسرعة عدوها واقتحامها ميادين المعارك تحت بوارق السيوف تنبيهاً إلى فضل الجهاد وعظيم مكانته.

ثانياً: الإشارة إلى إعداد الخيل للجهاد في سبيل الله، وفي الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وفي الحديث: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: فيه إشارة أن ما يعانیه الفرسان المجاهدون في سبيل الله: من نقع الغبار الذي تثيره الخيل، محل عناية الله وحسن جزائه، قال ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ غَبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: الآيات الكريمة إشارة إلى العناية بالخيل واقتناء الجياد منها والاهتمام بتدريبها وتهيئتها لكل المهام التي يحتاج إليها فيها، ومن ذلك: تضميرها، والمسابقة بينها، وتحذيتها وقاية لها من الحفء، وذكر القدح في الآية الكريمة يشير إلى ذلك، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي قَدْ أُضْمِرَتْ فَأَرْسَلَهَا مِنَ الْحَفِيَاءِ، وَكَانَ أَمْدُهَا ثِنْتَيْهِ الْوَدَاعِ، وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرَ فَأَرْسَلَهَا مِنْ ثِنْتَيْهِ الْوَدَاعِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٥٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٨٧١).  
(٢) قطعة من حديث في «سنن الترمذي» (برقم ١٦٣٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٧٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٨٧٠).

خامساً: أن الله ﷻ خلق الإنسان وجعله محل الابتلاء، فطبعه على بعض الصفات الذميمة، وكلفه بالمجاهدة على التخلص منها وتهذيب نفسه من أضرارها، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠].

سادساً: في الآيات الكريمة إثبات البعث بعد الموت، وأن هذه الأجساد التي بليت في القبور وصارت تراباً سوف يحييها الله ويجازيها على ما أضمرت قلوبها، فذلك حين ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

سابعاً: أن القلوب عليها مدار صلاح الإنسان وفساده، فإذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله<sup>(١)</sup>.  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) أكثر مصادر هذه الكلمة: من «تفسير أضواء البيان» للشيخ عطية بن محمد سالم، تلميذ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٦/١١٩-١٤٢).



## الكلمة الواحدة والستون

### الكفر وأنواعه

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن أعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك والكفر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والكفر ضده الإيمان وهو جحد الدين الحق، وسمي كفرًا لأن فيه سترًا للحق وجحدًا له. والكفر قسمان: كفر أكبر مخرج من الملة، وكفر أصغر لا يخرج من الملة، والكفر الأكبر أنواع منها:

النوع الأول: كفر التكذيب: فمن كذَّبَ بالقرآن أو بشيء منه أو بسنة النبي ﷺ الثابتة عنه وهو يعلم، فهو كافر أكبر يخرج من ملة الإسلام ويحل دمه وماله، والدليل قوله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

وقد بيَّن تعالى في كتابه سبب هلاك الأمم السابقة وأنه

تكذيبهم للرسول، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٤١]. ومن كَذَّبَ برسولٍ واحدٍ فقد كَذَّبَ الرسل جميعًا، ولا يكون الإيمان بهم مقبولًا حتى يؤمن بجميعهم ولا يفرق بين أحد منهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

النوع الثاني: كفر الجحود<sup>(١)</sup>: فالكافر عنده معرفة بالحق ويقين به، ولكن يجحده ظاهراً إما كبيراً أو حسداً أو طمعاً في رئاسة أو دنيا أو غيره، وعلى هذا غالب الكفار، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعَلِمَ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤]. فأخبر سبحانه أنها استيقنتها أنفسهم ولكن جحدوا ظلماً وعلواً أي من أجل الظلم والعلو على الناس، وقال موسى ﷺ لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢]. فعلم فرعون أن ما جاء به موسى هو الحق ولكنه يتظاهر بإنكاره ظلماً وعلواً وإبقاءً على

(١) وبينه وبين النوع الأول فوارق من وجوه، انظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، و«مدارج السالكين لابن القيم»، و«الخفاجي في حاشيته على كتاب الشفاء للقاضي عياض».

ملكه، ولهذا قال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨].  
والعقلاء يقرون جميعاً بأن هذا الخلق له خالق مدبر وأن  
فرعون لم يخلق شيئاً ولم يدبر شيئاً، فالذي حمله على ذلك  
الكبر والإبقاء على ملكه، ومثل ما حصل مع إبليس لعنه الله  
عندما أمره الله بالسجود لآدم رفض كبراً وحسداً لآدم، قَالَ تَعَالَى:  
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ  
الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

النوع الثالث: كفر الشك والظن: بأن يكون شاكاً فيما جاءت  
به الرسل ويظن أنهم على غير حق، وذلك كما في قصة الرجلين،  
فحكى الله عن أحدهما أنه قال: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ [الكهف:  
٣٦]. ثم حكى الله رد الآخر عليه وهو يحاوره قال: ﴿ أَكْفَرْتِ بِالَّذِي  
خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧].

النوع الرابع: كفر الإعراض: والمراد به الإعراض عن تعلم أصل  
الدين الذي لا يكون المرء مسلماً حتى يتعلمه ويعمل به، قَالَ تَعَالَى:  
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾  
[السجدة: ٢٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ  
[الأحقاف: ٣]. فسمَّاهم كافرين لإعراضهم عما أُذِرُوا به.

النوع الخامس: كفر النفاق، والمقصود الاعتقادي، وهو على  
سته أنواع:

تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض

الرسول ﷺ أو بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ، فالمنافق في هذا القسم مؤمن الظاهر كافر الباطن، أما إيمانه الظاهر فإنه يشهد شهادة الحق، ويصلي، ويصوم، ويحج، ويجاهد، ويشارك المسلمين في شعائر الدين الظاهرة كما هو حال المنافقين في عهد النبي ﷺ، وفي كل زمن يكون فيه الحق منصورًا، وأما كفره باطنًا فيما يخفيه من التكذيب بالحق، وإضرار العداوة لله ورسوله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ١-٣].

أي: آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم، والمنافق إنما يظهر الإيمان نفاقًا من أجل أن يعيش مع المؤمنين لأنه لا يقدر على مجابهة المؤمنين ولا يقدر على مفارقتهم فاضطر إلى أن ينافق.

أما الكفر الأصغر: فهو إتيان الذنوب التي سمّاها رسول الله ﷺ كفرًا ولم تصل إلى الكفر الأكبر، مثل قوله ﷺ كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»<sup>(١)</sup>. فالمراد بالكفر هنا الكفر الأصغر لأن قتل المؤمن كبيرة من كبائر الذنوب لكنه لا يخرج به صاحبه من الإسلام، والدليل على ذلك: أن الله عز وجل قال: ﴿وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٧٣٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٦٧٩).

أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ [الحجرات: ٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. فأخبر عن المقتتلين بأنهم مؤمنون وأنهم إخوة، فدل على أن القتل بغير حق وإن كان كبيرة وجريمة عظيمة إلا أنه لا يخرج القاتل من الإيمان إلى الكفر ما لم يستحله.

ومثله كفر النعم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] (١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) انظر: «دروس من القرآن الكريم» للشيخ صالح الفوزان (ص ١٥٩-١٦٦).



الكلمة الثانية والستون

صلاة الكسوف

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْأُولَى، ثُمَّ انصَرَفَ وَقَدْ انجَلَتِ الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ، وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا، ثُمَّ قَالَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزِنِي عَبْدُهُ أَوْ تَزِنِي أُمَّتُهُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لِمَوْتِ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٤٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩٠١).

بَشَرٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ، مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعِدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ، لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ، وَذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمُخَجَّنِ يَجُرُّ قُضْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمُخَجَّنِهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمُخَجَّنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهَرَّةِ الَّتِي رَبَطْتَهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، ثُمَّ جِيءَ بِالْجَنَّةِ، وَذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعِدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله مخلوقان من مخلوقات الله، ينجليان بأمره، وينكسفان بأمره ورحمته، فإذا أراد الله تعالى أن يخوف عباده من عقوبة معاصيهم ومخالفتهم، كسفهما باختفاء ضوءهما كله، أو بعضه، إنذارًا للعباد، وتذكيرًا لهم لعلهم يُحَدِّثُونَ تَوْبَةً فيقومون بما يجب عليهم من أوامر ربهم ويبتعدون عما حرم عليهم من نواهي الله عَزَّ وَجَلَّ، ولذلك كثر الكسوف في هذا العصر فلا تكاد تمضي السنة حتى يحدث كسوف في الشمس أو القمر أو فيهما جميعًا وذلك لكثرة المعاصي والفتن في هذا الزمن، فلقد انغمس

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٩٠٤).

أكثر الناس في شهوات الدنيا، ونسوا أهوال الآخرة وأترفوا  
أبدانهم، وأتلفوا أديانهم، أقبلوا على الأمور المادية المحسوسة،  
وأعرضوا عن الأمور الغيبية الموعودة التي هي المصير الحتمي،  
والغاية الأكيدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي  
يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٦٠].

إن كثيراً من أهل هذا العصر تهاونوا بأمر الكسوف، فلم يقيموا  
له وزناً، ولم يحرك منهم ساكناً وما ذاك إلا لضعف إيمانهم، وجهلهم  
بما جاء عن رسول الله ﷺ واعتمادهم على ما علم من أسباب  
الكسوف الطبيعية، وغفلتهم عن الأسباب الشرعية، والحكمة  
البالغة التي من أجلها يحدث الله الكسوف بأسبابه الطبيعية،  
فالكسوف له أسباب طبيعية يقر بها المؤمنون والكافرون، وله  
أسباب شرعية يقر بها المؤمنون وينكرها الكافرون، ويتهاون بها  
ضعيفوا الإيمان، فلا يقومون بما أمرهم به رسول الله ﷺ من الفرع  
إلى الصلاة والذكر والدعاء والاستغفار والصدقة والعتق<sup>(١)</sup>. اهـ.

وينبغي للمؤمن عند حدوث الكسوف أن يفزع للأمر التالية:

أولاً: الصلاة على الصفة المتقدم ذكرها لقوله ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمْ  
شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَّ»<sup>(٢)</sup>. والسنة إطالة القراءة في  
الصلاة، فقد كانت قراءته ﷺ في الركوع الأول من الركعة الأولى

(١) «الضيء اللامع من الخطب الجوامع» (ص ٢٧٠-٢٧١) مختصراً.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٩٠٧).

قريبًا من سورة البقرة، والركوع الثاني من الركعة الأولى قريبًا من سورة آل عمران، وَتَقُولُ أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَأَطَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقِيَامَ جِدًّا حَتَّى تَجَلَّانِي الْعَشْيُ»<sup>(١)</sup>.

وكذلك الركوع والسجود كان قريبًا من قراءته ﷺ كما في صحيح البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا رَكَعْتُ رُكُوعًا قَطُّ وَلَا سَجَدْتُ سُجُودًا قَطُّ كَانَ أَطْوَلَ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

ثانيًا: الذكر والدعاء والاستغفار، لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: «فَاذْكُرُوا حَتَّى يَنْجَلِيَا»<sup>(٤)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث المُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ، وَصَلُّوا حَتَّى تَنْكَشِفَ»<sup>(٥)</sup>.

ثالثًا: العتق والصدقة: روى البخاري في صحيحه من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعَتَاقَةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٨٦)، و«صحيح مسلم» (رقم ٩٠٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٤٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩١٠).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٥٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩١٢).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٩٠١).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٤٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩١٥).

(٦) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٥٤).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا، وادْعُوا اللَّهَ عز وجل وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا» (١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «مسند الإمام أحمد» (١٩١/٤٢) (برقم ٢٥٣١٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.



الكلمة الثالثة والستون

التفكير أحواله وفوائده

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:  
فإن مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار  
فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإرادات،  
والإرادات تقتضي وقوع الفعل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «أصل الخير والشر من قبل التفكير،  
فإن الفكر مبدأ الإرادة، والطلب في الأخذ، والترك، والحب،  
والبغض، وأنفع الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها، وفي  
دفع مفسد المعاد وفي طرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار هي أصل  
الأفكار ويليهما أربعة، فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر  
في مفسد الدنيا وطرق الاحتراز منها، فعلى هذه الأقسام الثانية  
دارت أفكار العقلاء ورأس القسم الأول الفكر في آلاء الله ونعمه،  
وأمره ونهيه، وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه  
وما والاهما، وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة، فإذا فكر  
في الآخرة وشرفها ودوامها، وفي الدنيا وخستها وفنائها أثمر له  
ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وكلما فكر في قصر الأمل  
وضيق الوقت أورثه ذلك الجد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام

الوقت، وهذه الأفكار تعلي همته وتحييها بعد موتها وسفولها وتجعله في واد والناس في واد، وبإزاء هذه الأفكار الرديئة التي تجول في قلوب أكثر الخلق، كالفكر فيما لم يكلف الفكر فيه ولا أُعطي الإحاطة به من فضول العلم الذي لا ينفع كالفكر في كيفية ذات الرب وصفاته مما لا سبيل للعقول إلى إدراكه، أو الفكر في الشهوات والملذات وطرق تحصيلها، أو الفكر فيما لم يكن لو كان كيف يكون؟ كالفكر فيما إذا وجد كنزاً أو ملك ضيعة ماذا يصنع؟ أو غيرها من الأفكار السفلى»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ومراد ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مِنَ الكلام السابق أن الفكر على قسمين: الأول فكر في أمور الدنيا، ويشتمل على أربعة أنواع هي: الأخذ، والترك، والحب، والبغض والثاني: فكر في أمور الآخرة، ويشتمل أيضاً على أربعة أنواع: الأخذ، والترك، والحب، والبغض.

- فالأخذ يكون لما في الدنيا والآخرة من الخير.
  - والترك لما فيهما من الشر.
  - والحب لما في الدنيا والآخرة من الأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة.
  - والبغض لما فيهما من الأعمال السيئة، والأخلاق القبيحة.
- فعلى هذه الأقسام الثمانية تدور أفكار الخلق جميعاً.

(١) «الفوائد» (ص ٢٢٢ - ٢٢٣).

### خطوات التفكير:

- ١- تدريب العقل على التفكير المثمر والمفيد، فإن كثيرًا من المشاريع والمخترعات العظيمة كانت بدايتها فكرة.
  - ٢- تدوين الأفكار والخواطر وعدم تأجيلها، ويشمل ذلك الأفكار الجزئية والتفصيلية، فإذا لم تدون هذه التفاصيل ضاع الوقت والجهد بلا فائدة.
  - ٣- أفراد كل فكرة مهمة بملف مستقل حتى تكتمل وتصبح واضحة، فالمرء قد يفكر في أكثر من موضوع في وقت واحد، وقد يتوقف تفكيره في موضوع ما برهة من الزمن لسبب أو لآخر ثم يعاود التفكير فيه.
  - ٤- عرض هذه الأفكار في مراحلها الأولى على أصحاب الشأن المتخصصين، فقد يكون لأحدهم أثرٌ مفيدٌ في توجيه الفكرة وتصحيحها أو تطويرها.
  - ٥- عدم الربط بين الفكرة وتنفيذها، فقد يأتي شخص بالفكرة وينفذها غيره.
  - ٦- عدم الربط بين التفكير ووقت التنفيذ أو مكانه، فقد تكون الفكرة ناجحة لكن الوقت أو الزمان غير مناسبين لتنفيذها، فلا يصح إهمالها فقد يحتاج إليها في يوم أو في بلد ما.
- ومما ينبغي التنبيه عليه أن كثيرًا من القرارات التي لم تدرس ولم يفكر فيها تفكيرًا جيدًا كان مصيرها الفشل، وهذا يدل على

أهمية التفكير في مراحلها السابقة في أي قرار مشروع يتخذه المرء. وذكر أحد الباحثين أن الدراسات تثبت أن الذين يفكرون تفكيراً صحيحاً من أجل أمتهم ومن أجل القيام بالواجب عليهم لا يتجاوز (٢٪) فقط، وهذا رقم متدن للغاية، وأما (٩٨٪) الباقون فإن تفكيرهم في حدود المألوف في الأكل والشرب، والوظيفة، والزواج، والبيت، ونحو ذلك، وهذا يدل على خطورة التفكير وأهميته، فماذا لو كانت نسبة المفكرين تفكيراً مفيداً زاد على (٧٠٪) أو (٨٠٪) ثم أتبع هذا التفكير بعمل مثمر، هل ستبقى الأمة على ما هي عليه اليوم؟

وهذا يستدعي من كل مسلم أن يقف مع نفسه وقفة جادة ليحاسبها، فينظر فيما قدمه لأتمته منذ بلغ، وما أمضاه من قوته فيما ينفعها أو فيما يجب عليه فعله.

ومما يذكر في هذا المقام أن قيام دولة اليهود التي زُرِعَتْ في قلب الأمة كالخنجر المسموم، إنما بدأ بفكرة، أُتبعَتْ بتخطيط وعمل دؤوب لتنفيذها وإخراجها إلى أرض الواقع، ففي المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد ببازل السويسرية عام ألف وثمانمائة وسبعة وتسعين ميلادية، وضع قادة اليهود مخططاتهم لقيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وبرغم أنهم يهود جبناء، إلا أنهم فكَّروا وخطَّطوا وعملوا وتأمروا، فحقَّقوا من الدنيا بعض ما خطَّطوا له، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، قَالَ عُمَرُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ جِلْدَ الْفَاجِرِ

وَعَجَزَ الثَّقَّةُ» (١)(٢).

وينبغي للمسلمين أن يجتهدوا في وضع الخطط التي ترفع شأن الأمة ويعتز بها دينهم، فإنهم إن فعلوا ذلك مخلصين لله عملهم واجتهادهم فسيكون النجاح حليفهم بإذن الله ومعونته وتوفيقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٥٤).

(٢) انظر: «منهج التفكير ضوابط ومحاذير» للشيخ ناصر العمر (ص ٣١-٣٢، ١٣٦).



## تأملات في سورة الانفطار

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به، فقال سُبْحَانَ رَبِّيَ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ مِنْ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٤﴾ [محمد: ٢٤]، ومن سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة الانفطار. وهذه السورة الكريمة تتحدث عن يوم القيامة وما فيه من أهوال، وأمور عظام تشيب لها الولدان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ﴿١﴾ [الانفطار: ١]، أي: انشقت السماء، كما قال تَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ [الانشقاق: ١-٢]، قال بعض المفسرين: تشققت بأمر الله لنزول الملائكة كما قال تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزِلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٣٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٣٦﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ ﴿٢﴾ [الانفطار: ٢]، أي: تناثرت نجومها صغيرها، وكبيرها تنثر، وتفرق وتساقط لأن العالم انتهى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۖ﴾ [الانفطار: ٣]، أي: فُجِّرَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَمَلَأَتِ الْأَرْضَ، وهذه البحار تُشَكِّلُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْأَرْضِ تَقْرِيْبًا أَوْ أَكْثَرَ، هذه البحار يوم القيامة تَفْجَرُ ثُمَّ تَسْجَرُ أَي تَشْتَعِلُ نَارًا عَظِيمَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۖ﴾ [التكوير: ٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۖ﴾ [الانفطار: ٤]، أي: أُخْرِجَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۖ﴾ [الانفطار: ٥]، وذلك عند نشر الصحف المكتوب فيها جميع الأعمال، وذلك حين يقول الغافل: أين المفر؟ فيجيب: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۖ﴾ [الانفطار: ١٣] يُبْتَوُّا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۖ﴾ [القيامة: ١٢-١٣].

والغرض من هذا تحذير العباد بأن أعمالهم محصاة عليهم، وستعرض على كل عبد صحيفة عمله ويقال له: ﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۖ﴾ [الإسراء: ١٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الْإِنْسَانُ مَا عَرَّفَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۖ﴾ [الانفطار: ٦]، أي: ما الذي خدعك حتى أقدمت على معصية ربك الكريم الذي أوجدك من العدم وأحسن خلقك، وعلمك ما لم تكن تعلم، وفصلك على كثير من خلقه؟! فقابلت نعمه بالنكران، وإحسانه بالإساءة، فإن كان الذي عرَّفَكَ شَبَابِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مَصِيرَهُ إِلَى الْهَرَمِ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي عَرَّفَكَ غَنَّاكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مَصِيرَهُ إِلَى زَوَالٍ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي عَرَّفَكَ صِحَّتَكَ

فاعلم أن مصيرها إلى سقم، والموت من وراء ذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار: ٧]، أي: جعلك سويًا معتدل القامة منتصبًا في أحسن الهيئات والأشكال، فلو اجتمع الخلق كلهم وأرادوا أن يضعوا عين الإنسان في مكان أحسن من الذي خلقه الله عليه لم يجدوا، وكذلك الأنف والأذن والرجل وسائر الأعضاء، فصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٨]، يعني: أن الله رَكَّبَكَ في أي صورة شاء، فمن الناس من هو جميل ومنهم من هو قبيح ومنهم المتوسط، ومنهم الأبيض ومنهم الأحمر ومنهم الأسود ومنهم بين ذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾﴾ [الانفطار: ٩]، أي: بل إنما يحملكم على مواجهة الكريم، ومقابلته بالمعاصي، تكذيبًا في قلوبكم بالمعاد، والجزاء، والحساب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، أي: أن كل إنسان عليه حفظة يكتبون أعماله، وهؤلاء الحفظة كرام عدول لا يظلمون أحدًا، فلا يكتبون عليه ما لم يعمل، ولا يتركوا كتابة شيء من أعماله الصالحة، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٢]: إما بالمشاهدة

إن كان فعلاً، وإما بالسمع إن كان قولاً، بل إن عمل القلب يطلعهم الله عليه فيكتبونه، كما قال النبي ﷺ في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمَلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمَلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا. وفي رواية: إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّاي»<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]: هم القائمون بحقوق الله، وحقوق عباده، الملازمون للبر في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار القرار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إِنَّ فِي الدُّنْيَا لَجَنَّةً، مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ»<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤]: الفجار هم الكفار لهم عذاب أليم في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم القيامة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٥]: أي: يوم الحساب والجزاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦]: أي: لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٢٩). وقد خرَّج البخاري الشطر الأول منه (برقم ٤٢).

(٢) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (ص ١٠٩).

يُجَابُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ، أَوِ الرَّاحَةِ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا  
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا  
يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ ﴿٣٦﴾ [فاطر: ٣٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ  
﴿١٨﴾ [الانفطار: ١٧-١٨]: هذا الاستفهام للتفخيم والتعظيم، يعني:  
أي شيء أعلمك بيوم الدين؟ والمعنى: أعلم هذا اليوم وأقدره قدره.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ ﴿١٩﴾  
[الانفطار: ١٩]، أي: لا يقدر أحدٌ على نفع أحدٍ ولا خلاصه مما هو فيه  
إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، كما روى البخاري ومسلم في  
صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ  
شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ ابْنَ  
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾  
﴿١٩﴾ [الانفطار: ١٩]: فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم  
حقه من ظالمه.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «فإن قال قائل: أليس الأمر لله  
تعالى في يوم الدين وفيما قبله؟ الجواب: أن الأمر لله تعالى يوم  
الدين وفيما قبله، لكن ظهور أمره في ذلك اليوم أكثر بكثير من

(١) جزء من حديث في «صحيح البخاري» (برقم ٤٧٧١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠٦).

ظهر أمره في الدنيا، ففي الدنيا يخالف الإنسان أوامر الله ﷻ ويطيع أمر سيده، فلا يكون الأمر لله بالنسبة لهذا ولكن في الآخرة ليس فيه إلا أمر الله ﷻ، وهذا كقوله تَعَالَى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. والملك لله في الدنيا وفي الآخرة، لكن في ذلك اليوم يظهر ملكوت الله ﷻ وأمره، ويتبين أنه ليس هناك أمر في ذلك اليوم إلا لله ﷻ»<sup>(١)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «تفسير ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ لجزء عمّ» (ص ٨٨-٩٢).

## الترغيب في الزواج

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن نعم الله علينا كثيرة متتابعة بتتابع الليل والنهار، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [٣٤] ﴿إبراهيم: ٣٤﴾. ومن هذه النعم العظيمة نعمة الزواج وهو آية من آيات الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُنْفَكِرُونَ﴾ [٢١] ﴿الروم: ٢١﴾، وهو من سنن المرسلين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

وَقَدْ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَكْثَرِ مِنْ امْرَأَةٍ، وَقَالَ: «إِنِّي أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى مُرَغَّبًا فِي النِّكَاحِ: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنْ وَتَلَثَ وَرَبِعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

وقد حثَّ عليه الشارع، لما يترتب عليه من مصالح دينية

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٦٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٠١).

ودنيوية، فمن ذلك:

أولاً: تكثير نسل أمة محمد ﷺ: فالأمة كلما كثرت حصل لها من العزة والهيبة ما لا يحصل لها في حال القلة، ولهذا امتن الله على بني إسرائيل بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرِ نَفِيرًا﴾ ﴿٦﴾ [الإسراء: ٦]، وذكر شعيب قومه بذلك فقال سبحانه عنه: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، روى أبو داود في سننه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد أفأتزوجه؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الودود، فإني مكاثر بكم الأمم»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: إحصان الزوجين: فالزواج حصن للرجل والمرأة من الوقوع فيما حرم الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ﴿٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: أن الزواج ستر للزوجين ووقاية وجمال: قال تعالى: ﴿هُنَّ لِيَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسُ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٢٠٥٠)، وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٨٦/٢) (برقم ١٨٠٤): حسن صحيح.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٠٠).

رابعًا: أن المرأة سكن للرجل: قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فكما أن الإنسان يتخذ المسكن ليستتر به ويتقي به الحر والبرد وغير ذلك، فإن الزوجة تكون سكنًا لزوجها يطمئن إليها ويجد في قربها الأُنس والراحة.

خامسًا: المودة والرحمة بين الزوجين: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

سادسًا: السعادة والإعانة على الطاعة، والخير: روى ابن حبان في صحيحه من حديث سعدٍ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْبَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»<sup>(١)</sup>، وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصٍ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»<sup>(٢)</sup>.

سابعًا: سبب للغنى وكثرة الرزق: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيْمَانَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]، وقد كان بعض السلف ينصح من أصابته فاقة بالزواج لهذه الآية، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي عنه: «أَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ

(١) «صحيح ابن حبان» (برقم ٤٠٢١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٧١/١) (برقم ٢٨٢٠).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٤٦٧).

النِّكَاحَ، يُنْجِزُ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ مِنَ الْغِنَى»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «رَغِبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّزْوِيجِ، وَأَمَرَ بِهِ الْأَحْرَارَ وَالْعَبِيدَ، وَوَعَدَهُمْ عَلَيْهِ الْغِنَى، فَقَالَ: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾»<sup>(٢)</sup>. والناكح الذي يريد العفاف مُعَانٌ فِي نِكَاحِهِ، رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «ثَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعِفَّافَ»<sup>(٣)</sup>.

ثَامِنًا: إِنْجَابِ الذَّرِيَةِ الصَّالِحَةِ: قَالَ تَعَالَى عَنْ زَكَرِيَّا: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(٣٨)</sup> [آل عمران: ٣٨].

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنْ التَّزْوِجُ مَعَ الشَّهْوَةِ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ لِمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَالِحِ الْكَثِيرَةِ، وَقَدْ يَكُونُ النِّكَاحُ وَاجِبًا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كَمَا إِذَا كَانَ الرَّجُلُ قَوِي الشَّهْوَةِ وَيَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْحَرَامِ إِنْ لَمْ يَتَزَوَّجْ، فَهَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ لِإِعْفَافِ نَفْسِهِ وَكَفِّهَا عَنِ الْحَرَامِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ

(١) «تفسير ابن كثير» (١٠/٢٢٦).

(٢) المصدر السابق (١٠/٢٢٦).

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ١٦٥٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ١٦٣١).

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»<sup>(١)</sup>. والذي يُنصَحُ به الشباب: التبكير بالزواج ما دام قادرًا عليه، تنفيذًا لوصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما فيه من الفوائد والمنافع العظيمة السابق ذكرها.

#### صفات الزوجة التي ينبغي اختيارها:

أولاً: أن تكون ذات خلق ودين: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُنكحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاطْفُرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»<sup>(٣)</sup>.

وقد وصفت المرأة الصالحة في حديث رواه النسائي في سننه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٩٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٦٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) «سنن النسائي» (٣٨٣/١٢-٣٨٤) (برقم ٧٤٢١)، وقال محققوه: إسناده قوي.

ثانياً: أن تكون بكرًا: لقول النبي ﷺ في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه: «فَهَلَّا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟»<sup>(١)</sup>. لكن لو تزوج ثيباً رغبة في الإحسان إليها أو لأي مصلحة يراها فهذا طيب، فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لجابر رضي الله عنه: «هَلَّا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟ قَالَ جَابِرٌ: إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ وَتَمْشُطُهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْنَّ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: أن تكون ودودة ولودة: كما روى أبو داود في سننه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: لَا، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَا، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ: تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ»<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

قال بعضهم: يعرف ذلك بالنظر في حال أمها، وجدتها، وخالاتها، وعماتها، فإذا كن ولودات فهي في الغالب ستكون مثلهن.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٢٠٩٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٧١٥).

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٢٠٥٠)، وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: حسن صحيح (٣٨٦/٢) (برقم ١٨٠٤).

(٤) انظر: «كتاب على عتبة الزواج» للشيخ محمد المنجد.

## وقفه مع سورة الكوثر

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:  
فإن من سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها، ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة الكوثر، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١-٣].

روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قَالَ: أَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، إِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: لِمَ ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ أَنْزَلَتْ عَلَيَّ آيَاتًا سُوْرَةً فَقَرَأْتُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿٢﴾ حَتَّى خَتَمَهَا، قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ تَرُدُّ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أُنِيَّتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ، يُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي! فَيُقَالُ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ؟» (١).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٤٠٠)، و«مسند الإمام أحمد» (١٩/٥٤-٥٥) (برقم ١١٩٩٦) واللفظ له.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر في اللغة العربية هو الخير الكثير، والنبى ﷺ أعطاه الله خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «الْكَوْثَرُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أَنْسَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ» (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ الدَّرِّ الْمَجْوَفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طَيْبُهُ - شَكَّ هُدْبَةٌ - مِسْكٌ أَذْفَرٌ» (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ» (٣).

والكوثر يصب منه ميزابان في حوض النبي ﷺ الذي يشرب منه المؤمنون يوم القيامة، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا ذَكَرَ الْحَوْضَ قَالَ: «يَشْحَبُ فِيهِ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٥٧٨).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٢٣٠٠).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٢٥٧/٩) (برقم ٥٣٥٥)، وقال محققوه: إسناده قوي. و«سنن الترمذي» (برقم ٣٣٦١)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. واللفظ له.

مِيزَابَانٍ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: «الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض»<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾<sup>(٣)</sup> أَي: كَمَا أُعْطِينَاكَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ النَّهْرُ الَّذِي تَقْدُمُ وَصْفَهُ، فَأَخْلَصَ لِرَبِّكَ صَلَاتَكَ وَنَحَرَ وَاعْبُدْهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْحَرَ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(١١٢)</sup> لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قال ابن جرير بعد ما ذكر الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾<sup>(٣)</sup>: والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والأضداد، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له، وخصك به من إعطائه إياك الكوثر<sup>(٣)</sup>.

وخص هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣٠٠).

(٢) «فتح الباري» (١١/٤٦٦).

(٣) «تفسير الطبري» (١٠/٨٨٠٩).

وتنقله في أنواع العبودية وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج المال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ ۙ هُوَ الْأَبْتَرُ ۙ﴾، أي: إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى، والحق والبرهان الساطع، والنور المبين هو الأبتَر، والأبتَر قال أهل اللغة: الأبتَر من الرجال الذي لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له، وكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتَر<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وكانت العرب تسمي من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات أبتَر، فيقال: إن العاص وقف مع النبي ﷺ يكلمه، فقال له جمع من صناديد قريش: مع من كنت واقفاً؟ فقال: مع ذلك الأبتَر، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله ﷺ وكان من خديجة، فأنزل الله جل شأنه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ ۙ هُوَ الْأَبْتَرُ ۙ﴾، أي: المقطوع ذكره من خير الدنيا والآخرة.

وقيل: إن قريشاً كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده: قد بتر فلان، فلما مات لرسول الله ﷺ ابنه القاسم بمكة، وإبراهيم بالمدينة؛ قالوا: بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص ١١٦٨).

(٢) «مختار الصحاح» (ص ٤٠).

(٣) «تفسير القرطبي» (٥٢٩/٢٢).

روى البزار في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ، فَقَالَتْ لَهُ قَرِيشٌ: أَنْتَ سَيِّدُهُمْ، أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْمُنْصَبِ الْمُنْتَبِرِ مِنْ قَوْمِهِ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا، وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَجِيجِ وَأَهْلُ السَّدَانَةِ وَأَهْلُ السَّقَايَةِ. فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: فَنَزَلَتْ ﴿إِن شَاءَكَ ﴿١﴾ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٢﴾﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: وهو إسناد صحيح، وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتري الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا، فقد أبقى الله ذكره، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرا على دوام الأباد إلى يوم الحشر، صوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد<sup>(٢)</sup>. اهـ.

وهذا كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤]. قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يُنَادِي بِهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «مختصر زوائد البزار» (٢/١٢١) ١٥٣٨، ورجح بعضهم إرساله.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٤/٤٨٣).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٨٩).



## الاعتصام بالكتاب والسنة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:  
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ قِيلَ: بِعَهْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ: الْقُرْآنُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تَمَسَّكُوا بِدِينِ اللَّهِ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ الْجَمَاعَةُ» (١).

قوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: أمرهم بالجماعة ونهاهم عن الفرقة.  
 وقد وردت النصوص الكثيرة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ» (٢).

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/١٣٦-١٣٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٧١٥).

والاعتصام بالكتاب والسنة هو التمسك بهما على فهم السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نُبَيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]. روى أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه في سننهما من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»<sup>(١)</sup>.

أي: هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ»<sup>(٢)</sup>. ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنَّاً فَلَيْسَتْ بِي مَنْ مَاتَ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمِنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبْرَهَا قُلُوبًا وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَلَهَا تَكَلُّفًا، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِلِقَامَةِ دِينِهِ،

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٦٤١)، و«مسند الإمام أحمد» (١٤٢/١٤) (برقم ٨٣٩٦)، و«سنن ابن ماجه» (برقم ٣٩٩٢). وصححه البوصيري، والشيخ الألباني في «الصحيحه» (برقم ١٤٩٢) و(برقم ٢٠٣، ٢٠٤).

(٢) «العقيدة الطحاوية» (ص ٥٣١).

فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَسِيرِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»<sup>(١)</sup>.

وقد وردت النصوص الكثيرة التي تحث على التمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> [الأعراف: ٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٣)</sup> [الزخرف: ٤٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> [الجاثية: ١٨].

والتمسك بالقرآن والسنة عصمة للعبد من الضلالة وهداية له، روى مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»<sup>(٢)(٣)</sup>.

وروى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»<sup>(٤)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٩٧/٢).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٢١٨).

(٣) «مستدرک الحاكم» (٢٨٤/١)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٥/١) (برقم ٤٠).

(٤) «مستدرک الحاكم» (٢٨٤/١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (برقم ٢٩٣٧).

في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ، ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعاً لقوله، وعمله تبعاً لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستنير فهذا أصل أهل السنة<sup>(١)</sup>.

وقد دلت الأحاديث أن من تمسك بما كان عليه ﷺ ومن بعده من الخلفاء الراشدين كان من الناجين، روى أبو داود والترمذي في سننهما من حديث العزْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) «الفتاوى» (١٣/٦٢-٦٣).

(٢) «سنن أبي داود» (برقم ٤٦٠٧)، و«سنن الترمذي» (برقم ٢٦٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه جماعة، منهم: الضياء المقدسي في «اتباع السنن واجتناب البدع».

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه:  
 أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ  
 أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَغَضِبَ وَقَالَ: «أُمَّتَهُوْكَوْنَ  
 فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ  
 نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكذَّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ  
 فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا  
 أَنْ يَتَّبِعَنِي»<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم أن نبي الله عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر  
 الزمان لا يأتي بشرع جديد، وإنما يحكم بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم،  
 روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم  
 قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا  
 مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ  
 الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»<sup>(٢)</sup>.

قال النووي: «قوله: وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، فالصواب في معناه أنه لا  
 يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم  
 يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل، هكذا قاله الإمام  
 أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء»<sup>(٣)</sup>.

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٤٩/٢٣) (برقم ١٥١٥٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله  
 كما في «إرواء الغليل» (٣٤/٦) (برقم ١٥٨٩). ومعنى مُتَهَوِّكُونَ: التَّهَوُّكُ هو الوقوعُ  
 في الأمر بغير روية. «النهاية في غريب الحديث» (٢٨٢/٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٤٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٥٥).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٩٠/١).

قال الإمام مالك: «لَا يَصْلِحُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا، وَمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ ﷺ». روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عبد الله بن مسعود رضي عنه: «أَنَّ مَرَّ عَلِيَّ أَنَاسٍ فِي الْمَسْجِدِ يَتَنَظَّرُونَ الصَّلَاةَ وَهُمْ حِلَقٌ، وَفِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَى، وَرَجُلٌ يَقُولُ لَهُمْ: سَبِّحُوا مِئَّةً فَيَسْبِّحُونَ، كَبَّرُوا مِئَّةً فَيَكْبُرُونَ، هَلَّلُوا مِئَّةً فَيَهْلَلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَإِنَّا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيَحْكُمُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ! هُوَ لَاءِ صَحَابَةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ وَأَيْتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ! قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبْهُ؟!»<sup>(١)</sup>.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي عنهما: «حِينَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفُرْقَةِ»<sup>(٢)</sup>.

### ومن فوائد الاعتصام بالكتاب والسنة:

- ١- الاعتصام بالكتاب والسنة نجاة للعبد من مضلات الفتن.
- ٢- الاعتصام بالكتاب والسنة عصمة للعبد من الوقوع في الشهوات المحرمة.

(١) «المعجم الكبير» (١٢٧/٩) رقم ٨٦٣٦. وَرُوِيَ بِالْفَاظِ كَثِيرَةً.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٣٩/٣).

- ٣- الاعتصام بالكتاب والسنة عزة للأمة، وقوة لها.
  - ٤- الاعتصام بالكتاب والسنة يكشف حيل الشيطان ومداخله.
  - ٥- الاعتصام بالكتاب والسنة دليل على صحة العقل، واستقامة الفطرة.
  - ٦- الاعتصام بالكتاب والسنة يثمر اطمئنان القلب، وراحة النفس.
  - ٧- الاعتصام بالكتاب والسنة عصمة من الوقوع في البدع ومحدثات الأمور.
- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.





الكلمة الثامنة والستون

من آداب النوم

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله تعالى جعل الليل سكناً وراحة للناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۗ (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۗ (١١)﴾ [النبا: ١٠-١١]. والنوم وفاة بعدها حياة لمن شاء الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيم\_Sِكِّ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ [الزمر: ٤٢].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»<sup>(١)</sup>.

وللنوم آداب نبوية، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، فمن ذلك:

١- إطفاء النار، والمصابيح، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَغَلِّقُوا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٧٣٩٥).

الأبواب»<sup>(١)</sup>.

والعلة في إطفاء النار والمصابيح: أن الفأرة ربما جرّت الفتيلة فأحرقت أهل البيت، كما جاء في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَمَّرُوا الْآنِيَةَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَأَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ، فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ رُبَّمَا جَرَّتِ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ»<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: «اِحْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَحَدَّثَ بِشَأْنِهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وأما إغلاق الأبواب قبل النوم، فقد جاء في رواية مسلم من حديث جابر رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن دقيق العيد رحمته الله: «في الأمر بإغلاق الأبواب من المصالح الدينية والدنيوية، حراسة الأنفس والأموال من أهل العبث والفساد، ولا سيما الشياطين، وأما قوله: «فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً» فإشارة إلى أن الأمر بالإغلاق لمصلحة إبعاد

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٩٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٢).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٩٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٢).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٩٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٦).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٢).

الشیطان عن الاختلاط بالإنسان، وخصه بالتعلیل تنبیهاً علی ما یخفی مما لا یطلع علیه إلا من جانب النبوة»<sup>(١)</sup>.

٢- تغطية الآنية: روى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

٣- استحباب الوضوء قبل النوم: لما جاء في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ»<sup>(٣)</sup>.

٤- نفث الفراش قبل الاضطجاع عليه والتسمية: كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية مسلم: «وَلْيُسَمِّ اللَّهَ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا

(١) «فتح الباري» (١١/٨٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٠١٤).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣١١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٠).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٢٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٤).

خَلْفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ»<sup>(١)</sup>.

٥- النوم على الشق الأيمن، ووضع اليد اليمنى تحت الخد:  
لِحَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبِ السَّابِقِ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ  
وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديثِ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ قِنِي  
عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ»<sup>(٣)</sup>.

٦- قراءة بعض السور والأذكار قبل النوم: أذكر بعضاً منها:  
روى البخاري في صحيحه من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفِيهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ  
فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(١)</sup> و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾<sup>(٢)</sup>  
و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup> ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ،  
يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ  
مَرَّاتٍ»<sup>(٤)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديثِ أَبِي  
مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٥٠٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»  
(٩٥١/٣) (برقم ٤٢١٨).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠١٧).

الْبَقْرَةَ فِي لَيْلَةٍ كَفْتَاهُ»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: في قصة الشيطان وجاء فيه: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ»<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ عِنْدَ نَوْمِهِ: «بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتَ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»<sup>(٣)</sup>.

وفي سنن أبي داود من حديث نوفل الأشجعي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١﴾ ثُمَّ نَمْ عَلَيَّ خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِكِ»<sup>(٤)</sup>.

وفي صحيح البخاري من حديث حذيفة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٠٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ٨٠٧-٨٠٨).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠١٠).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٢٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٤).

(٤) «سنن أبي داود» (برقم ٥٠٥٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/٩٥٤) (برقم ٤٢٢٧).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٢٤).

٧- استحباب الوضوء عند الجنابة قبل النوم: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ غَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>.

وإن اغتسل للجنابة فهو أفضل، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن أبي قيس قال: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ وَثْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قُلْتُ: كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِي الْجَنَابَةِ؟ أَكَانَ يَغْتَسِلُ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ أَمْ يَنَامُ قَبْلَ أَنْ يَغْتَسِلَ؟ قَالَتْ: كُلُّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ يَفْعَلُ، رُبَّمَا اغْتَسَلَ فَنَامَ، وَرُبَّمَا تَوَضَّأَ فَنَامَ، قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الْأَمْرِ سَعَةً»<sup>(٢)</sup>.

٨- ومن الآداب أن من استيقظ من النوم استحبه له أن يقول هذا الذكر: روى البخاري في صحيحه من حديث عبادة ابن الصَّامِتِ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ<sup>(٣)</sup> مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»<sup>(٤)</sup>.

وهذا حديث عظيم القدر، كثير المنافع لمن عوّد نفسه كلما

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٣٠٥).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٣٠٧).

(٣) التعار: استيقاظ يصحبه كلام.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ١١٥٤).

استيقظ من نومه جرى لسانه بتوحيد الله، وذكره، فكان جزاؤه أن تقبل صلاته وتستجاب دعوته، فكم فرجت به من هموم، وكم قضيت به من ديون، وكم صلحت به أحوال فاسدة، والموفق من وفقه الله.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: «وعد الله على لسان نبيه أن من استيقظ من نومه لهج لسانه بتوحيد ربه، والإذعان له بالملك والاعتراف بنعمه يحمده عليها، وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه، والخضوع له بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة، إلا بعونه، أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ويخلص نيته لربه ﷻ»<sup>(١)</sup>.

٩- كراهية النوم على البطن: روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مُضْطَجِعًا عَلَى بَطْنِهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ ضَجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

١٠- التبكير في النوم: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بركة الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «لأن النوم قبلها قد يؤدي إلى إخراجها

(١) «فتح الباري» (٣/٤١).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٢٧٦٨)، وقال الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: حسن صحيح (٢/٣٥٩) (برقم ٢٢٢١).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥٦٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٦٤٧).

عن وقتها مطلقاً أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن صلاة الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَضْرِبُ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ: أَسْمَرًا أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَنَوْمًا آخِرَهُ؟! (١)(٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «فتح الباري» (٢/٧٣).

(٢) انظر: «منتقى الآداب الشرعية»، للشيخ ماجد العوشن (ص ١٨٨ - ١٩١).

## التحذير من الغيبة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فلقد شاع بين كثير من المسلمين داء عظيم حذر الله ورسوله منه وهو معولٌ هدم، يفرق بين الأحاب، ويورث العداوة والبغضاء، ونص أهل العلم على أنه كبيرة من كبائر الذنوب<sup>(١)</sup>، وَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهُ إِلَّا مِنْ رَحْمِ اللَّهِ، إِنَّهُ الْغَيْبَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»<sup>(٢)</sup>.

قال التهانوي: «الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصاناً في بدنه، أو في لبسه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، أو في ولده، أو في ثوبه، أو في

(١) انظر: «فتح الباري» (١٠/٤٧٠).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٩).

داره، أو في دابته، قال: ولا تقتصر الغيبة على القول، بل تجري أيضًا في الفعل كالحركة والإشارة والكتابة»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وقد شبه الله تعالى الغيبة بأكل اللحم للإنسان الميت، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، أي: كما تكرهون هذا طبعًا، فاكروهوا ذلك شرعًا فإن عقوبته أشد من هذا، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَارْتَفَعَتْ رِيحٌ جَيْفَةٌ مُنْتِنَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَذُرُونَ مَا هَذِهِ الرَّيْحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>(٢)</sup>.

والمغتتاب يعذب في قبره قبل يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكر رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ عَلَيَّ قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: مَنْ يَأْتِينِي بِجَرِيدَةٍ نَخْلٍ؟ قَالَ: فَاسْتَبَقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ آخَرُ، فَجِئْنَا بِعَسِيبٍ، فَشَقَّهُ بِأَثْنَيْنِ، فَجَعَلَ عَلَيَّ هَذَا وَاحِدَةً، وَعَلَيَّ هَذَا وَاحِدَةً، ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ سَيُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا كَانَ فِيهِمَا مِنْ بُلُوتِهِمَا شَيْءٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ فِي الْغَيْبَةِ وَالْبَوْلِ»<sup>(٣)</sup>، وفي الصحيحين: «أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَالْآخَرُ كَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) «كشاف اصطلاحات الفنون» (٣/١٠٩١) مختصرًا.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٣/٩٧) (برقم ١٤٧٨٤)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٤/٥٣) (برقم ٢٠٤١١)، وقال محققوه: حديث قوي.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ١٣٧٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٢).

قال ابن حجر: «والغيبة قد توجد في بعض صور النسيئة، وهو أن يذكره في غيبته بما فيه مما يسؤوه قاصداً بذلك الإفساد، فيحتمل أن تكون قصة الذي كان يعذب في قبره كذلك، ويحتمل أن يكون أشار إلى ما ورد في بعض طرقه بلفظ الغيبة صريحاً كما في الحديث السابق، والظاهر اتحاد القصة ويحتمل التعدد»<sup>(١)</sup>.

والمغتربون يعذبون يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَزْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُسُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الغيبة التي يتساهل بها كثير من الناس حتى أصبحت فاكهة المجالس هي عند الله عظيمة، قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

روى أبو داود والترمذي في سننهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدِّدٍ: تَعْنِي قَصِيْرَةً؛ فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ، قَالَتْ: وَحَكِيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: مَا أَحَبُّ أَنْبِي حَكِيْتُ

(١) «فتح الباري» (١٠/٤٧٠-٤٧١).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٥٣/٢١) (برقم ١٣٣٤٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذًا وَكَذًا»<sup>(١)</sup>.

ومن أسباب هذه الغيبة مجاملة الأقران والرفاق ومشاركتهم فيما يخوضون فيه، وشفاء المغتاب غيظه بذكر مساوي من يغتابه، والاستهزاء والسخرية واحتقار الآخرين، وحسد من يثني عليه الناس ويذكرونه بخير<sup>(٢)</sup>.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «اعلم أنه ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردها ويزجر قائلها، فإن لم ينزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد، ولا باللسان، فارق ذلك المجلس، فإن سمع غيبة شيخه أو غيره ممن له عليه حق، أو كان من أهل الفضل والصلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر»<sup>(٣)</sup>. اهـ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [الفصص: ٥٥].

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يتلاقون بالبشر ولا يغتابون غائبًا ويرون ذلك أفضل الأعمال، ويرون خلافه عادة المنافقين»<sup>(٤)</sup>، وقال بعضهم: «أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس»<sup>(٥)</sup>.

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٨٧٥)، و«سنن الترمذي» (برقم ٢٥٠٢) وقال: حسن صحيح.

(٢) «إحياء علوم الدين» (ص ١٥٥-١٥٦)، بتصرف.

(٣) «الأذكار للنووي» (ص ٣٠٤).

(٤) «إحياء علوم الدين» (٣/١٥٢)، بتصرف.

(٥) نفس المصدر.

قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: «أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً»<sup>(١)</sup>.

قال الذهبي: «صدق رَحِمَهُ اللهُ، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وَقَلَّ أن يقول: فلان كذاب، أو: كان يضع الحديث، حتى إنه قال: إذا قلت: فلان في حديثه نظر؛ فهو متهم واه، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحداً، وهذا هو والله غاية الورع»<sup>(٢)</sup>.

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: «وسمعته يقول: ما اغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها»<sup>(٣)</sup>.

وقد استثنى العلماء جواز الغيبة لستة أسباب، وهي كما قال النووي:

١- التظلم: فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان أو القاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني بكذا.

٢- الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب: فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/٤٣٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢/٤٣٩-٤٤١).

(٣) نفس المصدر.

فازجره عنه، ونحو هذا، ويكون مقصده التوصل إلى إزالة المنكر.

٣- الاستفتاء: فيقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي أو زوجي فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفع الظلم؟ ونحو ذلك.

٤- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه: منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين.

ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو معاملته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.

ومنها إذا رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة.

ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما أن يكون فاسقًا أو مغفلًا، ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن عليه ولاية عامة ليزيله ويولي من صلح.

٥- أن يكون مجاهرًا بفسقه، أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، وأخذ المكس وجباية الأموال، فيجوز ذكره بما يجهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب.

٦- التعريف: فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى، جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة النقص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك لكان أولى<sup>(١)</sup>.

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء، وأكثرها مجمع عليه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة.

قال الجمهور من العلماء: «طريقُ المغتاب في توبته أن يُقلع عن ذلك، ويعزم على ألا يعود، وأن يتحلل من الذي اغتابه، وقال آخرون: لا يشترط أن يتحلله، فإنه إذا أعلمه بذلك ربّما تأذى أشد ممّا إذا لم يعلم بما كان منه، فطريقه إذاً أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته، فتكون تلك بتلك»<sup>(٢)</sup>.

تنبيه: من أعظم ما يردع المؤمن عن الغيبة، إضافة إلى الآيات والأحاديث المشهورة التي فيها الوعيد الشديد لمن وقع في الغيبة؛ أن يتذكر أنه يُهدي حسناته: من صلاة، وصوم، وحج، وغيرها إلى الذي اغتابه أو يتحمل أوزاره وذنوبه إذا لم تكفي حسناته التي ذهبت منه، وهذا هو أعظم الخسارة والإفلاس التي أخبر عنها النبي ﷺ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «رياض الصالحين» (ص ٤٨٨-٤٩٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٣/١٦٧)، بتصرف.





## تأملات في سورة النصر

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:  
فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لِتُدَبِّرَهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، قَالَ تَعَالَى:  
﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩)

[ص: ٢٩].

روى مسلم في صحيحه من حديث عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ<sup>(١)</sup> أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ<sup>(٢)</sup> فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عز وجل، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»<sup>(٣)</sup>.

ومن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا سورة

(١) بطحان والعقيق: واديان بالمدينة.

(٢) هي الناقة العظيمة السمينة.

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٨٠٣).

النصر وتسمى سورة التوديع، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣].

وهذه السورة آخر ما نزل من القرآن، روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّهُ قَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عْتَبَةَ: تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ قَالَ: صَدَقْتَ (١).

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرٍ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلِهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكْذَابُ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ» (٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عائشة رضي الله عنها

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٣٠٢٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤٩٧٠).

قَالَتْ: «مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» (١).

وفي رواية عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» (٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَرَأَيْكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتَهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَقَدْ رَأَيْتَهَا، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فَتَحُ مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾» (٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال الطبري: «المراد بالنصر نصر الله لنبيه على قريش» (٤). قال ابن كثير: «والمراد بالفتح فتح مكة قولاً واحداً فإن أحياء العرب كانت

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٩٦٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٨٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤٩٦٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٨٤).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٤٨٤).

(٤) «تفسير الطبري» (١٠/٨٨١٥).

تُلَوِّحُ بِإِسْلَامِهَا فَتَحَ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ ظَهَرَ عَلَى قَوْمِهِ فَهُوَ نَبِيٌّ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَلَمْ تَمْضِ سِنْتَانِ حَتَّى اسْتَوْثَقَتِ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ إِيمَانًا وَلَمْ يَبْقَ فِي سَائِرِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا مَظْهَرٌ لِلْإِسْلَامِ»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وكان فتح مكة في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة، وقد أخبر النبي ﷺ أن المراد بالفتح فتح مكة كما في حديث عائشة السابق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ﴾، قال القرطبي: «فإن قيل: فماذا يغفر للنبي ﷺ حتى يؤمر بالاستغفار؟ فقيل: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي، وَجَهْلِي، وَهَزْلِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخْرَتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>(٢)</sup>.

فكان ﷺ يستقصر نفسه لعظم ما أنعم الله به عليه، ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنوبًا، ويحتمل أن يكون بمعنى كن متعلقًا به، سائلًا راغبًا، متضرعًا على رؤية التقصير في أداء الحقوق، لئلا ينقطع إلى رؤية الأعمال، وقيل: الاستغفار تعبد يجب إتيانه،

(١) «تفسير ابن كثير» (٤٩٤/١٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٩٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧١٩).

لا للمغفرة بل تعبدًا، وقيل: ذلك تنبيه لأُمَّتِه، لكي لا يأمنوا ويتركوا الاستغفار، وقيل: ﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ﴾، أي: استغفر لأُمَّتِكَ<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، أي: على المسبحين والمستغفرين، يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم، وإذا كان ﷺ وهو معصوم يؤمر بالاستغفار فما الظن بغيره؟! روى مسلم في صحيحه من حَدِيثِ الْأَعْرَضِيِّ الْمُرْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِمَنَى فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ، ثُمَّ نَزَلَتْ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فَعَاشَ بَعْدَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ ثَمَانِينَ يَوْمًا<sup>(٣)</sup>، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى». وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «تفسير القرطبي» (٢٢/٥٤٢-٥٤٣).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٧٠٢).

(٣) «تفسير القرطبي» (٢٢/٥٤٣).



الكلمة الواحدة والسبعون

أحوال الموتى والمحتضرين

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تُنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٧].

المراد: ساعة الاحتضار، ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تُنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ بعلمنا وقدرتنا وملائكتنا، ولكن لا تبصرونهم<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ أَمْرَ الْآخِرَةِ وَمَا كَانَ مُتَصِلًا بِهَا غَيْبًا وَحَجَبًا عَنِ إِدْرَاكِ الْمَكْلُفِينَ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَذَلِكَ مِنْ كَمَالِ حِكْمَتِهِ وَلِيَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَوْلُ ذَلِكَ أَنْ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِلَ عَلَى الْمُحْتَضِرِ وَتَجْلِسَ قَرِيبًا مِنْهُ وَيَشَاهِدُهُمْ عِيَانًا وَيَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ وَمَعَهُمُ الْأَكْفَانُ وَالْحَنُوطُ، إِمَّا مِنَ الْجَنَّةِ وَإِمَّا مِنَ النَّارِ، وَيُؤْمِنُونَ عَلَى دَعَاءِ الْحَاضِرِينَ بِالْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ، وَقَدْ يَسْلَمُونَ عَلَى الْمُحْتَضِرِ وَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ تَارَةً بَلْفِظِهِ وَتَارَةً بِإِشَارَتِهِ وَتَارَةً بِقَلْبِهِ، حَيْثُ لَا يَتِمَكَّنُ

(١) «تفسير ابن كثير» (١٣/٣٩٥).

من نطق ولا إشارة، وقد سُمع بعض المحتضرين يقول: أهلاً وسهلاً ومرحباً بهذه الوجوه، وأخبرنا شيخنا عن بعض المحتضرين فلا أدري أشاهده أو أخبر عنه أنه سُمع وهو يقول: عليك السلام ها هنا فاجلس، و عليك السلام ها هنا فاجلس»<sup>(١)</sup>. اهـ.

وذكر ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز لما كان في يومه الذي مات فيه قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: «أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت (ثلاث مرات) ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحَدَ النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين، ثم قرأ الآية: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]، فقال: إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن، ثم قبض»<sup>(٢)</sup>.

وقال فضالة بن دينار: حضرت محمد بن واسع وقد سُجِّيَ للموت فجعل يقول: مرحباً بملائكة ربي ولا حول ولا قوة إلا بالله، وشممت رائحة طيبة لم أشم رائحة قط أطيب منها، ثم شَخَصَ بصره فمات، والآثار في ذلك أكثر من أن تحصر وأبلغ<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولقد أخبر بعض الصادقين أنه حفر ثلاثة أَقْبِرٍ، فلما فرغ منها اضطجع ليستریح فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبِرِ فقال أحدهما لصاحبه: اكتب

(١) «الروح لابن القيم» (ص ١٨٣ - ١٨٤).

(٢) «الروح لابن القيم» (ص ١٨٤).

(٣) «الروح لابن القيم» (ص ١٨٤).

فرسخاً في فرسخ - والفرسخ ثلاثة أميال وهو ما يساوي أربع كيلو ونصف تقريباً - ثم وقفا على الثاني فقال: اكتب ميلاً في ميل، ثم وقفا على الثالث فقال: اكتب فترًا في فتر، ثم انتبه فجيء برجل غريب لا يؤبه له فدفن في القبر الأول، ثم جيء برجل آخر فدفن في القبر الثاني، ثم جيء بامرأة مُتْرَفَةٍ من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذي سمعه يقول فترًا في فتر - والفتر ما بين الإبهام والسبابة -.

وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الرزيز الحراني: أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان، قال: فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور، فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج<sup>(١)</sup>، والميت في وسطه، فجعلت أمسح عيني وأقول: أنا نائم أم يقظان؟ ثم التفتُّ إلى سور المدينة وقلت: والله ما أنا بنائم، ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش، فأتوني بطعام فلم أستطع أن آكل، ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر؟ فإذا به مَكَّاس<sup>(٢)</sup> وقد توفي ذلك اليوم.

فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحياناً لمن شاء الله أن يريه ذلك، فإذا شاء الله سُبْحَانَهُ أن يُطْلِعَ على ذلك بعض عباده أطلعه وَغَيَّبَهُ عن غيره، إذ لو اطلَّع عليه العباد كلهم لزال

(١) كوز الزجاج: موقد نار ملتهب يستعمله صانع الزجاج، فتقلب فيه كتلة الزجاج جمرة مُتَّقَدَةٌ.

(٢) مَكَّاس: صاحب المَكَّس، وهو الذي يجبي الضرائب من الناس.

كلمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهُ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>(٢).

ومن أحوال المحتضرين أن أحدهم قيل له: قل: لا إله إلا الله، فقال: آه آه لا أستطيع أن أقولها.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت يلقن: لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه؟ فإذا هو مدمن خمر، فكان يقول: اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء حتى قبضت روحه<sup>(٣)</sup>.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير رحمته الله: «والذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٦٧).

(٢) «الروح لابن القيم» (ص ١٨٥ - ١٨٧)، بتصرف.

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص ١٧٣)؛ و«الجواب الكافي» (ص ١٤٧).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٧٨).

مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة»<sup>(١)</sup>.  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «البداية والنهاية» (٩/١٦٣).



الكلمة الثانية والسبعون

دروس وعبر من الهجرة النبوية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

لقد كانت الهجرة النبوية الحدث الإسلامي الكبير الذي غير مجرى التاريخ، واللبننة الأولى لقيام الدولة الإسلامية المباركة، والمُتأمل في حدث الهجرة النبوية يجد الكثير من الدروس والعبر التي تستفيد منها الأجيال المسلمة إلى يوم القيامة.

روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُتَقَنَّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ.

قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، يَا أَبَا بَكْرٍ: أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: نَعَمْ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ يَا أَبَا بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاِحِلَتِي هَاتَيْنِ،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِالثَّمَنِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَجَهَّزْنَا هُمَا أَحْتَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعْتُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطْتُ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ.

قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بَعَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفَ لِقْنًا، فَيُدَلِّجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرَعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلِ، وَهُوَ لَبَنٌ مَنَحْتَهُمَا وَرَضِيفَهُمَا، حَتَّى يَنْعَقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيِّ، هَادِيَا خَرِيْتًا، وَالْخَرِيْتُ الْمَاهِرُ بِالْهُدَايَةِ، قَدْ عَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلِ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَا حِلَّتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَا حِلَّتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثِ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالِدَّيْلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَا حِلِّ.

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكِ الْمُدَلِّجِيُّ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشَمٍ يَقُولُ: جَاءَنَا رَسُولُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ،  
فَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ  
مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَةَ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ  
أَنْفًا أَسْوَدَةً بِالسَّاحِلِ، أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ  
أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فَلَانًا وَفَلَانًا،  
انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ،  
فَأَمَرْتُ جَارِيَّتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةِ، فَتَحْبِسَهَا  
عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِرُجْجِهِ  
الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ  
بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ  
فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقَسَمْتُ  
بِهَا: أَضْرَهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَارَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ  
الْأَزْلَامَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لَا  
يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الْإِلْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ،  
حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكُذْ  
تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عَثَانٌ سَاطِعٌ فِي  
السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقَسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ،  
فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا، فَارَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ  
فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ  
أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ

يَرَزَانِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: أَخْفِ عَنَّا، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ»<sup>(١)</sup>.

من الدروس والعبر:

أولاً: إن الهجرة زمنًا ومكانًا وحيٍّ من الله ﷻ لنبية ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «إِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي بِالْخُرُوجِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجْرٌ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: التنظيم والتخطيط الدقيق للهجرة حتى نجحت رغم ما كان يكتنفها من صعاب وعقبات.

ثالثاً: حفظ الله لنبية من أول بعثته إلى أن وصل إلى المدينة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وحكى الله تعالى قول نبيه لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وفي الصحيحين من حديث أبي بكر رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ مَعَ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٠٥-٣٩٠٦).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٠٥).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٦٢٢).

النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَاطَأَ بَصْرَهُ رَأَى، قَالَ: اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ ائْتَانَ اللَّهُ تَالِثُهُمَا» (١).

رابعًا: لَمَّا عَفَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ، عَرَضَ عَلَيْهِ سُرَاقَةُ الْمُسَاعَدَةَ وَقَالَ: هَذِهِ كِنَانَتِي فَخُذْ سَهْمًا فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ بِإِبِلِي وَغَنَمِي فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا».

فحين يزهد الدعاة فيما عند الناس يحبهم الناس، وحين يطمعون في أموال الناس ينفر الناس منهم، وهذا درس بليغ للدعاة إلى الله.

خامسًا: أن الدور الذي قام به أبو بكر رضي الله عنه في الهجرة يُعَدُّ مَنْقَبَةً كُبْرَى لَهُ، وَيَكْفِيهِ تَكْرِيمًا أَنْ يَذَكَرَ فِي قُرْآنٍ يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثَانِيكَ أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

سادسًا: قال ابن القيم رحمته الله: «في استئجار النبي ﷺ لعبد الله بن أريقط الدؤلي هاديًا في وقت الهجرة - وهو كافر - دليل على جواز الرجوع إلى الكافرين في الطب والأدوية والكتابة والحساب ونحوها ما لم يكن ولاية تتضمن عدالة، ولا يلزم من مجرد كونه كافرًا أن لا يوثق به في شيء أصلاً، فإنه لا شيء أخطر

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٢٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٨١).

من الدلالة في الطريق ولا سيما في مثل طريق الهجرة»<sup>(١)</sup>.

٧- أن حكم الهجرة لم ينسخ بل هو باق إلى يوم القيامة،  
 روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ: «حَدَّثَهُ  
 أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْهِجْرَةَ قَدْ  
 انْقَطَعَتْ، فَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
 فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْاسًا يَقُولُونَ: إِنَّ الْهِجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ،  
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْهِجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا كَانَ الْجِهَادُ»<sup>(٢)</sup>(٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ،  
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «بدائع الفوائد» (٣/٢٠٨).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٧/١٤٢) (برقم ١٦٥٩٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٣) انظر: «فقه السيرة» د. زيد بن عبد الكريم الزيد (ص ٢٩٢-٣٢١).

الكلمة الثالثة والسبعون

السَّوَاكُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن السنن المؤكدة التي غفل عنها كثير من الناس: السواك، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

والسواك طهارة لغم الإنسان مما يصيبه من بقايا الطعام، ومرضاة للرب، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «السَّوَاكُ مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»<sup>(٢)</sup>.

وقد حثَّ النبي ﷺ أمته على السواك، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٢٣).

(٢) «صحيح البخاري» (ص ٣٦٧)، كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس للصائم.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٨٨٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٢) واللفظ له.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السَّوَاكِ»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث واثلة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ بِالسَّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ»<sup>(٢)</sup>.

ويتأكد السواك في مواضع عديدة منها:

أولاً: عند كل صلاة فرضاً كان أم نفلًا، لما تقدّم من حديث النبي ﷺ الذي ورد فيه: «لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»<sup>(٣)</sup>.

ثانيًا: عند كل وضوء لقوله ﷺ: «لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ»<sup>(٤)</sup>.

ثالثًا: عند القيام من نوم الليل، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ<sup>(٥)</sup> فَاهُ بِالسَّوَاكِ»<sup>(٦)</sup>.

رابعًا: عند دخول البيت، روى مسلم في صحيحه من حديث

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٨٨٨).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣٨٩ / ٢٥) (برقم ١٦٠٠٧)، وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) «صحيح البخاري» (ص ٣٦٧)، كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس للصائم.

(٥) الشَّوْصُ: الدَّلْكُ.

(٦) «صحيح البخاري» (برقم ٢٤٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٥).

شريح بن هانيء قال: «قلت لعائشة: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك»<sup>(١)</sup>.

خامساً: تغير رائحة الفم مطلقاً لعموم ما تقدم من قوله ﷺ: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»<sup>(٢)</sup>.

سادساً: كان النبي ﷺ يكثر استعمال السواك وهو صائم، فروى البخاري في صحيحه من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يستاك وهو صائم ما لا أحصي ولا أعد»<sup>(٣)</sup>.

والذي يتأمل في حال النبي ﷺ يجده يحرص على السواك في كل وقت حتى عند احتضاره، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل عبد الرحمن ابن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فأبده رسول الله ﷺ بصره، فأخذت السواك فقصمته ونفضته وطيبته ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به فما رأيت رسول الله ﷺ استن استننا قط أحسن منه، فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفع يده أو إصبغه ثم قال: في الرفيق الأعلى ثلاثاً ثم قضى»<sup>(٤)</sup>.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٣).

(٢) «صحيح البخاري» (ص ٣٦٧)، كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس للصائم.

(٣) «صحيح البخاري» (ص ٣٦٧)، كتاب الصوم: باب السواك الرطب واليابس للصائم، معلقاً بصيغة التمريض.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٤٤٣٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٤٤٣).

قال الصنعاني: «قد ذكر في السواك زيادة على مائة حديث، فَوَاعَجَبًا لِسُنَّةٍ تَأْتِي فِيهَا الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ ثُمَّ يَهْمَلُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ، فَهَذِهِ خِيبةٌ عَظِيمَةٌ»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ومن أسباب حرص النبي ﷺ على كثرة استعمال السواك؛ أنه ﷺ كان يكره أن توجد منه الرائحة، وإن مما يؤسف له تفريط البعض في التنبه لهذا الأمر مما ينتج عنه أذى المحادث والمجالس، والمصلي بسبب النتن الذي يخرج من أفواه هؤلاء وخاصة المدخنين ومن يتناول الأطعمة ذات الروائح الكريهة، مع توفر وسائل التطهر وسهولة الحصول عليها. وعلى هؤلاء أن يعلموا أنه لا يحل لهم الصلاة في المساجد مع جماعة المسلمين فضلاً عن غيرها من المجالس والاجتماعات، قال النبي ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبُقْلَةِ - الثُّومِ - (وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ)، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»<sup>(٢)</sup>.

وأفضل أنواع السواك ما أخذ من شجر الأراك.

وقد قام باحثون بعمل أبحاث وتوصلوا إلى أن عصارة السواك تحتوي على مضادات طبيعية للبكتيريا المسببة لتسوس الأسنان، وأمراض اللثة، وأن الذين يستخدمون السواك أقل عرضة للإصابة

(١) «سبل السلام» (١/١٧٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٨٥٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٥٦٤) واللفظ له.

بتسوس الأسنان وأمراض اللثة من الذين لا يستخدمونه... وغيرها  
من الفوائد<sup>(١)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



---

(١) انظر: «السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب»، للشيخ عبد الله بن محمد اليوسف.



## وقفات مع سورة الفيل

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل القرآن الكريم لتدبره والعمل به، فقال **سُبْحَانَكَ**: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَىٰ مِنْ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. ومن سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة الفيل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾ [الفيل: ١-٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ ﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله، وأرغم أنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة، وكانوا قومًا نصارى وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالًا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ولسان حال القدر يقول:

لم ننصركم «يا معشر قريش» على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد ﷺ خاتم الأنبياء»<sup>(١)</sup>.

وقصة أصحاب الفيل على وجه الاختصار: أن ملك اليمن أبرهه أراد أن يصد الناس عن الحج إلى الكعبة فبنى بيتاً يشبه الكعبة، ودعى الناس إلى حجه، ليصدّهم عن حج بيت الله، فغضب لذلك العرب، وذهب رجل منهم إلى هذا البيت الذي جعله ملك اليمن بدلاً عن الكعبة، ولطخ جدرانه بالقذر، فغضب ملك اليمن غضباً شديداً، وعلم أن ذلك من فعل العرب، فقدم بجيش عظيم إلى مكة، وكان معه الفيلة، وفي طريقه بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قومه، فقاتلوه، فهزمهم أبرهه، وأسر نفيل بن حبيب الخثعمي، واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز، ولما تهيأ أبرهه لدخول مكة وهياً فيله (محمود) أكبر الفيلة وعباً جيشه ووجهوا الفيل نحو مكة، أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال: ابرك محمود أو ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطبرزين<sup>(٢)</sup> وأدخلوا محاجنهم في مرقاه<sup>(٣)</sup> وبزغوه<sup>(٤)</sup> بها

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/٤٥٥).

(٢) نوع من السياط.

(٣) المواضع الرقيقة من جسده.

(٤) طعنوه بها.

ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها، حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هارين يتدرون الطريق، ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق، هذا ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النعمة وجعل نفيل يقول:

أَيْنَ الْمَفْرُ؟ وَالْإِلَهُ الْغَالِبُ وَالْأَشْرُمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبِ

وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بأربعين عاماً وكان بعض الذين شهدوا ذلك أحياء عند البعثة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ ٢ أي: ألم يجعل الله تعالى مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة ضلالاً منهم أدى بهم إلى الهلاك؟

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ ٣ أي: جماعات متفرقة وهي طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجران في رجليه، وحجر في منقاره لا يصيب شيئاً إلا هشمه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ٤ قالوا: هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم،

فإذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدي، وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (٥) أي: كورق الزرع إذا أكلته الدواب فرمت به من أسفل، وقيل: المعنى صاروا كورق زرع قد أكلت منه الدواب وبقي منه التبن.

والمعنى أن الله ﷻ أهلكتهم ودمرهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً، وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما جرى لملكهم أبرهه، فإنه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء وأخبرهم بما جرى لهم ثم مات.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن هذه نهاية كل طاغية يحارب الله ويستحل حرماته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظْلَمِ نُذُقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢٥) [الحج: ٢٥]. وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) [هود: ١٠٢]» (١).

ثانياً: قدرة الله العظيمة، فهو القادر على كل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (٥٠) [القمر: ٥٠].

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٦٨٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٣).

[٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.





## الكلمة الخامسة والسبعون

### خطر النيمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:  
فإن النيمة من الذنوب العظيمة التي حذر الله ورسوله منها، وهي مرض عضال، وداء خبيث، يفسد في المجتمعات ويورث العداوة والبغضاء فيها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ [القلم: ١٠-١١].

قال ابن كثير: «مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ»: الذي يمشي بين الناس وَيُحَرِّشُ بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي الحالقة<sup>(١)</sup>.

والنيمة كما بينها النبي ﷺ هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد، روى مسلم في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنبئُكُمْ مَا الْعَضَةُ؟»<sup>(٢)</sup> هِيَ النَّيْمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/٨٩).

(٢) العضة: رُوِيَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ عَلَى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: الْعِضَّةُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَفَتْحِ الضَّادِ عَلَى وَزْنِ الْعِدَّةِ وَهِيَ الْأَشْهُرُ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ، وَالثَّانِي: الْعَضَّةُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الضَّادِ عَلَى وَزْنِ الْوَجْهِ وَهُوَ الْأَشْهُرُ فِي كِتَابِ الْحَدِيثِ. وَالْمَعْنَى: «أَلَا أُنبئُكُمْ مَا الْعَضَةُ؟» الْفَاحِشُ الْغَلِيظُ التَّحْرِيمُ.

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٠٦).

قال أبو السعادات: «الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»: أي: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس.

وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال: يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة<sup>(١)</sup>.

والنمام متوعد بعدم دخول الجنة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا، فَقِيلَ لِحُذَيْفَةَ: إِنَّ هَذَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ أَشْيَاءَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ - إِرَادَةَ أَنْ يُسْمِعَهُ -: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: «الْقَتَاتُ هُوَ النَّمَامُ، ووقع بلفظ: «نَمَامٌ» في رواية أبي وائل عن حذيفة عند مسلم<sup>(٣)</sup>، وقيل: الفرق بين القتات والنمام، أن النمام الذي يحضر القصة فينقلها، والقتات الذي يتسمع من حيث لا يعلم به ثم ينقل ما سمعه»<sup>(٤)</sup>.

والنمام يعذب في قبره قبل يوم القيامة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى،

(١) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص ٣٢٠).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠٥).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٠٥).

(٤) «فتح الباري» (١٠/٤٧٣).

أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ عُوْدًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بِاِثْنَتَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَا»<sup>(١)</sup>.

والنمام شر عباد الله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الرحمن بن غنم رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذَكَرَ اللَّهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ الْبُرَاءَ الْعَنْتَ»<sup>(٢)</sup>.

والفرق بين الغيبة والنميمة: أن الغيبة هي التكلم خلف إنسان مستور بما هو فيه مما يكرهه، أما النميمة فهي نقل كلام صادر عن الغير بغية الإفساد، وعلى ذلك تكون الغيبة صادرة عن المغتاب في الأصل، أما النميمة فهي كلام صادر عن الغير، وكذلك الغيبة قد تباح في بعض الأحيان لغرض شرعي، أما النميمة فلم ينقل جواز إباحتها أحد.

قال الذهبي رحمته الله: «النميمة من الكبائر، وهي حرام بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة، وقد أجاب عما يوهم أنها من الصغائر، وهي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ»، بأن المراد ليس بكبير تركه عليهما أو ليس بكبير في زعمهما، ولهذا قيل في رواية أخرى: «بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٣٧٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٢).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٥٢١/٢٩) (برقم ١٧٩٩٨)، وقال محققوه: حسن بشواهده.

(٣) «الكبائر» (ص ١٦٠)، بتصرف.

قال ابن حجر: «وجه كونه أي (النم) كبيرة ما فيه من الإفساد، وما يترتب عليه من المضار، والحكم على ما هو كذلك بأنه كبير ظاهر جلي»<sup>(١)</sup>.

قال ابن حزم: «اتفقوا على تحريم الغيبة، والنميمة في غير النصيحة الواجبة وفيه دليل على أنها من الكبائر»<sup>(٢)</sup>.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «كل من حُمِلت إليه نميمة وقيل له: قال فيك فلان: كذا وكذا؛ لزمه ستة أحوال:

الأول: ألا يصدقه لأنه نام فاسق وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهائه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله ﷻ، فإنه يبغض عند الله، والبغض في الله واجب.

الرابع: ألا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامس: ألا يحمله ما حُكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾.

السادس: ألا يرضى لنفسه ما نهى المنام عنه، فلا يحكي نميته.

(١) «الزواجر» (٢/٥٧٢).

(٢) «مراتب الإجماع» (ص ١٥٦).

وتكمن خطورة النمام في أنه يقل الاحتراز منه؛ لأنه يأتي في صورة الناصح المشفق، فإن صدقته تحقق حينئذ ما يريده النمام من الإفساد، قال ابن حزم: «من جاء إليك بباطل رجع من عندك بحق، وذلك أن من نقل إليك كذباً عن إنسان حرك طبعك فأجبتَه فرجع عنك بحق، فتحفظ من هذا ولا تجب إلا عن كلام صح عندك عن قائله»<sup>(١)</sup>.

والنمامون كثيرون ومن أشدهم خطراً: طائفة جعلت مهنتها الواقعة بين العلماء والحكام، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود قال: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ آتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عِيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَآتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟! قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا<sup>(٢)</sup>.

وهذا المعنى الذي آثر ابن مسعود المصير إليه؛ جاء في حديث ضعّفه بعض أهل العلم وجاء فيه: «لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ

(١) «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» لابن حزم (ص ٣٧).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣١٥٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠٦٢) واللفظ له.

أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»<sup>(١)</sup>.

وطائفة أخرى أكل الحسد قلوبها، فلا تكاد ترى زوجين أو صديقين متآلفين إلا سعت للتفريق بينهما بالنميمة، كل ذلك في لباس النصح والإشفاق.

وروي عن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمره فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ﴾ [الحجرات: ٦]. وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هُمَا زِمَاءٌ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا<sup>(٢)</sup>.

قال الحسن البصري: من نَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ.

ومما تعالج به النميمة: أن يعلم النمام أنه معرض نفسه لسخط الله تعالى وعقوبته، وأنها تحبط الحسنات، وأن يتدبر المرء في عيوبه ويجتهد في التطهر منها، وأن يعلم أن تأذي غيره بالغيبة أو بالنميمة كتأذيه بها فكيف يرضى لغيره ما يتأذى به، قال الشاعر:

تَنَحَّ عَنِ النَّمِيمَةِ وَاجْتَنِبْهَا      فَإِنَّ النَّمَّ يُحْبِطُ كُلَّ أَجْرٍ  
يُثِيرُ أَخَو النَّمِيمَةِ كُلَّ شَرٍّ      وَيَكْشِفُ لِلْخَلَائِقِ كُلَّ سِرٍّ

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٨٦٠).

(٢) «الكبائر» للذهبي (ص ١٦٠).

وَيَقْتُلُ نَفْسَهُ وَسِوَاهُ ظُلْمًا      وَلَيْسَ النَّمُّ مِنْ أفعالِ حُرِّ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.





الكلمة السادسة والسبعون

الفأل وحسن الظن بالله

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الفأل وحسن الظن بالله من الأمور التي ينبغي للمؤمن أن يحافظ عليها، فإنها تعطيه دافعاً للعمل والتقدم إلى الأمام، فإن المتفائل عنده أمل أن يكون حاله في مستقبله خيراً من يومه، وبأن يعوض فيه ما فاته، وأن يتجاوز العقبات والمحن، وأن يحقق المصالح والمنافع التي ليست في حوزته اليوم.

قال الماوردي: «الفأل فيه تقوية للعزم، وباعث على الجد، ومعونة على الظفر، فقد تفاعل رسول الله ﷺ في غزواته وحرابه<sup>(١)</sup>، والمراد بالتفاؤل انشراح قلب المؤمن، وإحسانه الظن، وتوقع الخير».

قال ابن الأثير: «التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طلب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته»<sup>(٢)</sup>.

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص ٣١٩).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» (٣/٤٠٦)، بتصرف.

وَالنَّبِيُّ ﷺ حُوصِرَ وَأُوذِيَ وَأُخْرِجَ مِنْ بَلَدِهِ، وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ، وَمَاتَ لَهُ سِتَّةٌ مِنَ الْوَلَدِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَتَفَاءَلُ وَيُعْجِبُهُ الْإِسْمُ الْحَسَنُ.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُعْجِبُنِي الْفَأَلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ»<sup>(١)</sup>. وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَفَاءَلُ وَلَا يَتَطَيَّرُ، وَيُعْجِبُهُ الْإِسْمُ الْحَسَنُ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث سعيد بن المسيب فَحَدَّثَنِي أَنَّ جَدَّهُ (حَزَنًا) قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ: بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِمُغَيَّرٍ اسْمًا سَمَانِيهِ أَبِي، قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَمَا زَالَتْ فِيْنَا الْحُزُونَةُ بَعْدُ»<sup>(٣)</sup>.

وفي صلح الحديبية عندما جاء سهيل بن عمرو لمفاوضة المسلمين، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «سَهْلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الفرق بين الفأل والطيرة، أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء<sup>(٥)</sup>، فكذلك

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٧٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٢٢٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤/١٦٩) (برقم ٢٣٢٨)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦١٩٣).

(٤) «صحيح البخاري» (رقم ٢٧٣١-٢٧٣٢).

(٥) «فتح الباري» (١٠/٢١٥).

كرهت، قال الحلبي: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء الظن بالله تعالى، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمورٌ بحسن الظن بالله تعالى على كل حال»<sup>(١)</sup>، قال البغوي: «وإنما أحب النبي ﷺ الفأل لأن فيه رجاء الخير والفائدة، ورجاء الخير أحسن بالإنسان من اليأس وقطع الرجاء عن الخير»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال<sup>(٣)</sup>، وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى حسن الظن بالله تعالى.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ مَنْ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»<sup>(٤)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ﷻ»<sup>(٥)</sup>.

قال العلماء: حسن الظن بالله تعالى، أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه<sup>(٦)</sup>، والذي يتأمل في أحوال الرسل عليهم السلام، والصالحون

(١) «فتح الباري» (١٠/٢١٥).

(٢) «شرح السنة» (١٢/١٧٥).

(٣) «فتح الباري» (١٠/٢١٥).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (برقم ٩٠٧٦)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٥) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٧٧).

(٦) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٦/٢١٠).

من بعدهم يجد أنهم متفائلون في أحلك الظروف، والشدائد، فهذا موسى عليه السلام ومن معه عندما لحق بهم فرعون وجنوده وأصبح البحر أمامهم، والعدو خلفهم كان متفائلاً ومحسناً للظن بربه، قال تعالى حاكياً عنه: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢].

وأم إسماعيل هاجر عندما تركها إبراهيم عليه السلام في مكة مع ابنها إسماعيل، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم مضى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا<sup>(١)</sup>.

وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، لما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ورجع إليها خائفاً يقول: «زُمَّلُونِي زُمَّلُونِي، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. قَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»<sup>(٢)</sup>.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان من أعظم الناس تفاؤلاً وحسن ظن

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٣٦٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣).

بالله، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «يا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أَحَدٍ؟ فَقَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُحِبَّنِي إِلَيَّ مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أُسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تعالى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلِكُ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلِكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، عِنْدَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ فِي جِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ فَاَبْتَنَى أَبُو بَكْرٍ مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ، فَشَكَتْ قُرَيْشُ أَبَا بَكْرٍ إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ وَقَالُوا: خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا، فَذَهَبَ ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَقَالَ: إِمَّا أَنْ تَمْتَنِعَ عَمَّا تَفْعَلُ وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ جِوَارِي، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَتَحَدَّثَ الْعَرَبُ أَنِّي أَخْفَرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ:

(١) هما جبلان بمكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٩٥).

فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضِي بِجِوَارِ اللَّهِ ﷻ<sup>(١)</sup>.

ومن التفاؤل الذي يُذكر في هذا المجال: ما حصل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ففي سنة (٧٠٢هـ) تحرك التتار لغزو بلاد الشام فأخبر ابن تيمية الناس والأمرء أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، قال ابن القيم: وسمعتَه يقول ذلك، قال: فلما أكثرُوا عَلَيَّ قلت: لا تكثروا، كتب الله في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكرة، وأن النصر لجيوش الإسلام، قال: وأطعمت بعض الأمرء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو، وكان النصر حليف المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك أن الشيخ شمس الدين الذي تولى تربية السلطان محمد الفاتح العثماني رَحِمَهُ اللهُ كان يأخذ السلطان محمداً بيده ويمر به على الساحل ويشير إلى أسوار القسطنطينية التي تلوح في الأفق من بعيد شاهقة حصينة، ثم يقول له: أترى هذه المدينة التي تلوح في الأفق، إنها القسطنطينية، وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن رجلاً من أمته سيفتحها بجيشه ويضمها إلى أمة التوحيد، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٠٥).

(٢) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٤١٥).

الجيش»<sup>(١)</sup>. ثم تفاعل الأمير الصبي وعقد العزم على أن يجتهد ليكون هو ذلك الفاتح الذي بشر به الصادق المصدوق عليه السلام، ولما جاء اليوم الموعود وتولى الخلافة شرع السلطان محمد الفاتح يفاوض الإمبراطور قسطنطين ليسلمه القسطنطينية، فلما بلغه رفض الإمبراطور تسليم المدينة قال بكل تفاؤل: حسناً عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر، حاصر السلطان محمد الفاتح القسطنطينية واحداً وخمسين يوماً، تعددت خلالها المعارك العنيفة وبعدها سقطت المدينة الحصينة التي استعصت على الفاتحين قبله، سقطت على يد بطل شاب له من العمر ثلاثة وعشرون عاماً.

ومن ذلك ما ذكره الشيخ المقرئ عبد الله بن أحمد ابن سعيد قال: «مرضت بدمشق مرضاً شديداً، فجاءني ابن تيمية رحمته الله وجلس عند رأسي وأنا مثقل بالحمى والمرض فدعاني، ثم قال: جاءت العافية فما كان إلا أن قام، وإذا بالعافية قد جاءت، وشفيت لوقتي»<sup>(٢)</sup>.

ومن فوائد الفأل وحسن الظن بالله:

أولاً: يجلب السعادة والسرور إلى القلب، ويذهب عنه الهم

(١) هذا الحديث الذي ورد في سياق كلام الشيخ شمس الدين، واستدل به على فضل فاتح القسطنطينية. رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد المسند» [٣١/٢٨٧ (برقم ١٨٩٥٧)] من حديث بشر الخنعمي رضي الله عنه، وقد ضعه بعض أهل العلم، وفضل فتح القسطنطينية ثابت بأحاديث أخرى تراجع في مظانها.

(٢) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٦٨٨).

والحزن، وهذا مطلوب شرعاً، ففي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: فيه تقوية للعزائم، ومعونة على الظفر، وباعث على الجد والعمل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ١٠٥]. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اِخْرَضَ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: فيه اقتداء بالسنة النبوية، فقد حثَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٩٣).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٦٤).

الكلمة السابعة والسبعون

مواقف مؤثرة  
من سيرة الإمام أحمد بن حنبل

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وإمام من أئمة الهدى، نصر الله به الدين، وحفظ به السنة، ولد سنة (١٦٤هـ)، ونشأ يتيماً، فقد مات والده وهو طفل صغير، وطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان طويلاً أسمر شديد السمرة، تزوج وهو ابن أربعين سنة، قال أبو زرعة الرازي: كان يحفظ ألف ألف حديث «يعني مليون حديث»، ولما سُئل أبو زرعة عن ذلك قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

قال الذهبي: وهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فسر، ونحو ذلك، وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ ذلك<sup>(١)</sup>.

إنه إمام أهل السنة والجماعة، شيخ الإسلام أحمد ابن

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/١٨٧).

محمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، ويُكنى بأبي عبد الله.

قال الشافعي: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل، ولا أعلم ولا أتقى، من أحمد بن حنبل، وقال إسحاق بن راهوية: أحمد حجة بين الله وخلقه.

قال الذهبي: كان أحمد عظيم الشأن، رأساً في الحديث، وفي الفقه، وفي التأله، أثنى عليه خلق من خصومه، فما الظن بإخوانه وأقرانه؟ وكان مهيباً في ذات الله، حتى قال أبو عبيد: ما هبت أحداً في مسألة ما هبت أحمد بن حنبل.

وكان يجتمع في مجلس أحمد خمسة آلاف، أو يزيدون؛ نحو خمس مائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت، وسأله أحد أصحابه ذات يوم: إلى متى تستمر في طلب العلم وقد أصبحت إماماً للمسلمين؟ فقال له: من المحبرة إلى المقبرة.

وكان رَحِمَهُ اللهُ متفكهاً زاهداً في الدنيا، قال النسائي: جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث، والفقه، والورع، والزهد، والصبر، وقال أبو داود: كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، ما رأيت ذكر الدنيا قط.

قال أحمد بن سنان: بلغني أن أحمد بن حنبل رهن نعله عند خباز باليمن، وأكرى نفسه من جمالين عند خروجه، وعرض عليه عبد الرزاق دراهم فلم يقبلها.

قال المروزي: كان أبو عبد الله إذا ذكر الموت خنقته العبرة، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب، وإذا ذكرت الموت هان عليّ كل أمر الدنيا، إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل ما أعدل بالفقر شيئاً، ولو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر، وقال: أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف، قد بُليت بالشهرة.

وكان تقيّاً، ورعاً متواضعاً، قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير.

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعي لك، قال أخاف أن يكون هذا استدراجاً بأي شيء هذا؟ وقلت له: قدم رجل من طرسوس فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هداً الليل رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبد الله، وكنا نمد المنجنيق، ونرمي عن أبي عبد الله ولقد رمي عنه بحجر، والعلاج على الحصن متترس بدرقة فذهب برأسه وبالدرقه، قال: فتغير وجه أبي عبد الله وقال: ليته لا يكون استدراجاً، قلت: كلا، ودخل عليه رجل وأثنى عليه وقال: جزاك الله عن الإسلام خيراً؛ فاغتم وقال: بل جزى الله الإسلام عني خيراً، من أنا وما أنا؟

قال صالح بن أحمد: كان أبي إذا دعا له رجل يقول: الأعمالُ بخواتيمها.

وقال المروزي: قلت لأحمد: كيف أصبحت؟ قال: كيف

أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض، ونبیه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطلبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يراقب قبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة.

قال المروزي: لما ذكر الإمام أحمد أخلاق الورعين فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟ وهذا من تواضعه وإلا فهو إمام في ذلك.

وكان رَحِمَهُ اللهُ من الصادعين بالحق والصابرين عليه، وقد ابْتُلِيَ في ذلك، قال الذهبي: «الصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوة وإخلاص، قال: فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يُخَذَّلُ، فمن قام بهما كاملاً فهو صديق، ومن ضعف فلا أقل من التآلم والإنكار بالقلب، ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup>.

قال علي بن المديني: أعز الله الدين برجلين: أبو بكر الصديق في حروب الردة، وأحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَ ۙ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ۚ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/٢٣٤).

قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةً ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ»<sup>(١)</sup>.

لما حصلت فتنة خلق القرآن في عهد المأمون قال صالح: ثم امتحن القوم ووجه بمن امتنع إلى السجن، فأجاب القوم جميعاً إلا أربعة: أبي ومحمد بن نوح، والقواريري، والحسن بن حماد، ثم أجاب هذان وبقي أبي ومحمد في الحبس أياماً، ثم جاء كتاب من طرسوس بحملهما مقيدين زميلين، وتوفي محمد بن نوح في الطريق، وصلى عليه الإمام أحمد.

قال عباس الدوري: سمعت أبا جعفر يقول: لما أخذ أحمد إلى المأمون أخبرت فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه، قال: يا أبا جعفر تعנית، قلت: يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبته إلى خلق القرآن ليجيبن خلق، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لا بد من الموت فاتق الله ولا تجب، وجعل أحمد يبكي ويقول له: ما شاء الله، ثم قال: يا أبا جعفر أعد عليّ، فأعدت عليه وهو يقول: ما شاء الله.

قال إبراهيم بن عبد الله: قال أحمد بن حنبل: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها، قال: يا أحمد إن

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٩٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

يقتلك الحق مت شهيداً، وإن عشت عشت حميداً، فقوي قلبي.

قال محمد بن إبراهيم: جعلوا يذاكرون أبا عبد الله بالرقعة في التقية، وما روي فيها، فقال: كيف تصنعون بحديث خباب؟ «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَشُقُّ بِأَثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ، أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ»<sup>(١)</sup>. فأيسنا منه، وقال: لست أبالي بالحبس؛ ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط، فسمعه بعض أهل الحبس فقال: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سري عنه.

قال صالح بن أحمد: قال أبي: فلما صرنا إلى أذنه<sup>(٢)</sup> ورحلنا منها في جوف الليل وفتح لنا بابها إذا رجل قد دخل فقال: البشري، قد مات الرجل - يعني المأمون -، قال أبي: وكنت أدعو الله أن لا أراه، وبقي أحمد محبوباً بالرقعة حتى بويع المعتصم إثر موت أخيه، وقد أمر بتعذيبه، وجلده بالسياط حتى أغمي عليه عدة مرات، قال صالح: ثم خلّي عنه فصار إلى منزله، وكان مكثه في السجن منذ أخذ إلى أن ضرب: ثمانية وعشرين شهراً.

ومن أخلاقه العظيمة: عفوه وتسامحه حتى مع أشد خصومه

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٦١٢).

(٢) بلد مشهور من الثغور قرب المصيصة.

ممن عذبه، فمن ذلك أنه قال: كل من ذكرني ففي حلٍ إلا مُبتدعاً، وقد جعلت أبا إسحاق - يعني المعتصم - في حلٍّ، ورأيت الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]. وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قصة مسطح، قال أبو عبد الله: وما ينفك أن يُعذب أخاك المسلم بسببك؟ ولتعف، وتصفح فيغفر الله لك كما وعدك، وكان يقول لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز، قال عبد الوهاب الوراق: ما بلغنا أن جمعاً في الجاهلية، ولا الإسلام مثله - يعني من شهد الجنابة -، حتى بلغنا أن الموضع مسح وحرز على الصحيح، فإذا هو نحو من ألف ألف - يعني مليون - وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع، والدروب، ينادون: من أراد الموضوع<sup>(١)</sup>.

وكان وفاته لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول يوم الجمعة سنة (٢٤١هـ)، رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

وجزاه عن الإسلام، والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/١٧٧-٣٥٦).



## البرق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد: فإن من الأخلاق الجميلة والصفات الحميدة التي وصف الله بها نبيه محمدا ﷺ الرفق.

قال تعالى: ﴿فَمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»<sup>(١)</sup>. وروى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»<sup>(٢)</sup>.

والرفق هو لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف، وقد يجيء الرفق أيضا بمعنى التمهل في الأمور

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٢٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٦٥).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٩٣).

والتأني فيها، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: ومن أسمائه تعالى (الرفيق) في أفعاله وشرعه، ومن تأمل ما احتوى عليه شرعه من الرفق، وشرع الأحكام شيئاً بعد شيء وجريانها على وجه السداد، واليسر، ومناسبة العباد وما في خلقه من الحكمة، إذ خلق الخلق أطواراً ونقلهم من حالة إلى أخرى بحكم وأسرار لا تحيط بها العقول، وهو تعالى يحب من عباده: أهل الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقاً في أموره متأنياً ومع ذلك لا يفوت الفرص إذا سنحت، ولا يهملها إذا عرضت<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم:

وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرَّفْقِ بَلْ يُعْطِيهِمْ بِالرَّفْقِ فَوْقَ أَمَانٍ  
والرفق من أفضل الأخلاق، وأجلها، وأعظمها قدراً، وأكثرها نفعاً، فلا يكون في شيء إلا زينته وجمّله، وحسنه، ولا ينزع من شيء إلا شانه، وعابه وقبحه، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ومن آتاه الله الرفق فقد أعطاه خيراً عظيماً من الثناء الحسن، والتوفيق، وصلاح البال، وطمأنينة النفس، ونيل المطالب،

(١) «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص ٢٠٦-٢٠٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٩٤).

وتحقيق المآرب، وفي الآخرة أجر عظيم، وثواب جزيل، ذلك بأن المتأني الذي يأتي الأمور بسكينة، ورفق اتباعاً لسنن الله في الكون، واتباعاً لنبيه محمد ﷺ، فإن من كان هذا هديه وطريقه؛ تيسر له الأمور، وبالأخص الذي يحتاج إلى أمر الناس، ونهيه، وإرشادهم، فإنه مضطر إلى الرفق واللين.

وكذلك من آذاه الخلق بالأقوال البشعة، وصان لسانه عن مشاتمتهم ودافع عن نفسه برفق ولين، اندفع عنه من أذاهم ما لا يندفع بمقابلتهم بمثل مقالهم وفعالهم، ومع ذلك فقد كسب الراحة، والطمأنينة، والرزانة، والحلم، فما أطيب عيشه! وما أنعم باله! وما أقر عينه! (١).

وأخبر النبي ﷺ أن دخول الرفق على أهل بيت علامة خير، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ارْفُقِي، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرَّفْقِ» (٢).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ رَفَقًا بِأَصْحَابِهِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِنَا قَالَ: ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَصَلُّوا،

(١) «مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي»، قسم العقيدة (٥٣٦/٦).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٥٥/٤١) (برقم ٢٤٧٣٤)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ، وَلْيُؤَمِّمَكُمْ أَكْبَرَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وكان عليه السلام يحث أصحابه على الرفق بالناس، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: «قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ عليه السلام: دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وَلَمَّا بَعَثَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنهما إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ لَهُمَا: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»<sup>(٣)</sup>. قال الإمام أحمد بن حنبل: يأمر بالرفق والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره، لا يغضب فيكون يريد أن ينتصر لنفسه<sup>(٤)</sup>.

وَكَانَ عليه السلام يَحْتُ أَهْلَ بَيْتِهِ عَلَى الرَّفْقِ، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ يَهُودَ أَتَوَا النَّبِيَّ عليه السلام فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: مَهَلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ، قَالَتْ: أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»<sup>(٥)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٦٧٤).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦١٢٨).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦١٢٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٣٣).

(٤) «جامع العلوم والحكم» (ص ٣٩٥) [دار الريان للتراث].

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٣٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٦٥).

وَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ وُلاةَ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الرَّفْقِ بِالرَّرْعِيَّةِ،  
 روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:  
 «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ  
 وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» (١).

بل إنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَثَّ أُمَّتَهُ عَلَى الرَّفْقِ بِالْحَيَوَانِ، روى مسلم  
 في صحيحه من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:  
 «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ،  
 وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» (٢).

الخلاصة: أنه ينبغي على المؤمن أن يكون رفيقاً في جميع  
 شؤونه، رفيقاً في معاملة أهله، وأولاده، وإخوانه، وأصدقائه، وفي  
 معاملة عامة للناس، يرفق بهم، ومن كان هذا حاله فالنفوس ترتاح له،  
 والقلوب تأنس به، والصدور تنشرح له، ويحصل على محبة الناس،  
 وينبغي أن يكون الرفق ملازماً للمؤمن في بيته، وسوقه، ومسجده،  
 وفي كل مكان يخالط فيه الناس، فإذا فعل ذلك فقد أعطي خيراً  
 كثيراً، روى مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه:  
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ» (٣).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٨٢٨).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٩٥٥).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٩٢).



الكلمة التاسعة والسبعون

وقفات مع سورة قريش

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة قريش، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: ١-٤].

هذه السورة لها صلة بالسورة التي قبلها وهي سورة الفيل، إذ أن سورة الفيل بيان منة الله ﷻ على أهل مكة بما فعل بأصحاب الفيل الذين قصدوا مكة لهدم الكعبة، فبين الله في هذه السورة نعمة أخرى كبيرة على أهل مكة وهي رحلة الشتاء والصيف.

قوله: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾ والإلف بمعنى الجمع والضم، ويراد به التجارة التي كانوا يقومون بها مرة في الشتاء، ومرة في الصيف، أما في الشتاء فيتجهون نحو اليمن للمحصولات الزراعية فيه، وأما في الصيف فيتجهون إلى الشام؛ لأن غالب تجارة الفواكه وغيرها تكون في هذا الوقت في الصيف مع مناسبة الجو البارد، فهي

نعمة من الله **سُبْحَانَهُ** على قريش في هاتين الرحلتين؛ لأنه يحصل منهما فوائد كثيرة ومكاسب تجارية، إضافة إلى أنهم يرجعون إلى بلدهم مكة آمنين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله، فمن عرفهم احترمهم، بل من سار معهم آمن بهم، هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم، وصيفهم، وأما في حال إقامتهم، فكما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَنْحَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أرشدهم إلى شكر هذه النعم بعبادة رب البيت والمراد الكعبة، وهنا أضاف ربوبيته إليه، فقال: ﴿رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ وإضافة الربوبية إليه على سبيل التشريف والتعظيم<sup>(١)</sup>.

أي: فليوحّدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٩١]. فلا يعبدوا صنماً ولا نداً ولا وثناً، ومن استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾: أي

(١) «تفسير الشيخ ابن عثيمين» (ص ٣٢٦)، و«تفسير ابن كثير» (٤٦٦/١٤).

من بعد الجوع، وكان ﷺ يتعوذ بالله من الجوع.

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ يَنْسُ الضَّحِيعُ»<sup>(١)</sup>. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي عنهما: «أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ» وَذَلِكَ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام حَيْثُ قَالَ: «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ» [البقرة: ١٢٦]<sup>(٢)</sup>.

قال ابن زيد: «كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها من بعض، فأمنت قريش من ذلك لمكان الحرم، ثم قرأ قوله تعالى: «أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا» [القصص: ٥٧]<sup>(٣)</sup>.

ومن فوائد السورة الكريمة:

أولاً: أن نعم الله على عباده كثيرة ومن أعظمها بعد الإيمان: الأمن والغذاء، قَالَ تَعَالَى: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ»<sup>(٣٤)</sup> [إبراهيم: ٣٤]. وقال تعالى ممتنًا على عباده بنعمة الغذاء: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ»<sup>(٢٤)</sup> أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا<sup>(٢٥)</sup> ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا<sup>(٢٦)</sup> فَأَبْنَا فِيهَا حَبًّا<sup>(٢٧)</sup> وَعَبْنَا وَقَضَبًا<sup>(٢٨)</sup> وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا<sup>(٢٩)</sup> وَحَدَائِقَ غُلْبًا<sup>(٣٠)</sup> وَفَيْكِهِمَ وَأَبًا<sup>(٣١)</sup> مِّنْعًا لَّكُمْ وَإِن تَعْمَلُوا<sup>(٣٢)</sup> [عبس: ٢٤-٣٢].

وقال تعالى ممتنًا على عباده بنعمة الأمن: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

(١) «سنن أبي داود» (برقم ١٥٤٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٨٨/١) (برقم ١٣٦٨).

(٢) «تفسير القرطبي» (٥٠٨/٢٢).

(٣) «تفسير القرطبي» (٥٠٨/٢٢).

يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].  
وقال تعالى ممتنًا على أهل سبأ بهذه النعمة: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي  
وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سبأ: ١٨].

روى الترمذي في سننه من حديث عبيد الله بن محصن الخَطْمِيِّ رضي الله عنه وكانت له صحبة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، مُعافًى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»<sup>(١)</sup>.

ثانيًا: أن دوام هذه النعم وبقائها إنما يكون بشكرها وذلك بإخلاص العبادة له وطاعته واجتناب نواهيهِ، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لِيَن شُكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلِيَن كُفْرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

ثالثًا: أن شكر هذه النعم يكون بالقلب والقول والفعل، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان: ١٢]. وقال تعالى: ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣]. وذهاب هذه النعم إنما يكون بالمعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٤٦)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٧٤) (برقم ١٩١٣).

الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا  
وَبِسْكَ الْقَرَارِ ﴿٢٩﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا      فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تُزِيلُ النِّعَمَ  
وَحُطَّهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ      فَارْبُ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمِ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،      وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ١١٣٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٨٢٠).



الكلمة الثمانون

محاسبة النفس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:  
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

قال ابن القيم: «دلت الآية على وجوب محاسبة النفس، فيقول تعالى: لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال، أم من الصالحات التي تنجيه؟ أم من السيئات التي توبقه؟»<sup>(١)</sup>.

قال الحسن البصري: «لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه، ماذا أردتِ عملين؟ وماذا أردتِ تأكلين؟ وماذا أردتِ تشربين؟ وإن الفاجر يمضي قدماً قدماً ما يعاتب نفسه»<sup>(٢)</sup>.

قال الماوردي: «محاسبة النفس أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعاله نهاره، فإن كان محموداً أمضاه، وأتبعه بما شاكله، وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل»<sup>(٣)</sup>.

(١) «إغاثة اللفهان» (١/١٥٢).

(٢) «إغاثة اللفهان» (١/١٤٥).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص ٣٦٠-٣٦١).

ومحاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده.

فأما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همه وإرادته فينظر: هل العمل موافق لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أم لا؟ فإن كان موافقاً أقدم، وإن كان مخالفاً ترك، ثم ينظر: هل فعله خير له من تركه؟ أو تركه خير له من فعله؟ فإن كان الثاني: تركه ولم يقدم عليه، ثم ينظر: فإن كان لله مضي، وإن كان للجاه، والثناء، والمال من المخلوق ترك.

أما النوع الثاني: فهو محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع:

أولاً: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي، وحق الله في الطاعة ستة أمور: الإخلاص لله في العمل، النصيحة لله فيه، متابعة الرسول ﷺ، شهود مشهد الإحسان فيه، شهود منة الله عليه، شهود تقصيره فيه، بعد ذلك كله يحاسب نفسه هل وفى هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟

ثانياً: أن يحاسب نفسه على المناهي، فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية.

ثالثاً: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله.

رابعاً: أن يحاسب نفسه على أمر مباح، أو معتاد، لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحاً، أو أراد به الدنيا

وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر<sup>(١)</sup>.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا، أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ، وَتَزِينُوا لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ، يَوْمَئِذٍ تُعَرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَوْمًا وَقَدْ خَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ جِدَارٌ وَهُوَ فِي جَوْفِ الْحَائِطِ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَخٍ، وَاللَّهِ لَتَتَّقِينَ اللَّهَ ابْنَ الْخَطَّابِ أَوْ لَيُعَذِّبَنَّكَ»<sup>(٣)</sup>.

قال إبراهيم التيمي: «مَثَلْتُ نَفْسِي فِي الْجَنَّةِ: آكَلُ مِنْ ثَمَارِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا، وَأَعَانِقُ أَبْكَارِهَا، ثُمَّ مَثَلْتُ نَفْسِي فِي النَّارِ: آكَلُ مِنْ زَقُومِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ صَدِيدِهَا، وَأَعَالِجُ سِلَاسِلِهَا، وَأَغْلَالِهَا، فَقُلْتُ لِنَفْسِي: أَيُّ نَفْسِي أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدِينَ؟ قَالَتْ: أُرِيدُ أَنْ أُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا فَأَعْمَلَ صَالِحًا، قُلْتُ: فَأَنْتِ فِي الْأَمْنِيَةِ فَاعْمَلِي»<sup>(٤)</sup>.

قال الغزالي: «عرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد، وأنهم سيناقشون في الحساب، ويطالبون

(١) «إغاثة اللهفان» (١/١٤٨-١٤٩).

(٢) المصدر السابق (١/١٤٥).

(٣) «موطأ الإمام مالك» (١٨٠٠).

(٤) «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا (ص ٢٦).

بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة، وصدق المراقبة، ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته»<sup>(١)</sup>.

وأضر ما على المسلم الإهمال وترك المحاسبة والاسترسال وتسهيل الأمور وتمشيتها، فإن هذا يؤول به إلى الهلاك، وهذه حال أهل الغرور يغمض عينيه عن العواقب ويمشي الحال ويتكل على العفو فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سهل عليه موقعة الذنوب وأنس بها، وعسر عليه فطامها ولو حضر رشده لعلم أن الحمية أسهل من الفطام، وترك المألوف والمعتاد<sup>(٢)</sup>.

فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر، أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها، وسكناتها، وخطراتها، وخطواتها، فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا حظ لها يمكن أن يُشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبدا الآباد، فإضاعة هذه الأنفاس أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه، خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس، وأحمقهم، وأقلهم

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/٤١٨).

(٢) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/١٤٧-١٥٠).

عقلاً، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] (١).

ومن فوائد محاسبة النفس:

أولاً: الاطلاع على عيوب النفس، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته.

ثانياً: دليل على الخوف من الله والاستعداد للقاءه.

ثالثاً: تبين للمؤمن حقيقة الربح والخسران.

رابعاً: محاسبة النفس في الدنيا تريح المؤمن يوم القيامة.

خامساً: فيه امتثال لأمر الله تعالى.

سادساً: تبعد عن الغفلة، والاستمرار في المعاصي، والذنوب.

سابعاً: تعين المؤمن، وتساعد في استدراك ما نقص من

الفرائض، والنوافل.

ثامناً: تثمر محبة الله ورضوانه.

تاسعاً: أنه يعرف بذلك حق الله تعالى عليه، ومن لم يعرف

حق الله تعالى عليه، فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه، وهي قليلة

المنفعة جداً.

عاشراً: أن صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفساده بإهمالها

(١) «إغاثة اللفهان» لابن القيم (١/١٤٧-١٥٠).

والاسترسال معها<sup>(١)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



---

(١) «إغاثة اللفهان» (١/١٥٦)، و«نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ» (٨/٣٣١٧، ٣٣٢٤).

## الإمام عبد الله بن المبارك وشيء من أخباره

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وإمام من أئمة الهدى، نصر الله به الدين، وحفظ به السنة. قال عنه الذهبي: شيخ الإسلام وأمير الأتقياء في وقته، الحافظ الغازي عبد الله بن المبارك الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي، ولد سنة (١١٨هـ)، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، وأكثر من الترحال والتطواف في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، والإنفاق على الإخوان في الله، وتجهيزهم معه إلى الحج، قال شعيب بن حرب: سمعت أبا أسامة يقول: ابن المبارك في المحدثين مثل أمير المؤمنين في الناس، وكان ابن المبارك يكثّر الجلوس في بيته، ف قيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟

قال أشعث بن شعبة: قدم الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من [برج من] قصر الخشب، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدم، قالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرطٍ وأعوان.

قال محمد بن أعين: سمعت عبد الرحمن بن مهدي واجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: جالست الثوري وسمعت منه ومن ابن المبارك، فأيهما أرجح؟ قال: لو أن سفيان جهد على أن يكون يوماً مثل عبد الله لم يقدر، وقال سفيان الثوري: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام.

وقال ابن عيينة: نظرت في أمر الصحابة، وأمر عبد الله فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي ﷺ، وغزوهم معه.

قال ابن المبارك: استعرت قلمًا بأرض الشام فذهبت على أن أردّه، فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي فرجعت إلى الشام حتى رددته على صاحبه.

واجتمع جماعة مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن الحسين فقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف مع أصحابه.

وقيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس.

قال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق يصير كأنه ثور منحور، أو بقرة منحورة من البكاء لا يجترئ أحد منا أن يسأله عن شيء إلا دفعه.

وروى غير واحد أن ابن المبارك قيل له: إلى متى تكتب العلم؟ قال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد.

وكان عبد الله غنياً شاكراً كريماً، قال سلمة بن سليمان: جاء رجل إلى ابن المبارك فسأله أن يقضي ديناً عليه، فكتب له إلى وكيل له، فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل: كم الدين الذي سألته قضاءه؟ قال: سبع مئة درهم، وإذا عبد الله قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم، فراجعه الوكيل وقال: إن الغلات قد فنيت، فكتب إليه عبد الله إن كانت الغلات قد فنيت، فإن العمر أيضاً قد فني، فأجز له ما سبق به قلمي.

وكان يقول للفضيل: لولاك وأصحابك ما اتجرت، وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مئة ألف درهم.

قال علي بن الفضيل: سمعت أبي يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل، والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع، كيف ذا؟ قال: يا أبا علي إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، قال: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا.

قال محمد بن عيسى: كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى

طرسوس؛ وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله مرة فلم يره فخرج في النفير مستعجلاً، فلما رجع سأل عن الشاب فقيل: محبوس على عشرة آلاف درهم، فاستدل على الغريم ووزن له عشرة آلاف وحلفه ألا يخبر أحداً ما عاش، فأُخْرِجَ الرجل وسرى ابن المبارك، فَلَاحِقَهُ الفتى على مرحلتين من الرقة، فقال: يا فتى أين كنت لم أرك؟ قال: يا أبا عبد الله كنت محبوساً بدين، قال: وكيف خلصت؟ قال: جاء رجل فقضى ديني ولم أدر، قال: فاحمد الله، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله.

وكان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها، ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي، وأكمل مروءة حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا وكذا، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو فيجصص بيوتهم، وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسُرُّوا دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى

كل رجل منهم صرته عليها اسمه.

ولما عوتب فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، قال: إنني أعرف مكان قوم لهم فضل، وصدق، طلبوا الحديث فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بيت العلم.

وهذه رسالة لكل تاجر أن ينفق من ماله للفقراء، والمحتاجين، وطلبة العلم، والمشاريع الخيرية، فإن في ذلك بركة وخير له في ماله، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»<sup>(٣)</sup>.

ومن أقواله العظيمة رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: رَبِّ عَمَلٍ صَغِيرٍ

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٩٩/٢٩) (برقم ١٧٧٦٣)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٤٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠١٠).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٨).

تُكثِرُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَثِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ.

وقال أيضًا: مَنْ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْأُمَّرَاءِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْإِخْوَانِ ذَهَبَتْ مَرْوَةٌ.

قال علي بن الحسن: سمعت ابن المبارك، وسأله رجل عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقال: عالجتها بأنواع العلاج، وسألت الأطباء، فلم أنتفع به، فقال له: اذهب، فاحفر بئرًا في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين، ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ.

قال سويد بن سعيد: رأيت ابن المبارك بمكة أتى زمزم فاستسقى شربة ثم استقبل القبلة فقال: اللهم إن ابن أبي الموالم حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَاءٌ زَمَزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ»<sup>(١)</sup> وهذا أشربه لعطش يوم القيامة، ثم شربه.

قال محمد بن إبراهيم: أملى علي ابن المبارك سنة سبع وسبعين ومئة وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض من طرسوس:

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا      لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ  
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ      فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ  
أَوْ كَانَ يُتَعَبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ      فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتَعَبُ

(١) «سنن ابن ماجة» (برقم ٣٠٦٢)، وصححه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» (٤/ ٣٢٠) (برقم ١١٢٣).

رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا      رَهْجُ السَّنَابِكِ وَالْغُبَارُ الْأَطْيَبُ (١)  
 وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا      قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يُكْذَبُ  
 لَا يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ اللَّهِ فِي      أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ  
 هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا      لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يُكْذَبُ

فألفت الفضيل بكتابه في الحرم، فقرأه وبكى، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح.

وقد رآه أحد أصحابه في المنام بعد وفاته فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي برحمتي في الحديث، عليك بالقرآن، عليك بالقرآن.

وكانت وفاته سنة (١٨١هـ) وله من العمر ثلاثة وستون عاماً، رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً (٢).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) الريح: الغبار، والسنايك: جمع سنك، طرف حافر الخيل وجانباه من قدام.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/٣٧٨-٤٢١).



الكلمة الثانية والثمانون

فوائد الإيمان بالقضاء والقدر

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالقضاء والقدر، وهو الركن السادس من أركان الإيمان، ففي حديث جبريل المخرج في صحيح مسلم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ»<sup>(١)</sup>. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي سَمَاءٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>(٢٣)</sup> لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ<sup>(٢٣)</sup> [الحديد: ٢٢-٢٣].

روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٨).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٥٣).

يخبر تعالى في هذه الآيات الكريمات أن جميع ما يقع من المقادير والمصائب وغيرها في الأنفس والآفاق، كل ذلك قد كتب الله وقوعه قبل وجوده بمدد طويلة، وذلك لسعة علمه المحيط بكل شيء، ما كان وما يكون، ثم يبين تعالى أن في إخباره لنا بذلك حكمتين عظيمتين وفائدتين جليلتين:

**الأولى:** ألا نحزن حين فوات شيء من الدنيا ومصالحها، إذ إن ما لم يقدر ينقطع الطمع فيه، والحزن والأسى عليه من الحمق، والله لا يريد لنا أن نقع في ذلك لما ينتج عن الحزن من الآثار السيئة على فكر المرء وتصرفاته.

**الثانية:** أن الناس عند حدوث النعم ينقسمون إلى قسمين، فضعيف الإيمان بالقضاء والقدر يطير فرحاً، ويمتلىء فخراً وكبراً وكأنه والعياذ بالله لم يصدق بما حصل له، أما قوي الإيمان الذي يعلم أن تقدير الله ﷻ سبق وجود هذه النعم فإنه لا يتغير عنده شيء لعلمه وإيمانه أن ما وقع كائن لا محالة فكما أن كتابته سبقت وجوده فكذلك إيمانه سبق وقوعه.

وقوله تعالى في آخر الآية: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله ﷻ، لأنه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؟<sup>(١)</sup>.

(١) «تفسير ابن كثير» (١٣/٤٣١).

ومن فوائد الإيمان بالقضاء والقدر:

أولاً: الرضا واليقين بالعوض، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١١) [التغابن: ١١]. قال ابن كثير في تفسيرها: «أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله، وقدره فصبر، واحتسب، واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه، وبقينا صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيراً منه، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: يَهْدِي قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَقَالَ عَلْقَمَةُ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ، وفي الحديث المخرج في صحيح مسلم من حديث صُهَيْبٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (١)، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ، ﴾ - يَعْنِي يَسْتَرْجِعُ - يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» (٢).

روى مسلم في صحيحه من حديثِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلَفَ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٩٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢٠ / ١٤).

مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ» (١).

ثانياً: انشراح الصدر، وسعادة القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، قال عمر بن عبد العزيز: أصبحت وما لي سرورٌ إلا في مواضع القضاء والقدر، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا أَلَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

ثالثاً: الحصول على الأجر الكبير، قال تعالى: ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ يُسْرًا مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [١٥٦] وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [١٥٧]﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، قال أمير المؤمنين: نعم العدلان، ونعمت العلاوة؛ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فهذاان العدلان، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ هذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين وهي زيادة في الحمل، فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضاً.

رابعاً: غنى النفس، روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ» (٢).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٩١٨).

(٢) قطعة من حديث في «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٠٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم ٩٣٠).

خامسًا: عدم الخوف من ضرر البشر، روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»<sup>(١)</sup>.

سادسًا: الشجاعة والإقدام، فالذي يؤمن بالقضاء والقدر ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الأجل مقدر لا يزيد فيه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، لا يهاب الموت، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: ١٤٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [٣٤]. قَالَ الشافعي:

وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَائَا فَلَا أَرْضٌ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءٌ  
سابعًا: عدم الندم على ما فات، والتحسر على الماضي، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ اِحْرَاضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزُ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٦٤).

ثامناً: أن الخيرة فيما اختاره الله، فقد يقدر على المؤمن مصيبة فيحزن ولا يدري كم من المصالح العظيمة التي تحصل له بسببها وكم صرف عنه من شرور، والعكس كذلك، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: ارْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ مِنْ عُسْرٍ وَيُسْرٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْلٌ لِهَمِّكَ، وَأَبْلَغُ فِيمَا تَطْلُبُ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ لَنْ يُصِيبَ حَقِيقَةَ الرِّضَا، حَتَّىٰ يَكُونَ رِضَاهُ عِنْدَ الْفَقْرِ وَالْبَلَاءِ، كَرِضَاهُ عِنْدَ الْغِنَى وَالرِّخَاءِ؛ كَيْفَ تَسْتَقْضِي اللَّهَ فِي أَمْرِكَ، ثُمَّ تَسْخَطُ إِنْ رَأَيْتَ قَضَاءً مُخَالِفاً لِهَوَاكَ؟! وَلَعَلَّ مَا هَوَيْتَ مِنْ ذَلِكَ، لَوْ وُفِّقَ لَكَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُكَ، وَتَرْضَى قَضَاءَهُ إِذَا وَافَقَ هَوَاكَ، وَذَلِكَ لِقَلَّةِ عِلْمِكَ بِالْغَيْبِ؟! إِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ، مَا أَنْصَفْتَ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا أَصَبْتَ بَابَ الرِّضَا. قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: النجاة من النار، روى أبو داود في سننه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه: رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَابَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتُ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص ٥٢٢ - ٥٢٣).

غَيْرَ هَذَا لَدَخَلَتِ النَّارَ»<sup>(١)</sup>.

عاشراً: ذهاب الهم والغم والحزن.

الحادي عشر: من الإيمان بالقدر الإيمان بكتابة المقادير قبل إيجادها، فإذا وُجِدَتْ تَبِينُ مَدَى الْإِيمَانِ بِذَلِكَ، فَقَوِيُّ الْإِيمَانِ لَا يَفْرَحُ بِمَا أُوتِيَ، وَلَا يَحْزَنُ عَلَى مَا فَاتَ، وَعَكْسُهُ بِعَكْسِهِ بِهَذَا الْمَعْنَى، وَرَدَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٦٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٩٠/٣) (برقم ٣٩٣٢).



الكلمة الثالثة والثمانون

قضاء حوائج الناس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد حث الشرع الحنيف على نفع الناس، وقضاء حوائجهم، والسعي إلى تفريج كرباتهم، وبذل الشفاعة الحسنة لهم، تحقيقاً لدوام المودة، وبقاء الألفة، وزيادة في روابط الأخوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَن مُّسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِّنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُّسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>. وَبَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ نَفْعَ النَّاسِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ وَالْقُرْبَاتِ، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٤٤٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٠).

جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طَلَبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: اشْفَعُوا تُوجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: «فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصْرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ»<sup>(٣)</sup>.

قال النووي: «وفي هذا الحديث الحث على الصدقة، والجود، والمواساة، والإحسان إلى الرفقة، والأصحاب، والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج وأنه يُكْتَفَى في حاجة المحتاج بتعرضه للعتاء وتحريضه من غير سؤال»<sup>(٤)</sup>.

وأبواب نفع الناس كثيرة: كقضاء ديونهم، أو الصدقة على الفقراء منهم، أو تفريج كربهم، أو الصلح بينهم، أو إدخال السرور عليهم،.. وغيرها، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٣٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٢٧).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢١٩٩).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٢٨).

(٤) «شرح صحيح مسلم» (٣٣/٤).

سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ: تَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتَمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها، ومللها، ونحلها، على أن التقرب إلى رب العالمين، والبر والإحسان إلى خلقه، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه، بمثل طاعته والإحسان إلى خلقه»<sup>(٢)</sup>. اهـ

ونفع الناس، والسعي في كشف كرباتهم، من صفات الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام، فالكريم يوسف بن يعقوب ابن إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ما فعله إخوته به جهزهم بجهازهم ولم يبخسهم شيئاً منه، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين مستضعفتين، فرفع الحجر عن البئر وسقى لهما حتى رويت أغنامهما، وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقُولُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٧٠٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠٠٩) واللفظ له.

(٢) «الجواب الكافي» (ص ٩).

وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ ﷺ إِذَا سُئِلَ عَنْ حَاجَةٍ لَمْ يَرُدَّ السَّائِلَ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ؟ فَقَالَ: لَا»<sup>(٢)</sup>.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ، وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانًا، وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا، وَيَعْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ»<sup>(٣)</sup>.

وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ عَلَى مَنْهَجِهِ ﷺ، فَيُخْدَمُونَ النَّاسَ وَيَنْفَعُونَهُمْ، فَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْلَمَ وَلَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفًا، فَأَنْفَقَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَعْتَقَ سَبْعَةَ كُلِّهِمْ يَعْذَّبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَعْتَقَ بِلَالًا، وَعَامِرَ بْنَ فَهِيرَةَ، وَزَنْبِرَةَ، وَالنَّهْدِيَةَ وَابْتَنَاهَا، وَجَارِيَةَ بْنَ مَوْمِلٍ، وَأُمَّ عُبَيْسٍ، وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ كَانَ يَتَعَاهَدُ الْأَرَامِلَ يَسْقِي لَهْنَ الْمَاءِ لَيْلًا، وَرَأَاهُ طَلْحَةَ بِاللَّيْلِ يَدْخُلُ بَيْتَ امْرَأَةٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا طَلْحَةُ نَهَارًا، فَإِذَا عَجُوزٌ عَمِيَاءُ مَقْعَدَةٌ، فَسَأَلَهَا: مَا يَصْنَعُ هَذَا الرَّجُلُ عِنْدَكَ؟ قَالَتْ: هَذَا مِنْذُ كَذَا وَكَذَا يَتَعَاهَدُنِي يَا تَيْنِي بِمَا يَصْلِحُنِي وَيُخْرِجُنِي الْأَذَى، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ اشْتَرَى بَثْرَ رُومَةَ بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ، وَجَعَلَهَا لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٣٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣١١).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١/٥٣٢) (برقم ٥٠٤)، وقال محققوه: إسناده حسن.

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله تعالى قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال علي: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب: إني محتاج، فقال علي: علي بحلة فأتي بها فأخذها الرجل فلبسها ثم أنشأ يقول:

كسوتني حلة تبلى محاسنها      فسوف أكسوك من حسن الثنا حللاً  
 إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة      ولست أبغي بما قد قلته بدلاً  
 إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه      كالغيث يحيي نداء السهل والجبال  
 لا تزهدي الدهر في خير توافقه      فكل عبد سيجزى بالذي عملاً  
 قال علي: علي بالدنانير، فأتي بمائة دينار فدفعها إليه، فقال الأصعب: يا أمير المؤمنين حلة ومائة دينار، قال: نعم.

قال الذهبي عن شيخ الإسلام رحمته الله ابن تيمية: «وله محبوبون من العلماء، والصلحاء، ومن الجند، والأمرء، ومن التجار والكبراء وسائر العامة تحبه؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه»<sup>(٤)</sup>.

وذكر أحد المشايخ نقلاً عن كاتب الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمته الله أن الشيخ كان يترك صيام النافلة في بعض الأيام ويقول: لأنه يضعفني عن القيام بحوائج الناس، فالصيام نفعه للشيخ

(٤) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٦٧٢).

والأعمال الأخرى المتعدية تنفع الناس.

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث أبي أمامة رضي عنه:  
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةٌ  
 السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ رضي عنه: مَا أَصْبَحْتُ وَلَيْسَ عَلَيَّ بِأَبِي صَاحِبُ  
 حَاجَةٍ إِلَّا عَلِمْتُ أَنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ، فَكَانُوا يَعْتَبِرُونَ صَاحِبَ الْحَاجَةِ  
 هُوَ الْمَنْعَمُ الْمَتَفَضَّلُ عَلَى صَاحِبِ الْجَاهِ وَالْمَالِ حِينَ أَنْزَلَ حَاجَتَهُ  
 بِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي عنه: ثَلَاثَةٌ لَا أَكْفَأُهُمْ: رَجُلٌ بَدَأَنِي بِالسَّلَامِ،  
 وَرَجُلٌ وَسَّعَ لِي فِي الْمَجْلِسِ، وَرَجُلٌ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي الْمَشْيِ إِلَيَّ  
 إِرَادَةَ التَّسْلِيمِ عَلَيَّ، فَأَمَّا الرَّابِعُ فَلَا يَكْفِيئُهُ عَنِّي إِلَّا اللَّهُ، قِيلَ: وَمَنْ  
 هُوَ؟ قَالَ: رَجُلٌ نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ فَبَاتَ لَيْلَتَهُ يُفَكِّرُ بِمَنْ يُنْزِلُهُ ثُمَّ رَأَى أَهْلًا  
 لِحَاجَتِهِ فَأَنْزَلَهَا بِي.

وليحذر صاحب المعروف من المن، فإنه يفسد العمل،  
 ويوغر الصدر ويحبط الأجر، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا  
 تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ١٦٤]. قَالَ الشَّاعِرُ:

أَفْسَدَتْ بِالْمَنِّ مَا أَسَدَيْتَ مِنْ حُسْنٍ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أَسَدَى بِمَنَّانٍ

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) «المعجم الكبير» (٢٦١/٨) (برقم ٨٠١٤)، وقال المنذري في كتابه «الترغيب  
 والترهيب» (٦٧٩/١): إسناده حسن. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»  
 (برقم ١٩٠٨).

قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُنْظَرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». ذَكَرَ مِنْهُمْ: «الْمَتَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَتَّهً» (١).

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن تعليم الناس العلم الشرعي هو من أعظم النفع، فإن حاجتهم إلى العلم الشرعي أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وفي الحديث: «إِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ» (٢). وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ» (٣).  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٠٦).

(٢) «سنن أبي داود» (برقم ٣٦٤١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/٦٩٤) (برقم ٣٠٩٦).

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ٢٦٨٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.



الكلمة الرابعة والثمانون

ذم الجبن

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،  
وَبَعْدُ:

فمن الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله (الجبن)، قال الفيروزآبادي: الجبن ضعف القلب عما يحق أن يُقوى فيه<sup>(١)</sup>، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْجُبْنِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ»<sup>(٢)</sup>.

قال القاضي عياض: «وكذلك استعاذته ﷺ من الجبن والبخل لما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام في حقوق الله، والغلظة على أهل المعاصي، وتغيير المنكرات، وأداء حقوق المال، إذ بشجاعة النفس المعتدلة يقيم الحقوق، وينصر المظلوم، وبسخاء النفس يؤدي حقوق المال، ويواسي منه ويلم به

(١) «بصائر ذوي التمييز» (١/٣٦٦).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣٦٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧٠٦).

عند الضرورات شعث المساكين، ويؤدي واجب المضطرين»<sup>(١)</sup>.

وبين النبي ﷺ أن الجبن من شر الصفات التي تكون في المرء، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ: شُحٌّ<sup>(٢)</sup> هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ»<sup>(٣)</sup>.

والجبن من صفات المنافقين، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَشْحَاةٌ عَلَيْكُمْ ط  
فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴿١٩﴾  
[الأحزاب: ١٩]. قال ابن كثير: من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد: أي فإذا كان الأمن تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة، والنجدة وهم يكذبون في ذلك<sup>(٤)</sup>. اهـ.

قال الشاعر:

أَفِي السَّلْمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً      وَفِي الْحَرْبِ أَمْثَالُ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ  
وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ وَأَقْوَاهُمْ قَلْبًا عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ،  
روى مسلم في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا

(١) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٢٠٥/٨).

(٢) الشح: أشد البخل وهو البخل مع الحرص. وخالع: أي: شديد، كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه.

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٨٥/١٣) (برقم ٨٠١٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٤) «تفسير ابن كثير» (١٣٢-١٣٣).

وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَادِي بِهِ -  
يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء ومدوحهم في شعرهم، وكذلك يتذامون بالبخل، والجبن، ثم قال: ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم إلا بالشجاعة والكرم بين الله ﷻ فإنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]» (٢).

ومما يدل على أن الجبن مما ينافي مكارم الأخلاق ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمْرَةَ فَخَطَفَتْ رِذَاءَهُ فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَعْطُونِي رِذَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعْمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بِخِيَلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا» (٣).

قال ابن حجر: «فيه ذم الخصال المذكورة وهي: البخل والكذب

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٧٦).

(٢) «الاستقامة» (٢/٢٦٣ - ٢٧٠)، باختصار.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣١٤٨).

والجبن، وأن إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها»<sup>(١)</sup>.  
 قَالَ أَبُو الزِّنَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا حَضَرَتْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الْوَفَاةُ  
 بَكَى، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ حَضَرْتُ كَذَا وَكَذَا، وَمَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إِلَّا وَفِيهِ  
 ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ، أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمحٍ، أَوْ رَمِيَةٌ بِسَهْمٍ، وَهَذَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى  
 فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْعَيْرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ»<sup>(٢)</sup>.  
 قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالْجُبْنَ غَرَائِزُ  
 يَضَعُهَا اللَّهُ حَيْثُ شَاءَ، تَجِدُ الرَّجُلَ يُقَاتِلُ لَا يُبَالِي أَلَّا يَأْتِيَ إِلَى  
 أَهْلِهِ، وَتَجِدُ الرَّجُلَ يَفِرُّ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَتَجِدُ الرَّجُلَ يُقَاتِلُ ابْتِغَاءَ  
 وَجْهِ اللَّهِ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ».

قال الشاعر:

يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنِ ابْنِ أُمَّهِ وَيَحْمِي شَجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُلَازِمُهُ  
 ومن قصص الشجاعة التي تُذكر: ما حصل في غزوة بدر،  
 قَالَ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَعَلْتُ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ شَأْنِي، فَلَمَّا  
 أُمَكَّنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَضْرَبْتُهُ فَقَطَعْتُ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ، فَضْرَبَنِي  
 ابْنُهُ عِكْرِمَةُ عَلَى عَاتِقِي فَطَرَحَ يَدِي وَبَقِيَتْ مُعَلَّقَةً بِجِلْدَةِ بَجْنَبِي،  
 وَأَجْهَضَنِي عَنْهَا الْقِتَالُ، فَقَاتَلْتُ عَامَّةَ يَوْمِي، وَإِنِّي لَأَسْحَبُهَا خَلْفِي،  
 فَلَمَّا آذَنَنِي، وَضَعْتُ قَدَمِي عَلَيْهَا، ثُمَّ تَمَطَّاتُ عَلَيْهَا حَتَّى طَرَحْتُهَا.  
 قَالَ الدَّهَبِيُّ بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ: هَذِهِ وَاللَّهِ الشَّجَاعَةُ، لَا كَأَخْرِ مَنْ

(١) «فتح الباري» (٦/٢٥٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/٣٨٢).

خُدْشٌ بِسَهْمٍ، يَنْقَطِعُ قَلْبُهُ، وَتَخُورُ قِوَاهُ<sup>(١)</sup>.

قيل لعبد الملك: من أشجع العرب في شعره؟ فقال: عباس ابن مرداس حين يقول:

أَشْدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أُبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهَا  
وهذا أشجع بيت قالته العرب.

وهذه أبيات في ذم الجبن، قال الشاعر:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَحِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ  
فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا

وقال آخر:

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نِعَامَةٌ فَتَخَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ  
هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرِ

وغزالة امرأة شبيب الخارجي، قال ابن كثير: كانت أيضًا شديدة البأس تقاتل قتالًا شديدًا يعجز عنه الأبطال من الرجال، وكان الحجاج يخاف منها أشد الخوف، حتى قال فيه بعض الشعراء وذكر البيتين<sup>(٢)</sup>.

ومن مفاسد الجبن:

أولاً: أنه من صفات المنافقين التي ينبغي للمؤمن أن يترفع عنها.

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/٢٥١).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/٢٧٦).

ثانيًا: أنه لا يؤخر أجلاً، ولا يقرب رزقاً، ونفعاً، قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَوْ كُنْتُمْ فِي يُبُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ لَنَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ثالثًا: أنه يدل على ضعف الإيمان، والتوكل على الله، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبِنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

رابعًا: أنه يؤدي إلى التقصير في أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله، ومن أعظمها مجاهدة أهل الباطل، وتغيير المنكرات.

خامسًا: أنه يورث الذل، وضيق الصدر، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن الشجاع منشرح الصدر، ومتسع القلب، والجبان أضيق الناس صدرًا وأحصرهم قلبًا لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة إلا من جنس الحيوان البهيمي، وأما سرور الروح، ولذتها، ونعيمها، وابتهاجها، فمحرم على كل جبان كما هو محرم على كل بخيل»<sup>(١)</sup>. اهـ

سادسًا: أنه يؤدي إلى احتلال الأوطان، وسرقة الأموال، وانتهاك الحرمات.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «زاد المعاد» (٢/ ٢٥).

الكلمة الخامسة والثمانون

وقفات مع سورة الكافرون

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل هذا القرآن العظيم لتدبره والعمل به فقال **سَجَدَ**:  
 ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ مِنْ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢٤) ﴿ [محمد: ٢٤]. ومن  
 سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى  
 تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد الجليلة سورة الكافرون.  
 قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرَتِهِمْ ﴾ (١) ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ (٢)  
 ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ (٣) ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ ﴾ (٤) ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا  
 أَعْبُدُ ﴾ (٥) ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ ﴾ (٦) ﴿ [الكافرون: ١-٦].

هذه السورة من السور العظيمة في كتاب الله، وقد وردت  
 نصوص كثيرة في فضلها ومكانتها، وأنها تعدل ربع القرآن،  
 روى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك **رضي الله عنه** قَالَ: قَالَ  
 رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «مَنْ قَرَأَ: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرَتِهِمْ ﴾ ﴿ عُدَّتْ لَهُ بِرْبُعِ  
 الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿ عُدَّتْ لَهُ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ» (١).

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٨٩٣)، وصححه الألباني في صحيح «سنن الترمذي» (٦/٣)  
 (برقم ٢٣١٧).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكثِرُ مِنْ قِرَاءَتِهَا، رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهَذِهِ السُّورَةِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي رَكْعَتِي الطَّوَافِ (١).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي رَكْعَتِي الْفَجْرِ (٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، أَوْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ فَرْوَةَ بِنِ نَوْفَلٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ عِنْدَ مَنْامِكَ﴾ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، قَالَ: ثُمَّ نَمَّ عَلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِكِ» (٤).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْقِي نَفْسَهُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الصَّغِيرِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٢١٨).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٧٢٦).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٥٠٩/٩-٥١٠) (برقم ٥٦٩٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢٢٤/٣٩) (برقم ٢٣٨٠٧)، وقال الحافظ في «نتائج الأفكار» (٦١/٣-٦٢) [دار ابن كثير]: حديث حسن وفي سنده اختلاف كثير على أبي اسحاق السبيعي، فلذا اقتصر على تحسينه، وحسنه محققو المسند.

العقرب لا تدع مُصليًا ولا غيره، ثم دعا بماءٍ ومِلحٍ وجعل يمسحُ عليها ويقرأ: ﴿قُلْ يَتَائِبُ الْكٰفِرُونَ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿قُلْ يَتَائِبُ الْكٰفِرُونَ﴾ شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفار قريش.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إِنَّ قُرَيْشًا وَعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعْطُوهُ مَالًا، فَيَكُونُ أَغْنَى رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَيَزُوْجُوهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ، وَيَطْوُوا عَقْبَهُ، فَقَالُوا: هَذَا لَكَ عِنْدَنَا يَا مُحَمَّدُ، وَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، فَلَا تَذْكُرْهَا بِسُوءٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَإِنَّا نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً، فَهِيَ لَكَ وَلَنَا فِيهَا صَلَاحٌ. قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالُوا: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً: اللَّاتُ وَالْعُزَّى، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، فَنَزَلَتِ السُّورَةُ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾<sup>(٢)</sup> يعني: من الأصنام والأنداد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾<sup>(٣)</sup> وهو الله وحده لا شريك له.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ﴾<sup>(٤)</sup> أي في المستقبل لا أعبد عبادتكم، أي لا أسلكها ولا أقتدي بها وإنما أعبد الله على

(١) «المعجم الصغير» (ص ١١٧)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٨٠/٢) (برقم ٥٤٨).

(٢) «تفسير ابن جرير الطبري» (١٠/٨٨١٣).

الوجه الذي يحبه ويرضاه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، أي: لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا بد له من معبود يعبده، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كانت كلمة الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أي لا معبود بحق إلا الله، ولا طريق إليه إلا بما جاء به رسول الله ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ﴾، وهو كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، وكما قال تعالى: ﴿لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥].

قال البخاري: يُقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الكفر، ﴿وَلِي دِينِ﴾: الإسلام، ولم يقل: ديني لأن الآيات بالنون فحذف الياء، كما قال تعالى: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]<sup>(١)</sup>.

ومن فوائد السورة الكريمة:

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/٤٨٦-٤٨٧).

أولاً: أن فيها الإخلاص لله في العبادة وعدم الإشراك به كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ثانياً: البراءة من الشرك والمشركين، كما قال تعالى عن نبي الله إبراهيم: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ [المتحنة: ٤].

ثالثاً: أن الكفار يريدون من المسلمين التنازل والمداهنة في دينهم، ولكن على المسلمين الثبات والاستقامة كما قال تعالى: ﴿ وَدُوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ ﴿٩﴾ [القلم: ٩]، وكما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمْ النَّارُ ﴾ [هود: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَبُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

رابعاً: ظن البعض أن السورة منسوخة بآية السيف لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم، وظن آخرون أنها مخصوصة بمن يُقَرُّون على دينهم وهم أهل الكتاب، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وكلا القولين غلط محض، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص، بل هي محكمة وعمومها نص محفوظ، وهي من السورة التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها، فإن أحكام التوحيد الذي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه، وهذه السورة أخلصت التوحيد، ولهذا تسمى سورة الإخلاص كما تقدم.

ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضت تقريراً لهم، أو إقراراً على دينهم أبداً، فلم يزل رسول الله ﷺ من أول الأمر وأشده عليه وعلى أصحابه أشد في الإنكار عليهم وعيب دينهم وتقييحه والنهي عنه، والتهديد والوعيد لهم كل وقت، وفي كل ناد، وقد سألوه أن يكف عن ذكر آلهتهم وعيب دينهم ويتركونه وشأنه، فأبى إلا مضياً على الإنكار عليهم وعيب دينهم، فكيف يقال: إن الآية اقتضت تقريراً لهم؟ معاذ الله من هذا الزعم الباطل، إنما الآية اقتضت براءته المحضة كما تقدم، وأن ما أنتم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبداً فإنه دين باطل، فهو مختص بكم لا نشارككم فيه ولا أنتم تشاركوننا في ديننا الحق وهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم، فأين الإقرار؟ حتى يدعوا النسخ أو التخصيص، أفنرى إذا جاهدوا بالسيف كما جاهدوا بالحجة لا يصح أن يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلى أن يطهر الله منهم عباده وبلاده، وكذلك حكم هذه البراءة بين اتباع رسول الله ﷺ أهل سننه وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به، الداعين إلى غير سنته إذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته: (لكم دينكم ولنا ديننا) لا يقتضي هذا إقرارهم على بدعتهم بل يقولون لهم هذا براءة منهم ومن بدعتهم، وهم مع هذا متنصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الإمكان<sup>(١)</sup>.

(١) «بدائع الفوائد» (٥/٣٥٥).

خامساً: عصمة الله لنبيه من الوقوع في عبادة الأصنام، وإجابة  
المشركين إلى اقتراحهم الباطل.  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.





الكلمة السادسة والثمانون

فضائل معاوية بن أبي سفيان

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فحديثنا اليوم عن صحابي جليل، وملك من ملوك الإسلام، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وهو أول من غزا البحر، قال عنه النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهِدِيًّا وَاهِدِيًّا»، وهو خال المؤمنين، وكتب وحي رسول رب العالمين، وقد أسلم عام الفتح.

إنه أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية أبو عبد الرحمن القرشي الأموي المكي، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة، وكان معاوية أبيض طويلًا جميلًا، حليماً، وقوراً، سيداً في قومه، كريماً، عادلاً، شهماً، قَالَ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ: كَانَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ غُلَامٌ يَمْشِي مَعَ أُمِّهِ هِنْدٍ فَعَثَرَ فَقَالَتْ: قُمْ لَا رَفَعَكَ اللَّهُ، وَأَعْرَابِيٌّ يَنْظُرُ فَقَالَ: لِمَ تَقُولِينَ لَهُ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّهُ سَيَسُودُ قَوْمَهُ، قَالَتْ: تَكَلِّتُهُ إِنْ لَمْ يَسُدِّ إِلَّا قَوْمَهُ.

كان أبوه من سادات قريش في الجاهلية، وتفرد فيهم بالسؤدد بعد يوم بدر، ثم لما أسلم حسن إسلامه، وكانت له مواقف شريفة،

وأثار محمودة في يوم اليرموك وما قبله، وما بعده<sup>(١)</sup>. وكانت لهذا الصحابي الجليل فضائل عديدة عامة، وخاصة، أما العامة فهي التي وردت في فضائل الصحابة، ولا شك أن معاوية داخل في هذا الفضل، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فما صحَّ في مناقب الصحابة على العموم ومناقب قريش، فمعاوية رَحِمَهُ اللهُ داخل فيه»<sup>(٢)</sup>. أما الأدلة الخاصة: فمنها دعاء النبي ﷺ له، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمِيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ»<sup>(٣)</sup>.

ومن مناقبه: أنه أول من غزا البحر، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ خَالَتِهِ أُمِّ حَرَامِ بِنْتِ مَلْحَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ، قُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا، وَجَاءَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: فَارْكَبَتِ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ فَضُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ»<sup>(٤)</sup>.

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/٣٩٧).

(٢) «المنار المنيف» (ص ١١٦).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٤٢٦/٢٩) (برقم ١٧٨٩٥)، وقال محققوه: رجاله ثقات رجال الصحيح، إلا سعيد بن عبد العزيز. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني في «الصحيح» (٤/٦١٦).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٢٨٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٩١٢).

هذا الحديث فيه منقبة لها وله رضي عنه: فإنه أول من غزا البحر في زمن عثمان بن عفان<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أم حرام بنت ملحان رضي عنها قالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: أَنْتِ فِيهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ، فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا»<sup>(٢)</sup>. ومعنى «أَوْجَبُوا»: أي: وجبت لهم الجنة.

ومن مناقبه: أنه أحد كتاب الوحي، ففي صحيح مسلم: «أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ وَالِدَ مُعَاوِيَةَ طَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِدَّةَ أُمُورٍ، مِنْهَا: أَنْ يَجْعَلَ مُعَاوِيَةَ كَاتِبًا، وَقَدْ أَجَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»<sup>(٣)</sup>.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَذْهَبُ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ. وَكَانَ كَاتِبَهُ»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: صحب معاوية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتب الوحي بين يديه مع الكتاب<sup>(٥)</sup>.

ومن مناقبه: أنه خال المؤمنين، قال الإمام أحمد في السنة:

(١) «فتح الباري» (٦/٧٧).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٢٩٢٤).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٠١).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٤/٣٩٧-٣٩٨) (برقم ٢٦٥١)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٥) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/٣٩٧).

سائل يقول: «أقول: معاوية خال المؤمنين، وابن عمر خال المؤمنين؟ قال: نعم معاوية أخو أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ ورحمهما، وابن عمر أخو حفصة زوج النبي ﷺ ورحمهما»<sup>(١)</sup>.

ومنها: أنه شهد مع رسول الله ﷺ حُنَيْنًا، والطائف، وتبوك، وحج معه حجة الوداع.

ومنها: أن عمر رضي الله عنه ولَّاه على الشام، وأمره عثمان رضي الله عنه على الشام عشرين سنة فضبطه، ولم يعرف عنه عجز، ولا خيانة.

قال الذهبي: حسبك بمن يؤمره عمر، ثم عثمان على إقليم، وهو ثغر فيضبطه ويقوم به أتم قيام، ويرضي الناس بسخائه وحلمه، وإن كان بعضهم تألم مرةً منه وكذلك فليكن الملك، وإن كان غيره من أصحاب رسول الله ﷺ خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه، وله هنات وأمور والله الموعود. وكان محببًا إلى رعيته، عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يهجه أحد في دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم، وكان ملكه على الحرمين، ومصر، والشام، والعراق، وخراسان، وفارس والجزيرة، واليمن، والمغرب، وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) «السنة» (٢/٤٣٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/١٣٢-١٣٣).

ومنها: أنه من خير الملوك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وكان في ملكه من الرحمة والحلم، ونفع المسلمين ما يُعلم أنه كان خيراً من مُلكِ غيره»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وأول ملوك المسلمين معاوية وهو خير ملوك المسلمين»<sup>(٢)</sup>. وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من دهاة العرب، وقد اشتهر بالحكمة والحلم والمروءة، وسياسة الأمور.

فمن أقواله العظيمة أنه كَانَ يَقُولُ: المُرُوَّةُ فِي أَرْبَعٍ: العَفَافُ فِي الإِسْلَامِ، وَاسْتِصْلَاحُ المَالِ، وَحِفْظُ الإِخْوَانِ، وَحِفْظُ الجَارِ، وَقَالَ أَيضًا: أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَقَلَ وَحَلَّمَ، وَمَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا غَضِبَ كَظَمَ، وَإِذَا قَدِرَ غَفَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَنْجَزَ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُعَاوِيَةَ: مَنْ أَسْوَدُ النَّاسِ؟ فَقَالَ: أَسْخَاهُمْ نَفْسًا حِينَ يُسْأَلُ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي المَجَالِسِ خُلُقًا، وَأَحْلَمُهُمْ حِينَ يُسْتَجْهَلُ.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان معاوية يتمثل بهذه الأبيات كثيرًا:

فَمَا قَتَلَ السَّفَاهَةَ مِثْلَ حِلْمٍ      يَعُودُ بِهِ عَلَى الجَهْلِ الحَلِيمِ  
فَلَا تَسْفَهُ وَإِنْ مُلِئْتَ غَيْظًا      عَلَى أَحَدٍ فَإِنَّ الفُحْشَ لَوْمٌ

(١) «الفتاوى» (٤/٤٧٨).

(٢) «شرح الطحاوية» (٢/٣٠٢).

وَلَا تَقْطَعْ أَخَالَكَ عِنْدَ ذَنْبٍ فَإِنَّ الذَّنْبَ يَغْفِرُهُ الْكَرِيمُ  
 وكتب معاوية إلى نائبه زياد: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَسُوسَ النَّاسَ  
 سِيَاسَةً وَاحِدَةً، بِاللَّيْنِ فَيَمْرَحُوا، وَلَا بِالشَّدَّةِ فَتَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى  
 الْمَهَالِكِ، وَلَكِنْ كُنْ أَنْتَ لِلشَّدَّةِ، وَالْفَظَاظَةِ، وَالْغَلْظَةِ، أَكُنْ أَنَا لِلَّيْنِ  
 وَالْأُلْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَإِذَا خَافَ خَائِفٌ وَجَدَ بَابًا يَدْخُلُهُ<sup>(١)</sup>.

وسئل الإمام أحمد عن رجل انتقص معاوية، وعمرو بن  
 العاص: أيقال له: رافضي؟ قال: إنه لم يجترىء عليهما إلا وله  
 خبيثة سوء، ما انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ إلا له  
 داخله سوء<sup>(٢)</sup>، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ: «مَنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَبَا  
 بَكْرٍ، أَوْ عُمَرَ، أَوْ عُثْمَانَ، أَوْ عَلِيًّا، أَوْ مُعَاوِيَةَ، أَوْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ،  
 فَإِنَّ قَالَ: كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ وَكُفْرٍ قَتْلٍ، وَإِنْ شَتَمَهُمْ بِغَيْرِ هَذَا مِنْ  
 مُشَاتِمَةِ النَّاسِ نُكَلَّ نَكَالًا شَدِيدًا»<sup>(٤)</sup>.

وأما ما حصل بين معاوية وعلي من قتال، فقد قال شيخ الإسلام  
 ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم، ونعلم  
 أن بعض المنقول في ذلك كذب، وهم كانوا مجتهدين، إما مصيبين

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/٣٩٦-٤٦٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١١/٤٥٠).

(٣) قطعة من حديث في «صحيح البخاري» (برقم ٣٦٥١)، و«صحيح مسلم» (برقم  
 ٢٥٣٣).

(٤) «الشفاء في حقوق المصطفى» للفاضي عياض (٢/٣٠٨).

لهم أجران، أو مثابين على عملهم الصالح، مغفور لهم خطوهم، وما كان لهم من السيئات - وقد سبق لهم من الله الحسنى - فإن الله يغفر لهم: إما بتوبة، أو بحسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو غير ذلك، فإنهم خير قرون هذه الأمة»<sup>(١)</sup> كَمَا قَالَ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي الَّذِينَ بَقِيَتْ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن قدامة المقدسي: «ومن السنة تولى أصحاب رسول الله، ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم، وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم»<sup>(٣)</sup>. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «الفتاوى» (٣/٤٠٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «لمعة الاعتقاد» (ص ٣١).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٣٦٧٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٥٤١).

(٥) انظر: كتاب أخينا الشيخ سعد السبيعي: «سل السنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه».



الكلمة السابعة والثمانون

من مشاهد القيامة  
القنطرة بين الجنة والنار

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا أَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>.

قوله صلى الله عليه وسلم: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ»: أي: بعدما ينجون من الصراط الذي يمرون عليه بحسب أعمالهم، قال القرطبي: «هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم»<sup>(٢)</sup>. اه، لأنه إذا استنفذ القصاص حسناتهم لم يبق لهم حسنات يدخلون بها الجنة.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٥٣٥).

(٢) «التذكرة» (ص ٢٩٢).

وقال ابن حجر: «لعل أصحاب الأعراف منهم على القول المرجح وهم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وخرج من هذا صنفان من المؤمنين: من دخل الجنة بغير حساب، ومن أوبقه عمله»<sup>(١)</sup>.

قوله ﷺ: «فِيْحُبْسُونِ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»: القنطرة هي جسر مقوس مبني فوق النهر يُعبر عليه<sup>(٢)</sup>.

قد يقول قائل: كيف القنطرة وكيف يكون القصاص فيها، وهل هناك قصاص آخر غير القصاص الذي في عرصات يوم القيامة؟ الجواب عن ذلك: أن هذه أمور غيبية نؤمن بها ولا نطلب العلم بكيفيتها، فلا نعلم كيفية الصراط وحقيقته، ولا القنطرة، وكيف يحبسون عليها؟ فحقائق الآخرة لا يعلمها إلا الله، وسيدرك الناس ذلك يوم القيامة إذا رأوا هذه الأمور وعابنوها.

قال ابن كثير: «القنطرة تكون بعد مجاوزة النار، فقد تكون هذه القنطرة منصوبة على هول آخر مما يعلمه الله، ولا نعلمه نحن. والله أعلم»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر: «وقد اختلف العلماء هل القنطرة هي طرف الجسر الذي على متن جهنم أو هي جسر مستقل، ورجح القرطبي الثاني»<sup>(٤)</sup>.

(١) «فتح الباري» (١١/٣٩٩).

(٢) «المعجم الوسيط» (ص ٧٦٢).

(٣) «البداية والنهاية» (٢٠/١٠١).

(٤) «فتح الباري» (١١/٣٩٩).

قوله ﷺ: «فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ»: قال الشيخ ابن عثيمين: «وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة؛ لأن هذا قصاص أخص لأجل أن يذهب الغل، والحقد، والبغضاء التي في قلوب الناس فيكون هذا بمنزلة التنقية، والتطهير، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص، فهذه القنطرة التي بين الجنة والنار لأجل تنقية ما في القلوب حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل»<sup>(١)</sup>. كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «النفوس الخبيثة لا تصلح أن تكون في الجنة الطيبة التي ليس فيها من الخبث شيء، فإن ذلك موجب للفساد أو غير ممكن، بل إذا كان في النفس خبث طهرت، وهذبت حتى تصلح لسكنى الجنة، والتهديب التخليص كما يهذب الذهب فيخلص من الغش، يشير إلى قوله ﷺ: «حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا» فتبين أن الجنة إنما يدخلها المؤمنون بعد التهديب والتنقية من بقايا الذنوب، فكيف بمن لم يكن له حسنات يعبر بها الصراط»<sup>(٢)</sup>. اهـ

فإذا دخل المؤمنون الجنة توجهوا إلى قصورهم ومنازلهم فرحين بما أعطاهم الله، يعرفون مواضعها، ويستدلون على مكانها أكثر مما يستدلون على بيوتهم في الدنيا.

(١) «شرح العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/١٦٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤/٣٤٥).

## ومن فوائد الحديث:

١- عدل الله التام: فلا يدخل المؤمن الجنة وله مظلمة عند أخيه، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن أنيس رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهُمَا، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهُمَا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ [بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ] قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقْضَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقْضَهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ، وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ بِزِينَةٍ عُرَاةً غُرْلًا بُهُمَا؟ قَالَ: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»<sup>(١)</sup>. بل حتى البهائم يقتص من بعضها البعض، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

٢- أنه يجب على المؤمن أن يحرص على براءة ذمته من حقوق الآخرين وأن يتحلل منهم قبل يوم القيامة حيث لا درهم، ولا دينار، وإنما هي الحسنات والسيئات، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤٣٢/٢٥) (برقم ١٦٠٤٢)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٢).

لأَحَدٍ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

٣- أن الجنة لا تدخلها نفس خبيثة وإنما نفس طيبة، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ نُوْقِفُهُمُ الْمَلَكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢].

٤- أن من لوازم نعيم الجنة ذهاب ما في القلوب من الغل، والحقد والبغضاء حتى تكتمل اللذة، وتحصل السعادة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٤٤٩).



## الإيمان بالملائكة عليهم السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالملائكة وهو ركن من أركان الإيمان الستة، والملائكة عالم مخلوقون من نور، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

والملائكة عباد الله، مكلفون بالعبادة، وهم خاضعون لله أتم الخضوع، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فنؤمن بأسماء من علمنا بأسمائهم ونؤمن بوظائف من علمنا بوظائفهم، وهم أجساد، بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاث، وأربعة، وأكثر من ذلك، خلافاً لمن قال: إنهم أرواح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>  
[فاطر: ١]. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٩٦).

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ»<sup>(١)</sup>. وهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يملون، ولا يتعبون، يقومون بعبادة الله وطاعته والتقيّد بأوامره بلا كل ولا ملل، ولا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك، قال تعالى في وصفهم: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ومعنى لا يفترون: أي لا يضعفون عن ذلك، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]. أي: لا يملون.

ولكل واحد منهم وظائف خصه الله بها، أخلاقهم، وأفعالهم بارة طاهرة، قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [١٥] ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [١٦] [عبس: ١٥-١٦]. جبلهم الله على الحياء، روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟!»<sup>(٢)</sup>.

فجبريل: موكل بالوحي ينزل به من الله تعالى إلى الرسل، وإسرافيل: موكل بنفخ الصور، وميكائيل: موكل بالقطر والنبات.... وهؤلاء الثلاثة كلهم موكلون بما فيه حياة، فجبريل: موكل بالوحي، وفيه حياة القلوب، وميكائيل بالقطر والنبات، وفيه حياة الأرض، وإسرافيل بنفخ الصور وفيه حياة الأجساد يوم المعاد...

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٨٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٤).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٤٠١).

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَسَّلُ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لَهُمْ فِي دُعَاءِ  
الِاسْتِفْتَاخِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ،  
وَإِسْرَافِيلَ... الحديث»<sup>(١)</sup>.

ومنهم من وُكِّلَ بقبض أرواح بني آدم، أو بقبض روح كل ذي  
روح وهم ملك الموت، وأعوانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ  
الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾<sup>(٦١)</sup> [الأنعام: ٦١].

ومنهم ملائكة سيّاحون في الأرض يلتمسون حلق الذكر،  
وكذلك ملائكة يكتبون أعمال الإنسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ  
لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

ومنهم ملائكة يتعاقبون على بني آدم بالليل والنهار، روى  
البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ  
النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ،  
وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ»<sup>(٢)</sup>.

وآخرون موكلون بالنار وعددهم تسعة عشر، قَالَ تَعَالَى:  
﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾<sup>(٣٠)</sup> [المدثر: ٣٠]. وكبيرهم اسمه مالك خازن النار.

وملك الجبال الذي ورد ذكره في صحيح مسلم عندما سَلَّمَ  
عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: أَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ..<sup>(٣)</sup> والملائكة الذين في

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٧٧٠).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٥٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٦٣٢).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٩٥).

كل سماء، وهم في صنوف من العبادات، منهم من هو قائم لله أبداً، ومنهم من هو راعٍ له أبداً، ومنهم من هو ساجد أبداً، ومنهم من هو في ألوان من الطاعات أحر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) [الصفات: ١٦٤]. أي: موضع مخصوص في السماوات ومقامات العبادة، لا يتجاوزه ولا يتعداه (١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ (٢) السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَيْطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَلَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ (٣) تَجَارُونَ (٤) إِلَى اللَّهِ» (٥).

وهم على درجات ومقامات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) [الصفات: ١٦٤]. ومنهم الملائكة المقربون، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]. وأفضلهم جبريل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصفه الله بأنه روح القدس،

(١) «تفسير ابن كثير» (٦٣/١٢).

(٢) أَطَّتْ: قال ابن الأثير في «النهاية» (٥٤/١): الأَطِيطُ: صوت الأفتاب، والقَتَبُ: صوت الرحل.

(٣) الصعدات: أي الطرقات.

(٤) تجارون: قال في النهاية في غريب الحديث: الجوار: رفع الصوت والاستغاثة (٢٣٢/١).

(٥) «مسند الإمام أحمد» (٤٠٥/٣٥) (برقم ٢١٥١٦)، وقال محققوه: حسن لغيره.

وأنه الروح الأمين، وأنه ذو قوة مكين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]. أي: له مكانة، ومنزلة عالية رفيعة عند الله.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عليه السلام مُنْهَبِطًا قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ، مُعَلَّقًا بِهِ اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣-١٤]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عَلَيْهِ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحٌ يَنْتَثِرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاقُوتُ - أَيِ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ - الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ»<sup>(٢)</sup>.

وأفضل الملائكة من شهد بدرًا، روى البخاري في صحيحه من حديث معاذ بن رفاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ: أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَيَكُفُّمْ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٧٨/٤١) (برقم ٢٤٨٨٥)، وقال محققوه: صحيح دون قوله: «عَلَيْهِ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ، مُعَلَّقًا بِهِ اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ»، فصحيح لغيره.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣١/٧) (برقم ٣٩١٥). قال ابن كثير: إسناده جيد قوي، «تفسير ابن كثير» (٢٦١/١٣).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٩٩٢).

أما خلقهم فهو خلق عظيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكِكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦]. روى أبو داود في سننه من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ أَحَدِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»<sup>(١)</sup>.

أما عددهم فخلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية مسلم: «لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ». قال ابن حجر: واستدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات لأنه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون ألفاً غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر<sup>(٣)</sup>. اهـ.

والملائكة لا تدخل بيتاً فيه صور، أو تماثيل، أو كلاب، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي طلحة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ»<sup>(٤)</sup>، وفي رواية:

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٧٢٨)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٢/١) (برقم ١٥١).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٢٠٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٦٢).

(٣) «فتح الباري» (٧/٢١٥).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٣٢٢٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٠٦).

«التَّمَاثِيلُ»<sup>(١)</sup>.

والملائكة يُؤْمِنُونَ عَلَى قِرَاءَةِ الْمُصَلِّي وَيَقُولُونَ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَيَدْعُونَ لِمُنْتَظَرِ الصَّلَاةِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيَدْعُونَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَيَلْعَنُونَ الْكُفْرَةَ وَمَنْ آوَى مَحْدَثًا، أَوْ رَفَعَ عَلَى أَخِيهِ السَّلَاحَ، وَالْمَرْأَةَ الَّتِي تَهْجُرُ فِرَاشَ زَوْجِهَا، وَيَصِلُونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الخلاصة: أن على المؤمن أن يؤمن بهؤلاء الملائكة ويحبهم، ويعرف لهم قدرهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]. وعليه أن يجتنب كل ما من شأنه أن يسيء إليهم ويؤذيهم، وأعظم ذلك الكفر، والشرك، والمعاصي، وهم يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم: من الرائحة الكريهة، والأقذار، والأوساخ، والبصق على اليمين في الصلاة، وقد صحت الأدلة بذلك<sup>(٢)(٣)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٢٢٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٠٧).

(٢) انظر: «عالم الملائكة» للشيخ عمر الأشقر.

(٣) «الخطب المنبرية» د. عبد المحسن القاسم (١/٢٢-٢٧).



## فضائل الشام

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن لبلاد الشام مناقب كثيرة ثبتت في الكتاب والسنة، وذكرها أهل العلم في كتبهم، فمن تلك المناقب:

أولاً: البركة فيها وثبت ذلك في خمس آيات:

١- قوله تعالى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. قال جمع من المفسرين: إنها بلاد الشام.

٢- قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وحوله أرض الشام، وكان هذا في الإسراء.

٣- قوله تعالى في قصة إبراهيم: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [٧٠] وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ [٧١]. [الإسراء: ١] ومعلوم أن إبراهيم إنما نجاه الله ولوطًا إلى أرض الشام، مهاجرًا من أرض العراق.

٤- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسَلِمْنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]. وإنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان.

٥- قَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ سَبَأَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]، قال جمع من المفسرين: يعني قرى الشام، فكانوا يسرون من اليمن إلى الشام، والقرى التي بورك فيها الشام، والأردن، وفلسطين، ومعنى ظاهرة: أي متواصلة.

فهذه خمس آيات في بركة الشام، الأولى في انتقال بني إسرائيل إليها، والثانية مسرى الرسول ﷺ إليها، والثالثة هجرة إبراهيم إليها، والرابعة مملكة سليمان بها، والخامسة مسير سبأ إليها، وصفها ﷺ بأنها الأرض التي بارك فيها.

وفيها أيضًا الطور الذي كلم الله عليه موسى، والذي أقسم الله به في سورة الطور، فقال: ﴿وَاللِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) [التين: ١-٢]. وذكر المفسرون أن المراد بالبركة بركة الدنيا، وذلك بكثرة الأقوات، والثمار، والأنهار والزرع، وسعة الأرزاق، وقال بعضهم: بركة الدين لأنها مقر الأنبياء، ومهبط الملائكة والوحي، وقال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: «جعلها الله مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبيًا» (١)، والصحيح أن ذلك يشمل الأمرين معًا، وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ

(١) «شرح النووي» (٦/٢٠٦).

رَبَّهُ لِلشَّامِ بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أن الشام أرض المحشر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]. استدلل بهذه الآية جمع من أهل العلم (القرطبي، وابن كثير، وابن حجر) على أن الشام أرض المحشر، فالحشر الأول حصل لليهود بنفيهم إلى الشام، والثاني سيكون للناس، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنِ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «هَا هُنَا تُحْشَرُونَ، هَا هُنَا تُحْشَرُونَ»<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وقد دل الكتاب والسنة وما روي عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام مع ما علم بالحس، والعقل، وكشوفات العارفين أن الخلق، والأمر، ابتداء من مكة أم القرى فهي أم الخلق، وفيها ابتدئت الرسالة المحمدية التي طبق نورها الأرض، وهي التي جعلها الله قياماً للناس، إليها يصلون، ويحجون، ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم، فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٠٣٧).

(٢) جزء من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٢١٤/٣٣) (برقم ٢٠٠١١)، وقال محققوه: إسناده حسن.

المذكورة على أن ملك النبوة بالشام، والحشر إليها فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق، والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس فأول الأمة خير من آخرها، كما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام»<sup>(١)</sup>. اهـ.

ثالثاً: أن الملائكة باسطو أجنحتها للشام:

وهذا في حال السلم، فكيف بحال الحرب، روى الترمذي في سننه وأحمد في مسنده من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «طُوبَى لِلشَّامِ، طُوبَى لِلشَّامِ»<sup>(٢)</sup>، قُلْتُ: مَا بَالُ الشَّامِ؟ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّامِ»<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: أن الله تكفل بالشام وأهله:

روى أبو داود في سننه من حديث ابن حوالة رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيَّ أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ. قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: حِرُّ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ. فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا خَيْرَةٌ لِلَّهِ مِنْ أَرْضِهِ يَجْتَبِي إِلَيْهَا خَيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ عُذْرِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ

(١) الفتاوى (٢٧/٤٣-٤٤).

(٢) طُوبَى: قال المباركفوري: أي: راحة وطيب عيش حاصل لها ولأهلها.

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ٣٩٥٤). و«مسند الإمام أحمد» (٤٨٣/٣٥) (برقم ٢١٦٠٦)، وقال محققوه: حديث صحيح.

وَأَهْلِهِ» (١).

خامساً: أن عمود الكتاب والإسلام بالشام:

روى الحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتزَعَ مِنْ تَحْتِ وَسَادَتِي، فَانظَرْتُ فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ عُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا إِنَّ الْإِيْمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنُ بِالشَّامِ» (٢). وَعَمُودُ الْكِتَابِ وَالْإِسْلَامِ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَهُمْ حَمَلَتُهُ الْقَائِمُونَ بِهِ (٣).

سادساً: أن الطائفة المنصورة من الشام:

روى الترمذي في سننه وأحمد في مسنده من حديث معاوية ابن قرة، عن أبيه رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» (٤).

وروى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٢٤٨٣). قوله: «فَعَلَيْكُمْ بِيَمِينِكُمْ»: أي: فالزموا اليمن، من عُذْرِكُمْ: كصرد جمع غدِير وهو الحوض، تَوَكَّلْ: أي تكفل وضمن (لي بالشام) بأن لا يخربه بالفتنة، (وَأَهْلِهِ) أي: تكفل لي بأهل الشام بأن لا تصيبه الفتنة، ولا يهلك الله بالفتنة من أقام بها. «عون المعبود» لشمس الحق العظيم آبادي (١١٦/٧).

(٢) «مستدرک الحاكم» (٧١٢-٧١٣/٥) (برقم ٨٦٠١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه الشيخ الألباني في تحقيقه لأحاديث «فضائل الشام للربيعي» (ص ٨٥).

(٣) «الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٢/٢٧).

(٤) مسند أحمد (٣٦٣/٢٤) (برقم ١٥٥٩٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح. و«سنن الترمذي» (برقم ٢١٩٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

تَقُومَ السَّاعَةُ»<sup>(١)</sup>. وَأَهْلُ الْغَرْبِ: هُمْ أَهْلُ الشَّامِ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَيَّدَهُ فِي ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ<sup>(٢)</sup>.

سابعًا: وصية النبي ﷺ بالتوجه إلى الشام:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَخْرُجُ نَارٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتٍ، أَوْ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ تَحْشُرُ النَّاسَ. قَالُوا: فِيمَ تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: عَلَيْنَا بِالشَّامِ»<sup>(٣)</sup>.

ثامنًا: مدح النبي ﷺ للشام وأنها خير المنازل:

روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فُسْطَاطَ<sup>(٤)</sup> الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ»<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية: «يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٩٢٥).

(٢) «مناقب الشام وأهله» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٧٩-٨٠).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١٤٥/٩) (برقم ٥١٤٦)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) الفسطاط بالضم والكسر: المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط، وكذلك الخيمة الكبيرة ومنها فسطاط مصر، فإن البلد أقيم مكان فسطاط (خيمة) عمرو بن العاص فاتح مصر رضي الله عنه. «المعجم الوسيط» (ص ٦٨٨)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤٤٥/٣).

(٥) «مسند الإمام أحمد» (٤١٢/٣٩) (برقم ٢٣٩٨٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. و«سنن أبي داود» (برقم ٤٢٩٨).

بَارِضٍ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ، فِيهَا مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، خَيْرُ مَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ»<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام بالشام:

روى مسلم في صحيحه من حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ»<sup>(٢)</sup>.

عاشراً: هلاك المسيح الدجال يكون في الشام:

روى مسلم في صحيحه من حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عِنْدَمَا ذَكَرَ وَصُولَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الشَّامِ، قَالَ: «فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

الحادي عشر: أنها عُقْرُ دار المؤمنين:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ»<sup>(٤)</sup>. قال ابن الأثير: عُقْرُ دار الإسلام الشام، أي: أصله وموضعه، كأنه أشار به إلى وقت

(١) مستدرک الحاكم (٥/٦٨٤) (برقم ٨٥٤٣)، وقال محققه: حديث صحيح.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٣٧).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٩٧).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢٨/١٦٥) (برقم ١٦٩٦٥)، وقال محققوه: إسناده حسن.

الفتن أي يكون الشام يومئذ آمناً منها، وأهل الإسلام به أسلم<sup>(١)</sup>.  
قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على المناقب السابقة من الكتاب والسنة وآثار العلماء: «وهي أحد ما اعتمده في تحضيبي للمسلمين على غزو التتار وأمري لهم بلزوم دمشق ونهبي لهم عن الفرار إلى مصر، واستدعائي للعسكر المصري إلى الشام، وتثبيت العسكر الشامي فيه، وقد ظهر مصداق هذه النصوص النبوية على أكمل الوجوه في جهادنا للتتار، وأظهر الله للمسلمين صدق ما وعدناهم به وبركة ما أمرناهم به، وكان ذلك فتحاً عظيماً ما رأى المسلمون مثله مثل صرح مملكة التتار التي أذلت أهل الإسلام فإنهم لم يهزموا أو يغلّبوا كما غلبوا على باب دمشق في الغزوة الكبرى التي أنعم الله علينا فيها من النعم بما لا نحصيه خصوصاً وعموماً.

يشير بذلك إلى معركة شقحب<sup>(٢)</sup> سنة (٧٠٢هـ) في شهر رمضان التي انتصرت فيها الجيوش المصرية والشامية بقيادة الملك الناصر قلاوون وحضور الخليفة وسكان دمشق على التتار<sup>(٣)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٢٧١).

(٢) شقحب: عين ماء حولها مرج جنوبي دمشق على يمين الذهاب إلى حوران بعد الكسوة.

(٣) «مناقب الشام وأهله» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٨٦-٨٧).

الكلمة التسعون

تأملات في سورة التين

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أنزل القرآن العظيم لتدبره والعمل به قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ مِنْ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، ومن سور القرآن العظيم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم العظيمة والفوائد الجليلة سورة التين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ ١ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ ٢ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٣ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٦ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالِّدِينِ﴾ ٧ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ ٨ [التين: ١-٨].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ، فَقَرَأَ فِي الْعِشَاءِ فِي إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونَ»<sup>(١)</sup>. فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ ١ ﴿ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٧٦٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٦٤).

ومجاهدٌ وغيرهم: «هو تينكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت، قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَالِكِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]»<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي: «﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يريدُ شجرة الزيتون، وأفردها بالذكر لعظيم منافعها في أرض الشام والحجاز وغيرهما من البلاد وقلة تعاهدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار»<sup>(٢)</sup>.

وقال بعض المفسرين: وإنما أقسم الله بالتين لأنه كان ستر آدم في الجنة لقوله تعالى: ﴿وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وكان ورق التين والزيتون شجرة مباركة، قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

وينتفع به في الدهن والاصطباغ كما يسرج به فهو أضوأ وأصفى الأدهان، ويستعمل حطب هذه الشجرة للوقود، كما أن للزيتون فوائد طبية عظيمة، وقد ذكر في مزاياها أنها شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها، وأن زيتها لا يحتاج في استخراجها إلى إعصار، بل كل أحد يستخرجه بسهولة، كما أنه يُعالج القروح والجراحات<sup>(٣)</sup>.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٣٦٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/٢٧).

(٣) «تفسير البغوي» (٢/٤٧)، «زاد المسير» لابن الجوزي (٦/٤٣)، «التبرك أنواعه وأحكامه» (ص ١٨٨).

روى الترمذي في سننه من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه:  
 أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُوا مِنَ الزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ  
 مُبَارَكَةٍ»<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> هو الجبل الذي كلم الله عليه  
 موسى عليه السلام، وإنما أقسم بالجبل لأنه بالشام وبالارض المقدسة  
 وقد بارك الله فيهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا  
 مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾<sup>(٣)</sup> هو مكة، قال ابن كثير:  
 ولا خلاف في ذلك، وقد أقسم الله بمكة لأنها أحب البقاع إلى الله،  
 وأشرف البقاع عند الله.

وقد أقسم الله بهذه الأشياء الأربعة: التين، والزيتون، وطور  
 سينين، والبلد الأمين.

قال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد  
 منها نبياً مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول:  
 محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى  
 ابن مريم، والثاني: طور سينين، وهو الذي كلم الله فيه موسى بن  
 عمران، والثالث: مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنًا،

(١) «سنن الترمذي» (برقم ١٨٥١)، وحسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة  
 (٧٢٤ / ٢) (برقم ٣٧٩).

وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ (١).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) ﴿هذا جواب القسم، والمراد أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنهما، قال ابن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيًا عالمًا قادرًا مريدًا متكلمًا سميعًا بصيرًا مدبرًا حكيمًا﴾ (٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) ﴿[الإنسان: ٢].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (٥) ﴿أي: إلى النار، قال ابن كثير: ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل، ولهذا قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنهم لا يردون إلى أسفل السافلين (٣).

قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٦) ﴿أي: غير منقوص ولا منقطع.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالِّدِينِ﴾ (٧) ﴿أي: فأى شيء يجعلك أيها الإنسان بعد هذا البيان لا تصدق بيوم الحساب وقد علمت البداية وعرفت أن من قدر على البداية فهو قادر على الرجعة بطريق

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٩٥).

(٢) «تفسير القرطبي» (٢٢/٣٦٨ - ٣٦٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٩٥).

الأولى، فأى شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا.  
 قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٨) أي: أما هو أحكم  
 الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً، ومن عدله أن يقيم القيامة  
 فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ  
 الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ  
 خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٤٧) [الأنبياء: ٤٧].

وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
 أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ  
 لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»<sup>(١)</sup>.

اللهم اجعل هذا القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا،  
 وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، وقائدنا ودليلنا إلى  
 جناتك جنات النعيم، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار،  
 على الوجه الذي يرضيك عنا.  
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٢).



## الفقراء والضعفاء

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله بحكمته وعلمه فاضل بين عباده بالفقر، والغنى، فأغنى من شاء وأفقر من شاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، قَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: أي: نبتليكم بالشر والخير أي بالشدة والرخاء، والصحة، والسقم، والغنى، والفقر، والحلال، والحرام، والطاعة، والمعصية، والهدى، والضلال، وهذا من تمام حكمته ورحمته بخلقه، فلو أغنى الناس جميعاً لبغوا في الأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧].

والفقراء هم أول من يدخل الجنة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الشُّغُورُ، وَيَتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهِ، وَيَمُوتُ

أَحَدُهُمْ وَحَاجَّتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً»<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِ مِائَةِ عَامٍ نِصْفِ يَوْمٍ»<sup>(٢)</sup>.

والفقراء هم أكثر أهل الجنة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمران رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»<sup>(٣)</sup>.

والفقراء هم أتباع الأنبياء والرسل: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ هِرَقْلَ مَلِكَ الرُّومِ سَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ عَنِ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ هُمْ أَشْرَافُ النَّاسِ، أَوْ ضِعْفَاؤُهُمْ؟ فَقَالَ: بَلْ ضِعْفَاؤُهُمْ، فَقَالَ: هُمْ أَتْبَاعُ الرَّسُلِ»<sup>(٤)</sup>.

وقد أمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بملازمة الفقراء، والضعفاء، والمكث معهم، فإن ذلك أبعد عن مظاهر الدنيا وفتنتها، روى مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سِتَّةِ نَفَرٍ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِثُونَ عَلَيْنَا، قَالَ:

(١) «مسند الإمام أحمد» (١١/١٣١) (برقم ٦٥٧٠)، وقال محققوه: إسناده جيد.

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٥٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥١٩٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧٣٧).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٧).

وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هَذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ نَسِيْتُ  
اسْمَيْهِمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ  
نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ  
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] (١).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْتَثِلُ أَمْرَ رَبِّهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَحْنِي مِسْكِينًا،  
وَأْمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢).

وقد ابتلي النبي ﷺ وأصحابه بالجوع الشديد فصبروا حتى  
أغناهم الله، روى مسلم في صحيحه من حديثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:  
لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظُلُّ الْيَوْمَ يَتَلَوَّى، مَا يَجِدُ دَقْلًا (٣) يَمَلَأُ  
بَطْنَهُ (٤).

قَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي ضُعَفَاءَ  
الْمُسْلِمِينَ، وَيَزُورُهُمْ، وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ (٥).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا  
قَالَتْ: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ، يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٤١٣).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٥٢)، وصححه الألباني في صحيح «سنن الترمذي»  
(٢/٢٧٥) (برقم ١٩١٧).

(٣) الدقل: التمر الرديء.

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٧٨).

(٥) «مستدرک الحاكم» (٣/٢٧٠) (برقم ٣٧٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع  
الصغير» (برقم ٤٨٧٧).

قُبْضٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (١).

قال ابن كثير في قوله تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨) [الضحى: ٨]. أي: كنت فقيرًا ذا عيال فأغناك الله عن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر، والغني الشاكر (٢).

وروى البخاري في صحيحه من حديث المُغِيرَةَ بنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ، وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ، نَمُصُّ الْجِلْدَ، وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ (٣).

وَيَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لِأَعْتَمِدُ بِكَيْدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لِأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ (٤).

وَيَقُولُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى إِنْ أَحَدْنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ الْبَعِيرُ أَوْ الشَّاةُ، مَا لَهُ خَلْطٌ، قَالَ الشُّرَّاحُ: أَي: لِحَفَافِهِ وَيُبْسِهِ (٥).

وقد يحتقر الفقير في مجتمعه ولكنه عند الله بمنزلة عظيمة، روى البخاري في صحيحه من حديث سَهْلِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٣٧٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٧٠) واللفظ له.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٤ / ٣٨٥).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣١٥٩).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٤٥٢).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٣٧٢٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٦٦).

قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٌ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلِ هَذَا» (٦).

وأخبر النبي ﷺ أن الرزق والنصر يكون بسبب الضعفاء، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبْغُونِي ضِعْفَاءَكُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تُرْزَقُونَ، وَتُنْصَرُونَ بِضِعْفَائِكُمْ» (٧).

وبين النبي ﷺ أن الساعي على الأرملة، والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالصائم القائم، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ، وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يَفْطُرُ» (٨).

وبين النبي ﷺ أن شر الطعام طعام الولىمة التي لا يدعى إليها

(٦) «صحيح البخاري» (برقم ٦٤٤٧).

(٧) «مسند الإمام أحمد» (٦٠/٣٦) (برقم ٢١٧٣١)، وقال محققوه: إسناده صحيح. وأصل الحديث في البخاري (برقم ٢٨٩٦).

(٨) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٠٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٨٢) واللفظ له.

الفقراء، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَالِيمَةِ، يُدْعَى إِلَيْهِ الْأَغْنِيَاءُ، وَيُتْرَكُ الْمَسَاكِينُ» (١).

وما تقدم ذكره من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يتضمن التنبيه على حال طائفة من المسلمين ابتلوا بالفقر، والضعف، فصبروا، واحتسبوا، ورضوا بما كتب الله لهم، أما المسألة المشهورة وهي التفضيل بين الغنى والفقر فقد اختلف فيها أهل العلم، والذي يترجح فضل الغني الشاكر على الفقير الصابر، ولتفصيل ذلك مكان آخر (٢).

وخيرُ الفقراءِ الْمُتَعَفِّفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الْمَسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَتَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، قَالُوا: فَمَا الْمَسْكِينُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا» (٣).

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٤٣٢).

(٢) انظر: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» لابن القيم رحمته الله.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٧٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠٣٩).

فَاتَّبَعَهُ: يُرَوَى عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: صَحِبْتُ  
الْأَغْنِيَاءَ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا أَكْبَرَ هَمًّا مِنِّي، أَرَى دَابَّةً خَيْرًا مِنْ دَابَّتِي، وَثَوْبًا  
خَيْرًا مِنْ ثَوْبِي، وَصَحِبْتُ الْفُقَرَاءَ فَاسْتَرَحْتُ (١).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سنن الترمذي» (ص ٣٠٤).



الكلمة الثانية والتسعون

الإيمان بالكتب السابقة وآثاره

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن أركان الإيمان الستة التي يجب على المؤمن الإيمان بها: الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

والإيمان بالكتب المنزلة على الرسل هو التصديق بأن هذه الكتب من عند الله أرسل بها رسله إلى الخلق لهدايتهم، وإقامة العدل بينهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية: «وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه من التوراة، والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن الله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله،

وأما الإيمان بالقرآن فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب، فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق، وهدى، ونور، وبيان، وشفاء»<sup>(١)</sup>.

قال تعالى عن التوراة وهي أعظم كتب بني إسرائيل أنزلها الله على موسى عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، قال جمع من المفسرين: إنها التوراة<sup>(٢)</sup>.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ قال الشنقيطي رحمته الله: «أي: المكتوب فيها من التوراة من كلام رب العالمين، وفيه ﴿ هُدًى ﴾ أي: دلالة وإرشاد إلى الخير، ورحمة تقي عذاب الله، وسخطه لمن عمل به<sup>(٣)</sup>، وقيل: إن التوراة هي صحف موسى».

أما الإنجيل فهو الذي أنزل على عيسى وهو مصدق للتوراة، ومتمم لها، قال تعالى عنه: ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦]، قال ابن

(١) «العقيدة الطحاوية» (٢/٤٢٤-٤٢٥).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/٣٢٨).

(٣) «العذب النَمِير من مجالس الشنقيطي في التفسير» (٤/١٩٠).

كثير: «وجعلنا الإنجيل هدىً يهتدى به، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي: وزاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم»<sup>(١)</sup>.

والزبور هو الكتاب الذي أنزله الله على داود، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]. وصحف إبراهيم هي الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [١٨] صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى [١٩] [الأعلى: ١٨-١٩].

والكتب السماوية السابقة أصابها التحريف، والتبديل، والتغيير، قال تعالى عن اليهود الذين نزلت عليهم التوراة: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «الصحیح أنها نزلت في اليهوديين اللذین زنيا، وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحسن منهم، فحرفوا واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة، والتحميم، والإركاب على حمار مقلوبين»<sup>(٢)</sup>.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]. وساق القرطبي في تفسيره إلى يحيى ابن

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/٢٤٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/٢٢٠).

أَكتُم، قال: كان للمأمون - وهو أمير إذا ذاك - مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثياب، حسن الوجه، طيب الرائحة، قال: فتكلم، فأحسن الكلام والعبارة، قال: فلما تقوض المجلس، دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم، قال له: أسلم حتى أفعل لك وأصنع، ووعدته، فقال: ديني ودين آبائي! وانصرف، قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلمًا، قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوض المجلس، دعاه المأمون وقال: أَلست صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى، قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك، فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة، فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشترت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة، فاشترت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ، وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها، فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي، قال يحيى بن أكتم: فحججت تلك السنة، فلقيت سفيان بن عيينة، فذكرت له الخبر، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله ﷻ، قال: قلت: في أي موضع؟ قال: في قول الله ﷻ: ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال ﷻ عن القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا

لَهُ لِحَفْظُونَ ﴿٩﴾ [الحجر: ٩]، فحفظه الله عَزَّ وَجَلَّ علينا فلم يضع <sup>(١)</sup>.  
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ  
 يَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ  
 لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

والكتب السابقة كانت وقتية، وخاصة بالأمم التي نزلت فيها،  
 ولذلك لم تأخذ صفة الدوام، ولا تكفل الله بحفظها.

وقد بشرت الكتب السابقة بالنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ  
 يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
 وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. قال ابن كثير: «وهذه صفة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 في كتب الأنبياء بشروا أممهم ببعثته، وأمروهم بمتابعتة، ولم تنزل  
 صفاته موجودة في كتبهم، يعرفها علماءهم، وأخبارهم» <sup>(٢)</sup>.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾  
 [البقرة: ١٤٦]. ففي هذه الآية يخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب  
 يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يعرف أحدهم  
 ولده <sup>(٣)</sup>. روى البخاري في صحيحه من حديث عطاء بن يسار  
 قَالَ: «لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ  
 صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/ ١٨٠-١٨١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٠٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٢١).

التَّوْرَةَ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا، وَنَذِيرًا. وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفَطٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»<sup>(١)</sup>.

والقرآن آخر هذه الكتب وهو كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود، وبه نسخت جميع الرسالات، والكتب التي قبله، وقد أنزله الله على نبينا محمد ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ عِوَجَ الْأَسْلَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولا ينبغي للمؤمن الاشتغال بالكتب السابقة، والقراءة فيها، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ وَقَالَ: أُمَّتَهُوْكَونَ<sup>(٢)</sup> فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتُكذَّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدَّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢١٢٥).

(٢) قال أبو عبيدة: يقول: أُمَّتَحَيَّرُونَ أَنْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ، لَا تَعْرِفُونَ دِينَكُمْ حَتَّى تَأْخُذُونَهُ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؟! «غريب الحديث» (٢٩/٣).

بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»<sup>(١)</sup>.

من آثار الإيمان بالكتب السابقة:

- ١- العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.
- ٢- ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم، مناسباً لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة.
- ٣- المستند لهذه الأمة في شهادتها على الأمم السابقة، أن الله أقام عليها الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب.
- ٤- أن الإيمان بالكتب السابقة المنزلة على الرسل لا يقتضي إقرار ما يوجد بأيدي اليهود والنصارى من التوراة والإنجيل، فإنها بدلت وحرفت، والذي لم يصل إليه التحريف نسخ بالقرآن وهذا بيان من اللجنة الدائمة لموقف المسلم من هذه الكتب والأديان السماوية السابقة، وقد اشتمل على إيضاح أن الدعوة إلى وحدة الأديان كفر صريح وردة عن الإسلام:



(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٤٩/٢٣) (برقم ١٥١٥٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «إرواء الغليل» (٣٦-٣٤/٦) (برقم ١٥٨٩).



## وحدة الأديان الفكر الهدام

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى «وحدة الأديان»: دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد، وكنيسة، ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات، والمطارات، والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن، والإنجيل في غلاف واحد إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يُعقد لها من مؤتمرات، وندوات، وجمعيات في الشرق، والغرب، وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: فإن من أصول الاعتقاد في الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة: والتي أجمع عليها المسلمون، أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل، والشرائع، فلم يبق على وجه

الأرض دين يُتَعَبَدُ اللهُ به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، والإسلام بعد بعثة محمد هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله تعالى «القرآن الكريم» هو آخر كتب الله نزولًا: وعهدًا برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة، والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب يُتَعَبَدُ به سوى «القرآن الكريم». قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثًا: يجب الإيمان بأن «التوراة» و«الإنجيل» قد نُسخَا بالقرآن الكريم: وأنه قد لحقهما التحريف، والتبديل، والزيادة، والنقصان كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم.

منها: قول الله تعالى: ﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله ﴿ بَلَدًا مَّوَدَّعًا ﴾: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]، وقوله ﴿ سَجَّاتٍ ﴾: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُنَ الْأَسِنَّاتِ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ

أَلْكَتَبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ  
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ [آل عمران: ٧٨].

ولهذا فما كان منها صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرّف، أو مبدّل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أَنَّهُ غَضِبَ حِينَ رَأَى مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحِيفَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنَ التَّوْرَةِ، وَقَالَ ﷺ: «أَفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أَلَمْ آتِ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً؟! لَوْ كَانَ أَخِي مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»<sup>(١)</sup>.

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن نبينا ورسولنا محمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلم يبقَ رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيًّا لما وسعه إلا اتباعه - وأنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك - كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، ونبي الله عيسى ﷺ إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعًا لمحمد وحاكمًا بشريعته، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(١) سبق تخريجه.

كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال ﷺ: ﴿ قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغيرها من الآيات.

خامسًا: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام: من اليهود، والنصارى، وغيرهم وتسميته كافرًا، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة: ١]، وقال ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦] وغيرها من الآيات. وثبت في صحيح مسلم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

ولهذا: فمن لم يُكفِّر اليهود والنصارى فهو كافر، طردًا لقاعدة الشريعة: «مَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْكَافِرَ فَهُوَ كَافِرٌ».

سادسًا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية: فإن الدعوة إلى «وحدة الأديان» والتقارب بينها، وصهرها في قالب

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٥٣).

واحد دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجرُّ أهله إلى ردة شاملة، ومصادق ذلك في قول الله **سُبْحَانَهُ**: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله **بِحِلَّةٍ وَإِذَا**: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

سابعاً: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة: إلغاء الفوارق بين الإسلام، والكفر، والحق، والباطل، والمعروف، والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء، ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وتقدس يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، ويقول **بِحِلَّةٍ وَإِذَا**: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّهُ اللَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

ثامناً: أن الدعوة إلى «وحدة الأديان» إن صدرت من مسلم: فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله **عَزَّ وَجَلَّ**، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن، وسنة، وإجماع.

## تاسعاً: وتأسيساً على ما تقدم:

١- فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليتها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها والانتماء إلى محافلها.

٢- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن في غلاف واحد! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد، لما في ذلك من الجمع بين الحق «القرآن الكريم» والمحرّف أو الحق المنسوخ «التوراة» و«الإنجيل».

٣- كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة بناء مسجد، وكنيسة، ومعبد في مجمع واحد، لما في ذلك من الاعتراف بدين يُعبد الله به غير الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاث، لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى الله عن ذلك. كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس «بيوت الله» وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]؛ بل هي بيوت يُكفر فيها بالله، نعوذ

بالله من الكفر، وأهله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ليست - أي: البيع والكنائس - بيوت الله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يُكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفار»<sup>(١)</sup>.

عاشراً: ومما يجب أن يعلم: أن دعوة الكفار بعامة، وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان، والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. أما مجادلتهم، واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عرى الإسلام ومعاهد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله ﷺ والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وإن اللجنة إذ تقرّر ذلك وتبيّنه للناس، فإنها توصي المسلمين

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/١٦٢).

بعامة، وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى، ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال، ودعاته، والكفر وأهله، وتحذره من هذه الدعوة الكفرية الضالة «وحدة الأديان» ومن الوقوع في حائلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سبباً في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين، وترويجها بينهم. نسأل الله سُبْحَانَهُ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيدنا جميعاً من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راض عنا.

وبالله التوفيق، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيًّا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيًّا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الثالثة والتسعون

الجزء من جنس العمل

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد وردت آيات كريمة، وأحاديث شريفة، ذكر فيها جزاء المحسنين، والمسيئين من جنس أعمالهم ترغيباً في الأعمال الصالحة، وترهيباً من الأعمال السيئة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١١٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١١٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْدُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي [١١٦] [طه: ١٢٤-١٢٦].

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَن مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

ومن ذب عن عرض أخيه المسلم، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه:

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٠).

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

ومن ولي من أمر المسلمين شيئاً فشق عليهم شق الله عليه،  
ومن رفق بهم رفق الله به، روى مسلم في صحيحه من حديث  
عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا  
فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَارْفَقَ بِهِمْ  
فَارْفُقْ بِهِ» (٢).

ومن احتجب من الولاية عن ذوي الحاجة والمسكنة  
احتجب الله عن خلته، وحاجته، روى الإمام أحمد في مسنده من  
حديث عمرو بن مرة أنه قال: يَا مُعَاوِيَةَ! إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
يَقُولُ: «مَا مِنْ إِمَامٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ، وَالْخَلَّةِ، وَالْمَسْكِنَةِ،  
إِلَّا أَغْلَقَ اللَّهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ خَلَّتِهِ، وَحَاجَتِهِ وَمَسْكِنَتِهِ، فَجَعَلَ  
مُعَاوِيَةَ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ» (٣).

ومن أنفق أنفق الله عليه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما  
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ  
آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ» (٤).

ومن بخل بماله عما أوجب الله عليه من الحقوق، أتلف الله

(١) «مسند الإمام أحمد» (٥٢٨/٤٥) (برقم ٢٧٥٤٣)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٨٢٨).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٥٦٥/٢٩) (برقم ١٨٠٣٣)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٤٦٨٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩٩٣).

ماله، ومحق بركته، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ  
 فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ  
 مُمْسِكًا تَلْفًا» (١).

وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فِي نَفْسِهِ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ، وَمَنْ ذَكَرَهُ فِي مَلَأٍ  
 ذَكَرَهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما  
 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا  
 عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ  
 فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» (٢).

وَمَنْ بَنَى مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، روى مسلم في  
 صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا  
 لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ» (٣).

وَمَنْ تَتَبَعَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ تَتَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَفَضَحَهُ فِي بَيْتِهِ،  
 روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه:  
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ،  
 لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ،  
 يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ» (٤).

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٤٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠١٠).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٧٤٠٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٧٥).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٥٣٣).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢٠/٣٣) (برقم ١٩٧٧٦)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

قال بعض السلف: أدركت أقوامًا لم تكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوبًا، وأدركت أقوامًا كانت لهم عيوب، فكفوا عن عيوب الناس، فنسيت عيوبهم.. أو كما قال<sup>(١)</sup>.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

يَا هَاتِكَا حُرْمَ الرَّجَالِ وَتَابِعَا      طُرُقَ الْفَسَادِ عَشْتَ غَيْرِ مُكْرَمِ  
لَوْ كُنْتَ حُرًّا مِنْ سُلَالَةٍ مَاجِدِ      مَا كُنْتَ هَتَاكَ لِحُرْمَةِ مُسْلِمِ  
مَنْ يَزِنُ فِي قَوْمٍ بِالْفَيْ دِرْهِمِ      فِي أَهْلِهِ يُزْنَى بِرُبْعِ الدَّرْهِمِ  
إِنَّ الزَّنَا دَيْنٌ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ      كَانَ الْوَفَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمِ

ومن شرب الخمر في الدنيا حُرْمَهَا فِي الْآخِرَةِ، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ»<sup>(٢)</sup>.

ومن عذب الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة، روى مسلم في صحيحه من حديث هشام بن حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا»<sup>(٣)</sup>.

ومن الوقائع التي تبين أن الجزاء كان من جنس العمل، ما بشر به النبي ﷺ زوجته خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فقد روى البخاري

(١) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ١٧٦).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣٥٤ / ٨) (برقم ٤٧٢٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦١٣).

ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب<sup>(١)</sup>.

والصخب: ارتفاع الأصوات، والنصب: التعب، قال السهيلي: مناسبة نفي هاتين الصفتين، -أعني المنازعة والتعب- أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعاً فلم تحوجه إلى رفع صوت، ولا منازعة، ولا تعب في ذلك، بل أزالته عنه كل نصب، وأنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعالها<sup>(٢)</sup>. اهـ

وجعفر بن أبي طالب لما قاتل في معركة مؤتة، وقطعت يداه عوضه الله بأن جعله يطير في الجنة مع الملائكة، روى الحاكم في المستدرک من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان»<sup>(٣)</sup>.

ومن أشهر ما يقع، وحكاياته منتشرة بين الناس، بر الوالدين وعقوقهما، فقد تداول الناس حكايات كثيرة فيمن بر والديه فرزقه الله أولاداً بروه في حياته، وكذلك العكس فيمن عقوق والديه،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٨٢٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٤٣٢).

(٢) «فتح الباري» (١٣٨/٧).

(٣) «مستدرک الحاكم (٢١٨/٤) (برقم ٤٩٨٨)، و«سنن الترمذي» (برقم ٣٧٦٣).  
وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٢٦/٣) (برقم ١٢٢٦).

ومما يُحكى في هذا الباب: أن رجلاً كان له أولاد هم به بارون، فإذا أرادوا أن يردوا لجلب الماء من البئر أخذوا أباهم معهم وكان شيخاً كبيراً ليستأنس بذلك، فإذا ما وصلوا إلى مكان البئر أنزلوا أباهم برفق عن ظهر البعير وهيئوا له مكاناً، وأوقدوا له ناراً ليستدفئ بها ويصنعون له القهوة عليها، وفي إحدى المرات شاهدوا على البئر شيخاً كبيراً وابنه يريدان أن يستقيا من البئر، وجرت العادة أن الشخصين عند الاستسقاء يكون أحدهما في أسفل البئر وعمله أشق، والآخر في أعلى البئر، وكان ذلك الابن يأمر أباه بالنزول إلى أسفل البئر ويتهدهه بالقوة، وأبوه يتلطف أن يقوم هو بالنزول ولكن دون جدوى، حتى أنزله مكرهاً، فأراد أبناء الرجل البار أن يقوموا بتأديب ذلك الابن العاق إنكاراً لفعله، فقال لهم أبوهم: لو حفرتم في الأرض حولنا لوجدتم آثار موقد النار التي كنت أضعها لوالدي، وقد رزقت بركم جزاء لما كنت أصنعه به، وأما ذاك الرجل فقد شهدته وهو يصنع بأبيه ما يصنع به ابنه الآن، والجزء من جنس العمل.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة الرابعة والتسعون

خطورة الغضب

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الغضب من الصفات الذميمة التي وردت النصوص في ذمها والتحذير منها، فكم سبب من عداوات، وأحقاد، وفرقة بين الأزواج، وتشتت الأسر وضياع الأولاد، وقطع الأرحام، وكم حصل بسببه من حروب، وفتن، وسفك للدماء!؟

إن الغضب يجمع الشر كله، يغضب الرحمن، ويرضي الشيطان. قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِهِ: بَابُ الْحَذَرِ مِنَ الْغَضَبِ لِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبْرَ الْأَيْمِ وَالْفَوْحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: «لَا تَغْضَبْ»: اجتنب أسباب الغضب، ولا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦١١٦).

تعرض لما يجلبه، وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه، لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن التين: جمع ﷺ في قوله: «لَا تَغْضَبْ» خير الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤول إلى التقاطع، ومنع الرفق، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: بعدما ذكر مفاصد الغضب ومن تأمل هذه المفاصد في مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ: «لَا تَغْضَبْ» من الحكمة، واستجلاب المصلحة، ودرء المفسدة، مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته، وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الغضب الديني<sup>(٣)</sup>. اهـ

وأخبر النبي ﷺ أن القوي ليس الذي يصرع الرجال، ولكنه الذي يمسك نفسه عند غضبه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»<sup>(٤)</sup>.

وَوَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ بِالْجَنَّةِ، روى الطبراني في مسند الشاميين من حديث أبي الدرداء رضي عنه أَنَّهُ قَالَ:

(١) «فتح الباري» (١٠/٥٢٠).

(٢) «فتح الباري» (١٠/٥٢٠).

(٣) «فتح الباري» (١٠/٥٢٠-٥٢١).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦١١٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٠٩).

يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَغْضَبُ، وَلَكَ الْجَنَّةُ»<sup>(١)</sup>.

الأسباب التي يُدفع بها الغضب:

١- أن يتأمل الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ عَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقَعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل بن معاذٍ عن أبيه رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»<sup>(٣)</sup>.

٢- أن يستعيد بالله من الشيطان الرجيم، لما جاء في الصحيحين من حديث سليمان بن صردٍ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

(١) «مسند الشاميين» (٣٦/١) (برقم ٢١)، وقال المنذري: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح. وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (برقم ٧٣٧٤).  
 (٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤٦٤٢).  
 (٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٩٨/٢٤) (برقم ١٥٦٣٧)، وقال محققوه: إسناده حسن.

وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدْ أَحْمَرَ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَحِدُّ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ<sup>(١)</sup>.

قال الطوفي: أقوى الأشياء في دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقي وهو أن لا فاعل إلا الله، وكل فاعل غيره فهو آله له، فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه اندفع غضبه لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه **تَجِدُ وَتَجَلَّ** وهو خلاف العبودية<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: وبهذا يظهر السرف في أمره ﷺ الذي غضب بأن يستعيز من الشيطان لأنه إذا توجه إلى الله في تلك الحالة بالاستعاذة به من الشيطان أمكنه استحضار ما ذكر، وإذا استمر الشيطان متلبساً متمكناً من الوسوسة لم يمكنه من استحضار شيء من ذلك<sup>(٣)</sup>. اهـ

٣- الجلوس، روى أبو داود في سننه من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ»**<sup>(٤)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦١١٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦١٠).

(٢) «فتح الباري» (١٠/٥٢١).

(٣) «فتح الباري» (١٠/٥٢١).

(٤) «سنن أبي داود» (برقم ٤٧٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/٩٨).

قال الخطابي: القائم متهييء للحركة والبطش، والقاعد دونه في هذا المعنى، والمضطجع ممنوع منهما فيشبه أن يكون النبي ﷺ إنما أمره بالعود لئلا يندر منه في حال قيامه وعوده بادرة يندم عليها فيما بعد<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «دخل الناس النار من ثلاثة أبواب، باب شبهة أورثت شكًا في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضب أورث العدوان على خلقه»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله تعالى: ﴿ادْفَع بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦]: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله، وخضع لهم عدوهم<sup>(٣)</sup>.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله: لا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز خمسة عشر سوطاً<sup>(٤)</sup>.

ومن تأمل أحوال الناس لم يجد أحداً غضب لغير الله إلا كان الندم حليفه، والعجب أن الكثير منهم يرى عواقب الغضب الوخيمة ثم لا ينتهي عنه.

(برقم ٤٠٠٠).

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٩٧/٧).

(٢) «الفوائد» (ص ٧٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢٤٣/١٢).

(٤) «إحياء علوم الدين» (١٧٧/٣).

ومما ينبغي أن يُعلم أن الغضب منه ما كان محموداً وهو الغضب لله، وذلك عند انتهاك حرماته ومخالفة أوامره وفي جهاد أعدائه، قال تعالى عن نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأعراف: ١٥٤]. قال ابن كثير: ولما سكن عن موسى الغضب - أي: غضبه على قومه - أخذ الألواح التي ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل، غيرَ الله وغضباً له<sup>(١)</sup>.

روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوَّلُ بِنَا فُلَانٍ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنْفَرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الْحَاجَةِ»<sup>(٣)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/٣٩٥)

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣٢٨).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٩٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٦٦).

الكلمة الخامسة والتسعون

تأملات في سورة الانشراح

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن من سور القرآن الكريم التي تتكرر على أسماعنا ونحن بحاجة إلى تدبرها ومعرفة ما فيها من الحكم والفوائد العظيمة سورة الانشراح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ [الانشراح: ١-٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ممتناً عليه بإحسانه إليه حاضاً له بذلك على شكره على ما أنعم عليه ليستوجب بذلك المزيد منه: ألم نشرح لك صدرك يا محمد فنورناه وجعلناه فسيحاً واسعاً، وسعناه لشرائع الدين، والدعوة إلى الله والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات، فلم يكن ضيقاً حرجاً لا يكاد ينقاد لخير ولا تكاد تجده منبسطةً كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وكان من دعاء نبي الله موسى ﷺ:

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ (٢٥) [طه: ٢٥].

ومن جملة شرح الله صدر نبيه: ما فعل به ليلة الإسراء، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضاً، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأَتَيْتُ فَاَنْطَلَقَ بِي، فَأَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ فَشَرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا<sup>(١)</sup>، قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِيَ: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي فَعُغِلَ بِمَاءٍ زَمْزَمَ ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً»<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ (٢) ، أي: وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها، كما قال تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ (٣) ، أي: أثقله حتى سمع نقيضه أي صوته، قال أهل اللغة: أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمع له صرير من شدة الحمل وثقله، قال بعضهم: وإنما وضعت ذنوب الأنبياء بهذا الثقل مع كونها مغفورة لشدة اهتمامهم بها وندمهم منها وتحسرهم عليها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (٤) ، قال مجاهد: يعني التأذين

(١) أي: شق صدري إلى كذا وكذا.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٢٠٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٦٤) واللفظ له.

وفيه يقول حسان بن ثابت:

أَغْرُ عَلَيْهِ لِلنُّبُوءَةِ خَاتَمٌ      مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ  
وَضَمَّ إِلَيْهِ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ      إِذْ قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدَّنِ أَشْهَدُ  
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ      فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يقول له: لا ذكرت إلا ذكرت معي في الأذان، والإقامة، والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى وأيام التشريق، ويوم عرفة، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح وفي مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن رجلاً عبد الله جل ثناؤه وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافراً، وقيل: أي أعلينا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك، وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين إلا ودينك يظهر عليه، وقيل: رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وفي الأرض عند المؤمنين ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود، وكرائم الدرجات، والظاهر أن الآية عامة تشمل ذلك كله»<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبياً عن أمته»<sup>(٢)</sup>.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢٢/٣٥٧-٣٥٨).

(٢) «تفسير ابن سعدي» (ص ١٨٨).

قوله تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هذه بشارة من الله لرسوله ولأمته، وجرى على الرسول ﷺ عسر حينما كان بمكة يضيق عليه، وفي الطائف وكذلك في المدينة مع المنافقين، وقد أنجز الله له ما وعده ويسر أمره فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز، واليمن، ووسع ذات يده حتى كان يعطي الرجل المئین من الإبل ويهب الهبات العظيمة ويدخر لأهله قوت سنة.

فهذا اليسر الذي حصل للنبي ﷺ سيكون لأمته، كذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»<sup>(١)</sup>. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «خَلَقْتُ عُسْرًا وَاحِدًا، وَخَلَقْتُ يُسْرَيْنِ، وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»<sup>(٢)</sup>.

وتوجيه كلامه مع أن العسر ذكر مرتين واليسر ذكر مرتين، قال أهل البلاغة: إن العسر لم يذكر إلا مرة واحدة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إن مع الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ العسر الأول أعيد في الثانية بأل، فال هنا للعهد الذكري وأما يسر فإنه لم يأت معرفًا بل جاء منكرًا، والقاعدة أنه إذا كرر الاسم مرتين بصيغة التعريف فالثاني هو الأول إلا ما ندر، وإذا كرر الاسم

(١) قطعة من حديث في «مسند الإمام أحمد» (١٩/٥) (برقم ٢٨٠٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٢) «تفسير القرطبي» (٣٥٨/٢٢).

مرتين بصيغة التنكير فالثاني غير الأول لأن الثاني نكرة، إذاً في الآيتين الكريمتين يسران وفيهما عسر واحد، قال الشاعر:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ      وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ  
وَأَوْطَأَتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأَنْتُ      وَأَرْسَتُ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ  
وَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا      وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ  
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ      يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ  
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ      فَمَوْضُوعٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ

وقال آخر:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى      ذَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ  
كَمَلْتُ، فَلَمَّا اسْتَحْكَمْتُ حَلَقَاتُهَا      فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧)، أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، وقطعت علائقها، فانصب في العبادة، وقم إليها نشيطاً فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة، قال ابن عباس وقتادة: فإذا فرغت من صلاتك ﴿فَانصَبْ﴾ أي: بالغ في الدعاء وسله حاجتك.

قال ابن مسعود: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْفَرَائِضِ، فَانصَبْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (٨)، قال الثوري: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله يَرْغَبُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الكلمة السادسة والتسعون

الإنبابة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الإنبابة من العبادات العظيمة التي وصف الله بها أنبيائه وعباده المؤمنين، قال تعالى عن نبي الله داود عليه السلام: ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ ﴾ [ص: ٢٤]. وقال تعالى عن نبي الله سليمان عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۗ ﴾ [ص: ٣٤]. وقال تعالى عن نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۗ ﴾ [هود: ٨٨]. وقال تعالى عن نبينا محمد عليه السلام: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۗ ﴾ [الشورى: ١٠]. وأثنى الله على خليله إبراهيم عليه السلام لاتصافه بالإنبابة إليه والرجوع إليه في كل أمر، قال عليه السلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ۗ ﴾ [هود: ٧٥]. وأمر الله بها عباده فقال: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ۗ ﴾ [الزمر: ٥٤]. والصالحون من عباد الله يقولون: ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۗ ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال ابن القيم رحمته الله: «الإنبابة: الإسراع في مرضاة الله مع الرجوع إليه في كل وقت، وإخلاص العمل له، وقال أيضاً: الإنبابة إلى الله إنبابتان: الأولى: إنبابة إلى ربوبيته وهي إنبابة المخلوقات

كلها، المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣٣]. والثانية: إنابة أوليائه، وهي: إنابة لألوهيته، إنابة عبودية ومحبة، وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه<sup>(١)</sup>. اهـ مختصراً

والإنابة إلى الله ﷻ هي مفتاح السعادة، والهداية، قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْكَ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ (٢٧) [الرعد: ٢٧]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَمَنُّوا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوَلَ الْمُطَّلَعِ شَدِيدٌ»<sup>(٢)</sup>، وَإِنَّ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَطُولَ عُمُرُ الْعَبْدِ، وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ»<sup>(٣)</sup>.

وأخبر ﷻ أن ثوابه، وجنته لأهل الخشية والإنابة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (٣٣) [ق: ٣١-٣٣].

وأخبر ﷻ أن البشرية لأهل الإنابة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) «مدارج السالكين» (١/٤٣٤).

(٢) قوله: «فَإِنَّ هَوَلَ الْمُطَّلَعِ»: قَالَ السَّنْدِيُّ: مَكَانُ الْإِطْلَاعِ مِنْ مَوْضِعِ عَالٍ، يُقَالُ: مُطَّلَعٌ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ مَوْضِعِ كَذَا، أَي: مَاتَاهُ وَمَصَعْدُهُ، يُرِيدُ بِهِ: مَا يُشْرِفُ عَلَيْهِ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَشِدَائِدِهِ، فَشَبَّهَ بِالْمُطَّلَعِ، وَعَلَّلَ النَّهْيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَنَّاهُ لِقَلَّةِ صَبْرِهِ وَضَجْرِهِ، فَإِذَا جَاءَ مُتَمَنِّئًا، أَزْدَادَ ضَجْرًا عَلَى ضَجْرٍ، وَيَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ مَزِيدَ سَخَطٍ، وَلِأَنَّ السَّعَادَةَ فِي طُولِ الْعُمُرِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا خُلِقَ لِاِكْتِسَابِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَرَأْسُ مَالِهِ الْعُمُرُ. هَلْ رَأَيْتَ تَاجِرًا يُضَيِّعُ رَأْسَ مَالِهِ؟! «مسند الإمام أحمد» (٢٢/٤٢٧).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٢٢/٤٢٦) (برقم ١٤٥٦٤)، وقال محققوه: حسن لغيره.

أَجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴿الزمر: ١٧﴾.

ومن صفات العبد المنيب: الاعتبار بالآيات الدالة على عظمة الله تعالى، وعزته وسلطانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَهُ وَذَكَرَ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: ١٣].

والإنابة إلى الله مانعة من العذاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسَلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٤].

وقد أمر الله جميع الخلق بالإنابة والرجوع إليه، قَالَ سُورَةُ الْحَاقَّةِ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم: ٣٠-٣١].

وكان من دعاء النبي ﷺ أن يرزقه الله الإنابة، روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي، وَيَسِّرْ الْهُدَى إِلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوْهَا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي،

وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجَ بُرَيْدَةُ عِشَاءً، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا صَوْتُ الرَّجُلِ يَقْرَأُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًّا؟ فَقَالَ بُرَيْدَةُ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًّا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا، بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، لَا، بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، فَإِذَا الْأَشْعَرِيُّ يَقْرَأُ بِصَوْتٍ لَهُ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْأَشْعَرِيَّ - أَوْ إِنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ - أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ دَاوُدَ»<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ النَّاسِ إِنْابَةً إِلَى رَبِّهِ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَأَنْتَ

(١) «سنن أبي داود» (برقم ١٥١٠). و«مسند الإمام أحمد» (٤٥٢/٣) (برقم ١٩٩٧)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٤٦/٣٨) (برقم ٢٢٩٥٢)، وقال محققوه: إسناده صحيح.

المُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ»<sup>(١)</sup>.  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



---

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٣١٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٧٦٩).



الكلمة السابعة والتسعون

مواقف مؤثرة

من سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة وإمام من أئمة الهدى، جدّد الله به الدين وقمع به البدعة، كان إمام الدنيا في زمانه، وأحد أذكى العالم وأفراده في الحفظ والعلم والعمل، إنه شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحلیم ابن مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرّاني ابن تيمية وهو لقب لجده الأعلى، ولد في العاشر من ربيع الأول سنة (٦٦١هـ)، والحرّاني نسبة إلى بلدة مشهورة بين الشام والعراق، كان أبيض البشرة، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، جهوري الصوت، فصيحًا، سريع القراءة، إليه كان المنتهى في فرط الشجاعة، والسماحة، حفظ القرآن وهو في الصغر، وأتقن علم الشريعة والعربية والمنطق وغيرها، ولم يتزوج ولا تسرّى، لا رغبة عن النكاح، فهو سنة النبي ﷺ وإنما انشغلاً بالعلم والتعليم

والدعوة والجهاد، كان يقضي وقته كله في البحث، والقراءة والمطالعة، فلا تكاد نفسه تشبع من العلم، ولا ترَوَى من المطالعة، ولا تمل من الانشغال ولا تكل من البحث.

قال الذهبي: ما رأيتُهُ إلا ببطن كتاب.

وقد بدأ التأليف وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان من أفراد الدهر في كثرة تأليفه، فلا يعلم في الإسلام من صنف نحو ما صنف، وقدرت مؤلفاته بخمسمائة مجلد، وبأربعة آلاف كراس أو أكثر، وقد بلغ ما يكتبه في اليوم واللييلة أربع كرايس، وكان يكتب مؤلفاته من حفظه، وكان ذا قلم سريع الكتابة إذا رقم يكاد يسبق البرق إذا لمع، وكانت مؤلفاته في غاية الإبداع وقوة الحجاج وحسن التصنيف والترتيب، وشرع بالتدريس وهو في الحادية والعشرين من عمره بعد وفاة أبيه، وأما درس التفسير فقد بدأ به وعمره ثلاثون سنة، واستمر مدة سنين متطاوله، وقد انعقدت له الإمامة في التفسير وعلوم القرآن الكريم، وقد أقبل عليه إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق ويقال: إنه وضع تفسيراً مطولاً أتى فيه بالغريب العجيب وكان مشهوراً بقوة حفظه، وقلما حفظ شيئاً فَنسيه، كان الحافظ المزي يبالغ في تعظيم الشيخ والثناء عليه حتى كان يقول: لم ير مثله منذ أربعمئة سنة.

وكانت قوته في حياته الجادة التي لا تعرف الهزل فضلاً عن سافل الأخلاق من الغيبة والنميمة، فقد كان في غاية التنزه من الغيبة، والنميمة، وما عُرفت عشرة له في شيء من ذلك، وكانت

مجالسه عامرة بالخير، لا يجرؤ المغتابون على غشيانها. وكان رَحِمَهُ اللهُ زاهداً في الدنيا غير مبالٍ بها، كان يجيئه من المال في كل سنة ما لا يكاد يحصى، فينفقه جميعه آلافاً ومئين، لا يلمس منه درهماً بيده، ولا ينفقه في حاجة له، وكان يعود المرضى، ويشيع الجنائز، ويقوم بحقوق الناس، ويتألف القلوب، وله محبوبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه، لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه، عرضت عليه المناصب والولايات فرفض وقال: يقوم بها غيري، أما نشر العلم وتصحيح الاعتقاد ورد الناس إلى الله ورسوله فالناس أحوج ما يكونون إليه، وعُرضت عليه المرتبات والأعطيات فأباها؛ لأنه يعلم أنه إذا أخذت اليد ضعفت مقاومة الباطل واهتز موقف الناصح وهذا هو منهج الإمام أحمد بن حنبل، فقد قيل في ترجمته: أتته الدنيا فأباها، هذا مع انصراف شيخ الإسلام عن أمور الدنيا انصرافاً كلياً، إذ ليس له من المعلوم إلا اليسير، وقد تكفل أخوه شرف الدين بشؤونه، قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ: وهذا يفيد الدرس الآتي وهو عدم اجتماع الضدين فكما أن:

حُبُّ الكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ العِغْنَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

فحب العلم وإشغال القلب والبدن بالمال وجمعه وتنميته والمكاشرة فيه لا يجتمعان، فكلما منحت هذا من جهدك ووقتك ضاع من ذلك، فَلَنْبِكَ عَلَى حَالِنَا؟<sup>(١)</sup>.

(١) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٢٦-٢٧).

أما مواقفه مع الولاة، فقد كانت قوية في النصح، والأمر، والنهي، فمن ذلك مواقفه العظيمة في كسر شوكة الملاحدة، والباطنية كما في وقعة شقحب والكسروان، وموقفه مع غازان حتى وصفت شجاعته بأنها خالدية نسبة إلى سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقد حدث سنة (٦٩٩هـ) أن ملك التتر غازان قدم إلى دمشق، فخرج إليه شيخ الإسلام واجتمع به وكلمه بغلظة، فكف الله يد غازان عنه، وذلك أنه قال لترجمان الملك غازان قل له: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا فغزوتنا، وأبوك وجدك هولاءكو كانا كافرين، وما عملا الذي عملت؛ عاهدا فوفيا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت.

وجرت له مع غازان وقطلو شاه، وبولاي، أمور قام فيها كلها لله، وقال الحق ولم يخش إلا الله، وحضر قضاة دمشق وأعيانها إلى مجلس غازان، فقدم إليهم غازان طعاماً فأكلوا إلا ابن تيمية، فقيل: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه مما قطعتم من أشجار الناس، ثم إن غازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه: اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وجهاداً في سبيلك فأيده وانصره، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر فافعل به واصنع.. يدعو عليه، وغازان يؤمن على دعائه، وقضاة دمشق قد خافوا القتل وجمعوا ثيابهم خوفاً أن يبطش به غازان فيصيبهم من دمه، فلما خرجوا قال قاضي القضاة ابن الصصري لابن تيمية: كدت تهلكنا معك ونحن

ما نصحبك من هنا، فقال: ولا أنا أصحبكم.

وقد سجن بقلعة دمشق في آخر حياته، فبقي يؤلف الكتب، ويرسل الرسائل لأصحابه ويذكر ما فتح الله عليه من العلوم العظيمة والأحوال الجسيمة، فقال: قد فتح الله علي في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثيراً من العلماء يتمنونها وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن، ثم إنه مُنع من الكتابة ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق فأقبل على التلاوة والمناجاة والذكر، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، قال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحمت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة». وكان في القلعة يقول: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير.. ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه، ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليها وقال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورَ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

وكان كثير التعبد ومداومة الذكر والأوراد، لا يشغله عن هذا

شاغل ولا يصرفه صارف، قال ابن القيم: وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إليّ وقال: هذه غدوتي ولو لم أتخذ هذا الغداء لسقطت قوتي، أو كلامًا قريبًا من هذا، وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لِأَسْتَعِدَّ بتلك الراحة لذكر آخر، أو كلامًا هذا معناه.

وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط مع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف وهو مع ذلك كان أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وَأَسْرَهُمْ نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون وضافت بنا الأرض أتيناه؛ فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب عنا ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوةً و يقينًا وطمأنينةً، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. اهـ وكان يقول: أحللت كل من آذاني، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، قال القاضي ابن مخلوف وكان من أعدائه: ما رأينا أتقى من ابن تيمية لم نبق ممكنًا في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا.

كانت وفاته في قلعة دمشق في سحر ليلة الاثنين عشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ)، وقد حُفَّ رحمه الله سبعة عشر يومًا، وقد قبض في الثلث الأخير من الليل، فاجتمع في القلعة خلق كثير من أصحابه يبكون ويثنون، وأخبرهم أخوه زين الدين عبد الرحمن

أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين فانتهيا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وقد اجتمع خلق كثير للصلاة عليه وحزر الرجال بستين ألفاً أو أكثر إلى مائتي ألف، والنساء بخمسة عشر ألفاً، وظهر بذلك قول الإمام أحمد بن حنبل لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز، وقد رئيت له منامات كثيرة صالحة، وصُلِّي عليه صلاة الغائب في غالب بلاد المسلمين القريبة والبعيدة حتى في اليمن، والصين، وأخبر المسافرون أنه نودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم الجمعة (الصلاة على ترجمان القرآن)<sup>(١)</sup>.

رحم الله شيخ الإسلام. وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» للشيخ محمد عزيز شمس، والشيخ علي العمران، بإشراف: الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ.



## ذم البخل

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن الصفات المذمومة التي ذمها الله ورسوله البخل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: ولا يظن الذين يبخلون أي: يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله من المال، والجاه، والعلم.. وغير ذلك مما منحهم الله وأحسن إليهم به وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك وأمسكوه وضمنوا به على عباد الله، وظنوا أنه خير لهم بل هو شر لهم في دينهم، ودنياهم، وعاجلهم، وآجلهم»<sup>(١)</sup>. اهـ

وأشد البخل الشح، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. قال الرازي: الشح هو البخل مع

(١) «تفسير الشيخ ابن سعدي» (ص ١٤١).

حرص<sup>(١)</sup>، روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه:  
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،  
 حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

ويؤيد ذلك ما رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَجْتَمِعُ شُحٌّ، وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»<sup>(٣)</sup>.

وأنواع البخل كثيرة: فمنها بخل بالمال، أو الجسد، أو العلم،  
 أو الجاه، أو السلام، أو الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد وردت بذلك  
 نصوص كثيرة، منها ما رواه البيهقي في شعب الإيمان من حديث  
 أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ  
 عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ، وَإِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ»<sup>(٤)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث حسين بن علي رضي الله عنه: أَنَّ  
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»<sup>(٥)</sup>.

والبخل درجات فأعظمه البخل بالواجبات، والفرائض، مثل  
 البخل بالزكاة، أو النفقة على الأهل، أو الضيافة الواجبة، روى

(١) «مختار الصحاح» (ص ٣٣١).

(٢) جزء من حديث في «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٧٨).

(٣) قطعة من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٤٥٠ / ١٢) (برقم ٧٤٨٠)، وقال محققوه:  
 حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٤) «شعب الإيمان» (٢٢ / ١٣) (برقم ٨٣٩٢)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة  
 الصحيحة» (برقم ٦٠١). وَرَجَّحَ بَعْضُهُمْ وَقْفَهُ.

(٥) «سنن الترمذي» (برقم ٣٥٤٦)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مَثَلٌ لَهُ مَالُهُ سُجَاعًا أَقْرَعٌ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ، يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ، يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قالت هند أم معاوية لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَخَذَ مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِينِي وَبَنِي؟ قَالَ: خُذِي بِالْمَعْرُوفِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي شريح العَدَوِيِّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن قدامة المقدسي: «البخل والسخاء درجات، وأشد درجات البخل أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة إليه، فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل، فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة، وبين من يؤثر على نفسه مع الحاجة، والأخلاق عطايا يضعها الله ﷻ حيث يشاء»<sup>(٤)</sup>. اهـ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٠٣)، و«صحيح مسلم» (برقم ٩٨٧).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٣٧٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧١٤).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠١٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٧).

(٤) «مختصر منهاج القاصدين» (ص ٢٦٥).

الدرجة الثانية: البخل بما يستحب كالبخل بالصدقات، أو إقراض الآخرين، أو الضيافة المستحبة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله ابن مسعود رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ السَّلْفَ يَجْرِي مَجْرَى الصَّدَقَةِ»<sup>(٢)</sup>. وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْبُخْلِ، روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي عنه قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدِّينِ وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء ومدوحهم في شعرهم، وكذلك يتدأمون بالبخل والجبن، ثم قال: ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة، والكرم، بين الله سُبْحَانَهُ أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولى عنه بإنفاق ماله أبدل الله

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٤٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٠١٠).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٦/٧) (برقم ٣٩١١)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٩٣).

به من يقوم بذلك، فقال: ﴿هَاتِمٌ هَتُولَاءٌ تَدْعُونَ لِئُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٣٨) [محمد: ٣٨] (١). اهـ

ومما يدل على مقت البخل وأنه مما ينافي مكارم الأخلاق، ما رواه البخاري في صحيحه من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا هُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمْرَةَ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدُوُّ هَذِهِ الْعِضَاءِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا» (٢).

قال ابن حجر: «وفيه ذم الخصال المذكورة وهي البخل، والكذب، والجبن، وأن إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها» (٣).

وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَكْرَمَ النَّاسِ، فَقَدْ أُعْطِيَ يَوْمَ حُنَيْنِ الْأَقْرَعَ ابْنَ حَابِسٍ وَعَيْينَةَ بْنَ حَصْنٍ أُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، وَلَمَّا جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ أَعْطَاهُ وَادِيًّا مِنَ الْغَنَمِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ

(١) «الاستقامة» (٢/٢٦٣-٢٧٠)، باختصار.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣١٤٨).

(٣) «فتح الباري» (٦/٢٥٤).

وهو يقول: يا قوم أسلموا فإن محمداً يُعطي عطاءً لا يخشى الفاقة<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الجبن والبخل قرينان، فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو الجبن، وإن كان بماله فهو البخل»<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ جَمَاعًا لِمَالِكَ مُمَسِكًا      فَأَنْتَ عَلَيْهِ خَازِنٌ وَأَمِينٌ  
تُوَدِّيهِ مَذْمُومًا إِلَى غَيْرِ حَامِدٍ      فَيَأْكُلُهُ عَفْوًا وَأَنْتَ دَفِينٌ

وقال آخر:

إِذَا جَادَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا      عَلَى النَّاسِ طُرًّا إِنَّهَا تَتَقَلَّبُ  
فَلَا الْجُودُ يُفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ      وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ تَذَهَبُ

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ اللهُ: «عجباً للبخیل المتعجل للفقير الذي منه هرب، والمؤخر للسعة التي إياها طلب، ولعله يموت بين هربه وطلبه، فيكون عيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء، مع أنك لم تر بخيلاً إلا غيره أسعد بماله منه لأنه في الدنيا مهتم بجمعه، وفي الآخرة آثم بمنعه، وغيره آمن في الدنيا من همه، وناج في الآخرة من إثمه»<sup>(٣)</sup>. اهـ

قال حبيش الثقفي: «قعدت مع أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣١٢).

(٢) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص ٨٥).

(٣) «الآداب الشرعية» (٣/٣١٨).

والناس متوافرون فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلاً صالحاً بخيلاً»<sup>(١)</sup>.  
قال الماوردي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قد يحدث عن البخل من الأخلاق  
المذمومة، وإن كان ذريعة إلى كل مذمة، أربعة أخلاق، ناهيك بها  
ذمًّا وهي: الحرص والشره، وسوء الظن، ومنع الحقوق، وإذا آل  
البخيل إلى ما وصفناه من هذه الأخلاق المذمومة، والشيم اللئيمة،  
لم يبقَ معه خير مرجو، ولا صلاح مأمول»<sup>(٢)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «طبقات الحنابلة» (١/١٤٧).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص ١٨٦-١٨٧)، بتصرف.



الكلمة التاسعة والتسعون

فضائل العفو

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن العفو من الأخلاق الجميلة، والصفات الحميدة التي أمر الله بها نبيه وعباده المؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

قال الكفوي: «العفو: كف الضرر مع القدرة عليه<sup>(١)</sup>، وكل من استحق عقوبة وتركها فهذا الترك عفو، والفرق بين الصفح والعفو مع أنهما متقاربان في المعنى فيقال: صفحت عنه أعرضت عن ذنبه وعن تثريبه، إلا أن الصفح أبلغ من العفو، فقد يعفوا الإنسان ولا يصفح، وصفح عنه أوليته صفحة جميلة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَصْفَحْ

(١) «الكليات» (ص ٥٣، ٥٩٨).

عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ [الزخرف: ٨٩]»<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾، هذه الآية نزلت في الصديق رضي الله عنه: حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة، بعدما قال في عائشة، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه شرع تعالى، وله الفضل والمنة يعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثاثة ابن خالة الصديق وكان مسكيناً لا مال له، وقد ولق ولقة تاب الله عليه منها، وضرب الحد عليها، وكان الصديق رضي الله عنه معروفاً بالمعروف، له الفضل والأيدي على الأقارب، والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: كان الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر [ذنب من أذنب] إليك تغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك، فعند ذلك قال الصديق: بلى والله إنا نحبُّ أن تغفر لنا يا ربنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً في مقابلة ما كان، قال: والله لا أنفعه بنافعة أبداً. فلهدا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

(١) «بصائر ذوي التمييز» (٣/٤٢١)، بتصرف.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٠/١٩٨). والحديث في «صحيح البخاري» (برقم ٤٧٥٧).

«دَخَلَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ عَلَى عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

قال الشافعي رحمه الله:

قَالُوا سَكَتَ وَقَدْ خُوصِمْتَ قُلْتُ لَهُمْ  
فَالْعَفْوُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ  
إِنَّ الْأَسْوَدَ لَتُخْشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ  
إِنَّ الْجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحٌ  
وَفِيهِ أَيْضًا لِمَنْ عَرَضَ إِصْلَاحُ  
وَالْكَلْبُ يُحْثَى<sup>(٢)</sup> وَيُرْمَى وَهُوَ نَبَاحٌ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(١٣٣)</sup> الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ  
وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(١٣٤)</sup>  
[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ  
النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا  
عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٦٤٢).

(٢) يُرْمَى بِالْحَصَى.

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٥٨٨).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ النَّاسِ عَفْوًا وَتَسَامِحًا، رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَيَّ رَأْسِي فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلَّتَا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: ثُمَّ لَمْ يَعْاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِزُعَمَاءِ قُرَيْشِ الَّذِينَ آذَوْهُ، وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَلَدِهِ: «اذْهَبُوا فَإِنَّكُمْ الطُّلُقَاءُ»<sup>(٣)</sup>.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمٌ أُحِدِ قُتِلَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَيْنَ كَانَ لَنَا يَوْمٌ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، لَنُرَبِّينَ عَلَيْهِمْ<sup>(٤)</sup>، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ قَالَ رَجُلٌ لَا يُعْرَفُ: لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَمِنَ<sup>(٥)</sup> الْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا، نَاسًا سَمَاهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾<sup>(١٦)</sup>

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٩١٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٨٤٣).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤١٣٥).

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢٧/٤). ورؤي في السيرة.

(٤) لَنُرَبِّينَ: قال السندي: من الإرباء، يُقال: أربى على كذا: إذا زاد عليه، أي: لَنَزِيدَنَّ عَلَى مَا قَتَلُوا مِنَّا.

(٥) أمن: بفتح فكسر من الأمن، أي: الكل آمنون لا يقتل أحد منهم.

[النحل: ١٢٦]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَصْبِرُ وَلَا نُعَاقِبُ» (١).

والعفو من صفاته ﷺ التي وصف بها في التوراة، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ سَأَلَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: أَجَلٌ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا، وَمُبَشِّرًا، وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفِظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ» (٢).

والعفو من صفات الأنبياء السابقين، قال تعالى عن يوسف عليه السلام وهو يخاطب إخوته: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (٣).

والعفو من صفات الصالحين من عباد الله.

ففي عهد الخليفة المعتصم سجن الإمام أحمد بن حنبل

(١) «مسند الإمام أحمد» (١٥٢/٣٥) (برقم ٢١٢٢٩)، وقال محققوه: إسناده حسن.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٢١٢٥).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٩٢).

وضرب بالسياط حتى أُغمي عليه، وسال الدم من جسده، وكان يقول: قد جعلت أبا إسحاق - يعني المعتصم - في حل، وعفا عنه، وسجن الإمام مالك، وضرب بالسياط حتى انخلعت يده من كتفه، فعفا عن ضربه. والمواقف في العفو كثيرة عند التتبع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: **فَلَا أَحَبُّ أَنْ يُتَّصَرَ مِنْ أَحَدٍ بِسَبِّ كَذِبِهِ عَلَيَّ، أَوْ ظُلْمِهِ، وَعُدْوَانِهِ، فَإِنِّي قَدْ أَحَلَلْتُ كُلَّ مُسْلِمٍ، وَأَنَا أَحَبُّ الْخَيْرِ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ، وَأُرِيدُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ الْخَيْرِ مَا أُحِبُّهُ لِنَفْسِي. وَالَّذِينَ كَذَبُوا وَظَلَمُوا فَهُمْ فِي حِلٍّ مِنْ جِهَتِي** (١).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العفو مشروط بالإصلاح، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «يجزيه أجراً عظيماً، وثواباً كبيراً، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته فإنه في هذه الحال لا يكون مأموراً به، وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، كما يحب أن يعفو الله عنه فليعف عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل» (٢). اهـ

ومن وصل إلى هذه الحالة فليحمد الله على هذه النعمة الكبرى، وعلى راحة الضمير، وعلى كثرة ما يجني من الخير.

(١) «الفتاوى» (٥٥/٢٨).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص ٧٢٧).

ويشعر للمسلم أن يكثُر من سؤال الله العفو، روى الترمذي في سننه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ، تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» (١).

قال الشاعر:

يَا رَبِّ إِنْ عَظَمْتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً      فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ  
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ      فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ  
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا      وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

فوائد العفو:

- ١- امتثال أمر الله تعالى.
  - ٢- إزالة ما في النفس من الأحقاد والبغضاء.
  - ٣- راحة النفس، وطمأنينة القلب.
  - ٤- الأجر العظيم من الله تعالى.
  - ٥- الرفع في الدنيا والآخرة.
  - ٦- نشر المحبة والأخوة بين المسلمين.
  - ٧- أنه طريق موصل إلى الجنة.
- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٣٥١٣)، وقال: حديث حسن صحيح.



## مقتطفات من سيرة بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،  
وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة عَلمٍ من أعلام هذه الأمة، وبطلٍ من أبطالها وفارسٍ من فرسانها، ولد رَحِمَهُ اللهُ سنة (٥٣٢هـ)، في تكريت في العراق، وكان خليقًا للإمارة، مهيبًا شجاعًا حازمًا، مجاهدًا كثير الغزو، عالي الهمة، إنه الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي أبو المظفر يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي ابن مروان بن يعقوب الدويني<sup>(١)</sup> ثم التكريتي المولد.

قال الذهبي: «كانت له همّة في إقامة الجهاد، وإبادة الأضداد ما سمع بمثلها في دهر، وكانت له اليد البيضاء، ببذل الأموال، والخيال المثمّنة لجنده، وله عقل جيد، وفهم، وحزم، وعزم، كان نور الدين زنكي قد أمره وبعثه في عسكره إلى مصر مع عمه أسد

(١) دَوِين: بفتح أوله وكسر ثانيه وياء المثناة من تحت ساكنة وآخره نون. بلدة من نواحي أران في آخر حدود أذربيجان بقرب من تفليس. «معجم البلدان للحموي» (٤/٣٢٨).

الدين شيركوه، فحكم شيركوه مصر ثم توفي، فقام بعده صلاح الدين ودانت له العساكر، وقهر بني عبيد ومحي دولتهم، وفي سنة (٥٨٣هـ) فتح طبرية، ونازل عسقلان ثم كانت وقعة حطين بينه وبين الفرنج، وكانوا أربعين ألفاً فحال بينهم وبين الماء على تل وسلموا أنفسهم وأسرت ملوكهم، وبادر فأخذ عكا، وبيروت، وكوكب، وسار فحاصر القدس وَجَدَ فِي ذَلِكَ، فَأَخَذَهَا بِالْأَمَانِ، ثُمَّ إِنَّ الْإِفْرَنْجَ قَامَتْ قِيَامَتُهُمْ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَقْبَلُوا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ بَرًّا وَبَحْرًا، وَأَحَاطُوا بِعَكَا لِيَسْتَرِدُّوَهَا وَطَالَ حَصَارُهُمْ لَهَا وَبَنَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ خَنْدَقًا فَأَحَاطَ بِهِمُ السُّلْطَانُ وَدَامَ الْحَصَارُ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ نَيْفًا وَعِشْرِينَ شَهْرًا، وَجَرَى فِي غَضُونِ ذَلِكَ مَلَا حَمٌ، وَحُرُوبٌ تَشِيبُ لَهَا النُّوَاصِي»<sup>(١)</sup>.

ومن أخباره التي تدل على شدته على الكفار، وغيرته على الإسلام، أنه لما أسر ملوك الأفرنج في معركة حطين، كان قد نذر أن يقتل أرناط وهو صاحب الكرك، فأسره يومئذ وكان قد مر به قوم من مصر في حال الهدنة، فغدر بهم، فناشدوه الصلح، فقال ما فيه استخفاف بالنبي ﷺ وقتلهم، فاستحضر صلاح الدين الملوك، ثم ناول الملك جفري شربة جلاب ثلج، فشرب، فناول أرناط، فشرب، فقال السلطان للترجمان: قل لجفري: أنت الذي سقيته، وإلا أنا فما سقيته، ثم استحضر البرنس أرناط في مجلس آخر وقال: أنا أنتصر لمحمد ﷺ منك، ثم عرض عليه الإسلام فأبى،

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٢٨٠-٢٨١).

فحل كتفه بالنيمجاه<sup>(١)</sup>، وافتتح عامه ما لم يفتحه ملك، وطار صيته في الدنيا، وهابته الملوك.

قال ابن كثير: «كان السلطان صلاح الدين من أشجع الناس وأقواهم قلباً وبدناً مع ما كان يعترى جسمه من الأمراض والأسقام، ولا سيما وهو مرابط مصابر مثابر عند عكا، فإنه كان مع كثرة جموعهم وأمدادهم لا يزيده ذلك إلا قوة وشجاعة، وقد بلغت جموعهم خمسمائة ألف مقاتل ويقال: ستمائة ألف، وكان جملة من قُتل منهم مائة ألف مقاتل، ولما انفصل الحال وتسلموا عكا وقتلوا أكثر من كان بها، وساروا برمتهم نحو بيت المقدس جعل يسايرهم منزلة منزلة ومرحلة مرحلة وجيوشهم أضعاف أضعاف من معه، ومع هذا نصره الله، وخذلهم، وأيده وقتلهم، وسبقهم إلى بيت المقدس فصانه وحماه وشيد بنيانه، ولم يزل بجيشه مقيماً به، يرهبهم، ويرعبهم ويكسرهم، ويأسرهم، حتى تضرعوا إليه وخضعوا لديه ودخلوا عليه أن يصالحهم ويتاركهم وتضع الحرب أوزارها بينهم وبينه، فأجابهم إلى ما سألوا على الوجه الذي أَرادَه لا ما يريدونه، وكان ذلك من جملة الرحمة التي خص بها المؤمنون».

وكان رَحْمَةً سَخِيًّا، كَرِيمًا، حَبِيبًا، ضَحُوكَ الْوَجْه، كَثِيرَ الْبَشْرِ، لا يتضجر من خير يفعله، شديد المصابرة والمثابرة على الخيرات

(١) النيمجاه: خنجر مقوس يشبه السيف القصير وهو معرب نيمجه. «سير أعلام النبلاء» (٢٨٥/٢١).

والطاعات<sup>(١)</sup>.

قال العماد: أطلق في مدة حصار عكا اثني عشر ألف فرس، وما حضر اللقاء إلا استعار فرسًا، نزه المجالس من الهزل، ومحافله أهلة بالفضلاء، حليمًا، مقيلاً للعثرة، تقيًا، نقيًا، وفيًا صفيًا، يُغضي ولا يغضب، ما رد سائلًا ولا خجل قائلًا، كثير البر والصدقات.

قال الموفق عبد اللطيف: أتيت صلاح الدين بالقدس فرأيت ملكًا يملأ العيون روعة، والقلوب محبة قريبًا بعيدًا سهلًا محببًا وأصحابه يتشبهون به، يتسابقون إلى المعروف كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: ٤٧] وأول ليلة حضرته وجدت مجلسه حافلًا بأهل العلم يتذكرون وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويأتي بكل معنى بديع، وكان مهتمًا في بناء سور بيت المقدس وحفر خندقه ويتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ويتأسى به الخلق. اهـ.

وكان السلطان صلاح الدين متقللاً في ملبسه ومأكله ومشربه ومركبه، فلا يلبس إلا القطن والكتان والصوف، ولا يعرف أنه تخطى مكروهاً بعد أن أنعم عليه بالملك بل كان همه الأكيد ومقصوده الأعظم نصر الإسلام وكسر الأعداء اللئام، ويعمل فكره في ذلك ورأيه وحده مع من يثق برأيه ليلاً ونهارًا، سرًا وجهراً، ومع هذه الفضائل والآداب، فقد كان مواظبًا على الصلوات في

(١) «البداية والنهاية» (١٦/٦٥٧-٦٥٨).

أوقاتها جماعة، يقال إنه لم تفتت الجماعة في صلاة قبل وفاته بدهر طويل حتى ولا في مرض موته، بل كان يدخل الإمام فيصلي به، فكان يتجشم القيام مع ضعفه، وكان رقيق القلب سريع الدمعة، وكان يحب سماع القرآن العظيم ويواظب على سماع الحديث حتى إنه سمع في بعض المصافات جزءاً وهو بين الصنفين للقتال وكان يقول: هذا موقف لم يسمع أحد في مثله حديثاً.

قال ابن كثير: «وفي سنة (٥٨٩هـ) اشتد به المرض ثم حصل له عرق شديد بحيث نفذ إلى الأرض، وعندما ظهرت مخايل الضعف الشديد وغيوبة الذهن في بعض الأوقات استدعى الشيخ أبا جعفر إمام الكلاسة ليبيت عنده يقرأ القرآن ويلقنه الشهادة إذا جد به الأمر، فذكر أنه كان يقرأ عنده وهو في غمرات الموت: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: ٢٢] فقال: وهو كذلك صحيح، فلما أذن الصبح جاء القاضي الفاضل فدخل عليه وهو في آخر رمق، فلما قرأ القارئ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة: ١٢٩] تبسم، وتهلل وجهه وأسلم روحه إلى ربه، ومات رَحِمَهُ اللَّهُ وأكرمه وجعل جنة الفردوس مأواه، وكان له من العمر سبع وخمسون سنة، فقد كان رداءً للإسلام، وحرزاً وكهفًا من كيد الكفرة اللئام، وكان أهل دمشق لم يصابوا بمثل مصابه، وود كل منهم لو فداه بأولاده وأحبابه وأصحابه، وغلقت الأسواق، وأخذ الناس في البكاء»<sup>(١)</sup>.

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٦/٦٥١-٦٥٢).

وكانت وفاته بقلعة دمشق بعد الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمس مئة، قال الذهبي: فوجد الناس عليه شبيهاً بما يجدونه على الأنبياء، وما رأيت ملكاً حزن الناس لموته سواه، لأنه كان محبباً، يحبه البر والفاجر، والمسلم والكافر، ولقد صدق العماد في مدحه حيث يقول:

وَلِلنَّاسِ بِالمَلِكِ النَّاصِرِ الصَّلَا حِ صَالِحٌ وَنَصْرٌ كَبِيرٌ  
هُوَ الشَّمْسُ أَفلاكُهُ فِي البِلا دِ وَمَطْلَعُهُ سَرْجُهُ وَالسَّرِيرُ  
إِذَا مَا سَطَا أَوْ حَبَا وَاحْتَبَى فَمَا اللَّيْثُ مِنْ حَاتِمٍ مَا ثَبِيرٌ<sup>(١)</sup>

قال العماد وغيره: لم يترك في خزانته من الذهب سوى دينار واحد، وستة وثلاثين درهماً، وقال غيره: سبعة وأربعين ديناراً، ولم يترك داراً ولا عقاراً، ولا مزرعة، ولا بستاناً، ولا شيئاً من أنواع الأملاك، وإنما لم يخلف أموالاً، ولا أملاكاً لكثرة عطايه وهباته وصدقاته وإحسانه إلى أمرائه ووزرائه وأوليائه حتى إلى أعدائه.

وكتب القاضي الفاضل تعزية إلى صاحب حلب ابن صلاح الدين الأيوبي: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> كتبت إلى مولانا الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف من السلف في الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزلاً شديداً، وقد حضرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/٢٨٣).

الحناجر، وقد ودعت أباك مخدومي وداعاً لا تلاقِي بعده، وَقَبَّلْتُ  
وَجْهَهُ عَنِّي وَعَنْكَ وَأَسَلَمْتَهُ إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ مَغْلُوبَ الْحَيْلَةِ، ضَعِيفَ  
الْقُوَّةِ، رَاضِياً عَنِ اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَبِالْبَابِ مِنْ  
الْجُنُودِ الْمَجْنُودَةِ وَالْأَسْلِحَةِ الْمَغْمُودَةِ مَا لَمْ يَدْفَعِ الْبَلَاءَ وَلَا مَا يَرُدُّ  
الْقَضَاءَ، تَدْمَعُ الْعَيْنَ، يَخْشَعُ الْقَلْبَ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضِي الرَّبَّ:  
وإنا على فراقك يا يوسف (صلاح الدين) لمحزونون»<sup>(١)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سير أعلام النبلاء» (٢١/٢٧٨-٢٩٠)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٦/٦٥١-٦٥٨).



الكلمة الواحدة بعد المائة

من أسماء الله الحسنى  
الغافر - الغفار - الغفور

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

ومن أسمائه تعالى: (الغافر - الغفار - الغفور)، وقد أخبرنا ربنا تعالى أنه غافر الذنوب، وغفارها، وغفورها، كما قال رضي الله عنه: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [غافر: ٣]. وقال تعالى فيما حكاه عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال بعضهم قد سمي الله نفسه بالغفور في إحدى وتسعين آية، وأما اسمه الغفار فقد جاء في خمس آيات، فعلم أن ورود الغفور في القرآن أكثر بكثير من الغفار، والغفار أبلغ من الغفور، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ

الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]. أما الغفار ففي قوله تَعَالَى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَرُ﴾ ﴿٦٦﴾ [ص: ٦٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿١٠﴾ [نوح: ١٠].

وأما الغافر فقد ورد مرة واحدة في القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

قال الزجاج: معنى الغفر في حق الله سُبْحَانَهُ: هو الذي يستر ذنوب عباده، ويغطيهم بستره<sup>(١)</sup>، وقال الحلبي: الغافر هو الذي يستر على المذنب، ولا يؤاخذة فيشهره ويفضحه، وأما الغفور فهو الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته<sup>(٢)</sup>.

ومن كرم الله، وعظيم مغفرته قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣]. قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيا لها من بشارة تروح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط، الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاضمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو، الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما علل به سُبْحَانَهُ هذا الكلام قائلاً: إنه هو الغفور الرحيم، أي كثير المغفرة، والرحمة

(١) «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص ٣٨).

(٢) «المنهاج» (١/١٠٢).

عظيمهما بليغهما واسعهما، ومن أبى هذا الفضل العظيم والعطاء الجسيم، وظن أن تقنيط عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط، وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير وعدم التقنيط هو الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسوله ﷺ<sup>(١)</sup>.

ومن آثار الإيمان بهذه الأسماء العظيمة:

أولاً: وصف الله ﷻ نفسه بأنه غفار، وغفور للذنوب والخطايا صغيرها، وكبيرها، حتى الشرك إذا تاب منه الإنسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

فمهما عظمت ذنوب العبد فإن مغفرة الله أعظم منها، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [النجم: ٣٢]. روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أزالُ أَعْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ:

(١) «فتح البيان» (١٢/١٢٨).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١٧/٣٣٧) (برقم ١١٢٣٧)، وقال محققوه: حديث حسن.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لِأَنِّي تَكُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

وَهُوَ الْغَفُورُ فَلَوْ أُتِيَ بِقُرَابِهَا مِنْ غَيْرِ شَرِكٍ بَلْ مِنَ الْعِصْيَانِ  
لَأَتَاهُ بِالْغُفْرَانِ مِلءَ قُرَابِهَا سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ

بل إن الله من فضله وكرمه يبدل سيئات العبد إلى حسنات إذا صدق في توبته، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٠) [الفرقان: ٧٠].

ثانيًا: لا يجوز للمسلم أن يتساهل بالمعاصي والذنوب بحجة أن الله غفور رحيم، فالمغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (٣٥) [الإسراء: ٢٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٢) [طه: ٨٢]. فاشترط **تَوَابًا** تغيير الحال من عمل السيئات إلى عمل الصالحات لكي تحصل المغفرة.

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٣٥٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٧٥/٣) (برقم ٢٨٠٥).

ثالثاً: إذا علم المؤمن أن الله غفور رحيم، فإنه يشرع له أن يحرص على فعل مكفرات الذنوب وهي الأقوال، والأعمال التي شرعها الله في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ حتى تكفر عنه الخطايا والسيئات.

رابعاً: أنه يشرع للمؤمن أن يكثر من الاستغفار حتى تحصل له المغفرة التي وعد الله بها المستغفرين، والنبى ﷺ كان يستغفر الله في جميع الأحوال، ومن تلك الصيغ ما رواه أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»<sup>(١)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث زيد مولى النبي ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الزَّحْفِ»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو داود في سننه من حديث محجن بن الأدرع رضي الله عنه قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ

(١) «سنن أبي داود» (برقم ١٥١٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢٨٣/١) (برقم ١٣٤٢).

(٢) «سنن أبي داود» (برقم ١٥١٧)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٨٣/١) (برقم ١٣٤٣).

أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ: فَقَالَ: قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ ثَلَاثًا» (١)(٢).  
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سنن أبي داود» (برقم ٩٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (برقم ٨٦٩).

(٢) انظر: «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (١/١٧٥-١٨٠).

الكلمة الثانية بعد المئة

من آداب اللباس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فاللباس نعمة عظيمة من نعم الله الكثيرة على عباده، لستر العورات ووقاية من الحر والبرد وسائر الآفات، وقد وردت النصوص الشرعية بأحكامه مفصلة مبينة، وبينت القدر الواجب ستره، والمستحب من اللباس والمحرم، والمكروه، والمباح مقدارًا وكيفية.

وقد ذكر أهل العلم آداب اللباس في كتبهم والأدلة على ذلك فمنها:

وجوب ستر العورة؛ وهي ما يجب تغطيته ويقبح ظهوره، ويستحيا منه، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنَئِ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكُمُ﴾ [الأعراف: ٢٦]. فتغطيته باللباس أمر واجب، وحد عورة الرجل الذكر: من السرة إلى الركبة، لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حَدِيثِ جَرَاهِدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ وَقَدْ كَشَفَ عَن فَخِذِهِ، فَقَالَ: «يَا جَرَاهِدُ! غَطِّ فَخِذَكَ، فَإِنَّ الْفَخِذَ عَوْرَةٌ»<sup>(١)</sup>. قَالَ

(١) أخرجه البخاري معلقًا، ورواه مالك والترمذي وأحمد، وقال محققو المسند (٢٨٠/٢٥) (برقم ١٥٩٣٢): حسن بشواهده.

البخاري بعد ذكر الخلاف في المسألة: حديث جرهد أحوط<sup>(١)</sup>.  
 أما المرأة: فقد وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ»<sup>(٢)</sup>،  
 وقد تقدم التفصيل في كلمة خاصة بلباس المرأة.

ومنها الابتعاد عن اللباس الرقيق الذي يصف بياض الجلد،  
 وسواده وحمرة والذي يصف الخلقة أي الحجم لرجل وامرأة، قال  
 ابن تميم: يكره الثوب الرقيق إذا وصف البدن<sup>(٣)</sup>، قال المروزي:  
 أمروني في منزل أبي عبد الله أن أشتري لهم ثوبًا، فقال: لا يكون  
 رقيقًا أكره الرقيق للحي والميت، فإن الفخذ عورة<sup>(٤)</sup>.

ومنها: ألا يتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال.

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما قَالَ:  
 لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ  
 مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ<sup>(٥)</sup>.

ومنها: تحريم الإسبال للرجال، سواءً كان ما يلبس إزارًا  
 أو ثوبًا أو بشتًا أو سراويل أو قميصًا، روى أبو داود في سننه  
 من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الإِسْبَالُ فِي الإِزَارِ،

(١) «فتح الباري» (١/٤٧٨).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ١١٧٣)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢/٩٣٣) (برقم ٣١٠٩).

(٣) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ٤٣٧).

(٤) نفس المصدر (ص ٤٣٧).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٥٨٨٥).

وَالْقَمِيصِ، وَالْعِمَامَةِ، مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خُيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً:  
«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَأَيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ  
الْمَخِيلَةِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ» (٢).

وظاهره أن مجرد الإسبال يستلزم الخيلاء ولو لم يقصد  
اللابس ذلك، وقد ورد الوعيد الشديد لمن أسبل إزاره تحت  
الكعبين، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:  
«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ» (٣).

ومنها تحريم ارتداء الملابس التي عليها صلبان، أو تصاوير،  
روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّهَا  
اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَأَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ  
فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ  
إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ  
هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٠٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»  
(٧٧١/٢) (برقم ٣٤٥٠).

(٢) جزء من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٢٣٨/٣٤) (برقم ٢٠٦٣٥)، وقال محققوه:  
حديث صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥٧٨٧).

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»، وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في صحيحه من حديثِ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيْبٌ إِلَّا نَقَضَهُ<sup>(٢)</sup>.

قال الحجاوي: «فإذا منع من نصبه ستراً على الحائط وتعليقه فلأن يكون ممنوعاً لبسه أولى، لأن ذلك أكثر إكراماً، وهذا أحد الوجهين في التحريم»<sup>(٣)</sup>.

ومنها تحريم لباس الشهرة، روى الإمام أحمد في مسنده من حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

قال الحجاوي: «لأنه يزري بصاحبه وينقص مروءته، وفي الغنية من اللباس المنزه عنه: كل لبسة يكون بها مشتهداً بين الناس كالخروج عن عادة أهل بلده، وعشيرته فينبغي أن يلبس ما يلبسون، لئلا يشار إليه بالأصابع ويكون ذلك سبباً إلى حملهم على غيبتهم له فيشركهم في إثم الغيبة له»<sup>(٥)</sup>.

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٥٩٦١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢١٠٧).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٩٥٢).

(٣) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ٤٤٠-٤٤١).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٤٧٦/٩) (برقم ٥٦٦٤)، وقال محققوه: حديث حسن.

(٥) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ٤٣٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وتكره الشهرة من الثياب وهو الترفع الخارج عن العادة، والمنخفض الخارج عن العادة، فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين المرتفع والمنخفض»<sup>(١)</sup>. اهـ  
قال ابن عبد البر: «كان يقال: كل من الطعام ما اشتهيت، والبس من الثياب ما انتهى الناس»<sup>(٢)</sup>. قال الشاعر:

إِنَّ الْعُيُونَ رَمَتْكَ مُذْ فَاجَأَتْهَا وَعَلَيْكَ مِنْ شَهْرِ الثِّيَابِ لِبَاسُ  
أَمَّا الطَّعَامُ فَكُلْ لِنَفْسِكَ مَا اشْتَهَتْ وَاجْعَلْ لِبَاسِكَ مَا اشْتَهَاهُ النَّاسُ

ومنها: تحريم الذهب والحريز على الرجال إلا لعذر، روى أبو داود في سننه من حديث عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: أن السنة التيامن عند لبس اللباس، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيْمُنُ فِي طُهُورِهِ وَتَرْجُلِهِ وَتَنْعُلِهِ<sup>(٤)</sup>.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه قاعدة مستمرة في الشرع وهي أن ما كان من باب التكريم والتشريف كلبس الثوب، والسراويل،

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣٨/٢٢).

(٢) «شرح منظومة الآداب الشرعية» للحجاوي (ص ٤٣٣).

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٤٠٥٧)، وصححه الألباني في صحيح «سنن أبي داود» (برقم ٣٤٢٢).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٥٨٤٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٨).

والخف، وغير ذلك مما هو في معناه، يستحب التيامن فيه وذلك كله لكرامة اليمين وشرفها»<sup>(١)</sup>. اهـ

ومنها: أن السنة عند لبس الجديد أن يقول الدعاء الوارد في ذلك: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها استحباب لبس البياض، روى أبو داود في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا خَيْرُ ثِيَابِكُمْ، وَكَفُّنَا فِيهَا مَوْتَاكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

ومنها النهي عن لبس الثوب المعصفر وهو المصبوغ بعصفر، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه قَالَ: رَأَى النَّبِيَّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعْصَفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن حجر في فتح الباري بعدما ذكر أقوال أهل العلم في لبس الثوب الأحمر: «والتحقيق في هذا المقام: أن النهي عن لبس الأحمر إن كان من أجل أنه لبس الكفار، فالقول فيه كالقول في

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١/١٦٠)، بتصرف.

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ١٧٦٧)، وصححه الألباني في صحيح «سنن الترمذي» (برقم ١٤٤٦).

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٤٠٦١)، وصححه الألباني في صحيح «سنن أبي داود» (٧٦٦/٢) (برقم ٣٤٢٦).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ٢٠٧٧).

الميثرة الحمراء<sup>(١)</sup>، وإن كان من أجل أنه زي النساء فهو راجع إلى الزجر عن التشبه بالنساء فيكون النهي عنه لا لذاته، وإن كان من أجل الشهرة، أو حرم المروءة فيمنع حيث يقع ذلك، وإلا فيقوى ما ذهب إليه مالك من التفرقة بين المحافل والبيوت<sup>(٢)</sup>.

ومنها استحباب إظهار النعمة في الملبس ونحوه، روى أبو داود في سننه من حديث أبي الأحوص عن أبيه رضي عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوبٍ دون، فقال: «ألك مال؟» قال: نعم، قال: «من أي المال؟» قال: قد آتاني الله من الإبل، والغنم، والخيل، والرقيق، قال: «فإذا آتاك الله مالا فليُرْ أثرُ نعمةِ الله عليك وكرامته»<sup>(٣)</sup>.

ومنها الطيب، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه، فقد روى النسائي في سننه من حديث أنس رضي عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ»<sup>(٤)</sup>. وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرُدُّ الطيب<sup>(٥)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) يشير بذلك إلى حديث البخاري في النهي عن المياثر الحمراء.

(٢) «فتح الباري» (٣٠٦/١٠).

(٣) «سنن أبي داود» (برقم ٤٠٦٣)، وصححه الألباني في صحيح «سنن أبي داود» (برقم ٣٤٢٨).

(٤) «سنن النسائي» (٣٩٣٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (برقم ٣٦٨٠).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٢٥٨٢).



## خطر الرشوة

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الرشوة من الأمور المنكرة التي ابتليت بها مجتمعات المسلمين وهي مرض عضال، وداء خطير، يفسد المجتمعات، ويضيع الحقوق، ويخل بالأمانة وهي كبيرة من كبائر الذنوب، قال الله تعالى في ذم اليهود: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، والرشوة: من السحت كما فسر الآية ابن مسعود وغيره<sup>(١)</sup>. روى الترمذي في سننه من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ<sup>(٢)</sup>. واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله.

قال الجرجاني: «الرشوة ما يُعطى لإبطال حق، أو إحقاق باطل»<sup>(٣)</sup>. قال الذهبي: الكبيرة الثانية والثلاثون: أخذ الرشوة

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ٤٨٥).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ١٣٣٧)، وقال: حسن صحيح.

(٣) «التعريفات» للجرجاني (ص ١٤٨)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي (ص ٣٦٥).

على الحكم، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال الذهبي: «لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام: أي: لا تصانعوهم بها، ولا ترشوهم ليقطعوا لكم حقاً لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم».

وبعد أن ذكر الأحاديث الدالة على التحريم، قال: إنما تلحق اللعنة الراشي إذا قصد بها أذية مسلم، أو ينال بها ما لا يستحق، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له، أو ليدفع عن نفسه ظلماً، فإنه غير داخل في اللعنة، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام، أبطل بها حقاً، أو دفع بها ظلماً، والرائش: هو الوسيط بالرشوة، تابع للراشي في قصده إن قصد خيراً لم تلحقه اللعنة، وإلا لحقته<sup>(١)</sup>. اهـ

وصور الرشوة كثيرة، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فمنها أنها تكون في الحكم فيُقضى من أجلها لمن لا يستحق، أو يمنع من يستحق، أو يُقدَّم مَنْ غَيْرُهُ أَحَقُّ بالتقديم، وتكون الرشوة في تنفيذ الحكم فيتهاون من عليه تنفيذه بتنفيذه من أجل الرشوة سواء كان ذلك بالتراضي في التنفيذ، أو بعمل ما يحول بين المحكوم عليه وألم العقوبة إن كان الحكم عقوبة، والرشوة تكون في الوظائف والمسابقة فيها فيُقدَّم من أجلها من لا ينجح، أو تُعطى له الأسئلة

(١) «الكبائر» للذهبي (ص ١٣١)، بتصرف.

قبل الامتحان فيؤلى الوظيفة من غيره أحق منه، وأغرب من ذلك أن تدخل الرشوة في التعليم والثقافة، فينجح من أجلها من لا يستحق النجاح، أو تقدم له أسئلة الامتحان، أو يشار إلى أماكنها من المقررات أو يتساهل المراقب في مراقبة الطالب من أجلها، فيتقدم هذا الطالب مع ضعف مستواه العلمي ويتأخر من هو أحق منه لقوة مستواه العلمي، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧].

قال جمع من المفسرين: الأمانة كل ما ائتمن عليه المؤمن، ومن الأمانة أن يولى الأجر والأحق بالوظيفة. اهـ

والرشوة تكون في تنفيذ المشاريع فحينما يأتي مشروع، وتعمل مناقصة فيدفع أحدهم رشوة فيحصل على هذا المشروع مع أن غيره أتقن منه عملاً وأقل سعراً، والرشوة تكون في التحقيقات الجنائية، أو الحوادث، أو غيرها فيتساهل المحققون في التحقيق من أجل الرشوة<sup>(١)</sup> اهـ، أو يُعين مسئول في موقع ما فيأخذ هدية مقابل أن يسهل على صاحبها بعض الأمور، أو يقدمه على غيره، أو يعفيه من بعض الالتزامات، أو غير ذلك، وهذا غلول ورشوة.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسد يقال له: ابن اللببية على صدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي

(١) «الضيء اللامع من الخطب الجوامع» (٤/ ٤٤٥-٤٤٦)، بتصرف.

لي، فقام النبي ﷺ على المنبر، قال سُفْيَانُ أَيْضًا: فَصَعِدَ الْمُنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ وَهَذَا لِي، فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خَوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتِي إِبْطِيهِ؛ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ثَلَاثًا» (١).

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيُخْرِصَ نَخْلَ يَهُودِ خَيْبَرَ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ شَكُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِدَّةَ خَرْصِهِ وَأَرَادُوا أَنْ يَرشُوهُ فَقَالَ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ أَتَطْعُمُونِي السُّحْتِ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا أَنْتُمْ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ، وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَنْ لَا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: بِهِذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ. (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَفَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا كَانُوا، وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ، فَخَرَصَهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، أَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَبْتُمْ عَلَى اللَّهِ، وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسَقٍ مِنْ تَمْرٍ،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٧١٧٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٨٣٢).

(٢) «صحيح السيرة النبوية» للشيخ إبراهيم العلي (ص ٤٥٠).

فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِي، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَدْ أَخَذْنَا، فَأَخْرَجُوا عَنَّا<sup>(١)</sup>.

وتأمل هذا الحديث الذي تفرع لهوله القلوب، وتشيب منه الرؤوس، وترتعد منه الفرائص، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أم حبيبة بنت العرْبَاضِ عَنِ أَبِيهَا رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَأْخُذُ الْوَبْرَةَ مِنْ فِيءِ اللَّهِ رضي الله عنه، فيقول: «مَا لِي مِنْ هَذَا إِلَّا مِثْلُ مَا لِأَحَدِكُمْ إِلَّا الْخُمْسَ، وَهُوَ مَرْدُودٌ فِيكُمْ، فَأَدُّوا الْحَيْطَ وَالْمَخِيطَ فَمَا فَوْقَهُمَا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُولَ، فَإِنَّهُ عَارٌّ وَشَنَارٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

والواجب أن لا يُعطى المرتشي شيئاً فهو يأخذ أجرة من بيت المال وهو أمين على عمله، وقد وضع لخدمة الناس، وإعطائه الرشوة من التعاون على الإثم والعدوان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. ومن صورها: أن تكون على شكل هدية في الظاهر وهي رشوة كموظف يُهدي لرئيسه من أجل ترقيته، أو محاباته على حساب العمل، أو طالب يهدي لمعلمه من أجل إنجاحه، وأهل البلد يهدون لقاضيهم من أجل الحكم لهم<sup>(٣)</sup>.

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٣/ ٢١٠) (برقم ١٤٩٥٣)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٨/ ٣٨٥) (برقم ١٧١٥٤)، وقال محققوه: حديث حسن لغيره.

(٣) «حصاد المحابر من خطب المنابر» للشيخ سعد الحجري (ص ٦٨٧-٦٨٨).

والرشوة من صفات اليهود والنصارى، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤]. والأحبار علماء اليهود، والرهبان عباد النصارى.

من مفسد الرشوة:

أولاً: أنها مال سحت على صاحبها لا بركة فيه، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أنها إفساد للمجتمع حكماً ومحكومين.

ثالثاً: تبطل حقوق الضعفاء وتنشر الظلم.

رابعاً: الراشي والمرتشي كلهم ملعونون عند الله ورسوله.

خامساً: الرشوة في تولي القضاء، والوظائف العامة، تفسد المجتمع وتنشر الفساد.

سادساً: الرشوة في أمور الجند تجعل الكفاءة فيهم غير معتبرة، ويؤول الأمر إلى أن يتولى الدفاع عن البلاد من هم غير أهل لذلك فتحقيق بهم الهزيمة ويلحق العار البلاد بأسرها.

سابعاً: أن الرشوة إذا فشت في جهة من الجهات انتشرت في بقية الجهات، وصار على من عمل بها أولاً وزرها ووزر من عمل

(١) قطعة من حديث في «مسند الإمام أحمد» (٤٢٥/٢٣) (برقم ١٥٢٨٤)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

الذِّكْرُ الْمُنْقَطِعُ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُلْقَاةِ ٧٠٧

بها مقتدياً به إلى يوم القيامة.

ثامناً: فقد الأمانة، وفشو الخيانة فلا يأمن الإنسان على نفسه،  
ولا ماله، ولا أهله.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.





الكلمة الرابعة بعد المئة

مقتطفات من سيرة ترجمان القرآن  
عبد الله بن عباس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وإمام من أئمة المسلمين، صحابي جليل من أصحاب النبي ﷺ، نقتبس من سيرته العطرة الدروس والعبر.

وُلِدَ ﷺ بِشَعْبِ بَنِي هَاشِمٍ<sup>(١)</sup> قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَتُوفِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَقِيلَ خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً، كَانَ وَسِيمًا جَمِيلًا، مَدِيدَ الْقَامَةِ، مَهِيْبًا، كَامِلَ الْعَقْلِ، زَكِي النَّفْسِ، مِنْ رِجَالِ الْكَمَالِ، وَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»، وَقَدْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ شَهْرًا، وَرَوَى عَنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا، وَلَهُ مَفْرَدَاتٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ لِاتْسَاعِ عِلْمِهِ، وَكَثْرَةِ فَهْمِهِ، وَكَمَالِ عَقْلِهِ، وَسِعَةِ فَضْلِهِ، وَنَبْلِ أَصْلِهِ، وَلَهُ قَرَابَةٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ، إِنَّهُ تَرْجِمَانُ الْقُرْآنِ وَحِبْرُ هَذِهِ

(١) وهو الشعب الذي آوى إليه رسول الله ﷺ وبنو هاشم، لما تحالفت قريش على بني هاشم.

الأمة والمفسر لكتاب الله، فقيه العصر أبو العباس عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، وهو والد الخلفاء العباسيين، وهو أحد إخوة عشرة ذكور للعباس من أم الفضل وهو آخرهم مولدًا، وقد مات كل واحد منهم في بلد بعيد من الآخر جدًا.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي أَوْ عَلَى مَنْكِبِي، - شَكَ سَعِيدٌ - ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: هَلُمَّ فَلِنَسْأَلِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: يَا عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! أَتَرَى النَّاسَ يَفْتَقِرُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ فِيهِمْ؟ قَالَ: فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ أَنَا أَسْأَلُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ كَانَ لِيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِي بَابَهُ وَهُوَ قَائِلٌ، فَاتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ تَسْفِي الرِّيحَ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ، فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، مَا جَاءَ بِكَ؟ هَلَّا أُرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتَيْكَ؟ فَأَقُولُ: لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتَيْكَ. قَالَ: فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ. قَالَ: فَعَاشَ هَذَا الرَّجُلُ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٢٥/٤) (برقم ٢٣٩٧)، وقال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم.

رَأَيْتُ وَقَدْ اجْتَمَعَ حَوْلِي النَّاسُ يَسْأَلُونِي، فَيَقُولُ: هَذَا الْفَتَى كَانَ  
أَعْقَلَ مِنِّي (١).

وَتَبَّتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ  
أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ (٢)، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: أَنَّهُ تَلَا: ﴿إِلَّا  
الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: ٩٨]، قَالَ: كُنْتُ أَنَا  
وَأُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ (٣).

وهاجر مع أبيه قبل الفتح فاتفق لقياهما النبي صلى الله عليه وسلم بالجحفة  
وهو ذاهب لفتح مكة فشهد الفتح وحنيناً والطائف عام ثمان  
وقيل: كان في سنة تسع وحجة الوداع سنة عشر، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم  
من حينئذ ولزمه، وأخذ عنه وحفظ، وضبط الأقوال، والأفعال،  
والأحوال، وأخذ عن الصحابة علماً عظيماً مع الفهم الثاقب،  
والبلاغة، والفصاحة، والجمال والملاحة، والأصالة، والبيان (٤).

روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ:  
«كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ،  
فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلِهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ  
عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيَ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ  
إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ

(١) «البدية والنهاية» لابن كثير (١٢/٨٦).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٤٥٨٧).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٤٥٨٨).

(٤) «البدية والنهاية» لابن كثير (١٢/٨١).

اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَلِكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿١﴾، وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٣﴾، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ ﴿١﴾.

وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ لِعُمَرَ: أَلَا تَدْعُو أَبْنَاءَنَا كَمَا تَدْعُو ابْنَ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: ذَاكُمْ فَتَى الْكُھُولِ؛ إِنَّ لَهُ لِسَانًا سَوْوَلًا، وَقَلْبًا عَقُولًا ﴿٢﴾.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ لِي أَبُو الْعَبَّاسِ: يَا بُنَيَّ! إِنَّ عُمَرَ يُدْنِيكَ، فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثًا: لَا تُفْشِينَنَّ لَهُ سِرًّا، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِبًا ﴿٣﴾. قَالَ الشَّعْبِيُّ: قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ: كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ.

قال ابن كثير: وقد استنابه علي على البصرة، وأقام للناس الحج في بعض السنين فخطب بهم في عرفات خطبة، وفسر فيها سورة البقرة، وفي رواية سورة النور، قال من سمعه: فسر ذلك تفسيراً لو سمعته الروم، والترك، والديلم لأسلموا، ويقول عن نفسه: إِنَّ كُنْتُ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٤٩٧٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٤٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٤٦).

لَأَسْأَلَ عَنِ الْأَمْرِ الْوَاحِدِ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ (١).

قال طاووس: ما رأيت أحداً أشد تعظيماً لحرمان الله من ابن عباس، وقال أبو رجاء: رأيت ابن عباس، وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء.

قال الواقدي: حدثني داود بن جبير قال: سمعت ابن المسيب يقول: ابن عباس أعلم الناس، وحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كان ابن عباس قد فات الناس بخصال، بعلم من سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم، ونسب، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي ﷺ منه، ولا بقضاء أبي بكر، وعمر، وعثمان منه، ولا أفضه في رأي منه ولا أعلم بشعر ولا عربية، ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ولا أعلم بما مضى ولا أثبت رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً، ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، وما رأيت عالماً جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قط سألته إلا وجد عنده علماً، قال: وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً.

وقال مجاهد: كان ابن عباس يُسَمَّى البحر لكثرة علمه، وقال عطاء: ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر فقهاً، ولا أعظم هيبة، أصحاب القرآن يسألونه، وأصحاب العربية يسألونه،

(١) «البداية والنهاية» (١٢ / ٩٠).

وأصحاب الشعر عنده يسألونه، فكلهم يصدر في واد واسع.

وقال مغيرة عن الشعبي: قيل لابن عباس: إني أصبت هذا العلم قال: بلسان سئول، وقلب عقول.

ومن أقواله ووصاياه العظيمة رضي الله عنه: أن رجلاً يقال له: جندب؛ قال له: أوصني، قال: أوصيك بتوحيد الله، والعمل له وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإن كل خير أنت آتية بعد ذلك مقبول، وإلى الله مرفوع، إنك لن تزداد من يومك إلا قرباً، فصل صلاة مؤدع، وأصبح في الدنيا كأنك غريبٌ مسافرٌ فإتك من أهل القبور، وأبك على ذنبك، وثب من خطيئتك، ولتكن الدنيا أهون عليك من شسع نعلك، وكان قد فارقتها وصدرت إلى عدل الله، ولن تنتفع بما خلفت، ولن ينفعك إلا عملك.

وقال بعضهم: أوصى ابن عباس بكلماتٍ خيرٍ من الخيل الذهب<sup>(١)</sup>، قال: لا تكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موضعاً، ولا تمارين سفيهاً، ولا حليماً فإن الحليم يغلبك، والسفيه يزدريك، ولا تذكرن أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تُحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزي بالإحسان، مأخوذ بالإجرام. فقال رجل عنده: يا ابن عباس، هذا خيرٌ من عشرة آلاف، فقال ابن عباس: كلمةٌ منه خيرٌ من عشرة آلاف.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: تمام المعروف تعجيله وتصغيره وستره،

(١) خيل دهم وجيش دهم، يعني: كثير.

يَعْنِي: أَنْ تُعَجِّلَ الْعَطِيَّةَ لِلْمُعْطَى، وَأَنْ تَصْغُرَ فِي عَيْنِ الْمُعْطِي، وَأَنْ تَسْتُرَهَا عَنِ النَّاسِ فَلَا تُظْهِرُهَا؛ فَإِنَّ فِي إِظْهَارِهَا فَتْحَ بَابِ الرِّيَاءِ، وَكَسَرَ قَلْبِ الْمُعْطَى، وَاسْتِحْيَاءَهُ مِنَ النَّاسِ.

وَقَالَ: أَعَزُّ النَّاسِ عَلَيَّ جَلِيسٌ لَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ لَا يَقَعَ الذُّبَابُ عَلَيَّ وَجْهَهُ لَفَعَلْتُ، وَقَالَ أَيضًا: لَا يُكَافِي مَنْ أَتَانِي يَطْلُبُ حَاجَةً فَرَأَنِي لَهَا مَوْضِعًا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَا رَجُلٌ بَدَأَنِي بِالسَّلَامِ، أَوْ أَوْسَعَ لِي فِي مَجْلِسٍ، أَوْ قَامَ لِي عَنِ الْمَجْلِسِ، أَوْ رَجُلٌ سَقَانِي شَرْبَةَ مَاءٍ عَلَيَّ ظَمًا، أَوْ رَجُلٌ حَفِظَنِي بِظَهْرِ الْغَيْبِ.

قال عبد الله بن بريدة: شتم رجل ابن عباس فقال: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال: إنني لآتي على الآية من كتاب الله فلوددت أن الناس علموا منها مثل الذي أعلم، وإنني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل، فأفرح به، ولعلي لا أقاضي إليه أبدًا، وإنني لأسمع بالغيث يصب الأرض من أرض المسلمين فأفرح به، وما لي بها من سائمة أبدًا.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقَّهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]؟ فَقَالَ: كَانَتِ السَّمَاءُ رَتْقًا لَا تُمَطَّرُ، وَالْأَرْضُ رَتْقًا لَا تُنْبِتُ، فَفَتَقَ هَذِهِ بِالْمَطَرِ، وَهَذِهِ بِالنَّبَاتِ.

وَقَدْ أُصِيبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ فَنَحَلَ جِسْمَهُ، فَلَمَّا أُصِيبَتِ الْأُخْرَى عَادَ إِلَيْهِ لَحْمُهُ فَقِيلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَصَابَنِي مَا رَأَيْتُمْ فِي الْأُولَى

شَفَقَةً عَلَى الْأُخْرَى، فَلَمَّا ذَهَبَتَا اطمأنَّ قَلْبِي.

رَوَى عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّهُ وَقَعَ فِي عَيْنِهِ الْمَاءُ، فَقِيلَ لَهُ: نَنْزِعُ مِنْ عَيْنِكَ الْمَاءَ، عَلَى أَنَّكَ لَا تُصَلِّي سَبْعَةَ أَيَّامٍ؟ فَقَالَ: لَا، إِنَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: نُزِيلُ هَذَا الْمَاءَ مِنْ عَيْنِكَ عَلَى أَنْ تَبْقَى خَمْسَةَ أَيَّامٍ لَا تُصَلِّي إِلَّا عَلَى عُدُودٍ؟ وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَّا مُسْتَلْقِيًا، فَقَالَ: لَا، وَاللَّهِ وَلَا رَكْعَةً وَاحِدَةً، إِنَّهُ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ. وَقَدْ أَنْشَدَ الْمَدَائِنِيُّ لِابْنِ عَبَّاسٍ حِينَ عَمِيَ:

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهُمَا      فِي لِسَانِي وَسَمْعِي مِنْهُمَا نُورُ  
قَلْبِي ذِكِّي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ      وَفِي صَارِمٍ كَالسَّيْفِ مَأْثُورُ

فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ، وَقَالَ: مَاتَ الْيَوْمَ حَبْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي مَعْجَمِهِ الْكَبِيرِ بِسَنَدِهِ إِلَى سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ، فَجَاءَ طَيْرٌ لَمْ يَرِ عَلَى خَلْقِهِ فَدَخَلَ نَعْشَهُ<sup>(١)</sup>، ثُمَّ لَمْ يَرِ خَارِجًا مِنْهُ، فَلَمَّا دُفِنَ تَلَيْتَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، مَا يُدْرَى مَنْ تَلَاهَا<sup>(٢)</sup>: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۗ﴾<sup>(٣٧)</sup> أَرْجِعِي

(١) فكانوا يرون أنه علمه.

(٢) «المعجم الكبير» (٢٣٦/١٠) (برقم ١٠٥٨١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٨٥/٩): ورجاله رجال الصحيح.

إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلْ فِي عَبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلْ جَنِّي ﴿٣٠﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].  
قال الذهبي: فهذه قضية متواترة<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَ مَاتَ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، رضي الله عن ابن عباس، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا<sup>(٢)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٣١-٣٥٩).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٨٧-١١١).



## مخاطر الابتعاث وضوابطه

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فمن الأمور التي ابتليت بها أمة الإسلام في هذه الأيام، ابتعاث أبناء وبنات المسلمين إلى بلاد الكفار للدراسة دون مراعاة الضوابط الشرعية التي ذكرها أهل العلم، وما يتضمن هذا الابتعاث من المخاطر والمفاسد الشرعية الكثيرة التي يجب على العلماء، وطلبة العلم والدعاة التنبيه عليها وتحذير الناس منها، مع العلم أنه قد كتب جمع من علماء الإسلام ودعاته من مختلف البلاد الإسلامية محذرين من الابتعاث ومخاطره على الدين والأخلاق.

وحيث إن الموضوع واسع لمن أراد الكلام فيه، فسيقتصر حديثي على ذكر المخالفات الشرعية المترتبة على الابتعاث مع إلحاق فتوى هيئة كبار العلماء في ذلك، فمن تلك المفاسد المترتبة على الابتعاث:

أولاً: إضعاف عقيدة الولاء والبراء، الولاء للمؤمنين والعداوة للكافرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُؤْتِيكَ كِتَابَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴿المجادلة: ٢٢﴾.

وأمر الله بالهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد الإسلام، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧].

قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهрани المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكباً حراماً بالإجماع»<sup>(١)</sup>.

روى الترمذي في سننه من حديث جرير رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِمَ؟ قَالَ: لَا تَرَايَا نَارَاهُمَا»<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «لا يجوز للمسلم السفر إلى بلاد المشركين، أو الإقامة بين ظهراهم من غير ضرورة إلا لعارف بدينه بأدلته الشرعية يستطيع الدعوة إليه، والذب عن الشبه التي ترد عليه، ويقوم بأداء الواجبات الشرعية»<sup>(٣)</sup>.

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٢٢٨).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ١٦٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١١٩/٢) (برقم ١٣٠٧).

(٣) «مجموع فتاوى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ» (٤/١٩٨).

ثانياً: اعتناق النصرانية، والردة عن الإسلام، وهذا من أخطر وأشد المخالفات الشرعية في الذهاب إلى هناك، وللأسف أنه قد حصلت حالات ردة من بعض المبتعثين هناك، وذكرت بعض الصحف الالكترونية أن ثلاثين من المبتعثين من بلاد الجزيرة قد ارتدوا عن الإسلام، ودخلوا في النصرانية، وهذا العدد من تم تعميدهم رسمياً في الكنيسة، أما من لم يتم تعميدهم في الكنيسة، فقد يزيد عن هذا العدد.

وقد ذكر الشيخ المحدث أحمد بن محمد شاكر: أن كثيراً من المبتعثات ممن سافرن إلى بلاد الكفر، والإلحاد في زمانه ارتدن عن دينهن، وتزوجن برجال من أمريكا، أو أوروبا من اليهود والنصارى<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: كثرة المغريات والفتن الداعية إلى ارتكاب الفواحش، والمحرمات وخاصة فتنة النساء، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ ﷺ: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»<sup>(٣)</sup>. لا سيما وأن الدراسة مختلطة في بلاد الكفار.

(١) التعليق على «مسند الإمام أحمد» (٢٨٢/٦). نقلاً عن كتاب «الابتعاث: تاريخه وآثاره»، للدكتور عبد العزيز البداح (ص ٣٠).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٥٠٩٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧٤٠).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٢٧٤٠).

وقد نَشَرَتِ الصُّحُفُ الإِلِكْتِرُونِيَّةُ شَكْوَى بَعْضِ النِّسَاءِ الْمُتَبَتِّعَاتِ مِنْ مِضَايِقَةِ الرِّجَالِ لِهِنَّ، فَبَعْضُهُنَّ يَرْجِعُ الْمَحْرَمَ الَّذِي سَافَرَ مَعَهَا، وَتَبْقَى هَذِهِ الْمَسْكِينَةُ لَوْحَدَا فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ تَتَعَرَّضُ لِلْفِتْنَةِ، وَالْإِغْرَاءِ، فِإِلَى اللَّهِ الْمَشْتَكِي.

كَمَا نَشَرَتْ بَعْضُ الْمَوَاقِعِ الإِلِكْتِرُونِيَّةِ صُورًا جَمَاعِيَّةً لِبَعْضِ الْمُتَبَتِّعِينَ وَالْمُبْتَعَثَاتِ: مِنَ الشَّبَابِ وَالْفَتَيَاتِ، وَهُمْ فِي أَوْضَاعٍ مُخْتَلِطَةٍ، وَالْمُبْتَعَثَاتُ فِي حَالَةٍ يُرْتَى لَهَا: مِنَ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ؛ مِمَّا يَنْدَى لَهُ الْجَبِينُ، وَيَتَفَطَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ كَمَدًّا وَحَسْرَةً، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

رابعًا: أن المسافر هناك لا يسلم من انحراف عقدي، أو خلقي، أو عملي في العبادة وغيرها، وإن سلم فربما تبقى مناظر هذه البلاد التي فيها الكنائس وأماكن الفساد، والتبرج، والخلاعة، وتباع فيها الخمور علناً، وتوجد فيها أماكن للبغياء في الطرقات في ذاكرته وكفى بها مفسدة.

خامسًا: تأثر المسلم بالكثير من تقاليد الكفار، وعاداتهم السيئة، وهذا يؤدي إلى التشبه بهم، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

سادسًا: التعود على عدم الاكتراث بالدين، وعدم الالتفات لأدابه وأوامره، ونواهيها.

(١) قطعة من حديث في «مسند الإمام أحمد» (١٢٣/٩)، وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥٠٩/١٥): إسناده صالح.

سابعًا: أن كثرة رؤية المنكرات للمسافر هناك من إضاعة الصلوات وتبرج النساء، وبيع المحرمات، وغير ذلك يضعف جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قلب المسلم وهو مأمور بإنكار ما يخالف الشرع.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>. إلى غير ذلك من المفاسد.

وقد صدر قرار هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية برقم ٨٨ في ١١ / ١١ / ١٤٠١ هـ وهذا نصه:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الثامنة عشرة المنعقدة في مدينة الطائف ابتداء من يوم ٢٩ / ١٠ / ١٤٠١ هـ إلى نهاية يوم الأربعاء الموافق ١١ / ١١ / ١٤٠١ هـ استعرض بعض ما استهدفت به الأمة الإسلامية عامة من بث للمذاهب الهدامة، والمبادئ الأخلاقية المنحرفة، وما قصدت به شبيبة الدولة السعودية خاصة، وما أريد لها من انحراف في الأخلاق، والعقيدة لما لهذه الدولة، وشعبها من مكانة عالية في نفوس الشعوب الإسلامية، ولما هي

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٤٩).

عليه من التمسك بعقيدة الإسلام الصافية، والتخلق بأدابه النبيلة، ولأن شعب هذه البلاد ركيزة الإسلام، فإذا أُفسدوا سهل إفساد سواهم، وقد استعرض المجلس وسائل أعداء الإسلام في إفساد الشبيبة، واستمع إلى شرح كثير من الوقائع، واستعاد استعراض بعض ما سبق أن أبداه في مجال إصلاح وسائل الإبقاء على كيان الأمة، وحماية شبابها من التفسخ، والانحلال والانحراف الفكري.

ونظرًا لأن أعظم أسباب انحراف الشباب في مسالك الرذيلة، والوقوع في شرك أعداء الإسلام، والتنكر لما عليه أمتنا في عقيدتها، وأخلاقها، وعاداتها والانقلاب على أوضاعها الإسلامية، ومعاداة سلطاتها، والنظر إليها بالازدراء والوقوف موقف العداء إرسالهم في حال طراوتهم، وخلو أنفسهم من الحصانة الدينية بمبادئ الشريعة، وعدم التسلح بالعلم لمواجهة التيارات الفكرية، والخلقية المتربصة بهم، وإخراجهم من جوهم الإسلامي قبل بلوغهم المرحلة التي يصعب فيها على أعداء الإسلام إغراؤهم، وتحويلهم إلى أعداء لأمتهم، ودينهم، وولاية الأمر في بلادهم.

ولقد ذكر للمجلس - إضافة إلى ما سبق له معرفته - حوادث أليمة، وقضايا مزعجة، سببها خروج الشباب المتوقد حيوية، وفتوة، وقوة من جو محتشم محافظ على قيمه، وعفته إلى جو مملوء بالإغراء مشبع بالانحلال يتصيد مجتمعه شباب المسلمين عن قصد وتعمد، فيدفعهم إلى إشباع رغباتهم الجنسية، وإمتاع نفوسهم بشهوات خبيثة دفعًا عنيفًا، ويسلط عليهم أنواعًا من

الإغراء، ويحاول تشكيكهم بدينهم، وتضخيم عيوب السياسة في أوطانهم، فإن وجدهم بوضع من التأهيل العلمي الشرعي بحيث يتعسر عليه انحلالهم وتشكيكهم، التمس إبراز عيوب حكوماتهم، وابتعادها عن أحكام الإسلام إلا من شاء الله، واختلاق عيوب غير موجودة، واستغل حماسة الشباب المتدينين لدينهم ليتوجهوا إلى التطرف فيخرجوا بأنفسهم عن العمل الإصلاحى إلى عمل تفريق الأمة، وزعزعة كيانها، وتفريق صفها، والعمل على قلب أنظمة الحكم فيها، ونظرًا لأن ولاية الأمر هم الأمناء على الأمة وعليهم مسئولية الأخذ بأيدي الناس إلى الوجهة السليمة، وإصلاح ما يرونه خطرًا على أمن البلاد، ودينها، ولأن الشباب هم ركيزة الأمة، ورجال غدها، وحراس كيانها، فجدير أن يحتاط لهم بكل ما يمكن من السعي في دفع أسباب انحرافهم، وجلب ما يصلحهم، ومن القواعد الشرعية الهامة أن دفع المفساد مقدم على جلب المصالح، ولأن كثيرًا ممن يخرجون من البلاد للدراسة في بلاد الغرب يفاجؤون بحضارة صاخبة، ومفاتن منتشرة، وفتن متعددة، فتن الجنس، والشراب، والتشكيك، وقل أن يعود الطالب إلا وفي نفسه ما فيها من تأثير بما رأى، وسمع، ومارس، كل على حسب حاله ونظره للأمور فيعود وقد احتقر أوضاع بلاده، وأحب ما عليه أهل تلك البلاد من انطلاق بلا حدود، ولا قيود، ومن تقدم في ميدان العلوم العصرية بمختلف أنواعها مع غفلتهم عما عليه أولئك من بُعد عن الأخلاق، والشيم، والعفة، والحياء، واستمتاع

بكافة ما تريده الأنفس المنحلة بلا رقيب، ولا محاسب، فيكون هذا الطالب قد جلب على وطنه، وأمته، شرًا، وجر عليهم بلاءً، ودمارًا، وصار داعية سوء، ومعول هدم للأخلاق، والقيم.

ونظرًا لأن البلاد بحمد الله قد توافر فيها التعليم في كافة مراحلها ولا تفتقر إلا إلى بعض التخصصات العلمية العصرية؛ ولأن ولي الأمر عليه أن يدل رعيته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم؛ ولأن النساء يخرجن إلى الغرب يرين ما عليه النساء هناك من التهتك، والعري، والعلاقات بالرجال الأجانب، ولو كن ذوات أزواج مع ما يحصل من اختلاط في الدراسة لمن رغبت منهن في دراسة عامة أو خاصة، أما اللاتي لم يتزوجن وإنما ذهبن للدراسة فالعلاقة بين الطالب والطالبة هناك أمر غير مستنكر، ولا مستغرب، تزوره، ويزورها، وقد حدثت أمور لا يرضى الله عنها، ولا رسوله، وإذا كان سفر المرأة بدون محرم محرماً ومعصية لله عز وجل، ولو كان لحج بيت الله الحرام، فكيف بسفر يفضي إلى اختلاط وخلوات، وشرور لا نهاية لها.

ولهذا فإن مجلس هيئة كبار العلماء يرى أن النصح لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم يقضي بأن يتخذ ولاية الأمر وفقهم الله لإرضاء الله ﷻ، وحماية عباده من الفساد، وحماية هذه الأمة من التفكك ما يلي:

١- منع ابتعاث البنات للخارج منعاً باتاً لا استثناء فيه، ومن كانت متجاوزة مرحلة الدراسة العالية وفي تخصصها مصلحة

محققة للأمة، فإن على الدولة وفقها الله تهيئة الوسائل اللازمة لذلك في داخل المملكة، وقد منحها الله سبحانه إمكانيات مادية يسهل معها بإذن الله كل صعب؛ لأن سفر المرأة للدراسة في الغالب تربو مفسده على مصالحه، ودفع المفسد مقدم على جلب المصالح، ويتعين عدم السماح لأي إنسان أن يبعث بنته، أو من له عليها ولاية للدراسة في الخارج، سواء في البلاد المجاورة، أو بلاد الغرب، ولو على حسابه الخاص؛ لأن الأخذ على يد مثل هؤلاء فيه نجاة الجميع، كما في حديث: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ...» الحديث<sup>(١)</sup>.

٢- عدم إرسال أي طالب للدراسة في الخارج من المدنيين والعسكريين على حساب الدولة، أو على الحساب الخاص إلا بعد مرحلة الجامعة، وبعد الزواج، والخدمة مدة من الزمن حتى يصلب عوده وترسخ عقيدته، ويعرف عقيدة السلف، والمذاهب الهدامة والمنحرفة، ويعرف زيفها لئلا يسهل صده عن دين الله.

٣- عدم إرسال أي شخص للتخصص في أعمال نظرية كالإدارة واللغات، والاقتصاد، ونحوها، أما في علوم الإسلام وتاريخه فيجب منعه في كل مرحلة، وأن يعاقب من أرسل أولاده للدراسة، وأن لا تعتبر شهادته في البلاد.

٤- يجب إجراء تحريات كاملة عن كل شخص يراد ابتعائه

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٤٩٣).

للتخصص ليُعرف مدى حفاظه على دينه، وأخلاقه، وثباته على ولائه لدولته، وإعطاؤه دورة يدرس فيها أحوال تلك البلاد التي سوف يذهب إليها.

٥- أن يقتصر في التخصصات على ما لا يمكن حصوله في البلاد كعلوم بعض الصناعات التي لا يوجد لها نظير في بلادنا كعلوم الذرة، ومتى أمكن جلبها إلى البلاد وجب ذلك حتى يستغنى عن الابتعاث.

٦- عدم تمكين أي جهة حكومية، عسكرية كانت أو مدنية، وأية مؤسسة حكومية، أو تجارية، بابتعاث منسوبيها سواء لدورات دراسية، أو لدراسة نظامية لنيل شهادة إلا عن طريق جهة الاختصاص في التعليم بعد توافر الشروط للتخصص وصفة المبتعث، وسنه، وأن يكون حسن السيرة معروفًا بالعقل الراجح.

٧- أن يجلب كل من لا تتوفر فيه الشروط السابقة، ويعاد لإكمال دراسته في الداخل، سواء من كان على حساب نفسه وذويه، أو على حساب الحكومة، أو إحدى المؤسسات.

٨- يوكل إلى جهة حق الرقابة على مخالفة ما تقدم، وجعل مخبرين في السفارات، والملحقيات التعليمية، لترفع تقاريراتها عن كل مخالفة، وتعمد وزارة التعليم العالي، وجميع الوزارات، والمصالح، بإبلاغ الجهة المختصة عن كل مخالفة، وإذا تم ذلك على الوجه المطلوب حصل به إن شاء الله الخير العظيم للأمة في

دينها، وديناها، والسلامة في عقيدتها، وأخلاقها، والله الموفق.

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

رئيس الدورة:

عبد الله خياط

عبد العزيز بن صالح

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

عبد الله بن محمد بن حميد

محمد بن علي الحركان

سليمان بن عبيد

راشد بن خنين

عبد الرزاق عفيفي

إبراهيم بن محمد آل الشيخ

محمد بن جبير

صالح بن غصون

عبد الله بن غديان

عبد الله بن قعود

عبد المجيد حسن

صالح بن لحيدان

عبد الله بن منيع

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.





الكلمة السادسة بعد المئة

مجالس الناس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث المُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»<sup>(١)</sup>.

قال القاضي عياض: ومعنى «قِيلَ وَقَالَ»: الخوض في أخبار الناس، وحكايات ما لا يعني من أحوالهم؛ قيل: كذا، وقال فلان: كذا، فقيل: كذا، وعلى هذا نقول<sup>(٢)</sup>.

وهذا الحديث ينطبق على طائفة من الناس ليس لهم شغل إلا الحديث عن الناس، وأحوالهم، والتفاصيل الدقيقة في ذلك، والذي يتأمل في مجالس الناس واجتماعاتهم، يجد أن الكثير منها يتحدثون فيه بشتى الموضوعات، فمن السياسة إلى الاقتصاد إلى المسائل الشرعية التي لا يصلح أن يتكلم فيها إلا كبار العلماء، إلى الخوض في أعراض الناس، إلى نقل الشائعات والنكت المكذوبة،

(١) «صحيح البخاري» (برقم ١٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ٥٩٣).

(٢) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٥/٥٩١).

إلى التفصيل في أحوال الناس ومعاشتهم، فلان طلق زوجته، فلان طرد من وظيفته، فلان خسر في تجارته، وهكذا يذهب الوقت في قيل وقال.

ولا شك أن ما سبق يوقع المسلم في عدد من المخالفات الشرعية، فمن ذلك:

أولاً: أن هذا من لغو الكلام الذي ينبغي الإعراض عنه والاشتغال عنه بما يفيد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]. قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «ذكر جَعَلَهُ اللهُ فِي هذه الآية الكريمة أن من صفات المؤمنين المفلحين إعراضهم عن اللغو وأصل اللغو ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، فيدخل فيه اللعب واللهو والهزل وما توجب المروءة تركه».

وما أثنى الله به على المؤمنين المفلحين في هذه الآية أشار له في غير هذا الموضع كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا لَهُ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. ومن مرورهم به كراماً: إعراضهم عنه وعدم مشاركتهم أصحابه فيه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]<sup>(١)</sup>.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: رأيت الناس في كلامهم الذي هو فصل بينهم وبين الحمير والكلاب والحشرات ينقسمون أقساماً ثلاثة، أحدهما: من لا يبالي فيما أنفق كلامه فيتكلم بكل ما سبق إلى

(١) «أضواء البيان للشنقيطي» (٥/٨٢٧-٨٢٨).

لسانه غير محقق نصر حق، ولا إنكار باطل، وهذا هو الأغلب في الناس. والثاني: أن يتكلم ناصرًا لما وقع في نفسه أنه حق، ودافعًا لما توهم أنه باطل، غير محقق لطلب الحقيقة، لكن لجأً فيما التزم، وهذا كثيرٌ وهو دون الأول. والثالث: واضع الكلام في موضعه، وهذا أعز من الكبريت الأحمر<sup>(١)</sup>.

ثانيًا: أنه ورد الترغيب من السلف الصالح في ترك ما لا يعني، وورد بذلك حديث مرفوع إلى النبي ﷺ ضعفه بعض أهل العلم، وحسنه بعضهم: «إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تَرْجَمَانُ الْقُرْآنِ: لَا تَكَلَّمَنَّ فِيْمَا لَا يَعْنِيكَ، حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا. وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: مَنْ اشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ شُغِلَ عَنِ النَّاسِ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيْمَا يَعْنِيهِ، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: وَهُوَ كَمَا قَالَ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَعُدُّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ فَيُجَازِفُ وَلَا يَتَحَرَّى، وَقَدْ خَفِيَ هَذَا عَلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حَتَّى سَأَلَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَنْؤَاخِذُ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكَلْتِكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»<sup>(٣)</sup>.

(١) «تبويب كتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس» لابن حزم، للدكتور علي اليحيى (ص ٢٨).

(٢) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣١٧).

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ٢٦١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد نفى الله الخير عن كثير مما يتناجى به الناس بينهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [الفرقان: ٧٢] <sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب: «ودخلوا على بعض الصحابة في مرضه ووجهه يتهلل، فسألوه عن سبب تهلل وجهه، فقال: ما من عمل أوثق عندي من خصلتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي سليماً للمسلمين، وقال الحسن: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه، وقال سهل بن عبد الله التستري: من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق، وقال معروف: كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله ﷻ <sup>(٢)</sup>. وقال عبد الله ابن مسعود: أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته» <sup>(٣)</sup>.

وفي الصحيحين من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» <sup>(٤)</sup>. وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا» <sup>(٥)</sup>.

وروى الترمذي في سننه من حديث عقيب بن عامر رضي الله عنه قَالَ:

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ١٣٩).

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ١٣٩).

(٣) «الصمت» لابن أبي الدنيا (ص ٨٠).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠١٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٧).

(٥) «مسند الإمام أحمد» (١٩/١١) (برقم ٦٤٨١)، وقال محققوه: حديث حسن.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعَكَ بَيْتُكَ، وَابْنُكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام النووي: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير وغالب في العادة، والسلامة<sup>(٢)</sup> لا يعدلها شيء. اهـ

قال الشاعر:

إِنْ كَانَ يُعْجِبُكَ السُّكُوتُ فَإِنَّهُ      قَدْ كَانَ يُعْجِبُ قَبْلَكَ الْأَخْيَارَا  
وَلَيْنَ نَدِمْتَ عَلَى سُكُوتِكَ مَرَّةً      فَلَقَدْ نَدِمْتَ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا  
إِنَّ السُّكُوتَ سَلَامَةٌ وَلَرُبَّمَا      زَرَعَ الْكَلَامُ عَدَاوَةً وَضِرَارًا  
وَإِذَا تَقَرَّبَ خَاسِرٌ مِنْ خَاسِرٍ      زَادَا بِذَلِكَ خَسَارَةً وَتَبَارًا

ثالثًا: أن هذه الأخبار التي تتناقل بين الناس ويحدث بعضهم بعضًا بها لا تسلم من الكذب والشائعات، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»<sup>(٣)</sup>.

رابعًا: أن هذا قد يدخل في تتبع عورات المسلمين وزلاتهم،

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٤٠٦)، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٩/٢).

(٣) «صحيح مسلم» (برقم ٥).

وهو أمر منهي عنه، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»<sup>(١)</sup>.

وقد يؤدي ذلك إلى الوقوع في الغيبة فإن الناس في الغالب يكرهون نقل أخبارهم، وأسرارهم إلا ما حسن منها، وتكلم رجل في حق رجل، فقال له صاحبه: أغزوت الروم؟ قال: لم أفعل، قال: سلم منك النصراري ولم يسلم منك أخوك المسلم.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»<sup>(٢)</sup>.

خامساً: أن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَلَيْسَةِ قُلُوبُهُمْ مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهَ﴾ [الزمر: ٢٢]. روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ»<sup>(٣)</sup>، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»<sup>(٤)</sup>.

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٣/ ٢٠) (برقم ١٩٧٧٦)، وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٢).

(٣) تِرَةٌ: يعني: حسرةٌ وندامةٌ.

(٤) «سنن الترمذي» (برقم ٣٣٨٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

سادساً: أن هذا من إضاعة الوقت فيما لا فائدة فيه، وسيسأل المرء عن كل لحظة من لحظات حياته، بل إن هذا من أصول الأسئلة التي توجه له يوم القيامة، روى الترمذي في سننه من حديث أبي برزّة الأسلمي رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: ذَكَرَ مِنْهَا: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟»<sup>(١)</sup>.

الخلاصة: أنه ينبغي للمؤمن أن يكون جاداً في حياته، حافظاً لوقته، مشتغلاً بما ينفعه، كما ورد في الحديث: «اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»<sup>(٢)</sup>، وأن يكون بعيداً عن سفاسف الأمور، مترفعاً عن الرذائل، وخوازم المروءة.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٤١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٦٦٤).



## مواقف مؤثرة

### من سيرة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فهذه مقتطفات من سيرة علم من أعلام هذه الأمة، وبطل من أبطالها، وإمام من أئمة الدين، نصر الله به السنة، وقمع به البدعة.

ولد رَحِمَهُ اللهُ بغزة وهي مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر جنوب فلسطين سنة (١٥٠هـ) من شهر رجب، واشتهر بالذكاء والحفظ منذ صغره، يقول عن نفسه: كنت في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها، فيألى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم قد حفظت جميع ما أملى، فقال لي ذات يوم: لا يحل لي أن آخذ منك شيئاً، واستمر على ذلك، حتى جمع القرآن وهو ابن سبع سنين.

نشأ يتيماً في حجر أمه، فخافت عليه الضيعة فتحولت به إلى مكة وهناك تعلم العربية، والشعر، ثم حُبب إليه الفقه فساد أهل زمانه، وصنف التصانيف العظيمة في الفقه، وأصوله، والأنساب، والأدب وغيرها.

إنه إمام الدنيا محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن

شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي الغزي المولد نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب، كان أبيض جسيماً، طوالاً جميلاً مهيباً يخضب بالحناء مخالفة للشيعة، وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عظيماً، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: «ما أحد مس بيده محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في رقبتة منة، ولولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث، وكان الفقه مقفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي».

وقال أيضًا عندما سأله ابنه فقال له: يا أبت أي رجل كان الشافعي؟ سمعتك تكثر الدعاء له، فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدينا، وكالعافية للبدن، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض.

وكان أحمد بن حنبل يدعو له في صلاته نحوًا من أربعين سنة وكان أحمد يقول في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»<sup>(١)</sup>، قال: فعمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى، والشافعي على رأس المائة الثانية<sup>(٢)</sup>.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «لما نظرت الرسالة للشافعي

(١) «سنن أبي داود» (برقم ٤٢٩١)، وصححه ابن حجر والعراقي. كما في «سنن أبي داود» (ص ٤٦٩).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/١٣٥).

أذهلتني لأنني رأيت كلام رجل عاقل، فصيح نصيح، فإني أكثر الدعاء له، وما ظننت أن الله خلق مثل هذا الرجل».

وقال داود بن علي الظاهري في كتاب جمعه في فضائل الشافعي: «لشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره، من شرف نسبه، وصحة دينه ومعتقده وسخاوة نفسه، ومعرفته بصحة الحديث وسقمه وناسخه ومنسوخه وحفظه الكتاب والسنة، وسيرة الخلفاء، وحسن التصنيف، وجودة الأصحاب والتلامذة، مثل أحمد ابن حنبل في زهده وورعه وإقامته على السنة».

وكان الشافعي يقول: «العلم علمان: علم الدين وهو الفقه، وعلم الدنيا وهو الطب، وما سواه من الشعر وغيره فعناء وعبث، وأنشد يقول:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ      إِلَّا الْحَدِيثَ وَعِلْمَ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ  
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا      وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَى الشَّيَاطِينِ»

وسئل: كيف شهوتك للعلم؟ قال: أسمع بالحرف مما لم أسمع، فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم به مثل ما تنعمت به الأذنان، ف قيل له: فكيف حرصك؟ قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال، ف قيل له: فكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

سَأَضْرِبُ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا      أَنْأَلُ مُرَادِي أَوْ أَمُوتُ غَرِيبًا

فَإِنْ تَلَفَتْ نَفْسِي فَلِلَّهِ دَرُّهَا وَإِنْ سَلِمَتْ كَانَ الرُّجُوعُ قَرِيبًا  
 وكان يقول: «قراءة الحديث خير من صلاة التطوع، وطلب العلم  
 أفضل من صلاة النافلة». وكان يقول: «من تعلم القرآن عظمت قيمته،  
 ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن  
 نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن  
 نفسه لم ينفعه علمه». وقال: «وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ، وَلَمْ  
 يُنْسَبْ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ، فَأَوْجِرُ عَلَيْهِ، وَلَا يَحْمَدُونِي».  
 وقال أيضًا: إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي، وَإِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ  
 فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي الْحَائِطَ.

وكان من العباد الزهَّاد، قال الربيع بن سليمان: «كان الشافعي  
 قد جزأ الليل، فثلثه الأول يكتب، والثاني يصلي، والثالث ينام،  
 وكان يختم القرآن في كل رمضان ستين ختمة، وفي كل شهر  
 ثلاثين ختمة».

ومن أقواله العظيمة: «العلم ما نفع وليس العلم ما حفظ».  
 وقال: «ما شبت منذ ست عشرة سنة إلا مرة، فأدخلت يدي  
 فتقيأتها؛ لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب، ويزيل الفطنة،  
 ويجلب النوم، ويضعف العبادة». وقال: «لا يكمل الرجل إلا  
 بأربع: بالديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة». وقال: «العاقل من  
 عقله عقله عن كل مذموم». وقال: «من لم تعزه التقوى فلا عز  
 له». وقال: «وما فزعت من الفقر قط، طلب فضول الدنيا عقوبة  
 عاقب الله بها أهل التوحيد».

وقيل له: ما لك تكثر من إمساك العصا، ولست بضعيف؟ قال: لأذكر أنني مسافر، وقال: من لزم الشهوات لزمته عبودية أبناء الدنيا، وقال: الخير في خمسة: غنى النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، والتقوى، والثقة بالله، وقال: اجتناب المعاصي، وترك ما لا يعينك ينور القلب، عليك بالخلوة وقلة الأكل، وإيّاك ومخالطة السفهاء، ومن لا ينصفك.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «إذا تكلمت فيما لا يعينك ملكتك الكلمة ولم تملكها، وقال: المروءة أركان أربعة: حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والنسك، وقال أيضًا: والتواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة».

وقال أيضًا: إذا خفت على عملك العجب، فاذكر رضى من تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، فمن فكر في ذلك صغر عنده عمله.

آلات الرياسة خمس: صدق اللهجة، وكتمان السر، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة، وأداء الأمانة.

وقال: أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرى فضله.

وهذه الأقوال السابقة تدل على كمال عقله وفصاحته، فقد كانوا يعدونه من عقلاء الرجال.

قال الذهبي: «لا نُلام والله على حب هذا الإمام؛ لأنه من رجال

الكمال في زمانه». فرحم الله الشافعي، وأين مثله في صدقه، وشرفه، ونبله، وسعة علمه، وفرط ذكائه، ونصره للحق، وكثرة مناقبه، وقال الربيع بن سليمان: «لو وزن عقل الشافعي بنصف عقل أهل الأرض لرجحهم، ولو كان من بني إسرائيل لاحتاجوا إليه».

وكان رَحِمَهُ اللهُ كريماً يُضرب به المثل مع أنه كان في أكثر حياته فقيراً، فإذا أتاه مقدار من المال أنفقته، وتصدق به على الفقراء والمحتاجين، قال الحميدي: قدم الشافعي مرة من اليمن ومعه عشرون ألف دينار، فضرب خيمته خارجاً من مكة فما قام حتى فرقها كلها، قال أبو ثور: أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال، فقلت له: لو اشتريت به ضيعة لولدك، وكان قل أن يمسك شيئاً من سماحته، فخرج ثم قدم، فسألته فقال: لم أجد بمكة ضيعة يمكنني شراؤها بمعرفتي ولكني بنيت بمنى مضرّباً يكون لأصحابنا إذا حجوا نزلوا فيه، قال أبو ثور: فرآني كأني اهتممت بذلك فأنشد:

إِذَا أَصْبَحْتُ عِنْدِي قُوْتُ يَوْمِي      فَخَلَّ الِهَمَّ عَنِّي يَا سَعِيدُ  
وَلَا تَخْطُرْ هُمُومٌ غَدٍ بِبَالِي      فَإِنَّ غَدًا لَهُ رِزْقٌ جَدِيدُ

قال المزني: «دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: يا أبا عبد الله كيف أصبحت؟ فرفع رأسه وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً، ولسوء عملي ملاقياً، وعلى الله واردة، ما أدري روعي تصير إلى الجنة فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

وَلَمَّا فَسَا قَلْبِي وَضَافَتْ مَذَاهِبِي      جَعَلْتُ رَجَائِي دُونَ عَفْوِكَ سُلَّمًا

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا  
فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزُلْ تَجُودٌ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكْرُمًا»

وكانت وفاته بمصر يوم الخميس، وقيل: يوم الجمعة في آخر  
يوم من رجب سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة رَحِمَهُ اللهُ،  
وأكرم مثواه، وجعل الجنة مأواه.

قال الربيع: «رأيت الشافعي بعد وفاته بالمنام، فقلت: يا أبا  
عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر  
علي اللؤلؤ الرطب»<sup>(١)</sup>.

رحم الله الشافعي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير  
الجزاء، وأسكنه الدرجات العلى.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥-٩٩)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ١٣٢-١٤٠).



## التحايل على الأحكام الشرعية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فقد جاء في الأخبار الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ: أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَيَكُونُ فِيهَا مَنْ يَتَّبِعُ الْأُمَّمَ السَّابِقَةَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَيَقْلُدُهُمْ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ. ففي الصحيحين من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكَوْا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟»<sup>(١)</sup>.

وقد ارتكبوا من الضلالات، وانتهاك الحرمات، ما استحقوا به غضب الله ولعنته، ومن أعظم ذلك استحلال المحرمات بالحيل وهو فعل اليهود، وقد ذكر الله ﷻ عنهم ذلك وأنهم لما حرم عليهم صيد السمك في يوم السبت جعلوا الشباك يوم السبت وأخذوه يوم الأحد فكانت عقوبتهم المسخ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٥٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٦٦٩).

وفي مسألة أخرى أخبر النبي ﷺ: أنه لما حرمت عليهم الشحوم أذابوها وباعوها وأكلوا ثمنها، فروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»<sup>(١)</sup>. كل ذلك مخادعة لله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: من يخادع الله يخدعه.

قال ابن القيم رحمه الله: «ولا ريب أن من تدبر القرآن، والسنة، ومقاصد الشارع جزم بتحريم الحيل وبطلانها، فإن القرآن دل على أن المقاصد والنيات معتبرة في التصرف، والعادات، كما هي معتبرة في القربات، والعبادات، فيجعل الفعل حلالاً أو حراماً، وصحيحاً أو فاسداً، وصحيحاً من وجه وفساداً من وجه، كما أن القصد والنية في العبادات تجعلها كذلك، وشواهد هذه القاعدة كثيرة جداً في الكتاب والسنة»<sup>(٢)</sup>.

كما أخبر عز وجل أنه نهاهم عن خصلتين من الضلال طالما فعلوهما وهما: كتم الحق عمن يجهله، ولبس الحق بالباطل على من يعرفه، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]. وإن من مظاهر اتباعهم ومجاراتهم في هذه الضلالات، ما يقوم به بين الحين والآخر بعض المنافقين من بني جلدتنا من محاولات لاستحلال المحرمات

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٢٣٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٥٨١).

(٢) «إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان» (١/٥١٥).

التي ينتج عنها نشر الرذائل في المجتمع بحيل شيطانية يهودية، أو نصرانية، فإذا أرادوا نشر شيء من تلك القبائح توسلوا إلى استحلاله بأنه سيكون وفق الضوابط الشرعية هكذا يزعمون وهم في الحقيقة يكذبون، ويخادعون، وتصرفاتهم ولحن أقوالهم تدل على أنه لا اعتبار للشرع عندهم ولا لضوابطه.

برهان ذلك: أنهم لا يرجعون إلى العلماء ولا يقبلون ما يفتون به، وهؤلاء المنافقون يعلمون أنه لا يمكنهم هدم الدين الذي يتسبون إليه ظاهراً ويعادونه باطناً مباشرة كما يعلمون أن أكبر المعاول لهدمه هو هدم الأخلاق، فيسعون إلى هدمها، ويستخدمون في ذلك أكبر معاول الهدم وأشدّها فتكاً وهي المرأة، بالسعي إلى الأخذ من خطط إبليس اللعين الذي يمدّم بتعاليمه الخبيثة وهي كشف العورات، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَرِيَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧]. لذلك فإني أوجه التحذير والإنذار إلى طائفتين:

الأولى: الطائفة التي سبق وصف حالهم، أن يتقوا الله فإنهم إنما يخادعون الله، والله خادعهم، وأنه لا ينفعهم التسمي باسم الإسلام، أو العيش بين ظهрани أهله، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ تُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولنكنكم فنتنم أنفسكم وتربصتم وأرتبتم وعرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وعرتكم بالله الغرور ﴿١٤﴾ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا

مَأْوَنَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ [الحديد: ١٣-١٥].

وَلَا يَغُرَّتْهُمْ إِنْفَاقُهُمْ فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ، أَوْ صَدَقَةٍ عَلَى مَحْتَاجٍ، فَهَذِهِ أَمْوَالٌ أُخِذَتْ مِنْ أَهْلِهَا، وَقَدْ أَنْفَقُوا فِي عِدَاوَةِ رَبِّهِمْ، وَمِحَارِبَةِ دِينِهِ أَضْعَافَ ذَلِكَ كَثِيرًا، رَوَى ابْنُ مَاجَهٍ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا عَلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلَّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»<sup>(١)</sup>.

وَلَا يَغُرَّتْهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَمْهَلَهُمْ وَلَمْ يَعْجَلْ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ وَبِمِثْلِ هَذَا اغْتَرَّ سَادَتُهُمْ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: ﴿لَوْلَا يَعْدِبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، قَالَ اللَّهُ: ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٨﴾ [المجادلة: ٨].

الطائفة الثانية: قوم مشوا في ركاب هؤلاء وأيدوهم جهلاً، أو تجاهلاً، غفلة، أو تغافلاً، فطبقوا تعاليمهم ومارسوا ما يملونه عليهم، وهم يقودونهم إلى مهاوي الردى، شعروا أم لم يشعروا، وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الطائفتين جميعاً، الداعي والمستجيب،

(١) «سنن ابن ماجه» (برقم ٤٢٤٥)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٣/٢) (برقم ٥٠٥).

فيما حذر الأمة منه مما يقع من الفتن في آخر الزمان فقال: «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»<sup>(١)</sup>.

وما الدعوات التي نسمعها هنا وهناك من فتح دور السينما، وقيادة المرأة للسيارة، وفتح النوادي النسائية، وتأسيس المحلات التجارية، والاختلاط في مقاعد الدراسة بين الذكور والإناث، ومشاركة المرأة في الكشافة وغيرها، مما تم لهم تطبيقه أو يسعون إلى تنفيذه إلا أمثلة على خطتهم الماكرة التي يسعون من خلالها إلى إيقاع الفتنة بين ولاية الأمر وشعوبهم، بدلاً من إطفائها، والسعي إلى جمع الشمل، وتوحيد الكلمة، وتنفيذ توجيهات علماء الأمة، والالتفاف حولهم.

وهذه فتاوى العلماء في بعض ما ذكر:

بيان اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

حول ما نُشر في الصحف عن المرأة<sup>(٢)</sup>

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فمما لا يخفى على كل مسلم بصير بدينه، ما تعيشه المرأة المسلمة تحت ظلال الإسلام، وفي هذه البلاد خصوصاً، من كرامة، وحشمة، وعمل لائق بها، ونيل لحقوقها الشرعية التي

(١) قطعة من حديث في «صحيح البخاري» (برقم ٧٠٨٤).

(٢) «فتاوى اللجنة الدائمة» (١٧/٢٤٤)، بتاريخ ٢٥/١/١٤٢٠ هـ.

أوجبها الله لها، خلافاً لما كانت تعيشه في الجاهلية، وتعيشه الآن في بعض المجتمعات المخالفة لأداب الإسلام، من تسبب وضياع وظلم.

وهذه نعمة نشكر الله عليها، ويجب علينا المحافظة عليها، إلا أن هناك فئات من الناس ممن تلوثت ثقافتهم بأفكار الغرب، لا يُرضيهم هذا الوضع المشرف، الذي تعيشه المرأة في بلادنا من حياء، وستر، وصيانة، ويريدون أن تكون مثل المرأة في البلاد الكافرة، والبلاد العلمانية، فصاروا يكتبون في الصحف، ويطلبون باسم المرأة بأشياء تتلخص في:

١- هتك الحجاب الذي أمرها الله به في قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ آدَبٌ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وبقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وقول عائشة رضي الله عنها في قصة تخلّفها عن الركب، ومرور صفوان بن المعطل رضي الله عنه عليها، وتخميرها لوجهها لما أحست بالرجال، قالت: «وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ»<sup>(١)</sup> وقولها: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ، فَإِذَا مَرَّ بِنَا الرَّجَالُ سَدَلَتْ إِحْدَانَا

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٢٦٦١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٧٧٠).

خَمَارَهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ»<sup>(١)</sup>.

إلى غير ذلك مما يدل على وجوب الحجاب على المرأة المسلمة من الكتاب والسنة، ويريد هؤلاء منها أن تُخالف كتاب ربها وسنة نبيها، وتصبح سافرة يتمتع بالنظر إليها كل طامع وكل من في قلبه مرض.

٢- ويُطالبون بأن تُمكن المرأة من قيادة السيارة، رغم ما يترتب على ذلك من مفسد وما يُعرضها له من مخاطر لا تخفى على ذي بصيرة.

٣- ويُطالبون بتصوير وجه المرأة، ووضع صورتها في بطاقة خاصة بها تتداولها الأيدي، ويطمع فيها كل من في قلبه مرض، ولا شك أن ذلك وسيلة إلى كشف الحجاب.

٤- يُطالبون باختلاط المرأة بالرجال، وأن تتولى الأعمال التي هي من اختصاص الرجال، وأن تترك عملها اللائق بها والمتلائم مع فطرتها وحشمتها، ويزعمون أن في اقتصارها على العمل اللائق بها تعطيلاً لها.

ولا شك أن ذلك خلاف الواقع، فإن توليتها عملاً لا يليق بها هو تعطيّلها في الحقيقة، وهذا خلاف ما جاءت به الشريعة من منع

(١) «سنن أبي داود» (برقم ١٨٣٣)، وفي سنده ضعف؛ ويشهد له حديثُ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنَّا نُخَمِّرُ وُجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ، وَنَحْنُ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. رواه مالك في «الموطأ» (برقم ٩٧٣)، وقال محققه: أثر صحيح.

الاختلاط بين الرجال، والنساء، ومنع خلوة المرأة بالرجل الذي لا تحل له، ومنع سفر المرأة بدون محرم، لما يترتب على هذه الأمور من المحاذير التي لا تُحمد عقباها.

ولقد منع الإسلام من الاختلاط بين الرجال والنساء حتى في مواطن العبادة، فجعل موقف النساء في الصلاة خلف الرجال، ورغب في صلاة المرأة في بيتها، فقال النبي ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَبِئُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَّهُنَّ»<sup>(١)</sup> كل ذلك من أجل المحافظة على كرامة المرأة، وإبعادها عن أسباب الفتنة.

فالواجب على المسلمين أن يحافظوا على كرامة نسائهم، وأن لا يلتفتوا إلى تلك الدعايات المضللة، وأن يعتبروا بما وصلت إليه المرأة في المجتمعات التي قبلت مثل تلك الدعايات، وانخدعت بها من عواقب وخيمة، فالسعيد من وعظ بغيره.

كما يجب على ولاة الأمور في هذه البلاد أن يأخذوا على أيدي هؤلاء السفهاء، وأن يمنعوا من نشر أفكارهم السيئة، حماية للمجتمع من آثارها السيئة، وعواقبها الوخيمة، فقد قال النبي ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ ﷺ: «اسْتَوْضُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»<sup>(٣)</sup>، ومن الخير لهن المحافظة

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٨١/٨) (برقم ٤٦٥٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح. ورواه في موضع آخر (٣٤٠/٩) (برقم ٥٤٧١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٥١٨٦)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٤٦٨).

على كرامتهن، وعفتهن، وإبعادهن عن أسباب الفتنة.  
وفق الله الجميع لما فيه الخير، والصلاح، وصلى الله وسلم  
على نبينا محمد وآله وصحبه.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو  
عبد الله بن غديان

عضو  
بكر أبو زيد صالح الفوزان

الرئيس  
عبد العزيز بن باز

نائب الرئيس  
عبد العزيز آل الشيخ

بيان المشايخ العلماء: الجبرين، والبراك، والراجحي  
في حكم الأندية الرياضية النسائية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد: فإن المطالبة بفتح أندية رياضية للنساء مخالفة  
ظاهرة لما جاءت به الشريعة - شريعة الله لا الشريعة الدولية - من  
أحكام قوية فيها صيانة كرامة المرأة المسلمة عن التدنس بأخلاق  
الجاهلية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ  
الْأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وفي لزوم المرأة المسلمة وإلزامها بالأداب الشرعية، سلامة  
المجتمع من شر فتنة النساء، وطهارته من شيوع الفاحشة، وأسبابها،  
قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور: ١٩].

ولا ريب أن الذين يطالبون بفتح هذه الأندية النسائية لهم نصيب من هذا الدم، والوعيد، فإن فتح هذه الأندية من أعظم الأسباب، وأوسع الأبواب لإشاعة الفاحشة، ولهذا نُحذر عموم المسلمين من الانخداع بالدعايات المضللة لهذه الأندية، ونُحذر أولئك المطالبين، من سخط الله وعقابه لما يتسببون فيه من شر على هذه الأمة، وما يجنونه على المرأة، والمجتمع من مفسد هذه الأندية عاجلة، وآجلة.

وإننا نذكر الجميع بالله الذي سنقدم عليه، ونقف بين يديه، كَمَا قَالَ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ»<sup>(١)</sup>.

ووالله الذي لا إله إلا هو: إن افتتاح هذه النوادي ليس عملاً صالحاً، بل هو حرام لما يُفضي إليه من المفسد المحققة، فالمرأة في كل زمان ولا سيما هذا الزمان أحوج ما تكون إلى القرار الذي أمر الله به نساء نبيه ﷺ في قوله تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

وما يُذكر من شبهة خروج بعض النساء للرياضة بالدوران على بعض المباني هو خطأ من قلة من النساء، لا يصح أن يعالج بخطأ أعظم منه، وهو فتح أبواب واسعة لخروج المرأة في كل

(١) «صحيح مسلم» (برقم ١٠١٦).

نواحي المملكة.

ومعلوم أن هذه الأندية لا تحقق الرياضة إلا للمشاركة في المباريات، وهذا لا يُتاح إلا لقلّة من النساء كما هو الشأن في أندية الشباب، وسائرهن يحضر للتفرّج والتشجيع كلّ لفريقه، كما أن من المعلوم أنه لن يرتاد هذه الأندية من النساء إلا من تكون قليلة الحياء، أو عديمته.

وعلى هذا: فهذه الأندية حقيقتها ملاعب، وملاهي، وستضاف مفسد هذه الأندية النسائية، أخلاقية وأمنية إلى ما تعانيه الأمة من مفسد أندية الشباب.

هذا ويجب أن يُعلم: أن تحريم فتح هذه الأندية ليس تحريمًا لجنس الرياضة، فللمرأة أن تمارس الرياضة في بيتها بالوسائل المتاحة لها وهي كثيرة، ولها أن تُسابق زوجها في مكان خال كالبرية ونحوها كما سابق النبي ﷺ عائشة رضيها مرّتين، رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد<sup>(١)</sup>. ومن العجب أن يُجعل ذلك دليلًا على فتح الأندية.

نسأل الله أن يوفق ولاية أمورنا لما فيه الخير، والصالح لهم، ولرعيتهم، وأن يرزق الجميع البصيرة في الدين، والاستقامة عليه،

(١) «سنن ابن ماجه» (برقم ١٩٧٩)، وأحمد في «مسنده» (١٤٥-١٤٤/٤٠) (برقم ٢٤١١٨)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

إنه ولي ذلك والقادر عليه<sup>(١)</sup>.

### الموقَّعون

عبد الرحمن بن ناصر البراك

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

رسالة من الإمام عبد الله بن حميد إلى الملك فيصل رحمهما الله

نشرت في كتاب الدرر السنية المجلد الخامس عشر، وفيها:

ومن أهم ما يجب المبادرة إلى رفعه وإزالته، أو دفعه وعدم إقراره، هو: وجود هذه السينمات التي انتشرت في أكثر الأماكن، وما يعرض فيها من صور خليعة، وأمراض أخلاقية فتّاقة، تقتل ما في الإنسان من رجولية، أو مروءة، أو ديانة، إنها والله فح نضبه لنا أعداؤنا، ليذهبوا ما فينا من حماسة أخلاقية، امتاز بها المسلمون على غيرهم، وقد أدركوا ما يريدون من كثير من أبناء المسلمين بسببها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فتاوى تحريم توظيف النساء محال بيع المستلزمات النسائية:

قال الشيخ عبد العزيز آل الشيخ: «إن توظيف النساء في محال بيع المستلزمات النسائية، وجعل المرأة في مواجهة الرجال تحاسب، وتبيع بلا حياء ولا خجل، تترتب عليه مصائب كثيرة

(١) «البيان» بتاريخ ١٣/٥/١٤٢٨هـ، المصدر: مكتب الشيخ عبد العزيز الراجحي.

يتحمل أوزارها التجار أصحاب هذه المحال، وأكد أن التساهل في توظيف النساء في أعمال يكن فيها في مقابلة الرجال جرم ومخالف للشرع»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ صالح الفوزان: «قرأت ما نشرته الصحف ما جاء في خطبة الجمعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ - حَفِظَهُ اللهُ - من تحريم جعل المرأة موظفة في المحلات التجارية تبيع المستلزمات النسائية على رواد المحلات من الرجال، وغيرهم، وتقابلهم مما يتنافى مع حشمتها وحيائها، وقد صدر سابقاً من اللجنة الدائمة للإفتاء فتوى بتحريم عمل الكاشيرات في المحلات التجارية، كما أن هذا العمل يتنافى مع القرارات الصادرة من ولاية الأمر في ضوابط عمل المرأة. وأضاف: وإذا كان أصحاب هذه المحلات بحاجة إلى عمال فليكونوا من الرجال، وهم كثيرون وبحاجة إلى العمل، والواجب التقيد بأوامر الشرع وبقرارات ولاية الأمر الموافقة لها تجنباً للفتنة ومحافظة على العفة، وفق الله الجميع لصالح القول والعمل»<sup>(٢)</sup>.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «خطبة الجمعة» بتاريخ ٦/٢/١٤٣٣هـ، المصدر: موقع المسلم.

(٢) بتاريخ ٩/٢/١٤٣٣هـ، المصدر: موقع المسلم.



## الإيمان بالرسول عليهم السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالرسول عليهم السلام، وهو ركن من أركان الإيمان الستة، والرسول هم الذين أوحى الله إليهم بالشرائع وأمرهم بتبليغها، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. فمن قصه الله علينا وعرفناه أننا به بعينه، ومن لم يُقصص علينا ولم نعرفه نؤمن به إجمالاً. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ شارح الطحاوية: «وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه، وخصوصاً محمداً ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأول الرسل نوح ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا

إِلَى نُوحٍ وَالتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ» [النساء: ١٦٣]. يعني وحياً كما يحائنا إلى نوح والنبیین من بعده وهو وحي الرسالة، روى البخاري ومسلم في صحيحهما حديث الشفاعة وفيه: «أن أهل الموقف يقولون لنوح: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>. أما آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو نبي وليس برسول.

وآخرهم، وخاتمهم، وأفضلهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وكل رسول كان يرسل إلى قومه، أما نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد أرسل إلى الناس جميعاً، العرب، والعجم، والجن، والإنس، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

والرسل درجات، قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وأفضلهم الخمسة أولي العزم من الرسل، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٦٥٦٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٩٢).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ١٥٣).



والأنبياء على درجة عظيمة من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]. أبر الناس قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأوسعهم حلمًا، بر بالوالدين، وصدق في الوعد، وحلم وأناة وشجاعة، وكرم، وعفة، وحفظ للجميل، ووفاء لمعروف الآخرين، وإحسان إلى الناس، وإليك النصوص فتدبر:

قال تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [١٤] ﴿مريم: ١٤﴾. وقال تعالى عن إسماعيل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [٥٤] ﴿مريم: ٥٤﴾. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [٧٥] ﴿هود: ٧٥﴾. وهو أول من أضاف الضيف، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [٢٤] ﴿إذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [٢٥] ﴿الذاريات: ٢٤-٢٦﴾. وَسَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَاهُ قَطِيعًا مِنَ الْغَنَمِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ:

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٧٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٩٢).

أَيُّ قَوْمٍ أَسْلِمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ<sup>(١)</sup>. وَيَقُولُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْوَطِيسُ اتَّقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَيَحَازِيهِ. وَقَالَ يُوسُفُ ﷺ عِنْدَمَا رَاوَدَتْهُ امْرَأَةٌ الْعَزِيزِ: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٢٣)</sup> [يوسف: ٢٣]. وَقَالَ لِإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(٩٢)</sup> [يوسف: ٢٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِزُعَمَاءِ قُرَيْشٍ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ»<sup>(٢)</sup>. وَأَنْبِيَاءُ اللَّهِ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

الأنبياء أشد الناس بلاء، وصبراً في الدعوة إلى الله، روى الترمذي في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: «وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل، والضرب، والشتم، والحبس، فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم عند الله»<sup>(٤)</sup>. اهـ.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣١٢).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢٧/٤). وروى في السيرة.

(٣) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٩٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) «بدائع الفوائد» (ص ٥٦٧)، بتصرف.

فهذا نبينا ﷺ ابتليَ بأنواع من البلاء، فقد شجَّ رأسه، وكسرت رباعيته، وسُجِرَ، ووُضِعَ سلى الجزور على ظهره، ومات له ستة من الولد، وقُتِلَ أصحابه وأقاربه، ورُمِيَ بالحجارة، وقالوا: ساحر ومجنون، وحُوصِرَ في شعب أبي طالب سنوات حتى أكل هو وأصحابه أوراق الشجر، وأُخْرِجَ من بلده.

ونوح ﷺ لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً، وسراً، وجهراً، ويحياً، وزكريا، ابتليا بالقتل، وأيوب ﷺ ابتلى بأنواع من البلاء في جسده، حيث لم يبق موضع في جسده لم يسلم من الأذى سوى قلبه ولسانه، كان يذكر الله بهما ويسبح ليلاً، ونهاراً، صباحاً، ومساءً، وهذا الابتلاء لم يزد الأنبياء، والرسول عليهم السلام إلا صبراً وحمداً وشكراً<sup>(١)</sup>.

فالواجب على المؤمن الإيمان بهم، ومحبتهم، ومن كذب برسول منهم فقد كذب بجميع الرسل، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣].

وجميع الرسل السابقين نسخت شرائعهم بشريعة النبي ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»<sup>(٢)</sup>.

(١) «الخطب المنبرية» د. عبد المحسن القاسم (١/٣٣-٣٦).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢٣/٣٤٩) (برقم ١٥١٥٦)، وصححه الشيخ الألباني كما في «إرواء الغليل» (٦/٣٤) (برقم ١٥٨٩).

وعيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد، بل يحكم بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية<sup>(١)</sup>، قال النووي: أي لا يقبل إلا الإسلام أو السيف<sup>(٢)</sup>.

ومما تقدم يتبين عظيم الإيمان بالرسول وأن الله أقام الحجة على خلقه بإرسالهم، نؤمن بذلك، ونشهد به في الدنيا ويوم القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

كما يتبين رحمة الله تعالى بعباده بإرساله الرسل إلى كل أمة يبشرون وينذرون، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. فله الحمد وله الشكر حتى يرضى، وصلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته على جميع أنبيائه ورسله، نشهد أنهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، ونصحوا لأممهم، كما نشهد ونؤمن أن أكملهم في ذلك كله هو خاتمهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٤٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٥٥).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/ ١٩٠).



### مقتطفات من أخلاقه وسيرته العطرة ﷺ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدُ:

فإن الله أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحنة على الخلائق أجمعين، ففتح به أعيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، والواجب على المسلم أن يكون على علم بأخلاقه وسيرته العطرة ﷺ امثالاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد أثنى الله تعالى على خلق نبيه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤]، وقد كان ﷺ أحسن الناس خلقاً، فلم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً ولا سباباً ولا لعاناً وما خيراً بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فيكون أبعد الناس عنه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكان دائم البشر سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، كان يرفع ثوبه، ويخصف نعله، ويكون في مهنة أهله، ويمشي مع الأراامل والمساكين، ويجيب دعوتهم، ويقضي حاجتهم، ولا يعيب على الخدم ولا يوبخهم، روى الترمذي في سننه من حديث أنس رضي الله عنه

قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُمَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي شَيْءٌ صَنَعْتُهُ: لَمْ صَنَعْتُهُ، وَلَا لِي شَيْءٌ تَرَكْتُهُ: لَمْ تَرَكْتُهُ؟<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ يُوقِّرُ الْكِبَارَ، وَيَرْحَمُ الصُّغَارَ.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ مُتَوَاضِعًا لِعِبَادِ اللَّهِ، فَكَانَ إِذَا صَافَحَهُ الرَّجُلُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْزِعُ يَدَهُ<sup>(٣)</sup>.

وَكَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ<sup>(٤)</sup>.

قال ابن حجر: المقصود من الأخذ باليد لازمة وهو الرفق والانقياد، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ<sup>(٥)</sup>.

وَكَانَ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا قَوْمِ اسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي

(١) «سنن الترمذي» (برقم ٢٠١٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأصله في الصحيحين.

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣١٦).

(٣) جزء من حديث في «سنن الترمذي» (برقم ٢٤٩٠). وقال الألباني: ضعيف، إلا جملة المصافحة فهي ثابتة (ص ٤٠٦).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٧٢).

(٥) «فتح الباري» (١٠/٤٩٠).

عَطَاءٌ مَا يَخَافُ الْفَقْرَ<sup>(١)</sup>.

وَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَرَدَّ طَالِبُهُ<sup>(٢)</sup>، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، فَقَدْ خَيْرَ بَيْنَ أَنْ يَعِيشَ فِي الدُّنْيَا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ<sup>(٣)</sup>، وَكَانَ يَمُرُّ الْهَلَالَ تَلُوَ الْهَلَالَ، وَمَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ<sup>(٤)</sup>.

وَيَبِيتُ اللَّيَالِي طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً<sup>(٥)</sup>، وَكَانَ يَقُولُ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا إِلَّا كَرَاجِبٍ اسْتَظَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ تَرَكَهَا وَرَاحَ»<sup>(٦)</sup>. قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ يَلْتَوِي مِنَ الْجُوعِ مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ<sup>(٧)</sup> مَا يَمَلَأُ بَطْنَهُ<sup>(٨)</sup>. وَمَاتَ وَلَمْ يُخَلَّفْ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، إِلَّا سِلَاحَهُ، وَبَغْلَتَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً<sup>(٩)</sup>. وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ<sup>(١٠)</sup>.

(١) «صحيح مسلم» (برقم ٢٣١٢).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٦٠٣٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣١١).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٣٧٦/٢٥) (برقم ١٥٩٩٧)، وقال محققوه: إسناده ضعيف؛ لكن الحديث صحيح في استغفاره لأهل البقيع، واختياره لقاء ربه.

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٦٤٥٩)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٩٧٢).

(٥) «سنن الترمذي» (برقم ٢٣٦٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) «سنن ابن ماجه» (برقم ٤١٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٩٤/٢) (برقم ٣٣١٧).

(٧) التمر الرديء.

(٨) «صحيح مسلم» (برقم ٢٩٧٨).

(٩) «صحيح البخاري» (برقم ٤٤٦١).

(١٠) «صحيح البخاري» (برقم ٤٤٦٧)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٦٠٣).

جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلْ إِلَيَّ بَعْضَ نِسَائِهِ،  
فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلْ إِلَيَّ أُخْرَى،  
فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَا كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

وَفِي مَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَيَقَالَ:  
كَيْفَ تَصْنَعُ ذَلِكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟  
فَيَقُولُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ أَنَسُ رضي الله عنه: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ  
أَنْ لَا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا  
تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي مَقَامِ الشَّجَاعَةِ كَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ وَأَصْبَرَهُمْ، قَالَ الْبَرَاءُ ابْنُ  
عَازِبٍ رضي الله عنه: «كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا  
لَلَّذِي يُحَازِي بِهِ - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم -»<sup>(٤)</sup>.

ولقد ولَّى الناس كلهم يوم حنين وكانوا اثني عشر ألفاً ولم  
يبق معه إلا نحو مئة من أصحابه وهو راكب بغلته يركض بها نحو  
العدو ويقول: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»<sup>(٥)</sup>. وما  
زال كذلك حتى نصره الله، وَقَدْ أُوْذِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَذًى

(١) «صحيح البخاري» (برقم ٣٧٩٨)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٠٥٤) واللفظ له.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١١٣٠)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٨٢٠).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ١١٤١).

(٤) «صحيح مسلم» (برقم ١٧٧٦).

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٢٨٦٤)، و«صحيح مسلم» (برقم ١٧٧٦).

عَظِيمًا؛ فَكَسِرَتْ رُبَاعِيَّتَهُ، وَشَجَّ رَأْسَهُ، وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ أُودِيَتْ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي وَلَا لِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ»<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ ﷺ حَسَنَ الصُّحْبَةِ، جَمِيلَ المَعَاشِرَةِ، يَصِلُ ذَوِي رَحِمِهِ، وَكَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَدْرَاءِ فِي خِدْرِهَا<sup>(٢)</sup>، قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ<sup>(٣)</sup>، وَكَانَ يَنْهَى أَصْحَابَهُ أَنْ يَرْفَعُوهُ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَيَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي»<sup>(٤)</sup> كَمَا أَطْرَبَ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ<sup>(٥)</sup>.

أحبه الصحابة حبًّا جمًّا، إن قال، استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره<sup>(٦)</sup>، قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(٧)</sup>، جمع من الأخلاق أطيبيها، ومن الآداب أزكاها،

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤٤٣/٢١) (برقم ١٤٠٥٥)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ٣٥٦٢)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٢٠).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٠٣٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٤٧٥).

(٤) الإطراء: هو حسن الثناء. أي: لا تبالغوا في مدحي، كما بالغت النصارى في مدح عيسى ﷺ، فجعلوه إلهًا أو ابن إله.

(٥) «صحيح البخاري» (برقم ٣٤٤٥).

(٦) «صحيح البخاري» (برقم ٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

(٧) «مسند الإمام أحمد» (٣٦٧/١٩) (برقم ١٢٣٧٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «لا تحفظ له كذبة واحدة، ولا ظلم لأحد، ولا غدر بأحد، بل كان أصدق الناس وأعدلهم، وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال عليه من أمن وخوف وغنى وفقر، وقلة وكثرة»<sup>(١)</sup>.

وكان ﷺ أفصح الناس وأبلغهم بياناً، صلى ذات يوم صلاة الفجر، فصعد المنبر فخطب الناس حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر حتى حضرت العصر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس فأخبرهم بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

كان ﷺ أبهى الناس وأحسنهم منظرًا، إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، قال البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>، وكان طيب الجسد، زكي الرائحة، قال أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا شَمِمْتُ عَبْرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكًَا، وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ دِيْبًا جَا وَلَا حَرِيرًا أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

ويجب على المؤمن أن يعرف للنبي ﷺ منزلته وقدره، فلا يرفعه فوق منزلته، ولا ينقص من منزلته، وعليه اتباعه، وامتناله أوامره، واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٥/٤٣٩).

(٢) «صحيح مسلم» (برقم ٢٨٩٢).

(٣) «صحيح البخاري» (برقم ٣٥٥١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٣٧).

(٤) «صحيح البخاري» (برقم ٣٥٦١)، و«صحيح مسلم» (برقم ٢٣٣٠).

يُحِبُّكُمْ اللَّهُ ﴿ [آل عمران: ٣١].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «ويحصل تعظيم الرسول ﷺ بتعظيم أوامره، واجتناب نواهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه، ونصرته، وموالاته من عمل به، ومعاداة من خالفه، ومحبة مقدمة على المال والأهل والولد»<sup>(١)</sup>.

روى البخاري في صحيحه من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص ٢٥٥).

(٢) «صحيح البخاري» (برقم ١٥)، و«صحيح مسلم» (برقم ٤٤).



## الفهرس الأول

### فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب<sup>(١)</sup>

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	٣- من أسماء الله الحسنى (الغافر) -		كتاب العلم
٦٨٧ .....	الغفار - الغفور).....	٣٢٥ .....	١- الفقه في الدين وفضله .....
	أركان الإيمان		«أ- قسم العقيدة»
٥٨٥	١- الإيمان بالملائكة عليهم السلام		توحيد الربوبية
٦١٥	٢- الإيمان بالكتب السابقة وآثاره .	٥٦٣ .....	١- وقفات مع سورة الكافرون .....
	٣- الإيمان بالرسل الكرام عليهم السلام		توحيد العبادة
٧٦١ .....	٤- فوائد الإيمان بالقضاء والقدر ..	٦٤٩ .....	١- الإنابة .....
٥٤١	الإيمان باليوم الآخر		خطر الشرك
	١- من مشاهد القيامة (الحشر وأهواله) .....	٤٠١ .....	١- الكفر وأنواعه .....
٢٥ .....	٢- من أهوال يوم القيامة .....	٢٣٧ .....	٢- الرياء .....
١٤٩ .....	٣- الشفاعة .....		التحذير من الفرق الضالة والتمسك بالكتاب والسنة
٦٩ .....	٤- من مشاهد القيامة (القنطرة بين الجنة والنار) .....	٣٣١ .....	١- خطر النصيرية .....
٥٧٩ .....	٥- الجنة والنار كأنها رأي عين .....	٤٣٧ .....	٢- الاعتصام بالكتاب والسنة .....
٨٧ .....	«ب- قسم التفسير»		توحيد الأسماء والصفات
	سورة البقرة		١- من أسماء الله الحسنى (الحليم) .. ٣١
٢٦٣ .....	١- وقفات مع أواخر سورة البقرة ..	١٢٥ .....	- من أسماء الله الحسنى (الحفيظ، الحافظ) .....

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢	تأملات في قوله تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾	سورة آل عمران	
٢٤٣	وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴿ ..... ﴾	١- تأملات في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ ﴾	أَسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴿ ..... ﴾ ٣٩
	٣- فوائد من قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا ﴾	٢- فوائد من قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾	ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴿ ..... ﴾ ١٧٥
١٣٧	لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴿ ..... ﴾	سورة الرحمن	
	١- فوائد من قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾	سورة النساء	
١٩٣	فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿ ..... ﴾	١- تأملات في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا ﴾	..... ٥٥
	سورة الحاقة	سورة الأنعام	
	١- تأملات في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾	١- فوائد من قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾	..... ٩٩
٧٥	..... ﴿	٢- تأملات في قوله تعالى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾	..... ١١٧
	جزء عم	سورة الأنفال	
٥٦٣	١- وقفات مع سورة الكافرون.....	١- تأملات في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ ﴾	..... ١٥٧
٤٦١	٢- تأملات في سورة النصر.....	٢- تأملات في قوله تعالى ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾	..... ٢٨٩
٥٢١	٣- وقفات مع سورة قريش.....	٣- فوائد من قوله تعالى ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾	..... ٢٩٥
٤٣١	٤- تأملات في سورة الكوثر.....	سورة التوبة	
٤٨٥	٥- تأملات في سورة الفيل.....	١- تأملات في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ عَابَاؤُكُمْ ﴾	..... ٢٠٩
٣٩٥	٦- فوائد وحكم من سورة العاديات		
٦٤٣	٧- تأملات في سورة الانشراح.....		
	٨- تأملات في قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكَّادًا ﴾		
٢١	..... ﴿		
٤١٩	٩- تأملات في سورة الانفطار.....		
	«ج - قسم الفقه»		
٣٢٥	١- الفقه في الدين وفضله.....		

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٥٣	٨- التحذير من الغيبة.....	١٤١	٢- من أحكام وآداب السفر .....
٤٩١	٩- خطر النميمة.....	٣١٩	٤- اتباع الهوى.....
٥٢٧	١٠- محاسبة النفس.....	٧٤٧	٣- التحايل على الأحكام الشرعية.
١٨١	١١- البكاء من خشية الله.....		<b>الصلاة</b>
	<b>الفضائل</b>		١- صلاة الكسوف.....
١٦٣	١- فضائل الأعمال الصالحة.....		<b>الصيام</b>
	٢- الصلاة على النبي ﷺ - فضائلها وفوائدها.....	٤٥	١- صيام يوم عاشوراء.....
٢٨٣	٣- فضائل غزوة بدر.....		<b>العمرة والحج</b>
٣٧٧	٤- فضائل مكة وحرمتها.....	٣٤٣	١- محظورات الإحرام.....
٣٨٥	٥- فضائل المدينة وحرمتها.....	٣٥١	٢- فضل العمرة وصفتها.....
٥٩٣	٦- فضائل الشام.....	٣٦٣	٣- شروط الحج.....
٦٧١	٧- فضائل العفو.....	٣٦٧	٤- صفة الحج وواجباته.....
	<b>الأخلاق المحمودة</b>		<b>آداب عامة</b>
١٠٥	١- قوة الإرادة.....	٤٤٥	١- من آداب النوم.....
٥١٥	٢- الرفق.....	٦٩٣	٢- من آداب اللباس.....
٢١٥	٣- تواضعه عليه الصلاة والسلام..		<b>المواعظ والرفائق</b>
	<b>الأخلاق المذمومة</b>		١- مجالس الصحابة.....
٦٦٣	١- ذم البخل.....	٢٥٧	٢- أحوال وقصص المحتضرين... ..
٥٥٧	٢- ذم الجبن.....	٤٦٧	٣- مكائد الشيطان.....
٨١	٣- الكبر.....	٤٩	٤- التحذير من الغفلة.....
	<b>السير</b>	٣٣٧	٥- الجزء من جنس العمل.....
٤٧٣	١- دروس وعبر من الهجرة النبوية.....	٦٣١	٦- مجالس الناس.....
	٢- المعجزات والكرامات في غزوة بدر.....	٧٣١	٧- التناقضات في حياة بعض الناس.....
٢٩٩		٢٤٩	



## الفهرس الثاني فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الموضوع الصفحة

### الجزء السادس

- ٥ ..... تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي
- ٧ ..... تقديم فضيلة الشيخ ناصر بن سليمان العمر
- ٩ ..... تقديم فضيلة الشيخ سعد بن عبد الله الحميد
- ١١ ..... تقديم فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد
- ١٣ ..... المقدمة
- ١٥ ..... ١- الصلاة على النبي ﷺ - فضائلها، وفوائدها
- ٢١ ..... ٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا﴾
- ٢٥ ..... ٣- من مشاهد القيامة (الحشر وأهواله)
- ٣١ ..... ٤- من أسماء الله الحسنى (الحليم)
- ٣٩ ..... ٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقْبَلُوا الْحَدِيثَ مِنَ الرُّسُلِ وَأَقْبَلُوا الرِّسَالَاتِ مِنْ بَعْدِ مَا
- ٤٥ ..... ٦- صيام يوم عاشوراء
- ٤٩ ..... ٧- مكائد الشيطان
- ٥٥ ..... ٨- تأملات في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا﴾
- ٦١ ..... ٩- الابتلاء بالمرض
- ٦٩ ..... ١٠- الشفاعة

الموضوع	الصفحة
١١- تأملات في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ .....	٧٥
١٢- الكبر .....	٨١
١٣- الجنة والنار كأنها رأي العين .....	٨٧
١٤- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ .....	٩٩
١٥- قوة الإرادة .....	١٠٥
١٦- فضائل أم المؤمنين خديجة <small>رضي الله عنها</small> .....	١١١
١٧- تأملات في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ .....	١١٧
١٨- من أسماء الله الحسنى (الحفيظ والحافظ) .....	١٢٥
١٩- مقتطفات من سيرة عبد الله بن مسعود <small>رضي الله عنه</small> .....	١٣١
٢٠- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ .....	١٣٧
٢١- من أحكام السفر وآدابه .....	١٤١
٢٢- من أهوال يوم القيامة .....	١٤٩
٢٣- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ .....	١٥٧
٢٤- فضائل الأعمال الصالحة .....	١٦٣
٢٥- خطورة دور السينما .....	١٦٩
٢٦- فوائد من قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .....	١٧٥

الموضوع	الصفحة
٢٧- البكاء من خشية الله .....	١٨١
٢٨- الأخوة الإسلامية .....	١٨٧
٢٩- فوائد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ .....	١٩٣
٣٠- قبول العمل .....	١٩٧
٣١- برُّ الوالدين .....	٢٠٣
٣٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ...﴾ .....	٢٠٩
٣٣- تواضعه عليه الصلاة والسلام .....	٢١٥
٣٤- النسيان آفته، وفوائده .....	٢٢١
٣٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ .....	٢٢٧
٣٦- عيادة المريض .....	٢٣١
٣٧- الرياء .....	٢٣٧
٣٨- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ .....	٢٤٣
٣٩- التناقضات في حياة بعض الناس .....	٢٤٩
٤٠- مجالس الصحابة .....	٢٥٧
٤١- تفسير أواخر سورة البقرة .....	٢٦٣
٤٢- فضائل أم المؤمنين عائشة <small>رضي الله عنها</small> .....	٢٦٩

الموضوع	الصفحة
٤٣- دروس وعبر من سيرة معاذ بن جبل <small>رضي الله عنه</small> .....	٢٧٧
٤٤- فضائل غزوة بدر .....	٢٨٣
٤٥- تأملات في قوله تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ... ﴾ .....	٢٨٩
٤٦- فوائد من قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ... ﴾ .....	٢٩٥
٤٧- المعجزات والكرامات في غزوة بدر .....	٢٩٩
٤٨- غزوة بدر مشاهد وأحداث من أرض المعركة (١) .....	٣٠٥
٤٩- غزوة بدر مشاهد وأحداث من أرض المعركة (٢) .....	٣١٣
٥٠- اتباع الهوى .....	٣١٩
٥١- الفقه في الدين وفضله .....	٣٢٥
٥٢- خطر الطائفة النصيرية .....	٣٣١
٥٣- التحذير من الغفلة .....	٣٣٧
٥٤- محظورات الإحرام .....	٣٤٣
٥٥- فضل العمرة وصفتها .....	٣٥١

### الجزء السابع

٥٦- شروط وجوب الحج .....	٣٦٣
٥٧- صفة الحج وواجباته .....	٣٦٧
٥٨- فضائل مكة وحرمتها .....	٣٧٧

الموضوع	الصفحة
٥٩- فضائل المدينة وحُرمتها	٣٨٥
٦٠- فوائد وحكم من سورة العاديات	٣٩٥
٦١- الكفر وأنواعه	٤٠١
٦٢- صلاة الكسوف	٤٠٧
٦٣- التفكير أحواله وفوائده	٤١٣
٦٤- تأملات في سورة الانفطار	٤١٩
٦٥- الترغيب في الزواج	٤٢٥
٦٦- وقفة مع سورة الكوثر	٤٣١
٦٧- الاعتصام بالكتاب والسنة	٤٣٧
٦٨- من آداب النوم	٤٤٥
٦٩- التحذير من الغيبة	٤٥٣
٧٠- تأملات في سورة النصر	٤٦١
٧١- أحوال الموتى والمحتضرين	٤٦٧
٧٢- دروس وعبر من الهجرة النبوية	٤٧٣
٧٣- السواك	٤٧٩
٧٤- وقفات مع سورة الفيل	٤٨٥
٧٥- خطر النميمة	٤٩١
٧٦- الفأل وحسن الظن بالله	٤٩٩
٧٧- مواقف مؤثرة من سيرة الإمام أحمد بن حنبل	٥٠٧
٧٨- الرفق	٥١٥

الموضوع	الصفحة
٧٩- وقفات مع سورة قريش .....	٥٢١
٨٠- محاسبة النفس .....	٥٢٧
٨١- الإمام عبد الله بن المبارك وشيء من أخباره .....	٥٣٣
٨٢- فوائد الإيمان بالقضاء والقدر .....	٥٤١
٨٣- قضاء حوائج الناس .....	٥٤٩
٨٤- ذم الجبن .....	٥٥٧
٨٥- وقفات مع سورة الكافرون .....	٥٦٣
٨٦- فضائل معاوية بن أبي سفيان .....	٥٧١
٨٧- من مشاهد القيامة القنطرة بين الجنة والنار .....	٥٧٩
٨٨- الإيمان بالملائكة عليهم السلام .....	٥٨٥
٨٩- فضائل الشام .....	٥٩٣
٩٠- تأملات في سورة التين .....	٦٠١
٩١- الفقراء والضعفاء .....	٦٠٧
٩٢- الإيمان بالكتب السابقة وآثاره .....	٦١٥
٩٣- الجزاء من جنس العمل .....	٦٣١
٩٤- خطورة الغضب .....	٦٣٧
٩٥- تأملات في سورة الانشراح .....	٦٤٣
٩٦- الإنابة .....	٦٤٩
٩٧- مواقف مؤثرة من سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية .....	٦٥٥
٩٨- ذم البخل .....	٦٦٣

الموضوع	الصفحة
٩٩- فضائل العفو.....	٦٧١
١٠٠- مقتطفات من سيرة بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي .....	٦٧٩
١٠١- من أسماء الله الحسنى الغافر - الغفار - الغفور .....	٦٨٧
١٠٢- من آداب اللباس .....	٦٩٣
١٠٣- خطر الرشوة .....	٧٠١
١٠٤- مقتطفات من سيرة ترجمان القرآن عبد الله بن عباس .....	٧٠٩
١٠٥- مخاطر الابتعاث وضوابطه .....	٧١٩
١٠٦- مجالس الناس .....	٧٣١
١٠٧- مواقف مؤثرة من سيرة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ .....	٧٣٩
١٠٨- التحايل على الأحكام الشرعية .....	٧٤٧
١٠٩- الإيمان بالرسول عليهم السلام .....	٧٦١
١١٠- مقتطفات من أخلاقه وسيرته العطرة ﷺ .....	٧٦٩
فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب .....	٧٧٧
فهرس الكلمات حسب ترتيب الكتاب .....	٧٨١



## فهرس الجزء (٤ - ٥) فهرس الكلمات حسب موضوعات الكتاب<sup>(١)</sup>

<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>
٣- خطورة السحر وتحريم		أ- (قسم العقيدة)	
الذهاب إلى السحرة..... ٤٧٥		توحيد العبادة	
التحذير من النفاق		١- الأمن من مكر الله..... ١٦٥	
والفرق الضالة		٢- الخوف من الله..... ٢٨٥	
١- خطر الرافضة..... ٢١٣		٣- المفهوم الخاطيء للدين .... ٣٦٣	
٢- صفات اليهود..... ٦٢٧		٤- اليقين..... ٣٧٧	
توحيد الأسماء والصفات		٥- نزول المطر..... ٥٢٩	
١- شرح اسم الله الخالق..... ٤٣		٦- قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ	
٢- شرح اسم الله الفتح..... ١٠٧		عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ	
٣- شرح اسم الله اللطيف..... ٢١٩		تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴿١٠٠﴾	
٤- شرح اسم الله الرزاق..... ٣٣٣		خطر الشرك	
٥- شرح اسم الله الكافي..... ٤٠٣		١- إن من الشرك إرادة الإنسان	
٦- شرح اسم الله الغني..... ٤٣٩		بعمله الدنيا..... ٢٢٥	
٧- شرح اسم الله الشهيد..... ٤٨٧		٢- الإعراض عن الدين ..... ٣٥٣	

(١) بعض الكلمات قد يتكرر ذكرها في أكثر من موضع لمناسبة ذلك.

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٩١	الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١﴾ ..... «سورة المائدة»	٥١٥	٨- شرح اسم الله البصير.....
	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ..... ٦١١	٥٤٩	٩- شرح اسم الله السميع.....
	«سورة هود»	٦٠٥	١٠- شرح اسم الله الوارث.....
	١- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ ..... ١٥		الإيمان باليوم الآخر
	«سورة الحجر»	١٣٩	١- رؤية الله تعالى.....
	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَعُيُونٍ﴾ ..... ٨٥	١٨١	٢- الميزان.....
	٢- وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ..... ٥٠٣	١٩٥	٣- الإيمان بالكرام الكاتبين.....
	٣- الوقفة الثانية مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ..... ٥٠٩	٢٠١	٤- رضوان الله.....
	«سورة الأحزاب»	٣٤١	٥- ما ينتفع به الميت.....
	١- فوائد من قوله تعالى:	٤٢١	٦- البعث بعد الموت.....
	﴿وَلَنْ نَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾ ..... ٦٢١	٥٩٧	٧- موقف الحساب.....
	«سورة آل عمران»	٦١٥	٨- النفخ في الصور.....
	١- دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ		ب- (قسم التفسير)
			سورة البقرة
			١- تأملات في قوله تعالى:
			﴿وَلَنْ نَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾ ..... ٦٢١
			«سورة آل عمران»
			١- دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٢٧	٧- المسد.....	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...﴾	٣٧١
	<b>ج- قسم الحديث</b>	«سورة فصلت»	
	١- شرح حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه»... ٤٩	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا...﴾	١٣٣
	٢- شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات»... ١٧١	«سورة الدهر»	
	٣- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة»... ٣٥٩	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ﴾	٤٥٧
	٤- شرح حديث: «احفظ الله يحفظك»... ٤٥١	«جزء عم»	
	٥- شرح حديث: «الثلاثة الذين آواهم المبيت»... ٥١٩	١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾	٥٦٧
	٦- شرح حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك»... ٥٦١	٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾	٥٧٣
	«الفقه والصلاة»	٣- الضحى.....	٢٥٧
	١- أخطاء في الصلاة رقم ٢..... ٣٧	٤- الزلزلة.....	٥٥٥
	٢- سترة المصلي..... ١٤٥	٥- القارعة.....	٢٠٧
	«الصيام»	٦- الهمزة.....	٤٨١
	١- فضل الأعمال الصالحة في رمضان..... ٣٩٧		

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٩	رفعها.....		«الموت»
٢- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا		١- شرح حديث: «أسرعوا	
مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ		بالجنازة»..... ٣٥٩	
١٥	يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴿.....	٢- ما ينتفع به الميت..... ٣٤١	
٦١	٣- فتنة المال.....		المحرمات
٦٧	٤- فتنة النساء.....		«المال»
٧٩	٥- السخرية بالناس واحتقارهم.....	١- الأسهم المختلطة..... ٢٣٧	
٦- تأملات في قوله			صيانة الأعراض
تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْقِنَ			«اللباس»
٨٥	فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿.....	١- مخالفات في	
٩١	٧- الغرور.....	لباس المرأة.... ١٨٧	
٧٣	٨- فتنة الدنيا.....		«محرمات عامة»
٩٧	٩- قسوة القلب.....	١- السحر والمس والعين..... ١٥٥	
١٠٣	١٠- العجب.....	٢- أضرار المخدرات	
١١- تأملات في قوله تعالى:		والمسكرات..... ٣١٣	
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ		٣- القتل..... ٣٢٧	
ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾..... ١٣٣		٤- خطورة السحر وتحريم	
١٢- الأمن من مكر الله..... ١٦٥		الذهاب إلى السحرة..... ٤٧٥	
١٣- شرح حديث حسب ابن			«المواعظ والرفائق»
آدم لقيمات..... ١٧١		١- العقوبات الإلهية وأسباب	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٦٩	٢- خطر الاختلاط.....	١٧٥	١٤- النصيحة.....
٣٠٣	٣- العشرة الزوجية.....	٢٣١	١٥- كفارات الذنوب رقم ٢.....
	«الأخلاق المحمودة»	٢٨٥	١٦- الخوف من الله.....
٥٣	١- علو الهمة.....	٢٩٧	١٧- أمراض القلوب.....
٤٦٣	٢- الوفاء.....	٣٤٧	١٨- قضاء الدين.....
	«الأخلاق المذمومة»	٣٥٣	١٩- الإعراض عن الدين.....
٢١	١- الذلة وأسبابها.....	٢٠	٢٠- فضل الأعمال الصالحة
	٢- النهي عن السخرية	٣٩٧	في رمضان.....
٧٩	بالناس واحتقارهم.....	٤٠٩	٢١- خطورة المجاهرة بالمعصية
٩١	٣- الغرور.....	٤١٥	٢٢- استقبال العام الجديد.....
١٠٣	٤- العجب.....	٤٤٥	٢٣- المسارعة إلى الخيرات.....
١١٣	٥- خطورة الكذب.....	٥٢٩	٢٤- نزول المطر.....
٣٨٣	٦- التحذير من الكسل.....		الفضائل
	«السير»		«الصيام»
١٥١	١- سيرة مصعب بن عمير.....	١	١- فضل الأعمال الصالحة في
٢٧٥	٢- قصة نبي الله يونس <small>عليه السلام</small> .....	٣٩٧	رمضان.....
٢٨١	٣- سيرة طلحة بن عبيد الله.....		«فضائل عامة»
	٤- دروس وعبر من استشهاد	٢٦٣	١- فضل الصحابة.....
٣١٩	الخليفة عمر.....		«موضوعات تهتم المرأة»
٤٣٣	٥- سيرة أبي عبيدة بن الجراح...٤٣٣	١٨٧	١- مخالفات في لباس المرأة....

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٢٤٩	٣- نعمة العقل.....	٤٦٩	٦- سيرة جعفر بن أبي طالب...
٢٩٧	٤- أمراض القلوب.....	٤٩٧	٧- سيرة عثمان بن عفان....
	٥- أضرار المخدرات	٥٢٣	٨- قصة قارون.....
٣١٣	والمسكرات.....	٥٤١	٩- سيرة الزبير بن العوام.....
	« النبوات »		« قضايا اجتماعية »
١١٩	١- عصمة النبي ﷺ.....	١٥٥	١- السحر والمس والعين.....
٢٧٥	٢- قصة نبي الله يونس عليه السلام....	١٨٧	٢- مخالفات في لباس المرأة....
٣٨٩	٣- معجزاته عليه الصلاة والسلام	٢٤٣	٣- الرفقة الصالحة.....
	« أحداث معاصرة »	٢٦٩	٤- خطر الاختلاط.....
٥٨٧	١- وقفات مع أحداث غزة...	٣٠٣	٥- العشرة الزوجية.....
	٢- وقفات مع الأزمة المالية		٦- أضرار المخدرات
٥٧٩	العالمية.....	٣١٣	والمسكرات.....
٤٩١	٣- أحداث الدانمارك.....	٣٤٧	٧- قضاء الدين.....
٢٣٧	٤- حكم الأسهم المختلطة....	٣٦٣	٨- المفهوم الخاطيء للدين.....
		٣٨٣	٩- التحذير من الكسل.....
			١٠- خطورة السحر وتحريم
		٤٧٥	الذهاب إلى السحرة.....
			« توجيهات عامة »
		١٢٥	١- البشارة وفضائلها.....
		١٧٥	٢- النصيحة.....

## فهرس الجزء (٤ - ٥) فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الموضوع	الصفحة
<b>الجزء الرابع</b>	
تقديم المشايخ .....	٥
المقدمة .....	١٣
١- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ﴾ ..	١٥
٢- الذلة وأسبابها .....	٢١
٣- العقوبات الإلهية وأسباب رفعها .....	٢٩
٤- أخطاء في الصلاة رقم (٢) .....	٣٧
٥- شرح اسم الله الخالق المصور .....	٤٣
٦- شرح حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه» .....	٤٩
٧- علو الهمة .....	٥٣
٨- فتنة المال .....	٦١
٩- فتنة النساء .....	٦٧
١٠- فتنة الدنيا .....	٧٣
١١- السخرية بالناس واحتقارهم .....	٧٩
١٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ .....	٨٥
١٣- الغرور .....	٩١

الموضوع	الصفحة
١٤- قسوة القلب .....	٩٧
١٥- العجب .....	١٠٣
١٦- شرح اسم الله الفتاح .....	١٠٧
١٧- خطورة الكذب .....	١١٣
١٨- عصمة النبي ﷺ .....	١١٩
١٩- البشارة وفضائلها .....	١٢٥
٢٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ...﴾ .....	١٣٣
٢١- رؤية الله تعالى .....	١٣٩
٢٢- سترة المصلي .....	١٤٥
٢٣- سيرة مصعب بن عمير .....	١٥١
٢٤- السحر والمس والعين .....	١٥٥
٢٥- الأمن من مكر الله .....	١٦٥
٢٦- شرح حديث: «حسب ابن آدم لقيمات» .....	١٧١
٢٧- النصيحة .....	١٧٥
٢٨- الميزان .....	١٨١
٢٩- مخالفات في لباس المرأة .....	١٨٧
٣٠- الإيمان بالكرام الكاتبين .....	١٩٥
٣١- رضوان الله تعالى .....	٢٠١
٣٢- تفسير سورة القارعة .....	٢٠٧
٣٣- خطر الرافضة .....	٢١٣

الموضوع	الصفحة
٣٤- شرح اسم الله اللطيف .....	٢١٩
٣٥- إن من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا .....	٢٢٥
٣٦- كفارات الذنوب رقم (٢) .....	٢٣١
٣٧- حكم الأسهم المختلطة .....	٢٣٧
٣٨- الرفقة الصالحة .....	٢٤٣
٣٩- نعمة العقل .....	٢٤٩
٤٠- تفسير سورة الضحى .....	٢٥٧
٤١- فضل الصحابة .....	٢٦٣
٤٢- خطر الاختلاط .....	٢٦٩
٤٣- قصة نبي الله يونس <small>عليه السلام</small> .....	٢٧٥
٤٤- سيرة طلحة بن عبيد الله .....	٢٨١
٤٥- الخوف من الله .....	٢٨٥
٤٦- دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي	
أَلْبَانِهِ﴾ .....	٢٩١
٤٧- أمراض القلوب .....	٢٩٧
٤٨- العشرة الزوجية .....	٣٠٣
٤٩- أضرار المخدرات والمسكرات .....	٣١٣
٥٠- دروس وعبر من استشهاد الخليفة عمر .....	٣١٩



## الجزء الخامس

- ٣٢٧ ..... ٥١- القتل
- ٣٣٣ ..... ٥٢- شرح اسم الله الرزاق
- ٣٤١ ..... ٥٣- ما ينتفع به الميت
- ٣٤٧ ..... ٥٤- قضاء الدين
- ٣٥٣ ..... ٥٥- الإعراض عن الدين
- ٣٥٩ ..... ٥٦- شرح حديث: «أسرعوا بالجنابة»
- ٣٦٣ ..... ٥٧- المفهوم الخاطيء للدين
- ٣٧١ ..... ٥٨- فوائد من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ...﴾
- ٣٧٧ ..... ٥٩- اليقين
- ٣٨٣ ..... ٦٠- التحذير من الكسل
- ٣٨٩ ..... ٦١- معجزاته عليه الصلاة والسلام
- ٣٩٧ ..... ٦٢- فضل الأعمال الصالحة في رمضان
- ٤٠٣ ..... ٦٣- شرح اسم الله الكافي
- ٤٠٩ ..... ٦٤- خطورة المجاهرة بالمعصية
- ٤١٥ ..... ٦٥- استقبال العام الجديد
- ٤٢١ ..... ٦٦- الإيمان بالبعث بعد الموت
- ٤٢٧ ..... ٦٧- تفسير سورة المسد
- ٤٣٣ ..... ٦٨- سيرة أبي عبيدة بن الجراح
- ٤٣٩ ..... ٦٩- شرح اسم الله الغني

الموضوع	الصفحة
٧٠- المسارعة إلى الخيرات .....	٤٤٥
٧١- شرح حديث: «احفظ الله يحفظك» .....	٤٥١
٧٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ .....	٤٥٧
٧٣- الوفاء .....	٤٦٣
٧٤- سيرة جعفر بن أبي طالب .....	٤٦٩
٧٥- خطورة السحر وتحريم الذهاب إلى السحرة .....	٤٧٥
٧٦- تفسير سورة الهمزة .....	٤٨١
٧٧- شرح اسم الله الشهيد .....	٤٨٧
٧٨- أحداث الدانمارك .....	٤٩١
٧٩- سيرة عثمان بن عفان .....	٤٩٧
٨٠- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ .....	٥٠٣
٨١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ رقم (٢) ..	٥٠٩
٨٢- شرح اسم الله البصير .....	٥١٥
٨٣- شرح حديث: الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار .....	٥١٩
٨٤- قصة قارون .....	٥٢٣
٨٥- نزول المطر .....	٥٢٩
٨٦- تواضع السلف وخوفهم من ربهم .....	٥٣٥
٨٧- سيرة الزبير بن العوام .....	٥٤١
٨٨- شرح اسم الله السميع .....	٥٤٩
٨٩- تفسير سورة الزلزلة .....	٥٥٥

الموضوع	الصفحة
٩٠- شرح حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك»	٥٦١
٩١- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾	٥٦٧
٩٢- تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾	٥٧٣
٩٣- وقفات مع الأزمة المالية العالمية	٥٧٩
٩٤- وقفات مع أحداث غزوة	٥٨٧
٩٥- موقف الحساب	٥٩٧
٩٦- شرح اسم من أسماء الله الحسنى الوارث	٦٠٥
٩٧- تأملات في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾	٦١١
٩٨- النفخ في الصور	٦١٥
٩٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾	٦٢١
١٠٠- صفات اليهود	٦٢٧
الفهرس حسب موضوعات الكتاب	٦٣٣
فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب	٦٣٩





الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
		<b>ب - التفسير</b>	
٦٥٩	٢ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾	٨٤٧	سورة الفاتحة
	سورة طه		سورة البقرة
	١ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا﴾	٢٢٥	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَبَيِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
١٩٩	سورة يس	٢٣٥	٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ﴾
	١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ﴾		سورة آل عمران
٤٩١	سورة الزخرف		١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾
	١ - دروس وعبر من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾	١٥١	٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ﴾
١٨٩	سورة الطور	٢٠٣	٣ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
	١ - تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَتَّبَعَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يَإْمَنِينَ﴾	٤٩٧	٤ - تفسير آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾
	سورة الصف	٦١١	٥ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
١٤٥	١ - وقفة مع آيتين من كتاب الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ﴾	٨٤١	سورة الكهف
	سورة التحريم		١ - فوائد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾
٢٥٧	١ - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ﴾	١٨٥	سورة مريم
	جزء عم		١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾
٢١٣	١ - سورة التكاثر	١٦٩	
٣٧٩	٢ - سورة العصر		

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٥٩٣	٤ - صلاة الجماعة	٦٨٧	٣ - سورة الماعون
٣٠٩	٥ - الخشوع في الصلاة	٢١٩	٤ - سورة الإخلاص
٥٥٩	٦ - فضل صلاة الفجر	٨٣١	٥ - سورة الفلق
٧٧	٧ - فضل قيام الليل	<b>ج - الحديث</b>	
١١٧	٨ - سنن صلاة العيد	١ - شرح حديث السبعة الذين	
١٠٣	٩ - فضل العشر الأواخر من رمضان	يظلمهم الله	
٤٨٧	١٠ - الاستخارة	٢ - شرح حديث من ترك شيئاً لله	
<b>الزكاة</b>		٣ - شرح حديث: بعثت بالسيف بين يدي	
٥٨٩	١ - الزكاة	الساعة	
٣٧٥	٢ - زكاة الفطر	٤ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب	
<b>الصيام</b>		٥ - وقفة مع حديث جاء جبريل إلى	
٧١	١ - فضل الصيام	النبي ﷺ فقال: عش ما شئت	
٦٧	٢ - فضل رمضان	٦ - شرح حديث يتبع الميت ثلاثة	
٣	٣ - مخالفات تقع من بعض	٧ - فوائد من حديث خبيب بن عدي	
٩٧	الصائمين	٨ - شاب نشأ في عبادة الله	
<b>الحج</b>		٩ - الأجل والرزق	
٢٦٧	١ - وجوبه وفضله	١٠ - شرح حديث «من أصبح آمناً في	
٤٢٩	٢ - مخالفات تقع من بعض الحجاج	سربه...» الحديث	
<b>الوصايا</b>		<b>الفقه</b>	
٤٣	١ - كتابة الوصية	<b>الطهارة والصلاة</b>	
<b>البدع</b>		١ - أخطاء في الطهارة	
٧٨٥	١ - النهي عن البدع	٢ - أخطاء في الصلاة	
		٣ - الصلاة ومكانتها في الإسلام	

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	<b>محرمات عامة</b>		<b>الأدعية والأذكار</b>
٦٦٥	١- تحريم الدخان	٨٣	١- الدعاء آدابه وموانعه
٧٦١	٢- تحريم التصوير	٥٠١	٢- الاستغفار
٤٥٧	٣- الحسد		<b>الطعام</b>
٧٤٥	٤- الظلم وعواقبه الوخيمة	٨٣٧	١- آداب الطعام
	<b>المواعظ والرقائق</b>		<b>المحرمات</b>
٢٦٣	١- آفة السهر		<b>المال</b>
٤٥١	٢- كفارات الذنوب	١٩٣	١- أكل المال الحرام
٤٦٣	٣- المعاصي وعقوباتها	٦٥٣	٢- التحذير من الربا
٤٦٩	٤- التقوى	٢٥١	٣- النهي عن الإسراف
٥١٧	٥- الورع	١٦٣	٤- النهي عن المسألة
٦١٧	٦- حفظ اللسان	٧٢٥	٥- ذم الترف
٦٢٣	٧- الحور العين		<b>صيانة الأعراض</b>
٦٢٩	٨- الابتلاء	٤٨١	١- تحريم الزنا وأسبابه
٦٣٥	٩- الزهد في الدنيا	٦٩٩	٢- غض البصر
٦٩٩	١٠- غض البصر	٤٧٥	٣- تحريم الغناء
٢٧٩	١١- سوء الخاتمة	٥٥٣	٤- خطر الدش
٧٢٥	١٢- ذم الترف	٧١٩	٥- خطر التلفاز
٧٩٥	١٣- علامات حسن الخاتمة		<b>اللباس</b>
٧٦٧	١٤- الموت وعظاته	٧٥١	١- تحريم الإسبال
٢٨٥	١٥- الوقت وخطر السفر إلى الخارج		<b>الزينة</b>
٣٨٩	١٦- لذة العبادة	٧٠٥	١- تحريم حلق اللحية
١١٣	١٧- المواظبة على العبادة		

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	<b>فضائل عامة</b>		
٣٥١	١ - فضل الدعوة إلى الله .....	٣٩	١٨ - العجلة .....
٩١	٢ - فضل الصدقة .....	٥٧	١٩ - طول الأمل .....
	<b>موضوعات تهتم المرأة</b>	٤٣٥	٢٠ - التوبة .....
٦٤٧	١ - مكانة المرأة في الإسلام .....		<b>الفضائل</b>
٧١١	٢ - كلمة توجيهية للمرأة .....		<b>الأذكار</b>
٤١٣	٣ - مفسد العنوسة .....	٦٣	١ - فضل القرآن وقراءته .....
٣٥٧	٤ - تربية الأبناء .....	١٠٧	٢ - فضل الذكر .....
٧١٩	٥ - خطورة التلفاز .....	٥٠١	٣ - الاستغفار .....
٥٩٩	٦ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح .....		<b>الصلاة</b>
	<b>الأخلاق</b>		
٣٣	١ - حسن الخلق .....	٤٤٣	١ - فضل التكبير إلى الصلاة .....
١٣٩	٢ - الحياء .....	٥٥٩	٢ - فضل صلاة الفجر .....
١٥٧	٣ - القناعة .....	٦٦٩	٣ - فضل يوم الجمعة .....
٣٣٩	٤ - الصبر .....	٧٧	٤ - فضل قيام الليل .....
٦٧٥	٥ - الأمانة .....	٥	٥ - فضل العشر الأواخر من رمضان .....
٦٨١	٦ - صلة الأرحام .....	١٠٣	
	<b>السير</b>		<b>الصيام</b>
٥٢٩	١ - قصة نبي الله أيوب <small>عليه السلام</small> .....	٧١	١ - فضل الصيام .....
	٢ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق <small>رضي عنه</small> .....	٦٧	٢ - فضل رمضان .....
٧٧٣	٣ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب <small>رضي عنه</small> .....		<b>الحج</b>
		٢٦٧	١ - الحج وجوبه وفضله .....
			<b>عشر ذي الحجة</b>
		٨١٣	١ - فضل العشر من ذي الحجة .....

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٥٧	١٠- الحسد	٤	٤- مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>
٤١٧	١١- النكت	٣٣٣	٥- مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص <small>رضي الله عنه</small>
٢٦٣	١٢- آفة السهر	٢٤٥	٦- مقتطفات من سيرة سعد بن معاذ <small>رضي الله عنه</small>
٥٢٣	١٣- علاج الهموم والغموم	١٧٣	٧- مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد <small>رضي الله عنه</small>
<b>توجيهات عامة</b>			
٢٩	١- التوفيق	<b>قضايا اجتماعية</b>	
٣٩	٢- العجلة	١	١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٧	٣- البركة	٣١٧	٢- مفسد العنوسة
١٢١	٤- الرؤيا	٤١٣	٣- الطلاق
٤٠٩	٥- نصائح عامة	٣٨٣	٤- مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح
٤٤٧	٦- أسباب انشراح الصدر	٥٩٩	٥- تربية الأبناء
٥١٣	٧- شكر النعم	٣٥٧	٦- خطر التلفاز
٥٢٣	٨- علاج الهموم والغموم	٧١٩	٧- خطر الدش
٥٦٥	٩- السعادة	٥٥٣	٨- صلاة الجماعة
٨٠١	١٠- وفاته عليه الصلاة والسلام	٥٩٣	٩- صلة الأرحام
٨٠٧	١١- أسباب النصر على الأعداء	٦٨١	
٦٤١	١٢- العافية		
٥١٧	١٣- الورع		



## فهرس الجزء (١ - ٣) فهرس الكلمات حسب تسلسل الكتاب

الموضوع الصفحة

### الجزء الأول

- ٥ ..... تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي
- ٧ ..... تقديم فضيلة الشيخ ناصر بن سليمان العمر
- ٩ ..... تقديم فضيلة الشيخ سعد بن عبد الله الحميد
- ١١ ..... تقديم فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل سعد
- ١٣ ..... المقدمة
- ١٥ ..... ١ - الإخلاص
- ٢١ ..... ٢ - السبعة الذين يظلمهم الله في ظله
- ٢٩ ..... ٣ - التوفيق
- ٣٣ ..... ٤ - حسن الخلق
- ٣٩ ..... ٥ - العجلة
- ٤٣ ..... ٦ - كتابة الوصية
- ٤٧ ..... ٧ - البركة
- ٥٣ ..... ٨ - من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه
- ٥٧ ..... ٩ - طول الأمل
- ٦٣ ..... ١٠ - فضل القرآن وقراءته
- ٦٧ ..... ١١ - فضل رمضان
- ٧١ ..... ١٢ - فضل الصيام
- ٧٧ ..... ١٣ - فضل قيام الليل
- ٨٣ ..... ١٤ - الدعاء: آدابه وموانعه
- ٩١ ..... ١٥ - فضل الصدقة
- ٩٧ ..... ١٦ - مخالفات يقع فيها بعض الصائمين
- ١٠٣ ..... ١٧ - فضل العشر الأواخر من رمضان
- ١٠٧ ..... ١٨ - فضل الذكر

الموضوع	الصفحة
١٩ - المواظبة على العبادة	١١٣
٢٠ - سنن العيد	١١٧
٢١ - الرؤيا	١٢١
٢٢ - شاب نشأ في عبادة الله	١٢٧
٢٣ - التحذير من الشرك	١٣٣
٢٤ - الحياء	١٣٩
٢٥ - وقفة مع آيتين من كتاب الله	١٤٥
٢٦ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾	١٥١
٢٧ - القناعة	١٥٧
٢٨ - النهي عن المسألة	١٦٣
٢٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾	١٦٩
٣٠ - سيرة سعد بن معاذ <small>رضي الله عنه</small>	١٧٣
<b>الجزء الثاني</b>	
٣١ - أصل الدين وقاعدته	١٨١
٣٢ - فوائد من قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾	١٨٥
٣٣ - دروس وعبر من قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾	١٨٩
٣٤ - أكل المال الحرام	١٩٣
٣٥ - وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ ﴾	١٩٩
٣٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ ﴾	٢٠٣
٣٧ - شرح حديث: بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة	٢٠٧
٣٨ - سورة التكاثر	٢١٣
٣٩ - سورة الإخلاص	٢١٩
٤٠ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾	٢٢٥
٤١ - وقفة مع حديث وفاة أبي طالب	٢٢٩
٤٢ - تأملات في قوله تعالى: ﴿ إِنْ بُدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾	٢٣٥
٤٣ - الولاء والبراء في الإسلام	٢٤١
٤٤ - مقتطفات من سيرة سعد بن أبي وقاص	٢٤٥
٤٥ - النهي عن الإسراف	٢٥١

٢٥٧.....	٤٦ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾
٢٦٣.....	٤٧ - آفة السهر.....
٢٦٧.....	٤٨ - الحج: وجوبه وفضله.....
٢٧٣.....	٤٩ - نواقض الإسلام العشرة.....
٢٧٩.....	٥٠ - سوء الخاتمة.....
٢٨٥.....	٥١ - الوقت وخطر السفر إلى الخارج.....
٢٩١.....	٥٢ - التوكل.....
٢٩٧.....	٥٣ - مبطلات الأعمال.....
٣٠٣.....	٥٤ - الأجل والرزق.....
٣٠٩.....	٥٥ - الخشوع في الصلاة.....
٣١٧.....	٥٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
٣٢٣.....	٥٧ - الصلاة ومكانتها في الإسلام.....
٣٢٩.....	٥٨ - مقتطفات من سيرة خالد بن الوليد.....
٣٣٣.....	٥٩ - مقتطفات من سيرة علي بن أبي طالب.....
٣٣٩.....	٦٠ - الصبر.....
٣٤٥.....	٦١ - عذاب القبر ونعيمه.....
٣٥١.....	٦٢ - فضل الدعوة إلى الله.....
٣٥٧.....	٦٣ - تربية الأبناء.....
٣٦٣.....	٦٤ - خطورة الاستهزاء بالدين.....
٣٦٩.....	٦٥ - وقفة مع حديث شريف.....
٣٧٥.....	٦٦ - زكاة الفطر.....
٣٧٩.....	٦٧ - سورة العصر.....
٣٨٣.....	٦٨ - الطلاق.....
٣٨٩.....	٦٩ - لذة العبادة.....
٣٩٥.....	٧٠ - أسباب الثبات على الدين.....

### الجزء الثالث

٤٠٣.....	٧١ - وقفة مع قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ﴾
٤٠٩.....	٧٢ - نصائح عامة.....

الموضوع	الصفحة
٧٣- مفسد العنوسة.....	٤١٣
٧٤- النكت.....	٤١٧
٧٥- وصايا لطلبة العلم.....	٤٢١
٧٦- مخالقات يقع فيها بعض الحجاج.....	٤٢٩
٧٧- التوبة.....	٤٣٥
٧٨- شرح حديث (يتبع الميت ثلاثة).....	٤٣٩
٧٩- فضل التبكير إلى الصلاة.....	٤٤٣
٨٠- أسباب انشراح الصدر.....	٤٤٧
٨١- كفارات الذنوب.....	٤٥١
٨٢- الحسد.....	٤٥٧
٨٣- المعاصي وعقوباتها.....	٤٦٣
٨٤- التقوى.....	٤٦٩
٨٥- تحريم الغناء.....	٤٧٥
٨٦- تحريم الزنا وأسبابه.....	٤٨١
٨٧- الاستخارة.....	٤٨٧
٨٨- وقفة مع آيات من كتاب الله ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾.....	٤٩١
٨٩- تأملات في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾.....	٤٩٧
٩٠- الاستغفار.....	٥٠١
٩١- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (العزیز).....	٥٠٧
٩٢- شكر النعم.....	٥١٣
٩٣- الورع.....	٥١٧
٩٤- علاج الهموم والغموم.....	٥٢٣
٩٥- قصة نبي الله أيوب <small>عَلَيْهِ السَّلَام</small> .....	٥٢٩
٩٦- الأسباب الجالبة لمحبة الله.....	٥٣٥
٩٧- حوض النبي <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small> .....	٥٤١
٩٨- شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الشافی).....	٥٤٧
٩٩- خطر الدش.....	٥٥٣
١٠٠- فضل صلاة الفجر.....	٥٥٩

الموضوع	الصفحة
١٠١ - السعادة.....	٥٦٥
١٠٢ - فتنة الدجال.....	٥٧١
١٠٣ - شرح اسم من أسماء الله الحسنى (الحكيم).....	٥٧٧
١٠٤ - نعمة الهداية.....	٥٨٣
١٠٥ - الزكاة.....	٥٨٩
١٠٦ - صلاة الجماعة.....	٥٩٣
١٠٧ - مخالفات شرعية تتعلق بالنكاح.....	٥٩٩
١٠٨ - شرح حديث (من أصبح آمناً في سربه).....	٦٠٥
١٠٩ - تفسير آية الكرسي.....	٦١١
١١٠ - حفظ اللسان.....	٦١٧
١١١ - الحور العين.....	٦٢٣
١١٢ - الابتلاء.....	٦٢٩
١١٣ - الزهد في الدنيا.....	٦٣٥
١١٤ - العافية.....	٦٤١
١١٥ - مكانة المرأة في الإسلام.....	٦٤٧
١١٦ - التحذير من الربا.....	٦٥٣
١١٧ - وقفة مع قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ﴾.....	٦٥٩
١١٨ - تحريم الدخان.....	٦٦٥
١١٩ - فضل يوم الجمعة.....	٦٦٩
١٢٠ - الأمانة.....	٦٧٥
١٢١ - صلة الأرحام.....	٦٨١
١٢٢ - سورة الماعون.....	٦٨٧
١٢٣ - كلمة توجيهية للمدرسين.....	٦٩٣
١٢٤ - غض البصر.....	٦٩٩
١٢٥ - تحريم حلق اللحية.....	٧٠٥
١٢٦ - كلمة توجيهية للمرأة.....	٧١١
١٢٧ - خطر التلفاز.....	٧١٩
١٢٨ - ذم الترف.....	٧٢٥

الموضوع	الصفحة
١٢٩ - أخطاء في الطهارة	٧٢٩
١٣٠ - أخطاء في الصلاة	٧٣٣
١٣١ - خطر النفاق	٧٣٩
١٣٢ - الظلم وعواقبه الوخيمة	٧٤٥
١٣٣ - تحريم الإسبال	٧٥١
١٣٤ - فوائد من حديث خبيب بن عدي	٧٥٧
١٣٥ - تحريم التصوير	٧٦١
١٣٦ - الموت وعظاته	٧٦٧
١٣٧ - مقتطفات من سيرة أبي بكر الصديق	٧٧٣
١٣٨ - مقتطفات من سيرة عمر بن الخطاب	٧٧٩
١٣٩ - النهي عن البدع	٧٨٥
١٤٠ - قدرة الله	٧٩١
١٤١ - علامات حسن الخاتمة	٧٩٥
١٤٢ - وفاته عليه الصلاة والسلام	٨٠١
١٤٣ - أسباب النصر على الأعداء	٨٠٧
١٤٤ - فضل أيام عشر ذي الحجة	٨١٣
١٤٥ - طلب العلم الشرعي	٨١٩
١٤٦ - معنى لا إله إلا الله	٨٢٥
١٤٧ - سورة الفلق	٨٣١
١٤٨ - آداب الطعام	٨٣٧
١٤٩ - وقفة مع قوله تعالى ﴿ وَلَا تُحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾	٨٤١
١٥٠ - سورة الفاتحة	٨٤٧









